لجنة التأليف والترجمة والنشر

إمتاع الأسماع

بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع

للمقريزي

تقي الدين أحمد بن علي

الجزء الأول

صححه وشرحه

محمود محمد شاكر

عني بنشره وتصحيحه خادم العلم

عبد الله ابن إبراهيم الأنصاري

طبع على نفقة

الشؤون الدينية بدولة قطر

221

لجنة التأليف والترجمة والنشر

إمتاع الأسماع

بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع

للمقريزي

تقي الدين أحمد بن علي

الجزء الأول

صححه وشرحه

محمود محمد شاكر

عني بنشره وطبعه خادم العلم
عبد الله ابراهيم الأنصاري

طبع على نفقة
الشئون الدينية بدولة قطر

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، وعزت صفاته ، لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله ، النبي الأمين ، الذي حمل الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأُمّة ، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

صلى الله عليه ، وعلى آله وصحابته ، ومن سار على دربه ، وعمل بهديه إلى يوم الدين . .

وبعد : فقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم : (الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة) ، وهل هناك ثروة في هذه الدنيا وخير أعز وأثمن وأسمى من العلم ؟ .

فالعلم هو بضاعة الأنبياء والمرسلين ، والصالحين ، من البشر ، وهو أحسن بضاعة وأوفاها قدراً وأسماها منزلة ، وأثمن ميراث يورثه المرءُ لأبناء جنسه ودينه ، ناهيك إذا كان هذا العلم نافعاً يقصد به صاحبه وجه الله تعالى أولا وأخيراً .

والعلم أَنواع شتى ، منه علوم الدين بتمامها وكمالها وهي أَثمن المعارف قاطبة وأَزكاها ، وأَجداها للمرءِ في دنياه وآخرته ..

والتاريخ أَيضاً من أَجلّ المعارف الإِنسانية ، ففيه تسجل الحوادث ، ومنه يعرف الماضي ليكون نبراساً للحاضر ، ودعامة للمستقبل ، ومن أَوفى علماءِ الإِسلام بكتابة التاريخ تقي الدين أَحمد بن علي المشهور بالمقريزي . وقد كان كما يقول عنه ابن العماد الحنبلي : « الإِمام البارع عمدة المؤرخين وعين المحدثين ، كان علماً من الأَعلام ، ضابطاً ، مؤرخاً ، مفنناً ، محدثاً ، معظَّماً في الدول ، ولِّيَ حسبة القاهرة غير مرة ، وعُرِضَ عليه قضاءُ دمشق فأَبى ، وكتب الكثير بخطه ، وانتقى وحصل الفوائد ، واشتهر ذكره في حياته ، وبعد موته ، في التاريخ وغيره ، حتى صار يضرب به المثل ، وكان منقطعاً في داره ، ملازماً للخلوة والعبادة ، قَلَّ أَن يتردد لأَحد إلا لضرورة . » اهـ من شذرات الذهب في أَخبار مَن ذهب .

لقد كان للمقريزي ــ رحمه الله ــ أُسلوب أَدبي بارع في كتابة التاريخ يجذب القارئ لسهولته ، مع أَدائه الكامل للمعاني بيسر ..

ومما لا شك فيه أَن كتابة التاريخ فن من الفنون قلّ الذين يجيدون الكتابة فيه ، إلا أَنه ــ رحمه الله ــ أُوتيَ حظاً وافراً حسناً وتوفيقاً من الله في الإِلمام بالحوادث .. يقول في مقدمة كتاب المواعظ

والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف « بالخطط المقريزية » يرسم في قوله هذا منهجه في التاريخ : (... وبعد : فإن علم التاريخ من من أَجَلِّ العلوم قدراً ، وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطراً ، لما يحويه من المواعظ والإنذار بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الديار ، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقتدى بها ، واستعلام مذام الفعال ، ليرغب بها أُولو النهى ، لا جرم إن كانت الأنفس الفاضلة به رامقة ، والهمم العالية إليه مائِلة وله عاشقة ... إلخ) .

ولم يكن صاحبنا - رحمه الله - متعالياً ، ولا مغروراً أبداً ، وإنما كان مثال التواضع ، إقرأْ إليه وهو يقول :

(... فإن كنت أَحسنت فيما جمعت وأَصبت في الذي صنعت ووضعت ، فذلك من عميم منن الله تعالى ، وإنْ أَنا أَسأْتُ فيما فعلت وأَخطأْتُ إذ وضعتُ ، فما أَجدر الإنسان بالإساءة والعيوب ، إذا لم يعصمه ويحفظه علام الغيوب) ..

وما أُبرئ نفسي إنني بشر ... أَسهو وأُخطئ ما لم يحمني قدر
وما ترى عذراً أَولى بذي زلل ... من أَن يقول مقرًّا إنني بشر

من هذا المنطلق المتواضع ، وبهذه النفسية السهلة اليسيرة المؤمنة البعيدة عن التعقيد والعجب كان المقريزي - رحمه الله - رائداً من رواد التاريخ ، دقيقاً فيما يكتب ، أَميناً فيما يحكي ، ملماً بكل ما يقول ، بعيداً عن الانحياز والتعصب ..

وكتابنا الذي نقدمه إلى قرّاءِ العربية اليوم :

« إمتاع الأَسماع بما للرسول من الأَنباءِ والأَقوال والحفدةِ والمتاع »

كتاب فريد في طريقته ، يحكي السيرة النبوية بدقة بالغة ، وقد طبع الجزءُ الأَول فقط من هذا الكتاب منذ أَربعين سنة في القاهرة ، ونفدت نسخه حتى أَصبح في عداد المفقود ، فعزمنا بعد التوكل على الله على إعادة طبعه على نفقة :

(ادارة الشئون الدينية بدولة قطـر)

ولعلنا – بعون الله تعالى – ندرك القصد من وراءِ نشره على الناس أَلا وهو أَن نكون قد أَدينا ولو سهماً يسيراً من الواجب علينا تجاه سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – وسنته ، في هذا العصر الذي تتعرّض له السيرة والسنة لأَشنع حملة من التشويش ، من قِبل أَعداءِ الله ، خصوصاً ممن يتسمون بالإسلام .. ولكن الله غالب على أَمره .. وهو كفيل بهذا الدين : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » .

آملين أَن يؤتينا الله العزم والعزيمة لإنجاز باقي الكتاب ، وأَن يوفقنا إلى إتمامه طمعاً في رفقة صاحب السيرة الزكية على الحوض المورود « يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَي اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) «يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ

حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ » . . وقانا الله من شر هذا اليوم وجعلنا في صحبة نبيه – صلى الله عليه وسلم –

أسأل الله العلي القدير ، أن يجعل عملنا هذا خالصاً لدينه ، وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه ، إنه سميع قريب مجيب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خـــادم العلم

عبدالله ابراهيم الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة المؤلف)

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، الرحمٰنِ الرَّحيمِ ، مالكِ يومِ الدِّين ، إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتعينُ ؛ وصلَّى اللهُ على نبيِّنا مُحمَّدٍ الذى مَنَّ به على عِبادِه المؤمنين ، إذْ بَعَثَ فيهمْ رَسولاً من أنفُسِهمْ يَتْلُو عليهِمْ آياتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويعلِّمُهُمْ الكتابَ والحِكْمَةَ وإن كانوا من قبلُ لَفِي ضلالٍ مُبينٍ ؛ وأرْسله بالشَّرْعِ العامِّ ، إلى جميعِ الأنامِ ، ليكونَ رحْمةً للعالمين ، ونَجاةً — لِمَنِ اتَّبعه — من خِزْيِ الدُّنْيا وليكونَ فى الآخرةِ من الفائزين ؛ فبلَّغَ صلى الله عليه وسلم الرِّسالةَ ، وأدَّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّة ، وكَشَف الغُمَّة ، وأعدَّ لجهادِ أعداءِ الله تعالى الأسلحةَ والعَتاد ، وَارتبطَ فى سبيل الله عزَّ وجلَّ المُسوَّمَةَ الجياد ، ونهض لمُحاربة مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ بنفسِه تارةً ، وندَبَ لهم آونةً مِن صَحابتـه مَنْ رَضِيَه لذلكَ واختارَه ، حتى ظَهر أمرُ اللهِ وهمْ كارهون ، فقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذينَ ظلمُوا والحمدُ للهِ ربِّ العالمين ؛ اللَّهمَّ صلِّ عليه مِنْ نبيٍّ كان يأْكُلُ الطيِّباتِ من الطَّعام ، ويَنْكِحُ المبرَّآتِ من العُيوب والآثام ، ويستخدمُ الموالىَ من الأرقَّاء والأحْرار ، ويُصرِّفهم فى مِهْنَتِه ومُهِمَّاتِه الجليلاتِ الأقدار ؛ ويركَبُ البَغْلَةَ الرَّاتِعةَ ويلبسُ الحِبَرَةَ والقَباءَ[1] ، ويمشِى منتعلًا وحافياً من مسجدِه إلى نحو قُباء[2] ؛ ويدَّخِرُ لأهلِه مما أفاءَ الله عليه أقواتَ سَنةٍ كاملةٍ ، ويجْعلها تحت أيْدِيهم مُحْرَزَةً حاصلة ؛

(١) الحِبرة : ضرب من البرود اليمانية موشىّ مخطط . والقَباء : ثوب مفتوح من أمام ثم تضمّ أطرافه بأزرار ؛ ويقال هو من لباس الأعاجم

(٢) قُباء : مكان بالمدينة كانت به مساكنُ بنى عمرو بن عوف من الأنصار ، وفيه بنى مسجدها الذى أسس على التقوى ، كما وصفه الله تعالى . وسيأتى ذكره

و يُؤْثِرُ بقُوتِهِ وثَوْبه أهلَ الحاجةِ والمساكينَ ، ثقةً منه بخير الرَّازقين . اللَّهُمَّ وأبعثْهُ مَقَاماً محمودًا يَغْبِطُه الأوَّلُون والآخِرون ، وسلم عليه وعلى آله وصَحْبه ومُتَّبِعِيه إلى يوم الدِّين يا ربَّ العالمين

و بعدُ ، فغيرُ جميل بمَنْ تصدَّرَ للتدْريس والإفْتاء ، وجَلَسَ للحُكْمِ بين الناس وفَصْلِ القَضَاء ، أن يجْهَلَ — من أَحوالِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلّم وَنَسَبِهِ ، وجميلِ سيرته ورَفيعِ مَنْصِبه ؛ ومَا كان له من الأمور الذاتيّة والعَرَضِيَّة — ما لا غِنَى — لمن صدَّقه وآمَنَ به — عنْ مَعْرفته ، ولا بُدَّ لكلِّ مَنْ اتَّسَم بالعلمِ من دِرايته . فقد أدركْنَا وعاصَرْنَا وصَحِبْنَا ورأيْنا كثيراً منهم عن هذا النَّبَإِ العظيم معرضون ، ولهذا النَّوع الشريفِ من العلمِ تاركون ، و بهِ جاهلون ؛ فجمعْتُ فى هذا المختصَرِ من أحوالِ رسول الله صلى الله عليه وسلَّمَ جُمْلَةً أرجو أن تكون — إن شاء الله تعالى — كافيةً ، ولمن وفَّقه الله سُبْحانَهُ ، من داءِ الجهلِ شافية . التقطَ كتاباً جامعاً ، وباباً من أُمَّهات العلم مجموعا ، كان له غُنْمُه ، وعلى مؤلفه غُرْمُه ؛ وكان له نفعه ، يحده[١] مع تعرضه لمطاعن البُغاة ولأغراض المنافسين ، ومع عرضه عقله الكدود على العقول الفارغة ، ومعانيه على الجهابذَة ، وتحكيمه فيه المتأوِّلين والحسدة . ومع ذلك فقد سميته : « إمتاع الأسماع بما للرسول من الأَنْبَاء والأَمْوَالِ والحَفَدَةِ والمتَاع » صلى الله عليه وسلَّم . واللهَ أسأَلُ التوفيقَ لديمَةِ[٢] العَمَل بالسُّنَّة ، وموافقةِ الذين أنْعَمَ الله عليهم فى بُحْبُوحَةِ الجَنَّة ، بِمَنِّهِ وكَرَمِه .

---

(١) هكذا هو رسم الكلمة فى الأصل ؛ ولم نجد لها وجْهاً . ولعله قد سقَط من الكلام بعضُ ما يتمّ به معناه . ولو حُذف قوله « وكان له نفعه ، يحده » ، استقام الكلام

(٢) يريدُ « لدوام العمل ... » فأخطأ ؛ وشبّه عليه حديث عائشة وذكرت عمَل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان عَمَله ديمةً » شَبَّهَتْه بالدِّيمة من المطر فى الدوام والاقتصاد

أسماؤه وكُناه وألقابه

هو سيِّدُ ولدِ آدَمَ ، أبو القاسم ، وأبُو إبْراهيم ، وأبُو قُثَم ، وأبُو الأَرَامِل : [محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم] (١) ، وأحمدُ ، والمَاحى ، والحَاشِرُ ، والعَاقِبُ ، والمُقَفِّى ، ونبىُّ الرَّحمة ، ونبىُّ التَّوْبَةِ ، ونبىُّ المَلَاحِمِ (٢)

نسب أبيه

ابن عبدِ الله بْنِ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشم بنِ عبدِ مَناف بنِ قُصَىّ بن كِلَاب ابنِ مُرَّةَ بنِ كَعْب بنِ لُؤَىّ بنِ غَالِب بنِ فِهْرٍ . [وهو قُرَيْشٌ على الصحيح] ابنِ مالك بنِ النَّضْر بنِ كِنَانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ أَلْيَاس بنِ مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عَدْنان ؛ النبىُّ المُصْطَفَى ، والرَّسُولُ المجتبَى ، خِيَرَةُ ربِّ العالمين ، وخاتَمُ النَّبِيِّين ، وإمام المتَّقين ، وسيِّدُ المرسلين ، صلى الله عليه وسلّم

نسب أمّه

أُمُّ رسولِ الله : آمنةُ بنتُ وَهْب بنِ عبدِ مناف بْنِ زُهْرَةَ بن كلاب بن مُرَّة ابن كعب ؛ حَمَلَتْ به فى شِعْبِ أبى طالب ، [وقيلَ عند الجَمْرَةِ الكبرى ؛ وقيل الوسطى] فى ليلةِ رجب ليلة الجمعة ، وقيل حملت به فى أيّام التشريق (٣)

مولده

وُلِد محمدٌ صلى الله عليه وسلّم بمكة ، فى دارٍ عُرِفتْ بدار أبن يوسفَ ، من شِعْب بنى هاشم ، يوم الأثنين لاثنتى عشرة خَلَتْ من ربيع الأوّل [وقيل لليلتين خَلَتا منه ؛ وقيل ولد ثالثه ؛ وقيل فى عاشِره ؛ وقيل فى ثامنه ؛ وقيل ولد يوم الأثنين لاثنتى عشرة مَضَتْ من رمضان حين طلع الفجر . وقد شذَّ بذلك الزُّبَيْر ابن بكّار ، إلا أنه موافق لقوله إن أمّه صلى الله عليه وسلم حملت به أيام التشريق ، فيكون حملُها مدّة تسعة أشهر على العادة الغالبة . وذلك عام الفيل [قيل بعد قدوم الفيلِ مكّةَ بخمسين يوما ، وقيل بشهر ، وقيل بأربعين يوما ، وقيل قدم الفيلُ

(١) بياض بالأصل

(٢) فى ابن سعد ج ١ ص ٦٤ وغيره « نبىّ الملحمة » . وزاد ابن سعد فى عدة أسمائه « الخاتم »

(٣) أيام التشريق : ثلاثةُ أيام بعد يوم النحر من عيد الأضحى

للنّصف من المحرم قبل مَوْلِدِ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بشهرين إلا أياما ؛ وقيل ولد بعد الفيل بثمانية وخمسين يوما ؛ وقيل بعده بعشر سنين ؛ وقيل بعده بثلاثين عاما ؛ وقيل وُلد قبل الفيل بخمس عشرة سنة ؛ وقيل قبله بأربعين عاما ؛ وقيل ولد يوم الفيل ؛ وقيل ولد سنة ثلاث وعشرين للفيل ؛ وقيل ولد فى صَفَر ؛ وقيل يوم عاشوراء ؛ وقيل فى ربيع الآخر] والراجح أنّه ولد عام الفيل فى الثانية والأربعين من ملك كسرى ، أنوشروان بن قُباذ بن فَيْرُوز بن يَزْدَجِرْد بن بَهْرام جُور بن يزدجرد الخَشِن بن بهرام بن سَابُور بن سابور ذى الأكتاف .

وكان على الحِيرَة[١] — يوم وُلد — عمْرو بن المُنْذِر بن امرئ القيس ، وهو عمرو ابن هند ، وذلك قبل وِلاية النُّعمان بن المنذر — المعروف بأبى قابوس — على الحيرة بنحوٍ من سبع عشرة سنة ، وهى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الإسكندر بن فيلبّس الجدونى[٢] على دارا ، وهى سنة ألف وثلاثمائة وستة عشرة لابتداء ملك بُخْتَ نَصَّر . ووافق يوم مولده العشرون من نيسان ، وولد بالغَفْرِ[٣] من المنازل وهو مولد الأنبياء ؛ ويقال كان طالعه برج الأسد والقمر فيه

صفة مولده

وتركوا عليه جَفْنةً كبيرة فانفَلَقَتْ عنه فِلْقَتَيْن ، فكان ذلك من مبادئ أمارات النبوة فى نفسه الكريمة . ويقال وُلد مختونا ، مَسْرُورًا[٤] ، مقبوضةً أصابعُ يده ، مشيرا بالسبَّابة كالمسبِّح بها ، فأعجبَ ذلك جَدَّه عبد المطلب

(١) فى الأصل : « الحرة »

(٢) فى الأصل : « فيلبش المحذونى »

(٣) فى الأصل : « العمر » . و « الغفر » من منازل القمر ، قال البيرونى ص ٣٤٣ : « وتقول العرب إنه خير المنازل » ثم قال : « وقيل إن مواليد الأنبياء قد اتفقت فيه ولا أظن ذلك حقا »

(٤) مسرورا : قد قطعت سرته

وقال : « ليكونَنَّ لابنى هذا شأنٌ » . وقيل إن جدّه ختَنَه يوم سابعه ، وقيل خَتَنَه جبريل عليه السلام ، وخُتِم حين وُضع الخاتم

مدة حمله

وكانت مدة الحملِ به تسعة أشهر ، وقيل عشرة ، وقيل ثمانية ، وقيل سبعة ، وقيل ستة . وعَقَّ عنه [١] بكبش يوم سابعه وسمّاه محمّدًا

موت أبيه

ومات عبد الله بن عبد المطلب — ورسول الله صلى الله عليه وسلم حَمْلٌ فى بطن أمّه — بالمدينة ، وقيل بالأَبْوَاء بين مكة والمدينة ، والأول هو المشهور ؛ وقيل مات بعد ولادته بثمانية وعشرين يومًا ، وقيل بسبعةِ أشهر ، وقيل بسنةٍ ، وقيل بسنتين ، وقيل بشهرين ، والأول أثبت

رضاعه ، وإخوته فى رضاعه

أرضعته أمه صلى الله عليه وسلم سبعة أيّام ، ثم أرضعته « ثُوَيْبَة » مولاة « أبى لَهَب » بلبن أبنها « مَسْرُوح » أياما قلائل [٢] وكانتْ أرضعتْ قَبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّه « حمزةَ بنَ عبد المطلب » ، وأرضعتْ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبا سَلَمَة بن عبد الأَسَد » [٣] . ثم بعد رضاعه من « ثويبةَ » أرضعته « أمُّ كبشة ، حليمةُ بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة ابن جابر بن رِزام بن ناصرة بن فُصَيّة [٤] بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدية » بلبن زوجها الحارث بن عبد العُزّى السعدى . وأرضعت معه صلى الله عليه وسلم أبنَ عمّه « أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب » أيّامًا بلبن ابنها عبد الله ، ثم فطمته صلى الله عليه وسلم بعد سنتين

(١) عقّ عنه : حلق شعره وذبح عنه شاة أو شاتين يوم أسبوعه

(٢) فى الأصل : « دلائل » وكتب تحتها « قلائل » بخط مخالف

(٣) اسمه « عبد الله » ، وهو ابن عمّته صلى الله عليه وسلم ، أمه « برّة بنت عبد المطلب »

(٤) فى الأصل : « قصية »

وكان حمزة بن عبد المطلب مُسْترضَعًا فى بنى سعد بن بكر فأرضعت أمّه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا وهو عند أمه حليمة ، وكان حمزة رضيعَ النبى صلى الله عليه وسلم من وجهين ؛ من جهة ثُوَيبة ومن جهة السعدية ، وكانت ابنتُها الشَّيْماء تحضُنه معها

وكان أخوه من الرضاعة عبد الله بن الحارث ، وهو الذى شرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأُنَيْسَة[١] بنتُ الحارث ، والشيماء وهى حُذَافةُ[٢] بنت الحارث

مدة رضاعه

فأقام صلى الله عليه وسلّم عند حليمة فى بنى سَعْد بن بَكْر بن هَوَازِن بن منصور ابن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس عَيلان[٣] نحوًا من أربع سنين

شقّ صدره

وشُــقّ فؤاده المقدّس هناك ومُلِئَ حكمةً وإيمانا بعد أن أُخرج حَظُّ الشيطان منه . وروى البخارى فى الصحيح شُقّ صدره صلى الله عليه وسلّم ليلةَ المعراج ؛ وقد استشكله أبو محمد بن حزم . ويقال إن جبريل عليه السلام خَتَنَه صلى الله عليه وسلم لما طَهَّر قلبهُ الشريف . ثم ردّته حليمةُ بعــد شَقّ فؤاده إلى أمه آمنة وهو ابن خمس سنين وشهر ، وقيل ابن أربع سنين ، وقيل سنتين وشهر

خروج آمنة وموتها

ثم خرجت به آمنة إلى المدينة تزور أخواله بها فماتت بالأبواء وهى راجعةٌ إلى

---

(١) فى الأصل : « أبيسة » . وفى ابن سعد ج ١ ص ٦٩ والسيرة ج ١ ص ١٠٣ والإصابة ترجمة « الشيماء » : « أنيسة » . ولم يفرد لها ابن حجر فى الإصابة ترجمة ؛ وإنما ذكر « آسية بنت الحارث السعدية » وقال : أخت النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع ، ولم أجدها فى غيره

(٢) فى ابن سعد ج ١ ص ٦٩ « جُدَامة » وفى ابن هشام ج ١ ص ١٠٣ « جُذامة » والإصابة فى ترجمتها ، ثم فيها أيضا « حذافة » فى ترجمتها وكذلك فى ترجمة « الشيماء » . كل ذلك على اختلاف بينهم فى صوابها

(٣) قيس بن عَيْلان بن مُضر ، هذا هو النسب

مكة ، وله صلى الله عليه وسلم ستُّ سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وقيل وعمره أربع سنين ، وقيل ثمانية أعوام ، والأول أثبت

كفالة جدّه

فكفَلَهُ بعد آمنةَ جدُّه عبد المطلب بن هاشم ، وكان يرى من نُشُوئه[1] ما يسرُّه فيدنيه ، حتى كان صلى الله عليه وسلم يدخُل عليه إذا خَلَا وإذا نام ويجلس على فراشه ، فإذا أراد بنو عبد المطلب منعه قال عبد المطلب : دَعُوا ابنى ، فإنّه يُؤْنِسُ مُلْكاً[2] . ورَمِدَ عليه السلام فى سنة سبع من مولده فخرج به عبد المطلب إلى راهب فعالجه وأعطاه ما يُعالَج به وبشَّر بنبوته . وحضنته بعد أمّه أمُّ أيْمَن بَرَكَةُ الحبشيّة مولاةُ أبيه ، حتى مات عبد المطلب وله صلى الله عليه وسلم من العمر ثمانى سنين ، وقد أوصى به إلى ابنه أبى طالب[3] لأنه كان أخا عبد الله لأمّه

رمده

حضانة أمّ أيمن وموت جدّه

كفالة عمه

فكفله عمّه أبو طالب بن عبد المطلب وحاطَهُ أتمّ حِياطة . وكان بنو أبى طالب يُصْبِحون غُمْصًا رُمْصًا[4] ويُصْبِح صلى الله عليه وسلّم صَقِيلاً دَهِينًا . وكان أبو طالب يقرّب إلى الصبيان تَصبيحهم أوّلَ البُكْرة فيجلسون ويَنْتَهِبُون ، ويَكُفُّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدَه لا يَنْتَهِبُ معهم ، فلمّا رأى ذلك أبو طالب عَزَلَ

حاليته وخلقه فى صغره

---

(١) فى الأصل : « لنشوه »

(٢) فى ابن سعد ج ١ ص ٧٤ « ليؤنس » وهى أجود ، أى إنه يحسّ ذلك ويعلمه ، كما جاءت رواية ابن إسحق فى سيرته ج ١ ص ١٠٨ « فوالله إنّ له لشأنا » ، وفى ابن سعد أيضا ج ١ ص ٩٨ « إنه ليحدّث نفسه بمُلك »

(٣) فى الأصل : « المطلب » وهو خطأ ، وأبو طالب أخو عبد الله لأبيه وأمه ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ

(٤) جمع أغمص وأرمص ، والغمص : الذى يكون مثل الزبد أبيض يكون فى ناحية العين ؛ والرمصُ : الذى يكون فى أصول الهُدْب . ورواية ابن سعد ج ١ ص ٧٦ : « وكان الصبيان يصبحون رُمْصاً شُعْثاً ، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دَهِيناً كحيلاً » أى دَهِين الشَّعر ليّنه ، برىء العين من الرمص ، وهى أجود الروايتين

له طعامَه على حِدَةٍ . وكان صلّى الله عليه وسلم يُصْبح فى أكثر أيامه فيأتى زمزمَ فيشربُ منها شَرْبةً ، فربما عُرِض عليه الغداء فيقول : لا أريدُه ، أنا شبعان

مخرجه الأول إلى الشام

وخرج به إلى الشأم فى تجارةٍ وهو صلى الله عليه وسلم ابن اثنتى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام ؛ وقيل ابن تسع سنين . فبلغ به بُصْرَى[1] ، وذلك فيما يقال لعشرٍ خَلَوْنَ من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة للفيل . فرأى أبو طالب ومن معه من آياتِ نبُوّته صلّى الله عليه وسلم ما زاده فى الوَصَاةِ به والحرصِ عليه : من

خبر بحيرا الراهب

تظليلِ الغَمَام له ، ومَيْلِ الشجرة بظلّها عليه . وبشّر به بَحِيرا الراهبُ [واسمه سَرْجِسُ من عَبْد القَيْس] ، وأمرَ أبا طالبٍ أن يرجعَ به لئلّا تراه اليهود فيَرْمُونه[2] بسُوء ، فكانت هذه أوّلَ بُشْرَى بنبوّته ، وهو لصغره غيرُ واعٍ إليها ولا متأهّبٍ لها ؛ وقيل خرج مع عمّه وله تسع سنين ، والأوّل أثبت

أول أمره مع خديجة فى التجارة

وكان حكيم بن حِزام[3] قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق حُباشَة واشترى منه بَزًّا من بزّ[4] تهامة وقَدِم مكة . فذلك حين أرسلت خديجةُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعُوه أن يخرج فى تجارة إلى سوق حُباشة ، وبعثت معه غلامَها مَيْسَرة . فخرجا فابتاعا بزًّا من بَزِّ الجَنَد[5] وغيره مما فيها من

مشاركته السائب فى التجارة

التجارة ، ورجعَا إلى مكة فربحا ربحًا حَسَنًا . ويقال إن أبا طالب كلّمَ خديجة حتى وكلتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بتجارتها . وكان يشارِكُ السائب بن أبى السائب

---

(١) بالشام من أعمال دمشق

(٢) هكذا فى الأصل ، ولعلها « فيَبْرُمونَه » أى يريدونه كما جاء فى خبر ابن إسحق ج ١ ص ١١٦ « لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ، ليبغُنَّهُ شرًّا »

(٣) حكيم بن حزام بن خويلد ، وهو ابنُ أخى خديجة

(٤) البزّ : ضروب الثياب

(٥) قسم من اليمن

صَيْفِيّ بن عابد(١) بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فلما كان يومُ الفتح جاءه فقال عليه السلام : مَرْحبًا بأخي وشريكي ، كان لايدارئ(٢) ولا يماري [ومعنى يدارئ يشاحن ويخاصم صاحبه]

رعيته الغنم

وكان بعد ذلك يرعَى غنما لأهل مكة على قراريط ؛ قيل كل شاة بقيراط ، وقيل قراريط موضعٌ ، ولم يُرِد بذلك القراريطَ من الفضّة

مشهده حرب الفجار

وشهد حرْبَ الفِجَار الأَيَّامَ سائرها إلا يوم نَخْلة ، وكان يناول عمَّه — الزبير ابن عبد المطَّلب — النَّبْلَ . وكان عمره صلى الله عليه وسلم يومئذٍ عشرين سنة ، وقيل أربع عشرة أو خمس عشرة سنة

مخرجه الثاني إلى الشام في تجارة خديجة

ثم أُجرَ نفسه من خديجة — بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ابن كلاب — سَفْرَتَين بقَلُوصَيْن(٣) . وخرج ثانيا إلى الشام في تجارةٍ ومعه غلامها مَيْسَرةُ — لأربع عشرة ليلة بقيتْ من ذى الحجة سنة خمس وعشرين من الفيل وقد بلغ خمسا وعشرين سنة — حتى أتى بُصْرى فرآه نَسْطُور الراهب وبَشَّر بنبوته مَيْسَرةَ . ورأى ميسرةُ من شأنه صلى الله عليه وسلّم ما بَهَرَهُ فأخبر سيدَتَهُ خديجة بما شاهد وبكلام الراهب ، فرغبت خديجةُ رضى الله عنها إليه أن يتزوّجها لما رَجَتْ في ذلك من الخير .

زواجه بخديجة

فتزوّج بخديجةَ بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوما في عَقِب صَفَر سنة ستٍّ وعشرين ، [وقيل كانت(٤) سنُّهُ إحدى وعشرين

(١) هكذا في الأصل وفي ابن هشام ج ١ ص ٥١٠ وفي أكثر كتب السير والرجال : « عائذ »

(٢) هكذا هو في الأصل مهموزاً ، وروى في الحديث غير مهموز ليزاوج « يمارى » . وفي ابن هشام ج ١ ص ٥١٠ : « نِعْمَ الشريك السائب ، لايشارى ولا يمارى » ؛ يشارى : يلجّ في الشر

(٣) القلوص : الفتيّة من الإبل ، بمنزلة الجارية من النساء

(٤) في الأصل : « كان »

سنة ، وقيل ثلاثين ، وقال ابن جريج : ولَهُ سبع وثلاثون سنة ، وقال البَرْقى : سبع وعشرون سنة قد رَاهَقَ الثلاثين ؛ ولها من العمر أربعون سنة وعمره خمسٌ وعشرون سنة ، وقيل ثلاث وعشرون ، والأول أثبت] على اثنتى عشرة أُوقية ونَشٍّ[١] ، وقيل عشرين بِكْرة[٢] . وكان الذى سفر بينهما نفيسةُ بنتُ مُنْيَةَ أخت يَعْلَى بن مُنْيَة[٣] ، وقيل بل سَفَر بينهما مَيْسرة ، وقيل بل مَوْلاةٌ مُوَلَّدة . وكان الذى زوّج خديجةَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم عمُّها عمرو بن أَسَد بن عبد العُزّى وقال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطُبُ خديجةَ ابنةَ خُوَيْلد ! هٰذَا الفَحْلُ لا يُقْرَع أنفُهُ[٤]

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد ، عن عمار بن أبى عمار ، عن ابن عباس ، فيما يحسِب حماد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذكر خديجةَ ، وكان أبوها يرغب عن أن يزوّجه ؛ فصنعتْ طعامًا وشرابًا وَدَعَتْ أباها ونفرًا من قُرَيْش فطعِمُوا وشربوا حتى ثَمِلُوا ، فقالت خديجة : إنّ محمد بن عبد الله يخطُبنى فزوِّجْنى إيّاه فزوّجها . فخلّقَتْه[٥] وألبستْهُ ، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء ، فلما سُرِّىَ عنه سُكْرُه نَظَرَ فإذا هو مخلّقٌ وعليه حُلّةٌ فقال : ما شأنى ؟ ما هذا ! قالت : زوّجتنى محمد بن عبد الله ، فقال : أَنَا أزوِّج يتيمَ أبى طالب ! لا لعمرى . فقالت خديجة : أَلَا تَسْتَحِى ! تريد أن تُسَفِّه نفسَك عند قريش ، تخبِّر الناس

---

(١) الأوقية أربعون درهما ، والنش نصف أوقية

(٢) البكرة : من الإبل بمنزلة الفتاة من النساء

(٣) مُنْيَة أمهما أو جدتهما ، وأما اسم أبيهما فهو «أمية بن أبى عبيدة الحنظلىّ» حليف قريش

(٤) أى كفء كريم لا يردّ

(٥) خلّقته : طلته بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب عندهم

أنك كنتَ سَكْران . فلم تزل به حتى رضى . وقد رُدَّ هذا القول بأن أباها تُوُفِّى قبل الفجار

شهوده حلف الفضول

وشهد صلى الله عليه وسلّم حلفَ الفُضُول مع عمومته فى دار عبد الله بن جُدْعَان ابن عمرو بن كعب[1] بن تَيْم بن مُرَّة

تحكيمه فى أمر الحجر الأسود

وكان الله تعالى قد صَانَه وحَمَاهُ من صِغَره ، وطَهَّره وبرَّأه من دَنَس الجاهليّة ومن كل عَيْب ، ومنحه كلَّ خُلُق جميل ، حتَّى لم يكن يُعْرَف بين قومه إلّا بالأمين ، لِمَا شاهدُوا من طَهَارته وصِدْق حديثه وأمانته ، بحيثُ أنه لمَّا بُنِيَت الكعبةُ بعد هَدْم قريشٍ لها فى سنة خمس وثلاثين ، وقيل سنة خمس وعشرين من عمره صلى الله عليه وسلَّم — وذلك قبل المَبْعث بخمس عشرة سنة وبعد الفجار بخمس عشرة سنة — وَوَصلوا إلى موضع الحَجَر الأسود ، اشْتَجَروا[2] فيمن يَضَع الحجرَ موضعه ، فأرادت[3] كلُّ قبيلة رفعَه إلى موضعه ، واستعدُّوا للقتال وتحالفوا على الموت ، ومَكَثُوا على ذلك أربعَ ليالٍ . فأشار عليهم أبو أمية حُذَيفةُ بن المُغِيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو أسنُّ قريش يومئذٍ — أن يجعلوا بَيْنهم حكَمًا أوّلَ من يدخلُ من بابِ المسجد ، فكان أوّلَ من دخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فلما رأوه قالوا : هذا الأمينُ قد رَضِينَا به ؛ وأخبروه الخبرَ ، فقال : هَلُمُّوا[4] لِيَ ثَوْبًا ، فأُتى بثوبٍ — يُقال إنَّه كِساء أبيضُ من مَتاع الشَّام كان له صلى الله عليه وسلّم — فأخذ الحجرَ الأسودَ فوضعه فيه بيده ثم قال : لِتَأْخذْ كلُّ قبيلةٍ بناحية من الثَّوْب ثُمَّ ارفعوه جميعا ، ففعلوا

(١) فى ابن هشام ج ١ ص ٨٥ « ابن كعب بن سعد بن تيم » ، وهو الصواب

(٢) اشتجروا ، وتشاجروا : اشتبكوا مختلفين

(٣) فى الأصل : « فأراد »

(٤) فى ابن هشام ج ١ ص ١٢٥ : « هلمَّ إلىّ » . والمعنى : هاتوا ، وأعطونى

حَتَّى بلغوا به موضعَه فوضعه صلى الله عليه وسلم بيده ثم بَنَى عليه . ويقال كان الثَّوبُ الذى وُضِع فيه الحجرُ للوَليدِ بن المُغيرة

أوّل مابدئ به من النبوّة

ولما أراد الله رحمةَ العباد ، وكرامتَه صلى الله عليه وسلم بإرساله إلى العالمين ، كان أوّلًا يرى ويُعاين من آثار فضل الله أشياء : فشُقَّ فى صِغَره بطنُه واستُخْرِج ما فى قلبه من الغِلِّ والدَّنَس ، فكانَ يعاين الأمرَ مُعَاينةً . ثم كان لا يمرُّ بحجرٍ ولا شجَرٍ إلَّا سلَّم عليه فقال : السلامُ عليكَ يارسول الله ، فكانَ يلتفت يميناً ويساراً فلا يرى أحداً . وكانت الأُمم تَتَحدَّث بمَبْعثه وتُخْبِر علماءُ كل أمة قومَها بذلك . ثم كان لا يَرَى رُؤْيَا إلا جاءت مثل فَلَق الصُّبْح . فكان أوّلُ شىء رآه من النبوة فى المنام بطنُه طُهِّر وغُسِّل ثم أعيد كما كان[١]

تحنثه بحراء وبدء الوحى

وحبِّب إليه الخلاءُ فكان يخلو بغار حِراء كما كان يفعل ذلك متعبدو[٢] ذلك الزمان ، فيقيمُ فيه الليالى ذواتِ العَدَد ، ثم يرجِعُ إلى أهله فيتزوَّدُ لمثلها يتحنَّث[٣] بحراء ومعهُ خديجة . فيُقال إنّه أوَّلَ ما رَأى جبريلَ عليه السلام بأَجْيادٍ فصرخَ به : يا محمد ، يا محمد

بعثته

ثُمّ فَجِئَه الحقُّ وهو بغار حراء يوم الاثنين لثمان عشرة خلَتْ من رمضان ، وقيل لأربع وعشرين ليلة مضت منه ، وله من العمر أربعون سنة . وهذا مرويٌّ عن عبد الله بن عباس ، وجُبَير بن مُطْعِم ، وقُبَاث بن أَشْيَم ، وعَطاء ، وسعيد بن المسيَّب ، وأَنَس بن مالك ، وهو صحيح عند أهل السِّيَر والعلم بالأثر . وقيل بُعِث وله من العمر ثلاث وأربعون سنة ، وقيل أربعون ويوم ، وقيل

(١) مضى « أنه كان يعاين الأمر معاينة »
(٢) فى الأصل : « متعبدوا »
(٣) فى الأصل : « يتجنب » ، والتحنث : التعبد

وعشرة أيام ، وقيل وشهرين ؛ وقال ابن شهابٍ بُعث على رأس خمس عشرة سنة من بنيان الكعبة ، فكان بين مبعثه وبين الفيل سبعون سنة . قال إبراهيم ابن المنذر : هذا وَهَمٌ لا يشكُّ فيه أحد من علمائنا ، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وُلد عامَ الفيل لا يختلفون فى ذلك ، ونُبِّئَ على رأس أربعين من الفيل ، وذلك على رأس مائة وخمسينٌ سنة من عام حجة الغدر(١) ، ولست عشرة سنة من ملك أبَرْوِيز ، ويقال بل لعشرين سنة مضت من ملك كسرى أبَرْوِيز بن هُرْمُز ابن أنوشروان ، وعلى الحيرة إياسُ بن قَبِيصة الطائى عاملا للفرس على العرب ، ومعه النخيرجان(٢) الفارسى على رأس سنتين وأربعة أشهر من ملكهما ؛ وعلى اليمن يومئذ بَاذَان(٣) أبو مهران

أول ما نزل من القرآن

فعلم صلى الله عليه وسلم من حينئذ أن الله بعثه نبيًّا ، وذلك أن جبريل عليه السلام أتاه بغار حِراء فقال له : اْقرأ ، قال : لستُ بقارئ ، فَغَتَّه(٤) حتى بلغ منه الجَهْدَ ثم أرسله ؛ فقال : اْقرأ ، قال : لست بقارئ ، فعل ذلك به ثلاث مرات ، ثم قال : « اْقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اْقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » . فرجع بها صلى الله عليه وسلم تَرْجُف بَوَادره(٥) ، فأخبر بذلك خديجةَ رضى الله عنها وقال : قد خَشِيتُ على عَقْلى ، فثَبَّتَتْه وقالت : أَبْشِرْ ! كلاّ والله لا يُخْزِيك الله أبدا ، إنّك لَتَصِلُ الرحِمَ ، وتَصْدُقُ الحديثَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ(٦) ، وتُعين على نوائب الدهر

(١) لم أدر ما هى ، وقد بحثتُ فلم أر لها ذكراً فيما وقع لى من الكتب

(٢) فى الأصل : « الحدرجان » ، وهو فى الطبرى ج ٢ ص ١٥٦ وكذلك ج ٤ ص ١٦٥ ، وقال الطبرى إن مبعثه كان لسنة وثمانية أشهر من ولايتهما

(٣) فى الأصل : « ساذام » وهو خطأ ، والصواب « باذان ، أو باذام »

(٤) غته : عصره عصراً شديداً

(٥) البوادر : جمع بادرة وهى اللحمة بين المنكب والعنق

(٦) الكل : الثقل الذى يتكلف الرجل حمله كالعيال

— فى أوصافٍ أخر جميلة عدَّدتها من أخلاقه — تصديقًا منها له وإعانةً على الحقّ ؛ فهى أوّل صِدِّيقٍ له صلى الله عليه وسلم

وقيل أول ما أُنْزِل عليه من القرآن البسملةُ وفاتحةُ الكتاب ، وقيل هى مدنيّة . وقيل لما فَجِئه الحقُّ وأتاه جبريل قال له : يامحمّد ، أنتَ يا رسول الله . وقيل أول ما أتى جبريل النبيَّ صلى الله عليه وسلّم ليلةَ السبت وليلة الأحد ، ثم ظهر له برسالة الله يوم الاثنين لسبع عشرة خلَتْ من رمضان ، فعلّمه الوُضوء والصّلاة ، وعلّمه « ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ »

فترة الوحى

والتحقيقُ أن جبريل عليه السلام لمّا جاءه بغار حراء وأقرأه : « ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ » ورجع إلى خديجة ، مكَثَ ما شاء الله أن يمكُث لا يَرَى شيْئًا ، وفَتَر عنه الوَحْيُ ؛ فاغتمّ لذلك وذهب مراراً ليتردَّى[1] من رُؤوسِ الجبالِ شوْقًا منه إلى ما عاين أولَ مرة من حَلاوةِ مشاهدةِ وحىِ الله إليه . فقيل إن فَتْرَةَ الوحْىِ كانت قريبًا من سنتين ، وقيل كانت سنتين ونصفًا . وفى تفسير عبد الله بن عباس كانت أربعين يومًا ، وفى كتاب معانى القرآن للزجّاج كانت خمسة عشر يومًا ، وفى تفسير مُقاتلٍ ثلاثة أيام ، ورجّحه بعضهم وقال : ولعلّ هذا هو الأشبه بحاله عند ربّه

تتابع الوحى وبدء الدعوة

ثم تبدّى له المَلَك بين السماء والأرض على كرسيّ وثبّته وبشّره أنه رسول الله حقًّا ، فلما رآه فَرِق منه ، وذهب إلى خديجة رضى الله عنها فقال : زَمّلونى زَمّلونى[2] ؛ فأنزل الله تعالى « يَٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » ، فكانت الحالةُ الأولى بغار حراء حالةَ نبوّة وإيحاء ، ثم أمره

(١) تردّى : سقط فى مهواة . يريد ليلقى نفسه
(٢) زمّله : لفّه فى ثيابه

الله تعالى فى هذه الآية أن يُنذِر قومَه ويدْعُوَهم إلى الله عز وجل . فشمّر صلى الله عليه وسلم عن ساق الاجتهاد ، وقام فى طاعة الله أتمّ قيام ، يدعو إلى الله تعالى الصغيرَ والكبيرَ ، والحرَّ والعبدَ ، الرجالَ والنساءَ ، الأسودَ والأحمرَ . فكان فيما قاله عُرْوَة بن الزبير ، ومحمد بن شهاب ، ومحمد بن إسحق من حين أتتِ النبوَّةُ وأُنزِل عليه « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » إلى أن كلّفه الله الدعوة ، وأمره بإظهارها فيما أنزل عليه من قوله « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ » (الحجر : ٩٤) ، وقوله « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » (الشعراء : ٢١٤) ، « وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ » (الحجر : ٨٩)[١] — ثلاث سنين ؛ لا يُظْهِر الدعوةَ إلا للمُخْتَصِّين به . منهم خديجةُ وعليٌّ وزيدٌ وأبو بكر رضى الله عنهم . فدعا ثلاث سنين مُسْتخفِيًا وقيل دعا مستخفياً أربعَ سنين ، ثم أعلن الدُّعاء وصَدَع بأمر الله

إسلام خديجة

ويقال إن الله ابتعثه نبيًّا فى يوم الاثنين لثمانٍ مَضَيْن من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، وقد مضى من مولده صلى الله عليه وسلم أربعون سنة ويوم . ويقال علّمه جبريلُ عليه السلام الوضوء والصلاة فى يوم الثلاثاء ، وأقرأه « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » ، فأتى خديجة رضى الله عنها فأخبرها بما أكرمه الله وعلّمها الوضوء والصلاة فصلّتْ معه ؛ فكانت أول خَلْقٍ صلّى معه

إسلام أبى بكر

ثم استجاب له عبادُ الله من كل قبيلةٍ ، فكان حائز قصَب السَّبَق « أبو بكر عبد الله بن أبى قُحَافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة ابن كعب[٢] بن غالب القرشى التَّيميّ رضى الله عنه » فآزره فى دين الله وصدّقه فيما جاء به ، ودَعا معه إلى الله على بصيرة . فاستجاب لأبى بكر رضى الله عنه جماعة

(١) لا ندرى لماذا أفرد المؤلف آية الحجر هذه.

(٢) الصواب : « كعب بن لؤى بن غالب »

أوائل المسلمين

منهم : « عثمان بن عَفَّان بن أبى العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَىٍّ القرشىّ الأُمَوِىّ » ، و « طَلْحَةُ بن عُبَيــد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مُرَّة القرشى التَّيْمى » ، و « ســعد بن أبى وقّاصٍ مالك بن أُهَيْب[1] بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب القرشى الزهرى » ، و « الزُّبَيْر بن العوّام بن خُوَيْـلد بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ الأسدى » ، و « عبد الرحمن بن عَوْف بن عبدِ عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة بن كلاب القرشى الزهرى » : فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استجابوا له بالإســـلام وصلَّوْا ، فصار المسلمون ثمانية نفر ، أوّلُ من أسلم وصلَّى لله تعالى

إسلام على وزيد الحِبّ

وأمَّا « علىٌّ بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهــاشمى » فلم يشرك بالله قطّ ، وذلك أن الله تعالى أراد به الخير فجعله فى كَفَالة ابن عمه سـيِّد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلّم[2] ، فعندما أتى رسول الله صلى الله عليــه وسلّم الوحْىُ ، وأخبر خديجة رضى الله عنها وصدّقت ، كانت هى وعلى بن أبى طالب ، و « زيدُ بن حارثة بن شَراحيــل[3] بن عبد العُزَّى بن امرىء القيس بن عامر ابن عبــد وُدّ بن كنانة[4] بن عوف بن عُذْرة بن زَيْد اللّات بن رُفَيْدة بن ثَوْر ابن كَلْب بن وَبَرَة الكلبى » حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — يُصلّون معه . وكان صلى الله عليه وسـلم يخرُجُ إلى الـكعبة أوّلَ النهار فيصلّى صلاةَ الضُّحَى ،

(١) وفى ابن سعد ج ٣ ص ٩٧ « وهيب » وكلاهما صحيح

(٢) بين قوله : « وسلم » و « فعند » كلمة لا محل لها وهى « الوحى » ، خلطها الناسخ بما بعدها

(٣) فى ابن هشام ج ١ ص ١٦٠ « شرحبيل » ، وفى ابن سعد وغيره كالأصل

(٤) فى ابن سعد وأسد الغابة وغيرهما : « عبد وُدّ بن عوف بن كنانة » ؛ وفى أسد الغابة والإصابة « كنانة بن بكر بن عوف »

وكانت صلاةً لا تُنكرها قريش . وكان إذا صلّى فى سائر اليوم بعد ذلك قعد علىٌّ أو زيدٌ رضى الله عنهما يرصُدَانه[1]

وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابُه إذا جاء وقتُ العصر تفرّقوا فى الشّعاب فُرَادَى ومَثْنَى ؛ وكانوا يصلّون الضُّحى والعَصْر ، ثم نزلت الصلوات الخمس ، وكانت الصلاةُ ركعتين ركعتين قبلَ الهجرة . فلم يحتج على رضى الله عنه أن يُدْعَى ، ولا كان مشركًا حتى يوحّد فيقال أَسْلَمَ ، بل كان — عندما أَوْحَى الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — عمرُه ثمانى سنين ؛ وقيل سبع سنين ، وقيل إحدى عشرة سنة . وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منزله بين أهله كأَحَدِ أولاده يَتْبَعُه فى جميع أحواله . وكان أبو بكر رضى الله عنه أوّلَ من أسلَمَ ممن له أهليّة الذّبِّ عن رسول الله والحماية والمناصرة . هذا هو التحقيق فى المسألة لمن أنصف وترك الهوى من الفريقين . وقد قال عُمَر مولى غُفْرَة[2] : سُئِل محمد ابن كعب [القُرَظِىّ][3] عن أول من أسلم ، علىٌّ بن أبى طالب أو أبو بكر ؟ فقال : سبحان الله ! علىٌّ أوّلُهما إسلامًا ؛ وإنما اشتبه على الناسِ لأن عليًّا أوّلَ ما أسلَمَ كان يُخْفِى إسلامَه من أبى طالب ، وأسلم أبو بكر فأظهر إسلامه ، فكان أبو بكرٍ أوّل من أظهر إسلامَه ، وكان علىّ أوّلَهما إسلامًا ، فاشتبه على الناس .

إسلام ورقة ابن نوفل

وكذلك أسلمتْ خديجةُ وزيدُ بن حارثة ، ثم أسلم القَسُّ وَرَقَةُ بن نوفل بن أَسَد ابن عبد العُزّى بن قُصَىّ وصدق بما وَجَد من الوحى ، وتمنى أن لو كان جَذَعًا ؛ وذلك أول ما نزل الوحى

(١) يريد ، يحرسانه

(٢) التهذيب ج ٧ ص ٤٧١ : « عمر بن عبد الله المدنى أبو حفص ، مولى غفرة » . وفى الأصل « عفرة »

(٣) زيادة

إسلام الأرقم

ودخل من شرح الله صدره للإسلام على بصيرة فأسْلم الأرْقم بن أبى الأرقم عبدِ مَنَاف(١) بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم سابعَ سبعةٍ ؛ وقيل بعد عشرةٍ . وفى داره كان النبى صلى الله عليه وسلم مستخفياً من قريش ، وكانت على الصفا ؛ فأسلم فيها جماعةٌ كثيرة

إيذاء رسول الله

وكانت قريش لما بلَغهم ما أكرم الله به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من النبوّة راعهم ذلك وكبُر عليهم ، ولم ينكِروا عليه شيئاً من أمره حتى عاب آلهتَهم وسفَّه أحلامَهم ، وذمَّ آباءهم وأخبرَ أنهم فى النار ؛ فأبغضُوه عند ذلك وعادَوْه ، وتعرّضوا لمن آمن به . فأخذهم سفهاءُ أهل مكة بالأذَى والعقوبة ، وصان الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمّه أبى طالب ، لأنه كان شريفاً فى قومه مُطاعًا فيهم نبيلًا بينهم ، لا يتجاسرون على مفاجأته بشىء فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من محبّته له ، وكان من حكمةِ الله تعالى بقاءُ أبى طالب على دين قومه لما فى ذلك من المصلحة

إيذاء المسلمين

هذا ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعُو إلى الله ليلًا ونهاراً ، سرًّا وجهاراً ، لا يصدُّه عن ذلك صادٌّ ، ولا يردُّه عنه رادٌّ ، ولا يأخذه فى الله لومةُ لائم . واشتدَّ أذى المشركين على من آمَن ، وفتَنُوا منهم جماعة ، حتى أنهم كانوا يضربونهم ويلقُونهم فى الحرّ ، ويضعونَ الصّخرةَ العظيمةَ على صدر أحدهم فى شدّة الحرّ ؛ وكان أحدهم إذا أُطلِق لايستطيع أن يجلس لشدة الألم . ويقولون لأحدهم وهو يعذَّب فى الله : اللاتُ إلهُك من دون الله ؟ فيقول مُكرَهاً : نعم ! وحتّى إن الجُعَل لَيمُرُّ فيقولون : وهذا إلٰهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ! ومرَّ الخبيثُ أبو جهل : « عمرو بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظَة

(١) فى الأصل : « عبد مناة »

ابن مُرّة » بسُــمَيّة « أم عَمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحُصَيْن العبسيّ » وهى تعذَّب فى الله هى وزوجها ياسر بن عامر ، وابنها عَمّار بن ياسر ، فطعنها بحَرْبَةٍ فى فَرْجِها فقتلها[1]

الذين أعتقهم أبو بكر من الموالى المعذّبين

وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا مرّ بأحد الموالى وهو يعذّب فى الله اشتراه من مواليه وأعتقه لله . فمن هؤلاء : بلالٌ وأمّه حمامة[2] ، وعامر بن فُهَيْرة ، وأمُّ عبس ، ويقال أمُّ عُبَيْس فتاةُ بنى تَيْم بن مُرّة ، [وهى أم عُبَيْس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف] ، وزِنِّيرَة [زِنّيرة بكسر الزاى وتشديد النون مع كسرها على وزن فِعِّيلة ، وقيل بفتح الزّاى وسكون النون ثم باء موحّدة مفتوحة] ، وسُمَيَّةُ بنت خَبّاط[3] [بباء موحّدة قاله ابن ماكولا] ، والنَّهْدِيَّةُ وابنتها ، وجارية[4] لبنى عدىّ كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعذّبها على الإسلام قبل أن يسلم . — حتى قال له أبوه أبو قحافة : يا بُنَىَّ أراك تعتق رقاباً ضعافاً ، فلو أعتقت قوماً جُلْداً يمنعونك ! فقال أبو بكر رضى الله عنه : إنّى أريدُ ما أريدُ[5] . فيقال نزلت فيه « وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى » إلى آخر السورة

همّ قريش بقتله عند البيت

هذا وقد اشتد مكر قريشٍ برسول الله وهمّوا بقتله ، فعرضوا على قومه دِيَتَهُ حتى يقتلوه ، فحماه الله برهطه من ذلك . فهمّوا أن يقتلوه فى الزحمة[6] [يقول

(١) قال فى الإصابة : وهى أول شهيد فى الإسلام

(٢) فى الأصل : « حامة »

(٣) فى الأصل : « خباءة »

(٤) فى ابن هشام ج ١ ص ٢٠٦ : جارية بنى مؤمّل حىّ من عدىّ

(٥) نص ابن هشام ج ١ ص ٢٠٦ : « يا أبهْ ، إنى إنما أريد ما أريد لله عز وجل »

(٦) هو يسمى يوم الزحمة ، وذلك قبل الهجرة بقليل ، انظر ابن هشام ج ١ ص ٣٢٤ . أما الذى رواه هنا فهو قبل يوم الزحمة واجتماع قريش فى دار الندوة يأتمرون لقتل الرسول

قبائل قريش كلّها][1] ، وأحاطوا به وهو يطوف بالبيت ويصلى ، حتى كادت أيديهم أن تَخْبط به أو تلتق عليه ، فصاح أبو بكر : أتقتُلُون رجُلًا أَنْ يقولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُم ؟ فقال : دَعْهُم يا أبا بكر ، فوالذى نفسى بيده ، إنى بُعِثْتُ إليهم بالذَّبْح ؛ فتفرَّجوا عنه . فكانت فتنةٌ شديدةٌ وزلزالٌ شديد ، فمن المسلمين من عَصَمَه الله ومنهم من افتُتِن .

أول من جهر بالقرآن ومن رجع عن الإسلام

ويقال أوّلُ من جَهَر بالقرآن عبد الله بن مسعود فضُرِب . ورجَع عن الإسلام خمسة وهُم : أبو قَيْس بن المُغيرة[2] ، وأبو قَيْس بن الفَاكِهِ بن المغيرة ، والعاصُ بن مُنَبِّه بن الحجَّاج ، والحارثُ بن زَمَعَة بن الأسود ، والوليد بن الوليد ابن المغيرة[3] .

الهجرة الأولى إلى الحبشة

فلما اشتدّ البلاء أَذِن الله لهم فى الهجرة إلى الحبشة ؛ فكان أول من خرج من مكة فارًّا بدِينه إلى الحبشة : عثمانُ بن عفّان ومعه زوجته رُقَيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبعه الناس . فخرج أحدُ عشر رجلاً وأربعُ نسوة مُتَسلِّلين حتى أتهوا إلى الشُّعَيْبَة[4] ، منهم الراكب والماشى . فوَفَّق لهم ساعةَ جاءوا سفينَتَيْن للتجّار حمَلُوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار . وخرجت قريشٌ فى آثارهم حتى جاءوا البحرَ حيث ركبوا فلم يُدْرِكوا منهم أحداً . وذكر أبو بكر بن أبى شَيْبة فى مصنَّفه : عن قَبِيصة بن ذُؤَيب أَنَّ أَبَا سَلَمَة[5] ابن عمة

---

(١) هكذا هى بالأصل : « نفول ... » ولا ندرى ما هو ، والمراد بين وانظر ابن هشام ج ١ ص ١٨٤

(٢) فى ابن هشام ج ١ ص ٤٥٦ : أبو قيس بن الوليد بن المغيرة

(٣) صوابه فى ابن هشام : « على بن أميّة بن خلف الجمحى » وتفسير الطبرى ج ٥ ص ١٤٨ — ١٤٩ وفيه بعض الخطأ

(٤) هى مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة ، ولا تزال معروفة هناك

(٥) انظر ص ٥ (من هذا)

رسول الله أوّلُ من هاجر بظعينته إلى أرض الحبشة . وقيل أوّلُ من هاجر إلى أرض الحبشة أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك ، وذلك فى رجب سنة خمس من المبعث ، وهى السنة الثانية من إظهار الدعوة . فأقاموا شعبان وشهر رمضان ، و بلغهم أنّ قريشاً أسلمت ، فعاد منهم قومٌ وتخلّف منهم قوم . فلما قدم الذين قدموا إلى مكة بلغهم أن إسلامَ أهل مكة كان باطلاً ، فدخلوا مكة فى شوال سنة خمس من النبوة ، وما منهم من أحد إلا بجِوَارٍ أو مستخفياً . وأقام المسلمون بمكة وهم فى بلاء ، فخرج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وجماعاتٌ — بلغ عددهم بمن خرج أوّلاً اثنين وثلاثين — فآواهم أصْحَمة النّجاشى ملك الحبشة وأكرمهم . فلما علمت قريش بذلك بعثت فى أثرهم عبدَ الله ابنَ أبى ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعمرو بن العاص ، بهدايا وتُحَفٍ إلى النجاشىّ ليردّهم عليهم ، فأبى ذلك ، فشفعوا إليه بقوّاده ، فلم يُجبهم إلى ما طلبوا . فوَشَوْا إليه أن هؤلاء يقولون فى عيسى عليه السلام قولاً عظيماً : يقولون إنه عبدٌ . فأحضر المسلمين إلى مجلسه وزعيمُهم جعفرُ فقال : ما تقولون فى عيسى ؟ فتلا عليه جعفر سورة كهيعص ، فلما فرغَ أخذ النّجاشىّ عُوداً من الأرض وقال : ما زاد هذا على ما فى الإنجيل ولا هذا العود ؛ ثم قال : اذهبوا فأنتم شُيُومٌ[1] بأرضى من سَبَّكُم غُرِّم ؛ وقال لعمرٍو وعبدِ الله : لو أعطيتمونى دَبْراً[2] من ذَهَبٍ [يعنى جَبَلا من ذهب] ما سلّمتهم إليكما . ثم أمر فرُدّت عليهما هداياهُما ورجعا بشرِّ خَيْبةٍ

بعثة قريش لإرجاع المسلمين من الحبشة

(١) شيوم : آمنون ، ابن هشام ج ١ ص ٢٢١ ، وتروى بالسين المهملة أيضاً ، قالوا وهى كلة حبشية

(٢) ويروى « دَبْرَى » ؛ قال ابن هشام ج ١ ص ٢٢١ بلسان الحبشة

وقد ذكر محمدّ بن إسحاق فيمن هاجر إلى الحبشة أبا موسى الأشْعَرىّ ، وأنكر ذلكَ الواقدىّ وغيره . وهذا ظاهرٌ لا يخفَى على من دون ابن إسحاق . فإن أبا موسى إنما هاجر من اليمن إلى الحبشة إلى عند جعفر ، كما ثبت فى الصحيح وغيرِه . وقد قيل إنّ قريشاً بعثَتْ عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة[1] بعد وقعة بَدْر . فلما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببَعْث قريش عمراً وابنَ أبى[1] ربيعة بعثَ عمرَو بن أُميَّة الضَّمْرىّ وكتب مَعَهُ إلى النجاشى ؛ فقرأ كتابَهُ ثم دعا جعفر بن أبى طالب ، فقرأ عليهم سورة مريم فآمنوا . هذا قول سعيد بن المُسَيَّب ، وعُرْوَة بن الزُّبير . وقال أبو الأسود عن عُروة : إن بِعْثَتهم عمرَو بن العاص كانت عند خروجِ المهاجرين إلى الحبشة ؛ وكان بين خروج المهاجرين إلى الحبشة و بين وقعة بَدْر خمس سنين وأشهر . وقيل كانت بِعْثَتُهم عمرَو بن العاص مرتين ، مرّةً مع عُمَارة بين الوليد ، ومرّةً مع عبد الله بن أبى ربيعة[2] ابن المغيرة ، قاله أبو نعيم الحافظ

أعداء رسول الله من قريش

هذا ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلّم مقيم بمكة يدعو إلى الله ، وكفّارُ قريشٍ تُظْهِر حسَدَه وتُبْدى صَفْحَتَها فى عداوته وأذاه ، وتخاصِم وتجادِل وتَرُدُّ من أراد الإسلامَ عنه . وكان أشدَّ قريش عداوةً لرسول صلى الله عليه وسلّم جيرانُه ، وهم : أبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وعمُّه أبو لَهَبٍ عبد العُزَّى بن عبد المطلب ، والأسود بن عَبْدِ يَغُوث بن وَهْب بن عبد مناف بن زُهْرة وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحارثُ بن قيس[3] بن عدىّ بن سعد بن سَهْم السهمىّ ،

---

(١) فى الأصل : « بن ربيعة »
(٢) فى الأصل : « بن ربيعة »
(٣) وهو « ابن الغيطلة ، والغيطلة أمه » ابن سعد ج ١ ص ١٣٣ ، وهى امرأة من بنى سهم كانت كاهنة فى الجاهلية . ابن هشام ج ١ ص ١٣٢

والوَلِيد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأُمَيَّــةُ وأُبَىٌّ ابنا خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى ، وأبو قَيْس بن الفاكِه بن المغيرة ، والعاص بن وائل بن هاشم[١] بن سُعَيْد بن سَهْم السَّهْمىّ والدُ عمرو بن العاص ، والنَّضر بن الحارث بن عَلْقمة بن كَلَدَة بن عبد مناف ابن عبد الدَّار ، ومُنَبِّه ونُبَيْه ابنا الحجّاج بن عامر بن حُذَيْفة بن سُعَيد[٢] بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص ، وزُهَيْر بن أبى أُمَيَّة حُذَيفةَ بن المغيرة ، وهو ابن عمّة[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، والعاص بن سَعِيد بن العاص بن أُمَيَّة ، وعَدِىُّ بن الحمراء الخُزَاعىّ[٤] وأبو البَخْترىُّ العاص بن هشام بن [الحارث][٥] بن أسد بن عبد العزى ، وعُقْبة بن أبى مُعَيْط أبَان بن أبى عمرو بن أُمَيّة ، والأسودُ ابن المُطّلب بن أسَد بن عبد العُزّى ، وابن الأصداء[٦] الهذلىّ ، والحكَمَ بن أبى العاص بن أُمية ، وعُتْبةُ بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وشَيْبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، [وطُعَيْمة بن عدىّ][٧] أخو مُطْعِم بن عَدِىّ ، والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف[٨] ، والحارث بن مالك [وقيل عمرو ،

---

(١) فى الأصــــل : « هشام » ، وهى رواية ابن إسحاق ، وتعقبه ابن هشام ج ١ ص ٤٢٧

(٢) فى الأصل : « وسعد »

(٣) عاتكة بنت عبد المطلب

(٤) ابن هشام ج ١ ص ٢٧٦ « الثقفى »

(٥) الزيادة من ابن هشام ج ١ ص ١٦٧

(٦) هكذا فى ابن هشام ج ١ ص ٢٧٦ وفى ابن سعد ج ١ ص ١٣٤ « وابن الأصدى الهذلى ، وهو الذى نطحته الأروى »

(٧) فى الأصل غير مذكور ، وطعيمة هذا هو أحد أصحاب يوم الزحمة ، انظر ص ١٩ (من هذا)

(٨) كرر بعــــد ذلك من قوله « أخو عدى ... » إلى « عبد مناف » ، وهو خطأ من الناسخ

وهو ابن الطُّلَاطلة ، وهى أُمُّه] بن عمرو بن الحارث [وهو غُبْشَان] بن عبد عمرو ابن بُوَىِّ بن مِلْكان [١] ، ورُكانة بن عَبْد يَزِيد بن هاشم بن المطلب [٢] ، وهُبَيْرة بن أبى وَهْب المخزومى

وكان الذين تنتهى إليهم عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلّم أبو جهل ، وأبو لَهَب ، وعُقْبة بن أبى [مُعَيْط] [٣] . وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب [٤] ، وهُبَيْرة بن أبى وَهْب المخزومىّ ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، ذوِى عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم ، لكنهم لم يكونوا يفعلون كما فعل هؤلاء . فلما أسلم حمزة بن عبد المطلب عرفت قريش أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ وأن حمزة سَيَمنعُه ، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه

إسلام عمر ابن الخطاب

وأَسْلم عمرُ بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رَبَاح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عَدِّى بن كعب القرشى العدوى رضى الله عنه ؛ ويقال إنه أسلم بعد تسعة وأربعين رجلا وثلاث وعشرين امرأة ، وقيل أسلم بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة ، وقيل أسلم بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى وعشرين امرأة ، وقيل أسلم بعد ثلاثة وثلاثين رجلا ؛ وكان إسلامه بعد هجرة الحبشة .

---

(١) كتبنا هذا على ما هو الصواب عندنا ، فالحارث بن الطلاطلة هو أحد المستهزئين (ابن هشام ج ١ ص ٢٧٢ ، وتفسير الطبرى ج ١٤ ص ٤٨) ، والطلاطلة أمّه (الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٥) ، وغُبْشان ، هو الحارث بن عبد عمرو (الاشتقاق ص ٢٨٢) ، ولكن ابن هشام لم يذكر هذا اللقب ؛ وكذلك نظن أن هذا هو صواب العبارة . وهى فى الأصل : « ومالك ، وقيل عمرو بن الطلاطلة بن عمرو بن غبشان » . ولم نجد من يسمى (عمرو بن الطلاطلة) أو (مالك بن الطلاطلة)

(٢) فى الأصل : « عبد المطلب »

(٣) سقط فى الأصل ، وصوابه من ابن سعد ج ١ ص ١٣٤

(٤) ابن عمّ رسول الله وأخوه من الرضاعة ، وفى طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣٤ (أبو سفيان بن حرب) وهو خطأ بيّن

عزّ الإسلام بعمر وحمزة

وكان المسلمون لا يقدِرون يصلُّون عند الكعبة ، فلمّا أسلم عمر رضى الله عنه قاتلَ قريشاً حتى صلّى عندها ؛ وصلّى معه المسلمون ، وقد قَوُوا بإسلامه وإسلام حمزة رضى الله عنهما ، وجهروا بالقرآن ولم يكونوا قبل ذلك يقدرون أنْ يجهروا به ، ففشا الإسلام وكثر المسلمون .

أمر الصحيفة

وبلغ أهلَ مكة فعل النّجاشىّ بالقادمين عليه وإكرامُهم ، فساء ذلك قريشاً وأْتَمَرُوا فى أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه ألاَّ يُنَاكحوا بنى هاشم وبنى المطّلِب ولا يُبَايعوهم ولا يُكلّموهم ولا يجالسوهم حتى يُسْلِموا إليهم محمداً صلى الله عليه وسلّم . وكتبوا بذلك صحيفة وختموا عليها ثلاثة خواتيم ، وعَلّقوها فى سقف الكعبة . وقيل بل كانت عند أُمّ الجُلَاس مخرِّبة[1] الحنظلية خالة أبى جهل ذكره ابن سعد[2] ، وعند ابن[3] عقبة كانت عند هشام ابن عبد العُزّى . فيقال كَتَبها منصور بن عِكْرِمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ، ويقال النَّضْر بن الحارث ، ويقال بَغِيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصىّ ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم فشلّت يده

انحياز بنى هاشم وبنى المطلب إلى شعب أبى طالب

وانحازَتْ بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرُهم ليلةَ هلال المحرم سنة سبع من النبوة — إلا أبَا لهب وولده فإنهم ظَاهروا قريشاً على بنى هاشم — فصاروا فى شِعْب أبى طالب محصُورِين مضيَّقاً عليهم أشدَّ التضييق نحواً من ثلاث سنين ، وقد قطعوا عنهم الميرة[4] والمادّة فكانوا لا يخرجون إلا من مَوْسِم إلى مَوْسم حتى بلغهم الجَهْد . وكان حكيمُ بن حزام[5] بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى

(١) فى الأصل : « محرمة »

(٢) ابن سعد ج ١ ص ١٤٠

(٣) هو « موسى بن عقبة الأسدى » مولى آل الزبير ، من أصحاب المغازى وسيأتى ذكره بعد قليل : ص ٢٦

(٤) الميرة : ما يجلب من الطعام

(٥) ابن أخى خديجة رضى الله عنها

ابن قصّى تأتيه العِيرُ تحملُ الحِنْطَةَ من الشأم فيُقبِلها[١] الشِّعْبَ ثم يضربُ أعجازَها ، فيدخل عليهم ، فيأخذون ما عليها من الحِنْطة

الهجرة الثانية إلى الحبشة

ثم هاجر المسلمون ثانياً إلى أرض الحبشة وعِدّتهم ثلاثة وثمانون رجلاً — إن كان عمّار بن ياسر فيهم — وثمانى عشرة امرأة . ثم سَعَى فى نَقْض الصحيفة أقوامٌ من قريش . وكان أحسنهم فى ذلك بلاءً هشام بن عمرو [بن ربيعة][٢] ابن الحارث بن حُبَيِّب بن جَذِيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَىّ ، مشى فى ذلك إلى زُهَيْر بن أبى أمية ، وإلى مُطْعِم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف ، وإلى أبى البخترىِّ بن هشام ، وإلى زَمَعَة بن الأسود بن المُطَّلب بن أسَد . وكان سَهْل بن بيضاء[٣] الفهرىّ هو الذى مشى إليهم حتى اجتمعُوا عليه ، واتَّعَدُوا[٤] خَطْمَ الحَجُون[٥] بأعلى مكة ، وتعَاهدوا هناك على القيام فى نَقْض الصحيفة ، وما زالوا حتى شقُّوها ، فإذا الأَرَضَةُ قد أكلَتْها إلّا ما كان من « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » .

نقض الصحيفة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر عمَّه أبا طالب بأن الله قد أرسل على الصَّحيفة الأَرَضَة فأكلت جميعَ ما فيها إلا ذِكْرَ الله تعالى . وعن موسى بن عُقْبة[٦] عن الزهرىّ أن النبىّ قال لعمِّه إن الأَرَضَة لم تترك اسماً لله إلّا لَحَسَتْه ، وبقى فيها ما كان من [جَوْر][٧] أو ظُلْم أو قَطِيعة رَحِم . فلما خرج رسولُ الله

(١) أى يجعل وجوهها قبالة الشعب لتسلكه
(٢) أسد الغابة ، والإصابة
(٣) ذكر ذلك صاحب أسد الغابة فى ترجمته
(٤) فى الأصل : « وأبعدوا » . و « اتعدوا » تواعدوا
(٥) الحجون : موضع بأعلى مكة ، وخَطْمه : مقدّمه
(٦) موسى بن عقبة بن أبى عياش الأسدى مولى آل الزبير ؛ قال مالك : « عليكم بمغازى الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازى ، وإنه رجل ثقة طلبها على كبر السن ولم يكثر كما كثر غيره » . مات سنة ١٤١
(٧) بياض فى الأصل

صلى الله عليه وسلّم ومن معه من الشِّعْب كان له من العمر تسع وأربعون سنة ، وكان خروجهم فى السنة العاشرة ؛ وقيل مكثوا فى الشعب سنتين ، ويقال إنّ رجوع من كان مهاجراً بالحبشة إلى مكة كان بعد الخروج من الشِّعب

موت خديجة وأبى طالب

ومات عُقَيْبَ ذلك أبو طالب وخديجة . فمات أبو طالب أوّل ذى القعدة ؛ وقيل فى نصف شوال ، ولرسول الله من العمر تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً . وماتت خديجةُ رضى الله عنها قبله بخمسة وثلاثين يوماً ، وقيل كان بينهما خمسة وخمسون يوماً ، وقيل ثلاثة أيام ، وقيل كان موتهما بعد الخروج من الشِّعب بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً . فعَظُمت المصيبةُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتهما وسمّاه « عامَ الحُزْن » وقال : ما نالت قريشٌ منّى شيئاً أكرهُه حتى مات أبو طالب . لأنه لم يكن فى عشيرته وأعمامه — حاميًا له ولا ذابًّا عنه — [غيره] (١)

خروجه إلى الطائف

فخرج ومعه زيد بن حارثة إلى الطائف فى شوال سنة عشرٍ من النُّبوة يلتمس من ثقيفٍ النَّصرَ لأنهم كانوا أخواله ؛ فكلّم سادَتَهُم ، وهم : عَبْدُ يَالِيل ومسعودٌ وحبيبٌ بنو عمرو بن عُمَيْر ، ودعاهم إلى نصْرِه والقيامِ معه على من خالفه . فردّوا عليه ردًّا قبيحاً وأغْروا به سُفَهَاءَهم ، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إنَّ رِجْلَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم لتَدْمَيَان ، وزيدٌ يَقِيه بنفسه حتى لقد شُجَّ فى رأسه شِجَاجًا . فرجع عنهم يريد مكةَ ، حتى إذا كان بنخلةَ قام يصلّى من

إسلام النفر من جن نصيبين

جَوْف الليل فمرَّ به من جنّ نَصِيبِين اليمن سبعةُ نفر فاستمعوا إليه [وهو يقرأ القرآن ، ثم وَلَّوْا — بعد فَرَاغه من صلاته] (٢) — إلى قومهم منذرينَ ، قد آمنوا فأجابوا

(١) زيادة يتم بها الكلام .

(٢) فى الأصل « فاستمعوا إليه بعد فراغه من صلاته إلى قومهم ... » وانظر تفسير =

إقامته بنخلة

وأقام بنخـلةَ أيّامًا فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخُل عليهم مكةَ وهم أخرجُوكَ ؟ فقال : يا زيد ، إنَّ الله جاعلٌ لما ترى فرجًا ومخرجًا ، وإن الله ناصرُ دِينه ومُظْهِرُ نبيِّه . ويقال كان إيمانُ الجنّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وله من العمر خمسون سنة وثلاثة أشهر ، وذكر ابن إسحق أن إسـلام الجنّ قبل الهجرة بثلاث سنين

عودته إلى مكة فى جوار المطعم

ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد من الطائف وانتهى إلى حِراء بَعَثَ رجلًا من خُزَاعة إلى المُطْعِم بن عدىّ لِيُجيرَه حتى يبلِّغ رسـالةَ ربِّه فأجاره . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فأقام بها وجَعَل يدعو إلى الله

إسلام الطفيل الدوسى ذى النـور

فأسلم [الطُّفَيْل][1] بن عمرو بن طَرِيف بن العاص بن ثعلبة بن سُلَيْم[2] بن فَهْم الدَّوْسىّ ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَجْعَل الله له آية ، فجعل اللهُ له فى وجهه نُورًا ، فقال : يا رسول الله ، أَخْشَى أن يقولوا هذا مُثْلَة ؛ فدعا له فصار النور فى سَوْطه فهو المعروف بذى النُّور .

إسلام بيوت من دوس

ودعا الطُّفَيْل قومه دَوْسًا إلى الله فأسلم بعضهم وأقام فى بلاده حتى قَدِم [على][3] رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر فى نحو ثمانين بيتًا

الإسراء والمعراج وفرض الصلوات

[ثم أُسْرِى][4] برسول الله صلى الله عليه وسلم بجسَده — على الصحيح من قول الصحابة — من المَسْجد الحَرام إلى بيت المَقْدس راكبًا البُرَاقَ صُحْبَةَ جبريل

= الطبرى فى قوله تعالى « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن » الأحقاف ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨١ وغيرهما

(١) بياض بالأصل

(٢) فى الأصل « سالم »

(٣) زيادة ؛ وهذا هو الصواب . انظر ابن هشام ج ١ ص ٢٥٤

(٤) بياض بالأصل

عليه السلام . فنزل ثم [أَمَّ] (١) بالأنبياء عليهم السلام ببيت المَقْدِس فصلّى بهم . ثم عُرِج به تلك الليلة من هناك إلى السموات السبع ورأى بها الأنبياء على منازلهم ؛ ثم عُرِج به إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، ورأى جبريل عليه السلام على الصورة التى خلقه الله عليها ، [وفُرِضَتْ] (٢) عليه الصلوات الخمس تلك الليلة

وكان الإسراء فى قول محمد بن شهاب الزُّهْرى قبل الهجرة بثلاث سنين ؛ وقيل بسنة واحدة ، وقيل وله من العُمُر إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر ، وقيل كان الإسراء بين بَيْعَتى الأنصار فى العَقَبة ، وقيل كان بعد المَبْعَث بخمسة عشر شهراً ، وقال الحَرْبى كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة

وعورض من قال إنه كان قبل الهجرة بسنة بأَنّ خديجة صلَّتْ معه بلا خلاف ، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ، والصّلاة إنما فرضت ليلةَ الإسراء . وأُجيبَ بأن صلاة خديجة كانت غيرَ المكتوبة ، بدليل حديث مُسْلم أنه صلَّى ببيت المقدس ركعتين قبْل أن يعرُج إلى السماء ؛ فتبيَّن أن الصلاة كانت مشروعة فى الجملة ، كما كان قيامُ اللَّيْل واجبًا قبل الإسراء بلا خلاف . وفى روايةٍ عن الزهرىّ كان بعد المبعث . ومما يقوّى قول الحَرْبى أنه عيّن الليلة من الشهر من السنة ، فإذا تعارض خبران أحدهما فصَّل القصّةَ والآخر أجمَلَها ترجَّحت رواية من فصَّل بأنه أوْعَى لها

وقال ابن إسحق : أُسْرِى برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فَشَا الإسلامُ بمكة والقبائل ؛ ويقال كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان ، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ، وهو صلى الله عليه وسلم نائمٌ فى بيته ظُهْرًا . وقيل كان

(١) انظر ابن هشام ج ١ ص ٢٦٤ ، وفى الأصل بياض
(٢) بياض بالأصل

ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة من شِعب أبي طالب ، وكانت سنُّه صلى الله عليه وسلم حين الإسراء اثنتين وخمسين سنة

وقيل — وقد حكى عن حُذَيفة وعائشة ومعاوية رضى الله عنهم — إنّ الإسراء كان بروحه صلى الله عليه وسلم ، وقيل كان بجسده إلى بيت المقدس ، ومن هناك إلى السموات برُوحه . وقيل أُسْرِىَ به وهو نائمٌ فى الحِجْر ؛ وقيل كان فى بَيْت أمّ هانئ بنت أبي طالب . وفُرِضت الصلوات الخمس ركعتين ركعتين ، وإنما كانت قبل الإسراء صلاةً بالعشىّ ، ثم صارتْ صلاةً بالغداة وصلاةً بالعشىّ ركعتين ركعتين . فلم يُرَعْ برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جبريل نَزَل حين زاغت الشمس من صبيحة ليلةِ الإسراء فصلَّى به الظهر ؛ ولهذا سُمِّيت الأولى . ثم صلَّى بقيّة الخَمْس فى أوقاتها فصارت بعد الإسراء خَمْسًا ركعتين ركعتين حتى أُتِمَّتْ أربعًا بعد الهجرة إلى المدينة بشهر . وقد اختلف أهل العلم هل رأى محمدٌ صلى الله عليه وسلم ربَّه ليلة الإسراء أم لا . فلما أصبح صلى الله عليه وسلم فى قومه بمكة أخبرهم بما أراه الله عز وجلّ من آياته ، فاشتدّ تكذيبُهم له وأذاهُم إيّاه واستِضرَاؤُهم عليه . وارتدّ جماعة ممن كان أسلم وسألوه أمارة ، فأخبرهم بقدوم عِيرٍ يوم الأربعاء . فلمّا كان ذلك اليوم لم يَقْدَموا حتى كادت الشمس أن تغرب ، فدعا اللهَ فحبس الشمسَ حتى قَدِمُوا كما وَصَف ؛ قال ابن إسحق : ولم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم وليوشع بن نون

عرض نفسه على القبائل

[ثم عَرَض][1] نفسه على القبائل أيام الموسم ودعاهم إلى الإسلام ، وهم : بنو عامر ، وغسّان ، وبنو فَزَارة ، وبنو مُرّة ، وبنو حَنيفة ، وبنو سُلَيْم ، وبنو عَبْس ، وبنو نَصْر ، وثَعْلبة بن عُكابة ، وكِنْدَة ، وكَلْب ، وبنو الحارث بن

(١) بياض بالأصل

كَعْب ، و بنو عُذْرَة ، وقيسُ بن الخطيم [1] ، وأبو الحَيْسر أنس بن أبى رافع [2] . وقد اقتصّ الواقدىّ أخبار هذه القبائل قبيلةً قبيلةً . ويقال إنه صلى الله عليه وسلم بدأ بكِنْدة فدعاهم إلى الإسـلام ، ثم أتى كَلْبا ، ثم بنى حَنِيفة ، ثم بنى عامر ، وجعـل يقول : من رجُلٌ يحملُنى إلى قَوْمه فيمنعُنى حتى أبلّغَ رسالةَ ربّى ، فإن قريشاً قد منعونى أن أبلّغَ رسالة ربّى ؟ هذا ؛ وعمُّه أبو لَهَب وراءه يقول للناس : لا تسمعوا منه فإنه كذّاب . وكان أحْيَاء العرب يتحامَوْنه لما يسمعُون من قريش فيه : إنه كاذِب ، إنّه ساحرٌ ، إنّه كاهنٌ ، إنّه شاعرٌ — أكاذيبَ يقترفونَهُ بها حسدًا من عند أنفسهم وبَغْياً ؛ فيُصْغِى إليْهِم من لا تمييز له من أحْياء العرب ، وأمّا الألِبّاء فإنهم إذا سمعوا كلامَهُ صلى الله عليه وسلم وتفهّموه شهدوا بأنّ ما يقولُه حقٌّ وصِدْقٌ ، وأن قومه يفترون عليه الكذبَ ، فيسلمون .

أول أمر الأنصار

وكان ممّا صنع الله للأنصار ، وهم الأوْس والخَزْرج ، أنهم كانوا يسـمعون من حُلَفائهم بنى قُرَيْظَة والنَّضِير — يهود المدينة — أن نبيًّا مبعوثٌ فى هـذا الزمان ، ويتوعَّدون الأوسَ والخزرجَ به إذا حاربوهم فيقولون : إنّا سنقتلـكم معه قَتْلَ عادٍ وَإرَم . وكانت الأنصارُ — وهم الأوسُ والخزرجُ — تحجُّ البيت فيمن يحجه من العرب ، فلمـا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعُو الناسَ إلى اللهِ رأوْا أَمَاراتِ الصِّدْق عليه لائحةً ، فقالوا : والله هذا الذى تَوَعَّدُكم يهودُ به فلا يسْبِقُنّـكم إليه

سويد بن الصامت

وكان سُوَيْدُ بن الصَّامِتِ [بن خالد بن عطيّة بن [حَوْط بن] [3] حبيب بن

(١) فى الأصل : « الحطيم » . وهو الشاعر

(٢) فى ابن هشام ج ١ ص ٢٨٥ « أنس بن رافع »

(٣) زيادة فى نسبه من ابن هشام ج ١ ص ١٨٢

عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس الأوسيّ ؛ وهو ابن خالة عبد المطلب بن هاشم : أمّه ليلى بنت عمرو من بنى عَدِىّ بن النجّار ، وهى خالَة عبد المطّلب ابن هاشم] قد قدم مكة فدعاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليه القرآن ، فلم يُبْعِدْ منه ولم يُجِب ، ثم قدم المدينة فقتل فى بعض حروبهم يوم بُعَاثٍ (١) .

إسلام إياس ابن معاذ

ثم قَدِم أبو الحَيْسر أنَس ، وقيـل بِشْر بن رافع ، مكة فى فِتْيةٍ من قومه بنى عبدِ الأَشْهل يطلبون الحِلْف من قريشٍ على قومهم من الخزْرَج ، فأتاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ودَعاهم إلى الإسـلام ، فقال منهم إياس بن مُعَاذ ، وكان شابا حَدَثاً : يا قوم ، هذا والله خير مما جئناله . فضرب أبو الحيسر وجهَه وانْتهَرَه فسكت . وقام رسول الله صلى الله عليه وسـلم وانصرف القومُ إلى المدينة ولم يَتِمّ لهم حِلْف ، فمات إياس مسلماً فيا يقال

أصحاب العقبة الأولى

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَقِىَ عند العَقَبة من مِنًى فى الموسم ستَّةَ نفَرٍ ، كلهم من الخزرج ، وهم يَحْلِقُون رءوسهم ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال بعضُهم لبعض : إنَّه النبى الذى تُوعِدُكم (٢) به يهود فلا يَسْبِقُنَّـكم إليه ؛ فاستجابوا لله ولرسوله وآمنوا وصدّقوا . وهم : أبو أُمَامة أسعد بن زُرَارة بن عُدَس بن عُبَيْد بن ثَعْلَبـة بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وعَوْفُ بن الحارث بن رِفاعة بن الحـارث بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم [ويقال له عَوف بن عَفْراء] ، ورَافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق ، وقُطْبة بن عامر بن حَدِيدة [ويقال قُطْبة بن عمرو بن حَدِيدة] بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن

(١) يوم بُعاث بين الأوس والخزرج فى الجاهلية ، وهو بالعين المهملة ومن رواه بالغين فهو تصحيف . وفى الأصل : « بغاث » .

(٢) فى ابن هشام ج ١ ص ٢٨٦ « تواعدكم »

كعب بن سَلَمة بن الخزرج ، وعُقْبة بن عامر بن نابى [١] بن حَرَام ، وجابر بن عبد الله بن رِئَاب [٢] بن النعمان بن سِنَان بن عُبَيْد بن عدىّ بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة ؛ فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا مبادَرةً إلى الخير. ثم رَجَعوا إلى قومهم بالمدينة فذكرُوا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودَعَوْهم إلى الإسلام ففَشَا فيهم ، حتى لم تَبْقَ دار من دُورِ الأنصار إلا وفيها ذِكْرُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

إسلام الأنصار

فلما كان العامُ المقبلُ وَافَى المَوْسِمَ من الأنصار اثنا عشر — منهم تسعةٌ من الخزرج ، وهم : أسْعَد بن زُرَارة ، وعَوْف بن عفراء ، ورافعُ بن مالك بن العَجْلان ، وقُطْبة بن عامر ، وعُقْبة بن عامر ، ومُعَاذ بن الحارث بن رِفاعة [أخو عوف بن عفراء] ، وذَكْوَان بن عبد القيس بن خَلَدَة بن مُخْلد بن عامر بن زُرَيْق ، وعُبَادة ابن الصَّامت بن قيس بن أصْرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو ابن عوف بن الخزرج ، ويزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصْرم بن عمرو بن عَمَّارة [ويقال يزيد بن ثعلبة بن خَزَمَة بن أصْرم بن عمرو بن عمَّارة من بنى فرَّان بن بَلِيّ [٣] ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وكنيته أبو عبد الرحمن] ... وثلاثة من الأوس ، وهم : أبو الهَيْثَم مالك بن التَّيِّهان بن مالك بن عُبَيْد بن عمرو بن عبد الأعْلم [وكان يقال لأبى الهيثم ذُو السَّيفين من أجل أنه كان يتقلَّدُ بسيفين فى الحرب] ، وعُوَيم ابن ساعدة بن عائِش بن قيْس بن النُّعْمان بن زيد بن أُمَيَّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ، والبراء بن مَعْرُور [٤] بن صخر بن خَنْساء بن سِنان بن عُبَيْد بن عدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة — فأسلموا

أمر العقبة الثانية

(١) فى الأصل : « ثابى »
(٢) فى الأصل : « رباب »
(٣) فى الأصل : « من بنى » مكان « بن بلى »
(٤) فى الأصل : « معر »

بيعة العقبة الثانية

وقد كان معه صلى الله عليه وسلم حينئذ أبو بكر وعلى رضى الله عنهما فبايعوه عند العَقَبَةِ على الإسلام كبيْعة النّساء، وذلك قبل أن يُؤْمَر بالقتال . فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصىّ القرشى العَبْدَرىّ [١] ، ويقال وعبد الله بن أم مكتوم [٢] ، ليعلّما [٣] من أسْلم القرآن ويدعُوا [٣] إلى الله . فنزلَا بالمدينة على أبى أُمامة أسعد بن زرارة

إسلام بنى عبد الأشهل

فخرج بهما إلى دار بنى ظَفَر، واجتمع عليهما رجالٌ ممن أسلم ؛ فأتاهم أُسَيْد بن حُضَيْر الكَتَائِب بن سِمَاك بن عَتِيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأَشْهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزْرَج بن عمرو بن مالك بن الأَوس، وسعد بن مُعاذ بن النُّعْمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وهما سيّدا بنى عبد الأشهل، فدعاهما مصعب إلى الإسلام فهداهما الله وأسلما ودعَيَا قومهما إلى الله؛ فما أمسى فى دار عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا وقد أسلموا — إلّا الأُصَيْرِم عمرو بن ثابت بن وَقَش — فإنه تأَخَّر إسلامه إلى يوم أُحُد

أول المهاجرين بالمدينة

ويقال أول من قدم من المهاجرين المدينة مُصْعب بن عُمَيْر، ثم أتى بعده عمرو بن أم مكتوم [٤] . ولم يزَل مصعب بن عمير يدعو إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها عِدَّةٌ مسلمون — إلا بنى أُمية بن زيد [وخَطْمة] [٥] ووائل وواقف، فإنهم تأخر إسلامهم . وكان مصعب يَؤُمّ بمن أسْلم، وجمَّع بهم

أوّل من جمَّع بالمسلمين

---

(١) فى الأصل : « العبدى » ، والنسبة إلى عبد الدار « عَبْدَرىّ »

(٢) اختلف فى اسمه فقيل « عبد الله » ، وقيل « عمرو » ، وسيأتى كذلك بعد قليل وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين

(٣) فى الأصل : « ليعلمان ، ويدعوان »

(٤) وقيل اسمه « عبد الله » انظر ما سبق بقليل

(٥) عن ابن هشام ج ١ ص ٢٩٣

يوماً وهم أربعون نَفْساً فى هَزْم حرّة نَقِيع الخَضِمَات (١) ، وبهذا جزم أبو محمد ابن حزم . وعند ابن إسحاق أن أوّلَ من جمَّع بهم أسعدُ بن زُرارة ، ثم عاد إلى مكة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمن أسلم فسرَّه ذلك

بيعة العقبة الأخيرة

ثم كانت بيعة العقبة ثانياً وقد وَافَى الموسمَ خَلْقٌ من الأنصار ما بين مُشْرِكٍ ومسلمٍ ، وزعيمُهم البَراء بن معرور . فتسلَّل منهم جماعة مُسْتَخْفِين لا يشعر بهم أحدٌ ، واجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى الحجَّة وواعدُوه أَوْسَط أيَّام التشريق بالعقبة ، وهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان هما : أُمُّ عُمَارة نُسَيْبَة بنت كعب بن عمرو (٢) وأسماء بنت عمرو بن عدىّ بن نابى . وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العبّاس ، وهو عَلَى دِين قومه ، وأبو بكر وعلىٌّ رضى الله عنهما ؛ فأوقف العباس عليًّا على فَمِ الشِّعْب عَيْناً له ، وأوقف أبا بكر على فَمِ الطريق الآخر عيناً له ، وتكلّم العبّاسُ أولاً يتوثّق لرسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال : يا معشر الخزرج ، إن محمداً منّا حيث علمتم ، وقد منعناهُ من قومنا ممَّن هو على مثل رأينا فيه ؛ وهو فى عزٍّ ومنعةٍ فى بلده . وإنّه قد أبى إلّا الانحيازَ إليكم واللُّحوقَ بكم ؛ فإن كنتم ترون أنَّكُمْ مسلموه وخاذلوه بعدَ الخروج به إليكُمْ ، فمن الآن فدعوه ، فإنّه فى عزٍّ ومنعةٍ من قومه وبلده . (قالت الأنصار) : قد سمعنا ما قلت ، فتكلّم يا رسول الله فخُذْ لنفسك ولربك ما أحببتَ . فتكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم فتلا . . . .] (٣) القرآنَ ورغّبهم فى الإسلام ، وشرط عليهم أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم . فأخذ البَراء

(١) الهزْم : المنخفض من الأرض ، والحرة : الأرض ذات الحجارة السود . وفى الأصل : « بقيع » بالباء ، وقد صححه الثقات بالنون

(٢) فى الأصل : « بنت عمرو بن كعب »

(٣) هذه الزيادة لا بد منها لتمام الكلام ، وهى من ابن هشام ج ١ ص ٢٩٦

ابن مَعْرورٍ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : والذى بعثك بالحقّ لنمنعنّك مِمَّا نَمْنَع منه أُزُرَنا(١) ، فبايِعْنا يا رَسُول الله ، فنحن والله أهلُ الحرب . فاعترض الكلام أبو الهَيْثم بن التيِّهان فقال : يا رسول الله إن بَيْنَنا وبين الناس حِبَالاً وإنَّا قاطعوها ، فهل عَسَيْتَ(٢) إنْ أظهرك اللهُ أنْ ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسَّم صلى الله عليه وسلم وقال : أنتم منِّى وأنا منكم ، أُسَالم من سَالَمْتم وأُحارب من حاربتم ، فى كلام آخر . وتكلَّم العَبَّاس بن عُبَادة بن نَضْلَة بن مالك بن العَجْلان ابن زَيْد بن غَنْم بن سالم بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن الخَزْرج ، فأحسن ما شاء فى شدّ العَقْد لرسول الله صلى الله عليه وسلّم عليهم ، فقالوا : ابسُطْ يَدَك ؛ فبايعوه . وكان أوَّلَهم مبايعةً أبُو أمامة أَسْعد بن زُرارة ، وقيل أبو الهَيْثم بن التيِّهان ، وقيل البراء بن معرور ؛ وقيل إن العبَّاس بن عبد المطلب هو الذى كان يأخُذُ عليهم البَيْعةَ . وكانت بيعتُهم على أن يمنعوه صلى الله عليه وسلّم ممَّا يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأُزُرهم(٣)

أول من بايع

أمر النقباء الاثنى عشر

وأقام صلى الله عليه وسلّم منهم اثنى عشر نقيباً هم : أسْعد بن زرارة ، وسَعْد ابن الرَّبيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغرّ(٤) ، [وعبد الله بن رَوَاحة بن امرئ القيس بن ثَعْلبة بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثَعْلبة بن كعب بن الخَزْرج بن الحارث بن الخزرج](٥) ورافع بن مالك بن العَجْلان ، والبراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام بن ثعلبة بن

(١) الأزر : جمع إزار وهو الثوب ، وكنى بذلك عن النساء ، كما قالوا فى الكناية عنهن « ثياب ، وفراش »

(٢) يريدون بها الشك ، ورجاء أن لا يكون ذلك

(٣) قلنا قبل إن الأزر كناية عن النساء ، وهى هنا كناية عن الأنفس

(٤) فى الأصل : « الأعز »

(٥) زيادة من ابن هشام ج ١ ص ٢٩٧ ، فالذين عدهم هنا ثمانية

حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة[1] [وهو والد جابر بن عبد الله وقد أسلم ليلتئذ] ، وسَعْد بن عُبَادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي سلمة [ويقال ابن أبي حَزِيمة] ابن ثعلبة بن طَرِيف بن الخَزْرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمُنْذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لَوْذَان بن عَبْدِ وُدٍّ بن زيد بن ثَعْلبة بن الخزرج ابن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وعُبَادة بن الصَّامت ، فهؤلاء تسعة من الخزرج . ومن الأوس ثلاثة : أُسَيد بن الحُضَيْر ، وسَعْد بن خَيْثَمة بن النَحَّاط[2] بن مالك ابن كعب بن الحارث بن كعب بن حارثة بن غنم بن السَّلَم[3] بن امرئ القيس ابن مالك بن الأوس ، ورِفاعة بن عبد المُنْذر بن زَنْبَر بن زيد بن أُمَيَّة بن زيد ابن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس [وهو أبو لبابة ، وقيل اسمه مبشر[4] بن عبد المنذر][5] ؛ ويقال بل الثالث من الأوس أبو الهيثم مالك بن التيهان ، وكانت هذه البيعة على حرب الأحمر والأسود . فلما تمت بيعتهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يميلوا على أهل مِنًى بأسيافهم فقال : لم نُؤمر بذلك . فرجعوا وعادوا إلى المدينة

بدء الهجرة إلى المدينة

واشتد الأذى على من بمكة من المسلمين فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم في الهجرة إلى المدينة . فبادروا إلى ذلك وتجهّزوا إلى المدينة في خفاء[6] وستر وتسلّلوا [فيقال إنه كان بين أولهم وآخرهم أكثرُ من سنة] وجعلوا يترَافدُون[7]

(١) في الأصل : « سليمة »
(٢) في الأصل : « الحارث » ، ولا أدري من أين أتى به
(٣) في الأصل : « أسلم »
(٤) في الأصل : « بشر »
(٥) اختلفوا في ذلك اختلافاً كثيراً ، انظر كتب الرجال كالإصابة ، وأسد الغابة
(٦) في الأصل : « خفي »
(٧) يترافدون : يتعاونون . والظهر : ما يركب

بالمـال والظَّهْر ويترافقون . وكان من هاجر من قريش وحلفائهم ، [يستَوْدع دُورَه ومالَهُ](١) رجلاً من قومه ، فمنهم من حَفِظ على من أَوْدعه ، ومنهم من باع ؛ فمَّنْ حفظ وديعته(٢) هشامُ بن الحارث بن حبيب ، فمدحه حسَّان

أول من هاجر بعدالعقبة الأخيرة

وخرج أَوَّلَ الناس أبو سَلَمة عَبدُ الله بن عبد الأَسَد بن هلال بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، ومعه امرأته أُمُّ سَلَمة(٣) هِنْد بنتُ أبى أُمية بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فاحتُبِست دونه ومُنِعَتْ من اللحاق به ، ثم هاجرت بعد سنة ؛ وقيل بل هاجر أبو سَلَمة رضى الله عنه قبل العقبةِ الأخيرة . وقيل أَوَّلُ من هاجر مُصْعَب بن عُمَيْر ، ثم هاجر عَمَّار بن ياسِر ، وسَعْد بن أبى وقَّاص ، وابن مَسْعود ، وبِلال ، ثم هاجر عُمَر بن الخطَّاب فى عشرين راكباً ، ثم تلاحَقَ المسلمون بالمدينة يخرجُون من مكَّة أَرْسَالًا(٤) حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما — أقاما بأمرِه لهما — وإلَّا مَنْ اعتقله المشركون كَرْهاً . فحذرت قريش خروجَ

ائتمار قريش به وخروجه واستخلافه علياً

رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتَوَرُوا بدار النَّدْوة ، وكانوا خمسة عشر رجلا ، وقيل كانوا مائة رجل ، أَيحبِسُوه فى الحديد ويُغلِّقوا عليه باباً ؟ أو يخرجوه من مكَّة ؟ أو يَقْتُلوه ؟ ثم اتفقوا على قَتْله . ويسمى اليومُ الذى اجتمعوا فيه يوم الزَّحمة ، فأعلمه الله بذلك . فلما كانَ العتمـةُ اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصُدُونه حتَّى ينام فيَثِبُون عليه . فلما رآهم صلى الله عليه وسلم

(١) هكذا يوجب السياق ، وفى الأصل : مكان الزيادة : « درره »
(٢) فى الأصل : « وداعته »
(٣) ثم هى أم المؤمنين زوج النبى صلى الله عليه وسلم
(٤) أرسال : جمع رسل بفتحتين ، أى جاءوا رسلا بعد رسل يتبع بعضهم بعضاً

أمر على بن أبى طالب رضى الله عنه أن يَنَام على فراشه و يَتَّشِحَ(١) بِبُرْده الحَضْرَمِىّ الأخضر ، وأن يُؤَدِّىَ عنه ما عنده من الودائع والأمانات ونحو ذلك . فقام علىّ مقامه عليه السلام وغُطِّىَ بِبُرْد أخضر ، فكان أَوَّلَ من شَرَى نَفْسَه(٢) وفيه نزلت : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ » (البقرة : ٢٠٧) . وخرج صلى الله عليه وسلّم وأخذ حَفْنَةً من تراب وجعلهُ على رءوسهم وهو يتلو الآيات من : « يٰسٓ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، إلى قوله : فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ » ، فطَمَس الله تعالى أبصارهم فلم يروه ، وانصرفَ . وهم ينظرونَ عليًّا فيقولون : إنَّ محمداً لَنَائِمٌ ، حتى أصْبحوا ؛ فقام علىٌّ عن الفراش(٣) فعرفوه . وأنزل الله تعالى فى ذلك : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ » (الأنفال : ٣٠) . وسأل أولئك الرَّهْطُ عليًّا رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : لا أدرى ، أمرْتُمُوه بالخروج فخرج . فضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثم دخلوا عليه فأدَّى أمانة رسول الله صلى الله عليه وسلّم

هجرة الرسول وأبى بكر

ولمّا خرج صلى الله عليه وسلم أَتَى أبا بكر فأَعْلَمه أنه يُرِيد الهجرة . وقد جاء أنَّه أتى أبا بكر بالهاجرة وأمره أن يُخْرِجَ مَنْ عِنْده ، وأعْلَمه أن الله قد أذِنَ له فى الخروج ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أَلصُّحْبَةُ يا رسول الله ؟ قال : الصُّحْبة ؛ فبكى من الفرح . فاستأجر عبد الله بن أُرَيْقط الليثىّ من بنى الدِّئِل [بن بكر بن كنانة](٤) من بنى عبد بن عدىٍّ ، ليدُلَّهما على الطريق . وخرجا

---

(١) يلبسه كالوشاح ، وليس بشىء ، والصواب : « ويتسجَّى » ، أى يتغطى
(٢) فى الأصل : « بنفسه » وشرى نفسه : باعها
(٣) فى الأصل : « الفرش »
(٤) زيادة للتميز

من خَوْخَة[١] في بيت أبي بكر ومضيا إلى غار بجبل ثَوْر ، فلم يَصْعَدَا الغارَ حتى قطرتْ قدماَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم دمًا ، لأنه لم يتعوَّد الحِفْية ولا الرعية ولا الشقْوة[٢] ، وعادت قدما أبي بكر كأنهما صَفْوان . وعمَّى الله على قريش خبرهما فلم يدروا أين ذهبا . وكان عامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكر يُرِيحُ[٣] عليهما غنمَه ، وكانت أسماء ابنةُ أبي بكر رضى الله عنهما تحمِلُ لهما الزَّاد إلى الغار ، وكان عبد الله بن أبي بكر يتسمَّع لهما ما يقال عنهما بمكَّة ثم يأتيهما بذلك . وجاءت قريش في طلبهما إلى ثَوْر وما حوله ومرُّوا على باب الغار وحاذَت أقدامُهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه ، وقد نسج العنكبوت وعشَّشت حمامتين على باب الغار ؛ وذلك تأويل قوله تعالى : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ، فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا » الآيةَ (التوبة : ٤٠) . وبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال : يارسولَ الله ، لو أنَّ أحدَهم نظر إلى موضع قدميه لرآنا ؛ فقال له : يا أبا بكر ما ظنُّك باثنَيْنِ اللهُ ثالثُهُمَا

وعمَّى الله على قريش ، وقد قفَا[٤] كُرْز بن عَلْقَمة بن هِلال بن جُرَيْبَة[٥] ابن عبد نِهْم[٦] بن حُلَيْل بن حُبْشِيَّة أَثَرَ النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى الغار فرأى عليه نسج العنكبوت فقال : ها هنا انقطع الأثر ، فلم يهتدوا إليهما ورجعوا . فنادوا بأعلى مكة وأسفلِها : من قتل محمداً أو أبا بكر فله مائةٌ من الإبل .

(١) باب صغير كالنافذة
(٢) الحفية : المشى بغير نعل ، وأما « الرعية » فلا أدرى ما هى
(٣) أراح الإبل والغنم ، ردها من العشى إلى مراحها حيث تأوى إليه ليلا
(٤) قفا الأثر : يقفوه ، وتقفاه : تتبعه
(٥) فى الأصل : « حرينة »
(٦) فى الأصل : « فهم »

ويقال جعلوا لمن جاء بأحدهما أو قتله دِيَتَه . فلمّا مضت ثلاثٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وهما فى الغار أتاهما دَليلُهما وقد سَكَن الطلبُ عنهما ، ومعه بعيراهما . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من أبى بكر رضى الله عنه بالثمن ، وقد كان أبو بكر قد أعدهما قبل ذلك وأعدَّ جهازه وجهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم منتظراً متى يأْذَن الله لرسوله فى الخروج ، وعَلَف ناقتيه أربعةَ أشهر ؛ فركب صلى الله عليه وسلم الجَدْعاء . وروى فى حديث مرسل أن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : مكثتُ مع صاحبى فى الغار بضعةَ عشر يوماً مالَنَا طعامٌ إلا البَرِير ، يعنى الأراك(١) . وخرجا من الغار سَحَر ليلة الاثنين لأربعٍ خَلَوْن من ربيع الأول ، وقيل أول يوم منه ، وقيل كانت هجرتُه فى صفر ، وسنُّه صلى الله عليه وسلم ثلاث وخمسون على الصحيح ، وقيل خمس وخمسون ، وقيل خمسون ؛ ومعهما سُفْرَةٌ أتت بها أسماء ابنة أبى بكر . وكان خروجه من الغار فى الصُّبح ، فصلى عليه السلام بأصحابه جماعة ؛ فكان صلى الله عليه وسلم أول من [جَمَّع بالمسلمين فى صلاة الفجر](٢) . وساروا وقد أَردفَ أبو بكر رضى الله عنه عامرَ بن فُهَيْرة ، وسار عبد الله بن أُرَيْقط أمامَهما على راحلته حتى قالوا يوم الثلاثاء بقديد ؛ وذلك بعد العقبة بشهرين وليال . وقال الحاكم بثلاثة أشهر أو قريباً منها ؛ وقال الليث حدثنى عُقَيْل عن ابن شهاب(٣) أنه قال : كان بين ليلة العقبة و بين مُهَاجَرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشهر أو قريب منها .

---

(١) هو ثمر الأراك ، وهو حلو

(٢) فى الأصل بياض ، ولعل هذا هو السياق

(٣) عقيـل بن خالد بن عقيل الأيلى أبو خالد مولى عثمان ، روى عن الزهرى ، وروى عنه الليث بن سعد مات بمصر سنة ١٤١ . وابن شهاب ، هو « محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى عالم الحجاز والشام مات سنة ١٢٣

كانت بيعة الأنصار رسولَ الله ليلة العَقَبة فى ذى الحجة ، وكان عمره لما هاجر ثلاث وخمسون سنة

خبر سُراقة

ولما مرّوا بحىّ مُدْلج بَصُر بهم سُراقة بن مالك جُعْشُم بن مالك بن عمرو(١) ابن تَيْم بن مُدْلج ، فركب جواده ليأخذهم ، حتى إذا قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع قراءته سَاخَتْ يَدَا فرسه فى الأرض إلى بطنها ، وكانت أرضاً صُلْبَةً ، وثار من تحتها مثلُ الدُّخان . فقال : ادعُ لى يامحمد ليخلِّصَنى الله ، ولك علىّ أن أرُدَّ عنك الطلب ، فدعا له فتخلَّص فعادَ يتبعهم ، فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه فى الأرض أشَدَّ من الأول فقال . يامحمد قد علمتُ أنَّ هذا من دُعائك علىّ فادع لِى ولك عهدُ الله أن أرُدَّ عنك الطلب فدعا له فخَلَص ؛ وقَرُب من النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله خُذْ سَهْماً من كِنانتى فإن إبلى بمكان كذا فخُذْ منها ما أحبَبْت ، فقال : لا حاجة لى فى إبلك . فلما أراد أن يعود عنه قال : كيف بك ياسُراقة إذا سُوِّرْتَ بسِوَارَىْ كِسْرَى ! قال : كسرى بن هُرْمُز ! قال : نعم . وسأل سُراقة أن يكتبَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فكتب له أبو بكر رضى الله عنه ، ويقال بل كتب له عامرُ بن فُهَيْرة ، فى أديمٍ(٢) ؛ ورجع يقول للناس : قد كُفيتم ما هاهنا ، ويردُّ عنهم الطلب

إسلام بريدة وقومه

ولقى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب الأسلمىّ فى رَكْب من قومه فيما بين مكة والمدينة وهم يريدون موقع سَحَابةٍ(٣) فأسلموا بعد ما دعاهم

(١) فى الأصل : « عمرو بن مالك بن تيم » ، وليس كذلك
(٢) الأديم : الجلد المدبوغ ، وكانوا يتخذونه للكتابة
(٣) فى الأصل : « لحابه »

إليه ، واعتذروا بقلّة اللبن معهم وقالوا : مواشينا شُصُصٌ[١] ، أى جَافّة[٢] . وجاءوه[٣] بلبن فشربه وأبو بكر ودعا لهم بالبركة

خبر أم معبد

ولقى أيضاً أوْس بن حُجْر الأسْلَمِىّ فحمله صلى الله عليه وسلم على جَمَلٍ وبعث معه غلاماً له يقال مسعود [بن هُنَيْدَة][٤] ليؤدِّيه إلى المدينة . ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمتَى أمِّ مَعْبَد عاتكة بنت خالد بن خُلَيْف[٥] بن مُنْقذ بن رَبيعة بن أصْرم بن ضُبَيس بن حَرام بن حُبْشِيَّة بن كعب بن عمرو وهو أبو خُزَاعة الخُزَاعية فقالَ[٦] عندها . وأراها الله تعالى من آيات نبوّته فى الشاةِ — وحَلْبها لبناً كثيراً وهى حائلٌ[٧] فى سنة مُجْدِبَة — ما بَهَر عقلها . ويقال إنها ذَبحت لهم شاة وطبختها فأكلوا منها ، وسَفَّرتهم[٨] منها بما وسعته سُفْرتهم ، وبقى عندها أكثرُ لحمها . وقالت أمُّ معبد : لقد بقيت الشاةُ التى مَسَح رسولُ الله ضَرْعَها إلى عامِ الرَّمَادة — وهى سنة ثمانى عشرة من الهجرة — وكنا نَحْلِبُها صَبُوحًا وغَبُوقاً[٩] ، وما فى الأرض قليل ولا كثير

مقدمه المدينة

وكان المهاجرون قد استَبْطأوا قُدومَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغ الأنصارَ مَخْرجُه من مكّة وقَصْدُه إياهم ؛ وكانوا كل يوم يخرجون إلى الحرّة

---

(١) شصص : جمع شَصوص ، وهى الناقة القليلة اللبن من اليبس والجفوف
(٢) فى الأصل : « حافة »
(٣) فى الأصل : « وجاءه أبو بكر بلبن » ، وهو فاسد
(٤) فى ابن هشام ج ١ ص ٣٣٣
(٥) فى الأصل : « حشيف »
(٦) قال يقيل قيلولة : نام القائلة ، وهى نومة نصف النهار
(٧) فى الأصل : «حافل» ، وهو خطأ . والحائل التى لم تحمل سنتين فجف لبنها
(٨) يريد ، وضعت لهم فى سفرتهم وهى خريطة للزاد للمسافر . ولم أجد الحرف فى اللغة ، ولا بأس باشتقاقه
(٩) الصبوح : اللبن يحلب فيشرب بالغداة ، والغبوق : يشرب بالعشى

ينتظرونه فإذا اشتدَّ الحرُّ عليهم رَجَعُوا . فلما كان يوم الاثنين — الثانى عشر من ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سَنة من المبعث — وافَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة حين اشتد الضَّحاء[١] ؛ ونزل إلى جانب الحَرَّة وقد عادَ المهاجرون والأنصارُ بعد ما انتظروه على عادتهم . فكان بين المبعث إلى أوَّل يوم من المحرَّم الذى كانت الهجرةُ بعده اثنتا عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً ، وذلك ثلاث وخمسون سنة تامة من أول عام الفيل . وقيل قدِم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول ، وقيل خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة منه حين اشتد الضَّحَاء ، وقيل دخل لهلال ربيع الأول ، وقيل يوم الاثنين لليلتين خلتا منه ، وقال ابن شهاب للنصف منه ؛ وذلك سنة أربع وخمسين من عام الفيل ، وهو اليوم العشرون من أيلول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة للإسكندر وهو الرابع من تيرماه[٢]

عمره يوم بعثته وهجرته

وقيل أقام صلى الله عليه بمكة بعد المبعث عشر سنين ، منها خمس سنين يخفى ما جاء به ، وخمس سنين يُعْلِن بالدعاء إلى الله تعالى . وقيل بعث وله خمس وأربعون سنة فأقام بمكة عشراً وبالمدينة ثمانياً وتوفى وهو ابن ثلاث وستين ، وهذا قول شاذ . ولم يختلفوا أنّه بعث على رأس أربعين سنة من عمره ، وأنه أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين ، وإنما اختلفوا فى إقامته بمكة بعد ما أُوحى إليه . وأصحُّ ذلك ما رواه سَعيد بن جُبَيْر ، وعِكْرمة ، وعمرو بن دينار ، وأبو جَمْرَة[٣] نصر بن عِمْران الضبعى ، عن ابن عباس أنه قال : مكث رسول الله صلى الله عليه

(١) الضحاء : حين يرتفع النهار ويشتد وقد الشمس
(٢) هكذا هو فى الأصل
(٣) فى الأصل : « أبو حمزة »

وسلم ثلاث عشرة سنة ؛ ووافق ذلك ما رواه علىّ بن الحسين عن أبيه عن علىّ مثل ذلك ؛ فإنّ أصحّ ما قيل أنه توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة

أول من رآه من أهل المدينة

وكان أول من بصُر برسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهودَ كان على سَطْحِ أُطُمٍ [(١)] له فنادَى بأعلى صوته : يابنى قَيْلَةَ [(٢)] ، هذا جَدُّكم الذى تنتظرون . فخرج الأنصار بالمهاجرين فى سلاحِهم فلقُوه وهو مع أبى بكر فى ظل نخلة ، وحيَّوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية النبوَّة وقالوا : اركبا آمنَيْن . فركب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [(٣)] وأبو بكر رضى الله عنه وحفُّوا حولهما بالسلاح ، فقيل فى المدينة : جاء نبيُّ الله ، فاسْتَشْرَفوا [(٤)] نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم ينظرون إليه ؛ وأقبل يَسِير حتى نزلَ على أبى قيس [كُلْثوم] [(٥)] بن الهِدْم ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عُبَيْد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصارى ، وقيل بل نزل على سَعْد بن خَيْثَمَة ، والأول أثبت . فجاء المسلمون يسلّمون عليه وأكثرهم لَمْ يَرَهُ بعدُ ، فكان بعضهم يظنّه أبا بكر ؛ حتى قام أبو بكر رضى الله عنه حين اشتدَّ الحرُّ يظلِّلُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بثَوْبٍ ، فتحقّق الناس حينئذٍ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

إقامته بقباء

وأقام فى بنى عمرو بن عوف الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم خرج

---

(١) الأطم : بيت من بيوت كانت لأهل المدينة كالحصون مبنية بالحجارة

(٢) يريد الأوس والخزرج ، وقَيْلة اسم أمّ لهم قديمة

(٣) فى الأصل : « فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية النبوّة وأبو بكر » ، وهو خطأ من الناسخ

(٤) استشرفوه : خرجوا إلى لقائه

(٥) هو اسمه زدناه ، ولا يعرف بكنية

يوم الجمعة ، ويقال بل أقام [بقُباء] [١] فى بنى عمرو بن عوف ثلاثاً وعشرين ليلة ، ويقال بل أقام بقُبَاء أربع عشرة ليلة ، ويقال خمساً ، ويقال أربعاً ، ويقال ثلاثاً فيما ذكر الدولابىّ . وأسّس حينئذ مسجد قُباء ؛ وأتاه عبد الله بن سَلَام فأسلم [ثم أسلم] [٢] مُخَيْرِيق اليهودىّ

إسلام عبد الله بن سلام ومخيريق

وركب بأمر الله تعالى وسار على ناقته والناس معه عن يمينه وشماله قد حَشَدوا ولبسوا السلاح ، وذلك ارتفاعَ النهار من يوم الجمعة ؛ فجعل كلما مرّ بقوم من الأنصار قالوا : هلمّ يا رسول الله إلى القُوَّةِ والمَنْعَة والثَّرْوَة ، فيقول لهم خيراً ويقول : دَعُوها فإنها مأمورة ، وفى رواية ، إنّها مأمورة ؛ خلُّوا سبيلها . فلمّا أتى مسجد بنى سالمٍ جَمَّع بمن كان مَعَهُ من المسلمين وهم إذ ذاك مائة ، وقيل كانوا أربعين ، وخطبهم ، وهى أوّل جمعة أقامها صلى الله عليه وسلم فى الإسلام

خبر ناقة رسول الله

وكانت أوّلُ خطبة خطبها أنَّه قام فيهم فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أمّا بعد أيها الناس ، فقدِّموا لأنْفُسِكم ؛ تَعْلَمُنَّ والله ليَصْعَقَنَّ [٣] أحَدُكم ثم ليَدَعَنَّ غنَمه ليس لها راعٍ ، ثم ليَقولَنَّ له ربُّه — ليس له تَرْجُمانٌ ولا حاجبٌ يَحْجُبُه دونه : ألم يأْتك رسولى فبلَّغك ؟ وآتيْتُك مالاً وأفضلتُ عليك ؟ فما قدَّمتَ لنفسك ؟ فليَنْظُرَنَّ [٤] يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لَيَنظُرَنَّ قُدَّامَه فلا يرى غَيْرَ جهنَّم ، فمن استطاع أن يَقِيَ وَجْهَه من النَّار ولو بِشِقَّةٍ من تَمْرَةٍ فليفْعَلْ ، ومن لم يَجِدْ فبكلمةٍ طيِّبةٍ ، فإنَّ بها تُجْزَى الحسنةُ عَشْرَ أمْثالِها إلى

أوّل خطبة للرسول بالمدينة

(١) بياض بالأصل

(٢) المعروف أن ابن سلام أسلم بقباء ، ولم يذكر أن مخيريق أسلم هناك ، والزيادة للسياق

(٣) صعق بكسر العين ، يصعق : خر ميتاً أو كالميت

(٤) فى الأصل : « فلينظر »

سبعمائة ضِعْف والسَّلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته

منزله على أبى أيوب الأنصارى

ثم ركب ناقته فلم تزل سائرةً به ، وقد أرْخى زِمامَها ، حتى جاءت دارَ بنى النَّجّار — موضعَ مسجده الآن — فبَرَكت ثم نهضت وسارت قليلًا ثم التفتت ورجعت فبَرَكت فى موضعها الأوّل . وقيل إن جَبّار بن صَخْر من بنى سَلَمة — وكان من صالحى المسلمين — جَعَل ينخَسُها لِتقومَ منافسةً لبنى النَّجّار أنْ ينزلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم فلم تَقُمْ ، فنزل صلى الله عليه وسلم عنها . وحمل أبو أيُّوب خالدُ بن زيد بن كُلَيْب بن ثَعْلبة بن عبد عَوْف(١) بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار الأنصارى رَحْلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ؛ وجاء أسْعد بن زُرَارة فأخذ بزِمام راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده

أول ما أهدى إليه

وأوّلُ هدية أتته قَصْعَةٌ مَثْرُودَةٌ خبزاً وسَمْنًا ولبناً جاءه بها زيد بن ثابتٍ من عند أمّه ، فأكل وأصحابُه . ثم جاءت قصعةُ سعد بن عبادة وفيها عُرَاق(٢) لَحْمٍ . فأقام فى بيت أبى أيوب سبعةَ أشهر ، وما كانت تخطئه جَفْنَةُ سَعْد بن عبادة وجَفْنَةُ أسعد بن زُرارة كلَّ ليلة ؛ وجعل بنو النَّجّار يتناوَبون حَمْل الطعام إليه(٣) مُقامَه فى منزل أبى أيوب ؛ وبعثتْ إليه أم زيد بن ثابت بثَرْدَةٍ مُرَوّاةٍ سَمْنًا ولبناً .

ونزل أسامة بن زيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيُّوب

مسجده وحُجره

واشترَى صلى الله عليه وسلم موضعَ مسجده وكان مِرْبداً(٤) لِسَهل وسُهَيْل

(١) فى الأصل : « عبد مناف »

(٢) العُرَاق : جمع عَرْق ، من الجموع العزيزة لم يرد فى العربية على وزانها إلا اثنا عشر حرفاً . والعراق العظام إذا أخذ عنها مُعظَم اللحم ، وبقى عليها لحوم رقيقة طيبة ، فتكسر وتطبخ ، ويؤكل ما على العظام من لحم دقيق ، وتُتَمشَّشُ العظام ، ولحمُها من أطيب اللُّحمان عندهم

(٣) فى الأصل : « عليه »

(٤) كل فِناء أو مكان تحبس فيه الإبلُ أو الغنم يسمى « مربداً »

ابني عمرو — وكانا يتيمين في حِجْر أسعد بن زُرارة — بعشرة دنانير . وفي الصحيح أن بني النَّجّار بَذَلوه لله تعالى فبناه مسجدَه المعروفَ الآن بالمدينة . وبنى الحُجَر لأزواجه بجانب المسجد وجعلها تِسْعًا : بعضُها مَبْنِيٌّ بحجارةٍ قد رُصَّت ، وسَقْفُها من جَرِيد مُطَيَّن بطين ؛ ولكل بيت حُجْرة . وكانت حُجْرته صلى الله عليه وسلم أكْسِيةٌ من شَعَرٍ مربوطةٌ في خشب من عَرْعَر

منزل أبي بكر

ونزل أبو بكر رضي الله عنه بالسُّنْح على خُبَيْب بن إسَاف [ويقال يِساف] ابن عِنَبَة بن عمرو بن خُدَيْج بن عامر بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج [بن الأوس] (١) الأنصاريّ ، وقيل نزل على خارِجَة بن زيد بن أبي زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأَغَرّ

مقدم عليّ ومنزله

وقدم عليٌّ رضي الله عنه من مكة للنصف من ربيع الأول ورسول الله بقباء لم يَرِمْ (٢) بعدُ وقدم معه صُهَيْب . وذلك بعد ما أدّى عليّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده ، وبعد ما كان يَسيرُ الليلَ ويكمُنُ النهار حتى تفطّرت (٣) قدماه ، فاعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وبكى رحمةً لما بقدميه من الوَرَم ، وتفَل في يديه وأمرَّهما على قدميه فلم يَشْتَكِهُما بعد ذلك حتى قتل رضي الله عنه . ونزل على كُلْثوم بن الهِدْم ، وقيل على امرأة ، والراجحُ أنه نزل مع النبي صلى الله عليه وسلم

منزل عثمان

ونزل عثمان بن عفان برُقَيّة ابنةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزل سعد بن خَيْثمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يأتيهم هنالك

---

(١) زيادة لا بدّ منها لأنه من الأوس لا من الخزرج
(٢) من رامَ يريم : بَرِح وفارق ، وأكثر ما يستعمل منفياً
(٣) تَشَقَّقَتْ

بعثة زيد بن حارثة إلى مكة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ، ودفع إليهما بعيرين وخمسمائة درهم أخَذَها من أبى بكر يشتريان بها مايحتاجان إليه . وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أُرَيقط الدِّيلى ببعيرين أو ثلاثة ، وكتب إلى عبد الله بن أبى بكر أنْ يحمل أهلَه : أمَّ رومان ، وعائشة ، وأسماء . فاشترى زيدٌ بالخمسمائة ثلاثة أبعرة بقُدَيْد[١] ؛ وقدم مكة فإذا طَلْحَةُ بن عُبَيْد الله يريد الهجرة ، فقدما المدينةَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنتيه : فاطمة ، وأمّ كُلْثوم ، وبزوجته سَوْدَة بنت زَمْعة ، وبأسامة بن زيد ، وأمّه أمّ أيمن رضى الله عنهم . وكانت رُقَيّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد [هاجَرَ][٢] بها عثمان رضى الله عنها قبل ذلك . وحبس أبو العاصى[٣] زوجتَه زَينبَ بنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخرج مع زيد وأبى رافع عبدُ الله بن أبى بكر بعيال أبى بكر رضى الله عنه

موادعة يهود

ووادَع[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم من بالمدينة من يَهُود ، وكتب بذلك كتاباً . وأسلم حَبْرُهم عبد الله بن سَلَام[٥] بن الحارث ، وكفرَ عامَّتهم وهم ثلاث فرق : بنو قَيْنُقاع ، وبنو النَّضِير ؛ وبنو قُرَيْظة

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار — وقد أتَتْ لهجرته ثمانية أشهر — فكانوا يتَوارثون بهذا الإخاء فى ابتداء الإسلام إرْثاً مُقَدَّماً على القرابة . وكان الذين آخى بينهم تسعين رجلا : خمسة وأربعين من

---

(١) قُدَيد : موضع قرب مكة

(٢) مطموسة فى الأصل

(٣) أبو العاصى بن الربيع بن عبد العزّى ، وخديجة خالتُه ، أمّه هالة بنت خويلد

(٤) فى الأصل : « وأودع »

(٥) فى الأصل « سالم » . وقد ذكره قبل (٧٨) أسلم بقباء

المهاجرين ، وخمســة وأربعين من الأنصار ؛ ويقال خمسين من هؤلاء ، وخمسين من هؤلاء ؛ ويقال إنه لم يبق من المهاجرين أحدٌ إلا آخَى بينه وبين أنصاريّ . وقال ابن الجوزى : « وقد أحصيتُ جملة من آخَى النبيُّ بينهم ، فكانوا مائة وستة وثمانين رجلا » ذكرهم فى كتاب التلقيح (١) . وكانت المؤاخاة بعد مَقْدمه بخمسة

نسخ توارث المؤاخاة

أشهر ، وقيل بثمانية أشهر ؛ ثم نُسِـخ التوارثُ بالمؤاخاة بعد بَدْر . ونزل تمام الصلاة أربعاً بعد شهرٍ من مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ فتمت

فرض الزكاة

صلاة المُقيم أربعاً بعدما كانت ركعتين ، وأُقِرّت صلاة المسافر ركعتين . وفُرِضت الزكاة أيضاً — رفقاً بالمهاجرين رضى الله عنهم — فى هـذا التاريخ كما ذكره أبو محمد بن حزم ، وقال بعضهم إنه أعياه فرضُ الزكاة متى كان

تحوُّله من بيت أبى أيوب إلى حُجَره

وتحوّل صلى الله عليه وسلم من منزل أبى أيوب رضى الله عنه إلى حُجَره لما فرغتْ ، بعد إقامته عنده سبعة أشهر . وخط لأصحابه فى كل أرض ليست لأحد ، وفيما وهَبَتْ له الأنصار من خططها ؛ وأقام قوم من المسلمين — لم يمكنهم البناء — بقُبَاء على مَنْ نزلوا (٢) عنده

زواجُه عائشة

وبَنَى بعائشة رضى الله عنها بعد مَقْدمه بتسـعة أشهر ، وقيل بثمانية أشهر ، وقيل بثمانية عشر شهراً ، فى يوم الأربعاء من شوال ، وقيل فى ذى القعـدة ،

الأذان للصلوات

بالسُّنْح فى بيت أبى بكر . وأُرِى(٣) عبد الله بن زيد بن ثَعْلبة بن عبدِ رَبِّه [الأَذَان للصَّلوات] (٤) ؛ وقيل كان ذلك فى السنة الثانية

(١) فى الأصل : « التنقيح » . و« اسمه تلقيح فهوم أهل الأثر » ، طبع فى الهند (دهلى)

(٢) فى الأصل : « ما نزلوا »

(٣) فى الأصل : « دارى »

(٤) زيادة لابد منها ، وانظر (ابتداء الأذان للصلوات) فى ابن هشام ج ١ ص ٣٤٦

تمام الصلاة

وبعد شهر من مقدمه المدينة زِيدَ فى صلاة الحَضَر لاثنتى عشرة خلت من ربيع؛ قال الدُّولابىّ يوم الثلاثاء، وقال السُّهَيْلِىّ بعد الهجرة بعام أو نحوه

فرضُ القتال

ولما استقرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بين أظهُرِ الأنصار رضى الله عنهم وتكفَّلوا بنصره ومَنْعه من الأسود والأحمر، رَمَتْهُم العرب قاطبةً عن قَوْس واحدة وتعرّضوا لهم من كل جانب. وكان الله عز وجل قد أذن للمسلمين فى الجهاد بقوله تعالى «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللّٰهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» (الحج : ٣٩) فلما صاروا إلى المدينة، وكانت لهم شَوْكة وعَضُد، كَتَب الله عليهم الجهاد بقوله سبحانه «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (البقرة : ٢١٦) (١)

أول لواء عُقِد بعد فرض القتال

وكان أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم — على رأس سبعة أشهر من مقدمه المدينة — لعمِّه حمزة بن عبد المطلب على ثلاثين راكبا، شطرين: خمسة عشر من المهاجرين، وخمسة عشر من الأنصار، إلى ساحل البحر من ناحية العِيصِ (٢). [وقيل لم يَبْعث صلى الله عليه وسلم أحداً من الأنصار حتى غزا بنفسه إلى بدرٍ، وذلك أنّه ظنّ أنهم لن ينصروه إلا فى الدّار، وهو الثَّبْتُ] (٣) فبلغوا سِيفَ البحر يعترضون عِيراً لقريش قد جاءت من الشام تريد مكة، فيها أبو جهل فى ثلاثمائة راكب. فالتقَوْا واصطفُّوا للقتال، فمشى بينهم مَجْدِىُّ بن عمرٍو [الجهنىّ] (٤)

سَرِيّة حمزة إلى سِيفِ البحر

(١) فى الأصل: «خير لكم» الآية

(٢) العِيص: موضع فى بلاد بنى سُليم من ناحية ذى المَرْوَة على ساحل البحر، وهى طريقُ قريش التى كانوا يأخذون منها إلى الشام

(٣) بسكون الباء: الثابت الصحيح

(٤) زيادة وإيضاح

حتى انصرف الفريقان بغير قتال ، وعاد حمزة رضى الله عنه بمن معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما حَجَز بينهم مجدىٌّ ، وأنهم رأوا منه نَصَفَةً (1) .

[وقدم رهط مَجْدِىّ على النبى صلى الله عليه وسلم فكساهم وذكر مجدىّ بن عمرو فقال : إنَّه — ما علمتُ — مَيْمُون النَّقِيبة(2) مباركُ الأمر ، أو قال رَشيدُ الأمر].

وكان لواء حمزةَ أبيضَ ، يحمله أبو مرثد كَنَّازُ(3) بن حُصَيْن ، ويقال ابن حصن ابن يَرْبوع بن عَمْرو بن يَرْبُوع بن خَرَشَة بن سَعْد بن طَرِيف الغَنَوىّ

سريّة عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ

ثم عَقَدَ لِواءً أبيضَ لعُبَيْدة بن الحارث بن المُطَّلب بن عبد مناف وبعثه ، وهو أسفل ثنية المَرَة(4) ، على رأس ثمانية أشهر فى شوال ، فحمل اللواء مِسْطَح ابن أُثَاثَة بن عَبَّاد بن المطَّلِب بن عبد مناف . فخرج فى ستين راكبا من قريش كلهم من المهاجرين ، فلقى مِكْرَز بن حفص ، وقيل عِكْرِمة ابن أبى جهل ، وقيل أبا سفيان صَخْر بن حرْب بن أُمَيَّة بن عَبد شمس بن عبدِ مَناف على ماء يقال له أحيَاء من بطن رَابغ ، وأبو سفيان فى مائتين

أول من رمى فى الإسلام بسهم

وكان أوَّلَ من رَمَى فى الإسلام بسهمٍ سعدُ بن أبى وقاص رضى الله عنه : نَثَر كِنانته وتقدم أمام أصحابه وقد ترّسوا عنه فرمى بما فى كنانته ، وكان فيها عشرون سهما ؛ ما منها سهمٌ إلا ويَجْرح إنسانا أو دابةً . ولم يكن بينهم يومئذ إلا هذا ، لم يسُلُّوا سيفا . ثم انصرف كل منهما ، وفرّ يومئذ من الكفار إلى المسلمين : المِقدادُ بن الأسود الكِنْدِىّ ، وعُتْبة بن غَزْوان . وقيل إن لواء عُبَيْدة(5) هذا هو أولُ لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) إنصافاً
(2) مبارك الرأى حسنه
(3) فى الأصل : « كعاد »
(4) فى الأصل : « المراة »
(5) فى الأصل : « أبى عبيدة »

سرّية سعد بن أبي وقاص إلى الخرّار

[ثم عقد][(١)] صلى الله عليه وسلم لواء لسعد بن أبي وقّاص إلى الخَرّار [(٢)] حمله أبو مَعْبَد المِقداد بن عَمرو بن ثَعْلبة بن مالك بن ربيعة بن ثُمامة بن مَطْرود ابن عمرو بن سَعد البَهْرانِي [(٣)] [وهو المقداد بن الأسود ، نُسبَ إلى الأسود بن عَبْد يَغُوث بن وهب بن عبد مناف لأنه كان تَبنّاه] فخرج فى ذى القعدة على رأس تسعة أشهر فى عشرين أو أحد وعشرين رجلا من المهاجرين على أقدامهم ؛ وقيل بل كانوا ثمانية . فكانوا يكمنونَ النَّهارَ ويسيرون الليلَ حتى صَبَّحوا صُبْح خمسٍ الخَرّار [(٤)] من الجُحْفَة قريبا من خُمٍّ ، يريدون عِيرَ قريش ففاتَتْهم . وقد جعل الواقدىّ هذه السرايا جميعَها فى السنة الأولى من الهجرة ، وجعلها محمد بن إسحاق فى السنة الثانية ، وجعل غَزْوة وَدّان بعد سرية سعد بن أبى وقاص

غزوة رسول الله وَدّان ـ الأبواء

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم [وَدّان] [(٥)] وهو جبل بين مكة والمدينة ، وبينه وبين الأبواء ستة أميال . فخرج فى صفر على رأس أحد عشر شهراً يعترض عيراً لقُرَيْش ، واستخلف على المدينة سَعْد بن عبادة رضى الله عنه ، فبلغ الأَبْواء فلم يلق كيداً . فوادع بنى ضَمرة [بن بكر] [(٦)] بن عبد مَناة بن كنانة مع سيدهم مَخْشِيّ [(٧)] بن عَمْرو — على ألا يُكثّروا عليه ولا يعينوا عليه أحداً ، وكتب بينه وبينهم [(٨)] كتابا ورجع . فكانت غيبته خمس عشرة ليلة . ويقال لهذه أيضا غَزاة الأَبْواء ، وهى أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه . وكان

---

(١) بياض بالأصل
(٢) فى الأصل : « الحزا » ، والخرار موضع بناحية المدينة بالحجاز
(٣) نسبة إلى « بهراء » على غير قياس ، ويقال بهراوى أيضاً
(٤) فى الأصل : « الحرار »
(٥) بياض بالأصل
(٦) زيادة من ابن هشام ج ١ ص ٤١٥
(٧) فى الأصل : « مجدى » ، وانظر ابن هشام ج ١ ص ٤١٦ وابن سعد ج ٢ ص ٣
(٨) فى الأصل : « وبينه »

لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغَزَاة أبيضَ يحملُه حَمْزة رضى الله عنه .

زواج على فاطمة بنت رسول الله

وفى صفر هذا زوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمّه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بابنته فاطمة عليها السلام

غزوة بُواط

ثم كانت غزاة بُواط من ناحية رَضْوى ، فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً [من مُهاجَره](١) ؛ فخرج صلى الله عليه وسلم يعترض عِيراً لقريش فيها أميَّةُ بن خلف ومائةُ رجل من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير . وخرج معه صلى الله عليه وسلم مائتان من أصحابه ، وحمل لواءه سعدُ بن أبى وقاص ، واستخلف على المدينة سَعد بن مُعاذ ، وقيل السّائب بن عثمان بن مَظْعون ، ورجع ولم يَلْقَ كيداً .

غزوة سَفوان وهى بدر الأولى

ثم خرج صلى الله عليه وسلم ، فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً [من مُهاجره](١) فى طلب كُرْز بن جابر الفِهْرِىّ — وقد أغارَ على سرْح المدينة ؛ وكان يرعى بالجَمَّاء ونواحيها — حتى بلغ واديا يقال له سَفَوان من ناحية بَدْرٍ ولم يدركه ، وهى بَدْرٌ الأولى . وكان يحمل اللواء علىٌّ رضى الله عنه ، وخَلَفَه على المدينة زَيْد بن حارثة ، ويقال كانت سَفَوان بعد العُشَيْرة بنحو عشر ليال

غزوة العُشَيرة

[ثم غزا غزوة](٢) العُشَيْرة(٣) فى جمادى الآخرة ، ويقال جمادى الأولى على رأس ستة عشر شهراً [من مُهاجره] .(٤) خرج صلى الله عليه وسلم يعترض عِيراً لقريش حين أبْدَأت(٥) إلى الشأم ، ومعه خمسون ومائة رجل ، ويقال خرج معه

(١) زيادة للإيضاح
(٢) بياض بالأصل
(٣) ويقال : « غزوة ذى العشيرة » أيضاً
(٤) زيادة للإيضاح
(٥) فى الأصل : « أبدت » . يقال : « بدأ من أرض إلى أرض أخرى ، وأبدأ » : خرج منها إلى غيرها

مائتا رجل ، يعتقبون ثلاثين بعيراً . واستخلف على المدينة أبا سَلَمة بن عبد الأسد ؛ وحمل اللواء حمزةُ . وكان قد جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر بفُصول[1] العير من مكة تريد الشأم ، قد جمعت قريشٌ أموالَها فى تلك العِير . فبلغ صلى الله عليه وسلم ذا العُشَيْرة[2] ببطن ينبُع ، فأقام بقية الشهر وليال مما بعده ، وصالح بنى مُدْلج وحلفاءهم بنى ضَمْرة ورجع ولم يَلق كيداً . وهذه العير هى التى خرج فى طلبها صلى الله عليه وسلم لما عادت ، وكانت وقعةُ بدر

تكنية على بن أبى طالب أبا تراب

وفى هذه السَّفرة كَنَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه أبا تراب ، فى قول بعضهم ، وقد مر به نائماً تَسْفى عليه الريح الترابَ فقال : قم يا أبا تراب ؛ أَلَا أُخْبرك بأشقَى الناس أجمعين : عاقرُ النَّاقة ، والذى يَضرِبُك على هذا فيَخْضِبُ هذه ! [يعنى على رأسك فيخضب لحيتَك بدمك] . وفى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده فى المسجد نائماً وقد تَرِبَ جَنْبُه فجعل يَمْسَحُ[3] التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تُرَاب

سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة

ثم كانت سريّةٌ أميرُها عبد الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمُر بن صَبِرة بن مُرّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خزيمة الأسدىّ إلى بطن نخلة [وهو بستان ابن عامر الذى بقرب مكة] فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً . دعاه صلى الله عليه وسلم حين صلى العشاء فقال : وافِ مع الصُّبح معك سلاحك أَبْعَثْكَ وَجْها ؛ قال : فوافَيْتُ الصبحَ وعلىَّ سَيْفى وقَوْسى وجَعبتى ومعى دَرَقتى ، فصلى النبى صلى الله عليه وسلم بالناس الصبح ثم انصرف ، فيجدُنى قد سَبَقْت واقفاً

(١) مصدر قولهم : « فصل فلان من عندى ، إذا خرج »
(٢) فى الأصل : « العشراء »
(٣) فى الأصل : « يحت »

عند بابه ، وأجد نفراً من قريش . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أُبَيّ بن كعب فدخل عليه فأمره فكتب كتابا ، ثم دعانى فأعطانى صحيفةً من أديمٍ خَوْلانىّ فقال : قد استعملتُك على هؤلاء النفر ، فامضِ ، حتى إذا سرْت ليلتين فانشر كتابى ثم امْضِ لما فيه ؛ قلت : يا رسول الله أىَّ ناحية ؟ قال : اسلُك النَّجْدِيَّةَ تَوَمَّمْ(١) رُكْبَة(٢) . فانطلق عبد الله فى ثمانية — وقيل اثنى عشر من المهاجرين — كل اثنين يَتَعاقبان بعيراً ، حتى إذا كان ببئر ابن ضميرة نشر الكتاب فإذا فيه : سرْ حتى تأتى بطن نَخْلة على اسم الله وبركاته ، ولاتُكرِهَنَّ أحداً من أصحابك على المسير معك ، وامضِ لأمرى فيمن تبعك حتى تأتى بَطْن نخلة على اسم الله وبركاته ، فترصَّدْ بها عِير قريش . فلما قرأه عليهم قالوا أجمعين : نحن سامِعون مُطيعون لله ولرسوله ولَكَ ، فسِرْ على بركة الله . فسار حتى جاء نخلةَ فوجد عيراً لقريش فيها عمرو بن الحضرمىّ خارجا نحو العراق ، والحَكَمَ بن كَيْسان المخزومىّ ، وعُثمان بن عبد الله بن المُغيرة المخزومىّ ، ونَوْفَل بن عبد الله ابن المغيرة المخزومى ، فهابهم أصحابُ العير ، وأنكروا أمرهم ، فحَلَقَ عُكَّاشَةُ ابن مِحْصن بن حُرْثان بن قيس بن مُرَّة بن كبير بن غَنْم بن دُودَان بن أَسَد(٣) بن خُزَيْمة الأسدىّ [حَلَقَهُ عامر بن ربيعة] ثم وافَى لِيُطَمْئِنَ القوم . فقال المشركون : لا بأس ! قومٌ عُمَّار(٤) ؛ فأمِنوا وقيَّدوا رِكابَهم وسرَّحوها . وتَشاور(٥) المسلمون فى أمرهم — وكان آخر يوم من رجب ويقال أول يوم من شعبان — فقالوا : إن

(١) تقصد .
(٢) فى الأصل : « ركية » ، وركبة بناحية نجد
(٣) فى الأصل : « داود بن أسيد »
(٤) عمار : معتمرون يريدون زيارة البيت الحرام
(٥) فى الأصل : « فاشتور » ، وهى عامية

تأخرتم عنهم هـذا اليوم دخلوا الحُرُم(١) فامتنعوا ، وإن أصبتموهم ففى الشهر الحرام . فغلب على الأمر الذين يريدون عَرَضَ الدنيا وقاتلوهم . فرمى واقِد(٢) ابن عبد الله [بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبـة بن يَرْبوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم التميمىّ اليرْبُوعى الحنظلى] عمرَو بن الحضرمى فقتله . وشدّ القوم عليهم ، فأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وحكمَ بن كيْسان — وكان الذى أسرَ الحكمَ بن كيسان المقـدادُ بن عمرو ، فدعاه رسول الله إلى الإسلام فأسلم وقتل ببئر مَعونةَ شهيداً . وأعجزهم نَوْفَل بن عبد الله بن المغيرة . واستاقوا العِـير — وكانت محملة خَمرا وأَدَما وزبيبا — حتى قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم . فقالت قريش : قد استحل محمد الشهرَ الحرام . فأوقف النبى صلى الله عليه وسلم العِيرَ فلم يأخُذْ منها شيئاً ، وحبَسَ الأسيرين وقال لأصحـابه : ما أمرتكم بالقتال فى الشهر الحرام ؛ فسُقِطَ فى أيديهم وظنُّوا أنْ قد هلـكوا . وبعثتْ قريش إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى فداء أصحابهم فقال : لن نَفْدِيَهما حتى يَقْدَمَ صاحبانا ؛ يعنى سعد بن أبى وقَّاص ، وعُتْبة ابن غزْوان بن جابر بن وهب بن نسيب(٣) بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف [ابن الحارث(٤)] بن مازن المازنى ، وكانا زميلين ، فضَلَّ بِبَحْران(٥) [وهى ناحية مَعْدن بنى(٦) سليم] بعيرُهما ، فأقاما يومين يَبْغِيانه فلم يشهدا نخلة . ثم قَدِما المدينة ففادى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ الأسيرين بأربعين أوقية لـكل واحد

(١) أى الأشهر الحرم
(٢) فى الأصل : « وافد »
(٣) فى الأصل : « لسيب »
(٤) زيادة من نسبه
(٥) فى الأصل : « بحران »
(٦) فى الأصل : « ابن »

وكان عبد الله بن جَحْش قد قسم فى رجوعه من نَخْلَةَ أربعة أخماس ما غنم بين أصحابه ، وعزَلَ الخُمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان أوّل خُمْس خمِّس فى الإسلام ، وأوّل غنيمة ، وأوّل قتيل ، وأوّل أسير كان فى الإسلام .

أول خمس، وأول غنيمة وأول قتيل، وأول أمير

ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وَقَفَ غنائمَ أهل نخلةَ حتى رجَع من بَدْر فقسَمها مع غنائم أهل بدر ، وأعطى كل قوم حقهم

وفى هذه الغزاة نَزَل قول الله تعالى « يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ ٱللهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ، وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُوا ، وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ، وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (البقرة : ٢١٧) (١)

ويقال وَدَى (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحَضْرَمىّ ، والصحيح أنه لم يَدِه

أوّل من سُمّى أمير المؤمنين فى الإسلام

وفى هذه السريّة سُمّى عبدُ الله بن جَحْش أميرَ المؤمنين

وذَكَرَ أبو بكر بن أبى شَيْبَةَ فى مصنَّفه : حدثنا أبو أُمامة ، عن مُجالِد ، عن زياد ابن عِلَاقة (٣) ، عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال (٤) : لمّا قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ جاءتْ جُهَيْنة فقالت : إنّك قد نزلت بين أَظْهُرنا فأَوْثِقْ

(١) فى الأصل : « قتال فيه كبير » الآية

(٢) أى دفع ديته

(٣) حديث زياد عن سعد بن أبى وقاص حديث مرسل لأنه لم يدرك سعداً ، وقد مات سنة ١٣٥ وقد قارب المائة

(٤) ونقله عبد الله بن أحمد بن حنبل ، فى مسند أبيه ج ١ ص ١٧٨ من خط أبيه ، وسنذكر بعد اختلاف الرواية إذا اختلف بها المعنى

لنا حتى نَأْمَنَك[1] وتأْمَننا ؛ فأَوْثَقَ لهم ولم يُسْلموا[2] . فبعَثَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى رجب — ولا نكونُ مائةً — وأمرنا أن نُغيرَ على حيٍّ من كنانة إلى جَنْب جُهَيْنَة . قال : فأَغَرْنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأْنا إلى جُهَينة [فمنَعُونا][3] وقالوا : لِمَ تُقَاتِلون فى الشَّهر الحرام ؟ فقلنا : إنما نُقَاتل من أخرجَنا من البَلَد الحَرَام فى الشَّهر الحرام ، فقال بعضُنا لبعضٍ : ما ترون ؟ فقالوا : نأْتِي رسول الله فنُخْبِرُه ، وقال بعضنا : لا بل نُقيمُ هُهُنَا ، وقلت أنا ، فى أُناسٍ معى : لا بل نأْتى عيرَ قُرَيش هذه فنصيبُها[4] ؛ فانطلقنا إلى العِير [— وكان الفَيْء إذْ ذاك : مَنْ أَخَذَ شيئاً فهو له — فانْطَلَقنا إلى العِير][5] وانطلق أصحابنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر ، فقام غَضْبَانَ مُحْمَرًّا وجْهُه فقال : أَذَهَبْتُمْ[6] من عندى جميعاً وجئتم متفرِّقين ! إنما أَهْلَكَ من كان قبلكم الفُرْقَةُ . لأَبْعَثَنَّ عليكم رجلًا ليس بخَيْرِكم ، أَصْبَرُكم على الجُوع والعَطَش . فبعث علينا عبدَ الله بن جَحش الأَسَدىّ فكان أوّل أمير [أُمِّرَ][7] فى الإسلام

أول مانسخ من الشريعة «تحويل القبلة» من بيت المقدس إلى الكعبة

وفى شعبان على رأس ستة عشر شهراً ، وقيل على رأس سبعة عشر شهراً ، حُوِّلت القبلةُ من بيت المقدس إلى الكَعْبة . فكان أوّلَ شىء نُسخ من الشريعة القبلةُ ، وأوّلَ من صلَّى إليها أبو سعيد رافع ، ويقال الحارث ، ويقال أوس بن المُعَلَّى بن نُفَيع بن المُعَلَّى بن لَوْذَان بن خالد بن زيد بن ثعلبة الزُّرَقِىّ الأنصارى

---

(١) فى المسند : « نأتيك »
(٢) فى المسند : « فأسلموا »
(٣) زيادة لا بُدَّ منها . من حديث المسند
(٤) فى المسند : « فنقتطعها »
(٥) زيادة موضحة عن حديث المسند
(٦) فى الأصل : « ذهبتم » ، ونقلناه من المسند
(٧) زيادة من المسند

وصاحب له(١) . ثم صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر إليها يومئذ . ويقال حُوِّلت القبلةُ فى يوم الاثنين النصف من رجب بعد زَوال الشمس ، قبل قِتالِ بَدْرٍ بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سَلِمَة(٢) ، وقد صلَّى بأصحابه من صلاة الظهر ركعتين ، فتحوّل فى صلاته واستقبل الميزاب من الكعبة ، وحوّلَ الرجالَ مكانَ النساء والنساء مكانَ الرّجال ، فسُمِّى المسجد « مسجد القِبْلَتَيْن » . ويقال صُرِفَتْ فى الظهر من يوم الثلاثاء للنصف من شعبان سنة اثنتين فى منزل البراء بن مَعْرور ؛ وقيل صُرِفت فى صلاة الصبح

فرض صيام رمضان وزكاة الفطر

وفى شعبان هذا فُرِض صومُ رَمَضان وزكاةُ الفِطْر قبل العيد بيومين ؛ وقال ابن سعد : قبل فَرْض زكاة الأموال ؛ وقيل إنّ الزكاة فُرِضت فيها ؛ وقيل قبل الهجرة . وكان المسلمون يصُومون عاشوراء فلما فُرِض رمضان لم يُؤْمَروا بصيام عاشوراء ولم يُنْهَوْا عنه

غزوة بدر الكبرى

مافيها من دلائل النبوّة

وفى شهر رمضان هذا كانت غزوةُ بدر . وهى الوَقْعة العظيمة التى فرّق الله تعالى فيها بين الحقّ والباطل ، وأعزَّ الإسلامَ ودمَغَ الكفر وأهله ، وجَمعت الآيات الكثيرةَ والبراهينَ الشهيرة : بتحقيق الله ما وَعَدَهم من إحدى الطائفتين ؛ وما أخبَرَهم به من مَيْلهم إلى العِير دون الجيش ؛ ومجيءُ المطر عند الالتقاء — وكان للمسلمين نعمةً وقوّةً وعلى الكفار بلاء ونِقْمة ؛ وإمدادُ الله المؤمنين بجُنْدٍ من السماء حتى سَمِعوا أصواتَهم حين قالوا : أَقْدِمْ حيزُوم ؛ ورأوا الرءوسَ ساقطةً من الكواهِل من غير قَطْع ولا ضَرْب ؛ وأثرَ السياطِ فى أبى جَهْل وغيره ؛ ورمْىُ الرسول صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصى والتراب حتى عمّتْ رَمْيَتُه الجَمْع ؛

(١) لم أجد فيما بين يدىَّ أنه أوّل من صلى إلى الكعبة

(٢) فى الأصل : « سليمة »

وتقليلُ الله المشركين فى عيون المسلمين ليُزِيلَ عنهم الخوفَ ويشجّعهم على القتال؛ وإشارةُ المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى مصارعِ المشركين بقوله: هـذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، فرأى المسلمون ذلك على ما أشار إليه وذكره؛ وقوله عليه الصلاة والسلام لعُقْبَة بن أبى مُعَيطٍ: إنْ وجدتُك خارجَ جبال مكة قتلتُك صَبْرًا[١] فحقّق الله ذلك؛ وإخْبَارُه عمّه العباسَ بما استودَعَ أمّ الفضل من الذّهب فزالت عن العبّاس رضى الله عنه الشُّبهةُ فى صدقه وحقيقة نبوّته، فازداد بصيرةً ويقيناً فى أمره صلى الله عليه وسلم؛ وتحقيقُ الله للمؤمنين [من الأسْرَى][٢] وَعْدَه إذ يقول: « إِنْ يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ » (الأنفال: ٧٠)؛ فأعطى العبّاسَ بدلَ عشرين أوقية — عشرين غلاماً تجرُوا بماله؛ وإطلاعُ الله تعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم على ائتمار عُمَيْر ابن وَهْب وصَفْوان بن أُمَيّة بمكة على قتله عليه السلام فعصمه الله من ذلك، وجعله سبباً لإسلام عُمَيْر بن وهب وعوده إلى مكة داعياً للإسلام ....؛ إلى غير هذا من الآيات والمعجزات التى أعطاها الله تعالى الرسولَ صلى الله عليه وسلم، وأراها من معه من المؤمنين فزادتهم بصيرةً ويقيناً؛ وردُّ عين قَتَادة بعدما سالت على حدَقَته؛ وقيل كان ذلك فى وقعة أُحد. فكانت غزوةُ بدر أكرمَ المشاهد

أول الخروج إلى بدر

وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تحيّن انصرافَ العِير التى خرج من أجلها إلى العُشَيْرَة وإقبالَها من الشام، نَدَب أصحابَه للخروج إلى العير وأمرَ من كان ظَهْرُه[٣] حاضراً بالنّهوض، ولم يحتفلْ لها احتفالاً كبيراً. وكان قد بعث

(١) يُقال للرجل إذا أمسك على الموت فقدّم ليُضربَ عنقه « قُتل صبْراً » أى قتل « مقبوضاً عليه » فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ

(٢) هذه زيادة لإيضاح لا بُدّ منها فإنّ الآية نزلت فى العباس وأصحابه من أسرى بدر وأوّلها « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى ... »

(٣) ما يركبه

طَلْحَة بن عُبَيْد الله بن عثمان بن عَمْرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة القرشيّ التيميّ ، وسَعِيد بن زَيْد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رِيَاح بن عبد الله ابن قُرْط بن رِزَاح بن عدىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ القرشيّ العدوىّ قبل خروجه من المدينــة بعشر ليال يتَحَسَّسان(١) خبَرَ العِير فبلغا التَّجبار(٢) من أرض الحَوْراء فنزلا على كشد(٣) الجُهَنِىّ فأجارهما وأنزلهما وكتم(٤) عليهما حتى مرت العير ، ثم خرج بهما يَخْفِرُهما حتى أوردها ذا المَرْوة ؛ فقدما المدينةَ لِيُخْبِرَا رسولَ الله خبرَ العدوّ فوجَدَاه قد خرج . وكان قد نَدَب المسـلمين وخرج بمن معه يوم السبت الثانى عشر من رمضان بعد تسعة عشر شهراً من مهاجره . [وقيل خرج لثمان خلَوْن من رمضان وذلك بعــد ما وجَّه طلحةَ بن عبيد الله وسعيدَ بن زيد بعَشر ليال] فخرج معه المهاجرون وخرجتِ الأنصارُ ولم يكن غزا بأحدٍ منهم قبل ذلك . فنزل بالبُقْع [ويقال لهـا بئر أبى عِنَبَة ، وهى على ميلٍ من المدينة] والتقيا على أربع مراحل من المدينة ، وهى بيوت السُّقْيَا ، يوم الأحد لثنتى عشرة خلت من رمضان . فضرب عسكره هناك وعرض المقاتِلَة(٥) ، فردَّ عبدَ الله بن عمرو ، وأُسامةَ بن زيد ، ورافع بن خَدِيج بن رافع بن عَدِىّ بن زيد بن جُشَم الأنصارىّ الخزرجىّ(٦) ، والبَرَاء بن عازب بن حارث بن عدِىّ بن جُشَم بن مجدعة(٧) بن

عَرْض المُقاتِلة وردّ الصغار

(١) فى الأصل : « يتجســان » ، والأجود ما أثبتناه ، ومعناه : يتسمّع

(٢) هكذا هى فى ابن سعد ج ٢ ص ٦ ، ولم أجده فى مظانه ، والحوراء لعلها هى التى كانت مرفأ سفن مصر إلى المدينة

(٣) هكذا هو بالشين والدال فى الأصل ، وفى الإصابة بالسين المهملة ، وفى أسد الغابة بالشين والذال المعجمتين

(٤) فى الأصل : « وكتمه »

(٥) فى الأصل : « المقابلة »

(٦) هذا خطأ ، فإنه أوسىّ ليس بخزرجىّ ، فإن جشم هو ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس

(٧) قال فى الإصابة : « ولم يذكر ابن الـكلبى فى نسبه « مجدعة » وهو أصوب »

حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصارى [الأوسى] (١) الحارثى ، وأُسَيْدَ بن حُضَيْر ابن سِمَاك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زَيْد بن عبد الأشهل الأنصارى الأشهلى ، وزَيْد بن أرْقم بن زيد بن قَيْس بن النُّعْمان بن مالك الأغرّ الأنصارى الخزرجىّ ، وزيد بن ثابت بن الضَّحَّاك بن زيد بن لَوْذَان بن عمرو بن عبد عَوْف ابن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار الأنصارى النجارى ، ولم يُجزهم . وعرض عُمَيْر بن أبى وقَّاصٍ فاستصغره فقال : ارجعْ ، فبكى فأجازه . فقُتِل ببدرٍ وهو ابن ستّ عشرة سنة

دعاؤه لأهل المدينة وتحريم حرمها

وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يَسْتَقوا من بئر السُّقْيا وشَرب من مائها ، وصلى عند بيوت السقيا ، ودعا يومئذٍ لأهلِ المدينة فقال : اللّهمّ إنّ إبراهيمَ عَبْدَكَ وخليلك ونبيّك دعاكَ لأهل مكة ، وإنّى محمدٌ عبدُك ونبيُّك أدعوكَ لأهل المدينةِ أن تُبارِكَ لهم فى صَاعِهم ومُدِّهم (٢) وثمارِهم ؛ اللّهمّ وحبِّب إلينا المدينةَ واجعلْ ما بها من الوَباء بخُمّ (٣) ؛ اللّهمّ إنى حرّمْتُ ما بين لابَتَيْها كما حرَّمَ إبراهيمُ خليلُك مكة

عيونه ، وخروج المسلمين إلى المشركين

وقَدَّمَ صلى الله عليه وسلم عَدِىَّ بن أبى الزَّغْبَاء سِنان بن سُبَيْع بن ثَعْلبة بن ربيعة الجُهَنِىّ ، وبَسْبَسَ بن عمرو بن ثَعْلبة بن خَرَشَة بن عمرو بن سَعْد بن ذُبْيان الذُّبْيانى [الجُهَنِىّ] (٤) من بيوت السُّقْيا . واستَخْلَفَ على المدينة وعَلَى الصَّلاة عبد الله بن أُمّ مكتوم ؛ وراح عشيةَ الأحد من بيوت السقيا ، وخرج المسلمون

---

(١) زيادة للإيضاح

(٢) الصاعُ والمدّ : من مكاييلهم

(٣) خمّ : واد بين مكة والمدينة عند الجحفة وهو يصبّ فى البحر ، وبه غدير خمّ ، وهو موصوف بالوخامة

(٤) زيادة للإيضاح

معه وهم ثلاثمائة وخمسة . ويقال كانت قريش ستة وثمانين رجلًا ، والأنصار مائتين وسبعة وعشرين رجلًا ؛ وقيل كانت قريش ثلاثة وسبعين رجلًا ، والأنصار أربعين ومائتى رجل ؛ وتخلّف عنه ثمانيةٌ ضربَ لهم بسهامهم وأجورِهم

هذا حديث رواه محمد بن حرب، حدثنا اللَّيْث بن سعد ، عن سعيد بن أبى سعيد المَقْبُرِىّ ، عن عمرو بن سُلَيْم الزُّرَقِىّ ، عن عاصم بن عمر ، وعن علِىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنَّا بالسُّقْيَا التى كانت لسعد بن أبى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائْتُونى بوَضُوء ، فلمّا توضَّأ قام فاستقبلَ القبلةَ ثم كبَّرَ ثم قال : اللّهمَّ إنّ إبراهيمَ عبْدَك وخليلَك دعاكَ لأهلِ مكةَ بالبَرَكة ، وأنا محمدٌ عبدُك ورسولُك أدعوك لأهل المدينة أن تُبَارِكَ لهم فى مُدِّهم وصَاعهم مِثْلَ ما باركتَ لأهل مكةَ مع البَرَكةِ بَرَكتَيْنِ

قِلّة الظَّهْر يوم بدر ودعاؤه للمقاتِلة

وكانت الإبل سبعين بعيراً ، فكانوا يتعاقَبُون الإِبل — الاثنين والثلاثة والأربعة — فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وعلِىُّ بن أبى طالب ، ومَرْثَدُ بن أبى مَرْثَد ، ويقال زيد بن حارثة مكان مرثد ، يتعاقبون بعيراً واحداً . وحمل سعدُ بن عُبادة على عشرين جملًا . وقال صلى الله عليه وسلم حين فَصَل[1] من بيوت السُّقْيا : « اللّهمَّ إنَّهُمْ حُفَاةٌ فاحملهم ، وعُراةٌ فاكْسُهُم ، وجِيَاعٌ فأشْبِعْهم ، وعالةٌ[2] فأغْنِهم من فضلك » . فما رجع أحدٌ منهم يريد أن يركب إلا وَجَد ظَهْرًا ؛ للرَّجُل البعيرُ والبعيران ، واكتسى من كان عاريًا ، وأصابوا طعاماً من أزْوَادهم[3] ، وأصابوا فِداءَ الأسْرَى فاغْتَنَى به كلُّ عائل

(١) فصل : خَرَجَ ورحل
(٢) العالة ، جمع عائل : وهو الفقير
(٣) الأزوادُ جمع زاد ، وهو طعام السَّفَر والحضر

تعبئة الجيش، وعدّه

واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المُشاة ، وهم فى السّاقة[1] ، قَيْسَ بن أبى صَعْصَعَة عمرو بن زيد بن عَوْف بن مَبْذُول ، وأمره حين فَصَل من السقْيا أن يَعُدّ المسلمين ، فوقَف لهم عند بئر أبى عِنَبَة فعَدّهم ثم أخبر النبى صلى الله عليه وسلم . وقَدّم أمامه عيْنَين له إلى المشركين يأتيانه بخبر عدوّه ، وهما : بَسْبَسَ بن عمرو ، وعَدِىّ بن أبى الزَّغْباء — وهما من جُهَيْنَة حليفان للأنصار — فانتهيا إلى ماء بَدْرٍ فعلِمَا الخَبَر ، ورَجَعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسلك من السُّقْيا بطن العَقِيق حتى نزل تحت شجرةٍ بالبَطْحَاء ، فقام أبو بكر رضى الله عنه فبنى مسجداً فصلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأصبح يوم الاثنين ببطن مَلَلٍ . وقال لسعد بن أبى وقاص ، وهو بتُرْبان : يا سعد ، انظرْ إلى الظَّبْي فَفَوِّق[2] له بسَهْم ؛ وقام صلى الله عليه وسلم فوضع ذَقْنَه بين مَنْكِبَىْ سعدٍ وأُذُنَيْه ، ثم قال : أَرْمِ ! اللّهُمَّ سدِّدْ رَمْيَتَه . فما أخطأ سَهمُ سعد عن نَحْرِ الظّبى فتبسَّم صلى الله عليه وسلم ، وخرج سعدٌ يعدُو فأخذه وبه رَمَق فذكّاه[3] وحمله حتى نزل قريباً ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقُسِّم بين أصحابه . وكان

أفراس المسلمين ببدر

معهم فرَسان ، فَرَس لمَرْثَد بن أبى مرثد الغَنَوِىّ ، وفرس للمِقْداد بن عمرو بن ثعلبة البَهْرَانى ، ويقال فرس للزُّبير ، ولم [يكن مَعَهم][4] إلا فَرَسان ؛ ولا خلاف أن المقداد له فرس يقال له « سَبْحَة » ، ويقال لفرس ابن مرثد « السَّيْل »

---

(١) الساقة من الجيش مؤخره ، كأنهم يسوقونه من ورائه ، والسائق يكون من وراء ، والقائد يكون من أمام

(٢) هذا حرف غريب ، فليس فى العربية « فوق بسهم » وإنما يقال فوّق السهمَ إذا اتخذ له فوقا وهو الموضعُ الذى يكونُ فيه الوتر من السهم . ولم أجد هذا الخبر فيا بين يدىّ من الكتب

(٣) ذكّ الصّيد : إذا ذبحه ، وقد أدركه وبه بقية من الروح يَضطرب معها

(٤) هذه زيادة لا بُدّ منها كما ترى ؛ ويريد المؤلف بقوله « ولا خلاف . . . » أنّ الخلاف لم يقع إلا فى أىّ الفرسين هو الثانى « فرس مرثد » أو « فرس الزّبير » ، وكان =

عير قريش وما فيها

ولحقتْ قريشٌ بالشام فى عيرها ، وكانت العير ألْفَ بعير فيها أموال عظامٌ ، ولم يبقَ بمكة قرشىٌّ ولا قرشيةٌ له مِثْقالٌ فصاعداً إلا بَعَثَ به فى العير ، فيقال إنّ فيها لخمسين ألْف دِينار ، ويقال أقل . فأدركهم رجُل من جُذَام بالزَّرْقاء من ناحية مَعَان[١] — وهم منحدرون إلى مكة — فأخْبرهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد كان عَرَض لعيرهم فى بَدْأتِهم ، وأنه تركه مقيماً ينتظر رَجْعَتهم ، وقد حالف عليهم أهل الطريق ووادعهم .

خوف أصحاب العير وإرسالهم إلى مكة يستنجدون

فخرجوا خائفين الرَّصَدَ ، وبعثوا ضَمْضَمَ بن عمرو حين فَصَلُوا من الشّأْم — وكانوا قد مرُّوا به وهو بالساحل معه بكْرَان فاستأجروه بعشرين مِثْقالًا — وأمره أبو سفيان صَخْرُ بن حرب بن أُميّة أنْ يخبر قريشاً أنّ محمداً قد عَرَض لِعيرهم ، وأمره أنْ يُجَدِّعَ[٢] بعيرَه إذا دخل مكة ، ويُحَوِّلَ رَحْله ، ويَشُقّ قميصَه من قُبُلِه ودُبُرِه[٣] ، ويصيحَ : الغَوْثَ الغَوْثَ ؛ ويقال بعثوه من تَبُوك . وكان فى العِير ثلاثون رجُلاً من قريش فيهم عَمْرُو بن العاص ومَخْرَمَةُ بن نوفل فلم يُرَعْ أهلُ مكة إلا وضَمْضَمٌ يقول : يا معشر قريش ، يا آل لُؤَىّ بن غالب ، اللَّطِيمة[٤] ، قد عَرَض لها محمدٌ فى أصحابه ، الغوثَ الغوثَ ، والله ما أُرَى أن تُدْرِكوها .

تأهب قريش لنجدة العير

وقد جَدَّع أُذُنَىْ بعيره ، وشق قميصه ، وحَوّل رحله ، فلم تملِكْ قريش من أَمرها شيئاً حتى نفرُوا على الصَّعْب والذَّلُول ، وتجهزوا فى ثلاثة أيام ، ويقال فى يومين ؛ وأعان قويُّهم ضعيفَهم . وقام سُهَيْل بن عمرو ، وزَمَعَةُ

= اسم فرس الزّبير ، كما ذكر ابن هشام ج ١ ص ٤٧٦ : « اليعسوب » وانظر ابن سعد ج ٢ ص ١٥

(١) الزرقاء ومعان : مكانان فى طرف الشّام تلقاء الحجاز

(٢) أى أن يقطع أذنيه ، إنذاراً بالعدّ المستأصل

(٣) هذا كله من عاداتهم فى الإنذار بالعدّ العاصف

(٤) اللطيمة : هى العير التى تحمل الطيب والمسك والثياب وحرّ المتاع ، وليس فيا تحمله طعام يؤكل

ابن الأسود ، وطُعَيْمة بن عدىّ ، وحنظلةُ بن أبى سفيان ، وعمرو بن أبى سفيان ، يَحُضُّون الناس على الخروج . فقال سُهَيل : يا آل غالب ، أتاركُون أنتم محمدا والصُّبَاةَ[1] من أهل يَثْرِب يأخذون عِيراتِكم وأموالَكُم ؟ من أراد مالا فهذا مالٌ ، ومن أراد قُوّةً فهذه قُوّة . فمدحه أميّة بن [أبى] [2] الصّلت بأبيات ، ومشى نَوْفَلُ بن مُعَاوية الدِّيلى إلى أهل القوة من قريش فكلَّمهم فى بذْل النَّفَقة والحُمْلان[3] لمن خرج ، فقال عبدُ الله بن أبى ربيعة : هذه خمسمائة دينار فضعها حيث رأيت . وأخذ من حُوَيْطِب بن عبد العُزّى مائتى دينارٍ وثلاثمائة دينارٍ قوّى بها فى السلاح والظَّهْر . وحَمَل طُعَيْمة بن عدىّ على عشرين بعيرا ، وقواهم وخَلَفَهُم فى أَهْله بمَعُونةٍ . وكان لا يتخلف أحدٌ من قريش إلا بعث مكانه بَعيثاً ؛ ومشَوْا إلى أبى لَهَب فأبى أن يخرجَ أو يبعثَ أحدًا ، ويقال إنه بعث مكانه العاص بن هِشَام بن المغيرة — وكان له عليه دَين — فقال : اخرُجْ ، ودَينى لك ؛ فخرج عنه . واستقسم أُمَيَّةُ بن خلف وعُتْبة وشَيْبَة عند هُبَل بالآمر والنّاهى من الأزْلام فخرج القِدْحُ[4] الناهى عن الخروج . وأجمعوا[5] المُقَام حتى أزْعَجَهم أبو جَهْل . واستقسم زَمَعة بن الأسود فخرج الناهى ؛ وكذلك خرج لعُمَيْر بن وهب . وخرج حَكيم بن حِزام وهو كاره لمسيره ، وقد خرج له القِدْح الناهى . فلما نزلوا مَرَّ

استقسامهم بالأزلام وكراهية الخروج إلى بدر

(١) كانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصابئ » : لأنه صبَأ ، أى خرج من دين قريش إلى الإسلام ؛ وكانوا يسمّون المسلمين « الصُّباة » كأنه جمع صاب غير مهموز ، كقاض وقضاة

(٢) زيادة

(٣) الحملان : ما يحْمل عليه من الدواب ، يقال فيما يكون هبة خاصّة

(٤) القدح : عود السهْم ليس عليه ريش ولا فيه نَصْل ، والأزلامُ جماعتها كانوا يَسْتقْسِمون بها فى الجاهلية يطيعونَ ما يخرج لهم فيها من الأمر والنهى

(٥) فى الأصل : « جمعوا » ، وأجمعوا : عزموا .

الظَّهْرانِ[١] نحر أبو جهل جُزُرا[٢] ، فكانت جَزُور منها بها حياةٌ فما بقى خِباء من أخْبِية العسكر إلا أصابه من دَمِها . وأخذ عَدَّاسٌ[٣] يُخَذِّلُ شيبةَ وعتبة ابنى ربيعة عن الخروج ، والعاصى بن مُنَبِّه بن الحجاج . وأَبَى أُمَيَّةُ بن خَلَف أن يخرجَ فأتاه عُقْبةُ بن أبى معيط وأبو جهل فعنَّفاه ، فقال : ابتاعوا لى أفْضَلَ بعيرٍ فى الوادى ؛ فابتاعوا له جملا بثلاثمائة درهم من نَعَمِ بنى قُشَيْر فغنِمه المسلمون .

رؤيا ضمضم وعاتكة بنت عبد المطلب

وما كان أحدٌ منهم أَكْرَهَ للخروج من الحارث بن عامر . ورأى ضَمْضَم بن عمرٍو أنَّ وادى مكَّة يسيلُ دمًا من أسفله وأعلاه ؛ ورأت عاتِكةُ بنت عبد المطلب رؤياها التى ذُكِرَتْ فى تَرجمتها . فكره أهلُ الرأى المسير ومشَى بعضهم إلى بعض ، فكان من أبطئهم عن ذلك الحارثُ بن عامر ، وأميَّةُ بن خلف ، وعتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعة ، وحَكيم بن حِزام ، وأبو البَخْتَرِىّ ، وعلىُّ بن أمية ابن خَلَف ، والعاص بن منبه ؛ حتَّى بكَّتهم أبو جهل بالجبن . وأعانه عقبة بن أبى معيط ، والنَّضْر بن الحارث بن كَلَدَة ، فأجمعوا المسير

خروج قريش والمطعمون فى طريقهم

وخرجت قريشٌ بالقِيانِ والدِّفاف يُغنِّين فى كُلّ مَنْهلٍ ، وينحَرون الجزُر — وهم تسعمائة وخمسون مُقاتلاً . وكان المُطْعِمون : أبو جهل ، نحر عشْرا — وأميةُ ابن خلف ، نحر تسعا — وسُهَيل بن عمرو بن عبد شمس أخو بنى عامر بن لؤى ، نَحَر عشرا — وشَيْبة بن ربيعة ، نحر عشرا — ومُنَبِّه ونُبَيْه ابنا الحجاج نحرا عشرا — والعبّاس بن عبد المطلب ، نحر عشرا — وأبو البَخْتَرِىّ العاص بن هشام ابن الحارث بن أسد ، نحر عشرا . وذكر موسى بن عقبة ، أنّ أول من نَحَر

(١) فى الأصل : « من الظهران » ، ومرّ الظهران مكان على خمسة أميال من مكة ، أى على مرحلة منها فى طريق المدينة

(٢) جزر وجزائر ، جمع جزور : وهى الناقة المنحورة

(٣) هو غلام نصرانىّ كان لعقبة وشيبة ابنى ربيعة ، والتخذيل : تثبيط الناصر عن النصرة

لقريش أبو جهل بن هشام بمَرّ الظَّهْران ، عشر جزائر — ثم نحر لهم صَفْوان بن أُمَيَّة بعُسْفَان ، تسع جزائر — ثم نحر لهم سُهَيلُ بن عمرو بقُدَيْد ، عشر جزائر — ومَضَوْا من قُدَيدٍ إلى مَنَاةَ من البَحْر(١) فظلُّوا فيها وأقاموا يوما ، فنحر لهم شيبةُ ابن ربيعة ، تسع جزائر — ثم أصبحوا بالجُحْفَة فنحر لهم عتْبَة بن ربيعة ، عشر جزائر — ثم أصبحوا بالأبْواء فنحر لهم قيس بن قيس(٢) ، تسع جزائر — ثم نحر عبّاس بن عبد المُطَّلب ، عشر جزائر — ثم نحر لهم الحارث بن عامر بن نَوْفل ، تسعا — ثم نحر لهم أبو البَخْتَرِيّ على ماء بَدْر ، عشر جزائر — ونحر مِقْيَس السهميّ(٣) على ماء بدر ، تسعا — ثم شغَلَتْهم(٤) الحرب فأكلوا من أزْوادهم .

عِدّة أفراسهم وإبلهم

وقادوا مائة فرس عليها مائة دَارِع سوى دروع فى المُشاة ، وكانت إبلُهم سبعمائة بعير ؛ وهم كما ذكرَ اللهُ تعالى عنهم بقوله « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ » (الأنفال : ٤٧)(٥) . وأقبلوا فى تجمُّل عظيم وحَنَقٍ زائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما يُريدون من أخْذ عيرهم ، وقد أصابُوا من قَبْلُ عمرَو بن الحَضْرَمِيّ والعيرَ التى كانت مَعَه .

وصول عير قريش إلى بدر

وأقبل أبُو سفيان بالعِير ومعها سبعون رجلاً منهم مَخْرَمة ابن نَوفل وعَمْرُو بن العاص ، فكانت عيرُهم ألفَ بعير تَحْمِل المالَ ، وقد خافُوا خوفا شديداً حين دَنَوْا من المدينة واستبطأُوا ضَمْضَمَ بن عمرو والنَّفِيرَ(٦) ؛ فلما

(١) مناة : صخرة كانوا يعظمونها ويعبدونها ، وكانت جهة البحر من قديد ، وكانت لهذيل وخزاعة

(٢) هكذا هو فى الأصل ، ولا ندرى من هو

(٣) لعله « مقيس بن صبابة » الذى أسلم ثم ارتد ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٧٢٨

(٤) فى الأصل : « شغلهم »

(٥) فى الأصل : « ورئاء الناس » الآية

(٦) النّفير : فى أصل اللغة الجماعة من الناس ، ونفير قريش هنا : الذين نفروا — أى خرجُوا — إلى بدر ليمنعوا عير أبى سفيان ويحموها

كانت الليلةُ التى يُصْبحون فيها على ماء بَدْر ، جَعَلت العيرُ تُقْبِل بوجوهِها إلى ماء بدر — وكانو باتوا[١] من وراء بدر آخر ليلتهم وهم على أن يُصَبِّحوا بَدْرًا إن لم يُعْتَرَضْ لهم — فما انقادتْ لهم العيرُ حتّى ضربوها بالعُقُل[٢] ، وهى تُرَجِّع الحنينَ تَزَاوَرُ[٣] إلى ماء بدر — وما بها إلى الماء حاجَةٌ ؛ لقد شربت بالأمْس — وجَعَل أهل العير يقولون : هذا شىءٌ ما صنعته معنا مُذ خرجنا ؛ وغَشِيَتْهم تلك الليلة الظُّلْمَةُ حتى ما يُبْصِر أحدٌ منهم شيئاً . فأَصبح أبو سفيان ببَدْرٍ قد تقدّم العيرَ وهو خائفٌ من الرَّصَد ، فضرب وَجْهَ عيره فَسَاحَلَ[٤] بها ، وترك بدراً يَسَارًا وانطلقَ سريعاً . وأقْبلتْ قريشٌ من مكةَ ينزلون كل مَنْهَلٍ — يُطعمون الطعامَ من أتاهم و ينحرون الجزُر . وهمَّ عتْبَةُ وشَيْبَةُ أن يرجعا ثم مَضَيا وقد عنَّفَهُما أبو جهل . فلما كانوا بالجُحْفَة رأى جُهَيْم بن الصَّلْت بن مَخْرَمة بن المُطَّلِب بن عبد مَناف فى منامه رجلاً أقبل على فَرَسٍ ومعه[٥] بعيرٌ حتى وقف عليه فقال : قُتِل عتْبةُ بن ربيعة ، وشَيْبةُ بن ربيعة ، وزَمَعة بن الأسْود ، وأُمَيّة بن خَلَف ، وأبُو البَخْتَرِىّ ، وأبُو الحَكَم ، ونَوْفَل بن خُوَيْلِد ، فى رِجَالٍ سَمّاهم ، وأُسِرَ سُهَيْل بن عمرو ، وَفَرَّ الحارث بن هشام ، وقائلٌ يقول : والله إنى لَأَظُنُّكم[٦] إلى مصارعكم ؛ ثم رآه كأنه ضرب فى لَبَّةِ[٧] بعيره فأرسله فى العَسْكر فما بقى خِباءٌ من أخْبية

رؤيا جُهيم بن الصلت

(١) فى الأصل : « بتوا »

(٢) فى الأصل : « العقل » ، والعقل ، جمع عقال : وهو الرباط الذى تربط به قوائم الدابة

(٣) فى الأصل : « تزاودا » ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، أى تميل بأعناقها وتعدل إلى جهة بدر

(٤) أى قصد بها ساحل البحر

(٥) فى الأصل : معه ، وكلاهما صواب

(٦) فى الأصل : « لا أظنكم »

(٧) اللبّة من عُنق البعير فوق صدره ومنها يُذبح

العسكر إلا أصابه بعضُ دَمه . فشاعت هذه الرُّؤيا فى العسكر فقال أبو جهل : هذا نبىٌّ آخرُ من بنى المُطَّلِب ! سيعلمُ غَداً من المقتول نحن أو محمّدٌ وأصحابُه

نجاة عير قريش وإصرار النفير على البقاء ببدر

وأتاهم قَيْسُ بن امرئ القيس من أبى سفيان يأمُرهم بالرجوع ، ويُخْبرهم أن قَدْ نَجَتْ عيرُهم — : فلا تُجْزِرُوا[1] أنفُسَكم أهلَ يثرب ، فلا حاجةَ لكم فيما وراءَ ذلك ؛ إنَّما خرجتم لتَمْنعوا العيرَ وأموالَكم ، وقد نَجَّاها الله . فعالج قريشاً فأَبَت الرجوعَ وردُّوا القِيان من الجُحْفة . وقال أبو جهل : لَا والله لا نرجعُ حتّى نَرِدَ بدْرًا فنُقيمَ ثلاثاً ؛ نَنْحر الجُزُر ، ونُطْعم الطعامَ ، ونشربُ الخَمْرَ ، وتَعْزِف القِيان علينا ؛ فلنْ تَزَالَ العربُ تَهابُنا أبداً . وعادَ قيسٌ إلى أبى سفيان وقد بَلَغَ الهَدَّة — على تسعة أميالٍ من عقَبَة عسْفَان — فأخبره بِمُضىِّ قريش . فقال : وَا قَوْمَاه ! ! هذا عَمَلُ عَمْرِو بن هشام [يعنى أبا جهل][2] — كَرِهَ أن يرجعَ لأنه تَرَأَّسَ على الناس فَبَغَى ، والبَغْىُ مَنْقَصَةٌ وشُؤْم ، إنْ أَصابَ مُحمَّدٌ النَّفيرَ ذَلَلْنَا .

رجوع الأخنس ببنى زهرة عن بدر

ورجع الأَخْنس بن شَرِيق [واسمُهُ أُبَىُّ بن شريقِ بن عمْرِو بن وَهْب بن علاج بن أبى سَلَمَة بن عبد العُزَّى بن غِيَرَة] بنى زُهْرَة من الأبواء[3] — وكانوا نحو المائة وقيل ثلاثمائة — فلم يشهد بدراً أحدٌ من بنى زهرة إلا رجلان هما عَمَّا مسلم بن شهاب بن عبد الله[4] وقتلا كافرين . ويقال إنّ الأخنس بن شريق خَلَا

(١) يقال أجزرَه شاة أى جعلها لهُ جزَراً تذبَح . يريد لا تجعلوا أنفسكم ذبائح لأهل يثرب يذبحونكم كما تذبح الشاءُ

(٢) زيادة للإيضاح

(٣) هكذا هو الأصل ، والصواب أن يقول : رجَع الأخنس بن شريق ببنى زُهْرَة من الجحفة » . فإنهم رجعوا من ثم لا من الأبواء انظر ابن سعد ج ٢ ص ٨ وابن هشام ج ١ ص ٤٣٨ . وكان الأخنس حليفاً لبنى زهرة ، وكان فيهم مطاعا

(٤) لا أدرى من يريد ، ولعله يعنى أحداً من أعمام « محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى القرشى » ولم أجد من ذكر ذلك وكلهم يقول ، لم يشهد بدراً أحد من بنى زهرة انظر ابن هشام ج ١ ص ٤٣٨ ، وابن سعد ج ٢ ص ٨ والطبرى ج ٢ ص ٢٧٦ وابن كثير ج ٣ ص ٢٦٦

بأبى جهل لما تَرَاءى الجَمْعان فقال : أتُرَى مُحَمَّدًا يَكْذِب ؟ فقال أبو جهل : كَيْف يكذبُ على الله وقد كُنَّا نُسَمِّيه الأمينَ لأنَّه ما كذب قطُّ ! ولكن إذْ كانت فى عبد منافٍ السّقاية والرِّفَادَةُ والمَشُورةُ ، ثم تَكُونُ فيهم النُّبُوَّةُ ، فأىُّ شىء بقى لنا ؟ فحينئذ انْخَنَسَ الأَخْنس ببنى زُهْرة[1] . ورجعَتْ بنو عدىّ قبلَ ذلك من مر الظَّهْران . وذكر قاسم بن ثابت فى « كتاب الدلائل » أن قريشا حين توجهت إلى بدر مرّ هاتف من الجن على مكة فى اليوم الذى أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بأنفذ صوت ولا يرى شخصه

الهاتف بمكة بنصر المسلمين

أَزَارَ الحنيفِيُّونَ بَدْراً وَقيعَــةً سَيَنْقَضُّ مِنْها رُكْنُ كِسْرى وقَيْصَرا
أَبادَتْ رِجالاً من لُؤَىٍّ ، وأَبْرَزَتْ خَرَائدَ يَضْرِبْنَ التَّرائِبَ حُسَّرا
فَيَاوَيْحَ من أَمْسَى عَدُوَّ محمدٍ لقَـدْ جار عَن قَصْدِ الهُدَى وتَحَيَّرا

فقال قائلهم : من الحنيفِيُّون ؟ فقال : هُمْ محمد وأصحابه ، يَزْعمون أنّهم على دِين إبراهيم الحنيف ؛ ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبرُ اليقين

خبر الأعرابى بعِرْق الظُّبْية

وأصبحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صبيحة أربع عشرة بعِرْقِ الظُّبْيَـةِ[2] فجاءَ من تِهامة أعرابىٌّ فسئِل عن أبى سفيان فقال : مالى به علم ؛ فقالوا له : تعالَ سَلِّمْ على رسولِ الله ، قال : وفيكم[3] رسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال : فأَيُّكم هُو ؟ قالوا : هذا ، قال : أَنْتَ رسولُ الله ؟ قال : نعم ، قال : فما فى بَطْنِ ناقتى هذه إن كنتَ صادقاً ؟ فقال ، سَلَمَةُ بن سَلامة بنَ وَقْش : نكَحْتَها فهى حُبْلَى منك ؛ فكرهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقالتَه وأعْرض عنه . ثُمّ سارَ صلى الله عليه

(١) انخنس بهم : أى تأخر مستخفيا فرجع ، وفى الأصل « بنى زهرة »
(٢) مكان على ثلاثة أميال مما يلى المدينة إلى طريق مكة ، وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
(٣) فى ابن هشام ج ١ ص ٤٣٣ : « أوَفيكم ... ؟ » وهما سواء

وسلم حتَّى أتَى الرَّوْحاء ليلة الأربعاء للنصف من رمضان فصلَّى عند بئر الرَّوْحاء ، ولما رفعَ رأسهُ من الرَّكعة الأخيرة من وِتْره لعَنَ الكَفَرَةَ ، وقال : اللّهم لا تُفلِتَنَّ أبا جَهْلٍ فرعونَ هذه الأُمَّة ؛ اللّهم لا تُفلِتَنَّ زَمَعَةَ بن الأَسْود ، اللّهم وَأَسْخِنْ عَيْنَ أبى زَمَعة بزَمَعة ، اللّهم وَأَعْمِ بَصَرَ أبى زَمَعَة ، اللّهمّ لا تُفلِتَنَّ سُهَيْلا ، اللّهم أَنْجِ سَلَمَةَ بن هشام وعَيَّاشَ بن أبى ربيعة والمُستَضْعفين من المؤمنين

دعاؤه على أبى جهل وزمعة بن الأسود

واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لُبابةَ بن عبد المُنْذِر ورَدَّه من الرَّوْحَاء . وقدم خُبَيْب بن يِساف[1] بالرَّوْحاء مسلما . وخرج صلى الله عليه وسلم فصامَ يَوْمًا أو يومين ثم نادَى مُناديه : يا معشر العُصَاة إنّى مُفْطِرٌ فأَفْطِروا ؛ وذلك أنَّه قد كان قال لهم قبل ذلك : أَفْطِروا ، فلم يفعلوا . وكان رِفاعة وخلَّاد ابْنَا رافع ابن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق الأنصاريين ، وعُبَيْد بن زَيد[2] ابن عامر بن العَجْلان بن عمرو — يَتَعاقَبُون بعيرًا ؛ حتى إذا كانوا بالرَّوْحاء بَرَكَ بعيرهم وَأَعْيَا . فمرَّ بهم النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله بَرَكَ علينا بَكْرنا ، فدعا بماء فتمضمضَ وتوضَّأَ فى إناء ثم قال : أَفْتَحا فَاهُ ، ففعلا ؛ ثم صبّه فى فيه ، ثم على رأسه وعُنُقه ، ثم على حَارِكه وسَنَامه ، ثم على عَجُزِه ، ثم على ذَنَبه ، ثم قال : اركبا ، ومضَى ؛ فلحقاه وإنَّ بَكْرهم لينْفِرُ[3] بهم ، حتَّى إذا كانوا بالمصلَّى رَاجِعِين من بدرٍ بَرَكَ عليهم فنحره خَلَّادٌ ، فقسَم لحمه وتصدَّق به

خروجه

أمره بالإفطار من الصوم

خبر البعير الذى برك

ومَضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان دُوَيْنَ بدرٍ أتاه الخبرُ بمسير قريش ، فاستشار النَّاس ، فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال فأَحْسَنَ ، ثم

المشورة قبل بدر

(١) الياء هنا بدل من الهمزة ، وأصلها « إِسَاف »
(٢) فى الأصل : « يزيد »
(٣) فى الأصل : « ليغفر » ، وأراد أنها من نشاطها وقوتها تنفر وتتعاصى

قام عمر فقال فأحسنَ ، ثُمَّ قال : يا رسولَ الله ، إنَّها والله قريشٌ وعِزُّها ، والله ما ذَلَّتْ منذ عَزَّتْ ، والله ما آمنتْ منذُ كَفَرَتْ ، والله لا تُسلِمُ عِزَّها أبداً ، وَلَتُقَاتِلنَّك ، فأْتَهِبْ[1] لذلك أُهْبَته ، وأَعِدَّ لذلك عُدَّته . ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امْضِ لأَمْرِ الله فنحنُ معك ، والله لا نَقُول لك كما قالتْ بنو إسرائيل لنبيِّها : « اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ »[2] ، ولكن اُذهَبْ أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنَّا مَعكما[3] مُقَاتِلُون ؛ والذى بَعَثَك بالحقِّ ، لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ الغِمَاد[4] لَسِرْنَا ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَيْراً ودَعَا له بخَيْر . ثم قال : أَشيروا عَلَيَّ أيها الناس ، وإنما يريد الأنصارَ ، وكان يظُنُّهم لا ينصرُونه إلا فى الدَّار ، لأنهم شَرَطوا له أن يمنعوهُ[5] ممـا يمنعون منه أنفُسَهم وأولادهم — فقام[6] سعد بن مُعاذ رضى الله عنه فقال : أَنَا أُجيب عن الأنصار ، كأنَّك يا رسولَ الله تُرِيدنا ! قال : أَجَلْ ، قال : إنَّك عَسَى أن تكون قد خرجتَ عن أمْرٍ قد أُوحى إليْك [فى غيره][7] ، فإنَّا قد آمنَّا بِكَ ، وصدَّقْنَاكَ ، وشَهِدْنا أنَّ ما جئتَ به حقٌّ ، فأعطيناكَ مواثيقَنا وعهودنا على السَّمْع والطَّاعة ، فامضِ يا نَبِى الله لمـا أردتَ ، فوالَّذِى بعثَك بالحق لو استَعْرَضْتَ [بنـا][8] هـذا البحر [فَخُضْتَهُ][8] لخُضْنَاه معك مَابقِيَ منا رجل ، وَصِلْ من شئتَ واقطَعْ من شئت ، وخُذْ من أموالنا ما شئت ، وما أخذتَ من أموالنا

مشورة الأنصار

(١) هكذا هو ، وإن لم أجدهُ فى اللغة ، وهو افتعل من (أهب) ويريد : اتخذ الأهْبة
(٢) اقتباس من آية المـائدة : ٢٤
(٣) فى الأصل : « معكم »
(٤) هو موضع بأقصى اليمن
(٥) فى الأصل : « يمنعوها »
(٦) فى الأصل : « فقال »
(٧) هكذا بالأصل ، ووضعناه بين قوسين لأنا لم نعرف صوابه
(٨) زيادة من ابن هشام ج ١ ص ٤٣٥

أحبُّ إلينا مما تركْتَ ، والَّذى نفسِى بيَدِه مَا سلـكْتُ هذا الطريقَ قطُّ وما لِى بها من عِلْمٍ ، وما نكرهُ أَن نَلْقى عدوّنا ، إنا لصُبُرٌ عند الحرب صُدُقٌ[1] عند اللِّقاء ، لعل الله يرِيك منّا بعض ما تقَرُّ به عَيْنَاك . وفى رواية أنّ سَعد بن معاذ قال : إنَّا قد خَلَّفْنا من قَوْمِنا قومًا مَا نَحْنُ بأشدَّ حُبًّا لكَ منهم ، ولا أطْوَعَ لك منهم ، لهم رَغْبةٌ فى الجهاد وَنِيَّةٌ ، ولو ظَنُّوا يا رسولَ الله أَنَّك مُلَاقٍ عَدُوًّا مَا تخلَّفُوا ، ولـكنْ إنّما ظنُّوا أَنَّها العيرُ . نَبْنِى لك عرِيشا فتكون فيه ونُعِدُّ عندكَ رَوَاحلك ، ثم نلقى عدوّنا ، فإِن أَعَزّنا الله وأظْهَرنا عَلَى عدوّنا كان ذلك ما أَحْببنا ، وإن تكُن الأُخرى جلستَ على رَوَاحلك فلحقتَ مَنْ وَرَاءَنا . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم خيراً . وقال : أَوْ يَقْضِى الله خيراً من ذلك يا سَعْدُ . فلما فَرَغ سعدٌ

دلالته على مصارع المشركين يوم بدر

من المشُورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيروا على بركةِ الله ، فإِنَّ الله قَد وَعَدَنى إحْدَى الطَّائفتين ، وَالله لَـكأَنى أَنْظرُ إلى مَصَارِع القَوْم ، ثم أَرَاهم مَصَارِعهم يَوْمَئِذٍ : هذا مَصْرع فلان ، وهذا مَصْرع فلان ، فما عَدَا كلُّ رجلٍ مَصْرَعَه . فعلِم القومُ أَنَّهم يلاقون القِتَال وأَنَّ العِيرَ تَفْلِت ، ورَجَوا النَّصْرَ لقول النبى صلى الله عليه وسلّم .

عقد الألوية

ومن يومئذ عَقَد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأَلْوِيَةَ وهى ثلاثة : لواء يحملُه مُصْعَب بن عُمَيْر ورَايَتَان سوداوان[2] ، إحداهما مع علىّ والأُخرى مع رجل من الأنصار ، وأَظْهَرَ السلاح . وكان خرج من المدينة على غيرِ لواء مَعْقودٍ ، وسار من الرَّوْحاء . وتعجل ومعه قَتَادة بن النُّعمان بن زيد بن عامر ابن سواد بن ظَفَر[3] بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأَوْس الظَّفَرِىّ ؛ ويقال

---

(١) صدق جمع صَدْق بفتح فسكون : وهو الثابت عند اللقاء

(٢) فى الأصل : « سوداوتان » . وأمر الألوية هنا على خلاف ما يعرف انظر ابن سعد ج ٢ ص ٨

(٣) فى الأصل : « كعب » وهو خطأ

بل كان معه مُعَاذ بن جَبل بن عمرو بن أَوْس بن عائذ بن عَدى بن كعب بن عمرو ابن أُدَىّ بن سعد بن على بن أسد بن ساردة[١] بن يزيد[٢] بن جُشَم بن الخزرج الأنصارى ، وقيل بل كان معه عَبدُ الله بن كعب بن عمرو بن عَوْف بن مَبْذُول ابن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النَجّار المازنى ؛ فلقى سفيانَ الضَّمرِىّ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَنِ الرَّجُل ؟ فقال : بلْ من أنتم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَخبرنا ونُخْبرك ، قال : وذَاكَ بِذَاكَ ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم ، نعم ، قال : فسلُوا عما شئتم ، فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَخبرنا عن قريش ، فقال : بلغنى أَنَّهم خرجُوا يوم كذا وكذا من مكة ، فإن كان الذى أخبرنى صادقاً فإنَّهُمْ بجنْب هـذا الوادى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأخبرنا عن محمد وأصحابه ، قال : خُبرّتُ أَنَّهم خرجوا من يثْرِب يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صادقاً فهم بجانب هَذَا الوادى ، قال الضَّمرى : فمن أنتم ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : نَحْن من ماء ؛ وأشار بيده نحو العراق ، فقال : [ما مِنْ ماء ! أمِنْ][٣] ماء العراق ؟ ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه . ولا يعلم واحدٌ من الفريقين بمنزل صاحبه ، بينهم قَوْزٌ[٤] من رَمْل .

خبر سفيان الضمرىّ

ومضى فلقيهُ بَسبَسٌ وعدىٌّ بن أبي الزَّغْباء فأخبراه خبر العير . ونزل النبي صلى الله عليه وسلم أَدْنى بدرٍ عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان ، فبعث عليًا والزُّبير وسعْدَ بن أبِي وقَّاص و بَسبَس بن عمرو رضى الله عنهم يتحسسون[٥]

خبر العُيون وسُقَاء قريش

(١) فى ابن سعد ج ٧ ص ١١٤ « شاردة » وهو خطأ صوابه السين
(٢) فى الأصل : « زيد »
(٣) زيادة ، وفى الأصل : « من ماء العراق »
(٤) فى الأصل « قوزة » ، والقوز : الكثيب المُعرف المستدير من الرَّمل
(٥) فى الأصل : « يتجسَّسون »

على المـاء وأشار لهم إلى ظُرَيْبٍ[(١)] وقال أرجو أن تجدوا الخبر عند هذا القليب[(٢)] الذى يلِي الظَّرِب[(١)] فوجدوا على تلك القليب رَوَايا قريش فيها سُقَّاؤُهُم[(٣)] ، فأفلت عامّتهم وفيهم عُجَيْر ، فجاء قريشا فقال : يا آل غالب ، هذا ابنُ أبى كَبْشَة وأصحابُه قد أخَذُوا سُـقَّاءَكم ؛ فماج العَسكر وكرِهُوا ذلك ، والسماء تمطر عليهم . وأُخِذ تلك الليلة [أبو][(٤)] يسار غلام عُبَيْدة بن سعيد بن العاص ، وأسـلم غلام مُنَبِّه بن الحجاج ، وأبو رافع غلام أمية بن خَلَف ، فأُتِيَ بهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقالوا : [نحن][(٥)] سقَّاء قريشٍ بعثونا نسقيهم من المـاء ؛ فـكره القومُ خبرهم فضربوهم ، فقالوا : نحن لأبى سفيان ، ونحن فى العير ؛ فأمسكُوا عنهم . فسلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن صَدَقُوكم ضرَبْتموهم ، وإن كَذَبُوكم تركْتُموهم ؛ ثم أقبلَ عليهم يسألهم ، فأخبروه أن قريشاً خَلْفَ هـذا الـكثيب ، وأنهم ينحرون يومًا عشراً ويومًا تسعاً ، وأعلموه بمن خرج من مكة ، فقال صلى الله عليه وسلم : القَوم ما بين الألْفِ والتسعمائة ، وقال : هٰـذه مكةُ قد ألْقَتْ [إليكم][(٦)] أفْلاذَ كَبِدهَا

عدة المشركين يوم بدر

المشورة فى منزل الحرب

واستشارَ أصحابه فى المَنْزَل ، فقال الحُباب بن المُنذر بن الجَمُوح بن زيد ابن [حَرَام بن][(٧)] كعْب بن غَنْم بن كعب بن سَلَمَةَ الأنصارى : انْطلِق بنا إلى

(١) ظريب تصغير ظرب : وهو الجبل الصغيرُ المنبسط فى حجارة دقاق

(٢) القليب : البئر القديمة التى لا يعلم لها حافر

(٣) الروايا من الإبل : حوامل المـاء ، الواحدة راوية . والسقاء جمع ساق وسَـقَّـاء

(٤) زيادة من ابن هشام ج ١ ص ٤٣٦ ، وفيه أنه غلام بنى العاص بن سعيد وكذلك فى الطبرى ج ٢ ص ٢٧٥ وغيرهما ؛ وعبيدة بن سعيد ، هذا الذى ذكره ، معدود فيمن قتل من المشركين يوم بدر

(٥) زيادة للإيضاح

(٦) زيادة لا بدّ منها

(٧) زيادة من نسبه

أدْنى ماء [إلى] (١) القوم فإنى عالم بها و بقُلُبها (٢) ؛ بها قَلِيبٌ قد عرفت عذو بة مائه ، وماءٌ كثيرلا يَنْزِحُ (٣) ؛ ثم نبنى عليها حَوْضاً ونَقْذِف فيه الآنية فنشربُ ونقاتل ، ونُعَوِّر (٤) ماسِواها من القُلُب . فقال : ياحُبابُ ، أشرت بالرأى ؛ ونهض بمن معه فنزل على القليب ببَدْر . وبات تلك الليلة يصلّى إلى جِذْم (٥) شَجَرةٍ هناك — وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان — وفعَل ما أشار به الحُباب .

المطر يوم بدر

و بعثَ الله السَّمَاءَ ، فأصاب المسلمين ما لَبَّدَ الأرضَ ولم يمنع من السَّيْر ، وأصاب قريشاً من ذلك مالم يَقْدِروا أن يرتحلوا منه ، و إنّما بينهم قَوْزٌ من رمل ؛ وكان مجىء المطر نعمةً وقوةً للمؤمنين ، و بلاءً ونِقْمةً على المشركين . وأصابَ المسلمين تلكَ الليلة نُعاسٌ أُلقِيَ عليهم فناموا حتى أن أحدهم [تكونُ] (٦) ذقنهُ بين ثَدْيَيْه وما يشعر حتى يقعَ على جَنْبه . واحتلَمَ رِفاعة بن رافع بن مالك حتى اغتسل آخر الليل . و بعثَ صلى الله عليه وسلم عَمَّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فأطافا بالقَوْم ، ثم رجعا فأخبراه أنَّ القومَ مذعورون ، وأنّ السماء تَسُحُّ (٧) عليهم

النعاس الذى أصاب المسلمين

بناء عريش رسول الله

وبُنِي لرسول الله صلى الله عليه وسلم — لمَّا نزَل على القَليب — عريشٌ من جَريدٍ . وقام سعدُ بن مُعاذ على بابه مُتَوشِّحَ السَّيْف . ومشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع الوَقْعة ، وعرض على أصحابه مصارع رُؤُوس الكُفْر

(١) زيادة ، هكذا فى ابن سعد ج ٢ ص ٩ ، وفى ابن هشام « من » ج ١ ص ٤٣٩
(٢) قلب : بضمتين جمع قليب
(٣) نزحت البئرُ : نفد ماؤها
(٤) عوّر البئر : إذا كبسها بالتراب حتى تنسدّ
(٥) جذم الشجرة : ما يبقى من جذعها بعد أن يقطع أعلاه
(٦) زيادة للسياق
(٧) ترسل مطراً شديداً

من قريشٍ مصرعاً مصرعاً ، يقول : هذا مَصْرَعُ فلان ، و[هذا][1] مصرعُ فلان ، فما عَدَا واحدٌ منهم مَضْجَعَه الذى حَدَّ له الرّسول . وعَدَّل صلى الله عليه وسلم الصُّفوفَ ، ورجع إلى العريش فدخل صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه . وأصبح ببدر يوم الجمعة السابع عشر وقيل الثامن عشر من رمضان قبل أن تَنْزِل قريش فطلعت قريشٌ وهو يَصُفُّهم ، وقد أترَعوا حوضاً . ودَفع رايتَه إلى مُصْعَب بن عُمَيْرٍ فتقدم حيثُ أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يضعها ، ووقف صلى الله عليه وسلم يَنْظُر إلى الصفوف . فاستقبل المغربَ وجعل الشَّمْس خلفه ، وأقبل المشركون فاستقبلوا الشمس ؛ فنزل صلى الله عليه وسلم بالعُدْوَة[2] الشَّاميَّة ، ونزلوا بالعُدْوَة اليمانيَّة . فجاء رجل فقال : يارسول الله إنى أرى أن تَعْلُوَ الوادى ، فإنى أرى رِيحاً قد هَاجَتْ من أعلى الوادى ، وإنى أراها بُعِثَتْ بنصْرِك . فقال صلى الله عليه وسلم : قد صَفَفْتُ صُفوفى ووضعتُ رايتى ، فلا أُغَيِّر ذلك . ثم دَعَا ربّه تعالى فنزَل عليه « إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ » (الأنفال : ٩) يَعْنى بعضُهم على إِثْر بعضٍ . ولما عدَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف تقدَّم سَوَاد بن غَزِيَّةَ أمامَ الصفِّ

خبر سَوَاد ابن غَزِيّة

فَدَفَع النبى صلى الله عليه وسلم فى بطنه فقال : استوِ يا سَوَاد ، فقال : أَوْجَعْتَنى ، والذى بعثك بالحق ، أَقِدْنِى[3] ؛ فكشف صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : استَقِدْ[3] ، فاعتنقه وقَبَّله ، فقال : ما حَمَلَكَ على ما صنعتَ ؟ فقال : حَضَر من أمْر الله ما قَدْ تَرَى ، وخَشِيتُ القَتْل ، فأردتُ أَنْ أَكونَ آخرَ عَهْدِى[4] بك

(١) زيادة للسياق

(٢) العدوة : شاطئ الوادى وجانبه الصّلب

(٣) أقدنى : من أقادَه ، أعطاهُ القَوَد وهو القِصاص ، واستقاد : أخذ قصاصه

(٤) فى الأصل : « عهد »

[أن يَمَسَّ جلدى جِلْدَكَ] (١) وأنْ أعتنقك ؛ وكان صلى الله عليه وسلم يُسَوِّى الصفوفَ وكأنما يقوِّم بها القِدَاح

الريح التى بعثت والملائكة

وجاءت ريحٌ شديدةٌ ، ثم هبت ريحٌ أشدُّ منها ، ثم هبت ريحٌ ثالثةٌ أشدُّ منهما : فكانت الأولى جبريلَ عليه السلام فى ألفٍ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانيةُ ميكائيلَ عليه السلام فى ألف عن مَيْمَنَته ، والثالثة إسرافيلَ فى ألف عن مَيْسَرَته . ويقال جاء جبريلُ بألف من الملائكة فى صُوَر الرِّجال ، وكان فى خمسمائة من الملائكة فى المَيمنة ، وميكائيل فى خمسمائة فى الميسرة ، ووراءهم مَدَدٌ من الملائكة لم يقاتلوا ؛ وهم الآلاف المذكورون فى سورة آل عمران « الآيات من ١٢٣ — ١٢٧ » ؛ وكان إسرافيلُ وَسْط الصَّفِّ لا يقاتل كما يقاتِلُ غيره من الملائكة . وكان الرَّجُل يَرَى المَلَكَ على صورة رجُلٍ يعرفُه ، وهو يُثَبِّتُه ويقولُ له : ماهُمْ بِشَىْء ، فَكُرَّ عَلَيْهِمْ (٢) ؛ وهذا معنى قوله تعالى « إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ » (الأنفال : ١٢) — ؛ (٣) وفى مثل هذا قال حسّان رضى الله عنه :

مِيكَالُ مَعْكَ وَجِبْرَئِيلُ كِلاهُمَا مَدَدٌ لِنَصْرِكَ مِن عَزِيزٍ قَادِرِ (٤)

ألوية بدر

ويُقال كان على المَيمَنة أبو بكر رضى الله عنـه ، والثَّابتُ أنه لم يكن على الميمنة والميسرة أحدٌ . وكان لِوَاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعظم — لواء

(١) زيادة من كتب السير

(٢) كرَّ على العدوّ : عطفَ عليه مقدماً

(٣) فى الأصل من قوله تعالى « فثبتوا » إلى قوله « الرعب »

(٤) فى الأصل « وجبريل » ، ولم أجد البيت فى ديوان حسان ، ولا فى كتب السير عند ذكر الأشعار التى قيلت فى بدر

المهاجرين — مع مُصْعَب بن عُمير ، ولواء الخَزْرج مع الحُبَاب بن المُنْذِر ، ولواء الأوْس مع سعْدِ بن مُعاذ . ومع قُرَيْش ثلاثةُ ألْوية لِوَاء مع أبي عَزِيز [بن عُمير] (١) ، ولواء مع النَّضْرِ بن الحارث ، ولواء مع طَلْحة بن أبي طلحة

خطبته يوم بدر

وخطَب صلى الله عليه وسلم يومئذٍ فحمِدَ اللهَ وأثْنى عليه ثم قال : أمّا بعدُ ، فإني أحُثُّكُمْ على ما حَثَّكُمْ اللهُ عليه ، وأنْهاكم عمّا نهاكم عنه ، فإنّ الله عظيمٌ شأنُه ، يأمُرُ بالحقّ ويُحِبُّ الصِّدقَ ، ويُعطى على الخَيْرِ أهلَه ، على منازِلِهم عنده ؛ به يُذْكَرون وبه يَتَفاضَلون . وإنَّكُمْ قد أصْبَحْتم بمنزِلِ الحقّ لا يَقْبَلُ اللهُ فيه من أحَدٍ إلا ما ابْتَغى به وجْهَه . وإن الصبر فى مَواطن البَأْس مما يُفرِّجُ اللهُ به الهمَّ ، ويُنجِّى به من الغَمّ ، وتُدْرِكون النّجَاة فى الآخرة . فيكُمْ نبىُّ الله يُحَذِّرُكم ويَأْمُرُكم ، فاستَحْيوا اليَوْمَ أن يَطَّلع الله عزّ وجلّ على شىء من أمرِكم يَمْقُتُكم عليه ، فإن الله يقول « لَمَقْتُ اللهِ أكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أنفسَكُمْ » . أُنْظُروا الذى أمرَكم به من كتابه ، وأراكم من آياته ، وأعزَّكم [به] (٢) بعد ذِلّة ، فاستمسِكوا به يرضَى به ربُّكم عنْكم ، وأبْلُوا ربَّكم فى هذه المواطِن أمْراً تستَوْجبوا الذى وَعَدكم به من رَحْمته ومَغْفرته ، فإن وَعْده حَقٌّ وقوْلَه صدق وعقابه شديدٌ . وإنما أنا وأنتم بالله الحَىِّ القَيُّوم ، إليْه ألْجأْنا ظُهُورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكَّلْنا ، وإليه المَصِيرُ ؛ يَغْفِرُ اللهُ لِى وللمسلمين

دعاؤه على قريش

ولما رأى صلى الله عليه وسلم قريشاً تُصَوِّب من الوادى — وكان أوّلَ من طَلَع زَمَعَة بنُ الأسود على فرسٍ له يَتْبعه ابنُه ، فاستجالَ بفرسه يريد أن يَتَبَوّأ للقوم مَنْزِلاً — قال صلى الله عليه وسلم : اللّهُمَّ إنّك أنْزَلْتَ علىّ الكتابَ ،

(١) زيادة للإيضاح ، وهو أخو مُصْعب بن عمير ، صاحب لواء المهاجرين فى بدر أيضاً
(٢) زيادة

وأَمَرْتَنى بالقِتال ، ووَعَدْتنى إحدى الطَّائفتين ، وأنتَ لاَ تُخْلِفُ الميعاد . اللَّهُمَّ هذه قريشٌ قد أقْبَلَت بخُيلاَئِها وفَخْرِها تُحَادُّك[١] وتُكَذِّب رسولَك ، اللَّهُمَّ فَنَصْرَك[٢] الذى وَعَدْتنى ، اللَّهُم أَحِنْهم[٣] الغَدَاةَ

بعثة عمر إلى قريش يعرضُ عليهم الرجوع

ولما نزل القومُ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه إليهم يقول : أُرجِعُوا ؛ فإنّه إنْ يَلِ هذا الأمرَ مِنّى غيرُكم ، أحبُّ إلىَّ من أن تَلُوه منى ؛ [وأنْ][٤] أَلِيَهُ من غيركم أَحَبُّ [إلىَّ][٤] من [أنْ][٤] أَلِيَهُ مِنْكم ؛ فقال حكيم بن حِزام : قد عَرَض نَصَفاً[٥] فاقْبَلُوه ، والله لا تُنْصَرون عليه بَعْدما عَرَض من النَّصَفِ ، فقال أبو جَهْل : والله لا نرجعُ بعد أنْ أَمكَنَنا منهم .

النفر الذين شربوا من الحوض

وأَقْبل نَفَرٌ من قريشٍ حتى وردوا الحوضَ — منهم حكيم ابن حِزام — فأراد المسلمون طَرْدَهم فقال صلى الله عليه وسلم : دَعُوهُم ؛ فوردوا الماءَ فشربُوا ، فما شرِب منهم أحدٌ إلَّا قُتِل ، إلَّا ما كان من حكيم بن حِزام نَجا

بعثة عمير بن وهب لحزر المسلمين ، وما قاله لقريش

وبعثتْ قريشٌ عُمَيْر بن وَهْب بن خَلَف بن وهب بن حُذافة بن الجُمَحِىّ لِيَحْزُرَ[٦] المسلمين ، فلمَّا لم يَرَ لهم مَدداً ولا كَميناً رَجَع فقال[٧] : القومُ ثلاثمائة إنْ زادوا [زادوا][٨] قَليلا ، معهم سبعون بعيراً وفَرَسَان ؛ ثم قال : يا مَعشَرَ

---

(١) حادّه : خالفه وعاصاه ونازعه

(٢) فى الأصل « نصرك »

(٣) أحنهم ، من أحانه الله : أهلكهُ

(٤) زيادة يقتضيها السياق

(٥) النصف : الإنصاف وإعطاء الحق

(٦) فى الأصل : « ليجوز » ، وحزر الشىء : قدّر عدده بالظنّ والحدس

(٧) فى الأصل : « قال »

(٨) زيادة يقتضيها السياق

قريش ، البَلايا تَحْمِلُ المَنَايا ، نَوَاضِح (١) يَثْرِبَ تحمِلُ الموتَ النَّاقع ، قَوْمٌ ليست لهم مَنَعَةٌ ولا مَلْجَأٌ (٢) إلا سُيُوفهم ، أَلاَ تَرَوْنَهُمْ خُرْساً لا يتكلَّمون ، يَتَلَمَّظُونَ تلَمُّظَ (٣) الأفاعي ، والله ما أَرَى أن يُقْتَل منهم رَجُلٌ حتى يَقْتُلَ منكم رَجُلاً ، فإذا أصابُوا منكم مثل عَدَدهم فما خَيْرٌ في العَيْشِ بعد ذلك ؟ فَرَوْا رَأْيَكُم . فبعثوا أبا سلَمة الجُشَمِيّ ، فأطاف على المسلمين بفرسه ، ثم رجَع فقال : والله ما رأيت جَلَداً ولا عِداداً ولا حَلَقَةً ولا كُرَاعاً ، ولكنّى رأيتُ قوماً لا يريدون أَنْ يَؤُوبوا إلى أَهْليهم : قوماً مُستَميتين ليست لهم مَنَعَةٌ ولا مَلْجَأٌ إلا سيوفهم ، زُرْقٌ (٤) العيون كأنَّها (٥) الحَصَى تحت الحَجَفِ (٦) ، فَرَوْا رَأْيَكُمْ ، فمشَى حكيم بن حزام في الناس ليرجعوا فوافقه عُتْبة بن ربيعة ، وأَبَى أبو جهل وَهَبَّ (٧) إلى عامر بن الحضرميّ أخي المقتول بنخلة (٨) ، وحثَّه على أخذه بثأر أخيه ، فقامَ ثمَّ حثَا على اُستِه التُّرابَ بعدَما اكْتَشَفَ وصرخَ : واعمْراه ! فأفسد على النّاس الرأيَ الذى رآه عُتْبة ودعاهم إليه ، ثم حَرَّش بين الناس ، وحَمَل فناوشَ المسلمين وشَبَّتِ الحربُ . فخرج إليه مِهْجَع مولى عمر [بن الخطاب] (٩) فقتله عامرٌ ، فكان مِهْجَعٌ أول من استُشْهِدَ يوم بدر : وكان أوّل قتيل قُتِل

حكيم بن حزام يؤامر قريشا على الرجوع

بدء القتال يوم بدر وأول من قُتِل

(١) النواضح جمع ناضح : وهو البعير يكون لأصحاب الزرع يستقى عليه الماء
(٢) في الأصل : « منجى » ، وهذا حق العبارة ، وهو في ابن سعد ج ٢ ص ١٠
(٣) التلمظ : تحريك اللسان في الفم بعد الأكل ، والتمطق بالشفتين
(٤) في الأصل : « زرق زرق » وهو تكرار
(٥) في الأصل : « كأنهم »
(٦) الحجف جمع حجفة : جلود يطارق بعضها ببعض حتى تغلظ فتكون دَرَقَة كالدرع
(٧) في الأصل : « ووهب »
(٨) هو عمرو بن الحضرمي
(٩) زيادة للإيضاح

من الأنصار حارثةُ بن سُراقة قتله حِبَّان بن العَرِقة ، ويقال عُمَيْر بن الحُمام قتله خالدُ بن الأعلم العُقَيْلِيّ

مناشـدة رسول الله ربّه

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العريش وأصحابُه على صُفوفهم ، فاضطجع فغَشِيَه نَوْمٌ غلبه — وكان قد قال : لا تُقاتلوا حتى أُوذِنكم ، وإن كَثَبُوكم(١) فارْموهم ، ولا تَسُلُّوا السيوفَ حتى يغشوكم — فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ، قد دَنَا القومُ وقد نالوا منَّا ؛ فاستيقظ صلى الله عليه وسلم وهو رافعٌ يَدَيْه يُنَاشِدُ ربَّه ما وَعَدَه من النَّصر ويقول : اللَّهُمَّ إن تُظْهِرْ على هذه العصابةِ يَظْهَرِ الشِّرْكُ ولا يَقُمْ لك دِينٌ ؛ وأبو بكر يقول : والله لَيَنْصُرَنَّك الله ولَيُبَيِّضَنَّ وجهك . وقال عبدُ الله بن رَوَاحة : يا رسول الله ، إنى أُشير عليك — ورسول الله أعظم وأعلمُ بالله من أن يُشَارَ عليه — إن الله أجلُّ وأعظمُ من أن يُنْشَد وَعْدَه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يابنَ رَواحة ، ألا أَنْشُد الله وَعْدَه : إن الله لا يُخلف الميعاد

ولم يذكر ابن إسحاق ولا الواقدىّ أنه صلى الله عليه وسلم قاتل . وخرَّج الفِرْيابِيُّ(٢) ، نا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن حارثة ، عن علىّ رضى الله عنه قال : لما كان يومُ بدرٍ وحضرَ الناس ، أَمَّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فما كان منَّا أحدٌ أقربَ إلى المشركين منه ، وكان أشدَّ الناسِ بأساً(٣)

الأسودُ بن عبد الأسد مقتله عند الحوض

فلما تزاحفَ الناسُ قال الأسود بن عبد الأسد(٤) المخزومى — حين دَنَا من الحوض : أُعاهد اللهَ لأَشْرَبَنَّ من حَوْضِهم ، أو لأُهْدِمَنَّه ، أو لأَموتَنَّ

(١) فى الأصل : « كبثوكم » ، وكثب وأكثب : إذا دنا من القوم وقاربهم
(٢) الفِريابىّ المقصود هنا هو : « محمد بن يوسف الفريابىّ » مولى الضبيين
(٣) هذا آخر حديث علىّ رضى الله عنه ؛ وانظر مسند أحمد ج ١ ص ١٢٦ وابن سعد ج ٢ ص ١٥
(٤) فى الأصل : « عبد الأسدىّ »

دونه . فَشدَّ حتى دنا منه ، فاستقبله حمزةُ بن عبد المطلب فضربه فأطَنَّ(١) قدَمه ، فزحَفَ الأسودُ حتّى وقع فى الحوْض فهدمَهُ برجلِهِ الصَّحيحة وشَرِبَ منه ، وحمزةُ يتْبعُه فضربَه فى الحوض فقَتَله . فدنا بعضُهم من بعضٍ وخرج عُتْبَةُ ،

المبارزة ، وخروج الأنصار ، وكراهية رسول الله ذلك ودعوته المهاجرين

وشَيْبَةُ ، والوليد ، ودَعَوْا إلى المُبارَزَة . فخرج إليهم ثلاثةٌ من الأنصار فتْيانٌ وهم : مُعاذُ ومُعوِّذٌ وعوْفٌ بنو عفْراء ، ويقال ثالثهم عبدُ الله بن رواحة(٢) . فاستحيا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وكَرِهَ أن يكونَ أوّلُ قتال — لقِيَ فيه المسلمون المشركين — فى الأنصار ، وأَحَبَّ أن تكون الشَّوكةُ ببنى عمِّه وقومه ، فأمرهم فرجعوا إلى مصافِّهم ، وقال لهم خيراً . ثم نَادَى مُنادِى المشركين : يا محمد ، أَخْرِجْ إلينا(٣) الأَكْفاءَ منْ قومنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا بنى هاشم ، قومُوا فقاتلوا بحقكم الذى بعثَ به نبيَّكم ، إذ جاءوا بباطِلِهم لِيُطْفئُوا نُورَ الله ؛ فقام علىٌّ ، وحمزةُ ، وعُبَيْدَة بن الحارث بن المطَّلب ، فمَشَوْا إليهم . وكان علىٌّ رضى الله عنه مُعْلَماً بصوفَةٍ بيضاء ، فقال عتْبة لابنه : قُمْ يا وليد ، فقام فقتله علىٌّ ؛ ثم قام عتبة فقتَله حمزة ؛ ثم قام شَيْبة فقامَ إليه عبيْدةُ فضربهُ شيبةُ فقطَع ساقَه ، فكرَّ حمزةُ وعلىٌّ فقتَلا شيبةَ واحتملا عبيدةَ إلى الصَّف ، فنزلت فيهما(٤) هذه الآية : « هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ، فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ » (الحج : ١٩)(٥) ، واستفتح أبو جهل يومئذ فقال : اللَّهُمَّ أقْطَعَنَا للرَّحِمِ ، وآتَانَا بما لا يُعلم ، فأحِنْهُ الغَداةَ . فأنزل

استفتاح أبي جهل

(١) أى ضربَهُ ضربة سريعة بالسيف قطعت رجْله ، ويسمع للضربة طنين

(٢) ثالثهم مكان « عوف »

(٣) فى الأصل : « لنا » ، وهذه أتمّ معنى

(٤) لا معنى لتخصيصها باثنين ، وإنما نزلت فى الذين تقاتلوا من المؤمنين والمشركين عامة ، ولذلك قال تعالى « اختصموا » لجمع

(٥) فى الأصل : إلى قوله « فى ربهم »

الله تعالى : « إِنْ تَستَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الفَتْحُ ، وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ ، وَأَنَّ اللهَ مَعَ المُؤْمِنِينَ » (الأنفال : ١٩) [١] — ؛ وقال يومئذ :

ماتَنقِمُ الحَرْبُ العَوانُ مِنِّى بَازِلُ عامَيْنِ حَدِيثٌ سِنِّى
لِمِثْلِ هٰذَا وَلَدَتْنِى أُمِّى

إبليس يذمّر المشركين ثم نكوصه على عقبيه

وتَصَوَّرَ إبْليسُ فى صُورة سُراقَةَ [بن مالك] [٢] بن جُعْشُم [المُدلِجِىّ] [٢] يُذَمِّرُ [٣] المشركين ويُخبرُهم أنَّه لا غالبَ لَهُمْ من الناس ، فلما أبصر عدوُّ الله الملائكةَ نَكَصَ على عقِبَيْهِ وقال إنِّى برىءٌ منكم إنِّى أرَى مالا تَرَوْنَ [٤] ، فتشبَّث به الحارثُ بن هشام وهو يُرَى أنَّهُ سُراقة ، فضرب فى صَدْرِ الحارث ، فسقط ، وانطلَقَ إبليسُ لا يُرَى حتّى وقع فى البحر

شعارُ المسلمين فى القتال وإعلامهم

وأقبل أبو جهل يحُضُّ المشركين على القتال بكلامٍ كثيرٍ . وجعل صلى الله عليه وسلم شِعارَ المهاجرين « يا بَنِى عبد الرحمن » ، وشعار الخزرج « يابنى عبد الله » ، وشعار الأَوْسِ « يابنى عُبَيد الله » . ويقال كان شعار رسول الله صلى الله عليه وسلم يامَنْصورُ أمِتْ [٥] . وقال صلى الله عليه وسلم : إنّ الملائكة قد سَوَّمَت فسوِّمُوا [٦] ، فأَعلَمُوا بالصُّوف فى مَغَافِرِهم وقَلَانسهم وكان أربعة يُعلِمون فى الزُّحُوف [٧] :

(١) فى الأصل إلى قوله « الفتح ، الآية »
(٢) زيادة من نسبه
(٣) ذمره : حرّضه
(٤) اقرأ سورة الأنفال : ٤٨
(٥) ابن هشام ج ١ ص ٤٥ « كان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر « أحَد أحَد »
(٦) سوم : أى اتخذ سيما ، وهى العلامة ، وأعلم : وضع علامة
(٧) فى الأصل : « الرجوف » غير بينة ، والزحوف جمع زَحْف : وهو لقاءُ العدُوّ فى الحرب

خبر قتال الملائكة يوم بدر

فكان حمزة مُعلِماً بريشة نعامةٍ ، وعلىٌّ مُعْلِماً بصوفةٍ بيضاء ، والزُّبَيْر مُعلِماً بعصابة صَفْراء — وكان يُحدِّثُ أن الملائكة نزلت يوم بدر على خَيْل بُلْقٍ عليها عمائم صُفْرٌ — وكان أبو دُجَانة مُعلِماً بعصابة حمراء . وقال سُهَيْل بن عمرو : ولقد رأيتُ يوم بدر رِجالاً بيضاً على خيل بُلْقٍ بَيْنَ السماء والأرض مُعلِمين ، يقتُلُون ويَأْسرُون . وقال أبو أُسَيْدٍ السّاعدى [بعدَ أنْ ذهب بصرُهُ] (١) : لو كنتُ مَعَكم الآنَ ببَدر [ومعى بَصرى] (٢) لأريْتُكم الشِّعْبَ الذى خَرجَتْ منْهُ الملائكة . وكان [ابنُ عباسٍ] (٣) يُحَدِّث عن رجلٍ من بنى غِفارٍ حدّثه ، قال : أقبَلْتُ أنا وابنُ عمٍّ لِي يومَ بدر حتى أصْعدنا فى (٤) جَبَلٍ [ونحنُ مشركان] نَنْتَظِر الوَقعة على من تكون الدَّبْرَةُ (٥) ، فنَنْتهب مع من يَنْتهب ، [فبينا نحنُ فى الجبَل] (٤) إذ رأيْت سحابةً دنتْ منّا ، فسمعت فيها حَمْحَمة الخيل وقعْقعةَ الحديد ، وسمعت قائلا يقول : أقدم حَيْزُوم ؛ فأما ابنُ عمى فانْكشف قِناع قلبه فمات [مكانه] (٤) ، وأما أنا فكِدتُ أهْلِك ثم تَماسَكْتُ (٦) وأتبعْتُ البصرَ حيثُ تذْهب السحابة ، فجاءتْ إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم رجعت وليسَ فيها شىء مما كنتُ أسمَعُ

وقال أبو رُهْمٍ الغِفارىّ عن ابن عم له : بَيْنا أنا وابن عمٍّ لى على ماء بدر — فلَمّا رأينا قِلَّةَ مَن مع محمد وكثْرةَ قريش — قلنا : إذا التقت الفئتان عَمَدنا

(١) زيادة موضحة

(٢) زيادة موضحة

(٣) فى الأصل : « فكان » وليس بشىء ، والخبر خبر ابن عباس انظر ابن هشام ج ١ ص ٤٤٩ وقد زدناه لذلك

(٤) فى الأصل : «حتى صعدنا على ... » وهو تحريف فى معنى الخبر ، والزيادة بعد موضحة وكله من ابن هشام

(٥) الدبرة : الهزيمة

(٦) فى الأصل : « فتماسكتُ »

إلى عسكر محمّد وأصحابه ، فانطلقنا نحو الجَنَّبةِ اليُسْرى من أصحابه ونحن نقول : هؤلاء رُبْع قريش ؛ فبينا نحن نمشى فى الميسرة إذْ جاءت سحابةٌ فغشيتْنا ، فرَفعْنا أبصارنا إليها ، فسمعنا أصواتَ الرِّجال والسلاح ، وسمعنا رجُلا يقول لفرسه : أقدم حَيْزُوم ، وسمعناهم يقولون : رُوَيداً تتَامَّ أُخْراكم ، فنزلوا على مَيمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم جاءت أُخْرى مثل ذلك ، فكانت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فنظرنا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإذا هُمُ الضِّعْفُ عَلَى قريش فماتَ ابن عمى ، وأمّا أنا فتماسكتُ وأخبرتُ النبى صلى الله عليه وسلم . وحَسُنَ إسلامه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رُؤِى[1] الشيطانُ يوماً [هو][2] فيه أصغرُ ولا أحْقَرُ ولا أدْحَرُ ولا أغْيَظُ منه فى يَوْم عرفة — وما ذاك إلا لما يَرَى من تَنَزُّل الرَّحمة ، وتجاوُزِ الله عن الذُّنُوب العِظَام — إلاَّ مارُؤِى[3] يوم بَدر . قيل : وما رأى يوم بدر ، قال : أمَا إنّه قد رأى جِبْريل يَزَع[4] الملائكة . وقال صلى الله عليه وسلم يومئذٍ : هذا جبريل يَسُوقُ الرِّيح كأنّهُ دِحْيَة الكلبى ، إنِّى نُصِرْت بالصَّبا وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدبُور . وقال عبد الرحمن بن عَوْف : رأيتُ يوم بدرٍ رجلين عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم أحدهما ، وعن يساره أحدهما ، يُقاتلان أشدّ القتال ، ثم يليهما ثالثٌ من خلفه ، ثم ربعهما رابعٌ أمامه . وعن صُهَيْب : ما أدرى كم يَدٍ مقطوعة أو ضربةٍ جائفة لم يَدْمَ كَلْمُهما[5] يوم

(١) فى الأصل : « ماروى »
(٢) زيادة للإيضاح
(٣) فى الأصل : « رأى »
(٤) وزع يزع : كف ، أى يرتبهم ويسويهم ويصفهم للحرب ، فكأنه يكفهم عن التفرق والانتشار ، ويقال لمن يفعل ذلك فى الجيش « الوازع »
(٥) الجائفة : الطعنة التى تنفذ الجوف وتبلغ ؛ والكلم : الجرح

بدر — قد رأيتُها . وعن أبى بُرْدة بن نيار قال : جئت يوم بدر بثلاثة رءوس فوضَعتُهُنّ بين يَدىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله ، أمّا رأسان فقتلتُهما ، وأما الثالثُ فإنى رأيتُ رجلا أبيضَ طويلاً ضرَبَه فتَدهْدى[١] أمامَه فأخذتُ رأسه . فقال صلى الله عليه وسلم : ذاك فلانٌ من الملائكة . وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول : لم تُقاتِلْ الملائكةُ إلا يومَ بدر . وعن ابن عباس : كان المَلَكُ يتَصَوّر فى صورة مَنْ يعرفون من الناس يثبتونهم فيقول : إنى قد دَنَوْتُ منهم فسمعتُهم يقولون : لو حَمَلوا علينا ما ثبتْنا ؛ ليسوا بشىء . وذلك قول الله تبارك وتعالى : « إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا » الآية ، (الأنفال : ١٢) وعن حكيم بن حِزَام : لقد رأيتُنا يوم بدر وقد وقع بوادى خَلْصٍ[٢] بجَادٌ[٣] من السماء قد سدَّ الأفق ؛ فإذا الوادى يسيلُ نملاً ؛ فوقع فى نفسى أنَّ هذا شىءٌ من السماء أُيِّدَ به محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، فما كانت إلا الهزيمة ؛ وهى الملائكة . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ عن قتل بنى هاشم ، فقال : من لقى منكم أحداً من بنى هاشمٍ فلا يَقْتُلْه . ونهى عن قتل العباس بن عبد المطّلب . ونادى مناديه : من أَسَرَ أُمَّ حكيم بنت حزام فَلْيُخَلِّ سبيلها فإن رسول الله قد أمَّنها — وكان قد أسَرها رجلٌ من الأنصار وكتَّفها بذُؤَابتِها[٤] ، فلما سمِع المنادىَ خلَّى سبيلَها . ونهى أيضاً عن قتل أبى البخْتَرىّ فقتله أبو داود المازنى ، ويقال قتله المُجذَّرُ بن ذِياد[٥] . ونهى عن

نهى رسول الله عن قتل بنى هاشم ورجال من قريش

(١) أى تدحرج
(٢) وادٍ بين مكة والمدينة ، فيه قرًى ونخل
(٣) البجادُ : الكساءُ
(٤) الشعر المضفور
(٥) فى الأصل : « زياد »

قتل الحارث بن عامر بن نَوْفل فقتله خُبَيْب بن يساف ولايعرفُه . ونهى عن قتل زَمَعةَ بنِ الأسود فقتله ثابت بن الجَذَع(١) ولا يعرفه

دعاؤه ، ثم رميُه المشركين بالحصى

ولما الْتَحَمَ القتالُ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعاً يديه يسأل الله النصرَ وما وعده . وأَمر صلى الله عليه وسلم فأَخَذَ من الحَصَا كَفًّا فرماهم بها وقال : شاهتِ الوُجوه ، اللَّهُمَّ أَرْعِبْ قلوبَهُمْ(٢) ، وزَلْزِلْ أقدامهم ؛ فانهزم أعداء الله لا يلوون على شىء ، وألقَوْا دُروعهم ، والمسلمون يقتُلُون ويَأْسِرُون ، وما بقىَ منهم أحدٌ إلا امتلأ وجهه وعيناه ، ما يدرى أين توجه(٣) والملائكة يقتلونهم . وذلك قوله تعالى : « فَلَمْ تَقْتُلوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (الأنفال : ١٧)(٤) ، وجَمَح بعُقْبة بن أبى مُعَيط فرسُه ، فأَخذه عَبْدُ الله بن سَلِمة العَجْلَانىُّ . فأَمَرَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم عاصمَ بن ثابت بن أبى الأَقْلح فضرب عنقه صَبْراً ، وصدَّق اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم فى قوله لعُقْبة : إنْ وجدتُك خارجَ جبال مكة قتلتك صبرا .

أسْرُ عقبة بن أبى معيط وقتله

أسر أميّة بن خلف

وبينا عبدُ الرحمن بن عَوْف رضى الله عنه يجمَعُ أَدْراعا بعد أن وَلَّى الناسُ إذا أُمَيّة بن خَلَف وابنُه علىٌّ ، فأخذ يسوقُهما أمامَه إذْ بَصُر به بلالٌ فنادَى : يا معشر الأنصار ، أُمَيّة بن خلفٍ رأسُ الكُفر ، لا نَجَوْتُ إن نَجَوْتَ ! فأقبلوا حَتَّى طُرِح أمية على ظهره ، فقطع الحُبَاب بن المُنْذر أَرْنَبَةَ أنفه ، وضربه خُبَيْب بن يساف حتى قَتَله . وقَتَل عمّارُ بن ياسر علىَّ ابن أُمَيّة بن خلف . وقتل الزُّبير بن العَوّام عُبَيْدة بن سعيد بن العاص . وقتل

(١) فى الأصل : « الجزع » ، واسم الجذع « ثعلبة بن زيد بن الحارث »
(٢) رَعَبَه يرعَبُه ، مفتوح العين : أفزعه ، قالوا ، ولا يقال : أرعبه
(٣) فى الأصل : « توجه »
(٤) فى الأصل : من « وما رميت » إلى « رمى »

أبو دُجَانة عاصم بن أبي عوف بن ضُبَيْرة(١) السَّهْمى . وقتل علىٌّ رضى الله عنه عبدَ الله بن المُنْذر بن أبى رِفاعة وحَرْمَلة بن عمرو وهو يراهما أبا جهل . وقتل حمزةُ رضى الله عنه أبا قَيْس بن الفا كه بن المُغيرة وهو يراهُ أبا جهل ؛ [وكانَ أبو جَهْل فى مثْل الحَرَجَة (هى الشجر المُلْتفُّ) ، والمشركون يقولون : أبو الحكم لا يُخْلَصُ إليه](٢) فصمد مُعَاذ بن الجموح(٣) إلى أبى جهل وأبو جهل يرتجز

قتلُ أبى جهل

ما تَنْقِمُ الحَرْبُ العَوانُ مِنِّى   بازِلُ عَامَيْنِ حَـديثٌ سِنِّى

لِمثْلِ هَـذَا وَلَدَتنِى أُمِّى

فضربه طَرَح رجله من السَّاق ، فأَقبلَ عليه عِكْرَمةُ بن أبى جهـل فضربه على عاتِقه طَرَح يدهُ من العَاتق ، وبَقِيت الجِلْدة . فوضع مُعَاذٌ عليها رِجْلَه وتَمَطَّى [بها](٤) عليها حتى قطعها . وضربه مع مُعَاذٍ مُعَوِّذٌ وعوفٌ ابنـا عَفْراءَ فنقَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعَاذًا سيف أبى جهل ودِرْعه . ولما وَضَعت الحربُ أوزارها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلْتمسَ أبو جهل فوجدَه عبد الله ابن مسعود فى آخر رَمَقٍ ، فوضع رِجلَه على عنقه وضربه فقطع رأسه وأتى بسلَبِه النبىَّ صلى الله عليه وسلم فسُرَّ بقتله وقال : اللَّهُمَّ قد أنْجَزْتَ ما وَعَدْتَنى فتَمِّمْ علىَّ نعمتَك . ويُقال إن معاذًا ومعوِّذًا ابنَى عفراء أَثْبَتَا أبا جهل ، وضربَ ابن مسعود عنُقَه فى آخر رَمقٍ ، وقد رأى فى كتِفيه آثار السِّياط . فوقف النبى صلى الله عليه وسلم على مصرع ابنى عفراء(٥) فقال : يرحم الله ابنَىْ عفراء ، فإنهما قد شركا فى

(١) ويقال صُبَيْرة بالصاد المهملة

(٢) زيادة من سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٥٠ بتصرّف قليل : والأصل غير مطّرد

(٣) ويسمى : «معاذ بن عفراء» كما سيأتى فى السياق ، فاعرفه

(٤) زيادة يتم بها المعنى

(٥) يعنى عوف بن عفراء وأخاه معوّذا . وأما معاذ فلم يقتل يوم بدر . وسياقُ كلامه مضطرب كما ترى

قتل فِرْعوْن هـذه الأمة ورأس أئمة الكفر ، فقيل : يا رسول الله ، ومن قتله معهما ؟ قال : الملائكةُ ، ودَافَّه(١) ابن مسعود . وقال صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اكفنى نوْفلَ بن خُوَيْلد ؛ فأسرَهُ جبَّار بن صَخْرٍ ولقيه علىٌّ فقتله ، فقال عليه السلام : الحمدُ لله الذى أجاب دَعوَتى فيه . وقتل علىٌّ أيضاً العاصَ بن سعيد . وانقطعَ سيفُ عكاشَة بن محْصَن فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلّم عوداً فإذا هو سيفٌ أبيضُ طويلٌ ، فقاتَلَ به حتى هَزَم الله المشركين ، فلم يزَلْ عنده حتى هَلَك . وانكسر سيفُ سَلَمَة بن أسلم بن حَرِيش فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قَضِيباً كان فى يده من عراجِين ابن طابٍ(٢) فقال : اضرب به ؛ فإذا سيفٌ جيِّد ، فلم يزلْ عنده حتى قتل يوم خَيْبَر

فِرَق المسلمين

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لما تَصَافُّوا للقتال : من قتل قتيلا فلَهُ كذا ، ومَنْ أسر أسيراً فله كذا . فلما انهزم [المشركون](٣) كان الناسُ ثلاث فرق : فرقةٌ قامت عند خَيْمة النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه فيها ، وفرقةٌ أغارت على النهْب تنتهب ، وفرقةٌ طلبت العدو فأسروا وغَنِموا

اختلاف المسلمين فى الغنائم ، وما نزل من القرآن فى ذلك

وكان سعدُ بن معاذ ممن أقام على خيمة النبى صلى الله عليه وسلم [فقال للنبى صلّى الله عليه وسلم](٣) : ما منَعنَا أن نَطْلُب العدوَّ زهادةٌ فى الأجر ولا جبْنٌ(٤) عن العدوّ ، ولكن خِفْنا أن يَعْرَى(٥) موضعك فتميلُ عليك خيلٌ من خيل المشركين ورجالٌ من رجالهم ؛ وقد أقام عند خيمتك وُجوهٌ من المهاجرين والأنصار

(١) دافّ الصريع : أجهز عليه وحرّر قتله
(٢) العراجين جمع عُرجون : وهى شماريخ النخل ، وابن طابٍ : ضرب من النخل بالمدينة
(٣) زيادة لا بد منها
(٤) فى الأصل : « جبناً »
(٥) أى يخلو ممن يحرسه

ولم يشذّ أحد منهم ، والناس كثير ؛ ومتى تعطِ هؤلاء لا يبق لأصحابك شيء ، والأسرى والقتلى كثير ، والغَنيمة قليلة . فاختلفوا فأنزل الله تعالى « يسْأَلُونَكَ عنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لله والرَّسولِ » (الأنفال : ١) السورة ، فَرجع الناس وليس لهم من الغنيمة شيء . ثم أنزل الله تعالى « واعلَمُوا أنما غَنمتُمْ منْ شَيء فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وللرّسولِ » (الأنفال : ٤١) فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقال : لما اختلفوا فى غنائم بدر أمر صلى الله عليه وسلم بها أنْ[١] تردّ فى القسمة ، فلم يبق منها شيء إلا رُدّ ، فظن أهلُ الشجاعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخُصُّهم بها دون أهلِ الضعف . ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن تقسم بينهم على سواء فقال سعد : يا رسول الله ، أتعطى فارسَ القوم الذى يحميهم مثل ما تعطى الضعيف ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ثكلتْك أمك ، وهل تنصرُون إلا بضُعفَائكم ؟ ونادى منَاديه : من قتل قتيلا فله سلبه ، ومن أسر أسيرا فهو لَهُ ؛ فكان يعطى من قتل قتيلا سلبه . وأمر بما وُجد فى العسكر وما أخذُوا بغير قتال فقسمه بينهم ، ويقال أمر أن تردّ الأَسرى والأسلاب وما أخذُوا فى المغنم ؛ ثم أقرع بينهم فى الأسرى ، [وقَسم][٢] الأسلاب التى ينفل[٣] الرجلُ نفسه فى المبارزة ، وما أخذُوه من العسكر قسمه بينهم . والثبت من هذا : أنّ كل ما جعلَه لَهُمْ فإنه سلّمه لَهُم ، وما لم يجعلْ قَسَمَهُ بينهم

جمع الغنائم وقدرها وقسمتها

وجُمعت الغنائمُ واستعمل عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن كعْب بن عمرو المازنىّ وقسمها بِسَيَرٍ[٤] ، وقيل بل استعمل عليها خَبّابَ بن

(١) فى الأصل : « بأن »
(٢) هكذا هو فى الأصل : ولعل الصواب « أقرع بينهم فى الأسرى والأسلاب التى ينفّل ... » بحذف هذا الحرف
(٣) فى الأصل « لغنل » ، نفّل نفسه : أعطاها النفل وهو الغنيمة
(٤) موضع بين بدر والمدينة

الأَرَتّ ؛ وكان فيها إبلٌ ومتاع وأَنْطَاع وثِيابٌ ، وكانتْ السُّهمَانُ[(١)] على ثلاثمائة وسبعة عشر سَهمًا ، والرجال ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والخيل فرسان لهما أربعة أسهم ؛ وثمانيةُ نَفَرٍ لم يحضُروا ضَرَبَ لهُمْ صلى الله عليه وسلم بِسهامِهِمْ وأُجُورِهم . ثلاثةٌ من المهاجرين وهم : عُثمان بن عفّان — خلّفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته رُقَيَّة فماتت يوم قدم زَيْدُ بن حارثة — وطلحةُ بن عُبَيْد الله ، وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نُفَيْل بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتحسسانِ[(٢)] العير تِلْقاء الحوراء ؛ ومن الأنصار : أبو لُبابة بن عبد المنذر خلّفه على المدينة ، وعاصم ابن عديّ خلّفه على قُباء وأهل العالية ، والحارثُ بن حاطب أمره بأمر في بني عمرو بن عوف ، وخوّاتُ بن جُبَيْر كَسَرَ بالرَّوْحاء ، والحارثُ بن الصِّمَّة كسر بالرَّوْحاء . وروى أنّ سعدَ بن عُبادة ضرب له بسهمه وأجره ، وضرب لسعد بن مالك الساعديّ بسهمه وأجره ، وضرب لرجل من الأنصار ، ولرجلٍ آخر ، وهؤلاء الأربعة لم يُجمع عليهم . وضرَب أيضًا لأربعة عشر رجلا قُتِلوا ببدر.

وكانت الإبلُ التى أصابوا مائةَ بعير وخمسين بعيراً ، وكان معهم أَدَمٌ كثير حَمَلوه للتجارة فغنمه المسلمون ، وأصابوا قطيفةً حمراء . وكانت الخيلُ التى غنمت عشرةَ أفراسٍ ، وأصابوا سلاحا وظهْرًا وجملَ أبي جهل فصار للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ ولم يزل عنده يَضربُ في إبله ويغزُو[(٣)] عليه حتى ساقه في هَدْيِ[(٤)] الحُدَيْبِيَة . وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صَفِيٌّ[(٥)] من الغنيمة قبل أن

(١) جمع سهم ، وهو النصيب ، وفي الأصل : « وكان »
(٢) في الأصل : « يتجسسا »
(٣) في الأصل : « يغزا »
(٤) الهدى : ما أهدى إلى بيت الله الحرام من النعم ليُنحر
(٥) الصفيّ : ما يختاره الرئيس في الحرب من المغنم ، ويصطفيه لنفسه قبل القسمة من فرسٍ أو سيفٍ أو غيرها ، والجمع ، صَفَايا . وسيمرّ بك كثيرا فاذكره

يُقْسَمَ منها شيء ، فَتنفل سيفه ذا الفقار وكان لمنبّه بن الحجّاج . وكان صلى الله عليه وسلم قد غزا إلى بدر بسيف وهبهُ له سعدُ بن عُبادة يقال له العَضْبُ ، ودرْعه ذاتِ الفضُول . وأَحْذَى(١) مماليك حضروا بدراً ولم يُسهِمْ لهم ، وهم ثلاثة : غلامٌ لحاطب بن أبي بَلْتَعة ، وغلامٌ لعبد الرحمن بن عَوْف ، وغلامٌ لسعد بن مُعاذ . ويقال شهد بدراً من المَوالى عشرون رجلا . واستعملَ صلى الله عليه وسلم شُقْرَانَ غُلامَه على الأسرَى فأَحْذَوْهُ(٢) من كل أسيرٍ ما لو كان حرًّا ما أصابه فى المَقسم

أسر سهيل بن عمرو وفراره ثم يأسره رسول الله

وأَسر سهيْل بن عمرو ففرّ بالرَّوحاء من مالك بن الدُّخْشُم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ وجده فليقتُله . فوجده النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقتله ، وأمرَ فرُبِطت يداه إلى عنُقه ثم قرَنه إلى راحلته فلم يركبْ خُطْوَةً حتى قدم المدينة . وأَسَرَ أبو بُرْدة بن نِيار رجلا يقال له مَعبد بن وَهْب من بنى سعد(٣) ابن لَيْث ، فلقيه عمر بن الخطّاب رضى الله عنه قبل أن يتفرّق الناسُ فقال : أتُرَوْن يا عمر أنكم قد غلبتم !! كلا ، واللاتِ والعزّى . فقال عمر : عبادَ الله المسلمين !! أتتكلم وأنت أسيرٌ فى أيدينا ! ثم أخذه من أبى بُرْدة فضرب عنُقه ؛ ويقال إن أبا بردةَ قتله

أمر الأسرى يوم بدر

ولما أُتِىَ بالأسرى كره ذلك سعدُ بن مُعاذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا عمرو ، كأنه شَقّ عليك الأسرى أن يُؤْسَروا ؟ فقال : نعم يا رسول

(١) فى الأصل : « واحداً » ، يقال أحذى الرجل من الغنيمة : أى أعطاهُ منها ووهب له شيئاً

(٢) فى الأصل : « فأخذوه »

(٣) هكذا هو فى الأصل ، ومعبد هذا من بنى كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث (انظر ابن هشام ج ١ ص ٥١١)

الله ، كانت أوّلَ وقعةٍ التقينا فيها والمشركون ، فأحببْتُ أن يُذِلّهم الله ، وأن نُثْخِنَ فيهم القتلَ

قتل النضر بن الحارث

وأسر المقدادُ بن الأسود النَضرَ بن الحارث ، فعُرِضَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأُثَيْل ، وقد سار من بدر فقتله عليٌّ رضى الله عنه بالسيف صبراً . وأُسر عمرو بن أبى سُفيان بن حرْب ، فقيل لأبى سفيان : ألا تفدِى عمراً ؟ فقال : حنظلةُ قتل وأفتدى[1] عمراً ؛ فأُصاب بمالى وولدى ؟ لا أفعلُ ، ولكن أنتظر حتى أُصيبَ منهم رجُلا فأفديه .

أسر المشركين سعدَ بن النعمان

فأصاب سعدَ بن النُّعمان [بن زيد][2] ابن أَكّال أحد بنى عمرو بن عوف جاء معتمرًا ، فلما قضى عُمْرَته صَدَرَ — وكان معه المنذر بن عمرو — ، فطلبهما[3] أبو سفيان فأدرك سعداً فأسره وفاتَهُ المُنذِر . ففى ذلك يقول ضِرار بن الخطّاب :

تَدارَكْتَ سَعْدًا عنوة فأَسرْتَهُ ... وكان شِفاء لو تداركتَ مُنْذِرَا

وقال فى ذلك أبو سُفْيان

أَرَهْطَ ابن أَكّالٍ أَجيبوا دُعاءه ... تفاقَدْتُمُ ، لاتُسلِموا السيّد الكَهْلَا[4]

فَإِنَّ بنى عَمْرو بن عَوْفٍ أذِلَّةٌ[5] ... لَئِنْ لَمْ يَفُكُّوا عن أَسِيرِهِمُ الكَبْلَا

مقالة عمر فى سهيل بن عمرو

ففَادَوْه سعدا بابنه عمرو . ولما أُسِرَ سُهَيْل بن عمرو قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يارسولَ الله ، انْزِعْ ثَنِيَّته يَدْلَعْ[6] لسانُه فلا يقومُ عليكَ خطيباً أبداً ،

(١) فى الأصل : « وأفتديه »
(٢) زيادة من نسبه
(٣) فى الأصل : « فطلبهم »
(٤) فى الأصل : «تعاقدتم» ، وتفاقدتم فى دعاء عليهم أن يفقد بعضهم بعضاً
(٥) يروى : « فان بنى عمرو لئام أذلة » ، وهى أجود
(٦) دلع لسانه يدلع : اندلقَ من فمه وسقط واسترخى

فقال صلى الله عليه وسلم : لا أُمَثِّلُ به فيُمَثِّلُ الله بى وإن كُنْتُ نبيًّا ؛ ولعلَّهُ يقوم مَقَامًا لا تكرهُه . فقام سُهَيْل بن عمرو حين جاءه وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بخُطبة أبى بكر رضى الله عنه بمكة كأنه كان سمعها ، فقال عمرُ رضى الله عنه حين بلغه كلام سُهَيل : أشْهَدُ أنَّك رسولُ الله ! يريد قولَ النبى صلى الله عليه وسلم : لعلَّه يقوم مَقامًا لا تكرهُه . وكان علىٌّ رضى الله عنه يقول : أتى جبريلُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم يوم بَدْر نخيَّره فى الأسرى أنْ تُضْرَب أعناقُهم ، أو يُؤْخَذَ منهم الفِداء ، أو يستَشْهَدَ منهم فى قَابِلٍ عِدَّتُهم . فدعَا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَهُ فقال ، مَا أعْلَمَه جبريلُ ، فقالوا : بلْ نأخُذُ الفِدْية نستعينُ بها ويُستَشْهَدُ منَّا فيدخُل الجنَّة ، فقَبِل منهم الفداء وقُتِل منهم عِدَّتُهم بأُحُـدٍ . ولمَّا حُبِس الأسرى بعثوا إلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ليكلِّما النبى صلى الله عليه وسلم فى أمرهم ، فأخَذ أبو بكر يكلِّم النبىَّ صلى الله عليه وسلم فيهم ، ويُليِّن أنْ يَمُنَّ عليهم أو يُفَادِيَهُمْ ، وأخَذَ عمرُ يَحُثُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضرْب أعناقِهم ، فقبِل صلى الله عليه وسلم منهم الفِداء . وأمَّن أبَا عزَّةَ عمْرُو بن عبد الله بن عثمان[١] الجُمَحِىّ الشاعر وأعتقهُ بعد ما أعطى النبى صلى الله عليه وسلم ألّا يُقَاتِلَه ولا يُكَثِّرَ عليْه أبداً . وأمر صلى الله عليه وسلم بالقُلُب فعُوِّرت وطُرِحَت القتلَى فيها إلا [ما كان من][٢] أميَّةَ بن خَلَف فانه كان مسمَّنًا فانتَفَخ ، ولما أرادُوا أن يُلقُوه تَزَايل[٣] . ثم وَقَف عليهم فناداهم : يَاعتْبَة بن ربيعة ، ياشَيْبَة بن ربيعة ، يا أُميَّةَ بن خلف ، يا أبَا جهل بن هشام ، هل وَجَدْتم ما وَعدَكُمْ[٤] ربُّكُمْ حقًّا

تخييرُ رسول الله فى أمر الأسرى

طرح قتلى بدر فى القُلُب

موقف رسول الله على قتلى بدر وما قاله

(١) فى الأصل : « عمر بن عبد الله بن عمير »
(٢) زيادة ، وهى حق السياق
(٣) تزايل : تفرّق لحمه وتفكك
(٤) فى الأصل : « ما وعد »

فإنى قَدْ وَجَدْتُ ما وَعدنى رَبِّى حَقًّا ؟ بِئْس القومُ كنتمْ لنبيِّكم ؛ كَذَّبْتمُونى وصَدَّقنِى الناسُ ، وأخْرَجْتُمونى وآوَانِىَ الناسُ ، وقاتلتُمُونى ونَصرنِىَ النَّاسُ ! قال [المسلمون] (١) : يا رسول الله تُنَادى قومًا قدْ مَاتوا ! قال : قَدْ علِموا أنّ مَا وَعدهم ربُّهم حقٌّ . وقال السُّدِّىُّ عن مِقْسَم (٢) عن ابن عباس : وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قَتْلى بدرٍ فقال : جزَاكمُ الله عنى من عصَابةٍ شرًّا ، فقد خَوَّنْتمونى (٣) أميناً وكَذَّبْتُمُونِى صادقا . ثم التفتَ إلى أبى جهْل فقال : هٰذا أعتَى على الله من فِرْعَوْن ، إن فرعون لمَّا (٤) أيقن بالهلَكة وحَّد الله ، وإنّ هذا لما أيقَن بالهلَكة دعَا باللاتِ والعزَّى . وكان انهزامُ القوم حين زَالت الشمسُ ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببَدر وأمر عبْد الله بن كعب يقْبِضُ الغَنَائم ويحملها (٥) وندَب نفراً من أصحابه أن يعينُوه ، ثم صلَّى العصر وراحَ فمرَّ بالأُثَيل قبل غروب الشمس فنزل وباتَ به . وكان ذَكْوان بن عبـد قَيْس (٦) يحرُسُ المسلمين تلك اللَّيلة حتى [إذا] (٧) كان آخرُ الليل ارتحل . فلما كان بعرْقِ الظَّبْية أمر عاصم ابن ثابت بن أبى الأقلح فضرب عنُق عقبة بن أبى معيْط ، ويقال بل أمر على ابن أبى طالب فضرب عنقه ، والأول أشهر . ولمَّا نَزل بسَيَر وهو شعْب بالصَّفراء قسم الغنائم بين أصحابه ، وتنفَّل سيْفه ذا الفقَار وكان لمنَبّه بن الحجّاج فكان صفيَّه. وأخذ سهمه مع المسلمين وفيـه جَمَلُ أبى جهل . وكان مَهْرِيًّا (٨) ، فكان يغزُو

قسمة الغنائم

(١) زيادة ، وهى حق السياق
(٢) السدّى الكبير ، إسماعيل بن عبد الرحمن ، ومقسم مولى ابن عباس
(٣) فى الأصل : « حزنتمونى »
(٤) فى الأصل « لما لها »
(٥) فى الأصل : « وحلها »
(٦) فى الأصل : « ذكوان بن قيس »
(٧) زيادة لا بد منها
(٨) نسبة إلى مهرة بن حيدان ، وهم قبيلة عظيمة تُنْسَب إليهم الإبل

عليه ويضرب فى لقاحه(١) . وبالصفراء مات عبيْدة بن الحارث رضى الله عنه . واستقْبل طلحةُ وسعيدُ بن زَيد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بتُرْبَان(٢) [فيما بين ملَلَ والسيَالَة] وهو منحدر من بدر يريد المدينة . وقدم زيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة من الأُثَيل إلى المدينة فجاء يوم الأحد شَدّ(٣) الضُّحى فنادى عبد الله : يا معشر الأنصار ، أبْشرُوا بسلامة رسول الله وقَتْلِ المشركين وأسرهم ؛ ثم اتّبع دورَ الأنصار فبشَّرهم . وقدم زيدُ بن حارثة على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القَصْواء(٤) يُبَشر أهلَ المدينــة فلم يصدِّق المنافقون ذلك وشَنعوا ؛ وقدم شُقْران بالأسرى وهم فى الأصل سبعون . وتلقى الناسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرَّوحاء يُهنئونهُ بفَتح الله ، فقدم المدينة صلى الله عليه وسلم مُؤَيداً مُظفراً منصوراً قد أعلَى الله كلمته ومكَّن له وأعزّ نصرَه ، ودخلها من ثنيّة الوداع فى يوم الأربعاء الثانى والعشرين من رمضان فتلقّاه الوَلائد بالدُّفوف وهن يقلن :

بشرى أهل المدينة بنصر رسول الله

طلَعَ البـــدْرُ علَينَا من ثنيات الوَداعِ
وَجب الشُّــكْرُ علَينَا ما دعا لله داعِ

فأذلّ الله بوقعة بدر رقَاب المشركين والمنافقين واليهود ، فلم يبْق بالمدينة يهوديٌّ ولا منافقٌ إلا خضع عنقُه . وأسـلم حينئذٍ بشرٌ كثير من أهل المدينة ، ومن ثمّ دخَل عبدُ الله بن أُبَىّ بنُ سلُول(٥) وجماعتُه من المنافقين فى دين الإسلام تقيَّةً(٦)

إسلام المنافقين

---

(١) اللقاح جمع لقوح : وهى الناقة تنتج
(٢) فى الأصل : « بغرثا » الطبرى ج٢ ص٢٩٦ ، والزيادة بعده من ابن سعد ج ٣ ص٢٧٩
(٣) شدَّ الضحى ، وشدَّ النهار وفى شدّها : وذلك حين يرتفع قبل الزوال
(٤) فى الأصل : « العصرا »
(٥) فى الأصل : « أبى بن سلول » ، وهكذا يكتبهما أكثرهم بالألف قبل « بن » ، وسلول جَدّته
(٦) فى الأصل : « مقيد » . والتقية : إظهارُ الصلح والاتفاق ، وإضمارُ الخلاف والمعاندة ، حذراً أو جُبناً

نوح قريش على قتلاها

وناحت قريشٌ على قتلاها بمكة شهراً ، وجزّ النساء شُعُورهنّ . وجعل صَفْوان بن أُمَيَّـة بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح لعُمَيْر بن وهب بن خَلَف ابن وَهْب الجُمَحِيّ — وهو المُضَرَّبُ — إنْ قتَل رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم أن يتحمَّل بدَيْنه ويَقُومَ بعياله ، وحَمَله على بعيرٍ وجَهَّزه . فقدم عُمَيْرٌ المدينةَ ودخل المسجدَ متقلِّدًا سَيْفَه يريدُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأَدخله عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلّم فقال : ما أَقدمَك ، يا عُمَيْر ؟ قال : قدمت فى أسيرٍ عندكم تُقَارِبُونا فيه ، قال : فما بَالُ السَّيْف ؟ قال : قَبَّحها اللهُ من سُيوف ؛ وهل أغنت من شىء ؟ إنما أُنْسِيتُه [١] حين نزلتُ وهو فى رَقَبتى . فقال : اصْدُقْ ، مَا أَقْدَمَك ؟ قال : ما قَدِمْت إلاَّ فى أَسِيرى ، قال : فما شَرَطْتَ لصَفْوان بن أُمَيَّة فى الحِجْر ؟ ففزِعَ عُمَيْر فقال : ماذا شَرَطْتُ له ؟ قال تَحَمَّلْتَ له بقَتْلى على أن يَقْضِىَ دَيْنَك ويَعُولَ عِيالك ، والله حائلٌ بينَك وبين ذلك . قال عُمَيْر : أشهدُ أنَّك رسولُ الله وأَنَّك صادقٌ . وأَسْلَم ، فقال صلى الله عليه وسلم : علِّموا أخاكم القُرْآنَ وأَطْلِقوا له أسيرَه . فعاد عُمَيْر إلى مكة يدعُوا النَّاس إلى الإسلام فأسلم معه بشَرٌ كثير

خبر عمير بن وهب ومقدمه المدينة لقتل رسول الله . ثم إسلامه وعودته إلى مكة

مَقْدم جبير بن مطعم فى فداء أسرى قريش

وقدِم جُبَيْر بن مُطعِم فى فداء الأسرى ، وقدم أربعة عشر من قريشٍ ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم فِدَاء الرجل أربعةَ آلاف إلى ثلاثةِ آلاف إلى ألفين إلى ألف ؛ ومنهم من مَنَّ عليه لأنَّه لا مالَ له . وبَعَثَتْ زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فِدَاء زَوْجها أبى العاص بن الرَّبيع بقِلَادَةٍ لها كانَتْ لخديجة رضى الله عنها من جَزْعِ ظَفَارِ [٢] — مع أخيه عَمْرو بن الرَّبيع فرَقَّ لها رسُول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن رَأَيتُمْ أن تُطْلِقوا لها أسيرَها وتَرُدُّوا إليها مَتَاعها

خبر زينب بنت رسول الله فى فداء زوجها

(١) فى الأصل : « نسيته »
(٢) الجزْعُ : خرز فيه سواد ، وبياض كأنه عين ، وظفار : بلدة باليمن

فَعَلْتُمْ ، قالوا : نعم ، فأطلقوا أبا العاص ورَدُّوا القِلَادة إلى زينب . وأخذ النبيُّ صلى الله عليه وسلّم على أبي العاص أَنْ يُخْلِيَ سبيلَ زينب فوعده ذلك ؛ وكان الذى أسره عَبْد الله بن جُبَيْر بن النُّعمان أخو خَوَّات بن جُبيْر . وفَكَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم عن السّائب بن عُبَيْد ، وعُبَيْد بن عمرو بن علقمة بغَيْر فِدْية ، وقد أسرهما سلَمَة بن أسلم بن حَرِيش الأشْهَلِيّ لأنه لا مالَ لهما ، ولم يقْدَم لهما أحد .

أسرى قريش ، وفداؤهم بتعليم الغلمان الكتابة

وكان فى الأسرى من يكْتُبُ ، ولم يكن فى الأنصار من يُحْسِن الكتابةَ ، وكان منهم من لا مالَ له ، فيُقبَل منه أن يعلّم عشرة من الغِلْمان الكتابة ويُخَلَّى سبيلُه . فيومئذ تعلّم زيدُ بن ثابت الكتابةَ فى جماعة من غِلْمان الأنصار . خرَّج الإمام أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس قال : كان ناسٌ من الأَسْرى يوم بدر لم يكن لهم فِداء ، فجعل رسول الله [(١)] صلى الله عليه وسلم فداءهم أنْ يعلّموا أولاد الأنصار الكِتابةَ ، قال : فجاء غلامٌ يبكى إلى أبيه [(٢)] فقال ما شأنك ؟ قال : ضربَنى مُعلّمى ، قال : الخبيثُ !! يطلُبُ بذَحْل بدرٍ [(٣)] ؛ والله لا تأتيه أبداً : وقال عامر الشَّعْبيّ : كان فداء الأَسرى [من] [(٤)] أهل بدر أربعين أوقيَّة أربعين أوقيَّة ، فمن لم يكن عنده علَّم عشرة من المسلمين ، فكان زَيدُ بن ثابت [ممَّنْ] [(٤)] عُلِّمَ

عِــدَّةُ من استشهد يوم بدر

واستُشهِدَ يوم بدر من المسلمين أربعة عشر : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار . وقُتِلَ من المشركين سبعون وأُسر سبعون ، وقيل أربعة وسبعون أُحْصِيَ منهم تسعة وأربعون أسيراً

قَتْل عصماء بنت مروان

وكانت [(٥)] عَصماء بنت مروان من بنى أُمَيَة بن زَيد تحت يزيد بن زيد بن حِصْن

(١) فى الأصل : « النبيّ » ، وهذا نص المسند ج ١ ص ٢٤٧
(٢) فى الأصل : « قال »
(٣) فى الأصل : « الخبيث بدخل ، والذَّحْل : الثأر أو العداوة والحقد
(٤) زيادة للسياق
(٥) هذه كما سماها ابن هشام « غزوة عمير بن عدى لقتل عصماء بنت مروان » ، وعدها فى أواخر السرايا ج ٢ ص ٩٩٥

الخَطْمِىّ ، وكانت تُؤْذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وتَعيب الإسلام وتحرّض على النبى صلى الله عليه وسلم وقالت شعراً ، فنَذَرَ عُمير بن عدىّ بن خرَشة بن أُمَيَّة بن عامر بن خَطْمَةَ [واسمه عبد الله بن جُشَم بن مالك بن الأوْس الخَطمِىّ] لئن رُدّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بدر إلى المدينة ليقتُلَنّها . فلما رجع صلى الله عليه وسلم من بدر جاءها عُميْرٌ لَيْـلاً حتى دَخل عليها[1] بيتها [وحولَها نفرٌ من ولدها نِيامٌ ، منهم مَنْ تُرْضِعُـهُ فى صَدرها ، فجسها بيده — وكانَ ضرِيرَ البَصر — ونحّى الصّبىّ عنها][2] ووضَع سيفَه على صدرِها حتى أنْفَذَه من ظَهْرِها ، وأتى فصَلّى الصُّبحَ مع النبى صلى الله عليه وسلم . فلمّا انصرف نظرَ إليه وقال : أقتلت ابنةَ مروان ؟ قال : نعَم يا رسول الله [فقال نَصرت الله ورسولَه ياعُمير ، فقال : هلْ علىّ شىءٌ من شأْنها يارسولَ الله ؟ فقال][3] : لاينْتطِح فيها عنْزان . فكانت هذه الكلمة أوّلَ ما سُمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال لأصحابه : إذَا أحببْتُم أن تنظروا إلى رجُلٍ نَصر الله ورسولَه بالغَيب فانظروا إلى عُمير بن عدىّ ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : انظُرُوا إلى هذا الأعمى الذى تَشرّى[4] فى طاعة الله تعالى فقال [رسول الله صلى الله عليه وسلم][5] : لا تَقُل الأعمى ولـكنّه البَصيرُ . فلما رجع عُميْرٌ وجدَ بنيها فى جماعةٍ يدفنُونَها[6] فقالوا : ياعمير أنت قَتَلْتَها ؟ قال نعم فكيدونى جميعاً ثم لا تُنظرون ، فوالذى نفسى بيده لو قُلْتُم بأَجمعكم ما قَالَت لَضربتُكم بسَيفى هذا حتى أموت أو

(١) فى الأصل : « ق »
(٢) زيادة من ابن سعد ج ٢ ص ١٨
(٣) زيادة لا بد منها ، ابن هشام ج ٢ ص ٩٩٦
(٤) تمرّى : إذا شرى (أى باع) نفسه فى طاعة الله ، ومنه الشراة جمع شارٍ
(٥) زيادة للإيضاح
(٦) هذه الـكلمة غير واضحة ، وهكذا قرأناها

أَقْتُلَكم . فيومئذ ظهر الإسلامُ فى بنى خَطمَةَ فمدحَ حسّان عُمير بن عدىّ . وكان قتلُ عصماء لخمس بقين من رمضان مَرْجِعَ النبى صلى الله عليه وسلم من بدر على رأس تسعة عشر شهراً

فرض زكاة الفطر

وقام رسولُ الله قبل يوم الفطر بيومين خطيباً فعلَّم النـاس زكاةَ الفِطْر ، وخرج إلى المُصَلَّى يوم الفطر فصلَّى بالناسِ صلاةَ الفِطْر والعَنَزَةُ(١) بين يَدَيْه ؛ وهى أول صلاة صلَّاها فى يوم العيد

قتل أبى عَفَك اليهودىّ

ثم كان قتلُ أبى عَفَكٍ اليهودىّ فى شوال على رأس عشرين شهراً ، وكان شيخاً من بنى عمرو بن عَوْف قد بلغ عشرين ومائة سنة(٢) ، وكان يُحَرِّض على عَداوةِ النبى صلى الله عليه وسلم ، ولَمْ يدخُل فى الإسلام ، وقال شعراً ؛ فنَذَر سالمُ ابن عُمَيْر بن ثابت بن النُّعمان بن أُمَيّة بن أمرئ القَيْس بن ثعْلَبَـة بن عمرو بن عَوْف الأنصارى أحدُ البكّائين(٣) من بنى النَجّار ليَقْتُلَنَّهُ أو يموتَ دونه ، وطلب له غِرَّةً(٤) ، حتى كانت ليلةٌ صائفةٌ — ونامَ [أبو عَفَكٍ](٥) بالفِناء فى بنى عمرو بن عوف — فأَقْبلَ(٦) سالمٌ فوَضع السيفَ على كَبِدِه فقتله

غزوة بنى قينقاع وإجلاؤهم

ثم كان إجْلاء بنى قَيْنُقاعَ(٧) — أحدِ طوائف اليهود بالمدينة — فى شوال بعد بدْر ، وقيل فى صَفَر سنة ثلاث ، وجعلها محمد بن إسحاق بعد غَزْوة « قَرارَة

(١) العنزةُ : عصاً قصيرة فى سنان ، ولها زُجّ فى أسفلها ، وهذه العَنَزة ، كانت تُحمل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت للزبير بن العوام ، قدم بها من الحبشة فأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) فى الأصل : « سنة سنة »

(٣) البكّاؤون : سبعة نفر من الأنصار جاءوا رسول الله ليستحملهم لغزوة تبوك ، فقال : لا أجدُ ما أحملكمُ عليه ، فتولوا وأعيُنهم تفيض من الدمع حزناً ألاّ يجدوا ماينفقون

(٤) فى الأصل : « عزة »

(٥) زيادة للإيضاح

(٦) فى الأصل : « أقبل »

(٧) فى الأصل : « قينقا »

سبب إجلائهم

الـكُدْر » . وكان سببُها أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمّا قَدِم المدينةَ مهاجراً وَادَعَتْهُ يهودُ كُلُّها وكتب بيْنَه و بيْنهم كِتابًا ، وألحقَ كُلَّ قومٍ بحُلَفائهم ، وجعل بينه و بينهُمْ أمانًا ، وشرَط عليهم شُرُوطًا منها : أَلّا يُظاهِروا عليه عدُوًّا . فلما قَدِم من بَدْر بَغَتْ يَهودُ وَقَطعتْ ما كان بينها و بيْنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهْد ، فجمَعَهُمْ [بسوق بنى قينُقاعَ][(١)] وقال : يا معشرَ يَهود ، أَسْلِموا قَبْلَ أنْ يوقِـعَ الله بِكُمْ مِثْلَ وَقْعةِ قُرَيش[(٢)] ، فواللهِ إنَّـكم لتعلَمون أَنّى رسول الله ، فقالوا : يا محمّد ، لا يغُرَّنَّكَ من لَقيتَ ، إنك قَهَرْتَ قوماً أَغْمارًا[(٣)] ، و إنّا وَالله أصحابُ الحرْب ، ولئن قاتَلْتَنا لتَعْلَمَنَّ أنَّك لم تُقاتِل مِثْلنا . فبينا هُمْ على ما هُمْ عليه — من إظهارِ العداوة ونبْذِ العهْد — جاءت امرأةُ رجلٍ من الانصار إلى سوق بنى قَيْنُقاع فجلست عند صائغ[(٤)] فى حُلِيٍّ لها ، فجاء أحدُ بنى قينُقاع فحَلَّ دِرْعها من وَرائها بِشَوْكَةٍ ولا تَشْعُر ، فلما قامتْ بَدتْ عورَتُها فضحكوا بها[(٥)] ، فاتَّبعه رجلٌ من المسلمين فقتَله ، فاجتمع عليه بنو قَيْنُقاع وقتلوه ونَبذوا العهدَ إلى النبى صلى الله عليه وسلم وَحارَبوا ، وَتَحَصَّنوا[(٦)] فى حِصْنهم . فأنْزَل الله تعالى « وَإِمّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ » . (الأنفال : ٥٨) فقال صلى الله عليه وسلم : أنا أَخافُ[(٧)] بنى قَيْنُقاع

(١) زيادة للايضاح

(٢) هذه الجملة من قوله « قبل » إلى « قريش » كانت مؤخرة بعـد قوله « إنى رسول الله »

(٣) فى الأصل : « أعماراً » ، والغمْرُ : الجاهل الغرّ الذى لا غناء عنـده ولا رأى ولا تجربة ولا علم له بحرب ولا أمر

(٤) فى الأصل : « صانع »

(٥) فى الأصل : « منها »

(٦) فى الأصل : « وانحصنوا »

(٧) فى الأصل : « أخافه من »

فسار إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم السبت النصف من شوال بعد بدْر ببضع وعشرين يوماً ، وهم سبعمائة مقاتل : منهم ثلاثمائة مُتدَرّعون بدُروع الحديد ، ولم يكن لهم حصونٌ ولا مَعاقِل إنما كانوا تُجّاراً وصاغَة ، وهم حُلَفاء لعبْد الله بن أُبَيّ ابن سلول ، وكانوا أشجعَ يَهود . فكانوا أوّل من غَدر من اليهود ، فحاصرهم خمس عشرة ليلةً حتى نزلوا على حُكْمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بهم فرُبِطُوا ، واستَعْمَل على رِباطهم وكِتافِهمْ[(١)] المنذرَ بن قُدامة السَّلَمِيّ من بنى غَنْم ابن السَّلْم بن مالك بن الأوس ؛ ثم خَلَّى عنهم بشفاعة عبد الله بن أبى ابن سلول ، وأمرهم أنْ يُجْلوا من المدينة ، فأجْلاهم محمد بن مَسْلَمَة الأنصاريّ ؛ وقيل عُبادة بن الصامت ؛ وقَبضَ أموالهم . وأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاحِهم ثلاثَ قِسِيّ[(٢)] وهى الكَتوم والرَّوْحاء والبيْضاء ، وأخذ دِرْعين : الصُّغْدِيَّة وفِضّةَ ، وثلاثةَ أسياف وثلاثةَ أرْماحٍ . ووجدوا فى منازلهم سلاحاً كثيراً وآلةَ الصّياغة ، وخَمَس[(٣)] ما أصابَ منهمْ وقَسَم ما بقى على أصحابه . وخرجوا بعْدَ ثلاثٍ فلحقوا بأذْرِعاتٍ[(٤)] بنسائهم وذَرارِيهِمْ ، فلم يلبَثوا إلّا قليلًا حتى هَلَكوا ؛ وقال الحاكم : هذه وبنى النَّضير واحدةٌ ورُبَّما اشتبها على مَنْ[(٥)] لا يتأمل

واستخلفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى قَيْنُقاع على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنْذر ، وحَمَل لواءه حمزةُ بن عبد المطّلِب رضى الله عنه ، وكان أبيض ؛ ولم تكن الرّايات يومئذ

---

(١) الكِتاف : التكتيف
(٢) جمع قوس
(٣) أخذ خمس الغنيمة ، وهو المذكور فى آية الأنفال : ٤١ ، كما مضى ، وهو أوّل خمس خُمسَ بعد بدر
(٤) هى مدينة بأطراف الشام قبل الحجاز
(٥) فى الأصل : « اشتبها على ولا يتأمل »

غزوة السويق

ثم كانت غزوة السَّويق ، خَرَجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحد الخامس من ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً فى مائتين من المهاجرين والأنصار ؛ واستخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر ، فغَابَ[1] خمسة أيام . وذلك أن المشركين لمّا رَجَعوا إلى مكة من بدر حرّم أبو سفْيان صَخْر بن حرْب الدُّهْنَ حتَّى يثْأَرَ من محمد وأصحابه بمَنْ أُصيبَ من قومه . فخرج فى مائتى راكب ، وقيل فى أربعين راكباً ، فجاءوا بنى النَّضير — فى طرف المدينة — ليلًا ، ودخلوا على سَلَّام بن مِشْكَم فسقى أبا سفيان خَمْراً وأخبره من أخبار النبى صلى الله عليه وسلم ، وخرج [أبو سفيان][2] سَحَراً فوجد رجلًا من الأنصار فى حَرْثٍ فقتَله وأجيرَهُ — وهذا الأنصارى هو مَعْبَد بن عمرو — وحرّق بيْتَيْن بالعُرَيْض ، وحرق حَرْثاً لهم وذهب . فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمن معه فى أثَرِه ، وجعل أبو سفيان وأصحابُه يُلْقون جُرُبَ السَّويق[3] — وهى عامّةُ أزْوادِهِم — يتخفَّفون منها لسرعة سَيرِهِمْ خوفاً من الطَّلب . فجعل المسلمون يأخذونها . فسُمِّيتْ غزْوةَ السَّويق لهذا

أول عيد ضحّى فيه رسول الله

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . وصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاةَ الأَضْحى بالمصلَّى ، وضحَّى بشاةٍ ، وقيل بشاتيْن ، وضحَّى معه ذَوُوا اليَسار . قال جابر : ضحَّيْنا فى بنى سلمة سبع عشرة أُضْحِيَّة ؛ وهو أوّلُ عيد ضحَّى فيه النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى الأصل : « ففات »

(٢) زيادة للإيضاح

(٣) الجُرُب جمع جراب : وهو وعاء يكون فيه الزاد ، والسويق : يتخذ من الحنطة والشعير

كتابُ المعاقل والديات

وكتبَ صلَّى الله عليه وسلم فى هـذه السنة المَعاقل[١] والدِّيات ، وكانت معلَّقةً بسيْفِه

زواج فاطمة بنت رسول الله

ويقال : فيها بَنَى علىٌّ بفاطمةَ رضى الله عنهما ، وعلى رأس اثنين وعشرين شهراً

(غزوة قرارة الكُدْر) قرقرة بنى سليم

ثم كانت غزوةُ قرارةِ الكُدْرِ ؛ ويقال قَرْقَرَة بنى سُلَيْم وَغَطَفان ، خرج إليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً ؛ هذا قول محمـد بن عمر الواقدى ؛ وقال ابن إسحاق كانت فى شوال سنة اثنين . وقال[٢] ابن حزْم لم يُقِمْ مُنْصرَفَه من بدرٍ بالمدينة إلا سبعة أيام ، ثم خرج يريد بنى سليم وحمل لواءه علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أُم مكتوم . وذلك أنه بلغه أنّ بقَرَارة الكُدْر جمعًا من غَطفان وسُلَيْم ، فأخذ عليهم الطريقَ فلم يَجد فى المجال أحداً ، فأرسـلَ فى أعلى الوادى نفراً من أصحابه واستقبلهم فى بَطن الوادى فوجد رِعاء[٣] فيها غلامٌ يقال له يَسار ، فسألهم فأخبره يَسارٌ أن الناس ارتفعوا إلى المياه ، فانصرف وقد ظَفِر بالنَّم[٤] يريد المدينة . فأدركه يسارٌ وهو يصلِّى الصبح فصلَّى وراءه ، وطابت به أنفُس المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسـلم فقَبِله وأعتقَه . وقدم المدينة ، وقد غاب خمس عشرة ليلة ، وأخذ خُمْسَ النَّعم — وكانت خمسمائة — وقَسَم باقيها ؛ وقيل بل أصاب كل رجل منهم سبعة أَبعِرَة — وكانوا مائتى رجل ، وكان قَسْمُها بِصِرارٍ على ثلاثة أميال من المدينة

سرية قتل كعب ابن الأشرف

ثم كان قتلُ كعب بن الأشرَف اليهودىّ لأربع عشرة من شهر ربيع الأول

(١) المعاقل والديات : ما شرع الله العوض فى الجناية وغيرها
(٢) فى الأصل : « ويقال »
(٣) جمع راع
(٤) فى الأصل : « بنعم » ، ويريد نعم الرعاة

على رأس خمسة عشر شهراً . وذلك أنه كان من بنى نَبْهان من طَيِّء حليفاً لبنى قُرَيْظَة ، وأمه من بنى النَّضير ، وكان عدوًّا لله ولرسوله يهجو النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأصحابَه ، ويُحَرِّض عليهم كفّار قريش فى شعره . ثم خرج إلى مكة بعد بدرٍ فجعل يرثِي [قتلى بَدر ويُحَرِّض](١) قريشًا ، وعاد إلى المدينة . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم اكْفِنِى ابنَ الأشرف بما شِئْتَ — فى إعلانه الشرَّ وقوله الأشعار — وقال : منْ لِى بِابْنِ الأشرف فقد آذانى . فقال محمد بن مَسْلَمة : أنا به يا رسول الله ، وأنا أقتله ، قال : فافْعل . وأمرَه بمشاوَرة سعدِ بن مُعاذ ، فاجتمع محمدُ بن مَسلَمَة ونفرٌ من الأوس منهم : عَبَّادُ بن بِشر بن وَقَش بن زُغْبة بن زَعُورا بن عبد الأشهل ، وأبو نائلة سِلْكانُ بن سَلامة [بن وَقَش](٢) ، والحارثُ بن أوس [بنَ مُعاذ ، وأبو عَبْس بن جَبْر أحد بنى حارثة](٢) فقالوا : يا رسولَ الله ، نحن نقتلُه فأْذَنْ لنا فلْنقُل ، قال : قولُوا(٣) . فأتاه أبو نائلةَ وهو فى نادى قومه — وكان هو ومحمد بن مَسْلمة أخويه من الرَّضاعة(٤) — فتحدَّثا وتَناشدَا الأشعار حتى قامَ القوم فقال له : كان قدومُ هذا الرجل علينا من البلاء ؛ حار بتْنا العربُ ورَمتْنا عن قَوْسٍ واحدة ، وتقطَّعت السُّبُل عنّا حتى جُهِدَت الأنفُس ، وضاع العيال ؛ فقال كعب : قد كنتُ أُحَدِّثك بهذا أن الأمرَ سيصيرُ إليه ؛ قال أبو نائلة : ومعى رجالٌ من أصحابى على مثل رأيى ، وقد أردتُ أن آتيَك بهم فنبتاع منك طعاما وتمراً ، ونرْهَنَك ما يكون لك فيه ثِقة ، واكتم عنا ما حدثتُك من ذِكر محمد ؛ قال : لا أذكرُ منه حرفا ، لكن اصدُقْنى ، ما الذى تريدون

سبب قتله

(١) زيادة للإيضاح
(٢) زيادة من ابن سعد ج ٢ ص ٢١ ، وابن هشام ج ٢ ص ٥٥١
(٣) قال يقول : كناية عن بعض الكذب فى الحديث
(٤) يريد ، أخوى كعب بن الأشرف

في أمره ؟ قال : خِذلانه والتّنحي عنه ، قال : سَرَرْتَني ، فماذا ترهنونني ؟ قال : الحلْقة(١) ، فرضيَ . وقام أبو نائلة من عنده على ميعادٍ ، فأتى أصحابه فأجمعوا أن يأتوه إذا أمْسَى لميعاده ، وأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم ، فمشى معهم ووجّههم من البَقيع(٢) وقال : امضوا على بركةِ الله وعونه ؛ وذلك بعد أن صلوا العشاء في ليلةٍ مُقمِرةٍ مثلِ النهار . فأتوْا ابن الأشرف فهتفَ به أبو نائلة — وكان حديثَ عهدٍ بعرْسٍ(٣) — فوثبَ ونزَل من حِصنه إليهم . فجعلوا يتحادثون ساعةً ، ثم مَشَوْا قِبَلَ شَرْجِ العجُوز(٤) ليتحادثُوا بقيةَ ليلتهم ؛ فأدخل أبو نائلةَ يدَه في رأس كعب وقال : ما أطيبَ عِطْرَكَ هذا !! ثم مشى ساعةً وعاد لمثلها وأخذَ بقرون(٥) رأسه فضربه الجماعةُ بأسيافهم ، ووضع محمد بن مسلمة مِغْوَلًا(٦) معه في سُرَّةِ كعبٍ حتى انتهى إلى عانَته ، فصاح صيحَةً أسمعتْ جميع آطامِ اليهود ، فأشعلوا نيرانَهم . واحتزّ الجماعةُ رأس كعبٍ واحتملوه وأتوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقد قام يصلى ليلتَه بالبقيع — فلما بلغوه كبَّروا فكبّر صلى الله عليه وسلم ثم قال : أفلحت الوُجوه ، فقالوا : ووجهك يا رسول الله . ورموْا برأس كعب بين يديه ، فحمد الله على قتله ، وتَفل على جُرح الحارث بن أوس ، وكان قد جُرح ببعض سيوف أصحابه فبرأَ من وقته . وأصبحَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم من الليلة التي قتل فيها ابن الأشرف فقال : مَنْ ظَفِرْتمْ به من رجال يهودَ فاقتلوه ؛ فخافت اليهود فلم يطلع عظيم من عظمائهم ولم يَنطِقوا

(١) الحلقة : السلاح عامة والدروع خاصة
(٢) البقيع : (بقيع الغرقد) بالمدينة
(٣) الضمير في الجملة لابن الأشرف
(٤) شرجُ العجوز : موضع بقرب المدينة
(٥) القرون : ضفائر الرأس
(٦) المِغْوَل : سيف دقيق قصير ماض يكون في جوف سوط ، ليشدّه الفاتك على وسطه ليغتالَ به الناسَ

مقتل ابن سُنينة

وكان ابنُ سُنَيْنَةَ من يهود بنى حارثة حليفاً لحُوَيِّصَة بن مسعود ، فعَدا [أخوه] (١) مُحَيِّصَة [بن مسعود] (١) على ابن سُنَيْنة فقتله ، فجعل أخوه حوَيِّصة يضربُه ويقول : أىْ عـدُوَّ الله أقتَلْتَه (٢) ! ! أمَا والله لرُبَّ شَحْمٍ فى بطنك من ماله ، فقال محيصة : والله لو أمَرَنى بقتْلِكَ الذى أمرَنى بقَتْله لقَتَلْتُك [قال : أوَالله لو أمرَكَ محمّد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرْب عُنُقكَ لضربتُها ، قال : والله إنّ دينا بلغَ بك هذا لعجَبٌ ، فأسلم حُوَيِّصَة] (٣)

فجاءت يهودُ إلى النبى صلى الله عليه وسلّم يَشْكُون ذلك (٤) ، فقال : إنّه لو فَرّ كما قد فرّ غيرهُ مِمَّنْ هو على مثل رأيه ما اغتِيل ، ولـكنه نَال منّا الأذى وهجانا بالشِّعر ، ولم يفعل هذا أحدٌ منكم إلا كان السَّيف . ودَعاهم إلى أن يَكْتب [بينه و] (٥) بيْنهم كتابا ينتهُون إلى ما فيه ، فكتبوا بينهم و بينه كتاباً . وحذِرَتْ يهودُ وخافتْ وذَلّت من يوم قُتل ابنُ الأشرف

غزوة ذى أمَر بنجد

ثم كانت غَزْوة ذى أَمَرَ (٦) بنَجْد ؛ خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا فى قول الواقدىّ ؛ وذكر ابن إسحاق أنها كانتْ فى المحرم سـنة ثلاث ؛ ومعه أربعمائة وخمسون ، فيهم عدّةُ أفْراس . وأستخلَفَ على المدينة عثمانَ بن عفّان رضى الله عنه . وذلك أنّه بلغهُ أن جمعاً — من بنى ثَعْلَبة بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطفَان ، وبنى مُحارِب بن خَصَفَة بن قَيْس — بذى أمَرَ قـد تجمَّعُوا

(١) زيادة للإيضاح
(٢) فى الأصل : « تقتله »
(٣) نظن أنها زيادة لا بدّ منها
(٤) يعنى قتل ابن الأشرف ، وفى الأصل : « يشكوا »
(٥) زيادة للسياق
(٦) فى الأصل : « أمو »

يريدون أن يصيبوا من أطْرافه صلّى الله عليه وسلم : جَمعهم دُعْثُور بن الحارث من بنى[1] محارب ، فأصاب [رسول الله صلى الله عليه وسلم] [2] رجلاً منهم بذى القَصة يقال له جبَّار من بنى ثعلبة فأسلم ، وسار معهم يَدلُّهم على عَوْرات القوم حتى أهبطهم من كَثِيبٍ ، فهرَبت الأَعرابُ فوق الجبالِ . فنزل صلى الله عليه وسلم ذَ أمرَ ، فأصابهم مطرٌ كثيرٌ ، فذهب صلى الله عليه سلم لحاجته فأصابه المَطَر فبَلَّ ثوبَه فنزَعه ونَشَره على شجرة ليَجِفَّ واضطجعَ تحتَها ، والأعرابُ تنظرُ إليه ، فبادَر دُعْثُورٌ وأقبل مُشْتَمِلاً على السَّيف حتى قام على رأس النبى صلى الله عليه وسلم بالسَّيف مشهوراً وقال : يا مُحمَّد ، من يمنَعُك منِّى اليوم ؟ قال : اللهُ . ودفَع جبريل عليه السلام فى صَدْره فوَقَع السيفُ من يده فأخذه النبىُّ صلى الله عليه وسلم وقام به على رأسه فقال : مَنْ يمنعك منّى اليوم ؟ فقال : لا أحد ، وأسْلم ، وحَلَف لا يُكثِّر عليه جَمْعاً أبدًا ثم أدْبر ، فأعطاه سَيْفه . فأتى قَوْمَه ودعاهم إلى الإسلام ؛ وفيه نزلت « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون » (المائدة : ١١)[3] . وعاد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فكانت غَيْبَتُه أحد عشرة ليلة

خبرُ دعثور الذى أراد قتل رسول الله

زواج أم كلثوم بنت رسول الله

وفى ربيع الأول هـذا تزوّج عُثْمان بن عفان رضى الله عنه بأمِّ كلثوم بِنْتِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل بها فى جمادى الآخرة رضى الله عنها

غزوة بنى سليم بالفُرُع

ثم كانت غزوة بنى سُلَيْم بِبُحْران[4] من ناحية الفُرُع . خرج صلى الله

(١) فى الأصل : « الحارث بن محارب »
(٢) زيادة للإيضاح
(٣) فى الأصل : « عنكم الآية »
(٤) فى الأصل فى المواضع كلها : « نجران »

عليه وسلم فى السادس من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهراً فى ثلاثمائة رجل ، واستخلف على المدينة ابْنَ أُمِّ مكتوم ، ولم يُظْهِر وَجْهاً . فأغذَّ⁽¹⁾ السَّيْرَ ، حتى إذا كان دُون بُحْرَان⁽²⁾ بليلةٍ لَقِى رَجلاً من بنى سُلَيم فأخبَره أنَّ القومَ افترقوا ، فحبسه مع رجل وسار حتى وَرَدَ بُحْران⁽²⁾ وليس بها أَحَدٌ ؛ فأقام أيَّامًا ورَجَع ولم يَلْقَ كيداً ؛ وأرْسَلَ⁽³⁾ الرَّجل . فكانت غَيْبَتُهُ عشرُ ليالىَ

سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدَة

ثم كانت سَرِيةُ زيد بن حارثة إلى القَرَدَة⁽⁴⁾ — وهى أوَّل سرية خرج فيها زيدٌ أميراً ، سار لهلال جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً — يُريد صَفْوان بن أُمَيَّة وقد نَكَب⁽⁵⁾ عن الطريق — وسلَك على جهة العِراق يريد الشَّأْم بتجارةٍ فيها أموالٌ لقريش — خوفاً من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يعترضَها . فقدم نُعَيْم بن مَسعود الأشْجَعِىّ على كِنانَة بن أبى الحُقَيْق فى بنى النضير فشرِبَ معه ، ومعهم سَليط بن النعمان⁽⁶⁾ يشربُ ، ولم تَكن الخَمرُ حُرِّمَتْ ، فذكر نُعَيْم خروجَ صَفْوان فى عيره وما معهم من الأموال ، فخرج [سليط]⁽⁷⁾ من ساعته وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فأرسل زيدَ بن حارثة فى مائة راكبٍ فأصابوا العِيرَ وأفْلتَ أعيانُ القَوْم . فقدموا بالعِير فخَمَّسَها رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فبلغ الخُمُس عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقى على أهل السرية . وكان فيمن أسر فُرَاتُ بن حَيَّان فأسلم

(١) فى الأصل : « فأغد » ، وأغذ : أسرع
(٢) فى الأصل فى المواضع كلها : « نجران »
(٣) أرسله : أطلقه
(٤) قال ابن سعد ج ٢ ص ٢٤ ، « والقَرَدَة ، من أرض نَجدْ بين الرَّبَذَة والغَمْرَة ناحية ذات عِرْق »
(٥) نكب : عَدل
(٦) لم أجد « سليط بن النعمان » هذا فى الصحابة ؛ ولم أجد الخبر
(٧) زيادة للإيضاح

زواج حفصة أم المؤمنين

وفى شعبان من هذه السنة تَزَوَّج رسول الله صلى الله عليه وسلّم حفْصَةَ بنتَ عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ؛ وقال أبو عبيد سنة اثنتين ؛ ويقال بعد أحد .

زواجه زينبَ أمَّ المساكين

وتزوَّج زينبَ أمَّ المَسَاكين فى رمضان قبل أحد بشهر . وفى نصف رمضان ولد الحسَنُ بنُ علىٍّ رضى الله عنهما

غزوة أحُد

ثم كانت غزوة أُحد يوم السبت لسبعٍ خَلَوْن من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً ، وقيل كانت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال ؛ وقيل كانت للنصف منه ؛ وعن مالك بن أنس : كانت بعد بدرٍ بسنة ؛ وعنه أيضاً كانت على أحَدٍ وثلاثين شهراً من الهجرة

ما فيها من دلائل النبوّة

وهى وقعة امتَحن الله عز وجلّ فيها عبادَه المؤمنين واختبرهم ، وميَّز فيها بين المؤمنين والمنافقين . وكان فيها من دلآئل النُّبُوّة : تحقيقُ قول النبى صلى الله عليه وسلّم لأُمية بن خَلَف : بل أنا أَقْتُلك ، فقَتَله ؛ وردُّ عَيْن قَتَادة إلى موضعها بعْد سقوطها ؛ وغَسلُ الملائكة لحَنْظَلة وظُهُور ذلك للأنصار[1] ، فرأوا الماء يقْطُر من رأسه رَفعاً للجَنابة التى كانت عليه ؛ وما اعْتَراهم من النُّعاس مع قرب العدوِّ منهم ، وذلك خلافُ عادة من انهزم من عَدُوِّه

سبب قتال أحد

واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينةِ ابنَ أُمِّ مكتومٍ . وذلك أنه لمَّا عاد المشركون من بدر إلى مكة وجَدوا العيرَ التى قَدِم بها أبو سفيان بن حرب من الشأم موقوفةً فى دار النَّدْوة — وكذلك كانوا يَصْنعون — لم يُحرِّكُها ولا فرَّقها ، فطابتْ أنفُس أشرافِهِم أن يُجَهِّزوا منها جيشاً كثيفاً لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم و باعوها . وكانت ألْف بعير ، والمال خمسون ألف دينار ، وكانوا يربحون فى الدِّينار ديناراً ، فأخرجوا منها أرْباحهم . فنزل فيهم قول الله تعالى « إنَّ الَّذِينَ

(١) فى الأصل : « وظهور ذلك الأنصار »

كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ » (الأنفال : ٣٦)(١) .

بعثة قريش تستنفر العرب

وبعثوا — عمرو بن العاص ، وهُبَيْرَةَ بن أبى وَهْب ، وابنَ الزِّبَعْرَى ، وأبا عَزَّةَ عمرو بن عبد الله الجُمَحِىَّ الذى مَنَّ عليه النبى صلى الله عليه وسلم يوم بَدْرٍ — إلى العرب يستَنْفِرُونَهَا ، فألَّبوا العرب وجَمعوها .

خروج قريش من مكة

وخرجوا من مكةَ ومعهم الظُّعُن(٢) — وهنَّ خمس عشرة امرأة — وخرج نساء مكة ومعهنَّ الدُّفوف يبْكين قتلى بدر ويَنُحْنَ عليهم . وحشَدتْ بنو كِنانة ، وعقدوا ثلاثة ألْوية ، وخرجوا من مكة لخمس مضين من شوال فى ثلاثة آلاف [رجل فيهم سبعمائة دارعٍ ، ومعهم مائتا فرس](٣) وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة(٤) .

كتاب العباس إلى رسول الله

وكتبَ العبّاسُ بن عبد المطَّلب كتاباً إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مع رجل من بنى غِفار يُخْبِره بذلك ، فقدم عليه وهو بقُباء فقرأه عليه أُبَىُّ بن كَعْب واستَكْتَمَ أُبيًّا(٥) . ونزَل [رسولُ الله صلى الله عليه وسلم](٦) على سَعْد بن الرّبيع فأخبره بكتابِ العبَّاس فقال : والله إنى لأَرْجو أن يكونَ فى ذلك خيرٌ(٧) . وقد أَرْجَفَتْ اليهود والمُنافقون وشاعَ الخبرُ . وقدِم عَمْرو بن سالم الخُزاعىّ فى نفرٍ وقد فارقوا قريشاً من ذِى طُوًى ، فأخبر النبىّ صلى الله عليه وسلم الخبرَ وانصرفوا .

---

(١) فى الأصل : ثم يغلبون ، الآية »

(٢) الظعُن ، جمع ظعينة : وهى المرأة تكون فى هَوْدجها ، ويعنون الزوجات

(٣) الذى بين القوسين هو فى الأصل هكذا [ومائتى فرس وسبعمائة دارع] ، والذى أثبتناه هو ترتيبُ القول

(٤) من الظعن التى سلف ذكرها

(٥) فى الأصل « ابنا »

(٦) زيادة للإيضاح

(٧) فى الأصل : « خيراً »

خبر أبي عامر الفاسق

وكان أبو عامرٍ الفاسقُ قد خرج فى خَمْسين رجُلا إلى مكة وحرّض قُرَيْشاً وسارَ مَعَها وهو يَعِدُها أنَّ قومَه يؤازرُونهم — واسم أبي عامر هذا : عَبْدُ عمرو[1] بن صَيْفِيٍّ الرّاهب ، وكان رأسَ الأَوْس فى الجاهليّـة ، وكان مُترهِّباً ، فلما جاء الإسلام خُذِلَ فلم يدخُلْ فيه ، وجاهَر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوةِ فدعا عليه ، فخرج من المدينة إلى مكة . وهمّت قُرَيْش وهى بالأَبْواء أن تَنْبِشَ قبر آمنةَ أُمِّ النبى صلى الله عليه وسلم ثم كفهم الله عنه

بثّ العيون

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسـلم أَنساً ومُؤْنِساً ابنَى فَضَالة ليلة الخميس عَيْنَيْن ، فاعترضا لقريش بالعَقِيق[2] ، وعادا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبراه . ونزل المشركون ظاهر المدينة يوم الأربعاء فَرَعَتْ إبلُهم آثار الحَرْثِ والزَّرع يوم الخميس ويوم الجمعة حتى لَمْ يتركوا خضْراء . وبَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُبَاب بن المُنْذِر بن الجَمُوح فنظر إليهم وعاد وقد حَزَرَ عددَهم وما معهم ، فقال صلى الله عليه وسلّم : لاتَذْكُروا من شأنهم حَرْفاً ، حسبُنا الله ونعمَ الوكيل ، اللّهُمّ بِكَ أَجُولُ وبك أَصُولُ

المناوشة قبل أحد

وخرج سَلَمَة بن سَـلامة بن وَقَش يوم الجمعة فلقى عشرة أفراسٍ طليعةً فراشقهم بالنَّبْل وبالحجارة حتى انْـكَشَفُوا عنْه ، وعدا إلى قومه بنى عبد الأشهل فأخبرهم ما لَقِيَ . وباتت وُجوه الأوس والخزرج ليلة الجمعـة لست مضين من شوال عليهمُ السلاحُ فى المسجد بباب النَّبى صلى الله عليه وسلم خوفاً من بيَاتِ[3] المُشْركين ؛ وحُرِسَت المدينةُ حتى أصبحُوا

رؤيا رسول الله وخطبته

ورأى صلى الله عليه وسلم رُؤْيا ، فلما أصبح يوم الجمعة واجتمع الناسُ خَطَبَ

---

(١) فى الأصل : « عمرو بن صيفى »

(٢) العقيق : وادٍ على ثلاثة أميالٍ من المدينة

(٣) البيات : أن يوقعوا بالناس ليلاً

على المِنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيُّها النَّاس ، إنى رأيْتُ فى منامى رُؤْيا : رأيتُ كأنِّى فى دِرْعٍ حصينة ، ورأيت كأنّ سيفى ذا الفقَارِ انقصَمَ[(١)] من عند ظُبتِه[(٢)] ، ورأيت بقراً تُذْبح ؛ ورأيت كأنى مُرْدِفٌ كبشاً . فقال النـاس يا رسول الله ، فمـا أَوّلتها ؟ قال : أما الدّرع الحصينة فالمدينـةُ ، فامكثُوا فيها ، وأما انقصام سيفى من عند ظُبته فمصيبةٌ فى نفسى ، وأما البقرُ المذبَّحُ فقتْلَى فى أصحابى ، وأمّا أنّى مُرْدِف كبشاً فـكبشَ الـكتيبةِ نقتـله إن شاء الله . وفى رواية : وأما انقِصَامُ سيفى فقتْـل رجل من أهـل بيتى . وقال : أَشيرُوا عَلَىَّ .

اختلافُ المسلمين فى الخروج إلى العدوّ

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يخرج من المدينة فوافقه عبد الله بن أُبَىّ والأكابرُ من الصحابة مُهاجرُهم وأنصارُهم ، وقال عليه السلام : امكثُوا فى المدينة واجعلوا النّساء والذّرارىّ فى الآطام ، فإن دُخِلَ علينا قاتلناهم فى الأزِقّةِ — فنحن أعلم بها منهم — ورُمُوا من فوق الصياصى والآطام[(٣)] . وكانوا قد شبَّكوا المدينة بالبُنْيان من كل ناحية فهى كالحِصن . فقال فتيانٌ أحْـداثٌ لم يشهدُوا بدراً وطلبُوا الشهادة وأحبُّوا لقاء العدوّ : اخرجْ بنا إلى عَدُوّنا . وقال حَمْزةُ ، وسعدُ ابن عبادة ، والنعمانُ بن مالك بن ثَعلبة ، فى طائفةٍ من الأنصار : إنَّا نَخْشَى يا رسول الله أن يَظنّ عدوُّنا أنّا كرِهْنَا الخروجَ إليهم جُبْناً عن لِقائهم ، فيكون هذا جرأةً منهم عَلَيْنا ؛ وقد كنتَ يوم بدر فى ثلاثمائة رجل فظفّرَكَ الله عليهمْ ، ونحن اليوم بشرٌ كثيرٌ ؛ قد كُنَّا نتمَنى هذا اليوم وندعو الله به ، فساقه الله إلينا فى سَاحَتنا . ورسولُ الله صلى الله عليه وسـلم لِمَا يرَى من إلْحاحهم كارهٌ ، وقد

كراهية رسول الله للخروج

(١) انقصم : تكسر وتثلم
(٢) الظبة : حد السيف من قبل ذبابه وطرفه
(٣) الصياصى جمع صِيصِيَة : وهى الحصون ، والآطام جمع أطم : وهى بيوت من حجارة كانت لأهل المدينة

لبسوا السلاح . وقال حمزة : والذى أنزل عليكَ الكتاب لا أطْعَمُ اليوم طعامًا حتّى أُجالِدهم[١] بسيفى خارجًا من المدينة ، وكان يوم الجمعة صائمًا ويوم السبت صائمًا . وتكلم مالك بن سِنان والد أبى سعيد الخُدرى ، والنُّعمان بن مالك بن ثَعلبة ، وإياس بن أوس بن عتيك ، فى معنى الخروج للقتال . فلمّا أبَوْا إلاّ ذلك صلى[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعةَ بالناس وقد وَعظَهم وأمرهم بالجِدّ والجِهاد ؛ وأخبرهم أن لهم النصر ماصبروا ، ففرح النَّاس بالشُّخوص[٣] إلى عَدوّهم ، وكَرِه ذلك المَخْرجَ كثيرٌ . ثم صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم العَصْرَ بالنّاس وقد حشَدوا ، وحضر[٤] أهْلُ العوالى[٥] ورَفَعوا النِّساء فى الآطام : ودخل صلى الله عليه وسلم بيتَه ومعهُ أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فعَمّاه ولبّساهُ . وقد صَفَّ الناس له ما بين حجرته إلى مِنبره ، فجاء سعد بن معاذ وأُسيْد بن حُضَيْر فقالا للناس : قلتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلتم واستكرهتموه عَلَى الخروج ، والأمر ينْزِل عليه من السماء ، فرُدُّوا الأمر إليه فما أمرَكم فافعلوهُ ، وما رأيتم فيه لهُ هوًى أو رأىٌ فأطيعوه . فبينا هُمْ على ذلك إذ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبِس لأْمَتَه[٦] ، ولَبِس الدرع فأظْهرَها وحَزَمَ وسطها بِمِنْطَقَةٍ[٧] [مِنْ أدَمٍ][٨] من حَمائل سَيْف ، وأُعتمّ ، وتقلّد السيف . فقال الذين يُلِحون : يا رَسُول الله ، ما كان لنا أن نُخالفَك ، فاصْنَعْ ما بدالَك ، فقال : قد دَعَوْتُكم

خبر ندامة المسلمين على استكراههم الرسول للخروج

(١) جالد بالسيف ، ضرب به كأنه يجلد بسوط لسرعة ضربه وتتابعه
(٢) فى الأصل : « صلى الله »
(٣) الشخوص : الخروج
(٤) فى الأصل : « حضرو »
(٥) العوالى : منية بينها وبين المدينة ثلاثة أميال
(٦) اللأمة : أداة الحرب ولباسها ، كالرمح والبيضة والمغفر والسيف والنبل
(٧) المنطقة والنطاق ، كلّ ما يشدّ به الوسط كالحزام
(٨) الذى بين القوسين كان فى الأصل بعد قوله « حمائل سيف » ، وهذا حقّ موضعه

إلى هذا الحديثِ فأَبيْتم ، ولا يَنْبَغِى لنَبِىٍّ إذا لبس لَأْمَتَه أن يَضَعها حتى يَحْكم الله بينه و بين أعْدائه ؛ انظرُوا ما أمرتكم به فاتبعوه ؛ امضُوا على اسم الله فَلَكم النَّصْرُ ما صَبرتُم

ووُجِدَ مالكُ بن عمرو [بن عَتِيك] (١) النجّارى — وقيل بل هو مُحْرِز بن عامر بن مَالك بن عَدِىّ بن عامر بن غَنْم بن عَدِىّ بن النَّجّار ، وهو قول ابن الكلْبىّ — قد مَاتَ ، ووضعوه عنـد موضع الجنائز فصلّى عليه .

الألوية يوم أحد

ثم دَعَا بثلاثةِ أزماحٍ فعَقَد ثلاثةَ ألْوِية ، فدفع لواء الأوس إلى أُسَيْد بن حُضَيْر ، ولواء الخزْرج إلى حُبَاب بن المُنْذِر بن الجموح — ويقال إلى سـعد بن عُبَادة — ودَفع لواء المهاجرين إلى علىّ بن أبى طالب ؛ ويقال إلى مُصْعَب بن عُمَيْر (٢) رضى الله عنهم . ثم ركب فرسَه وتقلّد القَوْس وأخذ قَنَاه بيده . والمسلمون عليهمُ السلاح فيهم مائةُ دَارِعٍ ؛ وخرج السَّعْدَانِ أمَامَه يعدُوَان — سعد بن عُبادة وسـعد بن مُعَاذ — والناس عن يمينه وشماله ، حتى انتهى إلى رأس الثَّنِيَّة .

كتيبةُ عبد الله ابن أبىّ وحلفاؤه من يهود

[حتّى إذا كان بالشَّيْخَيْنِ التفتَ فنظَر إلى] (٣) كتيبةٍ خَشْنَاءَ لها زَجَلٌ (٤) فقال : ما هذه ؟ فقالوا : هؤلاء حُلفاء عبدِ الله بن أبى ابن سَلُول من يهُود ، فقال : لا نَستَنْصِرُ بأهل الشّرْك على أهل الشّرك ؛ ومضى فعَسكَر بالشَّيْخَيْن (٥) — وهما أُطُمَانِ — ، والمشركون بحيث يرونَه ، فاستعدُّوا لحربه . وهَمَّ بنوسَلِمة و بنوحارِثة ألا يخرجوا إلى أُحُدٍ ثم خرَجا .

خيلُ المسلمين

وكان المسلمون ألفاً فيهم مائة دَارِعٍ ، وفَرَسَان أحدُهما لرسول الله صلى الله عليه

(١) زيادة للإيضاح
(٢) فى الأصل : « عمرو »
(٣) فى الأصل مكان هذا : « رأى » ، وانظر ابن سعد ج ٢ ص ٢٧
(٤) الزجل : الصوت والجلبة
(٥) موضع سمى كذلك لأن شيخاً وشيخة كانا يجلسان عليه يتناجيان هناك

عرضُ الغلمان وردُّهم عن القتال

وسلم ، والآخر لأبى بُرْدة بن نيار . وعُرِض عليه غلمانٌ : عبدُ الله بن عُمَر ، [بن الخطاب] (١) ، وزيد بن ثابت ، وأُسامة بن زَيد ، والنُّعْمَان بن بَشِير ، وزَيدُ بن أرْقم ، والبَراء بن عازب [وعمرو بن حزْم] (٢) ، وأُسَـيْد بن ظُهَير ، وعَرَابة (٣) بن أوْس ، وأبو سعيد الخُدْرِىّ ، وسَعد بن حبْتَة الأَنْصارى ، وسَمُرَة بن جُنْـدَب ، ورافع بن خَدِيج ، فردّهم ؛ ثم أجاز رافع بن خديج لأنه رامٍ . فقال سمرة بن جندب لزَوْج أمّه مُرَىّ بن سنان : أَجاز رسولُ الله رافع بن خديجٍ وردّنى وأنا أصْرعُه ؛ فأعلَم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تصارعا ، فصرع سمرة رافعاً فأجازه ؛ ونزل عبدُ الله بن أُبَىّ ناحيةً

الحرس والأدلاء

فلما فرغ العَرْضُ وغابت الشمس ، أَذّنَ بلالٌ بالمغرب فصلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ، ثم أَذّن بالعشاء فصلى بهم ؛ واستعمل على الحرس محمدَ بن مسلَمة فى خمسين رجلًا يَطُوفُون بالعَسكر . وقال حين صلّى العشاء : منْ يَحْفَظُنَا الليلةَ ؟ فقام ذَكْوان بن عَبْدِ قَيْس فلبِس درْعه وأَخَذَ دَرقَته ، فكان يُطِيف بالعسكر ليلتَه . ويقالُ بل كان يَحْرُس رسول الله صلى الله عليه وسلّم لم يفارقه . ونام صلى الله عليه وسلّم حتى [إذا] (٤) كان السحرُ قال : أَيْنَ الأدِلاَّء ؟ مَنْ رجلٌ يدلُّنا على الطريق يخرجنا على القوم من كَثَبٍ ؟ فقام أبو حثْمَة الحارثىّ — ويقال أَوْسُ بن قَيظىّ ، ويقال مُحَيِّصة ؛ وأبو حثْمة أثبت — فقال : أنا يارسول الله

نبوءة رسول الله بسلّ السيوف

فخرج صلى الله عليه وسلّم فركِب فرسه فسلَك به فى [حرَّةِ] (٥) بنى حارثة ،

---

(١) زيادة للإيضاح

(٢) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٥٦٠

(٣) فى الأصل : « عرامة »

(٤) زيادة لا بدّ منها

(٥) زيادة مبينة من ابن هشام ج ٢ ص ٥٥٩

فذبَّ فرسُ أبي بُرْدة بن نيار بذنَبه فأصاب كُلَّاب[(١)] سيفه فسلَّ سيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا صاحِبَ السَّيْفِ ، شِمْ سَيْفَكَ ، فإنِّي إخالُ السُّيوف سَتُسلُّ فَيكْثُرُ سَلُّها

ولبس من الشَّيْخَين دِرْعاً واحدة حتى انتهى إلى أُحُد ، فلبس دِرْعاً أُخرى ومغفَراً وبَيْضَةً فوق المِغفر . ولمَّا نهض صلى الله عليه وسلم من الشَّيْخين زَحَف المشركون على تَعْبِئَة ، وقد رَأَس فيهم أبو سفيان صخر بن حَرْب لعَدَم أكابرهم الذين قُتلوا ببدْر . ووافَى عليه السلام أُحُداً وقد حانت الصلاةُ وهو يرى المشركين ؛ فأذَّن بلالٌ وأقامَ ، وصلَّى عليه السلام بأصحابه الصبحَ صفُوفاً . وانخزَلَ[(٢)] ابنُ أُبَيّ في كتيبةٍ وهو يقول : أيَعْصِينِي ويُطيعُ الوِلْدان ؟ — حتى عادَ إلى المدينة ومعه ثلاثمائة ، فبقى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم فى سبعمائة . وذَكَر له قومٌ من الأنصار أن يستعينوا بحُلَفائهم من يَهود فأَبَى[(٣)] صلى الله عليه وسلم من ذلك ، ومِنْ أنْ يستعينَ بمُشرِك . وصفَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه وجعل الرُّماةَ خمسين رجلاً ، عليهم عبد الله بن جُبَيْر ؛ [ويُقال بل جعل عليهمْ سعْدَ ابنَ أبي وقَّاص ، وابنُ جُبَيْر أثبت[(٤)]] ؛ وجعل على إحدى المُجَنِّبَتَيْن الزُّبَيْرَ ابن العوَّام ، وعلى الأُخرى المُنْذِر بن عمرو الغَنَوِيّ[(٥)] ، وجعلَ أُحُداً خلفَ

انخزالُ ابن أُبَيّ ورجوعه

تعبئة جيش المسلمين

(١) الكلاب : المسمار أو الحلقة التي تكون فى قائم السيف وتكون فيها علاقته . وأجودُ ما يروى هذا النص « فأصاب كلابَ سَيْفٍ فاستلهُ »

(٢) انخزل : انقطع ثم انفرد ثم تراجع

(٣) يقالُ أَبَى مِنْ شُرْبِ الماء ، وأَبَى شُرْبَ الماء : متعدّيا بنفسه وبحرف الجرّ

(٤) هذه الجملة بين القوسين كانت فى الأصل بعد قوله « الغنوى » ، وهذا حق موضعها

(٥) هكذا هو فى الأصل : « الغنوى » ، وهو خطأ ، فليس فى الصحابة من هو « المنذر ابن عمرو » إلاّ « المنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لوذان » ... ، الأنصارى الخزرجىّ من بنى ساعدة ؛ وهو الذى يقال لهُ « المُعْنِقُ للموت » يوم بئر معونة ، وكان على ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وذلك ما يدل عليه نص أسد الغابة ، وإن كنت تجد الأصل المطبوع منه محرّفاً تحريفاً كبيراً (انظر ترجمته)

تعبئة المشركين يوم أحد

ظهره واستقبل المدينة . وأقبل المشركون : عَلَى مَيْمَنتهم خالدُ بن الوَلِيد ، وعلى ميسرتهم عِكْرِمةُ بن أبى جَهْل ؛ ولهم مجنِّبَتان مائتا فارس ؛ وعلى الخيل صَفْوانُ ابن أميَّةَ ، ويقال عمرُو بن العاص ؛ وعلى رُمَاتِهم — وكانوا مائة — عبدُ الله بن أبى[1] ربيعة . ودفعُوا لواءهم إلى طلحة بن أبى طلحة : واسمه[2] عبد الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدَّار بن قُصَىّ . ومشى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

تسوية صفوف المسلمين

على رجليه يُسَوِّى الصفوفَ حتَّى كأنَّما يُقَوِّمُ بهم القداحَ ، إن رأى صدْرًا خارجاً قال : تأخَّرْ . فلما استوتْ دفعَ اللِّواء إلى مُصْعب بن عُمَيْر فتقدَّم به بين يَدَىِ النبى صلى الله عليه وسلم

خطبة رسول الله يوم أحد

ثم قام فخطبَ[3] الناسَ فقال : يا أيُّها الناس ! أُوصِيكم بما أَوْصَانى [به] اللهُ فى كِتَابه من العَمَل بِطَاعتِه والتَّنَاهِى عن مَحَارمه . ثُمَّ إنكم بمنْزِلِ أجْرٍ وذُخْرٍ لمن ذَكَر الَّذى عليه ثم وَطَّن نفسه لَهُ على الصَّبْر واليقين والجِدّ والنشاط ، فإنَّ جهادَ العدُوِّ شديدٌ كَرِيهٌ : قليلٌ مَنْ يَصْبِرُ عليه إلاَّ مَنْ عَزَمَ اللهُ له رُشْدَه ؛ فإنَّ اللهَ مع مَن أطاعه ، وإن الشيطان مع من عصاه . فافتتِحوا[4] أعمالَكم بالصبْر على الجهاد ، والتمِسُوا بذلك ما وعدكم الله . وعليكمُ بالذى أمَرَكم به فإنِّى حَرِيصٌ على رَشَدِكم . وإنَّ الاختِلاَفَ والتَّنَازُع والتَّثَبُّطَ[5] من أمرِ العَجْز والضَّعْف [وهو] مما لا يُحِبُّ الله ولا يُعْطِى عليه النصْرَ ولا الظَّفَرَ . يا أيُّها

(١) فى الأصل : « ابن ربيعة »
(٢) يعنى اسم أبى طلحة
(٣) هذه الخطبة من رواية الواقدىّ ، كما ذكر ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٦٥ . وكل ما بين الأقواس فهو زيادة من ابن أبى الحديد ، وانظر أيضاً مغازى الواقدى ص ٢٢٠
(٤) فى ابن أبى الحديد : « فاستفتحوا »
(٥) فى ابن أبى الحديد : « التَّثبيطُ »

الناسُ ! حَدَدٌ فى صَدْرى(١) أنّ مَن كان على حَرامٍ فرّق اللهُ بينَه و بينه ورَغِبَ له عنه غفرَ الله له ذَنْبَه ؛ ومن صلَّى عَلَيّ صلَّى الله عليه وملائكتُه عَشْراً ؛ ومن أحْسَن من مُسلِمٍ أو كافرٍ وقَع أجرُه على الله فى عاجلِ دنياه أو آجلِ آخرَته ؛ ومن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فعلَيه الجُمُعَة يوم الجُمعة إلاّ صبيًّا أو امرأةً أو مريضاً أو عبداً مملوكا ؛ ومَنْ استَغْنَى عَنْها(٢) اسْتَغْنَى اللهُ عنه واللهُ غَنيٌّ حَميد . ما أعلَمُ من عَملٍ يُقرّبكم إلى الله إلا وقد أمرتُكم به ، ولا أعلمُ من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نَهَيْتُكم عنهُ . وإنه قد نفَثَ فى رُوعِى(٣) الرُّوحُ الأمينُ أنّه لن تموت نفسٌ حتى تَسْتَوْفِيَ أقصى رزْقِها ، لا يُنْقَصُ منهُ شيءٌ وإن أبْطَأ عنها . فاتّقُوا اللهَ ربَّكم وأجْمِلوا فى طلب الرِّزْق ، ولا يَحْمِلَنَّكم استبطاؤُه أنْ تَطْلُبوه بمعْصِية ربّكم ، فإنّه لايُقْدَر على ما عنده إلا بطاعته . قد بيّن لكم الحلالَ والحرامَ ، غيرَ أنّ بينهما شُبَهاً(٤) من الأمر لم يَعْلَمْها كثيرٌ من الناسِ إلاَّ مَن عصَمَ اللهُ ، فمن ترَكها حَفِظَ عِرْضَه ودِينَه ، ومن وقَعَ فيها كان كالرّاعى إلى جنْبِ الحِمى أوْشَكَ أنْ يقع فيه . ولَيس مَلِكٌ إلا وله حِمَى ، ألا وإنَّ حِمَى الله مَحارِمُه . والمؤمِن من المؤمنين كالرّأسِ من الجَسدِ إذا اشْتكى(٥) تَدَاعى إليه سائر جَسدِه . والسلام عليكم

(١) فى ابن أبى الحديد : « أيها الناس ، إنه قُذِفَ فى قلبى أنّ من كان على حرام فرغِبَ عنه ابتغاءَ ما عند الله غفر الله له ذَنْبَه » . وفى المغازى : « حَدَد ... » . وقوله : « حَدَد ... » ، أى قد امتنع بى ولزمنى ، وذلك من قولهم : أمر حدد ، لا يحل أن يرتكب ، ويستعملونه بمعنى قولهم « حرام ، ومعاذ الله »

(٢) فى الأصل : « استغنى عن الله » والذى أثبتناه هو من نصّ المغازى وابن أبى الحديد

(٣) الرُّوع : القلب ، والنفْث : شبيه بالنفخ ، يريد ألقى فى قلبى ، أو أوحى إلىّ

(٤) فى الأصل : « مُشْبِهات » ، وهذا من المغازى وابن أبى الحديد

(٥) فى الأصل : « إذا اشتكى » مكررة

أوّل من أنشب الحرب

وأوّلُ من أنْشَبَ الحربَ أبو عامر [عبدُ عَمْرو] (١) . طلع فى خمسين من قومه مع عبيد قريش فنادى : يا لَلأَوْس (٢) ، أنا أبو عامر . فقالوا له : لا مرحباً بك ولا أهلا يافاسق ! فقال : لقد أصاب قومى بَعْدى شَرٌّ ! فتراموْا بالحجارة ساعةً حتى وَلَّى . ودعا طلحةُ بن أبى طلْحَةَ إلى البِرَاز فبرز له علىٌّ رضى الله عنه فقتَله ، فكبَّر المسلمون وسُرَّ النبى صلى الله عليه وسلم بقَتْله : فإنّه هو كَبْشُ الكتيبَة

نساء المشركين وغناؤهم

وكانت نساء المشركين — قُبَيْلَ التقاءِ الجَمْعَين — أمامَ صفوفهم يَضرِبن بالأَكْبار والدِّفافِ والغرابيل (٣) ، ثم يَرْجِعْن فيَكُنَّ فى مُؤَخَّرِ الصَّف ؛ فإذا دنا القومُ بعضُهم من بعضٍ تأخَّر النساء وقُمْنَ خَلف الصفوف . فجعلْنَ كلما وَلَّى رجُلٌ حرَّضْنَهُ وذكَّرْنَه قتلاهم ببدْرٍ ؛ ويقلن :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشِى عَلَى النَّمَارِقْ
إنْ تُقْبِلوا نُعَانِقْ أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ
فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ

وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سمع قولَهُنّ قال : اللّهم إنّى بك أجُولُ وأصولُ ، وفيكَ أُقاتِلُ ، حسبى الله ونعم الوَكيل . ويُقال إنَّ هِنداً قامت فى النِّسْوَة يضربْن الدُّفوف وتقول :

وَيْهاً بَنِى عَبْدِ الدَّارْ وَيْهاً حُمَاةَ الأَدْبَارْ
ضَرْباً بِكُلِّ بَتَّارْ

---

(١) فى الأصل : « عمرو » ، وهذا هو أبو عامر الفاسق ، سماه كذلك رسول الله ، وكان يقال له فى الجاهلية : « أبو عامر الراهب » ، واسمه : «عَبْد عمرو بن صيفىّ بن مالك ابن النعمان أحد بنى ضُبيعة »

(٢) فى ابن أبى الحديد والمغازى : « فنادى بالأوس » ، وفى ابن هشام « فنادى : يا معشر الأوس »

(٣) الأكبارُ جمع كَبَر : وهو طبل له وجه واحد ؛ والدّفافُ والدفوفُ جمع دُف : وهو شبيه بالطبل صغير ؛ والغرابيل جمع غِرْبال : وهو نوع منها كالدف يضربُ عليه النساءُ أيضاً

وتقول :

نَحْنُ بنَاتُ طارِقْ نمْشِي عَلَى النّمارِقْ

[إلى آخره . . . ، النّمارقُ ، جمع نُمْرُقةٍ ؛ بضم النون والراء ، وربما كسرت النون ، حكاه يعقوب : وهى الوَسائدُ ، وقد تُسمّى الطِّنْفِسَة التى فوق الرَّحْلِ نُمْرُقةً . ويُقال فى قولها « نحنُ بناتُ طارق » : إنما أرادت بناتُ الأمرِ الواضح المُضِيء كإضاءة النّجْم ، وذلك من قوله تعالى « والسماء والطّارِقِ »]

خبر قُزْمان

وكان قُزْمانُ(١) يُعْرَف بالشّجاعة وقد تأخر ، فعَيَّرتْهُ نساء بنى ظَفَرٍ فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهُو يُسوِّى الصُّفوف حتّى انتهى إلى الصفّ الأوّل . فكان أوّلَ مَنْ رَمَى من المسلمين بسَهْمٍ ، فجعل يُرْسِل نَبْلاً كأنَّها الرِّماح ، ويَكِتُّ كَتِيتَ(٢) الجَمَل ، ثم فعَل بالسيف الأفاعيلَ حتى قتَل سَبْعةً ، وأصابته جِراحةٌ فوَقع ، فناداه قتَادة بن النُّعمان : أبَا الغَيْداق ، هنيئاً لكَ الشهادة ! فقال : إِنى والله ما قاتلتُ يا أَبَا عَمْرٍ و على دِينٍ ، ما قاتلتُ إلّا على الحِفاظِ(٣) أنْ تسيرَ قريشٌ إلينا حتّى تَطأ سَعَفَنا(٤) ؛ ثُمّ تحامَلَ على سيفِه فقتَل نفْسه . فذُكِر للنّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : مِنْ أهْلِ النار ؛ إنّ الله يُؤيِّد هذا الدِّينَ بالرجُلِ الفاجِر

خبر الرماة يوم أحد

وتقَدّم صلى الله عليه وسلم إلى الرُّماة(٥) فقال : احْمُوا لنا ظُهورَنا ، فإنا نخافُ أن نُؤْتَى منْ وَرَائنا ، والزَمُوا مكانَكم لا تبْرَحُوا منه ؛ وإذَا رأيْتمُونا نَهْزِمُهم حتى ندخُلَ عَسكَرَهم فلا تُفَارِقوا مكانكمْ ؛ وإنْ رأيتُمونا نُقتَلُ فلا تُعينونا

(١) فى مغازى الواقدى : « وكان قُزْمان من المنافقين ، وكان قد تخلف عن أُحُد ؛ فلما أصبح عيّره نساء بنى ظفر ... » ص ٢٢١

(٢) كتّ يكت كتيتاً : دفع من صدره صوتاً شديداً يكون من شدة الغيظ

(٣) الحفاظ والحفيظة : الغضبُ والأنفة

(٤) السعفُ جمع سعفة : وهى النخلة ، يريد أن تطأ زرعنا وأرضنا

(٥) تقدم إلى فلان : أى أمره أمراً حافظاً

ولا تدْفَعوا عنَّا . اللهم إنّى أُشهِدُكَ عليهمْ . وأَرْشُقُوا خيْلَهم بالنَّبْل ، فإن الخيْل لا تُقْدِمُ(١) على النَّبْل

وكانَ الرُّماةُ تَحْمِى ظهورَ المسلمين ، ويَرْشُقون خيلَ المشركين بالنَّبل فلا تقعُ إلا فى فرَسٍ أو رَجُل فتُوَلِّى الخيلُ هَوارِب . وشَدَّ المُسلمون على كتائب المشركين فجعلوا يَضْربون حتى اختلَّتْ صفوفهم . وحَمَل لواءهم بعد طَلْحة ابنُه أَبُو شَيْبَة عثْمان بن طلحة ، فحَمَل عليه حمزةُ فقتَله . فحَمَله أخوه أبو سعْد بن أبى طلْحة فرماه سعْدُ بن أبى وقَّاص فقتله . فحملَه مُسافِعُ بن طلْحَة بن أبى طلحة فرمَاهُ عاصمُ بن ثابت بن أبى الأَقْلح فقتله . فحمله الحارثُ بن طلحة فرماهُ عاصمٌ فقتله . فنذَرَتْ أُمُّهم سُلَافَةُ بنت سعْدِ بن الشُّهَيْد — وكانت مع نساءِ المُشْركين — أن تَشْرب فى قِحْفِ رَأْس عاصِمٍ الخَمْرَ ؛ وجعلت لمنْ جاء به مائةً من الإبِل . ثم تداوَل حَمْلَ لوائهم عِدَّةٌ ، وكلُّهم يقْتلون . وقال الزُّبَيْر بن بَكار : حدَّثنى أبو الحسن الأَثْرَم ، عن أبى عبيدة ، قال : كان لواءُ المشركين يومَ أُحُدٍ مع طلحة ابن أبى طلحة بن عبد العُزَّى بن عثْمان بن عبد الدَّار فقتله على بن أبى طالب رضى الله عنه . وفى ذلك يقول الحَجَّاجُ بن عِلَاطٍ السُّلَمِىّ ثم البَهْزِىّ [بزَاى]

لِلّهِ أىُّ مُذَبِّبٍ عن حُرْمَةٍ   أَعْنِى ابنَ فَاطِمةَ المُعِمَّ المُخْوِلَا
جَادَتْ يَدَاكَ لهُمْ بعاجِلِ طَعْنَةٍ   فتركتَ طَلْحَة للجَبِينِ مُجَدَّلَا
وَشَدَدْتَ شَدَّةَ بَاسِلٍ فَكَشَفْتَهُمْ   بالجَرِّ إذْ يَهْوُونَ أَخْوَلَ أَخْوَلَا
وَعَلَلْتَ سَيفَكَ بالدِّماءِ وَلَمْ تكن   لِتَرُدَّهُ حَرَّانَ حتَّى يَنْهَلَا

قال : ثم أخذ اللواءَ بعد طلحة أخوه أَبُو سَعْدِ بن أبى طلحة فقتله سَعْدُ بن أبى وقَّاص رضى الله عنه ؛ ثم أخذ اللواءَ أخوهما عثْمان بن أبى طلْحة وهو أبو شيبة ،

(١) فى الأصل: « تقوم »

فقتله حمزةُ بن عبد المطّلب رضى الله عنه ؛ ثم أخذ اللواء مُسافر بن أبى طلحةَ ، فقتله عاصم [بن ثابت] (١) بن أبى الأقْلح : رَماهُ فلمّا أحسّ بالموتِ دَفع اللواء إلى أخيه الجُلَاس بن طلحة بن أبى طلحة فرماهُ أيضاً عاصم [بن ثابت] (١) بن أبى الأقلح ، فلما أحسّ الموتَ دفع اللواء إلى أخيه كِلاَب بن طلحة فقتله قُزْمانُ عَدِيدُ (٢) بنى ظَفَر من الأنصار ؛ ثم أخذ اللّواء الحارثُ بن أبى طلحة فقتله قزْمان ؛ فأخذَ اللواءَ أرْطَاةُ بن شُرَحْبيل (٣) بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار فقتله مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قتِل مُصْعَبُ بن عُمَيْر . ثم أخذ لواء المشركين أبو يَزِيد بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فقتله قزمان أيضا . ثم أخَذَ اللّواء القاسط ابن شرَيْح (٤) بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فقتله قُزْمان أيضا ، فذلك عشرة ، وقيل سبعةٌ من صلِيبَتِهم مشركون قُتلوا يوم أُحُد . ثم أخذ اللواء « صُؤَاب » غلام لهم حبَشِىٌّ فقالوا له : [لا] (٥) نُؤْتَيَنَّ من قِبَلِكَ . فقُطعتْ يمينُه فأخَذَ اللواء بشماله . فقُطِعت فالتَزَم القَناة ، وقال : قَضَيْتُ ما عَلَىَّ ؟ قالوا : نعم ؛ فرماه قُزْمان فقتله . ووقع اللواء فتفرّق المشركون . فأخذت اللّواء عَمْرَةُ بنت عَلْقَمة الحَارِثيّة ، [قال الكَلْبِىّ : عَمْرَةُ بنت الحارث بن الأَسْود بن عبد الله ابن عامر بن عَوْف بن الحارث بن عبْدِ مَنَاةَ بن كِنَانة] فأقامته ؛ فتراجع المشركون فقال حسّان بن ثابت رضى الله عنه ، يُعَيِّر بنى مخزوم بالفرار ، ويذكر صبْرَ بنى عبد الدار :

(١) زيادة من نسبه
(٢) يقال فلان عديد بنى فلان : أى يُعد فيهم ، وليس منهم صَلِيبةً
(٣) هكذا فى ابن سعد أيضاً ؛ وفى الواقدى وابن هشام : « عَبْد شُرَحْبيل »
(٤) فى الأصل : « القاسط ثم شرحبيل » ، وهذا صوابه من ابن هشام ج ٢ ص ٦١٠
(٥) فى الأصل : « نؤتين » بغير « لا »

صَلِيَ البَأْسَ مِنْهُمُ إذْ فَرَرْتُمْ ... عُصْبَةٌ من بنى قُصَىٍّ صَمِيمُ
عَمْرَةٌ تَحْمِلُ اللِّوَاءَ وَطَارَتْ ... فى رَعَاعٍ من القَنَا مَخْزُومُ(١)
لَمْ تُطِقْ حَمْلَهُ الزَّعَانِفُ مِنْهُمْ ... إنَّمَا يَحْمِلُ اللِّوَاءَ النجومُ(٢)

وقال فى صُؤَاب :

فَخَرْتُمْ باللِّواءِ وَشَرُّ فَخْرٍ ... لِوَاءٌ حِينَ رُدَّ إلى صُؤَابِ
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهِ لِعَبْدٍ ... لِأَلْأَمَ مَنْ مَشَى فَوْقَ التُّرَابِ(٣)

وقال فى إقامة الحارثية اللواء ، وفى سياق الأَحابيش معهم :

إذَا عَضَلٌ سِيقَتْ إلَيْنَا كَأَنَّهُمْ ... جِدَايَةُ شِرْكٍ مُعْلَمَاتِ الحَوَاجِبِ
أَقَمْنَا لهم ضَرْباً مُبِيراً مُنَكِّلاً ... وَحُزْنَاهُمُ بالطَّعْنِ من كُلِّ جَانِبِ
وَلَوْلَا لِوَاءُ الحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا ... يُبَاعُونَ فى الأَسْوَاقِ بَيْعَ الجَلَائِبِ

قالَ أبو عُبَيْدَةَ فيما سَمِع من على :

أقمنا لَكُمْ ضَرْباً طِلَخْفًا مُنَكِّلاً ... وحُزْنَاكُمُ بالطَّعْنِ من كُلِّ جانِبِ

عصيانُ الرماة ودولة الحرب على المسلمين

ومَا ظفَّر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم فى مَوْطِنٍ قطُّ ما ظفَّره وأصحابه يومَ أُحُد حتَّى عَصَوا الرَّسولَ وتنازَعوا فى الأمر . لقد قُتِل أصحاب اللواء ، وانكشفَ المشركون مُنْهزِمين لا يَلْوُون ، ونساؤُهم يدعُون بالوَيْل بعد ضرب الدِّفاف والفَرَح ، ولكنَّ المسلمين أُتُوا من قِبَلِ الرُّماة . فإنَّ المشركين لمّا انهزموا وتَبِعهم المسلمون : يَضَعُون السِّلاح فيهم حَيْثُ شاءوا ، ووقَعُوا يَنْتَهِبُون عَسكرهم ، قال بعض الرُّماة لبعضٍ : لِمَ(٤) تُقيمونَ ها هنا فى غيرِ شىء ؟ قَدْ هَزَم الله العدوَّ ، وهؤلاء إخوانكم

(١) فى الديوان وابن هشام وغيرهما « تسعة تحمل ... »
(٢) فى الأصل : « اللواء كريمُ » ، وهذه هى الرواية
(٣) فى الأصل : « لا لم »
(٤) فى الأصل : « لا »

ينتهبون عسكرَهم ! فادْخُلوا عسكرَ المشركين فاْغْنَموا مع إخْوانكم . فقال بعضُهم : ألمْ تعلموا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ لكم : احموا ظُهُورنا ، ولا تَبْرَحوا مَكَانَكم ؛ وإن رأيتُمُونا نُقْتَل فلا تنصُرُونا ، وإن غَنِمْنا فلا تَشْرَكُونا ، احموا ظُهُورنا ؟ فقال الآخرون : لَمْ يُرِدْ رسولُ الله هذا . وانطَلَقوا ، فلم يبقَ منهم مع أميرهم عَبْد الله بن جُبَيْر إلَّا دُون العشرة . وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون ، وكانت الريحُ أوّلَ النَّهار صَبًا فصارَتْ دَبوراً . وبَيْنَا المسلمُون قد شُغِلوا بالنَّهب والغنائِم ؛ إذْ دَخَلت الخُيُول تَنَادَى فُرْسَانُها بشِعارِهِم : يا لَلعُزّى [يا لَهُبَل[1]] ، ووَضَعوا فى المسلمين السيوفَ وهم آمنون ، وكلٌّ منهم فى يَدَيْهِ أو حِضْنِه شىءٌ قد أَخَذَه ، فقتلُوا فيهم قتلا ذَرِيعًا ، وتفرّق المسلمون فى كلِّ وجْهٍ ، وتركوا ما انتهبوا ، وخَلَّوْا من أسروا . وكسر خالدُ بن الوليد وعِكْرِمةُ بن أبى جهل فى الخيل إلى موضع الرُّماة ، فرماهم عبد الله بن جُبَيْر بمن مَعه حتى قُتِلَ ، فَجَرَّدوه ومُثِّل به أقبحُ المَثْل[2] ، وكانتِ الرِّماح قد شرعت فى بطنه حتى خرقت مابين سرَّته إلى خَاصِرَته إلى عَانَتِه وخرجت حُشْوَتُه[3] . وجُرِح عامّة من كان معه ، وانتَقَضَتْ صفوفُ المسلمين . ونادى إبليس عند جَبَل عَيْنَين[4] — وقد تصوّر فى صورة جعَال بن سُرَاقَةَ — : إنَّ مُحمداً قد قُتِل ، ثلاثَ صَرخَاتٍ ؛ فما كَانَتْ دُولَةٌ أسرعَ من دُولَةِ[5] المشركين . واختلَطَ المسلمون وصاروا يُقتلون ، ويضرب بعضُهم بعضاً مَا يَشْعُرون من العَجَلةِ والدَّهَش . وجرح أُسَيْد بن حُضَيْر جرحين ضَرَبَه أحَدُهما

قولهم إن محمدا قُتل ، وانتقاض صفوف المسلمين

(١) فى الأصل : « إذ دخلت الخيول بالهُبل تنادى فرسانها بشعارهم يا للعزى »
(٢) المثْل : التنكيل ، وشناعةُ التقطيع والبتر
(٣) الحشوة : الأمعاء التى هى حشوُ البطن
(٤) أحدُ جبال أحُد ، ويقال ليوم أحُد « يومُ عينين »
(٥) الدولة هنا : الانتقالُ من حال الهزيمة إلى حال الظَّفَر

اختلاط الأمر على المسلمين ، فيقتـل بعضهم بعضاً

أبو بُرْدة [بن نِيَار[١]] ومايدرى ؛ وضرب أبو زَعْنَةَ[٢] أبا بردة ضربَتين وما يشعُر . وألْتقتْ أسْيَافُ المسلمين على اليَمَانِ [حُسَيْل بن جابر] وهُمْ لايعْرِفُونه حين اختلطوا ؛ وحذَيْفَةُ يقول : أبِي ، أبِي ! ! حتَّى قُتل . فقال حذَيْفَة : يغفر الله لـكم وهو أرحمُ الرَّاحمين . فزادتْه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ؛ وأمر رسول الله بدِيَته أن تُخْرَج ، فتصدَّق حذَيْفَةُ بن اليَمَانِ بديتـه على المسلمين . ويقال إن الذى أصَابه عُتْبة بن مسعود

وأقبل الحُبابُ بن المُنذر بن الجَمُوح يَصيحُ : يا آل سَلَمَةَ ! ! فأقْبلوا إليه عُنُقًا[٣] واحـدةً : لَبَّيْكَ دَاعِيَ الله ! فيضْرِبُ يومئذٍ جَبَّارَ بن صَخْرٍ فى رأسه ومايدرى ، حتى أظْهَرُوا الشِّعار بَيْنَهم[٤] فجعلوا يصيحون : أَمِتْ أَمِتْ ! فـكفَّ بعضُهم عن بعض . وقُتِلَ مُصْعَب بن عُمَيْر و بيده اللواء ، قتله ابن قَمِيئَة واسمهُ عمرو ، وقيل عبدُ الله

تفرّق المسلمين ثم البُشْـرى بسلامةرسولالله

وتفرّق المسلمون فى كل وجهٍ ، وأصْعَدوا فى الجبل لمّا نادى الشيطانُ : قُتل مُحَمدٌ ! فكان أوّلَ من بَشَّرهم برسول الله صلى الله عليـه وسلم سالماً كعبُ بن مالك ؛ فجعل يصيحُ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يُشير إليه بإصبَعه على فيه : أن اُسكُتْ . ودعا بلأْمَةِ كَعب — وكانت صفراء أو بعضَها — فلبِسها ، ونزَع لأْمَتَهُ فلبسها كعبٌ . وقاتل كعبٌ حتى جُرح سبعةَ عشر جُرحاً لشدَّة قتاله . وصار أبو سفيان بن حرب يقول : يا معشر قريش أيكم قتل محمداً ؟ فقال ابنُ قَميئة :

---

(١) زيادة للإيضاح

(٢) فى الأصل : « أبو رعنة » ، وأبو زعنة اختُلِف فى اسمه ، وكان شاعراً من الخزرج

(٣) يقال أقبلوا عُنقاً عُنقاً : إذا جاءوا متفرقين ، كل طائفة عنق

(٤) فى الأصل : « منهم »

أنا قتلتُه ! قال : نُسَوِّرُكَ(١) كما تفعل الأعاجم بأبطالها(٢). وجعل يطوف بأبى عامر الفاسق فى المَعْرَكِ ، هل يرى محمداً ؟ وتصفَّح القتْلى فقال : ما نرى مصرَع محمدٍ ؛ كذبَ ابن قميئة . ولقِى خالد بن الوليد فقال : هل تبيَّن عندك قتلُ محمد ؟ قال : رأيتُه قبلُ فى نفرٍ من أصحابه مصْعِدِينَ فى الجَبَل . قال : [أبو سفيان](٣) هذا حقٌّ ، كذب ابنُ قميئة ، زعم أنه قتله

نداء رسول الله المسلمين إليه

وجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — وقد انكشف الناسُ إلى الجبل وهم لا يلْوُون عليه — يقول : إلىّ يا فلان ، إلىّ يا فلان ؛ أنا رسولُ الله ! فما عرَّجَ واحدٌ عليه . هٰذا ، والنَّبْلُ يأْتيه صلى الله عليه وسلم من كلّ ناحية وهو فى وَسَطها والله يَصرِفُها عنــه . وعَبدُ الله بن شِهابٍ الزُّهْرى يقول : دُلُّونى على محمدٍ فلا نجوتُ إن نجا ! ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ما معه أحدٌ . ثم جاوزَه عبد الله بن شهاب فلقى صفْوان بن أُميَّــةَ بن خلَف(٤) فقال له : ترِحْتَ !(٥) ألَمْ يمكنْك أن تضربَ محمداً فتقْطَع هذه الشَّأْفَةَ ، فقد أمكنَك الله منه ؟ قال : وهل رأيتَه ؟ قال : نعم ! إنه إلى جنْبك ؛ قال : والله ما رأيته ! أحلِفُ أنه منّا ممنوعٌ ، خرَجْنا أربعةً تعاهدنا على قتْله فلم نَخْلُصْ إلى ذٰلك

أمر المسلمين بعد الهزيمة

وكان رسول الله صلى الله عليــه وسلم لمّا انكشف المسلمون لم يبقَ معه إلّا نُفَيْرٌ(٦) ، فأَحدَق به أصحابُه من المهاجرين والأنصار . وانطَلَقوا به إلى الشِّعب وما للمسلمينَ لواءٌ قائمٌ ولا فئةٌ ولا جمْعٌ ، وإن كتائبَ المشركين لتَحوشُهم(٧)

(١) نسوّرك : أى نجعل لك سِواراً تلبسه كما تفعل الفرس بأساورتها
(٢) فى الأصل : « بيطلانها »
(٣) زيادة للإيضاح
(٤) فى الأصل : « صفوان بن أمية بن شهاب » ، وهوخطأ
(٥) فى الأصل : « قرحت » ، وهذا دعاء من التّرح ، وهو الحزن والقهر
(٦) تصغير نفر : وهم الرهط ما دون العشرة من الرجال
(٧) من حاشَ يحوش ، أى أنهم أخذوهم من حَواليهم من كل جانب

مقبِلةً ومُدبِرةً فى الوادى يلتقون ويفترقون : ما يرَوْن أحداً من الناس يرُدُّهم ؛ ثم رجعوا نحو مُعسْكرهم واشتَوَروا (١) فى المدينةِ وفى طلَبِ المسلمين . فبيْنا هُمْ على ما هُم فيه إذ طلع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه : فكأنهم لم يُصبْهم شىءٌ حين رأوْهُ سالماً

ما نال المشركون من المسلمين

وكان ابن قميئَةَ — لما قتَل مُصْعب بن عمير وسقط اللِّواء من يده — : ابتدَرَه (٢) رجلان من بنى عبد الدَّار سُوَيْبِطُ بن حرْمَلَة وأبو الرُّومِ (٣) . فأخذه أبو الرُّوم فلم يزل فى يده حتى دخل به المدينةَ حين انصرف المسلمون . ويقال بل دفَعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . واقتتل الفريقان على الاختلاط من الصُّفوف ، ونادى المشركون بشِعارهم [يا لَلْعُزَّى ، يا لَهُبَل] (٤) فأوجعوا فى المسلمين قتلا ذريعاً ، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نالوا . ولم يزُلْ صلى الله عليه وسلم شِبْراً واحداً بل وقف فى وجه العدوّ ؛ وأصحابُه تثوبُ إليه مرة منهم طائفة ، وتتفرّق عنه مرة ، وهو يرْمى عن قوسِه أو بحجَرٍ حتى تحاجزوا .

من ثبت مع رسول الله من المسلمين فى أحد

وثبَت معه خمسةُ عشر رجلا : سبعة من المهاجرين هُمْ : أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عَوف ، وعلىُّ بن أبى طالب ، وسعدُ بن أبى وقّاص ، وطَلْحة بن عُبَيْد الله ، وأبو عبيدة بن الجرّاح ، والزُّبيْر بن العوّام ؛ ومن الأنصار سبعةٌ : الحُباب بن المُنْذِر ، وأبو دُجانَة ، وعاصم بن ثابت ، والحارث بن الصِّمّة ، وسهل بن حنَيْف ، وأُسَيْد بن حضَيْر ، وسعد بن مُعاذ . ويقال ثَبت سعد بن

(١) هذه عامية استعملها قبل ص (٥٦) ، يريدُ تشاوروا ، وفى الواقدى وغيره « وتآمروا »

(٢) أى سبق إلى اللواء رجلان ...

(٣) هو : « أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار » أخو مصعب ابن عمير ، أمه أم وَلَد رومية ، وهو من مهاجرة الحبشة . وقتل يوم اليرموك

(٤) زيادة للإيضاح

عُبادة ، ومُحمد بن مَسْلَمة : فيجعلونهما مكان أُسَيْد بن حضَيْر ، وسعد بن معاذ

المبايعون على الموت

وبايعه يومئذ على الموت ثمانيةٌ : ثلاثة من المهاجرين هُمْ : على ، والزُّبَيْر وطلْحة ؛ وخمسةٌ من الأنصار هم : أبو دُجانة ، والحارث بن الصِّمة ، وحباب بن المُنذر ، وعاصم بن ثابت ، وسهل بن حنيْف فلم يقتل منهم أحد يومئذ . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يَدْعوهُمْ فى أُخْراهم [حتى انتهى من انتهى منهم إلى قريب من المِهْراس] (١) ويقال ثَبتَ بين يديْه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول : وجهى دون وَجهك ، ونفسى دون نفْسك ، وعليك السّلام غير موَدَّعٍ (٢) . ويقال إن رسول

خبر المدافعين عن رسول الله

الله صلى الله عليه وسلم لمّا لَحَمَهُ (٣) القتالُ وخُلِصَ إليــه ، ذَبَّ عنه مُصعب بن عُمَيْر ، وأبو دجانة حتى كَثُرَت به الجراحة : فجعل صلى الله عليه وسلم يقول . مَن رجلٌ يَشْرِى (٤) نفسَه ؟ فوثب فتيةٌ من الأنصار خمسةٌ منهم عُمارة بن زِياد بن السّكن فقاتل حتى أُثْبِتَ . (٥) وفاءتْ (٦) فئة من المسلمين فقاتلوا حتى أجْهَضوا (٧) أعداء الله ، فقال صلى الله عليه وسلم لعُمارة بن زيادٍ : ادنُ منّى ، إلىّ إلىّ ! حتى وَسّدَه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدَمه — وبه أربعةَ عشر جُرْحاً — حتى مات . وجعل صلى الله عليــه وسلم يومئذ يُذَمِّرُ (٨) الناس ويَحضُّهم على القتال .

---

(١) زيادة لا بد منها ، من مغازى الواقدى ص ٢٣٨

(٢) غير مودّع : غير متروك ، وذلك كما فى قوله تعالى : « ما ودّعك ربك وما قلى » أى ما تركك وهجرك

(٣) الذى فى كتب اللغة « أُلحمَ القتال » : إذا أنشبه فى مضيق الحرب فلم يجد مخلصاً . والثلاثى « لحمه » لا بأس به عندى ، وهكذا جاء فى الواقدى وابن أبى الحديد

(٤) أى يبيع نفسه للموت

(٥) أثبت : أى جرح جراحة أثبتته فى مكانه فلم يتحرك

(٦) يقول رجعتْ

(٧) أجهضوهم : أى غلبوهم فنحّوهم فأعجلوهم فزالوا عن مواقعهم

(٨) يذمرهم : يشجعهم ويحرضهم

وكان رجالٌ من المشركين قد أذْلقوا(١) المسلمين بالرَّمْى، منهم حِبَّان [بن قيس](٢) ابن العَرِقَة وأبو أسامة الجُشَمِىّ ؛ فجعل النبىُّ صلى الله عليه وسلم يقول لسعد بن أبى وقاص : أرْمِ فِداكَ أبى وأمى . ورَمى حِبَّان بن العَرِقة بسهم فأصاب ذيْلَ أم أيْمن(٣) — وقد جاءت تسقِى الجَرْحى — فانكشف عنها فاستغْرَبَ(٤) فى الضحك ؛ فشقّ ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم . فدفع إلى سعد بن أبى وقّاص سهماً لا نَصْلَ له فقال : أرْمِ ؛ فوقع السهْمُ فى نَحْر حبَّان فوقع مسْتَلقِياً وبدَت عوْرَتُه ، فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدَت نواجذُه ، ثم قال : استَقاد(٥) لها سعدٌ ! أجابَ اللهُ دعوَتك ، وسدَّدَ رَمْيَتَك

خبر حبّان بن العَرِقة وأمّ أيمن

وكان مالكُ بن زُهَيْر — أخو(٦) أبى سَلَمَة الجُشَمىّ — هو وحِبّان بن العَرِقة قد أكْثَرا(٧) فى المسلمين القتلَ بالنبل ، فرمى سعد بن أبى وقاص مالكاً أصابَ السهم عينَه حتى خرَج من قفاه فقتله . ورَمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ عن قَوْسه حتى صارت شَظايا فأخذها قَتادةُ بن النُّعمان فلم تزَل عنده . وأُصيبتْ عينُ قتادةَ بن النعمان حتى وَقعت على وَجنَتِه ، فجاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخذَها وردَّها فعادتْ كما كانت ولم تضربْ عليه بعْدها . وكان يقول بعْد ما أسَنّ : هى أقوَى عينَىّ ! وكانت أحسَنَهما . وباشر صلى الله عليه وسلم

خبر عين قتادة

(١) فى الأصل : « أولقوا » ، وأذلقوم : أقلقوم وأجهدوم

(٢) فى الأصل : « حسبان » ، والزيادة من نسبه . والعَرِقةُ جدّته ، وهى جدّة خديجة رضى الله عنها أم أمها هالة . وسميت العرقة لطيب ريحها إذا عَرِقتْ

(٣) أم المؤمنين زوج نبى الله صلى الله عليه وسلم

(٤) فى الأصل : « استغرت »

(٥) أى انتصفَ

(٦) فى الأصل : « أخا »

(٧) فى الأصل « أكثروا »

مباشرته صلى الله عليه القتالَ

القِتال ورمى بالنبل حتى فَنِيتْ نبلُه ، وتكسّرتْ سِيَةُ[١] قوسه . وقبل ذلك ما انقطع وَتَره و بقِيَتْ فى يده قطعةٌ تكون شبراً فى سِيةِ القَوْس ؛ فأخذ القوسَ عُكّاشة بن مِحْصن لِيُوتِرَ[٢] لَهُ فقال : يارسول الله ، لا يَبْلُغ الوَتَرُ ؛ فقال مُدَّهُ يَبْلُغ ! قال عُكّاشة : فوالّذى بعثه بالحق ، لمدَدْتُه حتى بلغ وَطوَيْت منه لَيّتيْنِ أو ثلاثاً على سِيةِ القَوْس . ثم أخذ صلى الله عليه وسلم قوسَه فما زال يُرامى القومَ

خبر أبي طلحة

— وأبو طلحة يَسْتُره مُتَرِّساً عنه — حتى تحطمتْ القَوس . وكان أبو طلْحة قد نثَر كِنانتَه — وفيها خمسون سهماً — بين يدَى النبى صلى الله عليه وسلم — وكان رامياً وكان صَيِّتاً[٣] — فقال صلى الله عليه وسلم : صوتُ أبى طلحة فى الجيش خيرٌ من أربعين رَجلًا ؛ فلم يزَل يرمى بها ورسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه بيْنَ رأسه ومَنْكِبه ينظرُ إلى مواقِعِ النَّبل حتى فَنِيَتْ نبلُه وهو يقول : نَحْرِى دون نَحْرِك جَعلنى الله فِداك . فإنْ كان صلى الله عليه وسلم لَيأْخذُ العودَ من الأرض فيقول : ارْمِ يا أبا طلحةَ ! فيرمى بها سهماً جيّداً . ورُمِىَ يومئذٍ

سبب تسمية أبي رهم : المنحور

أبو رُهْمٍ الغِفارىُّ بسهمٍ فوقع فى نَحْره ، فبصق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبَرأَ ، وسُمِّىَ بعد ذلك المَنْحور

المتعاهدون من قريش على قتل رسول الله

وكان أربعةٌ من قريش قد تعَاهَدوا وتعاقدُوا على قتْل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرَفهم المشركون بذلك ، وهم : عبدُ الله بن شهاب ، وعُتْبَةُ بن أبى وقّاصٍ ، وعَمْرو بن قَمِيئة ، وأُبَىُّ بن خَلَف [وزاد بعضهم وعبدُ الله بن حُمَيْد بن زُهَيْر بن الحارث بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ] . ورَمَى عُتْبَةُ يومئذ رسول الله

---

(١) سِيَة القوس : للقوس طرفان يكون فيهما الوتر مشدوداً ، فكل طرف سية

(٢) أى ليشدّ لقوسه وترها

(٣) رفيعَ الصوت ، جهيره

خبر ما أصاب رسول الله من الجراحة يوم أحد

صلى الله عليه وسلم بأربعة أحجار فكسر رَباعِيَتَهُ ، أشْظَى[1] باطِنَها اليُمْنَى السُّفْلى ، وشُجَّ فى وَجْنَتَيْهِ حتى غاب حَلَقُ المِغْفَر[2] فى وَجْنَته ، وأصيبَتْ رُكبتاه : جُحِشَتا[3] ؛ وكانت حُفَرٌ حفرها أبو عامر كالخنادق يَكِيدُ بها المسلمين ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم واقفاً على بعضها ولا يَشْعُر به . والثَّبْتُ أن الّذى رمى وَجْنَته صلى الله عليه وسلم ابنُ قَمِيئَةَ ، والّذى رمى شَفَته وأصابَ رَباعِيَتَهُ عتبةُ بن أبى وقاص . وأقْبل ابنُ قميئة — وهو يقول : دُلُّونى عَلَى محمّدٍ ، فوالّذى يَحْلِفُ به[4] لَئِنْ رأيتُه لأقتلنَّه — فعَلَاه بالسيف ، ورماه عُتْبةُ بن أبى وقاص مع تَجْليل[5] السيف — وكان عليه دِرْعان . فوقع صلى الله عليه وسلم فى الحُفْرة التى أمامه على جَنْبه فجُحِشَتْ ركبتاه ، ولم يصنعْ سيفُ ابن قميئة شيئاً إلّا وَهَنَ الضَّرْبة بِثِقَلِ السيْفِ ، فقدْ وقع لها صلى الله عليه وسلم وانتهَضَ ، وطلحةُ يحمله من ورائه ، وعلىٌّ آخذٌ بيده حتى استوى قائماً . ويقال : الّذى شَجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جَبْهته ابنُ شهاب ، والذى أشْظَى رَباعِيَته وأدْمَى شَفتيه عتبةُ بن أبى وقاص ، والذى دَمَّى وَجنتَيْه حتى غَاب الحلَق فى وَجْنته ابنُ قميئة . وسالَ الدمُ من شَجَّته الّتى[6] فى جبهته حتى أخْضَل الدمُ لحيتَه صلى الله عليه وسلم

(١) الرَّباعية : إحدى الأسنان الأربعة فى مقدّم الفم من أعلى وأسفل ، وأشظى : كَسَرَ ، فصارت لها شظية

(٢) المغفر : حِلَق وزَرَد ينسجُ من الدروع على قدر الرأس ، وتُسْبَغُ على العنق والعاتقين فتقيهما ، ويتقنعُ بها المتسلحُ

(٣) جُحشت الركبةُ : أصابها ما تَتسَحّجُ منه جلدتها يكون بها كالخدش أو أكبر من ذلك

(٤) هذا كناية عن يمين هذا المشرك ، كأن يقول : واللات والعزّى

(٥) فى الأصل : « تحليل » ، وهذا من قولهم جَلّله إذا علاهُ ، ويريد مع ما كانَ يفعله ابن قميئة

(٦) فى الأصل : « الذى »

وكان سالم مَوْلى أبي حذَيفة رضى الله عنه يَغْسل الدمَ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول : كَيْف يُفْلِحُ قومٌ فعَلُوا هذا بِنَبيِّهِمْ ؟ وهو يدْعوهم إلى الله عز وجل ؛ فأنْزَل الله تعالى «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهمْ أَوْ يعذِّبَهُمْ فإنهمْ ظَالِمونَ[1]» (آل عمران : ١٢٨) . وقال : أَشْتَدَّ غَضَبُ الله[2] على قوم دَمَّوْا فَا[3] رسول الله ، اشتدَّ غضَبُ الله على قوم دَمَّوْا وجهَ رسول الله ، اشتدَّ غضبُ الله على رجلٍ قتلَهُ رسول الله . وقال : اللَّهُمَّ لَا يَحُولَنَّ الحَوْلُ على أحدٍ منْهم ! فما حالَ الحَوْل على أحد مِّمن رماه أو جَرَحه صلى الله عليه وسلم : فمات عتبة ، وقُتل ابنُ قمِيئة فى المعركَة . ويقال بل رَمى بسهمٍ فأصاب مُصْعبَ بن عُمَيْر رضى الله عنه فقتَله ، فقال صلى الله عليه وسلم ماله ، أقْمَأَهُ الله ؟ فعمِدَ إلى شاةٍ يحتلِبُها فنطَحَته بقَرْنها وهو مُعْتقِلُها فقتلته ، فوُجد ميتاً بين الجبال . وكان عدوُّ الله قد رجَع إلى قومه فأخبرهم أنَّه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم [وهو رجل من بني الأَدْرم[4] من بنى فِهْر] . وأقبلَ عبدُ الله بن حُمَيد بن زُهَير — حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلَى تلك الحال — يَرْكُضُ فرسه مقنَّعاً فى الحديد يقُول : أنا ابنُ زُهيْر ! دُلونى على محمَّد ، فوالله لأَقتلنَّه أو لأَموتنَّ دونه . فقال له أبو دجانة : هلُم إلى منْ يقِى نفسَ محمّدٍ بنفسه . وضرب فرسَه عرْقبها[5] ثم علَاه بالسيف فقتَله ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم

خبر موت كلّ من رمى رسول الله أو جرحه

(١) فى الأصل : « عليهم الآية »

(٢) فى الأصل : « غضب على »

(٣) أى « فمه »

(٤) هم بنى تَيم الأدرم ، وهو تيم بن غالب بن فهر ، وهو من قريش الظواهر وليس من الأبطحيّين

(٥) عرقبَ الدّابة : قطع عرقوبها ، وهو الوتر الذى خلف الكعبين من مفصل القدم والساق من ذواتِ الأربع ، وتلك عادتهم إذا حمى البأسُ

ينظر إليه ويقول : اللّهمّ أرضَ عن أبى خَرَشَة كما أنا عنهُ راض . وكان أبو دجانة قد ترّس عنه صلى الله عليه وسلم بظهره ، ونبلٌ يقعُ فيه وهو لا يتحرّك رضى الله عنه

نزع الحلق من وجنته

ولمّا أصاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب أقبل أبو بكر رضى الله عنه يَسْعى ، فوافاه طلحةُ بن عُبَيْد الله ، وبَدَرَ[1] أبو عُبَيْدة بن الجرّاح فأخذ بثنيّته حلقَة المِغفَر فنزعها ، وسقط على ظهره وسقَطَتْ ثَنِيَّتُه ؛ ثم أخذ الحلقة الأُخْرَى [فكان أبو عبيدةَ فى النّاس أثْرَم[2]] . ويُقَال إنَّ الذى نزَع الحلقتَيْن من وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم عُقْبَةُ بن وهْب بن كَلدَةَ ، ويقال أبو اليَسَر ، وأثبتُ ذلك : عُقْبَةُ بن وهب ، فيما ذكره الواقدىّ . وقال غيرُه : الصحيحُ أنَّ أبا عبيدة بن الجرّاح وعُقْبة بن وهب عَالَجَاها حتى طارت ثَنِيتَا أبى عبيدة فى مُعَالجته لها ، فكان أحْسنَ أهْتم خُلِق . ولمّا نُزِعَتا جعَلَ الدّمُ يَسِيل ، فجعَل مَالِكُ بن سِنَان [وهُو والد أبى سعيد الخُدْرىّ] يَمْلُجُ الدّم بِفيه ثم ازْدَرَدَهُ[3] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَحَبَّ أنْ يَنظُرَ إلى من خالطَ دَمَهُ دَمِى فَلْيَنْظُرْ إلى مالكِ بن سِنَان . وقيل له : تَشْرَبُ الدَّم ؟ فقال : نعم ! أشْرَبُ دَمَ رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مَسَّ دمَهُ دمِى لم تُصِبْه النَّارُ

مسح فاطمة الدم عن وجهه

وخرجتْ فاطمةُ عليها السلام فى نساء ، فلمَّا رأت الذى بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنَقَتْهُ وجعلت تَمْسَح الدم عن وجهه . وذهبَ علىٌّ رضى الله عنه يأْتِى بماء وقال لفاطمة : أَمْسِكِى هَذَا السَّيْف غيرَ ذَمِيم . فأَتَى بِمَاء فى مِجَنِّه[4] ،

(١) بدر : أسرَعَ فسبق

(٢) فى الأصل : « وكان أثرم » ، وهذه عبارةُ الواقدى فى مغازيه ص ٢٤٣ ، وهى حق المعنى ، والأثرم : الأهتم الذى سقط مقدَّمُ أسنانه

(٣) مَلج الصبى أمَّه : تناول الثَّدىَ بأدنى الفم ثم مَصَّه يرتضع . وازْدَرد : ابتلع

(٤) المِجنّ : الترس

فأراد النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يشْرَب منه — وكان قد عَطِشَ — فلم يستطع، ووجَدَ ريحاً من الماء كرِهَها فقال: هذا ماءٌ آجِنٌ(١)؛ فَمَضْمضَ منه فاهُ للدَّم الذى فيه، وغَسَلت فاطمة عن أبيها الدم. ورأى صلى الله عليه وسلم سيف علىٍّ مختضباً فقال: إن كنت أحْسَنْت القتالَ فقد أحسن عاصمُ بن ثابت، والحارث بن الصِّمَّة، وسَهْل بن حُنَيْف، وسَيْفُ أَبِى دجانة غير مَذْمُوم

النساءُ يحملن الطعام ويسقين الجرحى

وخَرَج محمَّدُ بن مَسلَمَة يطلُبُ مع النِّساء ماءً — وكُنَّ قَدْ جِئْن أربع عشرة امرأةً منهنّ فاطمةُ عليها السلام، يَحْمِلْنَ الطَّعامَ والشَّراب على ظُهُورهنَّ، ويسقين الجَرْحى، وَيُدَاوِينَهُمْ(٢). ومنهنّ أُمُّ سُلَيم بنت مِلْحَان، وعائشة أمُّ المؤمنين رضى الله عنها على ظُهُورهما القِرَب، ومنهنّ حَمنةُ بنت جَحْشٍ وكانت تسقى العطشى وتدَاوى الْجَرْحى، ومنهنّ أُمُّ أَيْمَنَ تسقى الْجَرْحى — فَلَمْ يَجد محمد بن مَسلَمَة عندَ النِّساء ماءً. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عطِشَ عطشاً شديداً، فذَهَبَ محمد إلى قناةٍ حتَّى استقى من حِسْىٍ(٣)، فأتى بماءٍ عذْبٍ فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير. وجَعل الدم لاينْقطع؛ وجعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول: لَنْ ينالوا منَّا مثلَها حتى تستلمُوا الرُّكْن.

دواء جرح رسول الله

فلما رأت فاطمةُ الدَّمَ لايَرْقأُ(٤) — وهى تغسله وعلىٌّ يَصُبُّ الماء عليها بالمِجَنِّ — أخذت قطعةَ حَصيرٍ فأَحْرَقتهُ حتَّى صار رَماداً؛ ثم ألصقَته بالجُرْح فاستمسك الدَّمُ؛ ويقال داوَتْهُ بصُوفةٍ محترقة. وكان صلى الله عليه وسلم بَعْدُ يداوى الجرح فى وجهه بِعَظْمٍ بَالٍ

(١) أَجِنَ الماء فهو آجن: تغيَّر طعمه ولونه وريحه، وفَسَدَ.
(٢) فى الأصل: «ويداويهن»
(٣) الحسى: رمل متراكم أسفله صخر صَلْد، فإذا مُطر الرملُ نَشِفَ ماءَ المطر، فإذا انتهى إلى الصخر الذى أسفله أمسكَ الماء، ومنعَ الرملُ حرَّ الشمس أن يُنَشِّفَ الماء، فإذا اشتدَّ الحرّ نُبِثَ وجه الأرض عن ذلك الماء فنبعَ بارداً عذباً نميراً
(٤) فى الأصل: «يرقى»

حتّى يذهبَ أثرُه . ومكثَ يجدُ وَهَن ضرْبة ابن قميئةَ على عاتِقه شهراً أو أكثر من شهر

قتل رسول الله أبيّ بن خلف

وأقبل يومئذ أُبَيّ بن خَلَف يركُضُ فرسَه حتّى [إذا] (١) دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم اعترض له ناسٌ من المسلمين ليَقْتلوه فقال صلى الله عليه وسلم : استأْخِرُوا عَنْه ! وقام وحَرْبَتُه فى يده فرماه بها بين سابغَة (٢) البَيضةِ والدِّرْع فطعنَه (٣) هناك ، فوقع عن فَرسِه وكُسر ضِلَعٌ من أَضْلاَعه ، فاحتمَلوه فمات — لمّا ولّوْا [قافلين] (٤) — بالطريق . وفيه نزلتْ « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ » (الأنفال : ١٧) . وكان أُبَيٌّ بن خلف قدم المدينةَ فى فِداء ابنه وقد أُسر يوم بَدْر ، فقال : يامحمد ! إنّ عندى فَرَساً أُجِلُّها فَرَقاً (٥) من ذُرَةٍ كلَّ يوم أَقتُلُكَ عَلَيها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أَقْتُلُكَ عليها إن شاء الله . ويقال قال ذلك بمكّة فبلغَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كَلِمتُه بالمدينة فقال : أنا أقتله عليها إن شاء الله . وكان صلى الله عليه وسلم فى القِتَال لا يلتفتُ وراءه ؛ فكان يقول لأصحابه : إنّى أَخْشَى أن يأْتِيَ أُبَيٌّ بن خلف من خَلْفِى ، فإذَا رأيتموه فآذِنونى . فإذا بأُبَىّ يركُضُ على فرسِه ، وقد رَأَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه فجَعَل يصيحُ بأعلى صوته : يامحمد ، لا نَجَوْتُ إن نَجَوْتَ ! فقال القوم : يا رسول الله ! ما كنتَ صانِعاً حين يغشاك ، فقد جاءك ! وإن شئْتَ عطَف عليه بعضُنا . فأَبَى صلى الله عليه وسلم ، ودَنا أُبىٌّ ؛ فتناولَ صلى الله عليه وسلم الحرْبَةَ من

(١) زيادة للسياق
(٢) السابغُ والسابغةُ والتسبغةُ : رفوف البيْض من الزّرد يقى بها الرجل عُنقه
(٣) فى الأصل : « قطعته »
(٤) زيادة للإيضاح
(٥) أُجِلها : قال ابن الأثير « أعلفها إياه ، فوضع الإجلال موضع الإعطاء ، وأصله من الجليل » يعنى الغالى . والفَرَق : مكيال لهم ضخم

الحارث بن الصمّة ، [ويقالُ من الزبير بن العوّام] ، ثم انتفضَ [بأصحابه] [١] كما ينتفضُ البعيرُ ، فتطايرَ عنه أصحابُه — ولم يكن أحدٌ يُشْبه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا جَدَّ الجدُّ — ، ثم أخذ الحربةَ فطعنَهُ بها فى عُنقه وهو على فرَسِه فجَعَل يَخُور كما يَخُور الثَّوْر ؛ ويقول له أصحابه : أبا عامرٍ ! والله مابكَ بأسٌ ، ولو كان هذا الذى بك بعينِ أحدِنا ما ضرَّه ! فيقول : لاَ واللاّتِ والعُزَّى ، لوْ كان هذا الذى بِي بأهْل [ذى] [١] المَجَازِ لمَاتُوا أجْمَعون ! ألَيسَ قالَ لأقتُلَنَّك ؟ فاحتَملوه وشغَلهم ذلك عن طَلَبِ النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ولَحِق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعُظْمِ أصحابه فى الشِّعْبِ . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنه : مات أُبَيُّ بن خلف ببطنِ رَابِغٍ ؛ فإنى لأَسيرُ ببطن رَابِغٍ — بعد هُوِىٍّ [٢] من اللّيْل — إذا نارٌ تَأَجَّجُ لى فَهِبْتُها ، فإذا رجلٌ يخرُجُ منها فى سِلْسلةٍ يَجْذبها يَصيحُ : العَطَشَ ! وإذا رجُلٌ يقول : لا تَسْقِه ، فإن هذا قتيلُ رسولِ الله ، هذا أُبَيُّ بن خلف . فقلت : ألا سُحْقاً [٣] . ويقال مات بِسَرِفٍ . ويقال لمَّا تناول النبى صلى الله عليه وسلم الحربةَ من الزُّبَير حَمَلَ أُبَىٌّ على رسولِ الله ليضربه ، فاستقبَلَه مُصعَب بن عُمَيْر يَحُول بنفسه دون رسولِ الله ، فضربَ مصعبٌ وجهَ أُبَىٍّ ، وأبصرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فُرْجَةً بين سابغة البَيْضَة والدِّرْع فطعنهُ هناك ، فوقع وهو يَخُور

قتل عثمان بن عبدالله المخزومى

وأقْبل عثمانُ بن عبد الله بن المُغيرة المخزومى على فرسٍ أبْلَقَ يريد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه لأْمَةٌ [٤] كاملةٌ — ورسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) زيادة للسياق والإيضاح
(٢) الهوى : الساعة الممتدة من الليل
(٣) سُحقاً : يدعو عليه يقولُ بُعداً من رحمة الله
(٤) اللأمة : كلّ سلاح المقاتل ، ما يقاتل به وما يتقى به

مُوَجِّهٌ إلى الشِّعْب — وهو يصيح : لا نجوْتُ إن نجوْتَ ! فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعَثَر بعُثمانَ فرسُه فى تلك الحُفَر فيقع ، ويَخْرُجُ الفَرَس عَائراً (١) فأخذه المسلمون فعقَرُوه . ومشى الحارثُ بن الصِّمّة إليه فاضْطَرَبا (٢) ساعةً بسَيْفيهما ، ثم ضربه الحارثُ على رجله فبَرَك ، ودَفَّفَ (٣) عليه وأخذ درعَه ومِغْفرَه وسيفَه — ولم يُسْمَع بأَحدٍ (٤) سَلَب يومئذٍ غيره — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمدُ لله الَّذى أحانَه (٥) . وكان عبدُ الله بن جَحْشٍ أسرَهُ ببطن نَخْلَة ، فافتدَى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعادَ إلى مكّة حتى قدم فقتلَه الله بأُحُد

ذبح عُبَيد بن حاجز

[ويرَى مَصرعَه] (٦) عُبَيد بن حاجز العَامرِىّ [فأقْبل] يعدُو فضرَب الحارث بن الصمَّة جرَحه على عاتِقه ، فاحتمله أَصحابه . ووثَبَ أبو دُجانة سِمَاكُ ابن خَرَشَةَ الأنْصارىّ إلى عُبَيدٍ فنَاوَشَهُ ساعةً ثم ذَبَحَه بالسيْف ذَبْحاً ، ولَحِقَ برسول الله (٧)

سهيل بن حنيف ينضح بالنبل عن رسول الله

وكان سهل بن حُنَيْف ينضَحُ بالنَّبْلِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام : نبِّلُوا سهلا فإنه سَهْلٌ . ونظر صلى الله عليه وسلم إلى أبى الدَّرْداء

---

(١) عار الفرسُ يَعيرُ : انفلت فذهب على وجهه ، وتباعد عن صاحبه وبقى يتردَّدُ فى مذاهبه ، وهو عائر كذلك

(٢) ضاربهُ ، وتضاربا ، واضطربا : إذا جالدهُ بالسيف وثاقفه

(٣) دفّفَ على القتيل ، وذفّفَ : أجهزعليه وحرّر قتله

(٤) فى الأصل : « بأخذ »

(٥) أحانه : رماه إلى حينه ، أى هلاكه ، يعنى أهلكه

(٦) هذه الزيادة تصل المعنى بعضه ببعض ، وكان فى الأصل : « وأقبل عبيد ... » ، وهى من الواقدى ص ٢٤٩

(٧) فى الأصل : « رسول الله »

رضى الله عنه والناس مُنْهَزِمون فقال : نِعْمَ الفارسُ عُوَيمِر غير أُفَّةٍ[١] . ويقال لم يَشْهد أبو الدرداء أُحُداً . ولقى أبو أُسَيْرة بن الحارث بن عَلْقمة رجلا فاختلفا ضَرَباتٍ[٢] حتى قتله أبو أُسَيْرة ؛ فأقبل خالد بن الوليد على فرسٍ أَدْهَمَ أغَرّ فطعَن أبا أُسَيْرة من خَلْفه : خَرَج الرُّمْحُ من صَدْره فمات

قتال طلحة بن عبيد الله

وقاتلَ طلحةُ بن عُبَيْد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قِتالًا شديداً — حين انهزَمَ عنه أصحابُه وكرّ المشرِكون فأحدَقوا به من كلّ ناحيةٍ — وصار يذُبُّ بالسيفِ من بيْنِ يديْه ومن ورائه وعن يمينه وعن شِماله : يدورُ حولَه يُتَرِّسُ بنفسه دون رسول الله ، وإنَّ السيوفَ لتغْشاه ، والنَّبلُ من كل ناحيةٍ ، وإنْ هو إلا جُنَّةٌ بنفسه لرَسول الله حتى انكشفوا . فجعل صلى الله عليه وسلم يقول لطلحة : قد أَوْجَبَ[٣] . وكان طلحة أعظم الناسِ غَناء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ . ورمى مالك بن زُهَيْر الجُشَميّ بسهمٍ يُريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتّقَى طَلْحَةُ بيده عن وَجْهِهِ المقدّس فأصاب خنْصرَه فشَلّ خنصرُهُ . وقال حين رماه : حَسِّ[٤] ! فقال صلى الله عليه وسلم : لو قال بسم الله لدخَل الجنّة والنَّاسُ ينظرُون ! منْ أحبَّ أنْ ينظرُ إلى رجلٍ يمشى فى الدنيا وهو من أهْل الجنة فلْينظرْ إلى طلحةَ بن عبيد الله ؛ طلْحةُ ممن قَضَى نَحْبه[٥] .

(١) فى الأصل : « غير أنه كذا » ، وغير أفة : يعنى غير جبان ولا ثقيل ، ولا يضجرُ من الشدة فيقول : أف أف

(٢) فى الأصل : « ضرباته »

(٣) يعنى قد أوجب لنفسه الجنّة بدفاعه عن رسول الله

(٤) حسِّ : كلمة كانوا يقولونها إذا أصاب أحدهم شيء أمضّه أوأحرقه ، كالجمرة والضربة ونحوها

(٥) النحبُ : النّذْرُ (هنا) ، وكان طلحة قد نَذَر فألزم نفسه قبلُ أن يصدُق أعداء الله فى الحرب فوفى بذلك ولم يَفسخْ

ولما جالَ المسلمون تلك الجوْلَةَ ثم تراجعوا ، أقْبل رجلٌ من بنى عامر بن لؤَىّ — يقال له شَيْبةُ بن مالك بن المُضرِّب — يصيحُ : دلُّونى على محمد ! فَضربَ طلحةُ عرقُوبَ فرسه فاكْتَسَعتْ[1] به ، ثم طعن حدَقته وقتله . وأُصيب يومئذٍ طلحةُ فى رأسه : ضربه رجلٌ من المشركين ضربةً وهو مُقْبل وأخرى وهو معرِضٌ عنه فنُزِفَ الدمُ حتى غُشِى عليه ؛ فنضَح أبو بكر رضى الله عنه الماءَ فى وَجهه حتّى أفاق ، فقال : ما فعلَ رسول الله ؟ قال : خيراً ، هو أرسلَني إليكَ . قال : الحَمْدُ لله كلُّ مُصيبةٍ بَعْده جَلَل[2]

قتال علىّ والحباب بن المنذر

وكان علىُّ بن أبى طالب يذُبُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية ، وأبُو دجانة مالك بن خَرَشَة بن لَوْذَان بن عبْد وُدّ بن ثعلبة الأنصارى يذُبُّ من ناحية ، وسعْدُ بن أبى وقّاص يذب طائفةً . وانفرد علىٌّ بفرْقة فيها عكْرمة بن أبى جهل ، فدَخَل وسطهم بالسيف — فضربَ به وقد اشتملُوا عليه — حتّى أفْضَى إلى آخرهم ، ثم كرّ فيهم ثانياً حتى رجَع من حيثُ جاء . وكان الحُبَاب بن المُنْذر بن الجموح يَحُوشُ المشركين كما تُحَاشُ الغنم ، واشتملوا عليه حتى قيل قد قتل ، ثم برز والسّيف فى يده وافترقوا عنه ، وجعل يحمل على فِرْقة منهم وإنهم ليَهْرُبُون[3] منه . وكان يومئذٍ مُعْلماً بعصابة خضراء فى مِغْفره .

خبر عبد الرحمن بن أبى بكر ، وكان مشركا

وطلع يومئذٍ عبد الرّحمن[4] بن أبى بكر الصدِّيق فقال : من يُبارز ؟ وارتجز فقال :

(١) فى الأصل : « فانكسعت » ، واكتسعت به : سقطت من ناحية مؤخرها ورمت به إلى الأرض

(٢) جلل : هيّنة قليلة

(٣) فى الأصل : « ليهزموك »

(٤) بعض هذا الخبر — الشعر الذى فيه — يذكره ابن هشام فى بدر ج ١ ص ٤٥٣ ، وذكر الواقدى ص ٢٥٣ خبر عبد الرحمن غيرَ الشعر لم يذكره

لَمْ يَبْقَ إلّا شِكَّةٌ(١) ويعْبوبْ وصارِمٌ يَقْتُلُ ضُلّالَ الشِّيبْ

وفى رواية : « وناشئٌ يشْرَبُ أرْحامَ الشِّيب » . فنهضَ إليه أبو بكر رضى الله عنه وهو يقول : أنَا ذلك الأشْيَب ! ثم ارتجزهُ فقال :

لَمْ يَبْقَ إلاَّ حَسَبِى ودِينِى وصارِمٌ تقضى بهِ يَمينى

فقال له عبد الرحمن : لولا أنَّكَ أبى لَمْ أنصرف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله عنه : شِمْ سَيْفَك ، وَارْجع إلى مكانِكَ ، ومَتِّعْنَا بنَفْسك

خبر شماس بن عثمان

وكان شَمّاس بن عُثمان بن الشَّرِيد المخزومى لا يَرْمِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [بِبَصرِهِ](٢) يميناً ولا شمالاً إلاَّ رآه فى ذلك الوَجه يَذُبُّ بسيفه ، حتى غُشى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فترَّس بنفسه دونه حتى قُتلَ رحمه الله ؛ فذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : ما وَجَدْتُ لشَمّاسٍ شَبَهاً إلا الجُنَّة(٣)

أوّل من أقبل بعد الهزيمة

وكان أول من أقبلَ من المسلمين بعد التَّولية قَيْسُ بن مُحَرِّث ، [ويقال قَيْس بن الحارث بن عَدِىّ بن جُشَم بن مَجْدَعة بن حارثة] مع طائفةٍ من الأنصار فصادفُوا المشركين فدخلوا فى حَوْمَتهم ، فما أَفْلَتَ منهمُ رجلٌ حتى قُتلوا . ولقد ضَارَبهم قيْسٌ حتى قَتلَ نفرًا فما قَتلوه إلا بالرِّماح : نَظَموهُ ، ووُجد به أربع عشرة ضربةً قد جافَتْه(٤) ، وعشر ضربات فى بَدَنه

خبر الدّاعين إلى القتال

وكان عبَّاس بن عُبادَة بن نَضْلَة بن مالك بن العَجْلان بن زَيْد بن غَنْم بن سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وخارجةُ بن زيد بن أبى زُهَيْر بن مالك بن امرىء القَيْس بن مالك الأغرّ ، وأَوْس بن أَرْقَم بن زَيْد بن قَيْس بن النُّعمان —

(١) فى الأصل : « إلا صارم »
(٢) زيادة للسياق ، ابن سعد ج ٣ ص ١٧٥
(٣) الجنَّة : ما يستتر به من أداة الحرب كالدرع والترس
(٤) جافته :أصابت جوفه وخالطته

يرفعون أصواتهم ، فيقول عبّاسٌ : يا مَعشرَ المسلمين ! اللهَ ونبيَّكمُ ! هذا الذى أصابكم بمَعْصِيَة نبيِّكم ؛ فيوعِدُكم النصرَ فما[(١)] صبرتُم . ثم نَزَعَ مِغْفَرَه وخلع درْعه وقال لخارجة بن زيد : هل لكَ فيهما ؟ قال : لا ، أنا أُريدُ الذى تريد . فخالطوا القومَ جميعاً ، وعباسٌ يقولُ : ما عُذْرُنا عند رَبِّنَا إنْ أُصيبَ رسولُ الله ومنَّا عَيْنٌ تَطْرِفُ ؟ فيقولُ خارجة : لا عُذْرَ لنَا عند ربِّنَا ولا حُجَّة . فقَتَلَ سُفْيَانُ بن عبد شَمْس السُّلَمِيُّ عبّاساً ، وأخذتْ[(٢)] خارجةَ الرِّماحُ ، فجرح بضعة عشر جرحاً ، وأجْهَزَ عليـه صفوانُ بن أُمَيَّة . وقُتِلَ[(٣)] أَوْسُ بن أرْقم رضى الله عنهم

خبر أبى دُجانة وخبر السيف

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمَئِذٍ : مَنْ يأخُذُ هذا السيفَ بحَقِّه ؟ قالوا : وما حقُّه ؟ قال : يضربُ به العدوَّ ؛ فقال عُمرَ رضى الله عنه : أنا يا رسولَ الله ؛ فأعرضَ عنه . ثمَّ عرضه بذلك الشَّرط فقام الزُّبَيْر رضى الله عنه فقال : أنا ؛ فأعرضَ عنه حتى وَجَدَا[(٤)] فى أنفُسهما . ثمَّ عرضه الثالثة فقال ذُو المُشَهَّرَة أبو دجانة : أنا يا رسول الله آخُذُهُ بحَقِّه . فدفَعه إليه ، فصَدَقَ به حين لَقِىَ العدوّ ، فأعْطى السيف حقَّه ؛ فما قاتَل أحَدٌ أفضلَ من قِتَالِه . لقد كان يضربُ به حتَّى إذا كَلَّ عليه شَحَذَه على الحجارة ، ثم يضربُ به فى العدوِّ حتى ردَّه كأنَّهُ مِنْجَل . وكان حين أعطاهُ السيفَ لبس مُشَهَّرَةً فأعْلَمَ بها ؛ وكان قومُه يعلمون — لما بَلَوْا منه — أنَّه إذا لَبِسَ تلك المُشَهَّرَة لم يُبْقِ فى نفسه غايةً . فخرج يمشى بين الصَّفَّيْن واختَال فى مِشْيَتِهِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فى الأصل : « ما »
(٢) فى الأصل : « وأخذ »
(٣) فى الأصل : « وقيل »
(٤) وجد يجدُ : غضبَ أو أحسَّ الغضب فى ضميره

حين رآه : إنَّ هذه لمِشْيَةٌ يُبْغِضها الله إلا فى مثل هذا الموْطِن ، ويُقال كان يُعْلِم رَأْسَه بِعصابةٍ حمراء

خبرُ رشَيد الفارسىّ

ولقى رُشَيْدٌ الفارسىُّ مولى بنى مُعاوية[١] رجلاً من المشركين قد ضرب سَعْدًا مولى حاطب جزَلَه[٢] باثْنتَيْن ، فضربَه على عاتِقه قَتلَه ، فاعترَضَ له أخوه يَعْدُو فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَحْسَنْتَ يا أبا عبد الله . وكَنَّاه يومئذٍ ولا وَلَدَ له

خبر عمرو بن ثابت

وكان عمرو[٣] بن ثابت بن وَقَش بن زُغْبَة [بن زَعُورا][٤] بن عبد الأشهل الأنصارى شاكًّا فى الإسلام — حتى كان يومُ أُحُد فأَسْلَم وقاتل حتى أُثْبِتَ ، فوُجِد وهو بآخر رَمَقٍ فقالوا : ما جاء بك ؟ قال : الإسلامُ ! آمنْتُ بالله وبرسوله ، ثم أخذْتُ سَيْفى وحضرتُ ، فرزقَنى الله الشهادة . وماتَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّه لَمِنْ أهلِ الجنَّة

خبر مخيريق (خير يهود)

وكان مُخَيْرِيقُ من أحْبار يهودَ ، فقال يومَ السَّبْت : يا معشر يهود ! والله إنكم لتعلمون أنَّ محمداً لَنبِىٌّ ، وأنَّ نَصْرَهُ عليكم لَحَقٌّ ! ثمّ أخذ سلاحَه وحضَر أُحُداً مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فقُتِل . وقال حين خَرَجَ : إنْ أُصِبْتُ فأَمْوالى لمحمَّدٍ يضعُها حيثُ أرادَ الله — : فهى عامَّةُ صَدَقاتِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. وقال فيه صلى الله عليه وسلم : مُخَيْرِيقُ خيرُ يهود

خبر عمرو بن الجموح وولده وما كان من أمر امرأته

وخَرَجَ عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلمةَ وهو أعرج وهو يقول : اللَّهُمَّ لاتَرُدَّنى إلى أهْلى !! فقُتِل شهيداً . واستُشهد

(١) فى الأصل : « بنى معونة » ، وبنو معاوية من الأنصار ثم من الأوس
(٢) جزَلَ الصَّيْد والرجل بالسيف : قطعه قطعتين
(٣) فى الأصل : « عمر »
(٤) زيادة من نسبه

ابنُهُ خَلَّادُ بن عَمْرو ، وعبد الله بن عمرو بن حرام [بن ثعلبة بن حرام الأنصارى الخزْرجِىّ](١) ، أبو جابر بن عبد الله ، فحَمَلَتهُمْ هِنْدُ بنت عمرو بن حرام — زوجةُ عمْرو بن الجموح — على بعيرٍ لها تُرِيد بهم المدينةَ ، فلقيتها عائشةُ رضى الله عنها — وقد خرجتْ فى نسوة تَسْتَرْوِح الخبَر ، ولم يُضْرَب الحجابُ يومئذٍ — فقالت لها : عِنْدَكِ الخَبَرُ ، فما وراءك ؟ قالت : أمّا رسول الله فصَالحٌ ، وكلُّ مُصيبة بعدهُ جَلَلٌ ؛ واتَّخذ الله من المؤمنين شُهَداء ، ورَدَّ الله الذين كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لم ينَالوا خَيْرًا ، وَكَفَى الله المُؤْمِنِينَ القِتَالَ ، وكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزاً . قالت عائشةُ : من هؤلاء ؟ قالت أخى وابنى خَلَّاد وزوجى عَمْرو بن الجَمُوح ؛ قالت : فأَيْنَ تذهَبين بهم ؟ قالت : إلى المدينةِ أَقْبُرُهم فيها ؛ ثم قالت : حَلْ(٢) — : تزجُر بعيرَها فبرَكَ ، فقالت عائشة : لِمَا عليه(٣) ! قالت : مَاذاكَ به ، لرُبّما حَمَل مايحمل البعيران ، ولـكنى أُرَاه لغَير ذلك . وزَجَرته فقام(٤) فوَجَّهَتْهُ راجعةً إلى أُحُدٍ فأسْرَع ؛ فرجعت إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم فأخْبرته بذلك فقال : فإنّ الجَمَلَ مأمور ، هَل قال شيئاً(٥) ؟ قالت(٦) : إن عَمْراً لما وَجَّهَ إلى أُحد قال : اللّهُمّ لاتَرُدّنى إلى أَهْلى خَزْيانَ(٧) وارْزُقْنى الشهادة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلِذَلك الجملُ لايمضى ؛ إنَّ مِنكم يامعشر الأنصار

(١) زيادة من نسبه
(٢) حَلْ : زجر تزجُر به الناقة إذا حثثتها على السّير
(٣) تقول : بَرَك للذى عليه من الحمل
(٤) فى الأصل بعد قولها « فقام » ، « وبَرَك » ولا معنى لها
(٥) الضمير فى قوله : « قال » للشهيد الذى على الجمل زوجها عمرو بن الجموح ، ولم يذكرهُ صلى الله عليه وسلم لأنه كان يشير إليه
(٦) فى الأصل : « قال »
(٧) فى الأصل : « خربا » ، وفى الواقدىّ « خُزْيا » ، ولعلّ الذى أثبتناه هو الصواب

من لَوْ أقسَمَ على الله لأبرّه : منهم عَمْرو بن الجموح . ياهند ! مازالتِ الملائكةُ مُظِلّةً على أخيك من لَدُن قُتل إلى الساعةِ ينظُرون أين يُدفَن . ثم مكث صلى الله عليه وسلم حتى قبَرَهم . ثم قال : ياهند ! قد تَرافَقُوا[1] فى الجنة ، عمرو بن الجموح ، وابنُك خَلّاد ، وأخوكِ عبدُ الله . قالت : يا رسول الله ادْعُ الله أنْ يجعلَنى معهم

أوّل قتيل من المسلمين يوم أُحُد

وقال جابر بن عبد الله : كان أبى أوّلَ قتيلٍ قُتل من المسلمين يوم أُحد ، قتله سفيان بن عَبد شمس أبو أبى الأعور السُّلَمِىّ ؛ فصلَّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبلَ الهزيمة

خبر أم عمارة وقتالها يوم أُحُد

وكانت أمُّ عُمارة [نُسَيْبَةُ بنت كعب بن عمرو بن عوف[2] بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مَازن بن النجّار] امرأةَ غَزِيَّة بن عمرو بن عَطِيَّة ابن خَنْساء ابن مبذول [بن عَمْرو بن غَنْم بن مازن بن النجّار][3] — : قد شهدت أُحداً هى وزوجُها وابنُها ، ومعها شَنٌّ[4] لتسقى الجَرْحى . فقاتَلَتْ وأبْلَتْ بلاءً حسناً يومئذ — وهى حاجزةٌ ثوبَها على وَسَطِها — حتى جُرِحت اثنى عشر جُرْحاً ، بين طَعْنةٍ برُمحٍ أو ضَرْبةٍ بسيف : وذلك أنّها كانت بين يَدَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم هى وابناها عبد الله وحبيب ابْنا زَيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن مَبْذُول ، وزوجُها غَزِيَّة بن عمرو — يَذُبُّون عنه ؛ فلما انهزم المسلمون جَعَلت تُباشر القتالَ وتذُبُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ، وترمى بالقوس . ولما أقبل ابنُ قَمِيئةَ — لعنه الله — يريد النبىّ صلى الله عليه وسلم كانت فيمن اعترَض له ، فضرَبها على عاتقها ضربةً صار لها فيما بعد ذلك غَوْرٌ أجْوَف ،

(١) فى الأصل : « توافقوا »
(٢) فى الأصل مكان « عوف » « خنساء » وهو خطأ فى نسبها ، وإنما أشكل على الناسخ أو المؤلف من قِبَل نسب زوجها كما ترى بعد
(٣) زيادة من نسبه
(٤) الشنّ : الخَلَقُ القديم من كلّ آنية صُنعَت من جلد كالسّقاء والقربة

وضربته هي ضربات؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَمَقَامُ نُسَيْبَةَ بنت كعب اليومَ خير من مَقَام فلانٍ وفلان . وقال : ما التفتُّ يميناً ولا شمالا إلا وأنا أراها تُقَاتل دوني . وقال لابنها عبد الله بن زيد : بارك الله عليكم من أهل بيت ؛ مَقَامُ أُمِّك خيرٌ من مقام فلانٍ وفلان ، ومَقام رَبيبك [يعنى زَوْجَ أمه] خيرٌ من مقام فلانٍ وفلان ، ومقامُك خيرٌ من مقام فلانٍ وفلان ، رحمكم الله أهلَ بيتٍ ؛ قالت أم عمارة : ادعُ الله أن نرَافقك في الجنة ؛ قال : اللّهم (١) اجعلهم رُفَقَائى فى الجنة ؛ قالت : ما أُبالى ما أصابنى من الدنيا

خبر حنظلة (غسيل الملائكة)

وخرج حَنْظَلَةُ (٢) بن أبى عامر [بن عمرو بن صَيْفِيّ بن مالك بن أمية (٣) ابن ضُبَيْعة بن زيد بن (٤) عوف بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس] — وهو حنظلةُ الغَسيلُ — إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسوّى الصُّفوف بأُحد ، فلما انكشف المشركون ضرَب فرسَ أبى سفيان بن حَرْب فوقع عَلَى (٥) الأرض وصاحَ ، وحنظلةُ يريد ذبْحه ، فأدركه الأسْوَد بن شَعوب (٦) فحمل على حنظلة

(١) فى الأصل مكان « اللهم » ما نصه « أبو مالك بن الأوس اجعلهم » ، وهو كلام لا معنى له . والصواب ما أثبتناه ، ولا ندرى من أين أتى بهذه الكلمات فوضعها هنا ، وانظر ابن سعد ج ٨ ص ٣٠٣ والواقدى ص ٢٦٨

(٢) هذا حنظلة غسيل الملائكة ، وذاك أبوه « أبو عامر » الفاسق الذى مرّ خبره (١١٥)

(٣) فى الأصل : « أمه »

(٤) فى الأصل : « زيد بن مالك بن عوف » وهو خطأ ، والصواب حذف مالك

(٥) فى الأصل : « فوقع الأرض »

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى الواقدى ص ٢٦٨ ، فأما ابن هشام فيقول : « شدّاد بن الأسود وهو ابن شَعُوب » ج ٢ ص ٥٦٨ ، ويقول ابن حجر فى ترجمة : « أبو بكر بن شعوب الليثىّ » : اسمه شدّاد ، وقيل الأسود ، وقيل هو شداد بن الأسود ، وأما شعوب فهى أمه باتفاق . . . وهى خزاعية وقيل كنانية ، وفى البخارى أنها كلبية . وفى ترجمة « شداد بن شعوب » : واسم أبيه « الأسودُ بن عبد شمس بن مالك من بنى ليث بن بكر ابن كنانة »

بالرُّمح فأنفذه ، ومشى حنظلةُ إليه فى الرُّمح وقد أثبته ثم ضربه الثانيةَ فقتله ؛ ونجا أبو سفيان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيتُ الملائكة تُغسِّل حنظلةَ بن [أبى][1] عامر بين السماء والأرض بماء المُزْنِ فى صِحاف الفضَّة . قال أبو أُسَيد الساعدىّ : فذهبنا إليه . فإذا رأسُه يقطُر ماءً . فلمّا أُخْبِر النبىُّ صلى الله عليه وسلم بذلك أرسل إلى امرأته فسألها ، فأخبرته أنه خرج وهو جُنُب

خبر هند بنت عتبة

وكانت هِنْد بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف — زَوْجةُ أبى سفيان بن حرْب — أوّلَ من مَثَّل بقتْلى المسلمين ، وأمرت نساء المشركين أن يُمَثِّلْنَ بهم . فجدَّعْنَ الأُنوفَ والآذانَ ، فمثَّلْن بالجميع إلا حنظلةَ الغسيلُ

أوّل من دخل المدينة بعد الهزيمة

ولمّا صاحَ إبليسُ : إنَّ محمداً قد قُتِل — : تفرَّقَ الناسُ ، فمنهم من وَرَد المدينة ؛ فكان أوّلَ من دخلها بهذا الخبر أبو عُبادَة سعد بن عثمان بن خَلْدَة بن مُخَلَّد ابن عامر بن زُرَيْق الأنصارى ، ثم وَرَد بعده رجالٌ . فجعل النِّساء يقلن : عن رسولِ الله تفرُّون ! ! وجعَل ابنُ أُمّ مَكتوم يقول : عن رسول الله تفرُّون ! ! وحثَتْ أم أيْمَنَ فى وُجوه بعضهم التُّراب وتقول : هاكَ المِغزَلَ ، أغْزِل به ، وهلمَّ سيْفَك ! وقيل ، إن المسلمين لم يعْدوا الجَبَل — وكانوا فى سفْحِه — : لم يجاوِزُوه[2]

وأقبل [أبو][3] أُميَّة بن أبى حُذَيفة بن المُغيرة وهو يقول : يومٌ بيوم بدرٍ . وقَتَل رجلا من المسلمين فضربهُ علىٌّ رضى الله عنه فقتله

(العواتك)

وقالَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم يومئذٍ : أنا ابن العَواتِك[4] . وقال أيضاً

---

(١) فى الأصل : « ابن عامر »

(٢) فى الأصل : « لم يجاوزه »

(٣) فى الأصل ، وفى الواقدى : « أمية » وصوابه من ابن هشام ج ٢ ص ٦١١

(٤) العواتك جمعُ عاتكة : اسمه يُتَّخَذُ للنساء ، والعاتكة فى أصل اللغة المتضمخة بالطيب حتى يَعْلَقَ بها رَدْعُه وصفرته ، فهى كذلك لصفائها وحمرتها . والعواتك من =

أنا النبيُّ لا كَذِبْ   أنا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِب

خبر أنس بن مالك

ومر أَنَس بن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زيد بن حَرام بن جُنْدُب بن عامر بن غَنْم بن عَدِىّ بن النَّجَّار — وهو عم أنَس بن مالك — بنفَرٍ من المسلمين قُعودٍ فقال : ما يُقْعِدكُم ؟ قالوا : قُتل رسولُ الله ! قال : فما تَصْنَعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ! ثم جالَد بسيفه حتى قُتِل رضى الله عنه . فوُجِد به سبعون ضربة ، وما عُرِف حتى عرَفته أُخته[١]

خبر خارجة بن زيد

ومرّ مالك بن الدُّخْشُم على خارجة بن زَيد بن أبى زُهَيْر وهو قاعدٌ ، فى حُشْوَته[٢] ثلاثةُ عشر جُرْحاً ، كلُّها قد خلَصَتْ إلى مَقْتل فقال : أما علِمْتَ أن محمداً قد قُتل ! فقال خارجة : فإنْ[٣] كان محمدٌ قد قتل فإن اللهَ حىٌّ لا يموت ؛ لقد بلَّغ [محمد][٤] ، فقاتِلْ عن دينِك . ومرّ على سعْد بن الرَّبيع بن عمرو بن أبى زُهَيْر الأنصارىّ أحد النُّقَباء[٥] — و به اثنا عشر جرحاً كلُّها قد خلَص إلى مَقْتل — فقال علِمْتَ أنّ محمداً قد قُتل ! ! فقال سعد : أشهد أن محمداً قد بلَّغ رِسالةَ رَبِّه ، فقاتل عن دينِك فإن الله حىٌّ لا يموت

خبر ثابت بن الدحداحة وأصحابه : آخر من قتل يوم أحُد

وقال منافق : إن رسـولَ الله قد قُتل فَارجعوا إلى قومِكم فإنهم داخِلوا البُيوت . وأقبل ثابت بن الدَّحداحَة[٦] [ويقال ابن الدَّحداح] بن نُعَيم بن غَنْم

= جدّات رسول الله اللاتى ولدنه اثنتا عشرة : اثنتان من قريش ، وثلاث من سُليم ، واثنتان من عَدْوان ، وكنانيَّة ، وأسديّة ، وهُذَليَّة ، وقضاعيَّة ، وأزْديّة ... ونعم ما ولدنَ

(١) قالوا : عرفته بحُسْن بَنَانه ، وحُسْن ثَنَاياه

(٢) يعنى أمعاءه التى تحشو بطنه

(٣) فى الأصل : « وإن » ، وهذا نصّ الواقدى ، وهو أجود

(٤) زيادة للإيضاح

(٥) كان نقيب بنى الحارث بن الخزرج هو وعبد الله بن رواحة

(٦) فى الأصل : « الدحداجة » وكذلك « الدحداج »

ابن إياس بن بُكَيْر والمسلمون أَوْزاعٌ(١) قد سُقِط فى أيديهم فصاح : يا مَعشَر الأَنصار ! إِلىَّ إِلىَّ ، أنا ثابتُ بن الدَّحداحَة ، إن كان محمدٌ قد قُتِل فإنّ الله حىٌّ لا يموت ، فقاتِلوا عن دينِكم فإن الله مُظْهِرُكم وناصِرُكم . فنَهض إليه نفَرٌ من الأَنصار فَحَملَ بهم على كَتيبةٍ فيها : خالدُ بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعِكْرِمة بن أبى جهل ، وضِرار بن الخطاب ، فحمل عليه خالدُ بن الوليد بالرُّمح فقتلَه وقَتل من كان معه من الأَنصار رضى الله عنهم . فيقال إن هؤلاء آخرُ من قُتل من المسلمين

ووصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشِّعب مع أصحابه ، فلم يكُن هُناكَ قتالٌ

خبر وحشىّ ومقتل حمزة

وكان وَحشِيٌّ عَبْداً لابنة الحارث(٢) بن عامر بن نَوْفَل ، ويقال لجُبَيْر بن مُطْعِم ، فقالت له ابنــةُ الحارث : إن أَبى قُتل يوم بدر ، فإنْ أنتَ قتلتَ أحدَ الثلاثة فأنت حرٌّ — : إن قتلتَ محمداً ، أو حمْزَةَ ، أو عليًّا ، فإنّى لا أرى فى القوم كُفْوًا لأبى غيرَهُم . فـكمَنَ لحمزة رضى الله عنه إلى صَخْرة ، وقد اعترض له سِباعُ بن عبد العُزَّى [واسمُ عبد العُزَّى عمرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سُلَيْم] — وهو ابن أُمِّ أَنمار — فاحْتملَه ورَمى به و برَكَ عليه فشَحَطَه شَحْطَ(٣) الشَّاة . ثم قام حتى بلغ المسيل فزَلَّتْ رجله عن جُرُفٍ ، فهزَّ وَحشِيٌّ حرْبته وضربَ بها خاصِرة حمزة خرَجتْ من مَثانته فلحق بربِّه . فأتاه وَحْشِيٌّ فَشَقَّ بَطْنَه وأخرج كَبِدَه فجاء بها إلى هِنْد بنت عُتبــة فقال لها : ماذا لى إن قَتلْتُ قاتلَ أبيك ؟

(١) أوزاع : متفرقون غير مجتمعين
(٢) فى الأصل : « الحرب »
(٣) شحَطه يَشْحَطه : ذبحه

قالت : سَلَبِي[1] ! ! فقالَ : هذه كَبِدُ حَمْزة ! فمَضَغَتْها ثم لفَظتها ، ونزَعت ثِيابها وحُلِيّها فأَعطتْه وَحْشيًّا ، ووَعدتْه إذا جاء مَكة أن تُعْطِيَه عشرة دنانير ، وقامت معه حتى أراها مصرَع حمزةَ فقطعت مَذَاكيرَه ، وجدَّعَتْ أنفه وقطَعت أُذُنَيه ، ثم جعلت مَسَكَتَيْنِ ومِعضَدَيْنِ وخَدَمَتَيْنِ[2] حتى قَدِمَتْ بذلك مكة ، وكَبِدُه معها . وفى المسند للإمام أحمد قال : فنظروا فإذا حمزةُ قد بُقِرَت بطنُه ، وأخذَت هندُ كَبِدَه فلاكَتها فلم تستطع أن تأكلَها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكلَتْ منها شيئاً ؟ قالوا : لا ؛ قال : ما كان الله لِيُدْخِلَ من حمزةَ النَّار . وفى رواية ابن سعد : إن الله قد حرَّم على النارِ أن تذوقَ من لَحْمِ حمزة شيئاً أبداً . ويُروى أن هنداً لما أَخْرَجت كبدَ حمزة لاكَتها فلم تستطعْ أن تُسيغَها فلَفَظتها ، ثم عَلتْ على صخرة مُشرِفَةٍ فصاحتْ بأعلى صوتِها بما قالتْ من الشِّعر حين ظَفِروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهجاها حسان بن ثابت لمَّا بلغه ذلك من قولها

موقف رسول الله على مقتل حمزة

وجعَل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقُول : ما فعل عمِّى ؟ ويكرِّر ذلك . فخرج الحارث بن الصِّمَّة فأبطأ ؛ فخرج علىٌّ رضى الله عنه فوجد حمزةَ رضى الله عنه مقتولا ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فخرج يمشى حتى وقف عليه فقال : ما وقَفْتُ موقفاً أَغْيَظَ إلَيَّ مِنْ هٰذا ! فطَلَعَتْ صَفيَّة بنتُ عبدِ المطلب[3] رضى الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم : [يا زُبيْر][4] أَغْنِ عنى أمك . هذا ، وحمزَةُ يُحفرُ

---

(١) كل ما على الإنسان من ثياب وحلىّ فهو سَلَب ، ويقول ابن هشام ج ٢ ص ٥٨١ إن هنداً أعطتْ وحشيا خدمها وقلائدها وقرطتها

(٢) المسكة وجمعها المسك : السوار تجعله المرأة فى يديها وإنما يكون من الذَّبْل والعاج ، والمِعْضدة والمِعْضدُ : الدملجُ يكون كالسوار تجعله على عَضدها بين الكتف والمرفق ؛ والخدمة وجمعها الخدم : الخلخال تجعله فى رجلها

(٣) أخت حمزة ، وعمة نبىّ الله ، وأم الزبير بن العوام حوارى رسول الله

(٤) زيادة لا بدَّ منها ، وقوله : أغن عنى : أى اكفنى

له فقال : يا أُمَّهْ ! إنّ فى الناس تكشُّفاً ؛ فقالت : ما أنا بفاعلةٍ حتى أرى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأته قالت : يا رسول الله ، أين ابنُ أُمّى حمزَةُ ؟ قال : هو فى النّاس ؛ قالت : لا أرْجِعُ حتى أنظرَ إليه . فجعل الزُّبير يُجْلِسُها حتى دُفن حمزة رضى الله عنه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لوْلا أن يَحْزُنَّ نساءنا ذلك لترَكْناه للْعافيةِ[1] حتى يُحشَر يوم القيامة من بُطون السِّباع وحوَاصِل الطَّير . ويقالُ لما أُصيبَ حمزة رضى الله عنه جاءَتْ صفيَّةُ بنتُ عبد المطلب رضى الله عنها تَطْلُبه فحالتْ بينَها و بينَهُ الأنصار ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دَعوها ؛ فجلَسَتْ عنـدهُ فجعلَتْ إذا بكَتْ بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و إذا نَشَجَتْ نَشَج[2] . وكانت فاطمةُ عليها السلام تبكى ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم كلما بكتْ يَبكى ، وقال : لن أُصابَ بمثْلِكِ أبداً . ثم قال : أبشِرَا ! أتانى جبريلُ وأخبرنى أن حمزَةَ مكتوبٌ فى أهْل السَّموات السبع : حمزَةُ بن عبد المطلبِ أسدُ الله وأسدُ رسوله

بكاء رسول الله على حمزة

المثلة بحمزة

ورأى صلى الله عليه وسلم به مَثْلًا شديداً فأحزنَهُ ذلك المثْلُ ، ثم قال : لئن ظفِرْتُ بقريش لأُمَثِّلنَّ بثلاثين منهم فنزلت هذه الآية : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ » (النحل ١٢٦) [فعفَا رسول الله][3] فلم يُمثِّل بأحدٍ . وجعل أبو قَتادة الأنصارى يُريد أن يَنال من قريش ، لِمَا رأى من غمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل حمزةَ وما مُثِّلَ به ،

(١) العافية ، وواحدها عاف : كل ما جاء يطلب الفضل والرزق من الناس والدواب والطير والسباع ، ويريدُ هنا السباع والطير ، آكلة اللحم والجيف

(٢) نشج نشيجاً : والنشيجُ أشدّ البكاء ويرتفعُ معه الصوتُ ، ويترددُ النفس ، وتختلف له الأضلاعُ وتضطرب

(٣) هذا نصّ الواقدى ، وهو أتم

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يُشير إليه أنِ اجْلِسْ — وكان قائما — فقال صلى الله عليه وسلم : أَحْتسبُكَ عند الله ؛ ثم قال : يا أبا قَتادة ! إنّ قُرَيشاً أهلُ أمانةٍ ، من بَغَاهُمُ العَوَاثِرَ كَبَّهُ(١) الله لِفيهِ ؛ وعسى إنْ طالت بك مُدةٌ أنْ تَحْقِرَ عَمَلَكَ مع أعمالهِمْ وفَعالَكَ مع فَعالهِمْ ، لولا أن تبْطَرَ(٢) قريشُ لأخبرتُها بما لها عندَ الله ؛ فقال أبو قَتادة : والله يا رسولَ الله ما غضبتُ إلا لله ولرسوله حين نالوا منه ما نالوا ! فقال صلى الله عليه وسلم : صدقتَ ، بئسَ القومُ كانوا لنبيِّهم .

مقتل عبد الله بن جحش وخبره

وقال عبدُ الله بن جَحش بن رِئاب بن يَعْمُرُ(٣) بن صَبِرَةَ بن مرَّة بن كبير(٤) ابن غَنْم بن دُودان(٥) بن أَسَد بن خُزَيمة الأسدىّ : يا رسول الله ! إن هؤلاء القوم قد نزَلوا حيثُ ترَى ، وقد سألت الله فقلتُ : اللهمّ إنى أُقسمُ عليك أن نَلقى العدوّ غداً فيَقتُلونَنى ويَبقُرُونَنى ويمثِّلون بى ، فألقاك مَقتولا قد صُنِعَ هذا بى ، فتقول : فِيمَ(٦) صُنِعَ بك هذا ؟ فأقول : فيك ؛ وأنا أسألُك(٧) أُخرى : أنْ تَلِىَ تَرِكَتى من بَعدِى فقال : نعمْ . فخرج حتى قُتل ومُثّل به ، ودُفن هو وحمزَةُ(٨) رضى الله عنهما فى قبرٍ واحد . وَوَلِىَ تركتَه رسولُ الله صلى الله عليه

(١) فى الأصل : « أكبه »
(٢) بَطِرَ يبطَرُ بَطراً ، والبَطَرُ : الطغيان عند النعمةِ
(٣) فى الأصل : «رباب بن نعمان »
(٤) فى الأصل : « كثير»
(٥) فى الأصل : « داود »
(٦) فى الأصل : « فيم »
(٧) يعنى بالخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
(٨) وحمزة خال عبد الله بن جحش : أمه أمَيْمة بنت عبد المطلب أخت حمزة وعمّة نبى الله

وسلم فاشترَى لابْنه(١) مالاً بخيبر ، فأقبلت أختُه حَمْنَةُ بنت جَحش . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حَمْنَ ! احْتسبي ؛ قالت : مَن يا رسول الله ؟ قال : خالَكِ حمزَةَ ؛ قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غَفَرَ اللهُ لهُ ورحمهُ ، هَنيئاً له الشهادةُ ! ثم قال لها : احتسبي ؛ قالت : مَنْ يارسول الله ؟ قال : أخوكِ؛ قالت : إنّا لله وإنا إليه راجعون ، غفرَ الله له ورحمه ، هنيئاً له الشهادة ! ثم قال لها : احتسبي ، قالت : مَنْ ، يا رسول الله ؟ قال : مُصْعَب بن عُمير ، قالت : واحَزَنَاهْ !! وفى رواية أنها قالت : واعَقْرَاه !! فقال صلى الله عليه وسلم : إن للزوج من المرأة مكاناً ما هو لأحدٍ ! ثم قال لها : لِمَ قلت هذا ؟ قالت : يا رسولَ الله ، ذكرتُ يُتْمَ بنيه فَرَاعَنى . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لولده أن يُحسن عليهم الخلَفَ ، فتزوّجَت طلحةَ فولَدَت له محمد بن طَلحة ، فكان أوصلَ الناس لولدها . وكانت حَمْنَةُ خرجت يومئذٍ إلى أُحُدٍ مع النساء يَسقِينَ الماء

طلوع رسول الله على أصحابه فى الشعب

وطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فى الشِّعْب بين سعد بن عُبادة وسعد بن مُعاذ يتكفَّأُ فى الدِّرْع [وكان صلى الله عليه وسلم إذا مشى يتكفَّأ تكفُّؤًا](٢) — وقد بَدَنَ وظاهَر بين درْعَيْن — وكان يتوكأُ على طلحةَ بن عُبَيْد الله ، فما صلَّى الظهرَ يومئذٍ بأصحابه إلا جالساً . وقد حمله طلحةُ رضى الله عنه — حين انتهى إلى الصَّخْرة — حتى ارتفع عليها . ثم مضى إلى أصحابه ومعه النَّفَر الذين ثَبتُوا معه ، فلما رأوْهم ولَّوْا فى الشِّعب ظناًّ أنَّهم من المشركين ، حتى جعل أبو دُجانةَ يُليحُ إليهم بعمامةٍ حمراءَ على رأْسه فعرفُوه فرجعوا ، أو بعضُهم

(١) هكذا هو فى ابن سعد أيضاً ، وفى الواقدىّ : « لأمه »

(٢) زيادة للبيان ، وهى صفة مِشْية نبىّ الله . والتكفؤُ التمايل إلى قدام كما تتكفأُ السفينة فى مشيها ، وذلك أنه كان إذا مشى تقلع من قوته ، فكأنما يمشى على صدور قدميه ، وكأنه ينحط من صبب

وكان الذين ثبتُوا معه صلى الله عليه وسلم —وطلعُوا وهو بينهم إلى الشِّعب— أربعةَ عشر : سبعةً من المهاجرين وسبعةً من الأنصار

سرور المسلمين بسلامة رسول الله

فسُرُّوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كأنهم لم تُصِبْهم فى أنفسهم مُصيبةٌ . وبَيْنا همْ على ذلك رَدَّ المشركُون فإذا هُمْ فوقهم ، وإذا كتائبهم قد أقبلت ، فندَبَهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم يحُضُّهم عَلَى القتال . فعَدَوْا إليهم فانكَشفُوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شيئًا وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِين » (آل عمران : ١٤٤) [(١)] . وأبو سفيان فى سفحِ الجبَل فقال صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ لهُمْ أَنْ يَعلُونا ؛ فانكشفُوا [(٢)]

خبر النّعاس

وألْقَى الله النُّعاسَ على من مَع النبى صلى الله عليه وسلم وهم سَلَمٌ [(٣)] لمن أرَادهم ، لِما بهِم من الحُزْن ، فنامُوا ثم هَبُّوا من نومهم كأنْ لم تُصِبهم قبلَ ذلك نَكْبةٌ . وقال مُعتِّب بن قُشير، ويقال بَشير ، بن مُلَيْل بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبَيْعَة بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو بن عوف الأنصاريُّ : لَوْ كانَ لنَا من الأمرِ شىْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنَا ! فأنْزَل الله تعالى : « إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ » الآيات (من آل عمران : ١٥٣ — ١٥٥) . قال أبُو اليَسر كَعْب بن عَمْرو ابن عَبَّاد بن عمرو بن غَنْم [(٤)] بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سلَمَة الأنصارى : لقد رأيتُنى يومئذٍ — فى أربعة عشر رجُلاً من قومى — إلى جَنْبِ رسول الله

---

(١) فى الأصل : « الرسل ، الآية »
(٢) فى الأصل : « ما انكشفوا »
(٣) السَّلَم : مذعنون خاضعون ، وذلك لما غلبهم من الهزيمة ، والسَّلم : الأسير
(٤) فى الأصل : « غزية » لم أجد فى نسبه غزية ، وهذا من ابن هشام ج ١ ص ٥٠١

صلى الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاسُ أَمَنَةً ؛ ما منهم رَجُلٌ إلَّا يَغِطُّ غَطِيطًا حتى إنَّ الجَحَفَ(١) لَتَناطَحُ . ولقد رأيتُ سيفَ بشر بن البرَاء بن معْرُور سقَط من يده وما يَشعُرُ به حتى أخذه بعد ما تَثَلَّمَ ؛ وإن المشركين لَتحتَنا . وقال أبو طلحة زيدُ بن سهْل بن الأسود بن حَرام بن عمرو بن زَيد مَناة بن عُدَىّ بن عَمْرو بن مالك بن النجَّار الأنصارى : أُلقِىَ علينا النُّعاسُ ، فكنت أنعَس حتَّى سقَط سيْفى من يدى . وكان النُّعاس لم يُصِبْ أهلَ النِّفاقِ والشكِّ يومئذٍ ، فكلٌّ(٢) مُنافِقٍ يتكلَّم بما فى نَفْسه ؛ وإنما أصابَ النُّعاسُ أهلَ اليقينِ والإيمان

خبر أبى سفيان ومقالته ، وردّ عمر

ولما تحاجَزُوا أرادَ أبو سفيان بن حربٍ الانصرافَ ، وأقبل على فرسٍ حتى أشرَف على المسلمين فى عُرْضِ الجبل فنادَى بأعلى صوته : أعْلُ هُبَل ! ثم صاح : أين ابنُ أبى كَبْشَة ؟ أين ابنُ أبى قُحافة ؟ أين ابنُ الخطَّاب ؟ يومٌ بيوْم ببدْر ، ألا إنَّ الأيام دُوَلٌ ، وإنَّ الحَرْبَ سِجَالٌ ، وحَنْظَلَةٌ بحَنْظَلَة(٣) . فقال عمر رضى الله عنه : أُجِيبُه يا رسول الله ؟ فقال : بلى ؛ فأجبه ! فقال أبو سفيان : أعْلُ هُبَلُ ! فقال عمر : اللهُ أَعلَى وأَجَلُّ ! قال أبو سفيان : إنها قد أنْعمَتْ فَعالِ عنها ، ثم قال : أينَ ابنُ أبى كَبْشَةَ ؟ أين ابنُ أبى قُحافةَ ؟ أين ابنُ الخطاب ؟ فقال عمر رضى الله عنه : هذا رسولُ الله ، وهذا أبو بكر ، وهذا عُمَر . فقال أبو سفيان : يومٌ بيومِ بَدرٍ ، ألَا إنَّ الأيام دُوَل وإن الحرب سِجَالٌ ؛ فقال عمر : لا سوَاء ! قَتْلانا فى الجنة وقَتلاكم فى النار ؛ قال أبو سفيان : إنكم لتقولُون ذلك ، لقد خِبنا إذًا وخَسرْنَا ! لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم ! فقال عمر : الله موْلانا ولا موْلى

(١) الجحَف جمع جحفة : وهى الترس من الجلد
(٢) فى الأصل : « وكلّ » ، وهذه من الواقدى ، وهى أجود
(٣) يريد حنظلة ولده ، وحنظلة غسيل الملائكة

لكم ! قال أبو سفيان : إنّها قد أنعمت يا ابن الخطّاب فعالِ[1] عنها ، قُمْ إليّ يا ابن الخطاب أُكلّمْكَ ؛ فقام عمر فقال أبو سفيان : أنشدُك بدينك ، هل قتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامَك الآن ؛ قال : أنتَ عندى أصدَقُ من ابن قميئة ، ثم قال أبو سفيان ورَفَع صوتَه : إنكم واجدون فى قتْلاكم عنتاً ومَثْلاً ، ألا إنّ ذلك لم يكن عن رأى سَرَاتنا . ثم أدركته حميةُ الجاهليّة فقال : أما إذْ[2] كان ذاك فلم نَكْرَهْهُ ثم نادى : ألا إنّ موعدكم

بدر الموعد

بدراً[3] الصفراء على رأسِ الحوْل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل نَعَم ! فقال عمر رضى الله عنه : نعمْ !

انصراف المشركين ومخافة رسول الله من مباغتة المدينة

فانْصَرف أبو سفيان إلى أصحابه وأَخَذُوا فى الرّحيل . فأشْفَق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من أن يُغِيرَ المشركون على المدينة فتَهْلِكَ الذّرارىُّ والنّساء ، فبعث سعدَ بن أبى وقّاص لينظرَ : إن رَكِبُوا الإبل وجَنّبُوا الخيْل فهُوَ الظّعْنُ ، وإن ركبوا الخيلَ وجنّبوا الإبل فهى الغارَة . ثم قال عليه السلام : والذى نفْسى بيده لئن ساروا إليها لأسيرَنّ إليهم ثم لأُناجِزَنّهُمْ . فذهب سعدٌ يسعى إلى العقيق فإذاهم قد ركبوا الإبل وجَنّبوا الخيْلَ ، بعد ما تشاوَرُوا نهبَ المدينة فأشار عليهم صَفْوان بن أُميّة ألا يفعلوا ، فإنهم لا يدرون ما يَغْشَاهم ؛ فعاد فأخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم

قدوم أبى سفيان مكة

وقدم أبو سفيان مَكّةَ فلم يصلْ إلى بيته حتّى أتَى هُبَل فقال : قد أنْعمْتَ ونَصَرْتَنى وشفَيْتَ نفسى من محمد وأصحابه . وحَلَق رأْسَه

أوّل من قدم إلى مكة بخبر أُحُد

فكان أوّلَ من قدِم مكة بخبرِ أُحُدٍ وانكشافِ المشركين عبدُ الله بن

(١) فى الأصل : « فقال »
(٢) فى الأصل : « إذا »
(٣) فى الأصل : « بدر »

[أبى] (١) أمية بن المغيرة فكره أن يأتيهم بهزيمة أهلهم ، فقدم الطائف وأخبر أنَّ أصحاب محمدٍ قد ظفروا وانهزمْنا . ثم قدم وَحْشِيٌّ مكةَ فأخبرهم بمُصاب المسلمين وقد سار أربعاً على راحلته . ووقف على الثَّنيَّة التى تطّلع على الحَجُون فنادى : يامعشرَ قُرَيْشٍ ! أبشروا ؛ قد قتلنا أصحاب محمد مَقْتَلةً لم يُقتَلْ مثلُها فى زَحْفٍ قطُّ ؛ وجَرَحنا محمداً فأثْبَتْناه بالجِراح ؛ وقُتِل حَمْزة ؛ فسُرُّوا بذلك

ذكر من قتل من المسلمين والمشركين

وقُتِل من المسلمين بأُحد أربعةٌ وسبعون : أربعةٌ من قُرَيش وسائرُهم من الأنصار ؛ ويقال خمسةٌ من قريش . وقتل من المشركين أربعةٌ وعشرون ، وأسر من المشركين أبو عَزّة عَمْرو (٢) بن عبد الله بن عُمَيْر بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح ، ولم يؤسر منهم غيره . فقال : يامحمد ، مُنَّ علَىَّ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المُؤمنَ لا يُلْدَغُ من جُحْرٍ مرتين ؛ لا ترجع إلى مكّةَ تمسَحُ عارِضَيْك تقولُ : خَدَعْتُ [وفى رواية سَحَرْتُ] محمداً مرتين . ثم أمرَ به عاصمَ ابن ثابت فضربَ عُنُقَه . ويقالُ إن المشركين لما انصرفوا نزلوا بحمراء الأسد فى أوّل الليل ساعةً ، ثم رحلوا وتركوا أبا عَزّة نائماً مكانَه حتى ارتفع النهار ، ولحقَه المسلمون وهو مُسْتَنْبِهٌ يتَلَدّدُ ، وكان الذى أخذه عاصمُ بن ثابتٍ فأمره النبى صلى الله عليه وسلم فضربَ عُنُقه

خبر أبى عزّة الجمحىّ

خبر قتلى المسلمين يوم أحُد

ولمّا انصرف المشركون أقبل المسلمون على أمواتهم ، فكان حمزة رضى الله عنه فيمن أُتِىَ به أوّلا فصلّى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : رأيتُ الملائكة تغسّلُه ، لأن حمزة كان جُنُباً ذلك اليوم . ولم يُغسِّل صلى الله عليه وسلم الشهداء وقال : لُفّوهم بدِمائهم وجِراحهم، فإنه ليس أحدٌ يُجْرح فى الله إلا جاء يومَ

(١) فى الأصل : « بن أمية »
(٢) فى الأصل : « عمر »

القيامةِ جُرحه لَوْنُه لونُ دمٍ وريحُه ريحُ مِسك ، ثم قال : ضَعوهم ، أنا الشَّهيد على هٰؤلاء يومَ القيامةِ . فكان حمزةُ أوّلَ من كبّر عليــه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . ثم جمع إليــه الشُّهداء . فكان كلّما أُتِيَ بشهيدٍ وُضِـعَ إلى جنب حمزة فَصلَّى عليه وعلى الشهداء ، حتى صلى عليه سبعين مرّة ؛ ويقالُ كان يؤتى بتسعةٍ وحمزةُ عاشرهُم فيصلِّى عليهم ثم تُرفَع التسعة وحمزةُ مكانَه ؛ ويؤتى بتسعة آخرين فيوضَعون إلى جنب حمزةَ فيصلِّى عليهم حتى فعل ذلك ســبعَ مرّات . ويقال كبّر عليهم تسعاً وسبعاً وخمساً . وقيل لم يُصَلِّ عليهم ؛ خرّجه أبو داود من حديث جابر وأَنَس وابن عبّاس رضى الله عنهم : وهو مذهب مالكٍ ، واللَّيث ابن سعد ، والشّافعيّ ، وأحمدَ ، وداود(١) ، ألّا يصلَّى على المقْتول فى المعْرَكةِ ؛ وقال فُقهاء الـكوفة والبَصْرة والشّام : يصلَّى عليهم

خبر دفن القتلى ودفن حمزة

وقال صلى الله عليــه وسلم للمسلمين : احفِروا وأَوْسِعوا وأَحسِنوا ، وادفنوا الاثنيْن والثلاثةَ فى القَبر ، وقدِّموا أكثرَهم قرآناً ؛ فكانوا يقدِّمون أكثرهم قرآناً فى القبر . ولمّا وَارَوْا حمزةَ رضى الله عنه أمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببُرْدَةٍ تمَدُّ عليه وهو فى القبر ، فجعلت البُرْدة إذا خمَّروا(٢) رأســه بدتْ قدماه ، وإذا خمَّروا رجلَيه ينكَشِفُ وجهُه ، فقال صلى الله عليــه وسلم : غطُّوا وَجهَه ؛ وجعلَ على رجليه الحَرْمَل(٣) . فبكى المسلمون وقالوا : يارسولَ الله ! عمُّ رسولِ الله لا نَجِدُ له ثوباً ؟ فقال : تُفْتَح الأرْياف والأمْصار فيخرُج إليها الناسُ ثم

(١) يريد : أبا سليمان ، داود بن على بن خلف الأصبهانىّ ، المعروف بالظاهرى . وكان أكثرَ الناس تعصّباً للشافعى ، وكان صاحبَ مذهبٍ مستقلٍّ ، وأتباعه يعرفون بالظاهرية . ولد ببغداد سنة ٢٠٢ وتوفى بها فى ذى القعدة سنة ٢٧٠

(٢) خمّر وجهه : غطّاه

(٣) الحرمَل : نبات طيّبُ الريح

يَبْعثون إلى أهليهم . إنكم بأرضٍ حِجازٍ[١] جرَدِيَّةٍ [الجَرَدِيَّة التى ليس بها شىء من الأشجار][٢] والمدينـةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون . والذى نفسى بيده لا يَصبِرُ أحدٌ على لَأْوَائها[٣] وشِدَّتها إلَّا كنتُ لَهُ شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة

مصعب بن عمير

ومرَّ صلى الله عليه وسلم على مُصْعب بن عُمَيْر وهو مقتولٌ فى بُرْدَة[٤] فقال : لقد رأيتُك بمكةَ وما بها أحدٌ أرقَّ حُلَّةً ولا أحسن لِمَّةً منك ، ثم أنت شَعِثُ الرَّأْسِ فى بُرْدَةٍ . ثم أمر به فقُبِر

وكان كثيرٌ من النَّاس حملوا مَوْتاهم إلى المدينـة فدفنوهم ، فنادى منادى رسول الله صلى الله عليـه وسلم : رُدُّوا القَتْلى إلى مَضاجعهم ؛ فلم يرُدَّ أحدٌ إلَّا رجلٌ واحد أدركَهُ المنادى ولم يُدفَن ، وهو شمَّاس بن عُثمان المخزُومِىٌّ

موقف المسلمين للثناء على الله

ولمَّا فَرَغ صلَّى الله عليه وسلم من دَفْنِ أصحابِهِ ركبَ فرسَه وخرج ، والمسلمون حولَه : عامَّتُهم جرْحى ، ولا مِثْلَ لبنى[٥] سلَمة وبنى عبد الأشهل ، ومعه أربع عشرة امرأة . فلمَّا كانوا بأصل الحرَّة قال : اصطفُّوا نُثْنِى على الله ؛ فاصطفَّ الرجال صفَّيْن خلفهم النِّساء ثم دَعا فقال : اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ كلُّه ، اللَّهمَّ لا قابضَ لمـا بَسطْتَ ولا باسِطَ لما قَبضْتَ ، ولا مانعَ لما أعْطيْتَ ولا مُعْطِيَ لمـا مَنَعْتَ ، ولا هادِيَ لمن أضْلَلتَ ولا مُضِلَّ لمن هَديتَ ، ولا مقرِّبَ لما باعَدتَ ولا مُباعِدَ لمـا قرَّبتَ . اللَّهُمَّ إنِّى أسألك من برَكَتِك ورَحْمتك وفَضْلِك وعافِيتك . اللَّهمَّ

(١) حجاز : تحجزُ بين البحرِ والبرّ ، وهى أرض الحِرار والجبال
(٢) هذه زيادة من نصّ الواقدى ص ٦٠١ ، والجرَدُ : فضاء من الأرض لا نبت فيه
(٣) اللأْواءُ : المشقّةُ والشدةُ وضيقُ العيش
(٤) البُرْدة وجمعُها بُرَد : شِمْلَةٌ بشبهُ المنديل من صوف مربّعة سوداء مخطّطة صغيرة خشنة من ملابس الأعراب تلتحفُ بها . وهى غيرُ البُرْد ، وجمعُه بُرُود : فذاك ثوب جيد فيه خطوط من الوَشْىِ ، من رفيع الثياب
(٥) فى الأصل : « ولا مثل بنى . . » ، وهكذا هى فى الواقدى ص ٣٠٤

إنى أسألُكَ النّعيم المقيم الذى لا يَحول ولا يَزول . اللّهمّ إنى أسألك الأمْن يوْمَ الخَوْفِ . والغِنى يوم الفاقة ، عائذًا بك اللّهمّ من شَرِّ ماأَنْطَيْتَنا(١) وشَرِّ مامَنعتَ منا . اللهمّ توَفّنا مسلمين . اللهُمّ حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزَيِّنْه فى قلوبنا ، وكرِّهْ إلينا الكُفر والفُسوقَ والعِصْيانَ وٱجْعَلنا من الرَّاشـدين . اللّهمّ عَذِّبْ كَفرَةَ أهلِ الكتابِ الّذين يُكَذِّبون رسولَكَ ويصُدُّون عن سبيلك . اللهمّ أنزِلْ عليهم رِجسك وعَذَابَك إلٰهَ الحَقِّ . آمين

دخول رسول الله إلى المدينة

وأقْبل حتى طلَعَ على بنى عبد الأشْهل وهم يبكون على قَتْلاهم فقال : لَـكِنّ حَمْزة لاَ بَوَاكِىَ له ! فخرج النِّساء ينظرن إلى سلامته ، فقالت أم عامر الأشهلية : كلُّ مُصيبةٍ بعدك جَلَلٌ . وجاءت أُمُّ سَعْد بن مُعاذ [وهى كَبْشَة(٢) بنت رافع [بن معاوية](٣) بن عُبيْد بن ثَعْلَبة بن عُبَيْد بن الأبْجَر ، وهو خُدْرَة ، ابن عَوْف بن الحارثِ بن الخَزْرج] تَعْدُو نحوَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وقف على فَرَسه ، وسعدُ بن مُعاذٍ آخذٌ بعِنان الفرَس فقال سعدٌ : يا رسولَ الله ! أُمّى ! فقال : مرحباً بها . فدنَتْ حتى تأَمَّلَت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : أمّا إذْ رأيتُكَ سالماً فقد أشْوَتِ(٤) المصيبةُ . فعزّاها صلى الله عليه وسلم بعَمْرو بن مُعاذٍ ابنِها ثم قال : ياأُمّ سعدٍ ! أَبْشِرى وبَشرى أهْلِيهم أنّ قَتْلاَهم ترافقوا فى الجنة جميعاً — وهم اثنا عشر رجلا — وقد شُفِّعُوا فى أهليهم ؛ قالت : رَضينا برسول الله ، ومَنْ يَبْكى عليهم بعد هذا ؟ ثم قالت :

(١) أنطى : لغة يمنيّة حِمْيَرية فى « أعْطَى » ، وقد شرّفها صلى الله عليه وسلم باتخاذها فى كلامه مرّات

(٢) فى ابن هشام « كُبيشَة » ج ٢ ص ٦٩٨

(٣) زيادة من نسبها

(٤) أشوت : تريد هانت ، وكل شيء بعدكَ شَوى ، أي هيّن

ادعُ يارسول الله لمن خُلِّفوا ، قال : اللَّهُمَّ أذْهِب حُزْنَ قلوبهم ، وأَجبُرْ مُصيبتهم ، وأحسن الخَلَف على من خُلِّفوا ؛ ثم قال : خَلِّ أبا عَمْرٍو الدّابّةَ . فخلّى سعدٌ الفرَس فتبعَه الناسُ فقال : يا أبا عمْرو ، إنّ الجِراح فى أهلِ دارِكَ فاشِيةٌ ، وليس منهم مَجْروحٌ إلا يأْتى يوم القيامة جُرحُه كأغْزَرِ ما كان : اللَّوْنُ لونُ الدّمِ ، والرِّيحُ رِيحُ المِسْك ، فمن كان مجروحًا ، فليَقِرَّ فى داره وَلْيُداوِ جُرْحَه ، ولا يَبْلُغْ معِىَ بيْتِى ، عَزْمةً منِّى. فنادى فيهم سعدٌ : عزمةً من رسول الله ألاَّ يتَّبِع رسولَ الله جَرِيحٌ من بنى عبد الأشهل ؛ فتخلَّف كلُّ مجروح . فباتوا يُوقدون النِّيران ويداوون الجِرَاح ، وإنّ فيهم لثَلاثين جريحًا . ومضى سعدٌ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء بيْتَه فما نزل عن فرسِه إلاَّ حَمْلًا ، واتّكأ على سعْد بن عُبادة وسعْد بن معاذ حتى دخل بيته . فلما أَذّن بلال بصلاة المَغْرب خرج على مثل تلك الحال يتوكّأُ على السّعْدين فصلّى ثم عاد إلى بيته

خبر البكاء على حمزة

ومضى سعدُ بن مُعاذٍ إلى نِسائه فساقَهُنّ حتى لم تَبْقَ امرأةٌ إلا جاء بها إلى بيتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبَكَيْنَ حمزةَ رضى الله عنه بين المغرب والعِشاء ، والنّاس فى المَسْجِد يُوقِدُون النِّيرَان يَتَكَمَّدُونَ(١) بها مِنَ الجِراحِ . وأَذَّن بلالٌ رضى الله عنه حين غاب الشَّفَق فَلَمْ يخرجْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بلالٌ عندَ بابه حتّى ذَهب ثُلُثُ اللّيل ، ثم ناداه : الصَّلاةُ ، يارَسول الله ! فهبَّ صلى الله عليه وسلم من نَوْمِه وخَرَج ، فإذا هو أَخفُّ فى مِشْيته منه حين دَخَل . وسَمِع البكاء فقال : ما هذا ؟ فقيل : نساء الأَنصار يَبْكِينَ على حمزة فقال : رَضِى الله عنكُنَّ وعَنْ أَوْلَادِ كُنَّ ؛ وأَمَرأَن تُرَدَّ النّساء إلى مَنَازلهنَّ ،

---

(١) تَكْميدُ العُضْو : تسخينه بخرق أو قطن ، فاذا تابع ذلك على موضع الوجع وجَدَ له راحةً ، وذلك الكِمادُ . والكِمادَةُ : الخرقة التى توضع على موضع الوجع

فرجَعْنَ بعد لَيْلٍ مع رِجَالهنّ . وصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلّم العِشاء ثم رجع إلى بَيْته ، وقد صَفّ له الرجالُ ما بين بَيْته إلى مُصَلّاه يمشى وَحْدَه حتى دَخَل ، وباتَتْ وُجُوه الأَوْس والخَزْرج على بابه فى المَسْجِد يَحْرُسونه فَرَقًا(١) من قريش أن تكُرّ . ويقال إنّ مُعاذ بن جَبَل رضى الله عنه جاء بنساء بنى سَلِمَة ، وجاء عبد الله بن رواحة رضى الله عنه بنساء بلْحَارث [بن الخزرج](٢) فقال صلى الله عليه وسلم : ما أَرَدْتُ هٰذا ! ونَهَاهُنّ الغدَ عن النَّوْح أشدَّ النَّهْي

شماتة المنافقين

وجعلَ عبد الله بنُ أُبَيّ ابنُ سلول والمنافقون يَشْمَتُون معه ويُسَرُّون بما أصاب المسلمين ، ويُظْهِرون أقبحَ القَوْل . فيقول ابْنُ أُبَيّ لابنه عبد الله — وهو جريحٌ قد باتَ يَكْوِى الجِراحةَ بالنّار — : مَا كَانَ خُروجك معه إلى هذا الوَجْه برأى ! عَصَانى محمّدٌ وأطاعَ الوِلْدَان ؛ والله لَكَأَنى كنتُ أَنْظُر إلى هـذا ؛ فقال ابنه : الّذى صَنَعَ الله لِرسوله(٣) وللمُسلمين خيرٌ

ما قالت اليهود والمنافقون شماتة بقتلى أُحُد

وأَظْهرتِ اليهودُ القولَ السّيِّئ فقالوا : ما محمّد إلا طالبُ مُلْكٍ ! ما أُصيبَ هكذا نَبِيٌّ قطُّ ! أُصيبَ فى بدَنه ، وأُصيب فى أصحابه ! ! وجَعَل المنافقُون يُخَذِّلون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ويأمُرونهم بالتفرّق عنه ، ويقولون : لو كان مَنْ قُتِلَ مِنْكم عِنْدَنا — مَا قتِل . وسمع عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه ذلك فى أماكن ، فمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأْذِنه فى قَتْل من سمع ذلك مِنْه من يَهُود والمنافقين ، فقال عليه السلام : يا عُمر ، إنّ الله مُظْهِرُ دِينه ومُعِزٌّ نبيّه ؛ ولليَهُودِ ذِمّةٌ فلا أَقْتُلُهم ؛ قال فهؤلاءِ المُنَافِقون !! قال : أَلَيْسَ يُظْهِرون شَهادةَ أَنْ لا إلٰهَ إلّا الله ، وأَنى رسولُ الله ؟ قال : بلَى ، يا رسول الله ! وإنما

(١) فرقاً : خوفاً
(٢) زيادة بالإيضاح
(٣) فى الأصل : « ولرسوله »

يفعلون ذلك تَعَوُّذًا من السَّيف ، فقد بَانَ لنا أَمْرُهم ، وأَبْدَى اللهُ أَضْغَانَهم عند هذه النَّكْبَة ! فقال : نُهِيتُ عن قَتْل من قال لا إلهَ إلّا الله وأنّ محمّداً رسولُ الله ؛ يا ابْنَ الخطّاب ، إنّ قُرَيْشًا لن ينالوا منّا مثْل هذا اليوم حتى نستَلِم الرُّكْنَ

ما نزل من القرآن فى غزوة أحُد

ونزَل فى غزوَة أُحُدٍ من قوله تعالى : « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ » من سورة آل عمران إلى آخرها (آل عمران : ١٢١ — ٢٠٠) وكان قد نزَل قبلَ أن يخرج صلى الله عليه وسلم إلى أُحُدٍ قوله تعالى « إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ «١٢٤» بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ «١٢٥» وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ » (آل عمران: ١٢٦)(١) ، فلم يَصْبِروا وانكشفُوا ؛ فلَمْ يُمَدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمَلَكٍ واحد يوم أُحُدٍ

خبر معاوية بن المغيرة وكان هو الذى مثّل بحمزة

وكان مُعَاويةُ بن المُغيرة بن أبى العاص قد انهزَمَ ومضَى عَلَى وَجْهه ونامَ قريباً من المدينة ، فلما أصبحَ دخلَها ، وأَتى عثمانَ بن عفّانَ رضى الله عنه فلما رآه قال : وَيْحكَ أَهلَكْتَنى وأهلكتَ نفْسَك ، وأدخله بيته . ثم سأل فيه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأَجَّلَهُ ثلاثاً فإن وُجِدَ بعدهُنّ قُتِلَ . فجَهَّزه عثمان ، وخرجَ بعد ثلاثٍ فأدركهُ زيْدُ بنُ حارثةَ وعمّارُ بنُ ياسر بالجَمَّاء فرَمَياه حتى قَتلاه ؛ وكانَ هو الذى مَثَّلَ بحمزةَ رضى الله عنه

غزوة حمراء الأسد

« ثم كانت غزوةُ حمراء الأَسَدِ » يوم الأحد صبيحةَ أُحُدٍ . وذلك أنَّ

(١) فى الأصل : يبدأ الآية هكذا قوله تعالى « إنى مُمِدّكم بثلاثة . . . » ، وينتهى بها إلى قوله تعالى « بشرى لكم » . وقوله فى أوّل الآية « إنى مُمِدّكم » ، هكذا نصّ الواقدىّ ص ٣١١ ، كأنه قال إنها هكذا نزلت أوّلَ مانزلتْ ، ثم نزلت بعدُ على قراءةِ المصحف

عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَنيّ(١) أَوْفَى بابَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة الأحد ، وبلالٌ على الباب بعدَ ما أذّن وهو ينتظر خروجَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلما خرج أخبره المُزَنيُّ أنه أقبل من أهله حتى كان بمَلَلٍ إذا قُرَيْشٌ قد نزلوا ، فسمع أبا سُفيان وأصحابه يَشْتَوِرُون(٢) لِيرْجِعوا حتى يَستأْصِلُوا من بقى ، وصفوانُ يأبَى ذلك عليهم . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وذكر لهما ذلك ، فقالا : اطلُبْ العدوَّ يا رسولَ الله ، ولا يَقْتَحِمُون على الذُّرِّيَّة . فلما صلّى الصبح يوم الأحد — ومعه وُجوه الأَوْس والخزرج ، وقد باتوا فى المسجد على بابه — أمر بلالاً فنادَى : إنّ رسولَ الله يأمرُكم بطلب عدُوِّكم ، ولا يخرُجْ مَعنا إلّا من شَهِدَ القتالَ بالأمس

خروج جَرْحى أحد للغزو

فخرج سعدُ بن مُعاذ إلى دارِه يأمُر قومَه بالمسير وكلُّها جريح فقال : إنّ رسول الله يأمُرُكم أن تطلُبوا عدُوَّكم . فقال أُسَيْد بن حُضَيْر — وبه سبْعُ جراحاتٍ يريد أن يُدَاوِيها — سمعاً وطاعةً لله ولرسوله ؛ وأخَذَ سلاحه ولم يُعَرِّجْ على دواء ، ولَحِقَ برسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاء سَعْدُ بن عُبادَةَ قومَه ؛ وجاء أبو قَتادة إلى طائفةٍ فبادرُوا جميعاً . وخرَج من بنى سَلَمة أربعون جريحاً — بالطُّفَيْل بن النُّعْمان ثلاثة عشر جُرْحًا(٣) ، وبخِرَاش بن الصِّمَّة عشرُ جراحات — حتى وافَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال لما رآهم : اللهمَّ ارْحَم بنى سَلَمة

اللواء

ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءه إلى أبى بكر ، وقيل لعلىّ ،

---

(١) هذا خبر الواقدى ص ٣١٧ ، وأما غيرُه فذكر غير ذلك فى أمر بدء غزوة حمراء الأسد

(٢) هو يكثر من استعمال هذا الحرف العامّىّ ، انظر ص (٥٦) و (١٣١)

(٣) فى الأصل « جريحاً »

رضى الله عنهما ، واستخلَفَ على المدينة ابن أُمّ مكتومٍ ، وأقام على حَرَسه عَبَّادَ بن بِشر

خبر عبد الله ورافع ابنى سهل

وكان عبدُ الله ورافعُ ابنا سَهْل بن رافع بن عدىّ بن زيد بن أُميّة بن زيد الأنْصَارِيَّين ، رَجَعا من أُحُد وبهما جراحٌ كثيرةٌ نخرجَا يَزْحَفان ، فضعُفَ رافعٌ فحمله عبدُ الله عَلَى ظهره عُقْبَةً ومَشَى عُقْبَةً(١) فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتياهُ وقال : إنْ طالتْ بكم مُدّةٌ كانت لكم مرَاكِبُ من خَيْلٍ وبِغالٍ وإبِلٍ ، وليس ذلك بخيرٍ لكم . ولم يخرجْ أَحَدٌ لم يشهدْ أُحُداً سوَى جَابر بن عبد الله، واستأْذَنَهُ رجالٌ لم يَخْرُجوا أُحُدًا فلم يأذَنْ لهم

خروج رسول الله

ولما اجتمعَ الناسُ رَكع رسول الله صلى الله عليه وسلم رَكعتين فى المسجد ودَعا بفرسه على باب المسجد — وعليه الدِّرْع والمِغْفَر — فركب ، وإذا بطلحةَ رضى الله عنه ، فقال : يا طلحةُ ، سلاحَكَ ! فأسرعَ ولبس سلاحه — وبه تسع جراحات — وأقبل فقال له صلى الله عليه وسلم : أين ترَى القومُ الآن ؟ قال : هم بالسَّيَالَةِ ؛ قال : ذلك الذى ظننتُ ، أما إنَّهُم — يا طلحةُ — لنْ ينالوا منَّا مثلَ أمسِ حتى يفتحَ الله مكةَ علينا

الطلائع

وبعث صلى الله عليه وسلم ثلاثةَ نفَرٍ من أسلَمَ طليعةً فى آثار القوم هُمْ : سَلِيطٌ(٢) ونُعْمانُ ابنَا سفيَان بن خالد بن عَوْف بن دَارم وآخر [من أَسلم من بنى عُوَيْر ، لم يُسَمّ](٣) ، فقتلوا ، ومضى صلى الله عليه وسلم فى أصحابه حتى عسكَرُوا بحمراء الأسَد . وكان عامّةَ زَادِهم التَّمْرُ . وحَمَل سعدُ بن عُبادة رضى

(١) العُقبة : النوبة والمرّة بعد المرّة . والعُقبةُ أيضاً السيرُ مقدار فرسخين
(٢) فى الأصل : « سليطاً »
(٣) زيادة من الواقدى ص ٣٢٨

الله عنه ثلاثين بعيراً حتى وافت الحمراء ، وساق جُزُرًا لينْحَر . وكان صلى الله عليه وسلم يأمرُ فى النهار بجمع الحطب ، فإذا أمسوا أمرَ أن تُوقَد النيِّران ؛ فيوقدُ كلُّ رجل ناراً ، فلقد أُوقدوا خمسمائة نارٍ حتى رُؤِيَتْ من مكانٍ بعيدٍ . وذهبَ ذكر معسكَر المسلمين ونيرانهم فى كل وجهٍ ، فكان ذلك مما كبَتَ الله به عدوَّهم

خبر معبد الخزاعىّ وانصراف المشركين

ولَقِى مَعْبدُ بن أبى مَعْبد الخُزَاعِىُّ — [وهو يَوْمئذٍ مُشْرِكٌ ، وكانت خزاعةُ سَلْمًا للنبىِّ عليه السلام][1] — رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمَّدُ ، لقد عَزَّ علينا ما أصابك فى نفسك وما أصابك فى أصحابك ، ولَوَدِدْنا أنَّ اللهَ أعْلى كَعْبك ، وأنَّ المصيبة كانت بغيْرِكَ . ثم مضى فوجَد أبا سفيان وقُرَيشاً بالرَّوحاء وهمْ مجمعون على الرُّجوع ، فأخبرهم أن محمَّدًا وقومَه وأصحابه قد تركهم يتحرَّقون عليهم[2] مثلَ النِّيران ، وأنهم فى طَلَبهمْ ؛ فانصرفوا سراعًا خائفين من الطَّلَب لهم . وبعثَ أبو سفْيان مع نفَرٍ من عبد القيْس مَرَّ بهم يريدون المدينة ، أن يُعلِموا[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم أجمعُوا الرجعةَ إليه . فلما بلَّغوه صلى الله عليه وسلم ذَلك قال : حَسبُنَا اللهُ ونعمَ الوكيلُ . فنزل فى ذلك قوْله تعالى « الذينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَ النّاس قَدْ جَمعوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادهُمْ إيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنعمَ الوَكيلُ » (آل عمران : ١٧٣)[4] ، وقوله تعالى « الذينَ استجَابُوا لِلهِ وَالرَّسول مِنْ بعدْ مَا أصَابهُمُ القرْحُ لِلّذين أحْسنُوا منهُمْ واتقَوْا أجْرٌ عَظِيمٌ » (آل عمران : ١٧٢)[5] . وبعثَ مَعبدٌ الخزاعى رجلاً فأخبرَ رسول الله صلى الله

---

(١) زيادة للبيان لابد منها ، من الواقدى ص ٣٢٩

(٢) فى الأصل : « عليكم »

(٣) فى الأصل مكان « أن يُعْلموا » ، « وهو يعلم »

(٤) فى الأصل : « ... فاخشوهم ، الآية »

(٥) فى الأصل : « ... القرح ، الآية »

عليه وسلم بانصراف أبى سفيان ومَنْ معه خائفين ، فانصرفَ صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة بعدَ ثلاثٍ

سرية أبى سلمة ابن عبد الأسد إلى قَطَن

ثم كانت سَرِيّةُ أبى سلَمة بن عبْد الأسد إلى قَطَنٍ : وهو جبلٌ بناحية فَيْدٍ به ماءٌ لبنى أسد بن خُزَيْمة بنَجْد ، وذلك فى المحرَّم على رأس خمسة وثلاثين شهراً : دعاهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهلالِ المحرم واستعمله على خمسينَ ومائة رجُل ، وعقدَ له لواءً ، وأمره أن يَرِدَ أرْضَ⁽¹⁾ بنى أسد ، وأنْ يُغِيرَ عليهم قبل أن تَلَاقَى عليه جُمُوعهم ، وأوْصَاه ومن معه بتقْوَى الله ؛ فسارَ . وكانَ الذى هيَّج هذا أنَّ رجلاً من طىء — يقال له الوَليد بن زُهَيْر بن طَرِيف — قدم المدينة ، وأخْبر أن طُلَيْحة وسلَمة ابنى⁽²⁾ خُوَيلد تركهُما قد سارَا — فى قَوْمهما ومَن أطاعهُما — لحرْب رسولِ الله . فلمّا بلَغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، بعثَ أبَا سلمة . وخَرَج الطائىّ معه دليلاً ونكّب بهم عن الطريق ، وسارَ بهم ليلاً ونهاراً حتى انتهَوْا بعد أرْبَعٍ إلى قطنٍ ، فوجدُوا سَرْحًا فأخذُوه وثلاثةَ رِعاء مماليك . ونذِرَ بهم⁽³⁾ القومُ فتفرَّقُوا فى كل وجْهٍ . ووَرَد أبو سلمةَ الماءَ وقد تفرَّقوا عنه ، فبعث فى طَلب النعم والشّاءِ فأصابُوا منها ولم يلْقَوْا أحَداً ، فانحدروا إلى المدينة . وأعطَى أبُو سلمة الطّائىَّ الذى دلهَّم رِضَاهُ من المَغْنم ، ثم أخرجَ صَفيًّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عبْداً ، ثم أخرج الخمس ، وقَسم ما بقى بين أصحابه فأقبلوا بها إلى المدينة. ويقال كان بين المسلمين و بين القوم قتالٌ قتل فيه رجلٌ من المشركين ، واستُشهِدَ مسعود بن عرْوَة

غزوة بئر معونة

ثم كانت غزْوَةُ بئْرِ مَعُونَةَ — وهى ماءٌ لبنِي عامر بن صَعصَعة ، وقيل قُرْب

(١) فى الأصل : « يرد بأرض »
(٢) فى الأصل : « بنى »
(٣) نذِرَ بالعدوّ نذْراً : علم بمكانه فحذره وخافه

حَرَّة بنى سُلَيْم — فى صَفر على رأس ستة وثلاثين شهرا . وسببها أن عامِرَ بنَ مالك ابن جَعْفر بن كِلابَ بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَة — أَبَا بَرَاء مُلَاعِبَ الأَسِنَّة — قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَهْدَى له فرسَيْن وراحِلتَيْن ، فقال : لَا أَقْبلُ هديّةَ مُشْرِكٍ ؛ وردَّها . وعرَض عليه الإسلامَ فلم يُسْلِم ولم يُبْعِدْ وقال : يا محمّد ، إنى أرَى أمْرَكَ هذا حَسناً شريفاً ؛ وقومى خَلْفى ، فلو أنَّك بعثْتَ نفرًا من أصحابك مَعى لرَجَوْتُ أن يُجيبوا دعوتَك وَيتَّبعوا أمركَ ، فإن هُمْ اتّبعوك فما أعزَّ أمْرَكَ ! فقال صلى الله عليه وسلم : إنى أَخافُ عليهم أهلَ نَجْد ! فقال عامر : لا تَخَفْ عليهم ، أَنَا لَهُم جارٌ أَنْ يعرِضَ لهم أَحَدٌ من أهل نَجْد

خبر أبى براء ملاعب الأسنّة

وكان من الأَنْصَار سَبعون رَجُلاً شَبَبَةً[1] ، يُسَمَّونَ القُرَّاء : كانوا إذا أَمْسوْا أتَوْا ناحيةً من المدينة فتدارَسُوا وصلَّوْا ، حتى إذا كان وِجَاهَ الصُّبْح[2] استعذَبُوا من الماء وحَطَبُوا من الحطَب فجاءوا به إلى حُجَر النبى صلى الله عليه وسلم؛ فكانَ أهْلُوهم يظنُّون أنَّهم فى المسجِد ، وأهلُ المسجد يظنُّون أنهم فى أهلِيهم . فبعثَهُم النَّبىُّ صلى الله عليه وسلم ، وأمَّر عليهم المُنْذِرَ بن عَمْرو بن خُنَيْس بن حَارِثة ابن لَوْذَان بن عَبْدِ وُدّ بن زيد بن ثعْلَبة بن الخزْرج بن سَاعِدة بن كعب بن الخزْرج الأنصارىّ الساعدىّ : أَحَدَ النُّقَباء ؛ وكَتبَ معهم كتابا . فسارُوا ودليلُهُم المُطَّلبُ من بنى سلَيْم ، حتَّى [إذا][3] كانوا ببِئْر مَعُونة — وهو ماء من مِياه بنى سلَيْم — عسكَرُوا بها وسَرَّحوا ظَهْرهم ، و بعثُوا فى سَرْحِهم الحارثَ بنَ الصِّمَّة ابن عمرو بن عَتيك بن عمرو بن عَامِر ، وهو مَبْذُول ، بن مالك بن النجّار ؛ وعمرَو ابنَ أُمَيَّة بن خُوَيلد بن عبد الله بن إِيَاس بن عُبَيْد بن نَاشِرة بن كعب بن جُدَىّ

خبر القرّاء وخروجهم إلى بئر معونة

(١) شَبَبة : شبّان ، جمعُ شاب
(٢) أى تِلقاءَ وجْه الصبْح ، وذلك أوّل النهار قبيل الفجر
(٣) زيادة للسياق

ابن ضَمْرةَ بن بكر بن عبد مناة [جُدَىٌّ بضم الجيم وفتح الدال] الضَّمْرِىُّ .
وقدّموا حَرامَ بن مِلْحَان ، وهو مالك ، بن خالد بن زَيد بن حرَام بن جُنْدُب(١) ابن عامر بن غَنْم بن مالك بن النجّار الأنصارى بكتابِ رسُول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطُّفَيْل فى رجالٍ من بنى عامر ، فلم يَقرأُوا الكتابَ ؛ ووثب عامر بن الطُّفَيْل على حَرامٍ فقتله . واستصرخَ بنِي عامر فأَبَوْا — وكان أبُو براء بناحية نجْد — ، فاستصرخَ قبائلَ من سُلَيْمٍ — عُصَيَّةَ ورِعْلاً(٢) — فنفروا معَهُ حتى وَجَدوا القُرَّاءَ فقاتلُوهم ، فقُتلوا رضى الله عنهم إلا المُنْذِر بن عَمْرو فإنهم أمَّنوه إن شاء ، فأَبَى أَنْ يقبَل أمانهم حَتى يأتى مَقْتلَ حرامٍ ، فلما أَتَى مَصْرعه قاتَلهم حتى قتل . وأقبلَ الحارثُ [بن الصِّمَّة](٣) وعمرُو بن أُميَّة بالسَّرْح والخيلُ واقفةٌ ، فقاتلهم الحارثُ حتى قتل بعد ما قَتل منهم عِدّةً . وأعتقَ عامرُ بن الطفيْل عمرو بن أُميّة عن أُمِّه وجَزَّ ناصيته

خبر عامر بن الطفيل ومقتل القراء

وكان ممَّن قُتل يومئذٍ عامرُ بن فُهَيْرة : طعنه جبّار بن سُلْمَى بن مالك بن جَعْفر ابن كِلاب الكِلابِىّ بالرُّمح ثم انتزَعه ، فذُهِبَ بعامرٍ فى السماء حتى غابَ عنه ؛ وهو يقول : فُزْتُ واللهِ ! فأسلم جبَّارٌ لِما رَأَى من أَمرِ عامرٍ

دعاء رسول الله على أصحاب الغَدْر

ولَمَّا بلغَ رسول الله خبرُ بِئْر مَعُونة ، جاء معها فى ليلةٍ واحدةٍ مُصَابُ [خُبيب ابن عدىٍّ](٤) ومَرْثَد بن أبى مرثد و بعث محمَّد بن مَسْلَمة ؛ فجعَل يقول : هذا عمَلُ أبى بَرَاء ، قد كنتُ لهذا كارهاً . ودعا على قَتَلَتِهم بعد الرَّكْعةِ من الصُّبْح فى صُبْح تِلك الليلةِ التى جاء الخبرُ فيها ، فلما قال : سمعَ الله لمن حمِدَه ، قال : اللّهمَّ

(١) فى الأصل : « جنيدب »
(٢) فى الأصل : « رعل »
(٣) زيادة للبيان
(٤) زيادة من ابن سعد ج ٢ ص ٣٧

اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضر ؛ اللهمّ عليك ببنى لِحْيَان وزغْب ورِعْلٍ وذَكْوان ، وعُصَيَّة فإنهم عَصَوُا الله ورسولَه ؛ اللهمّ عليكَ ببنى لِحْيان وعَضَل والقَارَة ؛ اللهمّ أَنْجِ الوليدَ ابن الوليد ، وسلمةَ بن هِشام ، وعَيَّاشَ بنَ أَبى ربيعةَ ، والمُسْتَضعَفِين من المؤمنين . غِفَارُ غفر الله لها ، وأَسْلَمَ سالمَها الله . ثم سجَد . فقال ذلك خمس عشرة ليـلةً ، ويقال أربعين يوماً ، حتى نزلتْ « لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ » (آل عمران : ١٢٨)[١]

حزن رسول الله على القراء وما نزل فيهم من القرآن

ولم يجِدْ رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلَى قَتْـلَى ما وَجَدَ[٢] على قَتْلَى بئر مَعونة ؛ وأنزل الله فيهم قرآناً نُسِـخَ بعد ما قُرِئَ مُدَّةً « بَلِّغُوا قَوْمَنَا [عَنَّا][٣] أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ »

هديّة أبى براء إلى رسول الله

وأقبل أبو براء فبعثَ ابن أخيـهِ لبيدَ بن ربيعة بفرسٍ هديّةً لرسول الله صلى الله عليه وسـلم فردَّه وقال : لا أَقْبَل هَدِيَّةَ مُشْرِكٍ ، قال : فإنَّه قد بَعث يَستَشْفيكَ من وَجَعٍ به [وكانت به الدُّبَيْلَة][٤] . فتناول النبيُّ صلى الله عليـه وسلم مَدَرَةً من الأرض فَتَفَلَ فيها ثم ناوله وقال : دُفْها[٥] بماء ثمّ أَسقها إيّاه . ففعل فبرأَ . ويقال بعث إليه بِعُكَّةٍ[٦] عسـلٍ فلم يزل يَلعقُها حتى برأَ . وشق على أبى بَراء ما فعلَ عامرُ بن الطُّفيل

مقتـل المشركَيْن

وقدِم عمْرُو بن أُمَيَّة على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بعد ما لقِيَ بصُدُور

---

(١) فى الأصل : « ... شيء ، الآية »
(٢) وجَد يَجِدُ وجْداً : حزنَ
(٣) الزيادة من ابن سعد ج ٢ ص ٣٧
(٤) الدُّبَيْلَةُ : خُرَّاج ودُمَّل كبير تظْهَرُ فى الجوفِ فتقتُل صاحبَها
(٥) دافَ الدواءَ يدوفه : خلطه بالماء أو بَلَّه به فأذابه
(٦) العُكَّة : أصغرُ من القربة تكونُ للسمن والعسل ، يُكنزان فيها

قَنَاة(١) رجُلين من بنى كِلاب قد قَدِما على رسول الله فكساهُما وأمَّنَهُما ، فقتلَهُما للذى أصابت بنو عامرٍ من القُرّاء — فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : بئس ما صنَعتَ ! قَتلتَ رجُلين قد كان لهما منّى أمانٌ وجوارٌ ! لأدِيَنَّهما . وأخرج دِيتَهُما دية حُرَّين مُسْلمين ، فبعَثَ بها وبِسلَبِهما إلى عامرِ بن الطُّفَيْل

غزوة الرجيع (سرية مرثد بن أبى مرثد)

ثم كانت غَزوَةُ الرَّجيع : وهو ماء لهذَيْل بين مكة وعُسفَان بناحية الحِجاز ، وذلك فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً . وذلك أن بَنى لِحْيان جَعلَتْ فرائضَ لعَضَل والقَارة [رِحْمٌ من بنى الهُوْنِ بن خُزَيمة بن مُدرِكة ، إخوة بنى أسد بن خُزَيمة] على أن يَقْدَموا على النبىّ صلى الله عليه وسلم فيكلّموه أن يُخْرِج إليهم نَفرًا يدعونَهم إلى الإسلام ليقتلُوا من قتل سفيانَ بن نُبَيْح الهُذَلىّ ، ويبيعوا سائرَهم على قُرَيش بمكة .

عَضَل والقارة

فقدم سبعةُ نَفرٍ من عَضَل والقَارة مُقرّين بالإسلام ، فقالوا : يا رسول الله ، إنّ فينا إسلاما فاشياً ، فابعث مَعنا نفراً من أصحابك يُقرِئونا القرآن ويُفقّهونا فى الإسلام . فبعث معهمْ ستّة ، وقيل عشرة ، وهو الأصحّ كما وقَع فى كتاب الجامع الصحيح للبُخارىّ رحمه الله ؛ وأمّر عليهم مَرْثَد ابن أبى مَرْثَد الغَنَوىّ [ويقال عاصمَ بن ثابت بن أبى الأَقْلح]

خروج مرثد وأصحابه إليهم ومقتلهم

فخرجوا حتى إذا كانوا بماء لهذَيْل — يقال له الرَّجيعُ قريب من الهدّة — لقيهم(٢) مائةٌ فى أيديهم السيوفُ فقامُوا ليُقاتلوهم ، فقالوا : ما نريد قتالَكم ، ولا نريدُ إلّا أن نصيبَ منكم من أهلِ مكةَ ثمناً ، ولكم عهدُ الله وميثاقُه لا نقتلكُمْ . فاستأسَرَ خُبَيْبُ ابن عَدِىّ الأنصارىّ ، وزيدُ بن الدَّثِنَّة بن مُعاوية بن عُبَيْد بن عامر بن بيَاضَةَ

(١) فى الأصل : « بصدر قباء » ، والصواب من ابن سعد والواقدىّ . وقناة : أحدُ أودية المدينة الثلاثة عليه حرث ومال ، ويقالُ له وادى قناة ، وصُدورُ الوادى : أعاليه ومَقادِمُه

(٢) فى الأصل : « فلقيهم »

الأنصاريّ البيَاضيّ ، وعبدُ الله بن طارق بن عمرو بن مالك البَلَويّ ؛ وأبَى أبو سليمان عاصمُ بن ثابت ، ومرثَدٌ ، وخالدُ بن أبى البُكَير ، ومُعتِّبُ بن عُبَيد : أن يَقْبَلُوا جِوارَهم . ورماهم عاصمٌ حتى فَنِيَتْ نبْلُه ، ثم طاعنَهُمْ حتى كُسِرَ رُمحه ، ثم كَسَرَ غِمْدَ سيفه وقاتَل حتى قُتل . فبعثَ اللهُ عليه الدَّبر[1] فَحَمتْه ، فلم يَدْنُ منه أحدٌ إلا لدغت وجهَه ؛ ثم بعث الله فى الَّليل سيْلا فاحتملَه فذهبَ به فلم يقدروا عليه . وذلك أنّه كان قد نَذَر ألاّ يَمَسَّ مشركا ولا يَمَسَّه مُشْرِك . وكانوا يُريدون أن يجزُّوا رأْسَه ليذهبوا به إلى سُلافة بنت سَعد بن الشُّهَيْد لتشرب فى قُفَّةِ قِحْفِه[2] الخمرَ ؛ فإنّها نَذَرتْ إنْ أمْكَنَها الله منهُ أن تَفْعَلَ ذلك ، من أجْل أنه قَتل لها ابْنيْن فى يومٍ واحدٍ

خبر عاصم بن ثابت حَمِىّ الدَّبر

وقَتَلوا[3] مُعتِّباً ؛ وخرجوا بِخُبَيْب بن عَدِيّ بن مالك بن عامر بن مالك بن مَجْدَعَة بن جَحْجَبَى بن كُلْفَة بن عَوف بن عَمرو بن عوف بن مالك بن الأوْس ، وعبد الله بن طارق ، وزَيد بن الدَّثِنَّة ، وهم مُوثَقُون بأوْتار قِسِيِّهم . فنَزَع عبد الله ابن طارق يدهُ من رباطه وأخذ سيْفَه ، فقَتلوه رجْمًا بالحجارة وقبَرُوه بمَرّ الظَّهْران . وقدموا مكةَ بخُبَيْبٍ وزَيْدٍ فابتاع خُبيباً حُجَيْر بن أبى إهاب بثمانين مثقالا ذَهباً ؛ ويقال بخَمسين فَرِيضة[4] ؛ ويقال اشترتْهُ ابْنَةُ[5] الحارث بن عامر بن نَوْفل

خبر الأسرى يوم الرجيع

خبر خبيب بن عدىّ بمكة

---

(١) الدَّبُور (والباء غير مشدّدة) ، والدَّبْرُ : الزنابيرُ من النّحل . ويسمى عاصم رضى الله عنه لذلك « حَمِىَّ الدَّبْر »

(٢) القُفّة : القرعةُ اليابسةُ . القِحفُ : ما ينفلقُ من الجمجمة فيبينُ ، ولا يُدعَى قِحفاً حتى يبينَ ، ولا يقولون لجميع الجمجمة قِحفاً إلا أن يتكسر منه شىء أو تُقطعَ منه قطعة ، فيقال لذلك المتكسر قِحف

(٣) فى الأصل : « وقتل »

(٤) الفريضةُ : البعيرُ المأخوذُ فى فرض الزكاة ، سمى كذلك لأنه فرض واجب على ربّ المال ، ثم اتسعَ فيه حتى سمى البعيرُ فريضةً فى غير الزكاة

(٥) فى الأصل : «اشتراه ابنه الحارث» ، وهو خطأ ، وهذا هو الصواب ، والحارثُ هذا من قتلى المشركين ببدر ، وقتله خبيب بن إساف لا خبيب هذا

بمائةٍ من الإبل . [وكان حُجيْرُ بن أبى إهاب قد ابْتَاعَ خُبيْبَ بن عدىّ لزَوْج أُختِهِ عُقْبةَ بن الحارث بن عامر بن نَوْفل ، ليَقْتُلَه بأبيه : قُتل يومَ بدر][1] . واشترى زيداً صَفْوانُ بن أُميّة بخمسين فريضة ليقتله بأبيه ؛ ويقال إنّه شَرِكَ فيه أُناسٌ من قريش . وحبس حُجيرٌ خبيباً — لأنه كان فى ذى القَعْدَة وهو شهرٌ حرامٌ — فأقامَ محبوساً فى بَيْتِ مَاوِيَّة ، مولاةِ بنى عبدِ مناف . وحُبِس زيد عند نِسْطاس مولى صفوان بن أُمية ؛ ويقال عند قوم من بنى جُمَح . فرأت ماويّة خبيباً وهو يأكل عِنَباً من قِطْفٍ مثلِ رأس الرّجل فى يده ، وما فى الأرض يومئذ حبّةُ عنب ، فعلمتْ أنه رِزْقٌ رزقه الله ، فأسلمت بعد ذلك . وكان يَجْهَرُ بالقرآن فيَسْمَعُهُ النساء فيَبْكين ، فلمّا أعلمَتْه ماوِيّةُ — بعدَ انسلاخ الأشهُر الحُرُمِ — بقَتْلِهِ ، ما اكترَثَ لذلك ؛ وطلبَ حديدةً فأتتْهُ بموسى مَعْ ابنها أبى حُسيْن[2] مَوْلَى بنى الحارث بن عامر بن نَوْفل بن عبد مناف بن قُصَىّ ، فقال له — مُمَازِحاً له : وأبيكَ إنّك لجرىء ! أما خشيتْ أُمُّك غَدْرى حين بعثتْ معك بحديدةٍ ، وأنتم تريدون قَتْلى؟ فقالت ماويّةُ : ياخبيب ، إنما أمِنْتُك

(١) الذى بين القوسين من ابن سعدٍ ج ٢ ص ٤٠ ، والواقدى ص ٣٤٨ ، وأما الأصل فهو هكذا : « وكان خبيب قد قتل عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل فأرادوا قتلهُ به » ، وهذا خطأ كله ، فإن خبيب بن عدىّ لم يقتل الحارث كما ذكرتُ قبل ، وعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل هو فى عِداد من أسلمَ يوم الفتح ، ومات فى خلافة ابن الزبير ، فهو لم يُقتل يوم بدرٍ . وفى ابن سعدٍ والواقدىّ أنه اشتراه « لابن أخته » ، وهذا خطأ أيضاً ، فان ابن سعد ج ٥ ص ٣٣١ ، وابن الأثير فى « ترجمة أم يحيي بنت أبى إهاب » يروون عن عقبة أنه قال : « تزوجتُ أم يحيي بنت أبى إهابٍ ، قال فدخلت علينا امرأة سوداءُ فزعمتْ أنها أرضعتنا جيعاً ، فذكرتُ ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأعرضَ عنى ، فقلتُ : إنها كاذبة ، فقال : وما يدريك بأنها كاذبة ، وقد قالت ما قالت ؟ دعها عنك » . فالصوابُ إذن ما ذكرناه إن شاء الله

(٢) فى الأصل : « أبى الحسين بن الحارث » ، وهو خطأ محض ؛ والصوابُ أنه مولاهم ، وهو يعرف بأبى حسين ، وأبى حسن ، وأبى حسان مولى بنى نوفل

مقتل خبيب

بأمَان الله ؛ فقال : ما كُنتُ لأقتله ! ثم أَخرجوه فى الحديد إلى التَّنعيم[١] ومعه النساء والصِّبيان والعبيدُ وجماعةٌ من أهل مكةَ ، ومعه زيدُ بن الدَّثِنَّة ، فصَلَّى خُبيب رَكْعتين أتمَّهما من غير أن يُطوِّل فيهما — وكان أوَّل من سَنَّ الركعتين عند القَتل — ثم قال : اللهم أَحْصِهِمْ عَدَداً ، واقتلْهم بَدَدًا ، ولا تُغادِرْ منهم أَحَداً . ثم أوثقوه رِباطاً وقالوا : ارجِعْ عن الإسلام ونُخَلِّى سبيلَك فقال : لا إله إلاّ الله ! واللهِ ما أُحِبُّ أنّى رجعتُ عن الإسلام وأنّ لى مافى الأرض جميعاً ! قالوا : فتُحِبُّ أن محمداً فى مكانِك وأنْتَ جالسٌ فى بَيْتِك ؟ فقال : والله ما أُحِبُّ أنْ يُشاكَ محمَّدٌ شَوْكةً وإنى جالس فى بيتى ؛ فجعلوا يقولون : ياخُبَيْب ، ارجِع ! ! قال : لا أرجِعُ أبداً . قالوا : أَمَا واللاّتِ والعُزَّى لئن لم تفعَلْ لنقتُلَنَّك ! قال : إن قتلْى فى الله لقَليل[٢] ؛ فجعلوا وجهَه من حيثُ جاء فقال : ما صَرْفُكمْ وجْهى عن القبلة ؟ ثم قال اللَّهُمَّ إنى لا أرى إلاّ وجهَ عَدُوٍّ ، اللّهُمَّ ليس هاهنا أحَدٌ يُبَلِّغُ رسولك عنى السلامَ فبلِّغه أنت عنى السلامَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو جالس مع أصحابه ، وقد أَخَذَتْه غَمْيَةٌ[٣] — : وعليه السلام ورحمةُ الله ، ثم قال : هذا جِبْريلُ يُقْرِئُنى من خُبيْب السلام . ثم أَحضرُوا أبناءَ من قُتِل ببدر — وهم أربعون غلاماً — فأعْطَوْا كلَّ غلامٍ رُمحاً فطعَنوه برِماحِهم فاضْطَرَب على الخشَبة ، وقد رفَعوه عليها ، وانفَلَت فصَارَ[٤] وجهه إلى الكعبة فقال : الحمدُلله. فطعنَهُ أبو سَرْوَعَةَ — واسمُه عُقْبَة بن الحارث بن عامر بن نَوْفل بن عبد مناف بن قصىٍّ — حتَّى أخرجَها من ظَهره ، فمكث ساعةً يُوَحِّد

(١) التنعيم : موضع بمكة بعد حدود الحرم ، وهو فى الحِلّ بينها وبين جبل سَرِف
(٢) فى الأصل : « لقيل »
(٣) الغمية : الواحدة من الإغماء ، كالغشْية
(٤) فى الأصل : « وصار » ، والفاءُ ههنا أجود

ويشهدُ أنّ محمداً رسولُ الله ثم مات رضى الله عنه

وتولَّى قتْل زيد نِسطاس . وقد رُوِىَ أن غَزْوَةَ الرَّجيع كانت قبلَ بئر مَعونة

غزوة بنى النضير

ثم كانت غزْوَةُ بنى النَّضير فى ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مُهاجَر النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ ويقال كانت فى جُمادى الأُولى[1] سنة أربع ؛ وروى عقيل بن خالد وغيرُه عن ابن شِهابٍ قال : كانت غزْوَةُ بنى النَّضير بعد بَدْرٍ بستة أشهر .

سببها ، وغدر اليهود برسول الله

سببُها : أن عَمْرو بنَ أُميَّة الضَّمْرى لمَّا قتل الرَّجلَيْن من بنِى عامرٍ خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النَّضير يستعينُ فى دِيتهما — لأَن بنى النَّضير كانوا حُلَفاءَ بنِى عامر ، وكان ذلك يومَ السبت — فصلَّى فى مسجد قُباء ومعه رَهْطٌ من المسلمين . ثم جاء بنى النَّضير ومعه دون العشرة من أصحابه[2] فيَجِدُهُم فى ناديهم ، فجلس يكلِّمهم أن يُعينوه فى دِيَة الكِلابيَّيْن اللَّذَيْن قتلَهما عمرُو بن أُميَّة ، فقالوا : نفعَلْ ، اجلِسْ حتى نُطعِمَك . ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُستَنِدٌ إلى بيتٍ ؛ فخَلا بعضُهم إلى بعضٍ ، وأشار عليهم حُيَيُّ بنُ أَخْطَب أن يطْرَحوا عليه حجارةً من فَوق البيتِ الَّذى هو تَحتَـه فيقْتُلوه . فانتدَب لذلك عمرو بن جِحَاش ليطْرح عليه صخرةً ، وهيَّأَ الصخرةَ ليُرْسلَها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشرَفَ بها ؛ فجاء الوحىُ بما همُّوا به ، فنهضَ صلى الله عليه وسلم سريعاً كأنَّهُ يُريد حاجةً ومضىَ إلى المدينة . فلمَّا أبطَأَ لَحِقَ به أصحابُه — وقد بعثَ فى طَلَب[3] محمد بن مَسلمة — فأَخبرهم بمـا همَّت به يهودُ ؛ وجاء محمد بن مَسلمة فقال : اذْهَب إلى يهودِ بنى النَّضير فقُل لهم : [إن رسولَ الله أرسَلنى

(١) فى الأصل : « الأول »
(٢) فى الأصل : « وأصحابه »
(٣) فى الأصل : « طلبه »

إليكم](١) أن أخرُجوا مِن بلَده ، فإنَّكم قد نقضْتُمُ العهْدَ بما هَمَمْتم به من الغَدْر ، وقد أجَّلتهم عشْراً ، فمن رُؤِى بعد ذلك ضرَبتُ عُنُقَه

أمر إجلاء بنى النضير

فأخذُوا يتجهَّزون فى أيام ، ثم بَعثَ حُيَيُّ بن أخْطب مع أخيه جُدَيّ(٢) بن أخطب إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم : إنّا لا نَخْرُج فَلْيَصْنع ما بدا له ! وقد غرّه عبدُ الله بن أُبَىّ بأن أرسل إليه سُوَيداً وداعِساً بأَنْ يُقيم بنو النَّضير ولا يخرجوا: فإن معى من قومى وغيرِهم [من العرب](٣) ألفين ، يدخلون معكم فيموتون من آخرِهم دونَكم . فلما بلَّغ جُدَيٌّ رسالةَ أخيه حُيَيٍّ كبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبَّر مَنْ معه وقال : حارَبتْ يهودُ ؛ ونادى مُناديه بالمسير إلى بنى النَّضير

مسير رسول الله إليهم ، وحصارهم

وسار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فصلَّى العصرَ بفَضاءِ بنى النضير وقد قاموا على جُدُرِ(٤) حُصونهم ومعهم النَّبل والحجارة ، ولم يأْتهم ابن أُبَىّ واعتزلَتْهم(٥) قُرَيظَة فلم تُعِنهم بسلاحٍ ولا رجالٍ ؛ وجعلوا يرْمون يومَهم بالنَّبْل والحجارة حتى أمسوا . فلما صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العِشاء — وقد تتامّ أصحابُه — رجع إلى بيتهِ فى عشرة من أصحابه ، وعليه الدِّرع والمِغْفَرُ وهو على فَرَسٍ . واستعمل عليًّا رضى الله عنه على العَسكَر ؛ ويقال بل استعمَل أبا بكر رضى الله عنه . وبات المسلمون يُحاصِرِيهم يُكبِّرون حتى أصبحوا . وأذَّن بِلالٌ رضى الله عنه بالمدينة ، فغَدا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه الذين كانوا معه فَصلى بالناس فى فَضاء بنى خَطْمَةَ ، واستعملَ على المدينة ابنَ أمّ مكتوم

---

(١) زيادة لا بد منها ، من الواقدىّ ص ٣٥٧

(٢) فى الأصل : « حدىّ »

(٣) من الواقدى

(٤) فى الأصل : « جذر »

(٥) فى الأصل : « اعتزلهم »

قتال بنى النضير

وحُملَتْ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبّة أَدَمٍ أرسلَ بها سعدُ بن عُبادة ، فضربها بلالٌ ودخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرَمى عَزْوَكُ — من اليهود — فبلغ نبلُه القُبة ، فحوِّلَتْ حيثُ لا يَصلها النّبْل . ولزِم النبي صلى الله عليه وسلم الدِّرْع وظَلَّ مُحاصرهم سِتَّ ليالٍ من ربيع الأوّل . وحينئذٍ حُرّمت الخمر ، على ما ذكره أبو محمد بن حزم . وفُقِد عليٌّ رضى الله عنه فى بعض الّليالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنّهُ فى بعضِ شأنِكُم ! فمنْ قَليلٍ جاء برأس عَزْوَكَ : وقد كَمَن له حتى خرج فى نفَرٍ من اليهود يطلُب غِرّةً من المسلمين ، وكان شُجاعاً رامياً ، فشدَّ عليه عليٌّ رضى الله عنه فقتله ، وفرَّ اليهود . فبعثَ معه النبيُّ صلى الله عليه وسلم أبا دُجانَةَ وسهلَ بن حُنيْفٍ ، فى عشرة ، فأدركوا اليهودَ الّذين فرُّوا من عليٍّ رضى الله عنه فقتلوهُمْ ، وأَتوْا برُؤوسِهم فطُرِحتْ فى بعض البِئار[(١)] . وكان سعدُ بن عُبادة رضى الله عنه يَحْمِلُ التَّمْرَ إلى المسلمين

تحريق نخلهم ، وشرط إجلائهم

وأمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنَّخل فقُطِعتْ وحُرِّقَتْ ، واستعملَ على ذلك أبا ليلى المازِنيّ وعبدَ الله بن سَلَامٍ ، فشَقَّ على يهودَ قطعُ النَّخْل . و بعثَ حُيَيُّ بن أخطب إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بأنّهُ يخرُج ومن معه ، فقال عليه السلام : لا أَقبَلُه اليومَ ، ولكن اخرُجوا منها ولكم [دماؤُكم و][(٢)] ما حَملت الإبِل إِلّا الحَلْقَةَ[(٣)] ، فلم يقبل حُيَيٌّ ؛ وحالَفتْ عليه طائفة ممن معه . وأسلم منهم يامينُ بن عُمَيْر بن كعْب [ابنُ عمِّ عمرو بن جِحاش][(٤)] ، وأبو سعد بن وَهْب

(١) فى الأصل : « البيار » ، والبِئارُ : هى الآبارُ تكثير بئر
(٢) زيادة من ابن سعد ج ٢ ص ٤١
(٣) الحلقة : السلاح كله
(٤) فى الأصل : « كعب بن عمرو بن جحاش » ، وكذلك هو فى أسدِ الغابة =

ونزَلا فأَحرَزا أموالهما ، ثم نزَلتْ يهودُ على أنّ لهم ما حَملت الإبل إلا الحَلْقةَ . وجعل يامينُ لرجلٍ من قيْسٍ عشرةَ دنانير — ويقال خمسةَ أوسُقٍ من تَمْر حتى قتلَ عمرو بن جِحاشٍ غيلةً ، فسُرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله

كيف كان جلاؤهم

وأقامَ على حِصار يهودَ خمسة عشر يوماً حتى أجلَاهم وَوَلِيَ إخراجَهم محمدُ بن مَسْلمة . وكانوا فى حصارهم يُخرِّبون بيوتهم [بأيديهم] (١) ممّا يليهم ، والمسلمون يُخرِّبون ما يليهم وَيُحرِّقون ، حتى وَقَع الصُّلح ؛ فجعلوا يَحْمِلون الخُشُب ويَحْمِلون النِّساء والذُّرِّيّة ، وشقُّوا سوقَ المدينةِ والنساء فى الهَوادِج عليهنّ الحريرُ والدِّيباجُ وحُلِيُّ الذّهب والمُعَصْفراتُ وَهُنّ يضرِبْنَ بالدُّفوف ويزْمُرْن بالمَزامير تَجلُّدًا — وكبارُهم يومئذٍ حُيَيُّ بن أخطب ، وسلّام بن أبي الحُقَيْق — وقد صَفّ لهم الناسُ وهم يَمُرُّون ، فكانوا على ستمائة بعيرٍ فنزَل أكثرهم بخَيْبَر فَدانتْ لهم ، وذهبتْ طائفةٌ منهم إلى الشّأم . فكان ممّن صار منهم إلى خَيْبَر أكابرُهم حُيَيّ ابن أخطب ، وسَلّام بن أبي الحُقَيْق ، وكِنانة بن الرّبيع بن أبي الحُقَيْق ، وحَزِن المنافقون لخروجِهم أشدّ الحزن

أموال بنى النضير

وقَبَضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأموال والحَلْقَة : فوجد خمسين درعاً ، وخمسين بَيْضَةً ، وثلاثمائة سيْفٍ وأربعين سيفاً . وقال عمر رضى الله عنه : ألا تُخَمِّس ما أصَبتَ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لا أَجْعل شيئاً جعَله الله لى دون المُؤْمنين — بقوله « مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلّهِ وَلِلرَّسولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ

= ولكنى لم أجده فى غيرها كذلك ، وكلهم يقول : «يامين بن عمير بن كعب ، ابن عمّ عمرو ابن جحاش » ، وانظر ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٤ ، والإصابة وغيرها

(١) زيادة من ابن سعد

مِنْـكُمْ » (الحشر : ٧)[١] كهيئة ما وقع فيـه السُّهمانُ للمُسْلمين . وكانت بَنُو النضير من صَفَايا رسول الله صلى الله عليه وسـلم جَعلها حَبساً لِنوائبه ، وكان يُنفقُ على أَهْلِه منها : كانَتْ خالصةً له ؛ فأعطى مَن أعطى منها ، وحَبَس ما حَبس ؛ وكان يزْرَع تحت النَّخْل ، وكان يُدْخِلُ منها قُوتَ أهله سَـنةً من الشّعير والتّمر لأزْواجه و بنى المُطَّلب[٢] ، وما فَضَلَ جعله فى الـكُرَاع والسلاح . واستعمل على أمْوال بنى النّضير أبا رافعٍ مولاه ، وكانت صَدَقاتُه منها ومن أموال مُخَيْرِيق

المهاجرون والأنصار

وكانَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم لمـا تحوّل من بنى عمْرو بن عَوف إلى المدينـة تحوّل المهاجرون ، فتنافسَتْ فيهم الأنْصار أن ينْزِلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم بالسُّهْمان ،فما نَزَل أحدٌ من المهاجرين على أحدٍ من الأنصار إلاّ بقُرْعـةٍ ، فكان المهاجرون فى دُوَرِ الأنصار وأمْوَالِهِمْ

خبر قسمة أموال بنى النضـير على المهاجرين دون الأنصار

فلَمَّا غَنِمَ رسول الله صلى الله عليه وسـلم بنى النضير بَعَثَ ثابت بن قيس بن شمَّاس فدعا الأنصارَ كُلَّها — الأوْسَ والخزرجَ — فحمِدَ اللّهَ وأثنى عليـه ، وذكر الأنصار وما صَنَعوا بالمهاجرين ، وإنْزالَهم إيَّاهم فى مَنازِلهم ، وأثرَتَهُمْ على أنْفسهُم ، ثم قال : إن أحْبَبْتُمْ قسمتُ بينكم و بين المهاجرين ما أفاءَ الله عَلَيَّ من بنى النّضير ؛ وكان المهاجرون على ماهم عليه من السُّكْنى فى مساكِنِكُمْ وأموالِـكم ، وإنْ أحْبَبْتُمُ أعطيتُهُمْ وخرجوا من دُوركم . فقال سَعْدُ بن عبادة وسعد بن مُعاذ : يا رسولَ الله ، بل تَقْسِمُه للمهاجرين ويكونونَ فى دُورِنا كما كَانوا . ونَادت الأنصارُ : رضيناَ وسلَّمنَا يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) فى الأصل : « ... القرى ، الآية »
(٢) فى الأصل : « بنى عبد المطلب »

اللّهمّ ارحم الأنصار وأبناء الأنصار . وقسَم ما أفاء الله عليه عَلَى المهاجرين دون الأنصار إلاّ رجُلين كانا مُحتاجَيْنِ : سهلُ بن حُنَيْف بن واهب بن العُكَيْم بن ثَعلبة بن مَجْدعة بن الحارث بن عمرو بن خُنَاس [ويقال خَنْساء] بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوْس الأنصاريُّ ، وأبُو دُجانة سِماك بن خَرَشَة ، ويقال سماك بن أوْس بن خَرَشَة بن لَوْذَان بن عبْدوُدّ [بن زيد][1] بن ثَعْلبة الأنصاريُّ . وأعطى سعْدَ بن مُعاذ سيف ابن أبى الحُقَيْق ، وكان سيفاً له ذِكْرٌ . ووسَّع صلى الله عليه وسلم فى النّاس من أموالِ بنى النّضير . وأنْزل الله تعالى فى بنى النضير « سورة الحشْر »

وفى جُمادى الأولى[2] مات عبدُ الله بن عُثمان من رُقيَّةَ

زواجُ رسول الله بأمِّ سلمة

وفى شوّالٍ من هذه السَّنَة تَزَوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمِّ سَلَمَةَ رضى الله عنها

غزوة بدر الموعد

ثم كانت غَزوَةُ بدْرِ المَوْعِدِ لِهلال ذى القعدة على رأس خمسة وأربعين شهراً . وسببُها أنَّ أبا سفيان ابنَ حرب لما أراد أن ينْصرِف يوم أُحُدٍ نادى : مَوعِدٌ بيننا و بينكم بدرُ الصَّفْراء رأسَ الحَوْلِ نلتقِى فيه فنَقْتتِلُ ؛ فقال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه — وقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم — : نعم ، إن شاء الله . وكانت بدرُ الصَّفْراء مَجْمعاً للعرب فى سوقٍ يقام لهلال ذى القعدة إلى ثمانٍ منه . فلمّا دنا الموعدُ كَرِه أبو سفيان الخروجَ وأحبَّ ألّا يُوافِقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الموعدَ ؛ وكان يُظهر أنّه يريد الغَزْوَ فى جَمعٍ كثيفٍ ، فيبْلُغُ أهلَ المدينة عنهُ أنه يجْمَع الجُموعَ ويسير فى العربِ ، فتأهَّب المسلمون له .

سوق بدر الصفراء

كراهية أبى سفيان الخروج إلى الموعد

---

(١) زيادة من نسبه

(٢) فى الأصل : « الأول »

وقدِمَ(١) نُعَيْم بن مسعود الأَشْجعيّ مكّةَ فأخبر أبا سفيان(٢) وقُرَيشاً بتهيُّؤِ المسلمين لحرْبهم . وكان عاماً(٣) جَدْباً ، فأعلمه أبو سُفيان بأنه كارهٌ للخروج إلى لقاءِ المسلمين ، واعتلَّ بجَدْب الأَرض . وجعل له عشرين فريضةً توضَعُ تحتَ يدِ سُهيْلِ بن عمرو ، على أن يُخَذِّلَ المسلمين عن المسير لموعده وحمَلَهُ على بعيرٍ . فقدِمَ المدينةَ وأرجَف بكَثْرَةِ جُموع أبى سفيان حتى رعَّبَ(٤) المُسلمين ، وهو يطوف فيهم حتى قذَفَ الرُّعْبَ فى قلوبِ المسلمين ولم تَبْق لهم نيّةٌ فى الخروج . واستَبْشَر المنافقون واليهودُ وقالوا : مُحَمد لا يغْلِبُ ! — مِنْ هذا الجَمْع — ، فبلغَ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى خَشِى ألَّا يخْرُج معه أحدٌ . وجاءَه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما — وقد سَمِعا ما سَمِعا — وقالا : يا رسولَ الله ، إنَّ الله مُظهِرُ دينه ومُعِزٌّ نبيّه ، وقد وَعَدنا القومُ مَوْعداً ، ولا نُحِبُّ أن نتخَلّف فيرَوْن أن هذا جُبْن ، فسِرْ لموعدِهم ؛ فوالله إن فى ذلك لخِيَرَةً . فسُرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : والّذى نفْسى بيده لأخرُجَنَّ وإنْ لم يخرجْ معى أحدٌ . فبصَّر الله المسلمين وأذْهب ما كان رَعَّبَهم الشَّيطانُ ، وخرجوا بتِجارات لهم إلى بدرٍ فربحت ربحاً كثيراً

رسالة أبى سفيان نُعَيم بن مسعود لتخذيل المسلمين

واستَخلَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن رَواحة ، وسار فى ألفٍ وخمسمائة ، فيهم عشرة أفراسٍ . وحمل لواءَه علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ فانتهَوْا إلى بدرٍ ليلَةَ هلالِ ذى القعدة ، وقام السُّوق صبيحةَ الهِلال فأقاموا ثمانية أيامٍ والسوقُ قائمةٌ . وخرجَ أبو سفيان من مكة فى ألفين

خروج المسلمين إلى بدر

(١) فى الأصل : « وقد »
(٢) فى الأصل : « فأخبر أبا سفيان » مكررة
(٣) فى الأصل : « عامه »
(٤) رعَبَه ورعَّبه : ملأه خوفاً

معهم خمسون فرساً ثم رجعوا من مَجَنَّـةَ ، [وذلك أنَّ أبا سُفْيان بدا له الرُّجوع فقال : يا مَعْشرَ قريشٍ ، ارْجِعوا فإنّه لا يُصْلِحُنا إلَّا عامٌ خصيبٌ غَيْداقٌ نرعى فيه الشَّجَر ونَشربُ فيه اللَّبَن ، وإنَّ عامَكُم هـذا عامٌ جدْبٌ ، فإنِّى راجعٌ فارجِعوا . فرجع النّاسُ ، فسمّاهم أهلُ مكةَ « جيشَ السَّويق » : يقولون إنّما خرجتم تشربون السَّويق[(١)] .

خبر مجدىّ بن عمرو وبنى ضمرة

وقام مَجْدِىُّ بن عمرو من بنى ضَمْرة [— ويقالُ مَخْشِىُّ بن عمرو —] والناسُ مجتمعون فى سُوقهم ، والمسلمون أَكْثرُ ذَلك الموسم فقال : يا مُحَمّد لقد أُخْبِرْنَا أنَّه لمْ يبقَ منكم أحدٌ ، فما أَعْلَمُكم إلا أَهْلَ المَوْسم ! ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أَخْرَجَنَا إلّا موعدُ أبى سُفْيان وقتالُ عدوِّنا ، وإنْ شئتَ مع ذَلك نَبَذْنَا إليكَ وإلى قَوْمك العَهْدَ ثم جَالَدْنَاكم[(٢)] قبْل أن نَبْرَح مَنْزِلنا هذا . فقال الضمْرِىُّ بل نَكُفُّ أيدينَا عنكم ونَتَمَسَّك بحِلْفك

معبد الخزاعىّ ينذر أهل مكة

وانْطَلَق[(٣)] مَعبَد بن أبى معبدٍ الخزاعىّ سريعاً — بعد انقضاء الموسم[(٤)] — إلى مكةَ ، وأخبرَ بكثْرةِ المُسلمين وأنَّهم أهلُ ذلك المَوْسم وأنهم ألفان ، وأخبرَهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للضمرى . فأَخَذُوا فى الـكَيْدِ والنَّفقة لقتال[(٥)] رسول الله صـلى الله عليه وسلَّم ، واستَجْلبوا من حولهم من العَرَب ، وجمعوا الأموال ، وضَرَبُوا البَعْثَ على أهلِ مكة فلم يُترك أحدٌ منهم إلَّا أنْ يأْتىَ بمالٍ ، ولم يُقْبَل من أَحدٍ أقلُّ من أُوقيةٍ لغَزْوِ الخَندَق

---

(١) هذه زيادات مكان سقط لم نعرفه ، وكذلك رأينا أن نضعه من ابن هشام وابن سعد ، وفى الأصل بعد قوله : « مجنة » ، هكذا : « ويقال مخشىّ بأنه عام جدب وقام مجدى ابن عمرو من بنى ضمرة والناس مجتمعون ... »

(٢) فى الأصل : « جادلناكم » ، وجَالدَهُ بالسيف مجالدة : ضاربه به وقاتله

(٣) فى الأصل : « فانطلق » وهذه أجود

(٤) فى الأصل : « المسوم »

(٥) فى الأصل : « فأخذوا للكيد والنفقة لقتال ... » ، وهذه عربية الكلام

وأنزل الله تعالى « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزَادَهم إِيمَاناً وقالُوا حَسبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ » (آل عمران : ١٧٣)[١] يعني نُعيم بن مَسعود

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فكانت غَيْبَتُه عنها ست عشرة ليلة . وذكر أبو محمد بن حزم أن بدْرَ الموعدِ بعد ذَاتِ الرِّقاع

سريّة عبد الله ابن عَتيك لقتل أبي رافع اليهودى وسبب ذلك

ثم كانت سَرِية عبد الله بن عَتيك إلى أبي رافعٍ سلّام بن أبي الحَقيق حتى قتل سحَرَ ليلة الاثنين لأربع خلَوْن من ذى الحجّة على رأس ستة وأربعين شهرا ، وقيل كان قتله في جمادى الأولى سنة ثلاث . وكان سببُ ذلك أن أبا رافعٍ كان قد أجْلب في غطَفان ومن حولَه من مشركى العرَب ، وجعل لهم الجُعْلَ[٢] العظيمَ لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم — فإنه كانت له رياسةُ قُريظة بعد يوم بُعاث[٣] — فبعث صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن عتيك بن الحارث بن قَيس ابن هَيْشة بن الحارث بن أُمية بن زَيد بن معاوية بن مالك بن عَوف بن عمرو بن عَوف بن مالك بن الأوْس الأنصارى[٤] — وكانت أُمُّه بخيبر يهودية أرضَعتْه — وبعث معه أربعةً هم : عبدُ الله بن أُنيْس ، وأبُو قتَادة ، والأسود بن الخُزَاعىّ[٥] ، ومسعود بن سنَان ؛ وأمرهم بقَتله ، ونهَى عن قتل النِّساء والوِلدان . فانتهوْا إلى

(١) في الأصل إلى قوله : « فاخشوهم »
(٢) في ابن سعد : « الحفْل » ، وهو الجمع
(٣) في الأصل : « بُغاث »
(٤) هكذا نسبه بعضهم ، وقد اختلف العلماء في هذا النسب ؛ فهم جعلوه من الأوس ، والذى يدل عليه سياق حديث ابن إسحاق وغيره أن الذين قتلوا ابن أبي الحقيق كلهم من الخزرج ، لأن الخزرج حَمِيت أن تذهب الأوس بفضل قتل كعب الأشرف اليهودى ؛ فرغبوا إلى رسول الله في قتل ابن أبي الحقيق اليهودىّ ، فأذن لهم فخرج إليه هؤلاء النفر ؛ فهم الخزرجُ إذن . وتحقيق النسب : « عبد الله بن عَتيك بن قيس بن الأسود بن مُرىّ ابن كعب بن غنم بن سلمة بن الخزرج »
(٥) ويقال فيه أيضاً : « خزاعى بن الأسود » من حلفاء الخزرج

خَيْبر ونَزَلوا على أمِّ عبد الله [بن عتيك] (١) ليلاً — وقد تَلَقَّتهم بتَمْر وخُبز — فـكَمَنُوا حتى هَدَأت الرِّجلُ ، ثم خرجوا . واستفتَحوا على أبى رافع فقالت امرأته : مَا شأنكم ؟ فقال لها عبدُ الله بن عتيك — وكان يرطن باليهودية — : جئْتُ أبا رافع بهَديةٍ . ففتحتْ له فدخَل بمن معـه — وأبو رافع نائم — فعلَوْهُ بأسيافهم وقد صَاحت المرأةُ ؛ واتّـكأ عبد الله بن أنيس بسيفه على بطنه حتى بلَغ الفراشَ ، وهَلَك . فنزَلوا ، ونَسى أبو قتَادة الأنصارى قوسَه فرجَع فأخَذها ، [فوقَعَ من الدرَجة] (٢) فانفكَّتْ رجله فاحتمَلوه . وقامَ الصَّائحُ وأَتَتْ يهودُ ، فخرج منهم أبو ذُؤَيْب (٣) الحارث فى آثارِ القوم ومعه جَمْع فنجَّاهم الله منهم . وقد كمنوا يومين حتى سكَن الطَّلب ، ثم أَقْبلوا إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم عَلَى المنبر فقال : أَفْلَحَت الوُجوه ! فقالوا : أَفلَح وَجْهُك يا رَسول الله ! قال: أَقتلتُمُوه ؟ قالوا : نعم ، كلُّنا يدَّعى قتْله . وأرَوْه أسيَافهم فقال : هـذا قتلَهُ ، هذا أثرُ الطعام فى سيْف عبدِ الله بن أنيْس . فـكانت غَيبتُهم عشرة أيام . ويقـال كانتْ هذه السَّرِيّة فى رمضان سنة ستٍّ

تعلم زيد بن ثابت كتابة يهود

وفى هذه السنة الرابعة أمر رسولُ صلى الله عليه وسـلم زَيْدَ بن ثابت بن الضحّاك بن زيد بن لَوْذَان بن عمرو بن عبـد عوف بن غنْم بن مالك النّجّار الأنصارىّ رضى الله عنه أن يتعلّمَ كِتاب يهُود ، وقال : لا آمنُ أن يبدِّلوا كِتَابى . ووُلد الحسيْن بن على رضى الله عنهما — فى قول بعضهم — لليالٍ خلوْن من شعبان

---

(١) زيادة للإيضاح . وفى السطر التالى قوله « فـكمنو » ، فى الأصل : « فأكمنوا »

(٢) زيادة لابد منها للبيان ، واعلم أن قد اختُلفَ فيمن وُثئتْ رِجْله منهم ، فبعضهم يقول : عبد الله بن عتيك ، وكان سيِّئ البصر . ابن هشام ج ٢ ص ٢١٥

(٣) فى ابن سعد : « أبو زينب »

غزوة ذات الرِّقاع

ثم كانت غزوة ذاتِ الرِّقاع : سُمِّيت بذلك لأنها كانت عند جَبلٍ فيه بُقَع حُمْرٌ و بيضٌ وسودٌ كأنّها رِقاع ؛ وقيل سُمِّيت بذلك لأنهم رَقَعوا رَاياتِهم ؛ و يقال أيضاً ذاتُ الرِّقاع شجرةٌ بذلك الموضع يقال لها ذاتُ الرِّقاع . وأَصَحُّ الأقوال ما رواه البُخَارىّ [(١)] من طريق أبي موسى قال : خرجْنا مع النبي [(٢)] صلى الله عليه وسلم فى غَزاة[(٣)] — ونحن ستَّةُ نفرٍ بيْننَا بعيرٌ نَعْتَقِبُه — فَنَقِبَتْ أقدامُنا ، ونقِبَتْ قَدَماى[(٤)] وسَقَطتْ أظفارى ، وكُنا[(٥)] نَلُفُّ على أَرْجُلنا الخِرَق ، فسمِّيت غزوة ذاتِ الرِّقاع لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ من الخِرَق على أرْجُلِنا[(٦)]

ما فيها من دلائل النبوّة

وفى هذه الغَزاة ظهرَ من أعْلام النُّبوّة : ظهورُ بَرَكة الرَّسول فى أكل أصحابه من ثلاثِ بيضاتٍ حتّى شَبِعوا ولم تنقص ، وسَبْقُ جمل جابر بعد تخلُّفه ، وبُرْءُ الصَّبيِّ مما كانَ به ، وقِصَّة الأَشاءتيْن[(٧)] ، وقصة غَوْرث [بن الحارث][(٨)] ، وقصة الجمل لمَّا برَكَ يَشْكو

الخروج إلى الغزوة

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ السبت لعشر خلوْن من المحرَّم على رأس سبعة وأربعين شهراً ، وقَدِمَ صِراراً يوم الأحد لخمس بقين منه ، وغاب خمس عشرة ليلة . وسببها أن [قادماً — قَدِم بجلَب له][(٩)] من نجْد إلى المدينة —

(١) ج ٥ ص ١١٣ ، وسأذكر الحديث بلفظ البخارى

(٢) فى الأصل : « رسول الله »

(٣) فى الأصل « غزوة » ، وكذلك فى بعض نسخ البخارى

(٤) نقبتْ رجله : إذا رقّ جلدُها ، وتنفّطت من شدة المشى

(٥) فى الأصل : « فكنّا »

(٦) وتتمة نص البخارى : « وحدّث أبو موسى بهذا ثم كرِهَ ذاك ، قال : ما كنتُ أصنعُ بأن أذكرَه ؟ كأنه كرِهَ أن يكون شىء من عمله أفشاهُ »

(٧) فى الأصل : « الأشاتين » ، والأشاءَةُ : الواحدة من صغار النخل ، وجمعه أشاء

(٨) زيادة للبيان

(٩) فى الأصل : « قدما قادما بحلب » ، والجلبُ : ما يُجلبُ — يؤتى به — من خيل وإبل وغنم ومتاع وسَبْى ليبَاع

أخبر أن بنى أنْمار بن بَغِيض ، و بنى سَـعْد بن ثَعلبة بن ذُبْيان بن بَغيض ، قد جَمعوا لحرب المسلمين ؛ فخرج صلى الله عليه وسلم فى أر بعمائة ، وقيل فى سبعمائة ، وقيل ثمانمائة . واستخلَف على المدينة عُثمانَ بن عفَّان رضى الله عنه . و بثَّ السَّرَايا فى طريقه فلم يرَوْا أحداً ، ثم قَدِم مَحالَّهم وقد ذَهَبوا إلى رؤوس الجبال وأطَلُّوا على المسلمين ، فخاف الفريقان بعضهم من بعض

صلاة الخوف

وصلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاةَ الخوف ، فكان أوَّلَ ماصلَّاها يومئذٍ ؛ وقد خافَ أن يُغيرُوا عليه وهُمْ فى الصلاة ، فاستقبل القبلةَ وطائفةٌ خلفَه وطائفةٌ مواجهةُ العَدُوِّ ، فصلى بالطائفة التى خلْفَه ركعةً وسجدتيْن ثم ثبَت قائماً ، فصلَّوْا خلفَه ركعتين وسَجْدتيْن ثم سلَّموا . وجاءتْ الطائفةُ الأخرى فصلَّى بهم ركعةً وسجدتين ، والطّائفة الأولى مُقْبلة على العدوِّ ؛ فلمَّا صلى بهم ركعةً ثبت جالساً حتى أتَمُّوا لأنفسهم ركعةً وسجدتين ثم سَلَّم . هكذا ذكر ابن إسحاق والواقدى وغيرهما من أهل السِّيَر . وهو مُشْكِلٌ ، فإنه قد جاء فى رواية الشافعى

تحقيق القول فى صلاة الخوف متى كانت

وأحمد والنَّسائىّ عن أبى سعيدٍ : أن سول الله صلى الله عليه وسلم حَبَسه المشركون يوم الخَنْدَق عن الظُّهر والعَصر والمغرب والعشاء فصلّاهُنَّ جميعاً ، وذلك قَبل نزُول صلاةِ الخوْف . قالوا : و إنَّما نزلت صلاةُ الخوف بعُسْفان كما رواه أبو عَيَّاش الزُّرَقى قال : كُنّا مع النبى صلى الله عليه وسلم بعُسْفان فصلّى بنا الظُّهر ؛ وعلى المشركين يومئذٍ خالدُ بن الوليد ، فقالوا : لقَدْ أصبْنَا منهم غَفْلَةً ، ثم قالوا : إن لهم صلاةً بعد هذه هى أحبُّ إليهم من أموالهم وأبنائهم . فنزلتْ — يعنى صلاةَ الخوف — بين الظُّهر والعصر ، فصلّى بنا العصْر ففرَّقَنا فِرْقتين ، وذكَرَ الحديث . أخْرجه الإمامُ أحمد وأبُو داود والنَّسائى (١) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

(١) مسند أحمد ج ٤ ص ٥٩ ، ٦٠ ، وشرح سنن أبى داود ج ١ ص ١٨١ ، وشرح سنن النسائى ج ٣ ص ١٨٦ و ١٧٧

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نازلًا بين ضَجْنان[١] وعُسفان مُحاصِرَ المشركين ، فقال المشركون : إن لهؤلاء صلاةً هي أهمُّ إليهم من أبنائهم وأبكارهم ، أجْمعوا أمركم ثم مِيلوا عليهم مَيْلةً واحدةً . فجاء جبريلُ عليه السلام فأمرَهُ أن يقْسم أصحابه نِصْفين ، وذَكر الحديثَ . رواه النَّسائيُّ[٢] والتِّرمذيُّ وقال : حسنٌ صحيحٌ . وقد عُلم بلا خِلاف أن غَزْوة عُسفان كانت بعد الخَندق فاقتضى هذا أنَّ ذات الرِّقاع بعدها بلْ بعد خيْبَر . ويؤيِّد ذلك أن أبا موسى الأشْعَرِيّ وأبا هريرة رضى الله عنهما شَهِداها : أمَّا أبُو موسى الأشْعريّ فإنَّه قدمَ بعد خَيْبرَ ، وقد جاء فى الصَّحيحين عنه : أنَّه شهد غزوَةَ ذاتِ الرِّقاع ، وأنَّهم كانوا يَلُفُّون على أرجُلهم الخِرَق لمَّا نَقِبت ، فسميِّت بذلك ؛ وأمَّا أبو هريرة ، فعنْ مروان بن الحَكم أنَّه سأل أبا هريرة : هلْ صَلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاةَ الخوف ؟ قال : نعم ! قال : متى ؟ قال : عام غزوة نجْدٍ ، وذكر صفةً من صِفَات صلاةِ الخوف . أخْرجهُ[٣] الإمامُ أحمد وأبُو داوُد والنَّسائيُّ . وإنَّما جاء أبو هريرة مُسلمًا أيَّامَ خيْبَر

وكذلك قال عبدُ الله بن عُمَر ، قال : غزوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل نجْدٍ ، فذكر صَلاةَ الخوف . وإجازَةُ[٤] عبدِ الله فى القِتال كانت عامَ الخَندَق . وقد قال البخارى : إنَّ ذاتَ الرِّقاع بعدَ خَيْبَر ، واستشهد بِقِصَّة[٥] أبى مُوسى وإسلامِ أبى هريرة . وقال ابن إسحاق : إنَّها كانت فى

(١) فى الأصل : « صحنان »
(٢) شرح سنن النسائى ج ٣ ص ١٧٤
(٣) فى الأصل : « أرجه »
(٤) فى الأصل : « وإجارة »
(٥) فى الأصل : « بقضيَّة » ، ونص البخارى ج ٥ ص ١١٣ « باب غزوة ذات الرقاع ... وهى بعد خيبر لأن أبا موسى جاء بعد خَيْبَر »

جُمَادى الأُولى بعد غَزْوة بنى النَّضِير بشهْرين . وقد قال بعضُ من أرّخ : إنّ غَزْوة ذاتِ الرِّقَاع أكثرُ من مَرّةٍ ، فواحدةٌ كانت قبلَ الخَنْدق ، وأخرى بَعْدَها

وقد قيل : إنّ قِصة جَمَل جابرٍ وبَيْعه منْ رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى غَزْوة ذاتِ الرِّقاع . وفى ذلك نظرٌ ، لأنه جاء أنّ ذلك كان فى غَزْوَة تَبُوك

وبعث صلى الله عليه وسلم جِعال بن سُراقة بشيراً إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب فى محالّهم نسوةً منهن جاريةٌ وَضيئةٌ كان زوجُها يُحِبُّها ، فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينةِ حلفَ زوجُها ليطْلُبنّ محمداً ، ولا يرجعُ إلى قومه حتى يُصيبَ محمداً ، أو يُهريقَ فيهم دمًا ، أو يتخلّص صاحبتَه . فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره فى عَشيَّةٍ ذاتِ ريحٍ فنزل فى شِعْبٍ فقال : مَنْ رجلٌ يكْلأُنا[1] اللّيلةَ ؟ فقام عمّار بن ياسرٍ وعبّاد بن بِشْر فقالا : نحن يا رسول الله نَكْلأُك ! وجعلت الرِّيح لا تسكُن ، وجلسا على فمِ الشِّعْب . فقال أحدُهما لصاحبه : أىُّ اللّيل[2] أحبُّ إليك [أنْ أكفيكَهُ ، أوّلَهُ أمْ آخرَهُ][3] ؟ قال : [بل][4] اكْفِنى أوّلَه . فنام عمّار بن ياسر وقام عباد بن بشر يُصلِّى ، وأقبل عدوُّ الله يطلب غِرّةً وقد سكَنَتِ الرِّيح . فلمّا رأى سوادَه من قريبٍ قال . يعلَمُ الله إن هذا لربيئةُ

خبر الربيئة: عباد ابن بشر وعمار ابن ياسر

(١) كلأه يكلأه : حفظه وحرسه
(٢) فى الأصل : « الليلة »
(٣) فى الأصل كان الذى بين الأقواس : « أن أكفيك أوله وتكفينى آخره » ، وهو لفظ مضطرب ، والصواب من ابن هشام ج ٢ ص ٦٦٥
(٤) زيادة للسياق أجود

القوم ! ففوّقَ له سهماً فوضَعه فيه ، فانتزَعهُ [فوضعه] (١) ؛ ثم رماه بآخر فوضعه فيه ، فانتزعه فوضعه ؛ ثم رماه الثالثَ فوضعه فيه . فلما غَلبه الدّمُ ركَع وسجد ، ثم قال لصاحبِه : اجلس فقد أُتيتَ ! فجلس عمّارٌ ؛ فلمّا رأى الأعرابيُّ أن عمّاراً قد قام علِم أنهم قد نذِروا به . فقال عمّارٌ : أى أخى ! ما منعك أن توقظَنى فى أوّل سهم رَمَى به ؟ قال : كنتُ فى سورةٍ أقرأُها — وهى سورة الكهْف — فكرهتُ أن أقطَعها حتى أفرُغَ منها ، ولولا أنّى خشيتُ أن أُضيعَ ثغْراً أمرنى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما انصرَفْتُ ولو أتى على نفسى . ويقال : بل هو عُمارة بن حزْم ، وأثبتُهما عبّاد بن بِشرٍ

خبر فرخ الطائر

وجاء رجل بفَرْخِ طائرٍ ، فأقبل أبواه ، أو أحدُهما ، حتى طرَح نفسه فى يدَىِ الّذى أخذَ فرْخه . فعجِب الناسُ من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هٰذا الطّائر ؟ أخذتُم فرخَه فطرح نفسه رحْمةً لفرْخِه ! والله لربُّكم أرحم بكم من هذا الطّائر بفرْخه

خبر صاحب الثوب الخلَق

ورأى صلّى الله عليه وسلم رجُلا وعليه ثوبٌ مُنْخرِق فقال : أمالَهُ غيرُ هذا ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! إن له ثوْبين جديدين فى العيْبة (٢) ، فقال له : خُذْ ثوبيْك . فأخذ ثوبيْه فلبسهُما ثم أدبر فقال صلى الله عليه وسلم : أليْس هذا أحسَن ؟ مالَهُ ضرب الله عُنُقَه ! فسمِع ذلك الرجلُ فقال : فى سبيل الله يارسولَ الله! فقال صلى الله عليه وسلم : فى سبيل الله . فضُرِبت عنُقُه بعد ذلك فى سبيل الله

خبر البيضات

وجاءهُ عُلْبةُ (٣) بن زيد الحارثىُّ بثلاث بيْضات وجدها فى مفْحَصٍ (٤)

(١) زيادة للبيان والسياق
(٢) العيْبةُ : وعاء من أدم يجعل فيه المتاعُ والثياب
(٣) فى الأصل : « غلبة »
(٤) مَفحصُ النعام والقطا وسواهما : ما تفحصُهُ من الأرض برجليها لتتّخذَ منه مَجثِما تبيض فيه وتفرخُ

نعامٍ ، فأمر جابرَ بنَ عبد الله بعملها . فوثب فعملَها وأتى بها فى قصْعةٍ ، فأكل صلى الله عليه وسلم وأصحابُه منهُ بغيْرِ خُبزٍ والبيضُ فى القصعة كما هو ، وقد أكل منه عامَّتُهم

خبر غَوْرث

وقيل إن حديثَ غَوْرَث بن الحارث كان فى هذ الغَزاة[1] ، وقيل كان فى غزوة ذاتِ الرِّقاع التى بعد الخندق — لِمَا أخرجا فى الصَّحيحين[2] عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه قال : أقبلْنا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كُنّا بذاتِ الرِّقاع ، قال : كنّا إذا أتيْنا على شجرة ظَليلَة تركْناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجاءَ رجلٌ من المشركين — وسيفُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مُعلَّقٌ بشجرة — فأخذ سيفَ نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم[3] فاخترطهُ ، فقال لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أتخافُنى ؟ قال : لا ! قال : فمن يمنَعُك منّى ؟ قال : اللهُ يَمْنَعنى منك[4] ! قال : فتهدَّدهُ أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأغمدَ السيفَ وعلَّقهُ . قال : فنودِىَ بالصلاةِ فصلّى بطائفةٍ ركعتينِ ثم تأخَّروا ، وصلَّى بالطائفة الأُخرى ركعتيْن . قال : فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربعُ ركعات وللقوْمِ ركعتانِ . واللّفْظُ لمسلمٍ

تحريم الخمر

قال البَلاذُرِىُّ : وفى سنة أربع من الهجرة حرِّمتِ الخمرُ

غزوة دُومة الجندل

ثم كانت غزْوَةُ دُومَةِ الجَنْدَلِ . خرج إليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الخامس والعشرين من رَبيع الأول على رأسِ تسعة وأربعين شهراً فى ألفٍ من المسلمين ، واستخلفَ على المدينة سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِىَّ . وسببُها أنّ

---

(١) فى الأصل : فى هذا المكان : « وقيل كان فى هذه الغزاة » مكررة

(٢) البخارى ج ٥ ص ١١٥ ، وشرح مسلم ج ٦ ص ١٢٩

(٣) فى الأصل : « فأخذ السيف » ، وهذا نص مسلم

(٤) فى الأصل : « قال : الله ! » ، وهذا نص مسلم

سبب غزوة دومة الجندل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أنْ يَدْنو إلى أَدْنَى الشَّأْم ، وقيل له : إنها طَرَفٌ من أفْواهِ الشَّأم ، فلو دَنَوْت لها كان ذلك مما يُفزِع قَيْصر . وذُكِر له أنّ بدُومَة الجَنْدَل جمعاً كثيراً [من الضَّافِطَة] (١) ، وأنّهم يَظلِمون من مَرّ بهم ، ويُرِيدُون أنْ يَدْنُوا (٢) من المدينة . فندَبَ الناس وسار مُغِذًّا (٣) للسَّيْر ونكَّبَ عن طريقهم ، فكان يسيرُ اللَّيْلَ (٤) ويكْمُن النهارَ ، ومعه دليلٌ من بنى عُذْرَةَ يقال له مَذْكورٌ . فلمّا كان بينه وبين دُومَة الجَنْدل يومٌ أو ليلةٌ ، هَجَم على ماشِيَتِهم [ورُعاتِهم فأصابَ من أصاب] (٥) وفرّ باقيهم ، فتفرّق أهلُ دُومة لما بَلَغهم الخبرُ ، ونزَل صلى الله عليه وسلم بسَاحتهم فلم يجدْ بها أحداً . فأقامَ أيّامًا وبثّ سَرَاياه ، فعادتْ بإبل ولم يلْقَ أحداً ، وعادَ إلى المدينة فى العشرين من ربيع الآخر

موادعة عيينة ابن حصن

وَوادَعَ فى طريقه عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ الفَزارِىَّ وفى ليالٍ بقين من شَوّال تزوّجَ أُمّ سَلَمَة ، وقيل تزوّجها سنة اثنين بعد بدْرٍ ، وقيل قبل بدر

زواجه بزينب بنت جحش ، ونزول آية الحجاب

وفى ذى القَعْدة من هذه السنة تزوّجَ ابنةَ عمّتِه زَيْنَب بنتَ جَحْش . وقيل تزوّجها سنةَ ثلاثٍ ، ويقال سنة خمس ، وقيل تزوّجها سنة ثلاث مع زَيْنَبَ أُمّ المساكين . ونزلت آيةُ الحِجاب . وفى هذه السَّنة أمر زَيدَ بن ثابِت بتعلُّم كِتَابِ اليهُود . وفيها رَجَم اليهودِىَّ واليهوديّةَ . وفى جمادى الآخرة

(١) هذه الزيادة حق الكلام : ابن سعد ج ٢ ص ٤٤ . والضافطة من الناس : الذى يجلبُ الميرةَ والمتاع إلى المدن : والمكارى الذى يُكرى الأحمال : وكانوا يومئذ قوماً من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت وغيرهما

(٢) فى الأصل : « يدنو »

(٣) فى الأصل : « نعدا » ، وأغذّ السيرَ : أسرع فيه إسراعاً

(٤) فى الأصل : « بالليل »

(٥) فى الأصل مكان ما بين القوسين « فأصاب منها » ، وانظر ابن سعد ج ٢ ص ٤٤

خَسَفَ القَمَرُ وصلَّى صلاةَ الخُسوف . وزُلزِلَت[1] المدينة . وسابَقَ بين الخَيل ، وقيل فى سنة ستٍّ ، وجعَل بينها سَبَقًا ومُحلِّلا

غزوة المريسيع (بنى المصطلق)

ثم كانت غزْوة المُرَيسيع ، ويقال غَزْوة بنى المصطلق وهم بنو جذِيمَةَ بن كَعْب بن خُزَاعة ، فجَذِيمَةُ هو المُصْطَلِقُ . والمُرَيْسِيعُ ماء لخُزَاعة بينه وبين الفُرْعِ نحوٌ من يوم ، وبين الفُرْع والمدينة ثمَانِيَةُ بُرُد[2] . وكانت فى سنة ستٍّ من الهِجرة ، وقيل فى سنة خمس . خرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتيْن خَلَتَا من شعبان ، واستخلفَ على المدينة زَيْدَ بن حارثة ، وقال ابن هشام : استعمل أبا ذرّ ، ويقال نُمَيْلةَ بن عبد الله اللَّيْثِيّ . ودفع رايةَ المهاجرين إلى أبى بكْرٍ رضى الله عنه ، وقيل إلى عمَّار بن ياسر[3] ، ورَاية الأنصار إلى سَعد ابن عُبادة

سببها

وسبَبُها ان الحارثَ بن أبى ضِرار بن حبيب [بن الحارث بن عائذ][4] بن مالك بن جَذِيمَة [بن سعد][4] بن كعب بن خُزَاعةَ سيِّد بنى المُصْطلَق — جَمع لحرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من قومه ومن العرب [جمْعًا][5] كبيراً ، فتهيَّئوا[6] ليسيرُوا إليه ، وكانوا ينزِلون ناحية الفُرْع . فبَلَغَ خبرُهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فبعث بُرَيْدَة بن الحُصَيْب بن عبد الله بن الحارث بن الأعْرَج

(١) فى الأصل: « زلزل »
(٢) البُرُدُ جمع بريد : والبريد أربعةُ فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال ، والميلُ أربعةُ آلاف ذراع
(٣) فى الأصل : « ودفع راية المهاجرين إلى بكر رضى الله عنه » مكررة
(٤) زيادة من نسبه ونسب ابنته « جويريةَ » أمّ المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
(٥) زيادة للسياق
(٦) فى الأصل : « فتهيانوا »

ابن سعْد بن رِزَاح بن عَدىّ بن سَهْم بن مَازن بن الحارث بن سَلامان بن أسلَمْ ابن أَفْصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر الأَسلَمِى — يعْلَمُ عِلْمَ ذلك ، فأتاهُ بخبرِهم . فَندَبَ النَّاس وأخبرَهم خَبر عدُوِّهم ، فأَسْرعوا الخُروج ، وقادوا ثلاثين فرساً منها : عشرةٌ للمهاجرين ، وعشرون للأَنصار ، ولرسولِ الله صلى الله عليه وسلم فرسان هما : لِزَازٌ والظَّرِبُ . وخرجَ كثيرٌ من المنافقين لِيُصيبوا من عَرَض الدُّنْيا ولِقُرْبِ السفَرِ عليهم.

إسلام رجل من عبد القيس

فلقى صلى الله عليه وسلم فى طريقهِ رجلاً من عبد القَيْس فأَسلم ، وسأَل : أىُّ الأعمال أحبُّ إلى الله ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : الصَّلاةُ فى أوَّلِ وقْتِها . فكان بعد ذلك لا يُؤَخِّر الصلاةَ إلى الوقت الآخر

فأصاب عيناً من المشركين فضرب عنقَه بعد أن عرض عليه الإسلامَ فأبى .

الانتهاء إلى المريسيع ولقاء العدوّ

وانتهى صلى الله عليه وسلم إلى المُريسيع [وهو ماء لخزاعة من ناحية قُديد إلى الساحل] وقد بلغ القومَ مسيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتْله عيْنهم ، فتفرَّق عن الحارث من كان قد اجتمع إليه من أفناء[1] العرَبِ . وضُرِب له صلى الله عليه وسلم قُبَّةٌ من أدَم ، وكان معه من نسائه عائشة وأمُّ سلمة رضى الله عنهما . فصفَّ أصحابَه وقد تهيَّأ الحارثُ للحرب ، ونادى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الناس : قولوا لا إلٰه إلَّا الله تَمْنَعوا بها أنفُسَكم وأموالَكم . فأبوْا ورمَوْا بالنَّبل ، فرمى المسلمون ساعةً بالنبل ثم حَملوا على المشركين حَمْلَةَ رجل واحد ، فما أفْلتَ منهم إنسانٌ ، وقتل منهم عشرةٌ وأُسِرَ سائرُهم ، وسُبِيَت النِّساء والذُّرِّيَّةُ ، وغُنِمت الإبل والشَّاء . ولم يُقتَل من المسلمين إلَّا رجل واحدٌ يقالُ له هِشامُ بن صُبابةَ :

خبر مقتل هشام ابن صُبَابة خطأً

(١) يقال قوم من أفناء القبائل : أى نزاع من ههنا وههنا ؛ فهم أخلاط لا يُدرى من أى قبيلة هم

أصابَه رجلٌ من الأنصار من رهْطِ عُبادةَ بن الصَّامت ، وهو يُرى أنّه من العدوِّ[١] ، فقتلَه خطأً

شعار المسلمين

وكان شعارُهم يا مَنْصُور أَمِتْ أَمِتْ . وقيل بل أغار عليهم صلى الله عليه وسلم وهم غارُّون[٢] ونَعَمُهم تسقى على الماء . والحديثُ الأول أثبت .

وكان من خَبَر الرَّجل الذى قُتِل : أنَّه خرَج هِشَام بن صُبَابَةَ فى طلب العدوِّ ، فرَجَعَ فى ريحٍ شديدةٍ فوجد رجُلاً [من رهْط عُبَادَةَ بن الصَّامِت يقال له أَوْس] فقَتله وهو يظُنُّه مشركا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُخْرَج دِيتُه ؛ [ويقال قَتَله رَجُل من بنى عَمْرو بن عَوْف] فقدِم أخوه مِقْيَسُ بن صُبابة من مكة مسلِمًا فيما يُظْهِر يَطْلُب دِيَةَ أَخِيه ، فأمرَ له النبى صلى الله عليه وسلم بالدِّية فقَبَضَها ، ثم عدَا على قاتلِ أخيه فقتَله ، ثم ارْتدَّ ولَحِق بقُرَيْش وقال شعراً فأهْدَر صلى الله عليه وسلم دَمَه ، حتى قتَله نُمَيْلة [بن عبد الله الليثى][٣] يومَ الفتح

الأسرى والغنائم

وأمرَ صلى الله عليه وسلم بالأسْرَى فكُتِّفُوا ، واستعمَل عليهم بُرَيْدَة بن الحصَيْب ، وأمرَ بما وُجِدَ فى رِحالهم من مَتَاعٍ وسلاحٍ فجُمِعَ ، وسِيقَت النَّعَمُ والشَّاء واسْتَعْمَل عليها شُقْرَان : مَوْلَاه . واستعمل على القَسْمِ — مَقْسَمِ الخُمُس وسُهْمان المسلمين — مَحْمِيَةَ بن جَزْءٍ[٤] بن عبْد يَغوث بن عُوَيْج بن عمرو بن زُبَيْد الأصْغر الزُّبَيدِىَّ ، فأخرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخُمُسَ من

---

(١) فى الأصل : « العدد »

(٢) الغارُّ : الغافل

(٣) زيادة للبيان والإيضاح ، وكان نُميْلة من قوم مقيس ؛ فقالت أخت مِقْيَس :

لعمرى لقدْ أخْزَى نُميْلةُ رَهطَهُ وفجَّع أضيافَ الشّتاء بِمقْيَسِ
فللّه عينَا من رأى مثل مِقْيَس إذا النفَساءُ أصبحتْ لم تُخَرَّسِ

(٤) فى الأصل : « جز »

جميع المَغْنَم فكان يَليهِ مَحْمِيَةُ بن جَزْء(١) ، وكان يجْمَعُ إليْه الأخْمَاسَ . وكانت الصدقَاتُ على حِدَتِها ، أهل الفَيْء بمعْزِلٍ عن الصدقة ، [وأهْلُ الصَّدَقَة](٢) بمعْزِلٍ عن الفَيْء . فكان يُعْطى من الصدَقة اليتيمَ والمِسكينَ والضَّعيف ، فإذا احْتَلَم اليتيمُ نُقِل إلى الفَيْء وأُخْرِج من الصدَقة وَوَجَب عليه الجِهَاد ، فإن كَرِه الجِهَادَ وأَباهُ لم يُعْطَ من الصدقة شيئاً وخُلِّيَ بينه و بين أنْ يَكْتَسِبَ لنفسه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَمْنَعُ سائِلاً : فأتاهُ رجُلان يَسألانه من الخُمُس فقال(٣) : إن شِئْتُما أَعْطَيْتُكُما منه ، ولا حَظَّ فيها لغَنِيٍّ ولا لقوِيٍّ مُكْتَسِبٍ

قسمة الغنائم

وفَرّق السَّبْيَ ، فصارَ فى أَيدِى الرِّجال ، وقَسَم المتَاع والنَّعَم والشَّاء ، وعُدِلَت الجَزُور بعَشْرٍ من الغنَم ، و بِيعَتْ رِثَّةُ المتَاع فيمَنْ يَزِيدُ ، وأُسْهِم للفَرَسِ سَهْمان ولصاحبه سهمًا ، وللرَّاجل سهمًا ، وكانت الإبل أَلْفَىْ بعيرٍ وخمسةُ آلافِ شاةٍ ، وكان السبْىُ مائتى أهلِ بيت

خبر جُوَيرِية بنت الحارث وزواج رسول الله بهاء وبركتها على قومها

وصارَتْ جُوَيرِيَةُ بنتُ الحارث بن أَبى ضِرارٍ فى سهم ثابتِ بن قيس بن شَمَّاس أو ابن لهُ — فكاتبها على تسعِ أَوَاقٍ من ذَهَبٍ . فبينا النبىُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الماء إذْ دَخَلتْ عليه تَسألُه فى كتابتها وقالت : يا رَسولَ الله ! إنى امرأةٌ مُسلِمَةٌ وتَشهَّدَتْ وَانْتسبَتْ ، وأخبرَتْهُ بما جرَى لها ، واسْتَعانتْهُ فى كِتابتها ، فقال : أَوْ خيْرٌ من ذلك ؛ أُؤَدِّى عنك كتَابَتك وأتزوَّجُك ! قالت : نعمْ ! فطلبها من ثابتٍ فقال : هىَ لكَ يا رسول الله . فأدَّى ما عليها وأعتقها وتزَوَّجها . وخرَج الخبرُ إلى النَّاس وقد اقْتسموا رجالَ بنى المُصطلَق وملَكُوهم ووَطِئُوا نساءَهم ، فقالوا : أصهارُ النبىّ ! فأعْتقُوا ما بأيديهم من ذلك السَّبْى .

(١) فى الأصل : « جز »
(٢) فى الأصل : « بمعزل عن الصدقة بمعزل عن الفىء »
(٣) فى الأصل : « وقال »

وكانت جُوَيْرِيةُ رضى الله عنها عظِيمةَ البرَكةِ على قومها . ويقالُ إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلَ صداقَها عِتْقَ كلّ أسيرٍ من بنى المُصطَلق ؛ ويقال جعلَ صداقَها عِتْقَ أربعين من قومها ، وقيل كان السَّبْيُ : منهم مَنْ مَنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغيْرِ فداء ، ومنهم من افْتدَى ، وذلك بعد ما صار السبيُ فى أيدى الرِّجال ، فافتُدِيَت المرأةُ والذُّرِّيَّةُ بستِّ فرائض ، وكانوا قدِمُوا المدينةَ ببعض السَّبي ، فقدِم عليهم أهلُوهم فافتدَوْهُم ، فلم تبقَ امرأةٌ من بنى المصطلَق إلا رَجَعَتْ إلى قومْها . قال الواقدىُّ : وهذا الثَّبْتُ . وقيل إنّ الحارثَ افتدَى ابْنَتَهُ جُوَيْرِيَةَ من ثابت بن قَيس بما افتُدِيَ به امرأةٌ من السَّبى ، ثم خطَبها النبى صلى الله عليه وسلم إلى أبيها فأنْكَحَها . وكان اسمُها بَرَّة ، فسمَّاها[1] صلى الله عليه وسلم جُوَيْرِية[2] قال الواقدى : وأثبت هذا عندنا حديثُ عائشةَ أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قضى عنها كتابتَها وأعتقَها وتزوَّجها

فداء أسرى بنى المصطلق

وسُئِل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغَزْوَة عن العَزْل فقال : ما عَلَيكم أنْ لاَ تفعلوا ! ما مِنْ نَسَمَةٍ كائنةٍ يومَ القيامة إلاَّ وهى كائنةٌ . فقال رجل من اليهود لأبى سَعيد الخُدرىِّ رضى الله عنه ، وقد خرَج بجاريةٍ يَبيعها فى السُّوق : لعلَّك تُريدُ بَيْعَها وفى بَطنها منك سَخْلة[3] ؟ فقال : كلاَّ ، إنِّى كُنْتُ أعْزِلُ عنْها . فقال : تلكَ المَوْءودَةُ الصُّغْرى ! فلما أُخْبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال : كَذَبَتْ يَهُود

خبر العَزْل

وبَيْنَا المسلمون على مَاء المُرَيْسِيع إذْ أقبل سِنَانُ بن وَبَر الجُهَنِيُّ — وقيل : هو سِنانُ بن تَيْم الله ، وهو من جُهَيْنَة بن سُود بن أسْلم — حَليفُ الأنصار —

خبر جهجاه وسنان على الماء

(١) فى الأصل : « فسما »
(٢) فى الأصل : « جويرة »
(٣) السَّخْلة : ولد الغنم ساعة تضعه أمّه ، وهو هنا كناية عن حَمْلها

ومعه فِتْيَانٌ من بنى سالمٍ يَستَقُون ، [وعلى] (١) الماء جَمْعٌ من المُهاجرين والأنصار . فأَدْلى دَلْوَه ، وأدْلى جَهْجاهُ بن مسعُود بن سَعْد بن حَرام الغِفَارىّ — أجيرُ عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه — دَلْوَه ، فالْتَبَستْ دَلْوُ سِنانٍ وَدَلْوُ جَهْجاهٍ وتنازَعا . فضرَب جهجاهٌ سِناناً فسالَ الدَّمُ فنادَى : يا لَلْخَزْرَج ! وثارَتِ الرِّجالُ ، فهرَب جهجاهٌ وجَعَل ينادى فى العَسكر : يا لَقُرَيْشٍ ! يا لَـكِنانَة ! فأَقْبلت قُرَيشٌ وأقبلتِ الأَوْس والخَزرجُ وشهَرُوا السلاحَ حتى كادتْ تكون فِتنَةٌ عظيمةٌ ؛ فقامَ رجالٌ فى الصُّلح فترك سِنانٌ حَقَّه

تنازعهما واختلاف المهاجرين والأنصار

وكان عبدُ الله بن أُبَىّ جالساً فى عَشرة من المُنافقين فغَضِب وقال : والله ما رأيْتُ كاليوْم مَذَلَّة ! واللهِ إنْ كُنْتُ لَـكارهاً لوَجْهى هذا ولـكنَّ قومى قد غَلَبُونى . قد فَعلوها ، قد نَافرُونا (٢) وكاثرُونا فى بَلدنا ، وأنْـكروا مِنَّتَنا (٣) . والله ماصرْنا وجلَابيبُ (٤) قُرَيش هـذه إلاّ كما قال القائل : « سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ » . والله لقَدْ ظننْتُ أنِّى سأَموتُ قَبْل أن أسمعَ هاتفاً يَهْتِفُ بما هتف به جَهجاهُ وأنا حاضرٌ لا يكون لذلك منِّى غِيَرٌ (٥) . والله لئنْ رجَعْنَا إلى المَدينـةِ لَيُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ . ثم أقْبل على من حَضر من قومه فقال : هذا ما فَعلتُم بأنفسكم ! أحلَلْتُموهم بلادَكم ، ونزَلوا منازلَـكم ، وآسَيْتُموهم (٦) فى

تحريض عبد الله ابن أُبَىّ وما كانَ من مقالته فى ذلك

(١) زيادة للسياق

(٢) نافره : خاصمه وفاخره ؛ فيكون أحدهما أعز نفراً من صاحبه

(٣) المنّة : الإحسان والنعمة

(٤) الجلبابُ : إزار يُشتمل به فيغطى الجسد ، وهو من خُشُن اللباس يلبسُه الفقراء ، وكان المهاجرون لما هاجروا — على ما هم عليه من الخَلة والعيْلة — كان ذلك أكثر لباسِهم فيا يُرى ، فجعل المنافقون يسمونهم « الجلابيب » ، كناية عن فقرهم وقلتهم وغربتهم ، وجعلوا ذلك نبزاً وتهزّؤاً

(٥) فى الأصل : « لا يكون ذلك منى غير » ، والغِيَرُ : الاسمُ من قولك غيّرت الشىء تغييراً ، يريد لا يكون منى لهذا العدوان دفع أو تغيير أو قصاص

(٦) آسيتموهم : يريد سوّيتم بينكم وبينهم فى هذه الأموال

أموالـكم حتّى استغنوا . أمَا والله لو أمسكتم [عنهم ما] [١] بأيديكم لتحوّلوا [٢] إلى غير بلادِكم ، ثم لم ترضوا ما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً [٣] للمنايا فقُتِلتم دونهم ، فأيتمتم أولادَكم وقللتم وكثروا

إبلاغ زيد بن أرقم رسولَ الله مقالة عبد الله ابن أبيّ

وكان زيدُ بن أرقم حاضراً — وهو غلامٌ لم يبلُغ أو قد بلغ — فحدَّث رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وعنده نفرٌ من المهاجرين والأنصار ، فتغيَّر وجهُه ثم قال : يا غُلام ، لعلك غضِبْت عليه ؟ قال : لا والله ، لقد سمِعتُ منه . قال : لعلَّه أخطأ سمْعُك ! قال : لا يا نبيّ الله . قال : فلعلَّه شُبِّه عليك ؟ قال : لا والله ، لقد سمعْتُ منه يا رسول الله . وشاع فى العسكر ما قال ابنُ أُبيّ ، حتى ما كان للناس حديثٌ إلّا هو . وأنَّب جماعةٌ من الأنصار زيدَ بنَ أرقم فقال — فى جملة كلام — : وإنى لأرجو أن يُنزِّل الله على نبيِّه ، حتى تعلَموا أنِّى كاذبٌ أم غيْرى . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله ! مُرْ عبّاد بن بشر فليأتِك برأسه . فكره ذلك وقال : لا يتحدَّثُ الناسُ أنّ محمداً يقتُل أصحابه . وبلَغ الخبرُ ابنَ أُبيّ ، فحلَف بالله ما قال من ذلك شيئاً ؛ ثم مشى [٤] إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وحلَف بالله ما قال . وأسرَع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك السَّيْرَ ، ورحل فى ساعةٍ لم يكُن يرتحِلُ فيها . فأقبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو فى فَىْء شجرةٍ عنده غُلَيّمٌ أُسَيْوِدُ يغمِزُ ظهْرَه [٥] فقال : يا رسولَ الله ! كأنَّك تشتكى ظهرك !

رحيل رسول الله بعد مقالة المنافقين

(١) فى الأصل : « لو أمسكتم بأيديكم » ، ولا بأس به ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٧٢٦
(٢) فى الأصل : « لتحلوا »
(٣) فى الأصل : « أعراضاً » . وفى الأصل أيضاً : « دونه »
(٤) فى الأصل : « مشى مشى » مكررة
(٥) غمْزُ الأعضاء : عصرُها وتكبيسُها لتلين ، يقال منه جارية غمّازة حسنة الغمز للأعضاء

فقال : تَقَحَّمتْ بى النّاقةُ [١] اللَّيلَة . فقال عمر : يا رسول الله ، إيذنْ [٢] لى أن أضربَ عُنُقَ ابن أُبيّ فى مقالتِه . فقال : لا يتحدّثُ الناس أنّ محمداً قَتل أصحابه

طلوع رسول الله على العسكر . ومقالة سعد بن عبادة

ويقالُ : لمْ يشعُر أهلُ العسكر إلّا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم قد طلع على راحلته — : وكانوا فى حرٍّ شديد ، وكان لا يروح حتى يُبْرِدَ [٣] ، إلا أنّه لما جاءه ابنُ أُبيّ رَحل فى تلك الساعة . فكان أوّلَ من لَقِيه سعدُ بن عبادة رضى الله عنه ، ويقال أُسيْد بن حُضَيْر — فقال : خرجتَ يا رسولَ الله فى ساعةٍ ما كنت تروحُ فيها ! قال : أَوَ لَمْ يبْلغْك ما قال صاحبُكم ابنُ أُبيّ ، زعم أنّه إن رجع إلى المدينةِ أخْرَجَ الأعزُّ منها الأذلَّ ؟ قال : فأنت يا رسولَ الله تُخْرِجُه إن شئْتَ ، فهو الأذَلّ وأنتَ الأعزّ . يا رسولَ الله ! ارفُق به ، فوالله لقد جاء اللهُ بك وإنّ قومَه ليَنْظِمون له الخَرَزَ ، ما بقِيتْ عليهم إلّا خرَزةٌ واحدةٌ عند يوشَعَ اليَهوديّ ليُتوّجوه ، فما يرى إلا قد سلَبتَه مُلْكه

تصديق الله خبر زيد بن أرقم

و بينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسيرُ من يومِه ذلك — وزيدُ بن أرقم يعارضه براحلته يريد وَجهَه ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَستَحِثُّ راحلتَه فهو مُغِذٌّ فى المسيرِ — إذْ نزَل عليه الوَحْى فَسُرِّىَ [٤] عنه ، فأخذَ بأُذُنِ زيدِ ابن أرقم حتّى ارتفع من مَقعَدِه عن راحلَته وهو يقول : وَفَتْ [٥] أُذُنُك يا غلام ، وصدّق اللهُ حديثَك ! ونزَل فى ابن أُبيّ « إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ » (السورة كلها) .

(١) تقحّمت بفلان دابته : إذا ندّتْ به فلم يضبط رأسها ، وربما طوّحت به فى وهدة
(٢) إيذن : هو الأمرُ من أذِن له يأذنُ
(٣) أى يدخل فى البَرْد بعد هدأة الحرّ
(٤) سروْتُ الثوبُ : خلعتُه ونضوته ، ومنه سُرِّيَ عنه ، أى كُشف عنه ما كان يلقاهُ صلى الله عليه من غَشْية الوحى وجَهْده
(٥) قالوا فى قوله : « وفت أذُنك » : كأنه جعل أذنه فى السماع كالضامِنَة بتصديق ما حكت ، فلما نزل القرآن فى تحقيق ذلك الخبر ، صارت الأذنُ كأنها وافية بضمانها ، خارجة من التهمة فيما أدّته إلى اللسانِ

وكان عُبادة بن الصّامت قبلَ ذلك قال لابن أُبيّ: إيت رسولَ الله يستغفرْ لكَ. فلوى رأسه مُعرِضاً، فقال له عبادة والله ليَنزِلَنّ فى لَيِّ رأسك قرآنٌ يصلَّى به. ومرّ عُبادة بن الصّامت بابن أُبيّ — عشيّةَ راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من المُرَيسيع، وقد نزل فيه القرآنُ — فلم يسلِّم عليه؛ ثم مرّ أوسُ بن خَوْليّ فلم يسلِّمْ عليه، فقال: إن هذا الأمرَ قد تمالأتما عليه. فرجعا إليه فأنّباه[1] وبكّتاه بما صنع، وبما نزل من القرآن إكْذاباً لحديثه، فقال: لا أعودُ أبداً

حديث عبد الله ابن عبد الله بن أبيّ عن أبيه وخبره

وجاء ابنُه عبدُ الله بن عبدِ الله بن أُبيّ فقال: يا رسول الله، إن كنتَ تُريد أن تقْتُل[2] أبى فيما بلَغك عنه فمُرْنى به، فوالله لأَحملَنّ إليك رأسه قبل أن تقومَ من مجْلِسك هذا. والله لقد علمت الخزرجُ ما كان فيها[3] رجلٌ أبرّ بوالدِه[4] منّى، وإنى لأخشى — يا رسول الله — أن تأمُر غيرى فيقتُلَهُ، فلا تدَعُنى نفسى أن أنظرَ إلى قاتلِ أبى يَمْشى فى الناس فأقتُلَه فأدخُلَ النار؛ وعفْوُك أفضلُ، ومَنُّك أعظم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أردتُ قتْلَه، وما أمرْتُ به، ولنُحسِنَنّ صُحْبتَه ما كان بين أظهُرِنا. فقال: يا رسول الله! إنّ أبى كانَتْ هذه البُحَيْرة قد اتّسقُوا[5] عليه ليُتوِّجُوه، فجاء اللهُ بك فوضَعَهُ ورفعَنا بك، ومعه قومٌ يُطيفون[6] به يُذَكِّرُونه أموراً قد غلَب اللهُ عليها. وقال عبد الله فى ذلك شِعْراً

(١) فى الأصل: « فأنباه »
(٢) فى الأصل: « يقتل »
(٣) فى الأصل: « ما كان فيها ما كان رجل »
(٤) فى الأصل: « بوالدى »
(٥) البحيرةُ تصغيرة البَحْرة، وهى الأرض والبلدةُ، والعربُ تسمى المدنَ والقرى البِحارَ، والبُحيرة هنا هى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم. واتسقوا: أى اصطلحوا على ذلك واجتمع أمرهم فيه
(٦) أطافوا به: أحاطوا به يسعَوْن عليه من نواحيه

سيرُ رسول الله

ولما خرجُوا من المُرَيسيع قبْل الزَّوالِ لم يُنِخْ(١) أحدٌ إلاَّ لحاجةٍ أو لصلاةٍ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَستَحِثُّ راحلته بالسَّوْطِ فى تَرَاقيها(٢) حتى أصْبحوا ، ومَدُّوا يومهم حتى انتصفَ النَّهارُ ، ثم راحُوا مُرْدِين(٣) . فنزَل

الريح التى أنذرت بموت كهف المنافقين : رفاعة ابن التابوت

من الغدِ ماءً يقال له بَقعاء ، فأخذتْهم ، رِيحٌ شديدةٌ — اشتدَّت إلى أن زالَتِ الشَّمس ثم سكنَتْ آخرَ النهار — حتّى أشْفَقوا منها ، وسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنْها ، وخافُوا أن يكونَ عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ خالف إلى المدينة ، وقالوا : لم تَهِجْ هذه الرِّيحُ إلا مِن حَدَثٍ(٤) . فقال صلى الله عليه وسلم : ليس علَيْكم بأْسٌ منها ، فمَا بالمدِينةِ من نَقْبٍ(٥) إلاّ عليه مَلَكٌ يحرُسُه ، وما كان ليدْخُلَها عدوٌّ حتى تأْتُوهَا ، ولكنَّه ماتَ اليومَ مُنَافِقٌ عظيمُ النِّفَاق بالمدينة ، فلذلك عَصفت الرِّيح . وكان موتُه للمُنَافقين غيظاً شديداً ، وهو رِفَاعَةُ بن زيْدٍ(٦) بن التَّابوت [أحد بنى قَيُنُقاع ، وكان عظيماً من عُظَماء يَهُودَ ، وكهْفًا للمنافقين](٧) ، مات ذلك اليوم . وكانت هذه الريح أيضاً بالمدينة حتى دُفِن عدوُّ الله فسكنت

جزع المنافقين لموته

وقال عُبادة بن الصّامت يومئذ لابن أُبَيّ : أبا حُبَابٍ ! ماتَ خليلُك . قال : أىُّ أخِلاَّئِى ؟ قال : مَنْ مَوْتُه فتحٌ للإسلام وأهله ! رِفاعةُ بن زَيد(٦) بن

(١) فى الأصل : « ينح »
(٢) فى الأصل : « مراقيها » ، والتراقى جمع تَرْقُوة : وهى عظم يصل بين ثُغْرة النحر والعاتق من الجانبين تكون للناس وغيرهم ، وهما تَرْقُوَتان
(٣) إذا عَدَا الفرَسُ فرجم الأرضَ رجماً قيل رَدَى يردِى ، وأرداهُ الرجلُ أسرع به : يريد مُسرعين
(٤) الحدَثُ : أمر عظيم أو نازلة منكرة تحدُث
(٥) النَّقْبُ : الطريقُ بين الجبلين كأنه حُفر بينهما ، ويريد طُرقَ المدينة ومايفضى إليها من جهاتها
(٦) فى الأصل : « زيد بن رفاعة بن التابوت » ، وهذا صوابه من سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٧ ، وصحيح مسلم
(٧) زيادة للإيضاح من ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٧ . وفى الأصل : « قال رفاعة ... »

التّابُوت ؛ قال : يا وَيلاهْ ! كان والله وكان وَكان ، وجعل يذْكُر . فقال له عُبادةُ : اعتصمْتَ والله بالذّنبِ الأبتر(١) ! قال : مَنْ خبَّرك يا أبا الوَليد بموْته ؟ قال : رسول الله أخبرَنا الساعةَ أنه ماتَ هذه الساعةَ . فأُسْقط فى يديْه وانصرفَ كئيباً حَزيناً . فلما دَخلوا المدينةَ وجدُوا عدوَّ الله ماتَ فى تلك السَّاعة

خبر ناقة رسول الله التى فقدت ، ومقالة المنافق

وفُقِدَتْ ناقةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم — القَصْواء — من بين الإبل وهى سارِحةٌ ، فتطَلَّبها المسلمون فى كل وَجْهٍ ، فقال زَيْدُ بن اللُّصَيْت [القينقاعىّ](٢) وكان مُنافقًا : أفلا يُخْبِرُه الله بمكانِ ناقته ! فأنكرَ القومُ ذلك علَيْه ، وأسمعوهُ كلّ مكروهٍ ، وهمُّوا بِهِ ؛ فهرَبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَعَوِّذًا به وقد جاءه الوَحْىُ بما قال ، فقال — والمنافق يَسْمَع — : إنّ رجُلًا من المنافقين شَمِتَ أن ضلّت ناقةُ رسول الله وقال : ألَا يُخْبِرُه اللهُ بمكانها ؟ فلَعَمْرِى إنّ محمداً لَيُخْبِرُ بأعْظَمَ من شأنِ النّاقةِ ! ولا يعلَمُ الغَيْبَ إلّا الله ، وإنّ الله قد أخْبرَنى بمكانها ، وإنّها فى هذا الشِّعْبِ مُقَابِلَكُمْ ، قد تعلّقَ زمامُها بشجرَةٍ فاْعمِدُوا عَمْدَها . فذَهَبُوا فأتوْا بها من حيثُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حماية النقيع لخيل المسلمين

ولما مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنَّقِيعِ(٣) رأى سَعَةً وكَلأً وغُدُرًا كثيرةً ، فأمرَ حاطِبَ بن أبى بَلْتعَةَ أنْ يَحْفِرَ به بئرًا ، وأمر بالنَّقِيعِ أن يُحْمَى ، واستعملَ عليه بلالَ بن الحارثِ المُزَنِىَّ ، قال : وكمْ أَحْمِى منهُ يارسولَ الله ؟ قال : أقِمْ رجُلاً صَيِّتًا — إذا طلَعَ الفجْرُ — على هذا الجبلِ ، فحيثُ انتهَى صوتُه فأحْمِهِ لخيْلِ المسلمين وإبلِهم التى يَغْزُون عليها . قال : يا رسولَ الله ، أفرَأيْتَ

(١) الذنب الأبتر : أى المقطوع

(٢) ما بين القوسين زيادة من نسبه ، وفى الأصل : « بن اللصيب »

(٣) وهو موضع قريب من المدينة ، ثم حماهُ عمر بن الخطاب من بعده لخيول المسلمين

ما كان من سَوَائِم[1] المُسْلمِين ؟ فقال : لا يدْخُلُها . قال : أرأيْتَ المرأةَ والرَّجُل الضعيفَ يكُون له الماشِيةُ اليسيرةُ وهو يَضْعُفُ عن التَّحوُّلِ ؟ قال : دَعْهُ يَرْعَى

وسَبَّق صلى الله عليه وسلم يومئـذٍ بين الخيْلِ والإِبل ، فَسبقَتِ القَصْوَاء الإِبل وعليها بلالٌ ، وسَبَق فرسُه الظَّرِبُ وعليه أبُو أُسيْدٍ الساعِدىّ

بَدْءُ حديث الإفْك

وكان حديثُ الإِفْك[2] . وذلك أَنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نزَل مَنزِلًا ليس معَهُ ماء ، وسقَطَ عِقْدُ عائشةَ رضى الله عنها مِنْ عُنُقِها ، فأقام صلى الله عليه وسلم بالنّاسِ حتى أصْبَحُوا ؛ وضَجِرَ[3] النَّاسُ وقالوا : حَبستْنا عائشةُ . فضاقَ بذلك أبو بكر رضى الله عنه وعاتَبَ عائشةَ عِتاباً شديداً ، ونزلت آيَةُ التيمُّم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان مَنْ قَبْلكم لا يُصلُّونَ إلّا فى بِيَعِهم وكنائسِهِمْ ، وجُعِلَتْ لى الأَرْضُ طهُورًا حَيْثُمَا أَدْرَكَتْنى الصلاة . ونزلت آيَةُ التَّيمُّمِ طلوعَ الفَجْرِ ، فمسح المسلمون أَيْدِيَهم بالأرض ، ثم مَسَحُوا أَيْدِيهُمْ إلى المَناكِب ظَهْرًا وبطْنًا . وكانُوا يَجْمعُون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصَّلاتين فى سفَره .

نزول آية التيمم

ثمّ سارُوا ونزَلُوا موضعاً دَمِثاً[4] طَيِّبًا ذا أَراكٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعائشة ! هلْ لكِ فى السِّباق ؟ قالت : نعمْ ! فَتحزَّمَتْ ثيابَها ، وفعَلَ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استَبَقا ، فسبَق صلى الله عليه وسلم عائشةَ رضى الله عنها ؛ فقال : هذِه بتلْكَ السَّبقَةِ التى كنتِ سبَقْتِنى. وكان جاء إلى مَنْزِلِ أبى بكرٍ رضى الله عنه ، ومع عائشةَ شىء فقال : هَلُمِّيه ! فأَبَتْ وسعَتْ وسعَى فى أَثَرِها فَسبقَتْهُ[5] . خرّج أبو داود من حـديث هِشَام بن عُرْوَة عن

مسابقة رسول الله عائشة

(١) السوائم جمع سائمة : وهى الإبل الراعية
(٢) الإفك : الكذب العظيم الموبق
(٣) فى الأصل : « ضحى »
(٤) الدّمث : الوطىءُ الليّن
(٥) هلمّية : هاتيه ، وسعت : جرتْ

أبيه، وعن أبى سلَمَة عن عائشة أنها كانت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفرٍ: فَسابقتُهُ فَسبقتُهُ على رِجْلى، فلما حَمَلْتُ اللَّحم سابقتُهُ فَسبَقَنى، فقال: هذه بتلك السَّبْقَةِ. وخرَّجه ابن حِبَّان به ولفظُه: سابَقَنى النبىُّ صلى الله عليه وسلم فسبقتُهُ، فلَبِثْنَا حتَّى إذا أَرْهَقَنى اللَّحْمُ سابقَنى النبىُّ صلى الله عليه وسلم فسَبَقَنى، فقال: هٰذه بِتِلْكَ. وكانت هٰذه الغزْوَة قَبْلَ أنْ يُضْرَبَ الحِجَابُ

تخلّف عائشة ومجىء صفوان « وحديث الإفك »

وكان يَرْحَلُ بعيرَ عائشةَ رضى الله عنها أبُو مُوَيْهِبَةَ[1] ورجلٌ آخرُ، وكانت تقعدُ فى هَوْدَجٍ، فَحَمَل الهودج وهو يظنُّها فيه — لخفَّة النساء يومئذٍ من قلَّة أكلهنَّ — وساروا وقد ذهبتْ عائشةُ لحاجتِها وتجاوَزَت العسكرَ، وفى عُنقها عقْدٌ من جزْعِ ظَفَارِ[2] فانسلَّ من عُنُقِها ولا تدرى به، فرجَعتْ تلتمسُهُ حتى وجدَتْه، ثم عادت وليس فى العسكر أحَدٌ، فاضْطَجَعت ونامت، فجاء صَفْوانُ بن المُعطَّل بن رُبَيْضَةَ بن خُزَاعىّ بن مُحارب بن مُرَّة بن فالج[3] بن ذَكْوان بن ثعلبة بن بُهْثَة ابن سُلَيْم السُّلَمِىُّ ثم الذَّكْوانىُّ أبُو عمرٍو — وكان فى الساقةِ — فاسْترْجع لما رآها، فاستَيْقظت وخمَّرَت[4] وجهها بمِلْحَفتِها. فلمْ يكلِّمها، وأناخ بَعيرَه وولَّى عنها حتى رَكِبَتْ، وقاد بها حتى أتى العَسكر. فقال أصحابُ الإفْكِ — وكبيرُهم عبدُ الله ابن أُبَىّ ابن سَلُول — ما قالوا، حتى بلَغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيَّر لعائشة وهْى لا تَشْعُرُ، حتى أعْلمتها أُمُّ مِسْطَح ابنةُ أبى رُهْمِ بن المطَّلب بن عبد مَناف بن قُصَىّ، وكانت أُمُّها خالةَ أبى بكر رضى الله عنه. فأتَتْ أبَوَيْها

(١) فى الأصل: « أبو مويهبه »

(٢) فى الأصل: « أظفار »، وظَفَار: مدينة باليمن قريبة من صنعاء؛ والجزْع: خرز يمانى كريم فيه بياض وسواد مقطَّع

(٣) فى الأصل: « فالع »

(٤) خمَّرت وجهها: غطَّته بخمارها

لِتَسْتَيْقِنَ الخبرَ ، فوجدتْ عندها العِلْمَ بما قاله أهلُ الإفْك ، فبكَتْ لَيلتَها حتى أصْبَحَتْ

استشارة رسول الله أصحابه فى فراق عائشة

واستَشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلِيًّا وأُسامةَ فى فِراقِ عائشةَ ، فقال أُسامةُ : هذا الباطلُ والكَذِبُ ولا نَعْلمُ إلّا خيرًا . وقال علىٌّ : لم يُضَيِّقِ اللهُ عليكَ ، والنساءُ كثيرٌ ، وقد أحلَّ اللهُ لك وأَطاب ، فطلِّقْها وأَنكِحْ غيرَها . وخَلا صلى الله عليه وسلم ببَرِيرَة وسَاءَلَهَا فقالتْ : هى أطْيبُ مِن طَيِّبِ الذَّهَب ، والله ما أعلمُ عليها إلّا خيْرًا ، والله يا رسولَ الله لئنْ كانت على غيرِ ذلك ليُخْبِرَنَّك اللهُ بذلك ، إلّا أَنها جارِيةٌ تَرْقُدُ عن العَجين حتى تأْتىَ الشّاةُ فتأْكُلَ عجينَها . وسأَلَ زَينَب بنتَ جَحْش فقالت : حاشَى سَمْعى و بَصَرِى ، ما علمتُ إلّا خيْرًا ؛ والله ما أُكلِّمها ، وإنِّى لَمُهاجِرَتُها ، وما كنتُ أقول إلّا الحقَّ . وسأل أُمَّ أَيْمَنَ فقالت : حاشَى سَمْعى و بصرِى أنْ أَكونَ عَلمتُ أو ظَنَنتُ بها قطُّ إلّا خيْرًا

خطبة النبىّ فى أمر الإفك ، واختلاف الأوس والخزرج

ثم صَعِدَ المِنْبر فحمِدَ اللهَ وأَثنى عليه ثم قال : مَنْ يَعذِرُنى ممَّنْ يُؤذِينى فى أَهْلى ؟ ويقولون لرجُلٍ : واللهِ ما علمتُ على ذلك الرَّجُل إلا خيْرًا ، وما كان يدْخُل بيتاً من بُيُوتى إلّا مَعى . ويقولون عليه غيْرَ الحقِّ ! فقامَ سعدُ بن مُعاذ فقال : أَنَا أَعْذِرُكَ منهُ يا رسول الله ؛ إنْ يكُ من الأوْس آتكَ برأسه ، وإن يكُ من إخوانِنا الخَزْرجِ فمرْنا بأَمْرِكَ يُمضَى لك . فقَام سعدُ بن عُبادة — وقد غضِبَ منهُ — فقال : كَذَبتَ لَعَمْرُ الله ، لا تَقْتُله ولا تَقْدرُ[1] على قَتْله . فقال أُسَيْد بن حُضَير : كَذبتَ ، والله لَيَقْتلنَّهُ وأَنْفُك راغِمٌ . وكادتْ تكونُ فتْنةٌ ؛ فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى الأوْس والخزْرج أنْ أَسكُتُوا ، ونزَل عن المِنبر ، فهدَّأَهم وخفَّضَهُمْ حتى انصرَفُوا

(١) فى الأصل : « لا يقتله ولا يقدر »

دخول رسول الله على عائشة وحديثهما

ودخل على عائشةَ — وقد مكثَ شهرًا قبل ذلك لا يُوحَى إليه فى شأنها — فتشهّد ثم قال : أمّا بعد يا عائشةُ ، فإنّه بلغنى كذا وكذا ، فإن كُنتِ بريئةً يُبرّئْكِ اللهُ ، وإن كُنتِ أَلْممتِ بشىء ممّا يقولُ الناسُ فاستغفرِى اللهَ عزّ وجلّ ، فإنّ العبدَ إذا اعترَف بذنبه ثم تابَ إلى الله تاب اللهُ عليه . فقالت لأبيها : أَجِبْ عنّى رسول الله . قال : والله ما أَدْرى ما أقول وما أُجيبُ به عنك ! فقالت لأمّها : أَجيبى عنّى . فقالت : والله ما أدْرى ما أُجيبُ به ! فقالت : إنى والله قد علمتُ أنكم سَمعتم بهذا الحديث ، فوقَع فى أَنْفُسِكُم فصدّقتُم به ؛ فلئنْ قلتُ لكم إنى بريئةٌ[(١)] لا تُصدّقونى ؛ ولئنْ اعترفتُ لكم بأمرٍ يعلمُ اللهُ أنّى منه بريئةٌ لتُصدّقُنّنى . وإنى والله ما أجدُ لى مَثَلاً إلّا أبا يُوسُفَ إذْ يقولُ : « فَصَبْرٌ جميلٌ وَاللهُ المُستعانُ عَلَى ما تَصفُونَ » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما أعْلَمُ أهلَ بيتٍ من العرَب دخلَ عليهم ما دخلَ على آلِ أَبى بكر ، والله ماقيلَ لنا هذا فى الجاهليّة حيثُ لا نَعبُدُ[(٢)] الله ، فيقالُ لنا فى الإسلام ! وأقبل عليها مُغْضَباً فبكت

نزول القرآن ببراءة عائشة

فغَشِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يغْشاهُ وسُجِّى[(٣)] بثوْبه ، وجُعِلتْ وسادةٌ من أَدَمٍ تحت رأْسِه ، ثمّ كَشَفَ عنْ وَجهه وهُو يضْحَكُ ويمسحُ جَبينَه وقال : يا عائشةُ ، إنّ اللهَ قد أَنْزَل براءتَك . فأنْزَل الله تعالى : « إنّ الّذينَ جاءوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شرًّا لكمْ بلْ هُوَ خيْرٌ لكُمْ لِكلِّ امرِىءٍ منْهُمْ ما اكْتَسبَ مِنَ الإثْمِ والذى تولّى كِبْرَهُ منْهُمْ لَهُ عذابٌ

(١) فى الأصل : « برية »
(٢) فى الأصل : « لا يعبد »
(٣) سُجّى : غُطّى

عظيمٌ» (النور : ١١)(١). فخرج صلى الله عليه وسلم إلى الناس مسرُورًا ، فصعد المِنبر وتلا على النّاسِ ما نُزِّلَ عليه فى براءةِ عائشة رضى الله عنها . ويُقال : كان نزُول براءةِ عائشة رضى الله عنها بعدَ قُدومهم المدينة بسبعٍ وثلاثين ليلةً

أصحاب الإفك

وكان الذين خاضُوا فى الإفْك مع ابنِ أُبَىّ : مِسْطَحُ بن أُثاثةَ ، وحسَّان بن ثابت ، وحَمْنَةُ بنت جحْشٍ ، فضرَبهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحَدَّ . قال الواقدى : وقيل لمْ يضربْهُم ، وهو أثبتُ

إصلاح رسول الله بين الأوس والخزرج

ومكثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أيَّامًا ، ثم أخَذ بيَدِ سَعْد بن مُعاذ فى نَفر حتى دَخَل على سَعْد بن عبادة ومَنْ معه ، فتحدَّثُوا ساعةً ، وقرَّب لهم سَعْدُ بن عبادة طعامًا فأصابُوا منه ، وانْصرفوا . فمكَثَ أياماً ، ثم أخَذ بِيَدِ سعْدِ بن عُبادة ونفرٌ معه ، فانطلقَ به حتى دخَل منزلَ سعدِ بن مُعاذ ، فتحدَّثوا ساعةً ، وقرَّب لهم سعدُ بن مُعاذ طعاماً فأصابُوا [منهُ](٢) ، ثم خرَجوا ، فذهَب من أنْفُسهم ما كانا تقاوَلا من ذلك القوْل

مقالة عبد الله بن أبىّ فى جعيل ابن سراقة

وكان عبدُ الله بنُ أُبَىّ ابنُ سَلُول [وسَلُول أُمُّه ؛ وإنما هو أُبَىُّ بن مالك ابن الحارث بن عُبَيْد بن مالك بن سَالم بن غَنْم بن عمْرو بن الخَزْرج] لمَّا قال : — وذَكَر جُعَيْلَ بن سُرَاقة الغِفَارىّ ، ويقال الضَّمرِىّ ، وجَهْجَاهَ بن مَسعود ؛ ويقال ابن سُعَيْد بن سَعد بن حَرام بن غِفَار الغِفَارِىّ ، وكانَا من فُقَراء المهاجرين — قال : ومثلُ هذَيْن يُكَثِّر على قوْمى ، وقد أنزلْنا محمداً فى ذِرْوة كنانة وعِزِّها ؟ والله لقد كان جُعَيْل يَرْضَى أنْ يَسكُت فلا يتكلَّم ، فصارَ اليومَ يتكلَّم !

(١) فى الأصل إلى قوله : «عصبة منكم ، الآية» . والذى نزّل على رسول الله يومئذ عشر آيات من قوله «إن الذين جاءوا بالإفك» إلى قوله «رءوف رحيم» (النور : من ١١ إلى ٢٠)

(٢) زيادة لا بد منها للسياق

ثم كان من كلامه — في صَفْوان بن المُعطَّل بن رُبَيْعَة (١) بن خُزَاعِيّ بن مُحارب بن مرّة بن فالج (٢) بن ذَكْوان بن ثَعلَبة بن بُهْثة (٣) بن سُلَيْم السلميّ — ما كان ، ورمْيِهِ بالإفْك : قال (٤) حسانُ بن ثابت بن المُنذر بن حَرام بن عَمْرو ابن زَيْد مناة بن عُدَيّ بن عمرو بن مالك بن النجّار الأنصاريّ رضى الله عنه :

مقالته في صفوان

شعر حسّان في صفوان

أَمْسَى الجَلابِيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُرُوا   وابن الفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ البَلَدِ (٥)

في أبيات أُخَر . فجاء صَفْوانُ بن المُعطَّل — بعد ما قَدِموا المدينة — إلى جُعَيْل بن سُرَاقَة فقال : انطلق بنا نَضْرِبْ حسّانَ ، فوالله ما أرَاد غيْرَك وغيْرِي ؛ ولنَحْنُ أقربُ إلى رسول الله منه . فأَبَى جُعَيْلٌ أن يذهبَ إلا بأمرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخرج صَفْوانُ مُصْلِتاً السَّيفَ ، حتى ضرَب حسانَ بن ثابت في نادى قوْمه . فوثَبَ الأنْصار فأَوْثقوه رِباطاً ، ووَلِيَ ذلك منه ثابتُ بن قَيْس ابن شمّاس [بن زُهَير] (٦) بن مالك بن امرئ القَيْس بن مالك الأغرّ الأنصاريّ — فمرّ به عُمارة بن حَزْم بن زَيْد بن لَوْذان بن عَمْرو بن عبْد عوْف بن غَنْم بن مالك ابن النجّار الأنصاريّ (٧) فَخلّى عنه . وجاء به وبحسّان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حسّان : يا رسول الله ! شَهَرَ عليّ السيفَ في نادِي قوْمى ، ثم ضرَبنى لأنْ أَمُوتَ ، ولا أُرانِي إلا ميّتاً من جِراحاتِي ! فقال [صلى الله عليه

خبر صفوان بن المعطّل في ضرب حسان بن ثابت

(١) مضى في ص (٢٠٧) «رُبَيضة» بالضاد ، وكذلك ورد في شرح العيني على البخاري وورد في بعض الكتب « ربَيعة »
(٢) في الأصل : « فالح »
(٣) في الأصل : « بهتة »
(٤) يريدُ : « لما قال عبد الله بن أبي هذه الأقوال — قال حسان ... الخ »
(٥) في الأصل : « قد راعوا وقد كثروا » ، وهذه هي الرواية ، انظر ديوانه ص ١٠٤
(٦) زيادة من نسبه
(٧) في هذا الموضع كرّر الناسخ من قوله « فمرّ به عمارة ... » إلى قوله « بن النجّار الأنصارى » . وفي الأصل بعده : « وجاء به وبثابت »

وسلم][1] لصَفْوان : ولِمَ ضربتَه وحَمَلْتَ السِّلاح عليه ؟ وتَغَيَّظَ صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله ! آذانِي وهَجانِي وسَفُهَ عليّ[2] وحسَدنى على الإسلام ! فقال لحسّان : أَسَفِهت على قوم أَسْلَموا ؟ ثم قال : احبِسُوا صَفْوانَ ؛ فإن مات حسّانُ فاقتُلُوه به . فخرجُوا بصفوانَ ؛ وبلغَ ذلك سَعدَ بن عُبادة ، فأقبَل على قومِه من الخَزْرج فقال : عمَدْتم إلى رجُلٍ من قوم رسول الله تُؤْذُونه ، وتَهجُونَه بالشِّعر ، وتشتمونه ، فغَضِبَ لما قِيل له ، ثم أَسَرتموه أقبح الأَسْر ورسولُ الله بين أَظْهُرِكم ؟ قالوا : فإن رسول الله أمرَنا بحبْسِه وقال : إنْ مات صاحبُكم فاقتُلوه . قال سَعد : والله إنَّ أَحَبَّ الأمرَيْن إلى رسول الله العفوُ ، ولكنَّ رسولَ الله قد قَضى لكم بالحقّ ، وإنّ رسول الله لَيُحِبُّ أنْ يُترَك صَفوان ؛ والله لا أَبرَحُ حتى يُطْلَق . فقال حسان : ما كانَ لى من حقٍّ فهو لكَ . وأَتى قومَه ، فغضبَ قيسُ بن سَعد [بن عُبادة][3] وقال : عجباً لكم ! ما رأيتُ كاليوم ! إن حسّان قد ترَك حقّه وتأبَوْن أنتم ؟ ما ظننْتُ أحداً من الخَزرج يرُدُّ أبا ثابتٍ فى أمرٍ يَهواه ! فاستحيَا القومُ وأَطلقُوا صفوَانَ من الوَثاقِ . فذهب به سَعدٌ إلى بيتِه فكَساهُ حُلّةً ؛ ثم خرجَ به إلى المسجد ليُصلِّيَ فيه ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صفْوانُ ؟ قالوا : نعمْ يا رسول الله ! قال : من كَساهُ ؟ قالوا : سعدُ بن عُبادة . قال : كَساهُ الله من ثِياب الجنّة

حبس صفوان وما كان من أمر سعد فى إطلاقه

ثم كُلِّم بعد حسانُ حتى أَقبل فى قومِه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، كلُّ حقٍ لى قِبَلَ صفْوان بن مُعطَّل فهو لكَ . قال : قد

عفو حسّان عن حقه قِبَل صفوان

(١) زيادة للإيضاح

(٢) سفه عليه : من السفاهة ، أى جهلَ عليه وسبّه

(٣) زيادة للإيضاح

أحسنْتَ وقَبِلْتُ ذلك . وأعطى حسانَ أرضاً بَرَاحاً(١) وهى بَيْرَحا ، وسِيرِينَ أُخْتَ مارِيةَ(٢) . وأعطاهُ سعدُ بن عُبادة حائطاً كان يجُدُّ(٣) مالاً كثيراً ، عِوَضاً بما عفاَ عن حقّه . ويروَى أن حسانَ — لما حُبِس صفوان — أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا حسّانُ أحْسِنْ فيما أصابك . فقال : هو لكَ يا رسول الله ! فأعطاه بَيْرَحَا(٤) وسيرِينَ عِوَضاً

خبر عبد الله بن رواحة وطروق أهله ليلا حتى رابه ما رابه

وكان جابرُ بنُ عبد الله رفيقَ عبدِ الله بنِ رَوَاحَة فى غزوة المُرَيْسِيع ، فأقبلا حتى انتهيَا إلى وادى العَقيق فى وَسَط الليل ، والناسُ مُعَرِّسون(٥) ، فتقدَّم ابنُ رَوَاحة إلى المدينةِ فَطَرق أَهْلَه ، فإذا مع امرأَتِه إنْسانٌ طويلٌ . فظنَّ أنه رجلٌ ، ونَدِم على تقدُّمه . واقتحم البيتَ رافعاً سيْفَه يريد أنْ يضربَهما ، ثم فكَّر وَادَّكرَ ، فغمزَ امرأتَه برجله فاستيقَظَت وصاحتْ ، فقال : أنا عبدُ الله ، فمَنْ هذا ؟ قالت : رحيلة(٦) ، سمِعْنا بقُدُومكم(٧) فدعَوْتُها تُمَشِّطُنى فباتَتْ عندى . فباتَ وأصبح ، فخرَجَ يَلْقى(٨) رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سائرٌ بين أبى بكر الصِّدِّيق ، وبَشِير بن سَعْد بن ثَعْلَبة بن خَلَّاس بن زَيد بن مالك بن ثعلبة ابن كَعب بن الخَزْرج الأنصاريِّ رضى الله عنهما ، فالْتَفتَ صلى الله عليه وسلم

(١) فى الأصل « أرضا براحا » . والبراحُ : الأرض الظاهرة الواسعة لا نبات بها ولا عمران

(٢) أم إبراهيم عليه السلام ، ولد رسول الله

(٣) الجِدادُ صِرامُ النخل ، وهو قطع ثمرها . يقال منه : جدَّ من نخله كذا وكذا وسقاً ، أى أخذ من ثمرتها واقتطع ، وأخرجتْ له ذلك

(٤) فى الأصل : « براحاً »

(٥) عَرَّس المسافرون : نزلوا منزلا يستريحون ، وذلك فى آخر الليل فى وجهِ السَّحر

(٦) هكذا ، ولم أعرف ضبطه ولا صحته ، وهى اسمُ الماشطة التى كانت معها

(٧) فى الأصل : « تقدمكم »

(٨) فى الأصل : « تلق »

إلى بشيرٍ فقال : ياأَبا النُّعمان ، إنَّ وجْهَ عبدِ الله ليُخْبِرُك أنه كَرِه طُروقَ أهلِه . فلمَّا انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسولُ الله : خَبَرَكَ ياأبن رَوَاحة ! فأَخْبَرَه فقال صلى الله عليه وسلم: لا تَطْرُقوا النِّساءَ ليلا . فكانَ ذلك أوَّلَ ما نهى عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

النهي عن طروق النساء ليلا

وكان قُدُومُه صلى الله عليه وسلم من المُرَيْسِيع إلى المدينة لهلالِ رمضان فغابَ شهراً إلا لَيْلَتَيْن

تحرير الخلاف في تاريخ غزوة بني المصطلق

(تنبيه) : قد اخْتُلف في غَزوة المُرَيْسِيع : فذهب الواقديُّ — كما تَقدّم — إلى[1] أنها كانت في شعبان سنة خمسٍ ؛ وقال ابن إسحاق في شعبان من السَّنة السادسة وصحَّحَه جماعةٌ . وفيه إشْكالٌ ، فإنه وقع في الصَّحِيحين وغيرِهما أنَّ المُقَاوِلَ لسعْد بن عُبادة سعدُ بن مُعاذ ، كما تقدَّم عند خُطْبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب أهل الإفْكِ . ولا يختلِفُ أحدٌ في أنَّ سعدَ بن مُعاذ ماتَ إثْرَ قُرَيْظَة ، وقد كانت عَقِب الخَنْدق ، وهي في سنة خمسٍ على الصحيح . ثم حديثُ الإفْك لا يَشُكُّ أحدٌ من علماء الآثار أنه في غَزوة بني المُصطَلِق هذه ، وهي غزوة المُرَيْسِيع . وقد اخْتَلف النَّاسُ في الجواب عن هذا ، فقال موسى بن عُقْبة — فيما حكاهُ البُخَاريُّ عنه — إن غزوةَ المُرَيسيع كانت في سنة أربع ؛ وهذا خلافُ الجمهور . ثم في الحديث ما يَنفي ما قال : لأنها قالت : « وذلك بعد ما نَزَلَ الحجاب » ، ولا خلافَ أنَّ الحجاب نزلَ صَبيحةَ دُخُول رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينبَ بنت جَحْشٍ ؛ وقد سألَ صلى الله عليه وسلم زينب عن شأن عائشةَ في ذلك فقالت : « أَحْمِي سَمْعِي وبَصَرِي » . قالت عائشةُ : « وهي التي كانت تُسَامِيني من أزْوَاجِ النبي صلى الله عليه وسلم » . وقد ذكر

(١) في الأصل : « إلا »

عُلماء الأخبار أنَّ تزويجَه صلى الله عليه وسلم بزَيْنَب كان فى ذى القَعْدة سنة خمسٍ، فبَطَل ما قال موسى بن عُقْبة، ولم يَنْحَلّ الإشكالُ. وقال ابن إسحاق: إنَّ المُرَيسيع كانت فى سنة ستٍّ، وذكر فيها حديثَ الإفك، إلاَّ أنه قال عن الزُّهرى، عن عبيد الله بن عَبْد الله [بن عُتْبة] (١)، عن عائشة، فذكر الحديث — قالَ: فقامَ أُسَيْدُ بن الحُضَيْر فقال: «أنا أَعْذِرُكَ منه»، ولم يذكُرْ سعدَ بن مُعَاذ

قال الحافظُ أبو محمد عليُّ بن (٢) أحمد بن سَعيد بن حَزم: وفى مَرْجع النَّاس من غزوة بنى المُصطَلق قالَ أهلُ الإفك ما قالوا، وأنْزَلَ الله تعالى فى ذلك من براءة عائشةَ رضى الله عنها ما أَنْزل، وقد رَوَينا من طُرُقٍ صِحاحٍ أن سَعْد بن مُعاذ كانت له فى شىء من ذلك مُراجَعةٌ مع سَعد بن عُبادة. وهذا عندنا وَهَمٌ (٣)، لأن سَعد بن مُعاذ ماتَ إثر فَتحِ بنى قُرَيظَة بلا شك، وفتحُ بنى قُرَيظَة فى آخر ذى القَعدة من السنة الرابعة من الهجرة، وغَزوةُ بنى المُصطلِق فى شعبان من السنة السادسة — بعد سنةٍ وثمانية أشهرٍ من موته، وكانَتِ المُقاوَلَةُ بين الرَّجُلين المذكورين بعدَ الرُّجوع من غزوة بنى المصطلِق بأَزْيد من خمسين ليلة.

وذكر ابنُ إسْحاق، عن الزُّهرىّ، عن عُبيْد الله بن عبد الله، وغيره، أنَّ المُقَاوِل لسَعْد بن عادة إنما كان أُسَيْد بن الحُضَيْر؛ وهذا هو الصَّحيح. والوَهَمُ لم يَعْرَ (٤) منه أحدٌ من بنى آدَم. والله أعلم

غزوة الخندق (الأحزاب)

ثم كانت غَزوة الخَندَقِ: وتُسَمَّى الأحْزاب. وهى الغَزَاةُ التى ابتلَى اللهُ

---

(١) زيادة للبيان، ابن هشام ج ٢ ص ٧٣١

(٢) فى الأصل: «باب»

(٣) الوَهَمُ: بالتحريك الغَلَطُ

(٤) فى الأصل. «يصر»، وقوله، يَعْر: يريد لم يَخْل ولم يَبرأ

سُبْحانه فِيها عبادَهُ المؤمنين وزَلْزَلَهُمْ ، وثبَّتَ الإيمانَ فى قلوب أوْليائِه ، وأظْهَر ما كان يُبْطِنُهُ أهلُ النِّفاق وفَضَحهم وقرَّعهم . ثم أنْزَل تعالَى نصْرَه ونصْرَ عَبْدِه ، وهَزَم الأحزابَ وحدَه ، وأعزَّ جُنْدَه ، ورَدَّ الكفرة بغَيْظِهم ، ووَقَى المؤمنين شرَّ كَيْدِهم ، وحرَّم عليهم — شَرْعاً وقدَراً أن يَغزُوا المؤمنين بَعدها ؛ بل جَعلهم المغلُوبين ، وجعل حزبَه هم الغَالبين ، بمنِّه وفَضْله

بدؤها

وكان من خَبَرها : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عَسْكَرَ يوم الثُّلاثاء لثمانٍ مَضَتْ من ذى القَعدة سنة خَمْس ، وقيل : كانت فى شوّال منها ؛ وقال موسى بن عُقْبة : كانت فى سنة أربع ، وصَحّحه ابن حَزم . وقال ابنُ إسحاق فى شوّال سنة خمس ؛ وذكرها البُخاريُّ قبل غَزوة ذات الرِّقاع . واستَعْمَل على المدينةِ ابن أمِّ مكتُوم

سببها

وسببُ ذلك أنّه صلى الله عليه وسلم لمّا أجلى بنى النَّضير ساروا إلى خَيْبَر ، وبها من يهودَ قومٌ أهلُ عدد وجلَد ، وليستْ لهم من البُيوت والأحساب ما لبنى النَّضير . فخرج [سلَّامُ بن أبى الحُقَيْق ، و][1] حُيَيُّ بن أخطب ، وكِنانَةُ ابن أبى الحُقَيْق ، وهَوْذةُ بن قَيْسٍ الوائليّ : من الأوْس ، وأبو عامر الراهب[2] ، فى بضعة عشر رجلًا إلى مكة يدْعون قريشاً وأتباعَها إلى حرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا لقُرَيش : نحنُ معكم حتى نَستأْصِل محمداً ؛ جئْنا لنُحالفَكم على عداوتِه وقتاله . فنَشِطَتْ قُرَيش لذلك ، وتذكّروا أحقادَهم[3] ببدرٍ ، فقال أبو سفيان : مرحباً وأهلًا ! أحبُّ الناسِ إلينا من أعاننا على عداوَةِ محمدٍ .

(١) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٦٦٩

(٢) هكذا هو فى الأصل ، وكلهم يقول فى مكانه « وأبو عمّار الوائلى » . ولم أجد ذكر أبى عامر الفاسق (الراهب) فى حديث بعد خبره يوم أحُد ، إلا خبر موته عند هرقل وذلك عام حجة الوداع

(٣) فى الأصل . « أحفادم »

تعاهد بطون قريش عند الكعبة على قتال المسلمين

وأخرج خمسين رجلًا من بُطون قريش كُلِّها وتحالفوا وتعاقَدوا — وقد ألصقوا أكْبادَهم[١] بالكعبة، وهم بينها وبين أستارِها —: ألَّا يَخْذُل بعضُهم بعضاً، ولَتكونَنَّ كلمتُهم واحدةً على محمدٍ ما بقِي منهم رجل. ثم قال أبو سفيان: يامعْشَر يهود! أنتم أهلُ الكتابِ الأوّلِ والعلْمِ، أخبرونا عمّا أصبحنا [نَخْتَلِفُ] فيه[٢] نحنُ ومحمدٌ، أدينُنا خيرٌ أمْ دينُ محمد؟ فنحن عُمّارُ البيْتِ، وننْحر الكُومَ[٣]، ونَسقِي الحَجِيجَ، ونعْبدُ الأصنام! فقالت يهودُ: اللّهم أنتم أوْلَى بالحقِّ منه؛

خبر اليهود فى نصرة المشركين

إنّكم لتُعَظِّمونَ هذا البيتَ، وتَقومون على السِّقاية، وتنْحَرون البُدْنَ[٤]، وتَعبُدون ما كان عليه آباؤكم، فأنتم أوْلى بالحقِّ منه. فأنزَل الله تعالى فى ذلك «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» (النساء: ٥١)[٥]

الخروج إلى القتال

واتّعدوا لوقْت وقّتوه، وخرجتْ يهودُ إلى غطَفان، وجَعلت لهم تَمر خَيْبَر سَنةً إن هم نَصَروهُم. وتجَهّزتْ قريش، وسَيّرت تدْعو العرَبَ إلى نَصرها،

(١) فى الأصل. «أكابدهم». الكبدُ من باطن، وموضعها من ظاهر يسمَّى «كبداً» أيضاً، وفى الحديث «فوضع يده على كبِدى» وإنما يريدُ: وضعها على ظاهر جنبي مما يلى الكبد. وكذلك هذا، فهم ألصقوا جنوبهم من جهة أكبادهم، وتلك كانت عادتهم فى إعظام اليمين

(٢) فى الأصل: «أخبرونا عما أصبحنا نحن فيه ومحمد»، وهى عبارة هالكة، وهذه هى الجيدة، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٦٦٩

(٣) العمّار جمع عامر. وهو الذى يعمُر البيتَ ويقوم عليه، واسم ذلك العمارة، وقد كانت تستطيل بها قريش، فأنزل الله تعالى: «أجعلتمْ سِقايةَ الحاجِّ وعمارةَ المسجدِ الحرام كمن آمنَ بالله واليوم الآخر وجاهدَ فى سبيلِ الله لا يستوون عندَ الله، والله لا يهدِى القوم الظالمين» (التوبة: ١٩). والكومُ جمعُ كوماء: وهى الناقة المشرفة السنام العاليتُه

(٤) البُدْن جمع بَدَنة: وهى من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم، تهدى إلى مكة لتنحر، وسميت كذلك لأنهم كانوا يسمنونها فتكون بادنة

(٥) الآيات التى نزلت فى شأنهم فى سورة النساء من (٥١) إلى (٥٥)

الأحزاب ومنازلهم

وألَّبوا(١) أحابيشَهم(٢) ومن تبِعَهم . وأتت يهودُ بنى سُلَيْم فوعدوهم السَّيْرَ معهم ؛ ولم يَكُن أحدٌ أسرعَ إلى ذلك من عُيَيْنَةَ بن حِصن بن حُذَيفة بن بَدر بن عمرو ابن جُرَيَّة(٣) بن لَوْذان بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان [ويقال له ابنُ اللَّقيطة : يعنى لا تُعْرَف له أمٌّ](٤) الفَزاريّ . وخرجت قريشٌ ومن تبِعها من أحابيشها فى أربعةِ آلافٍ ، وعقدوا اللواء فى دار النَّدْوَة ، وحمله عثمان بن طَلْحةَ بن أبى طَلْحة ، وقادوا معهم ثلاثمائة فَرَسٍ وكان معهم ألفُ بعيرٍ وخمسمائة بعير . ولاقتْهُمْ سُلَيم بمَرِّ الظَّهْران فى سبعمائة ، يقودهم سُفْيان بن عبدِ شمس [حليفُ حَرْب بن أُمَيَّة وهو](٥) أبو أبى الأعور السُّلَمِيّ الذى كان مع معاويةَ ابن أبى سفيان بصِفِّين . وكان أبو سفيان بن حرب قائدَ قريش . وخرجتْ بنو أَسَدٍ وقائدُها طُلَيْحة بن خُوَيلِد الأَسَدِيّ . وخرجتْ بنو فَزارة فى ألفٍ يَقودهم عُيَيْنة بن حِصن . وخرجت أَشْجَعُ فى أربعمائة يقودهم مَسْعود بن رُخَيْلة ابن عائذ بن مالك بن حُبَيْب بن نُبَيْح بن ثَعلبة بن قُنفُذ بن خَلاوة بن سُبَيْع بن

(١) فى الأصل : « وألبوا »

(٢) حُبْشِىّ جبل بأسفل مكة ، اجتمع عنده فى الجاهلية بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة فحالفوا قريشاً ، وتحالفوا بالله : إنا ليد على غيرنا ما سجا ليلٌ ووضح نهار ، وما أرسى حُبشى مكانه . فسمى هؤلاء « أحابيش قريش » باسم الجبل

(٣) فى الأصل : « جوثة »

(٤) اللقيطة : هى أم حصن بن بدر وإخوته — وهم خمسة : حصن ، ومالك ، ومعاوية ، وورد ، وشريك — واسمها « نضيرة بنت عُصيم بن مروان بن وهب بن بغيض بن مالك ابن سعد بن عدىّ بن فزارة » ، ويُقال فى خبر تلقيبها باللقيطة أخبار ، أجودها أن حُذيفة ابن بدرٍ التقطها فى جوارٍ قد أضرَّت بهنَّ السَّنة — الجدبُ — فضمها إليه ، ثم أعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوَّجها . وأما قول المقريزى ، ولا أدرى من أين نقله ؛ فهو خطأ ، فاسدُ التوجيه فى العربية ، وإلاّ فهو اللقيط

(٥) زيادة للبيان من ابن سعد ج ٢ ص ٤٧

بكر بن أشجع بن رَيث[١] بن غطفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان[٢] [وقال ابن إسحاق : هو مِسْعر بن رُخَيلة بن نُوَيرة بن طَرِيف بن سُحْمة[٣] بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع] . وخرجت بنو مُرّة فى أربعمائة يقودهم الحارثُ [بن عَوْف][٤] بن أبى حارثة بن مرّة بن نُشْبة بن غَيْظ بن مرّة بن عوف [بن سعد][٤] بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غطفان ؛ وقيل لم يحضُر بنو مرّة . وكانوا جميعاً عشرة آلاف ، [وأقبلت قريشٌ فى أحابيشها ومن تبعها من بنى كنانة][٥] حتى نزلت وادى العقيق ، ونزلت غطفان بجانب أُحُد ومعها ثلاثمائة فرس . فسرّحت قريش رِكابها فى عِضاه[٦] وادى العقيق ، ولم تجد لخيلها هُناك شيئاً إلّا ما حملت من علفها ، وهو الذُّرة . وسرّحت غطفان إبلها إلى الغابة فى أثلها وطَرْفائها[٧] . وكان الناسُ قد حصدوا زرعهم قبل ذلك بشهر . وأدخلوا حصادهم وأتبانهم . وكادت خيلُ غطفان وإبلُها تهلِك من الهُزال . وكانت المدينةُ إذ ذاك جديبة

مشورة رسول الله حين بلغه خبر خروج الأحزاب . وإشارة سلمان بحفر الخندق

وكانت خُزاعة عند ما خرجت من مكة : أتى رَكْبُهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — فى أربع ليالٍ — حتى أخبروه ، فندَب الناسَ وأخبرهم خبرَ عدوِّهم ، وشاوَرَهم : أيبرُزُ من المدينة ، أم يكونُ فيها ويُخَنْدِقُ عليها ، أم يكونُ قريباً والجبلُ وراءهم ؟ فاختلفوا . وكان سلمان الفارسىُّ يرى رسولَ الله صلى الله عليه

(١) فى الأصل : « أيت »
(٢) فى الأصل : « غيلان »
(٣) فى الأصل : « سمحة » ، ابن هشام ج ٢ ص ٦٧٠
(٤) زيادة لا بد منها ، من نسبه
(٥) زيادة لابد منها يقتضيها السياق ، واعتمدنا فى تحريرها على ابن هشام ج ٢ ص ٦٧٣
(٦) العضاهُ : ضروب من الشجر عظام لها شوك ترعاهُ الإبل فيؤذى شفاهها
(٧) الأثل والطرفاء : شجران متشابهان ، ليس لهما شوك

وسلم يَهُمُّ بالمُقام بالمدينة — ويُرِيدُ[١] أن يَترُكهم حتى يَرِدُوا ، ثم يُحارِبهم على المدينة وفى طُرُقها — فأشار بالخَنْدَق فأعجبَهُم ذلك ، وذكَروا يوم أُحُدٍ فأحبُّوا الثباتَ فى المدينة . وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجِدِّ ، ووعدَهم النَّصْرَ إن هم صَبرُوا واتَّقوْا وأمرَهم بالطَّاعة

خبر حفر الخندق

وركِبَ فرساً له — ومعه عِدَّةٌ من المُهاجرين والأنصار — فَارْتَادَ موضعاً يَنْزِلُه ، وجَعَلَ سَلْعاً[٢] خَلْفَ ظهرِه ، وعَمِلَ فى [حَفرِ][٣] الخندق ليُنَشِّطَهم ، وندَبَ النَّاس وخبَّرهم بدُنُوِّ عدُوِّهم ، وعيَّنَ حَفْر الخنْدق فى المَرَاد[٤] وعَسكَرَ بهم إلى سَفْح سَلْع . فتبَادَرَ المسلمون فى العَمَل ، وقد استعارُوا من بنى قُرَيْظَة آلةً كثيرةً — من مَساحِى وكَرازِينَ ومَكاتِلَ[٥] — للحَفْر فى الخندق ؛ ووكَّل صلى الله عليه وسلم بكلِّ جانبٍ من الخَنْدق قوماً يحفِرُونه . وكان الشَّبابُ ينقلُون الترابَ ، ويخرُجُ المهاجرونَ والأنصارُ فى نَقْلِ التراب وعلى رُءوسهم المَكاتِل ، ويرجِعون بها بعد إلقَاء التُّرابِ منها وَقدْ مَلاوهَا حِجارةً من جبل سَلْعٍ : وهى أعظَمُ سِلاحِهم ، يَرْمُونَ بها

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحْمل التُّراب فى المكاتِلِ والقوْمُ يَرْتَجِزون[٦] ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

هَذَا الجمَالُ لا جمَالُ خَيْبَرْ   هٰـــذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ

(١) هذا الحرف فى الأصل مما يقرأ بين « يريد » و « يدبّر » ، فأثبتنا الأولى
(٢) سلع : جبل قريب من المدينة
(٣) زيادة للإيضاح
(٤) فى الأصل : « المزاد » ، والمراد : الموضع الذى ارتاده لهم لحفر الخندق
(٥) المساحى جمع مِسحاة : وهى المِجْرَفة من حديد . والكرازينُ جمع كِرزين : وهى الفأس لها رأس واحد . والمَكاتِلُ جمع مِكتل : وهو الزِّنبيلُ أو القُفَّة
(٦) أى يترنَّمون بالرَّجَز من أوزانِ الشعر

أخبار المسلمين يوم حفر الخندق

وجَعَل المسلمُون إذَا رَأَوْا من الرَّجُل فُتُوراً ضَحِكوا منه . وتَنَافَس الناس فى سَلْمَانَ الفارسىّ ، فقال المهاجرون : سَلْمَانُ مِنَّا — وكان قَوِيًّا عارفًا بحفر الخنادق — وقالت الأنصارُ : هُو منَّا ونحن آخِرَتُه(١) . فقال صلى الله عليه وسلم : سلمانُ منَّا أهلَ البَيْتِ . ولقد كان يَعملُ عَملَ عشرة رجالٍ حتى عانَهُ(٢) قيسُ ابن أبى صَعْصَعة فَلُبِطَ به(٣) فقال صلى الله عليه وسلم : مُروهُ فَلْيتَوَضّأ ، ولْيَغْتَسلْ به ؛ ويَكْفَإ الإناءَ خَلْفَه ؛ ففَعَلَ فكأنما حُلَّ من عِقَالٍ . وجعل لسَلْمان خمس أذْرُعٍ طُولاً وخمساً فى الأرض فَرَّغَها وحدَهُ وهو يقول : اللّهُمّ لاَعَيْشَ إلاّ عَيْشُ الآخرة . وحَفَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَمَلَ التُّرابَ على ظَهْره . وفى حديث سُلَيمان التَّيْمِىّ ، عن أبى عثمان النَّهْدى : أنّه عليه السلام حين ضَرَبَ فى الخَندق قال :

بسم الله وبه بدينـــا ولو عبَدْنا غيره شَقِينا

حبذا ربًّا وحبذا دينا(٤)

وكان بنو سَلِمَةَ ناحيةً يَحفِرونَ ويَرتجزون ، فعزَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على كَعْبِ بن مالك ألاّ يَقُول شَيْئاً ، وعزَمَ عَلَى حَسَّان بن ثابت ، وقال : لا يغضب أحدٌ مما قال صاحبُه ، لا يريد بذلك سوءا ، إلا ما قال كعبٌ وحسَّان فإنهما يَجدانِ ذلك(٥)

(١) فى الأصل : « إخوته » ، وآخرته : يريدون أنهم كانوا آخر من نزل بهم بعد تطوافه فى بلاد الله

(٢) عانَ الرَّجلَ يعينه عيناً : أصابه بالعين حَسَداً

(٣) يقال ، لُبِط بفلانٍ : إذا صُرِع من عينٍ أو حمّى أو أمرٍ يغشاهُ مفاجأة

(٤) هذا كلام لم أجده فيا بين يدىّ من أصول الكتب ، ولا أدرى ما هو

(٥) هذا خبر ناقص مضطرب ، ولم أعرف أصله ولا كيف سِياقه

تغيير اسم جُعَيْل وتسميته (عمراً)

وكان جُعَيْل بن سُرَاقة رجلا صالحا ، وكان [اسمه] [١] ذَميما قبيحاً ، وكان يعمل فى الخَندق ، فغيَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمه يومئذٍ وسمّاه عَمراً ؛ وجعل المسلمون يرتجزون ويقولون :

سمّاهُ مِن بَعد جُعَيلٍ عمرًا وكان للبَائسِ يَومًا ظهرًا

سبب النهى عن أن يروّع المسلم أو يؤخذ سلاحه

وكان زَيد بن ثابت بن الضَحَّاك الأنصاريُّ فيمن ينقُل الترابَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمَا إنه نعمَ الغُلام ! وغلبَته عيناه فنام فى الخَندَق — وكان القُرُّ شديداً [٢] — فأخذ عُمارة بن حَزْم سلاحَه وهو لا يشعُر ؛ فلما قام فَزِعَ . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا رُقاد ! نِمْتَ حتى ذهَب سِلاحك ! ثم قال : مَنْ له علْمٌ بسلاح هذا الغُلام ؟ فقال عمارة : يا رسول الله ، هو عِندِى . فقال : فَرُدَّه عليه . ونهى أنْ يُرَوَّعَ المسلم ، و[لا] [٣] يُؤخَذَ مَتَاعُه [جادًّا ولا] [٣] لاعبًا

ولم يتأخَّرْ عن العملِ فى الخَندق أحدٌ من المسلمين ؛ وكان أبو بكرٍ وعمر رضى الله عنهما يَنْقُلانِ التُّرابَ فى ثيابهما من العَجَلَةِ ، إذْ [٤] لَمْ يَجِدَا مكاتِلَ — لعَجَلَةِ المسلمين — ؛ وكانا لا يَتفرّقان فى عَمَلٍ ولا مَسِيرٍ ولا مَنْزِلٍ . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم وهو يَعمل فى الخندق :

اللهُمَّ لوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَــدَّقْنَا وَلَاصَلَّيْنَا
[فأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إنْ لَاقَيْنَا

(١) زيادة يقتضيها السياق ، وجعيل : تصغيرُ جُعَل : وهو شبيه بالخنفساء ، يتتبّع القَذَر يعكفُ عليه

(٢) القرُّ : البرْد

(٣) زيادة للسياق ، من الإصابة فى ترجمة « زيد بن ثابت »

(٤) فى الأصل : « إذا »

إنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا](١)

يردِّد ذَلك

خبر نبوءته عن الفتوح يوم حفر الخندق

وضَرَبَ بالكِرْزِينِ فصادَفَ حَجراً فَصَلَّ(٢) الحَجَر ، فضَحِك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل : مِمَّ تَضْحَكُ يا رسولَ الله ؟ قال : أَضْحَكُ من قومٍ يُؤْتَى بهم من المَشْرِقِ فى الكُبُولِ(٣) ، يُسَاقُون إلى الجنَّة وهُمْ كارهون . وضربَ عُمَرُ بن الخطّاب رضى الله عنه بالمِعْوَل فصادف حَجَرًا صَلْدًا ، فأَخَذَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منه المِعْول فضرب ضَرْبةً فذهبتْ أَوّلُها بَرْقَة إلى اليمن ، ثم ضَرَب أُخْرى فذهبتْ بَرْقَةً إلى الشَّأْم ، ثم ضَرَب أُخْرى فذهبت برقةٌ نحو المشرق ، وكُسرَ الحَجَرُ عند الثّالثة . فقال صلى الله عليه وسلم : إنّى رأيتُ فى الأُولى قُصُورَ اليمن ، ثم رأيتُ فى الثانية قُصُور الشَّأْمِ ، ورأيتُ فى الثالثة قَصرَ كِسرى الأَبْيضَ بالمدائن . وجعل يَصِفُه لسَلْمان فقال : صَدَقْتَ ! والذى بعثك بالحق إنَّ هٰذه لَصِفَتُه ! وأَشهدُ أنَّك رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هـذه فُتُوحٌ يَفْتَحها الله عَلَيْكم بَعْدِى ؛ يا سَلْمان لتَفْتَحُنَّ الشَّأْم ويَهْرُبُ هِرَقْلُ إلى أقصى مملكته ، وتَظْهَرُون على الشَّأْم ولا يُنازِعُكم أَحَدٌ ، ولتفتَحُنَّ اليمن ، ولتَفْتَحُنَّ هذا المشرق ويُقْتَلُ كِسْرى فلا يكون كِسْرى بَعْدَه

ولما كمل الخَنْدَقُ صارت المدينة كالحِصْن ، ورَفَع المُسْلِمون النِّساء والصِّبْيَانَ فى الآطامِ

البركة فى طعام جابر

ورأى جابرُ بن عبد الله رضى الله عنه رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يَحفِر ،

---

(١) زيادة : البخارى ج ٥ ص ١١٠

(٢) صَلَّ الحجر : سمع صوته يتردّدُ فى صَليل الفأسِ

(٣) الكبول ، جمع كَبْل : وهو القيدُ من الحديد أعظم ما يكون

ورآه خَميصاً(١) ، فأتى امرأتَهُ فأخْبَرها ما رأى من خَمَص رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقالت : والله ما عِنْدَنا شيء إلا هـذه الشاةُ ومُدٌّ من شَعيرٍ ، قال : فاطْحَنى وأصْلِحى . فطَبَخُوا بَعْضها ، وشَوَوْا بعضَها ، وخبَزُوا الشَّعير . ثم أتَى جابرٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ! قد صنعتُ لك طعامًا فأتِ أنتَ ومَن أحْبَبْتَ من أصْحابِك . فشَبَّكَ صلى الله عليه وسلم أصابعَه بين أصابع جابرٍ ثم قال : أجيبوا جابراً يَدْعُوكم . فأقْبَلُوا معه ، فقال جابر فى نفسه : والله إنَّها الفَضِيحةُ ! وأتَى المرأةَ فأخْبرها فقالت : أنْتَ دَعَوتَهم أوْ هُو ؟ فقال : بَلْ هُو دَعَاهم ! قالت : دَعْهُم ، فهو أعْلَمُ . وأقْبَـل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأمَرَ أصحابه ، وكانوا فرقا : عشرةً عشرةً . ثم قال لجابر : أغْرِفُوا وغطُّوا البُرْمَةَ ، وأخْرجوا من التَّنُّور الخُبزَ ثم غطُّوه . ففعلُوا ، وجعلوا يغرُفُون ويُغَطُّون البُرْمة ثم يَفْتَحُونها فما يَرَوْنَها(٢) نَقَصَتْ شيئاً ؛ ويُخْرِجون الخُبزَ من التَّنُّور ويُغطُّونه فما يرونَه يَنْقُص شيئاً ، فأكلُوا حتَّى شبِعُوا ، وأكل جابرٌ وأهلُه

عرض الغلامان وإجازتهم

وعَرَضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الغِلْمانَ وهو يَحفِرُ الخَنْدَق ، فأجازَ مَنْ أجازَ وردَّ مَنْ ردَّ . فكان ممن أجازَ [عبدُ الله](٣) بن عمر [بن الخطّاب](٣) ، وزيدُ بن ثابت ؛ والبَرَاء بن عَازب(٤) ؛ وما منهم إلَّا ابنُ خمسٍ عشرة سَنَة . وكان الغلمانُ الذين لم يبلغوا يعملون مَعَه ثم أمَرَهم(٥) فرَجَعُوا إلى أهلِيهم

عدّة المسلمين يوم الخندق

وكان المسلمون يومئذٍ ثلاثةُ آلاف ؛ وزعم ابنُ إسحاق أنَّه إنما كان فى سَبْعمائة ؛ وهذا غلطٌ . وقال ابن حزم : وخرَجَ رسولُ الله — يعنى فى الخندق —

(١) الخَمِيصُ : الضامِرُ البطن من الجوع ، والخَمَص : ضُمْر البطن من الجوع
(٢) فى الأصل : « يروها »
(٣) زيادة للإيضاح
(٤) وكذلك قال ابن هشام فى خبر أُحُد ج ٢ ص ٥٦٠
(٥) فى الأصل : « أمر بهم »

فى ثلاثة آلافٍ ، وقد قيل فى تسعمائة فقط ؛ وهو الصحيح الذى لا شك فيه ؛ والأوّلُ وَهَم

اجتهاد رسول الله فى العمل يوم الخندق

ومن شِدّة اجتهادِه صلى الله عليه وسلم فى العَمَل : كانَ يَضرِبُ مَرّةً بالمِعْوَل ومَرّةً بالمِسْحاةِ يَغرف بها التُّرابَ ؛ ومرةً يحمل التُّراب فى المكتل . وبَلَغ يومًا منه التَّعَبُ مبلغًا فجلس ؛ ثُمّ اتكأ على حَجَرٍ بشقّه الأيسر فنام ، فقامَ أبو بكر وعُمَر رضى الله عنهما عَلَى رأسه يمنَعانِ النّاسَ أن يمرّوا به فيُنَبّهوه ؛ ثم فَزِع وَوثَبَ فقال : ألَا أفزَعتُمونى ! وأخذ الكرْزين يضربُ به وهو يقول : اللّهُمّ إنّ العَيْشَ عَيْشُ الآخرة ، فاُغفِر للأنصارِ[1] والمُهاجِرة ؛ اللّهُمّ الْعَن عَضَلاً والقَارة . فهُمْ كلّفُونى أنقُلُ الحجارَة[2] . وفرغَ حَفْرُ الخنْدق فى ستّة أيامٍ

مواقف المسلمين

وعَسْكر فجعل سَلْعًا خلفَ ظَهْره والخندق أمَامَه . ودَفَع لواء المهاجرين إلى زَيد بن حارثة ؛ ولواء الأنصار إلى سَعْد بن عُبَادة . وضرب له قُبّةٌ من أدَمٍ . وعاقَبَ بين ثلاثٍ من نسائه ؛ وكانت عائشةُ أياما ؛ ثم أمُّ سَلَمة ؛ ثم زَينَبُ بنت جَحْشٍ ؛ وبَقِيّةُ نسائه فى الآطامِ

خبر حيى بن أخطب وأبى سفيان

وكان حُيَىُّ بن أخطب يقولُ — لأبى سُفيان بن حَرْب ولقريش فى مسيره معهم — : إنّ قومى قُرَيْظَةَ معكم ، وهم أهلُ حَلْقَة وافرَةٍ ، وهم سبعمائة مُقاتلٍ وخمسون مُقاتلاً . فلَمّا دَنَوْا قال له أبو سفيان : إئتِ قومَك حتى ينقُضُوا العهدَ

عهد بنى قريظة

الذى بينهم و بين محمّدٍ . فأتى بنى قُرَيظَةَ — وكانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِم المدينةَ صالَح قريظة والنَّضِيرَ ومن معهم من يَهُودَ ألاّ يَكُونوا مَعه ولا

---

(١) فى الأصل : « لى الأنصار »

(٢) هكذا رَوى ! وقد روى الثّقاتُ ، ولم يذكروا هذا الكلام من قوله : « اللهم العن ... » الخ ، وهو كلام هالك ليس بشىء

عَليه ؛ ويقالُ : صالَحهم على أنْ ينصُروه مِمَّنْ دَهَمَهُ(١) ، ويُقيموا على مَعَاقِلِهم(٢) الأُولى التى بين الأوْس والخزْرج — فأتَى كعْبَ بن أسَدٍ ، وكان صاحِبَ عَقْد بنى قُرَيظَةَ وعَهْدِها(٣) . فـكَرِهت قريظة دُخولَ حُيَيِّ بن أخطب إلى دارهم ، فإنَّه كان يُحِبُّ الرياسة والشَّرَف عليهم ، وكان يُشَبَّهُ بأبى جَهْلٍ فى قريش(٤) . فلقيَه عزَّالُ بن سَمَوْأَل(٥) أوَّلَ النَّاس ، فقال له حُيَيٌّ : قد جئتُك بما تَسْتَرِيحُ به من مُحَمَّد ، هذه قريشٌ قد دَخَلت وادى العَقيق ، وغطَفانُ بالزُّغابة ! فقال عزَّال(٥) : جِئْتَنَا والله بِذُلِّ الدَّهر ! فقال : لا تَقُلْ هذا ! ثمَّ أتَى كعبَ بنَ أسَد فقال له : إنكَ امرُؤٌ مَشئومٌ ، وقدْ شأَمْتَ(٦) قومَكَ حتى أهلكتَهُمْ ، فارجِعْ عنَّا ! فما زال به حُيَيٌّ حتى لانَ له ونَقَضَ العَهدَ ، وشَقُّوا الكتابَ الذى كتبَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم [بَينَهُ وَ](٧) بينهم ، واستدعى رُؤَسَاءَهم — وهم : الزُّبَيْرُ بن بَاطَا ، ونبَّاشُ بن قَيْس ، وعَزَّال بن سَمَوْأَل(٥) ، وعُقْبة بن زيد ، وكَعْب ابن زيد — وأعْلَمَهم بما صَنَع من نَقضِ العَهد ؛ فَلَحَمَهُ(٨) الأمرُ لِما أراد الله بهم من هَلاكِهم .

نقض بنى قريظة العهد وبجاهرتهم بالعداوة

فبَيْنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قُبَّته ، — والمسلمون على خَنْدقهم يَتَنَاوبونَه ، معهم بِضْعٌ وثلاثون فرَساً ، والفرسانُ يَطُوفون على الخندق — إذْ

(١) فى الأصل : « دهمه منهم » ، ودهمه : غشيه وفاجأه

(٢) معاقلهم جمع مَعقُلة : أى على مراتب آبائهم ، وأصل ذلك من المعاقل التى هى الدِّيات ، وكانت تؤدَّى على المراتب فى الجاهلية

(٣) فى الأصل : فى هذا المكان : « حُيي بن أخطب » ، وهو تكرار لا معنى له

(٤) فى الأصل : « وكان يشبّه فى قريش بأبى جهل » والذى أثبتناه هو عربية الكلام

(٥) فى الأصل : « غزال »

(٦) فى الأصل : « شوم ، وقد شمت »

(٧) زيادة لا بد منها

(٨) لحمه : ضيَّق عليه حتى نَشِب فيه وَلَزِق به . وفى الأصل « لجه »

جاء عُمَر بن الخطّاب رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ! بلغَنى أنَّ بنى قرَيظة قد نقَضَت العهدَ وحَارَبتْ . فاشتدّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : حَسْبُنا اللهُ ونعم الوَكيل . وبعث الزُّبير بن العوَّام رضى الله عنه إليهم لِينْظر ، فعادَ بأنهم يُصْلحون حصونَهم ، ويُدَرِّبون (١) طُرُقَهم وقد جمعُوا ما شيَتَهم ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : إنَّ لكل نبىّ حَوَاريًّا ، وإنَّ حوَاريَّ (٢) الزُّبَيْر . ثم بعث سعدَ بن مُعاذ ، وسعدَ بن عُبادة ، وأُسَيْد بن حُضَيْر لينظرُوا ما بَلَغه عن بنى قُرَيظة ، وأوْصاهم — إن كان حقًّا — أنْ يَلْحَنُوا له [أى يُلغِزُوا] لِئلاَّ (٣) يَفُتّ ذلك فى أعْضَاد المسلمين ويُورثَ وَهنًا . فوَجَدوهم مُجاهرِين بالعَداوة والغَدر ، فتَسَابُّوا . ونالَ اليهودُ — عليهم لَعَائن (٤) الله — من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فسبَّهم سعدُ بن مُعاذ وانصرَفوا عنهم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ماوَراءَكم ؟ قالوا : عَضَلٌ والقَارَة ! [يعنُون غدرَهم بأصحاب الرَّجيع] . فكبّر صلى الله عليه وسلم وقال : أبْشِرُوا بنصر الله وعوْنه

بعثة الزبير بن العوام لاستطلاع خبر بنى قريظة ، وتسميته (حَوارىّ رسول الله)

وانتهى الخبرُ إلى المسلمين ، فاشْتدّ الخوفُ وعظُمَ البَلاء ، ونَجَمَ النِّفَاق وفَشِلَ الناس : وكانوا كما قال الله تعالى « إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ باللهِ الظنونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً » (الأحزاب : ١١) (٥) وتكلَّم قومٌ بكلامٍ

رعب المسلمين يوم الأحزاب

مقالة المنافقين

(١) درَّبَ الطريق : ذلله ووطَّأهُ ، من الدَّرْب وهو الطريق . ولم أجدهُ ، واللغةُ لا تأباه كما قالوا من الطريق طرّق ، ومن الباب بوّب

(٢) فى الأصل : « حَوَارِيّ » ، والذى أثبتناه أجود

(٣) فى الأصل : « لئن لا »

(٤) هكذا بالأصل : يريد جمع لَعْنَة ، وهى لا تجمع إلا على لِعان ولعنات . وأما هذه فعامية

(٥) فى الأصل : إلى قوله تعالى « الحناجر »

قبيح ، فقال مُعتِّبُ بن قُشَيْر [1] [ويقال له ابن بِشر ، ويقال ابن بُشَيْر] بن حُلَيْل [ويقال ابن مُلَيْل] بن زَيد بن [2] العطَّاف بن ضُبَيْعة بن زيد بن مالك ابن عَوْف بن عَمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوْس الأنصاريُّ : يَعِدُنا محمدٌ [أن نأ كُلَ] [3] كُنوزَ كِسرى وقَيصرَ ، وأحَدُنَا لا يَأْمَنُ أنْ يَذْهبَ لحاجَتِـه ! مَاوَعدنا اللهُ ورسوله إلاَّ غُرُوراً !

من أخبار يهود يوم الأحـزاب

وهَمَّت بنو قُرَيظة أنْ يُغيروا على المدينة ليلاً ؛ وبَعَثَ حيَيّ بن أخطب إلى قريشٍ أن يأتيَه منهم ألفُ رجلٍ ومن غطفانَ ألفٌ ، فيُغيروا بهم. فجاء الخبرُ بذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فَعَظُمَ البلاء . وبعثَ سَلَمَةَ بن أسلم بن حَرِيش بن عُدَيّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوْس الأنصاريّ — في مِئتى رجُل ، وزيدَ بن حارثة في ثلاثمائة رجلٍ يَحْرُسون المدينة ويُظهرون التكبير ، ومعهم خَيلُ المسلمين ؛ وكانوا يَبِيتون بالخَندق خائفين ، فإذا أصبحوا أمِنُوا . وكان الخوفُ على الذَّراريّ بالمدينـة من بنى قُرَيظَةَ أشدّ من الخوف من قريشٍ وغَطَفان ، إلا أنَّ الله ردّ بنى قريظة عن المدينة بأنها كانت تُحْرَسُ. وبعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَوَّاتَ بنَ جُبَير بن النُّعْمان ابن أُمَيَّـة بن امرئ القَيس بن ثَعْلبة بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس الأنصاريّ لينظرَ غِرَّةً لبنى قُرَيظَةَ ، فَـكَمَنَ [4] لهم ، فحمله رجلٌ منهم وقد أخَذَه النَّومُ ، فأمْكنَه اللهُ من الرَّجُل وقتَله ؛ ولَحِقَ بالنبى صلى الله عليه وسلم فأخبرَه .

(١) فى الأصل : « قريش »
(٢) فى الأصل : بعد قوله « ابن مليل » ما نصه : [بن الأزعر العطّاف] ، وهو خطأ ، فإن مُليلا هذا ، هو أخو الأزعر ، وكلاهما ابن زيد بن العطّاف
(٣) زيادة من ابن هشام ج ١ ص ٣٥٧ ، ج ٢ ص ٦٧٥
(٤) فى الأصل : « فأ كمن »

وخرجَ نَبّاشُ بن قَيس فى عشرةٍ من اليهود يريد المدينــةَ ؛ فَفطِن بهم نَفرٌ من أصحابِ سَلَمة بن أسْلم فرَمَوْهم حتى هَزَموهم . ومرَّ سَلَمة فيمَن مَعَه فأطافَ بحصونِ يهودَ فخافوه ؛ وظنّوا أنّه البيَاتُ

بنو حارثة الذين قالوا إن بيوتنا عورة

وبَعثَتْ بنو حارثةَ بأوْس بن قَيْظِيّ بن عَمْرو بن زَيد بن جُشَم بن حارثةَ الأنصارِىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إنَّ بُيوتَنَا عَوْرَةٌ ؛ وليسَ دارٌ من دُور الأنصارِ مثــلَ دارنا ؛ ليسَ بيننا وبين غَطَفان أحدٌ يَرُدُّهم عنّا ؛ فأْذَنْ لنَا فلْنَرْجِــع إلى دُوَرنا فنَمنعَ ذَرارينَا ونساءَنا . فأذن لهم صلى الله عليــه وسلم . فبلغَ ســعدَ بن معاذٍ ذلك فقال : يا رسولَ الله ! لاتأْذَنْ لهم ؟ إنّا والله ما أصابَنَا وإيّاهم شِدّةٌ قطُّ إلا صَنَعُوا هكذا . فرَدّهمْ . وقال ابن الــكَلْبىّ : وأبو مُلَيْل[1] بن الأزعر بن زيد بن العَطّاف بن ضُبَيْعة شَهد بدراً ؛ وهو الذى قَالَ : « بُيُوتُنا عَوْرَةٌ » يوم الخَنْدَق . وقال ابن عبد البر : أبو مُلَيْل سُلَيْك ابن الأعزّ[2]

حراسة رسول الله ثلمة يخافها من الخندق

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْتلفُ إلى ثُلْمَةٍ فى الخندق يَحْرُسها[3] ، فإذا آذاه البردُ دخل قُبَّتَه فأدْفأته عائشةُ رضى الله عنها فى حِضْنِها ، فإذا دَفِئَ خرجَ إلى تلك الثُّلْمَةِ يحرُسُها ويقولُ : ما أخْشَى على الناس إلاّ منْها . فبينْنَا هو ليلةً فى حِضْنِ عائشةَ قد دفِئَ وهو يقول : ليتَ رجلاً صالحاً يَحْرُسُنى اللّيلةَ ! فجاء سعدُ بن أبى وقّاصٍ رضى الله عنه فقال : عَلَيْك بهذه الثُّلْمَةِ فاحْرُسها . ونامَ ،

(١) فى الأصل : « وابن مليل »

(٢) ذكره ابن حجر فى الإصابة ، ثم قال : « وأنا أخشى أن يكون هو الذى بعده ، وقع فيه تصحيف وتحريف . وجوّز ابن فتحون أن يكون هو الذى بعده » . « والذى بعده» هو : أبو مليل بن الأزعر

(٣) فى الأصل : « ويحرسها »

وقام صلى الله عليه وسلم ليله فى قُبَّتِهِ يُصَلِّى . ثم خرَج فقال : هذه خَيْلُ المشركين تُطِيفُ بالخَنْدق ! ثم نادى : ياعَبَّاد بن بشر ! قال : لبّيك ! قال : مَعَكَ أحَدٌ ؟ قال : نعَمْ ، أنا فى نفَرٍ حولَ قُبّتِكَ . فبعثَه يُطِيف بالخَنْدق ، وأعلمه بخَيل تُطِيفُ بهم . ثم قال : اللّهُمّ ادفَعْ عنَّا شَرَّهم وانصُرْنا عليهم ، واغلِبْهُمْ لا يَغْلِبُهُمْ غيرُك

نوبة المشركين عند الخندق

وكان المشركون يَتَنَاوَبون بيْنهم : فيَغْدُو أبو سُفيان بن حرب فى أصحابه يوماً ، ويَغْدو خالدُ بن الوليد يوماً ، ويَغْدو عَمْرو بن العاص يوماً ، ويغدو هُبَيْرة ابن أبى وَهبٍ يوماً ، ويغدو عِكْرمة بن أبى جهل يوماً ، ويغدو ضِرَار بن الخطّاب الفِهْرِىّ يَوْماً ، فلا يزالون يُجِيلون خَيْلَهم ، ويتفرّقون مرّةً ويجتمعون مرّةً أُخرى ، ويُنَاوِشون المسلمين ، ويُقَدّمون رُمَاتَهمْ فيرْمون . وإذا أبو سُفيان فى خيلٍ يُطِيفون بمَضِيقٍ من الخَندق ، فرَاماهم المُسلمون حتى رَجَعوا

طلب المشركين مضيقاً من الخندق وردّهم

وكان عَبّاد بن بشر أَلْزَم الناس لقُبّة رسول الله صلى الله عليه وسلم يَحْرُسها . وكانَ أُسَيْد بن حُضَيْر يحرس فى جماعةٍ ، فإذا عَمرو بن العاص فى نحو المائةِ يُرِيدون العُبور من الخَندق ، فرَاماهم حتّى ولّوْا ، وكان المسلمون يَتَنَاوَبون الحِراسةَ ، وكانوا فى قُرٍّ شديدٍ وجُوع . وكان عمرُو بنُ العاص وخالدُ بن الوليد كثيراً ما يَطْلُبانِ غِرّةً ، ومَضيقاً من الخندق يَقْتَحِمَانه ، فكانت للمسلمين مَعَهُما

شعار المهاجرين

وَقَائعُ فى تلك اللّيالى . وكان شِعارُ المُهَاجرين : يا خَيْلَ الله . وجاء فى بَعض اللّيالى عمرُو بنُ عبد [بن أبى قيس] (١) فى خيلِ المشركين ، ومعه مَسعود بن رُخَيْلة (٢) ابن نُوَيرَة بن طَرِيف بن سُحْمَة بن عبدِ الله بن هِلال بن خَلَاوة بن أشجع بن

(١) زيادة للإيضاح ؛ ويقال فيه أيضاً : « عمرو بن عبد وُدّ بن أبى قيس »
(٢) فى الأصل : « دخيلة » ، وانظر ص (٢١٨ — ٢١٩)

رَيْث بن غطَفان فى خَيْلِ غطَفان ، فرَاماهم المسلمون . ولَبِسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم درْعَهُ ومِغْفَرَه ، وركب فَرَسه وخرَجَ ، فصرفَهم الله وقد كَثُرَتْ فيهم الجرَاحة . فرجَع صلى الله عليه وسلم ونام ؛ وإذا بِضِرار بن الخطّاب وعُيَيْنَةَ بن حِصنٍ فى عِدَّةٍ ؛ فرَكِب عليه السلامُ بِسِلاحِهِ ثانياً ؛ فرَاماهم المسلمُون حتّى وَلّوا وفيهم جِرَاحَاتٌ كثيرةٌ

الخوف يوم الخندق وشدة البلاء

قالت أم سلمة رضى الله عنها : شهدتُ مَعَه مشاهدَ فيها قتالٌ وخوفٌ — المُرَيْسِيعَ وخَيبَر ، وكنّا بالحُدَيْبِية ، وفى الفَتْحِ ، وحُنَيْنٍ — لم يَكُنْ من ذلك أتعَبَ لرَسُول الله صلى الله عليه وسلم ولا أخْوفَ عِنْدَنا من الخَنْدَق . وذلك أنَّ المسلمين كانُوا فى مِثْلِ الحَرَجَة ، وأن قُرَيْظة لا نَأْمَنُها على الذَّرَارِىّ : فالمدينةُ تُحْرَس حتَّى الصَّباح ، نَسْمع تكْبير المسلمين فيها حتَّى يُصْبِحُوا خَوْفاً ، حتى ردَّهم الله بغَيْظهم لَمْ[1] ينَالُوا خيْرًا . وقال محمد بن مَسْلَمَة وغيره : كان ليلُنَا بالخنْدق نهارًا ، وكان المشركون يتناوَبُون بينهم ، فيَغْدُو أبوسفيان بن حَرْب فى أصحابه يومًا ، ويغدو خالدُ بن الوليد يوما ، ويَغْدُو عمرو بن العاص يومًا ، ويَغْدُو هُبيرة بن أبى وَهْب[2] يومًا ، ويغدو عِكْرِمةُ بن أبى جَهْل يومًا ، ويَغْدُو ضِرَارُ بن الخطَّاب يوما ، حتى عُظم البلاءُ وخَافَ النَّاس خوفاً شديداً .

رماة المشركين

وكان معهم رُمَاةٌ يُقدِّمونهم إذا غدَوْا ، مُتَفرِّقين أو مُجتمعين بين أيْديهم : وهم حِبَّانُ بن العرِقَة وأبو أُسَامَة الجُشَمِىُّ فى آخرين . فتنَاوَشُوا يومًا بالنَّبْل ساعةً ، وهم جميعاً فى وجْهٍ واحِدٍ وِجَاهَ قُبَّــةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ الله قائمٌ بسلاحِه على فَرَسِه . فرَمى

(١) فى الأصل : « لن »

(٢) فى الأصل : « بن أبى لهب » ، وهو خطأ صرف

إصابة سعد بن معاذ وهى الاصابة التى قتلته

حِبَّانُ بن العَرِقَة سَعْدَ بنَ مُعاذ بسَهْمٍ فأصاب أكحلَه[١] وقال : خُذْها وأنا ابنُ العَرِقَة ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : عَرّقَ اللهُ وَجْهَهُ فِي النَّار . ويقال : بَلْ رَمَاه أبو أُسَامة الجُشَمىُّ

اقتحام المشركين مضيقاً من الخندق ، وقتالهم وردّهم

ثم أجمع رؤساءُ المشركين أنْ يَغْدُوا جميعاً ، وجاءوا يُريدون مَضِيقاً يُقْحِمُون خَيْلَهم إلى النّبى صلى الله عليه وسلّم ، حتى أتَوْا مكاناً ضَيِّقاً أغفله المُسْلِمون فلَمْ تَدْخله خُيُولهم . وعَبرَهُ عِكْرِمة بن أبى جَهْل ، ونَوْفَلُ بن عبد الله المَخْزُومىّ ، وضِرارُ بن الخطاب [هو ضرار بن الخطّاب بن مِرْداس بن كبير بن عَمْرو آكل السَّقْب بن حَبيب بن عمرو بن شَيْبان بن مُحَارب[٢] بن فِهْر بن مَالك الفِهْرىُّ ، أسْلَمَ يومَ الفَتْح] ، وهُبيرةُ ابن أبى وَهبٍ ، وعمرو بن عبدٍ — وقام سائرهم وراء الخَنْدق . فدَعَا عمرو بن عبْدٍ إلى البِرازِ — وكان قد بَلَغَ تِسعين سَنَةً ، وحرّم الدُّهنَ حتى يَثْأر بمحمدٍ وأصحابه — ، فأعطَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًّا رضى الله عنه سَيْفَه وعمّمَهُ وقال : اللّهُمّ أعِنْهُ عليه ! فخرج له وهو راجلٌ وعمرو فارِساً ، فَسخر به عمرو ، ودَنا منه علىٌّ ، فلم يكُن بأسرعَ من أنْ قتَله علىٌّ ، فولّى أصحابه الأدبارَ . وسقَط نَوْفَلُ بن عبد الله عن فَرَسَه فى الخَنْدق ، فرُمِيَ بالحجارة حتى قُتل . ومَرّ[٣] عمرُ بن الخطاب والزُّبير فِي إثْرِ القَوْم فناوَشُوهم ساعةً ؛ وسقطت درْعُ هُبيرةَ بن أبى وَهب ، فأخَذَها الزُّبير رضى الله عنه

تعبئة المسلمين

ثم وَافَى المشركُون سَحراً ، وعَبَّأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه ،

(١) الأكْحل : عِرق فى اليدِ ، يقال له عِرْق الحياة ، ونهرُ البدَن ، وفى كلّ عضو منه شُعبة ، فإذا قُطع لم يرقأ الدّم ، وفى كلّ عضو له اسم على حدة . فهو فى الفخذ النَّسا ، وفى الظّهر الأبهر ... »

(٢) فى الأصل : « مجار »

(٣) يقالُ مرّ فى أثره : أى أسرع

تخلّف المسلمين عن الصلاة يوم الخندق

فقاتلوا يَومهم إلى هَوِيٍّ من اللَّيْل : وما يَقْدرُ رسول الله ولا أحدٌ من المسلمين أنْ يَزُولُوا من مَوضِعِهم ، وما قَدَرَ صلى الله عليه وسلم على صلاة ظُهْرٍ ولا عصرٍ ولا مَغْربٍ ولا عشاء ؛ فجَعَل أصحابه يقولون : يا رسولَ الله ! مَا صَلَّينَا ! فيقول : ولا أنا والله ما صَلَّيتُ ! حتّى كَشَفَ الله المشركين ؛ ورجَع كلٌّ من الفَرِيقين إلى مَنْزِله . وقامَ أُسَيْدُ بن حضَير فى مائتين على شَفِيرِ الخَنْدق ؛ فكَرَّتْ خيلٌ للمشركين يَطْلُبون غِرّةً — وعليها خالدُ بن الوليد — فناوشهم ساعةً ؛ فزَرَقَ[1] وحشيٌّ الطُّفَيلَ بن النعمان [وقيل الطُّفَيل بن مالك بن النُّعمان][2] بن خنْسَاء الأنصارى السُّلَمىَّ بمِزرَاقه ، فقتَله كما قتَل حمزة رضى الله عنه بأُحدٍ

إقامة الصلاة التى شغلوا عنها

فلما صار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى موضِعِ قُبَّتِه أمر بلالاً فأَذَّنَ وأقامَ للظهر ، وأقام بَعْدُ لكلِّ صلاةٍ إقامةً ، فصلَّى كلَّ صلاةٍ كأَحْسَنِ ما كانَ يُصَلّيها فى وَقْتها ؛ وذلك قبل أن تَنْزِلَ صلاةُ الخوْفِ ، [وذلك قوله تعالى : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلهِ قَانتين « ٢٣٨ » ؛ فإنْ خِفْتُمْ فَرِجالاً أَوْ رُكْبَاناً فإذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ » (البقرة : ٢٣٩)][3] . وقال يَومَئذٍ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : شَغَلَنَا المشركون عن صَلاةِ الوُسْطى صَلاةِ العصر ، مَلأَ اللهُ أجْوَافَهم وقبُورَهم ناراً . وفى حديث جابرٍ : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إنما شُغِلَ يومئذٍ عن صلاةِ العصر . وفى حديث أبى سعيدٍ وعبد الله بن مَسعود : أنَّه شُغِلَ يومئذٍ عن أربع صلَواتٍ ، الظُّهرِ والعصرِ والمَغرِبِ والعشاء . وفى مُرسَل سَعيد بن المُسَيَّب : أنّه شُغِل عن

(١) المِزْرَاقُ : رمح قصير ، وزَرَقَ به : رماه به فطعنه

(٢) قال ابن حجر حين ذكر « الطفيل بن النعمان » و « الطفيل بن مالك بن النعمان » : وأنهما اثنان ، وأن الثانى ابن عم الأول

(٣) فى الأصل : « قبل أن تنزل صلاة الخوف فرجالا أو ركباناً ... »

الظُّهْر والعَصْر. فاحْتمل أن يكون كُلُّه صحيحاً، لأنَّهم حُوصِرُوا فى الخَنْدق وشُغلوا بالأَحْزَاب أيَّامًا . ومثلُ حديثِ جابرٍ فى ذلك حديثُ علىٍّ رضى الله عنه ، وهو حديثٌ ثابتٌ من طُرُقٍ عنه ، أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قَال : شَغَلُونا عن صلاةِ الوُسْطَى صلاةِ العَصْر حتى غَرَبَت الشمْسُ ، مَلأَ الله قُلُوبَهم و بُطُونهم — أو بُيُوتَهم — نَاراً

طلب المشركين جيفة نوفل بن عبد الله

وأَرْسلتْ بنُو مَخْزومٍ يطلُبون جِيفَةَ نَوْفَلِ بن عبد الله : يَشْتَرُونها ، وأَعْطَوْا فيها عشرةَ آلافِ درهمٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّما هى جِيفَةُ حِمَار ! وكَرِهَ ثمنَه ، فخَلَّى بَيْنَهم وبَيْنَه . وفى روايةٍ أنَّ أبا سُفْيان بَعَثَ بِدِيَتِه مائةً من الإِبِل ، فأَبَى النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال : خُذُوه ، فإِنَّه خَبيثُ الدِّيَةِ خَبيثُ الجُثَّةِ

اقتتال الطليعتين من المسلمين

وخَرَجتْ طَلِيعَتَان للمسلمين ليلاً فالتقيَا — ولا يَشْعرُ بعضُهم ببعضٍ ، ولا يَظُنُّون إِلَّا أنَّهم العَدُوّ — فكانتْ بينهم جِراحَةٌ وقتلٌ ، ثم نَادَوْا بِشِعارِ الإِسلام « حم لَا يُنْصرُون » ، فكفَّ بَعْضهم عن بعضٍ . وجاءوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جِراحكُمْ فى سَبِيل الله ، ومن قُتِل منكم فإِنَّه شهيدٌ . فكانُوا بَعْدَ ذَلك إذا دَنَا المسلمون بعضُهم من بعضٍ نَادَوْا بِشِعارِهم

خبر الفتى الذى ذهب إلى أهله

وكان رجالٌ يَسْتأْذِنون أن يَطْلُعوا إلى أَهْلِيهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنِّى أَخافُ عليكم بَنِى قُرَيظة . فإِذَا أَلَحُّوا يقولُ : مَنْ ذَهَب منكم فَلْيأْخُذْ سِلاحَه . وكان فَتًى حديثَ عَهْد بعُرْسٍ ، فأَخذ سلاحه وذَهَب ، فإذَا امرأَتُه قائمةٌ بين البَابَيْن ، فهيَّأَ لها الرُّمْحَ لِيَطْعُنَها فقالت : اُكْفُفْ حتَّى ترى ما فى بَيْتِك ! فإذا بِحَيَّةٍ على فِراشِه ، فرَكَزَ فيها رُمْحه فاضْطَربَتْ ، وخَرَّ الفتى مَيِّتاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — لمَّا أُخْبِر بذلك — : إنَّ بالمدينةِ جِنًّا قد

أَسْلَمُوا ، فإذا رأيتُمْ منهم شَيْئًا فَآذِنُوه ثلاثةَ أَيّامٍ ، فإِنْ بَدَا لَكُمْ بعد ذلك فاقتلُوه فإِنَّما هو شَيْطانٌ

جوع المسلمين وخبر البركة فى الطعام

وكان المسلمُون قد أصابَهم مجاعةٌ شَديدةٌ ، وكان أَهْلُوهم يبْعثُون إليهم بما قَدَرُوا عليه ، فأرسلت عَمْرةُ ابنةُ رَواحة ابنتَها بجَفْنةِ تَمْرِ عَجْوةٍ فى ثَوْبها إلى زَوْجها بَشِيرِ بن سَعْد بن ثَعْلَبة الأنصارىّ ، وإلى أخيها عبدِ الله بن رَوَاحة — فوجدتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فى أصحابه فقال : تَعالَىْ يا بُنَيَّةُ ! ما هذا مَعَكِ ؟ فأَخبرَتْه ، فأخذه فى كَفَّيه ونَثَره على ثَوْبٍ بُسِط له ، وقال لجِعَال ابن سُراقَة : اصرُخْ ، يا أَهْلَ الخندق أَنْ هَلُمَّ إلى الغَدَاء . فاجْتمعوا عليه يأكلون منه حتى صَدَرَ أَهلُ الخندق وإنّه لَيَفِيضُ من أَطْراف الثوبِ . وأرسلتْ أُمُّ مُعتِّبٍ الأَشْهَلِيَّةُ[1] بقَعْبة فيها حَيْس[2] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهُوَ فى قُبَّته مع أُمّ سَلَمة ، فأكلَتْ حاجَتَها ، ثم خرج بالقعبة فنادى مناديه : هَلُمَّ إلى عَشَائِه ! فأكل أهلُ الخَنْدَقِ حتَّى نَهِلوا وهى كما هى

موادَعة عيينة بن حصن ثم نقض ذلك

وأقامَ صلى الله عليه وسلم وأصحابُه محصورِين بضعَ عشرة ليلةً حتى اشْتَدَّ الكَرْب ، وقال صلى الله عليه وسلم : اللهمَّ إنّى أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ ؛ اللهم إنَّك إن تَشأْ لا تُعْبَد . وأرسَل إلى عُيَيْنة بن حصْن ، والحارثِ بن عَوفٍ — وهما رئيسَا غَطَفان — أن يجعَل لهما ثُلُثَ ثَمرِ المدينةِ ويَرجِعان بمن مَعَهُما ، فَطَلبا نصفَ الثَّمَر فأبَى عليهمْ إلّا الثُّلُثَ ، فَرَضِيا . وجَاءا فى عشرة من قومِهِمَا حتى تقَارَبَ الأَمْر ، وأُحضِرت الصَّحِيفَةُ والدَّوَاةُ لِيَكْتُبَ عُثْمانُ بن عَفَّان رضى الله عنه الصُّلحَ — وعبّادُ بن بشر قائمٌ على رأسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقنَّعٌ

(١) لم أجد لها ترجمة ولا خبراً

(٢) القعبة : حقة مطبقة يوضَعُ فيها السويقُ والحيْس . والحَيْسُ : من طعامهم متخذ من التمر والسمن والدقيق والفتيت يخلط بعضه ببعض

فى الحديد — ، فأقبل أُسَيْدُ بن حُضَيْر ، وعُيَيْنَةُ مادٌّ رِجْلَيه فقال له : يا عَيْنَ الهِجْرِس(١) ، اقبِضْ رِجلَيْك . أتَمُدُّ رجليكَ بَيْن يَدَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله لولا رسول الله لأنفذتُ حِضْنَيْك بالرُّمح ! ثم قال : يارسول الله صلى الله عليكَ ، إن كانَ أمراً من السَّماء فامْضِ لهُ ، و إن كان غَيْرَ ذلك فوَالله لا نُعطِيهم إلاَّ السيْفَ . مَتَى طَمِعتُم بهذا مِنَّا ؟ فدَعا رسول الله صلى الله عليه وسلم سعدَ بن مُعاذ وسعدَ بن عُبادة فاستَشَارهما خُفْيَةً ، فقالا :(٢) إنْ كان هذا أمراً من السَّماء فامْضِ له ، و إن كان أمراً لم تُؤْمَرْ فِيهِ ولَكَ فيه هَوًى فسمعٌ وطَاعةٌ ، و إن كان إنَّما هو الرأىُ فَما لهم عندَنا إلا السيْف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّى رأيتُ العَرَب رَمَتْكم عَنْ قَوْسٍ واحـدةٍ فقلتُ أُرضِيهم ولا أُقاتلهم . فقالا : يا رسولَ الله ، والله إنْ كانوا لَيأْكلون العِلْهِزَ(٣) فى الجاهلية من الجَهْدِ ، ماطمِعُوا بهذا مِنَّا قطُّ : أن يَأْخُذوا ثمرةً إلا بِشِراء أو قِرًى ! فحِينَ أتانا الله بكَ وأكرمَنا بك ؛ وهَدَانا بكَ ، نُعْطى الدَّنِيَّة ! لا نعطِيهم أبَداً إلا السيْفَ . فقال صلى الله عليه وسلم : شُقَّ الـكِتابَ . فشقَّه سعدٌ ، فقَام عُيَيْنةُ والحارِثُ . فقال صلى الله عليه وسلم : ارجِعُوا ، بيْننا السيفُ — : رافعاً صوْته

خبر نعيم بن مسعود الأشجعى فى تخذيل الأحزاب

وكان نُعَيْمُ بن مَسْعُود بن عامر بن أُنَيف بن ثَعْلبة الأشْجَعِىُّ صـديقاً لبنى قُرَيْظة ، وقَدِم مع قومه من الأحزاب حـينَ أجْدَب الجَنابُ(٤) وهَلَكَ

---

(١) الهِجْرِس : ولد الثعلب ، وقيل ضرب دون الثعلب وفوق اليربوع . ويقال هو القِرْدُ

(٢) فى الأصل : « فقال »

(٣) العِلْهِزُ : وَبَر يخلطُ بدماء الحَلَم والقُراد والإبل ، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . كان أهل الجاهلية يتخذونه فى سنى المجاعة والقحط

(٤) فى الأصل : « حتى أحدب الحباب » ، ولعلّ الذى أثبتناهُ هو الصوابُ . والجنابُ : الناحية والمنزل

الخُفُّ والكُرَاع(١) ، فقذَف اللهُ فى قلْبه الإسْلام . فأَتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيْلًا فأَسْلَمَ ، فأَمرَهُ أنْ يُخَذِّل الناسَ . وأَذِنَ له أن يَقُولَ(٢) . فتوجَّه إلى بنى قُرَيْظَة ، وأشار عليهم أَلَّا يُقَاتلوا مع قريش وغَطَفَانَ حتى يأخُذُوا منهم رُهُناً من أشْرافهم فقبلوا رأْيه ، واستكتَمهم مجيئَه إليهم . ثم جاءَ إلى أبى سُفْيان فى رجالِ قُرَيش ، وأَعْلمهم أنَّ قُرَيظةَ قد ندِمَت على ما كان منها ، وأنَّهم رَاسَلُوا محمداً بأنهم يأخذونَ(٣) من أشراف قريشٍ وغَطَفان سبعين رجُلا يُسْلِمُونهُم(٤) إليهِ ليضْرِبَ أعناقَهم ، حتى يَرُدَّ بنى النَّضير إلى دِيارِهم ، ويكونُونَ معه حتى يردُّوا قريشاً عنه ، وأشَار عليهم أَلَا يُجيبُوا قُرَيظة إلى إعْطاء الرُّهُن ، وسأَلهم كِتْمانَ أَمْرِه . ثم جاءَ إلى غَطفَان وأَعْلَمَهم عن بنى قُرَيْظة بما أعْلَمَ به قريشاً عنهم، وحذَرَهم أن يدفَعوا إليهم رُهُناً . فأرسَلتْ يَهُودُ عَزَّالَ(٥) بن سَمَوْأَل إلى قريش بأنَّ الثَّوَاءَ قد طال ولم يَصْنَعوا شيئاً ، والرأْىُ أن يتواعدُوا على يومٍ تزْحَفُ فيه قريشٌ وغَطَفان وهُمْ ، ولكنَّهم لا يَخْرُجون لذلك معهم حتى يُرْسِلوا إليهم بِرَهائنَ من أشرافِهم ، فإنهم يخافون : إن أصابكمُ ماتكرَهُون رَجَعْتم وتركتُمونا . فلم يرجِعوا إليهم بجواب . وجاءَ نُعيْمٌ إلى بنى قُرَيظة وقال لهم : إنّى عندَ أبى سفيان وقد جاءَهُ رسولُكم يَطْلُبُ منه الرِّهانَ فلَمْ يَرُدَّ عليه شيئاً ، فلما وَلَّى رسولُكم قال : لو طَلَبُوا منى عنَاقاً(٦) ما رهَنْتُها ! فلا تُقاتِلوا معه حتى تأْخُذوا الرُّهُن ؛ فإنكم إن لم تُقاتِلوا محمداً — وانصرفَ أبو سفيان — تكونُوا على مُوادَعتِكم

(١) يريد : هلكتْ مواشيهم وأنعامهم
(٢) أى أن يقول ما يشاءُ إذا طلب الحيلة والخُدْعَة
(٣) فى الأصل : « يأخذوا »
(٤) فى الأصل : « يسلموهم »
(٥) فى الأصل : « غزال »
(٦) العَناق : الأنثى من أولاد المعْزى إذا أتت عليها سنة

الأولى . فلما كان ليلة السبت بعث أبو سفيان بعكرمة بن أبى جهل إلى بنى قريظة أن يخرجوا غداً ليناجزوا محمداً جميعاً ، فقالوا : إن غداً السبت ، لا نقاتل فيه ولا نعمل عملاً ، وإنّا مع ذلك لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهاناً من رجالكم لئلا تبرحوا ، فإنا نخشى إن أصابتكم الحرب أن تشمّروا(١) إلى بلادكم وتدعونا إلى محمد ، ولا طاقة لنا به . فتحققت قريش صدق ما قال لهم نعيم . وأرسلت غطفان إلى بنى قريظة بمسعود بن رخيلة فى رجال بمثل ما راسلهم أبو سفيان ، فأجابوهم بمثل(٢) ما أجابوا عكرمة . فتحققت غطفان وبنو قريظة ما قاله نعيم ، ويئس كلٌّ منهم من الآخر ، واختلف أمرهم

اختلاف الأحزاب

وأخذ أبو سفيان ومن معه يلومون حيىّ بن أخطب ، فأتى بنى قريظة فلم يجد منهم موافقةً له ، وأبوا أن يقاتلوا مع قريش حتى يأخذوا سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهاناً عندهم

دعاء رسول الله على الأحزاب وهبوب الريح عليهم

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على الأحزاب فقال : اللهمّ منزّل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهمّ اهزمهم . وكان دعاؤه عليهم يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، فاستجيب له بين الظهر والعصر يوم الأربعاء ، فعرف السرور فى وجهه . فلمّا كان ليلة السبت ، بعث الله الريح على الأحزاب حتى ما يكاد أحدهم يهتدى لموضع رحله ، ولا يقرّ لهم قدر ولا بناء . وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّى إلى أن ذهب ثلث الليل . وكذلك فعل ليلة قتل كعب بن الأشرف . وكان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه الأمر أكثر من الصلاة

(١) شمّر إلى بلده : تهيأ خفّ فرّ فأسرع السيرَ
(٢) فى الأصل : « بمثل ماما »

خبر الرِّيح، وتفرق الأحزاب ورجوعهم

وبعثَ حذَيْفةَ بن اليَمان رضى الله عنه لِينظُرَ ما فعل القومُ وما يقولون . فدخل عَسكرَهمْ فى لَيلة شديدةِ البَرْد فإذا هُم مُصطَلُون على نارٍ لهم والرِّيحُ لا تُقِرُّ لهم قِدْرًا ولا بِناء ؛ وهم يَشْتَوِرُون[1] فى الرَّحيل حتى ارْتَحلُوا . وأقام عمرُو بن العاص وخالدُ بن الوليد فى مائتى فارس جَرِيدَةً[2] . ثم ذهَب حذَيْفةُ إلى غَطَفَان فوجدَهم قد ارتحلُوا ؛ فأخبرَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بذلك . فلما كان السَّحَرُ لَحِقَ عَمرُو وخالدٌ بقرَيشٍ ، ولَحِقَت كلُّ قبيلةٍ بمَحَلَّتِها[3] .

مدة حصار الخندق

فكانت مدةُ حصَار الخَنْدَق خمسةَ عشر يومًا ، وقيل عشرينَ يوماً ، وقيل قريبًا من شهر . وأصبحَ صلى الله عليه وسلم بعدَ رحيل الأحزاب ، فأذِنَ للمسلمين فى الانْصِراف ، فلَحِقوا بمنَازلهم

كتاب أبى سفيان إلى رسول الله ، ورد رسول الله

وكتبَ أبُو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا فيه : « بِاسمكَ اللَّهُمَّ . فإنى أحلِفُ باللاَّتِ وَالعُزَّى ، لقد سرتُ إليك فى جَمْعنا وإنَّا نُرِيدُ ألاَّ نَعُودَ[4] أبداً حتى نَستَأصِلَكم[5] ، فرأيتُكَ قد كرِهْتَ لِقاءنا ، وجَعلْتَ مَضايِق وخنَادِقَ ؛ فلَيْتَ شِعرى من عَلَّمك هذا ؟ فإنْ نَرْجِعْ عنكمْ فلكمْ منَّا يومٌ كيوم أُحُدٍ » . وبعثَ به معَ أبى أُسامة الجُشَمِىّ ، فقرأه أُبَىُّ بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قُبته ، وكتب إليه : « من محمدٍ رسولِ الله إلى أبى سفيان بن حرب . أمَّا بعْد ، فقديمًا غرَّكَ بالله الغرُور . أمَّا ما ذكرتَ —

---

(١) قلنا قبل إنها عامية ، يتخذها المؤلف مكان « يتشاورون » ، انظر ص (٥٦) و (١٣١) و (١٦٧)

(٢) يقالُ : « خيل جريدة » : لا رَجَّالة فيها

(٣) المحلة : منزل القومِ حيث يحُلون

(٤) فى الأصل : « ألا نعودَ إليك » ، والصوابُ حذف « إليك » ، وإلاَّ فسَد المعنى

(٥) فى الأصل : « نستأصلهم »

أَنَّك سِرْتَ إلينا فى جمعكُ، وأَنَّك لا تُريدُ أَنْ تعودَ حتى تَستأْصِلَنا — فذلكَ أمرٌ يحُولُ اللهُ بينكَ وبينَهُ، ويجعَلُ لنا العاقبَةَ حتى لاتذْكر اللَّاتَ والعُزَّى. وأما قولُك : مَنْ علَّمكَ الذى صنعْنا من الخَنْدَق ؟ فإنَّ اللهَ أَلهمَنِى ذلك لِما أَرَادَ من غيظِك وغيْظِ أصحابِك ؛ وليأْتينَّ عليك يومٌ تُدَافعُنى بالرَّاح ، وليأْتينَّ عليكَ يومٌ أُكْسِرُ فيه اللاَّتَ والعُزَّى وإسَافَ ونَائِلةَ وهُبَلَ[١] ، حتى أُذَكِّرَكَ ذلك »

ويُقالُ كان فى كتاب أبى سفيان : « ولقَدْ علمْتَ أَنى لَقيتُ أَصحابك نَاجياً[٢] وأنا فى عيرٍ لقُريش فما خَصَّ أصحابَكَ منَّا شَعْرَةٌ ، ورَضُوا منَّا بمُدَافعتنا بالرَّاح . ثم أقبلتُ فى عيرِ قريش حتى لقيتُ قومى — فلَمْ تَلْقَنا — فأوقعْتَ بقَوْمِى ولمْ أشْهَدْها من وقعَةٍ . ثم غزوْتكُمْ فى عُقْرِ دارِكم فقتلْتُ وحرَّقتُ [يعنى غزْوَةَ السَّويق] . ثمّ غزوتُك فى جَمْعِنا يومَ أُحُدٍ ، فكانتْ وَقعتُنا فيكُمْ مثلَ وَقعتِكم بنا ببَدْرٍ . ثمّ سِرْنَا إليكم فى جمعنا ومَنْ تألَّبَ إلينا يومَ الخَنْدق ، فلزِمتُمُ الصَّيَاصِى وخنْدقتُمُ الخنادقَ »

ما نزل من القرآن فى شأن الخندق

وأَنْزَلَ اللهُ تعالى — فى شأن الخندق يذكُرُ نعمتَه وكِفَايتهُ عدوَّهُمْ ، بعد سُوء الظَّنِّ منهم ، ومَقَالةَ من تكلَّم بالنِّفاق — قوله عزَّ وجلَّ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عليْكُمْ إذْ جَاءَتكُمْ جُنُودٌ فَأَرسَلْنَا عليهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لمْ تَرَوْها وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلونَ بَصيراً » (الأحزاب : ٩) الآيات (من ٩ — إلى ٢٧)[٣]

ذكر من قتل من المسلمين

وقتِلَ منَ المسلمين يومئذٍ ستَّةُ نفَرٍ ، ثلاثةٌ من بَنى عبد الأشهل هم : سَعدُ بن مُعاذ ، وأَنسُ بن أَوْس بن عتيك بن عمرو ، وعبْدُ الله بن سهل ؛ واثنَان من بنى

(١) هذه أسماء أصنام كلها
(٢) فى الأصل : « باصا »
(٣) فى الأصل : إلى قوله تعالى : « لم تروها ، الآيات »

جُشَم بن الخزْرَج ثم من بنى سَلَمَة هما : الطُّفَيْل بن النُّعمان ، وثعلَبةُ بنُ عنمة[١] ؛ وواحد من بنى النَّجَّار ثم من بنى دينار [هو][٢] : كعْبُ بن زَيد أصابَه سهمٌ غَرْبٌ فقتلَه[٣] . وقُتل من المُشركين ثلاثةُ نفَرٍ هم : مُنبِّه بن عثمان بن عبَيْد بن السبَّاق بن عبد الدَّار أصابه سهم فمات منهُ بمكةَ ، ونَوْفَل بن عبد الله بن المُغيرة ابن مَخْزوم ، وعَمْرو بن عبْد وُدٍّ قتله على رضى الله عنه . ولم تَغْزُ كُفارُ قريش المسلمين بعد الخَنْدَق

من قتل من الكفّار

غزوة بنى قريظة

ثم كانت غزوَةُ بنى قُرَيْظة : خرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأرْبعاء لسبع خَلَوْنَ من ذى الحجة سنة خمس ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وحَصرهم خمساً وعشرين ليلة ، وقيل خمسة عشر يوما ، وقيل شهراً .

سببها

وسبَبُ ذلك أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما رَجَع من الخَنْدَق دخل بيْتَ عائشةَ رضى الله عنها[٤] فاغْتَسَل ، ودَعا بالمِجْمَرَةِ ليَتَجَمَّرَ[٥] ، وقد صلَّى الظُّهر . فأتاهُ جبْريل عليه السلام وقتَ الظُّهْر — على بَغْلةٍ عليها رِحالَةٌ ، عليها[٦] قَطيفةٌ ، وعلى ثَنَاياه النَّقْعُ[٧] — فوَقفَ عند مَوْضع الجَنائز فنادَى : عَذيرَكَ[٨] من مُحارِبٍ . فخرَج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فزِعًا ، فقال : ألا أرَاكَ وضَعْتَ اللأْمة ولم تَضَعْها الملائكةُ بعدُ ؟ لقدْ طَرَدناهم إلى حَمْراءِ الأسَد . إنَّ الله يأمُرُكَ أنْ تَسيرَ إلى بَنى قُرَيظَة ، فإنّى عامدٌ إليهم فمُزَلْزِلٌ بهم حُصونَهم . [ويقال

(١) فى الأصل : « غنمة »
(٢) زيادة
(٣) غرْب : أى لا يعرفُ راميه ، أو أتاهُ من حيثُ لا يدرى
(٤) فى الأصل : « عنه »
(٥) المِجْمرة : التى يوضع فيها الجمرُ والبخورُ . ويتجمَّر : يتبخَّر بالعود
(٦) فى الأصل : « وعليها » . وهذه أولى وأجود
(٧) النقعُ : الغُبَار
(٨) عذيرَك : أى هات مَنْ يعذرك وينصرك ، وهو هنا تنبيه وتحذير

الخروج إلى قريظة

جاءه على فرَسٍ أبْلَق] . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًّا رضى الله عنه فدَفَع إليه لِواءه ، وكان اللّواء على حاله لم يُحلّ من مَرْجعه من الخَنْدق . و بعثَ بلالًا رضى الله عنه فأذّن فى الناس : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمُرُكم ألاّ تُصَلُّوا العصْرَ إلاّ فى بنى قُرَيْظة

وعن قتَادة قال : بعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يومئذٍ مُنَاديا : يا خَيْلَ الله ارْكَبي . ولَبس الدِّرْع والمِغْفر والبَيْضَةَ ، وأخذَ قنَاةً بيده ، وتقلّد التُرْسَ ، وركِب فرسَه . وحَفَّ به أصحابه وقد لبِسُوا السِّلاح وركبُوا الخَيْل : وكانت ستّة وثلاثين فرساً ، وكانت له صلى الله عليه وسلم ثلاثةُ أفْراسٍ معه . وقيل خرَجَ صلى الله عليه وسلّم وهو راكبٌ على حِمَارٍ عُرْيٍ (١) . وسارَ فمرَّ بنفَرٍ من بنى النّجّار قد صَفُّوا وعليهم السّلاحُ ، فقال : هَلْ مَرَّ بكمْ أحدٌ قالوا : نعم ! دِحْيَةُ الكلْبيُّ ؛ مرَّ على بَغْلة عليها رِحَالةٌ ، عليها(٢) قَطيفَةٌ من إستَبْرَق ، فأمرنا بلُبْسِ السّلاح ، فأخَذْنا سلاحنا وصَفَفنا ، وقال لنا : هَذا رسول الله يَطْلُع عليكمُ الآنَ! فقال : ذلكَ جبريل

وصول علىّ إلى حصن بنى قريظة وسفاهة يهود

وانتهَى إلى بنى قُرَيْظة ، وقد سبَق علىٌّ فى نَفَرٍ من المهاجرين والأنصار ، وغرَزَ الرّاية عند أصْل الحِصْن . فاستقبلهم يَهُودُ يَشْتُمون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجَه ، فسكَتَ المُسْلمون وقالوا : السّيفُ بيننَا و بينَكم . فلما رأى علىٌّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رَجَع إليه ، وأمرَ أبا قتَادة الأنصارى أن يَلزَم اللّوَاء

مسيره إليهم وما قاله

وسارَ صلى الله عليه وسلم إلى يَهُودَ ، وقال يومئذٍ : الحرْبُ خُدْعةٌ .

(١) حمار عُرْىٌ ، وفرس عُرْىٌ : لا سَرْج عليه
(٢) فى الأصل : « وعليها »

وتقدّمه أُسيْد بن حُضَير فقال : ياأعداءَ الله ! لا نبرحُ حِصْنكمْ حتى تموتوا جُوعا ، إنما أنتمْ بمنزلة ثعلبٍ فى جُحْرٍ . قالوا : ياابنَ الحُضَيْر ! نحنُ مَوَاليكَ دونَ الخَزرَج ! وخارُوا . فقال : لا عَهْدَ بيْني وبينكم ولا إلَّ[1] . ودنَا صلى الله عليه وسلم منهم وقد ترّس عنه أصحابه . فقال : يا إخوةَ القِرَدَةِ والخنازيرِ وعَبَدَةَ الطَّوَاغيت ! أتشتمُونِّى ؟ فجعلوا يحلفون : ما فعلنا ! ويقولون : يا أبَا القاسم ما كُنْتَ جَهُولاً ! وتقدّمتِ الرُّماةُ من المسلمين ، وقال صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقّاص : يا سعْد ، تقدّمْ فارمِهِمْ . فرَماهم والمسلمُون ساعةً ، ويهودُ ترَاميهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقفٌ على فرَسه فِيمَن مَعه ، ثم انصرفُوا إلى منازِلهم . وباتُوا وقد بعثَ إليهم سعد بن عُبادة بأحمالِ تمْرٍ فأكلوا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يأكلُ منه : نِعمَ الطعامُ التمرُ

تقدم الرماة ، وبدءُ المراماة

تعبئة المسلمين حول الحصون

واجتمع المسلمُون عنده عِشاءً ؛ ومنهم من صلَّى ، ومنهم من لم يُصَلِّ حتَّى جاء بَنِي قُرَيظةَ ، فما عابَ على أحدٍ من الفَرِيقين . ثم غدَا سَحَراً وقدّم الرُّماةَ وعبَّأ أصحابَهُ ، فأحاطوا بحُصونِ يهود ورَامَوْهم بالنَّبْل والحِجارة وهم يرْمُون من حُصُونهم حتى أمسوْا ، فباتُوا حول الحُصون . فنزل نبّاشُ بن قيْس وَكلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم : على أنْ ينزِلوا على ما نزَلَتْ عليه بنُو النَّضِير : لهُ الأموالُ والحَلْقَة ، ويَحْقِنُ دمَاءهم ، ويخرُجُون من المدينةِ بالنِّساء والذَّرارِيِّ ، ولهمْ ماحملتِ الإبل إلا الحلْقَة ؛ فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حُكْمِه .

مفاوضة يهود للصلح

مشورة كعب بن أسد اليهودىّ

وعادَ نبّاشٌ إليهم بذلك ، فأشار عليهم كعبُ بن أسَدٍ بأنْ يدخُلُوا فِي الإسلام ، وذكَّرهم بما عندهم من العِلْمِ بنُبُوّته ، فلم يقبَلوا رَأْيه . فأشَار عليهم أن يَقتُلوا أبْناءهم ونِساءهم ثم يَخرُجوا فيقَاتِلُوا حتى يُقتَلوا أو يَظفَرُوا ، فأبَوْا ذلك . فأشار عليهم

(١) الإلّ : العَهْد والحلف والقَرَابة والجِوار

أن يَخْرُجُوا ليلة السبتِ والمسلمون آمِنون فيُبَيِّتُونهم فقالوا : لا نُحِلُّ السَّبْتَ . واختلفوا وندِموا على ما صَنَعُوا

ذكر من أسلم من يهود يوم بنى قريظة

ونزل منهم [ثَعْلَبة بن سَعْيَة ، وأَسِيْدُ بن سعْيَة] (١) ، وأَسـدُ بن عُبَيْد وأسلموا ؛ وأَمَّنُوا عَلَى أنفسِهم وأَهْلِيهم وأمْوَالهم . ونزل عَمْرو بن سُعْدَى ، [وكان أَبَى أن يدخُلَ مع بنى قُرَيْظَةَ فى غَدْرِهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لَا أَغْدِرُ بمحمّدٍ أبداً . فبات فى مَسْجِدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة . ثم ذَهب] (٢) فَلم يُدْرَ أَيْنَ هُوَ ! وقيل : [إنه كانَ أُوثِقَ برُمَّةٍ فيمنْ أُوثِقَ من بنى قُرَيْظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصْبَحت رُمّته مُلْقَاة ولا يُدْرى أيْنَ ذَهَب !] (٣)

خبر أبى لبابة فى مشورة اليهود

فلمَّا اشتدَّ عليهم الحصارُ طلبوا أبا لُبَابة بن عبـد المُنْذِر (٤) ، فدخَل عليهم فقالوا له : مَا تَرَى ؟ إنَّ مُحَمَّدا قد أَبَى إلَّا أن نَنْزِل على حكْمِه ! قال : فَأَنْزِلوا . وأومأ إلى حَلْقِه ، هو الذَّبْح ، ثم نزل — والنَّاس يَنْتَظرونه — وقد نَدِم على مَا كان مِنْهُ ، فمرَّ على وجهه حتَّى ارتبطَ فى المَسْجِدِ إلى سارِيَةٍ . و بلَغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما صَنَع وذَهَابُه ، فقال : دَعُوه حتَّى يُحْدِث اللهُ فيه ما يشاء ، ولوْ جَاءنى استغفَرْتُ له ، وأمَّا إذْ (٥) لم يَأْتِنِي وذَهَب فدَعُوه . فكان كذلك

(١) فى الأصل فى مكان ما بين القوسين : « ثعلبة بن أسـيد ابنا سعيد » ، وقال ابن إسحاق بعد ذكر هؤلاء الثلاثة « وهمْ نفر من هَدَل ، ليسوا من بنى قريظة ولا النضـير ، نسبهم فوق ذلك : هم بنو عم القوم » ج ٢ ص ٦٨٧

(٢) فى الأصل : « ونزل عمرو بن سعدى فلم يدر أين هو » . وهذا قول غير بيّن فاستوفيناه من ابن هشام ج ٢ ص ٦٨٧

(٣) فى الأصل : « وقيل وجدتْ رمته » فاستوفيناه من ابن هشام ج ٢ ص ٦٨٨ ، والرُّمَّـة : قطعةُ حَبْـل يُشَـدّ بها الأسير أو القاتل إذا قيد إلى القتل للقصاص

(٤) وذلك أنهم كانوا حلفاء أبى لبابة ، وكان لهم نصيحاً ، فرقَّ لهم حين استشاروه

(٥) فى الأصل : « إذا »

خمس عشرة ليلةً — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمله على القتال ، فاستعمل بَدَله أُسَيْد بن حُضير — ولم يزَلْ مُرْتَبطاً حتى تابَ الله عليه ، وأنزَلَ فيه : «وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عملاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عليهِمْ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيم» (التوبة : ١٠٢)[١] . ويقال نزلت : «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا لَا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ» (الأنفال: ٢٧)[٢] . ويقال نزلتْ فيه : « يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» (المائدة : ٤١)[٣] . والأوّل أثبتُ .

نزول بنى قريظة على حكم رسول الله . وكتافُهم وما وجد عندهم

ثم نزلتْ يهودُ على حكْم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بأسْراهم مكُتِّفوا رِباطاً — وجَعَل على كِتَافِهِم محمَّدَ بن مسلمة — ونُحُّوا نَاحِيَةً ، وأَخْرج النِّساء والذُّرِّيةَ من الحصُون فكانوا ناحيةً ، واستَعْمل عليهم عبد الله بن سَلَام . وجُمِعَت أمْتِعَتُهم وما وُجِد فى حصونهم من الحلْقة والأَثَاث والثياب ، فوُجد فيها ألفُ وخمسمائة سيف، وثلاثمائة دِرْع ، وألفا رُمْح ، وألف وخمسمائة تُرْس وحَجَفَة، وأثاثٌ كبيرٌ وآنيةٌ كثيرةٌ ، وخمْرٌ وجِرَارُ سَكَرٍ[٤] ، فهُرِيقَ ذلك كلّه[٥] ولم يُخَمس . ووُجِدَ من الجمال النَّواضحِ[٦] عِدَّةٌ ، ومن الماشيةِ شيءٌ كثيرٌ ، فجُمِع هذا كلّه

طلب الأوس حلفاءهم بنى قريظة

وطلبتِ الاوْسُ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يَهَبَ لهم بنى قُرَيْظة

---

(١) فى الأصل : « ... يتوب عليهم ، الآية »

(٢) فى الأصل : « ... والرسول ، الآية »

(٣) فى الأصل : « بأفواههم ، الآية »

(٤) السكر : النبيذ من التمر أو غيره مما يُسْكر

(٥) فى الأصل : « كلها »

(٦) النواضح جمع ناضح : وهو البعير أو الحمارُ أو الثور الذى يُسْتَقى عليه الماء

تحكيم سعد بن معاذ فى بنى قريظة

فإنهم حُلفاؤهم ، كما وَهَب لابْنِ أُبَىّ [بنى] قَيْنُقَاع (١) حُلَفاءَهُ. فقال : أما تَرضَوْن أن يَكُون الحُكْمُ فيهم إلى رَجُلٍ مِنكم ؟ قالوا : بَلى ! قال : فذَلِك إلى سَعْد ابن مُعاذٍ . . وسعدٌ يومئذٍ فى المَسْجد فى خَيْمةِ رُفَيْدة ؛ ويقال كُعَيْبَة (٢) بنت سَعد بن سعد بن كَعْب بن عبدِ الأسْلَمِيَّة ، وكانت تُداوى الجَرْحى وتَلُمُّ الشَّعَثَ ، وتَقُوم على الضَّائع الّذى لا أَحَد لَهُ ، وكانَ لها خَيْمةٌ فى المَسْجد ، وكان رَسُول الله صلى الله عليه وسلم جَعَل سَعْد بن مُعَاذٍ فيها مُنْذُ جُرِح . فخرجت الأوْس فحملوه على حِمَارٍ ، وجَعَلوا وهم حَوْلَهُ يقولون له : يا أَبَا عمرٍو ! إنّ رسولَ الله قد ولاَّكَ أَمْرَ مَوالِيك لتُحْسِنَ فِيهم فأحْسِنْ ، فقد رأيتَ ابنَ أُبَىّ وما صَنَع فى حُلَفائه . وأَكثرُوا فى هذا وشِبْهه ، وهو لا يَتكلَّم ، ثم قال : قد آنَ لسَعْدٍ ألاَّ تَأْخُذَه فى الله لَوْمةُ لائمٍ . فقال الضَّحَّاكُ بن خَلِيفَة بن ثَعْلبة بن عَدِىّ بن كَعْب ابن عَبْد الأَشْهل الأنْصارىُّ : وَاقَوْمَاهْ ! وقال غَيْرُه منهم نَحْوَ ذلك ، ثم رَجَع إلى الأوْس فنَعَى لَهُمْ قُرَيْظَة . فلما جاء سعدٌ إلى رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم والنَّاسُ حَوْله قَال : قُوموا إلى سَيِّدِكُم ! فقامُوا له على أرْجُلهم صَفَّين يُحَيِّيه كلٌّ منهم . [ويقال إنّما عَنَى صلى الله عليه وسلم بقوله : « قوموا لسَيّدكم » الأنصارَ دون قريش] . وقَالت الأوس الّذين حَضَروا : يا أبا عَمْرو ! إنَّ رسولَ الله قد ولاَّكَ الحُكْمَ فأَحْسِنْ فيهمْ ، واذْكُر بَلاءَهُم عندك . فقال سعدٌ : أترضَوْن بحُكْمى لِبَنِى قُرَيْظَة ؟ قَالوا : نعم ! فأَخَذَ عليهم عَهْدَ الله ومِيثَاقَه أَنّ الحُكْمَ ماحَكَمَ ، ثم قَال : فإنّى أَحْكُمُ فِيهم أنْ يُقْتَلَ من جَرَتْ عليه المَواسِى ، وتُسْبَى النِّساء والذُّرِّيَّة ، وتُقْسَمَ الأَموالُ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

خيمة رفيدة التى كانت تداوى الجرحى

قدوم سعد وحكمه فى بنى قريظة

(١) زيادة للإيضاح
(٢) فى الأصل : « كفيتة »

لقد حَكَمْتَ بحُكْمِ اللهِ من فَوْق سَبْعَةِ أَرْقِعَةِ[1]

خبر قريظة بعد حكم سعد، وما جرى في قتلهم

فأَمَرَ بالسَّبْيِ فَسِيقُوا إلى دَارِ أُسامة بن زَيْد، والنّساء والذُّرِّيَّةُ إلى دَارِ ابْنَةِ الحارثِ؛ وقد اختلف في اسمها فقيل: كَيِّسَةُ بنتُ الحارث بن كُرَيْز بن [رَبيعة][2] بن حُبَيْب بن عبد شَمس، وكانت تَحْتَ مُسَيْلمة الكَذَّاب، ثم خَلَف عليها عَبدُ الله بن عامر بن كُرَيْز. وأمر بأَحْمال التَّمْر فَنُثِرَتْ على بَني قُرَيْظَة، فباتوا يَكدُمُونها كَدْمَ الحُمُر[3]. وأَمَرَ بالسِّلاح والأَثاثِ والمَتاع والثِّيابِ فَحُمِل، وبالإبل والغَنَمِ فَتُرِكَتْ[4] هناكَ تَرْعى الشَّجَر. ثم غدَا صلَّى الله عليه وسلّم إلى المَدينة في يوم الخميس السَّابع من ذي الحجة والأَسْرَى مَعَه، وأتى إلى السُّوق، فأمر بخُدُودٍ فخُدَّت[5]، وحفَر فيهـا هو وأصحابُه، وجلس ومعه عِلْيَةُ أصحابه، ودَعا[6] برجالِ بني قُرَيظَة فكانوا يخرجون أَرْسَالاً تُضْرَبُ أعناقُهم.

مقالة حيي بن أخطب عند قتله

وكان الّذين يَلُون قتْلَهم عليٌّ والزُّبَيْرُ رضي الله عنهما. ولمـا جِيءَ بعَدُوِّ اللهِ حُيَيِّ ابن أَخْطب [بن سَعْيَة بن ثَعلَبة بن عُبَيد بن كعب بن الخَزْرج بن أبي حبيبِ ابن النَّضِير بن النَّحام بن نَاخوم من بني إسرائيل من سبْط لاَوِي بن يَعقوب، ثم من ولد هارون بن عِمران أخي موسى صلى الله عليه][7]، قال له رسولُ الله

(١) في الأصل: « سبع أرقعة »، والرواية ما أثبتناه، وقد قالوا: جاء به على التذكير كأنه ذهب إلى معنى السقف. والأرقعةُ: السموات، جمع رَقِيع وهي السماء تليها السماء كأنها ترقَعُها طَبَقاً بعدَ طَبَق

(٢) هذه الزيادة من نسب « عبد الله بن عامر بن كريز »، إذا صحّ أنها ابنة عمّه

(٣) كَدَم يكدِم: قبض على الشيء بأدنى فمه يعَضّه ويقضَمُه كما يكدم الحمار. وكان ذلك فعلهم إذ كانوا في كِتَافهم، لا تخلص إلى التمر أيديهم

(٤) في الأصل: « فبركت »

(٥) الخدود جمع خَدّ، كالأخدود: الحفرة في الأرض، وخَدَّه يَخُدُّه: حفره

(٦) في الأصل: « دعى »

(٧) في الأصل في مكان ما بين القوسين في نسب حي بن أخطب « بن رية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة بن جزيلة بن نجم بن عدى بن أشرس بن شبيث بن السكون ». =

صلى الله عليه وسلم : أَلَمْ يُمَكِّن اللهُ منكَ يا عَدُوَّ الله ؟ فقال : بلى ! والله ما لُمتُ نفسى فى عداوتك ، ولقد التَمستُ العِزَّ فى مَظَانّه ، وأبَى اللهُ إلاّ أن يُمَكِّنك مِنّى ، ولقد قَلْقَلْتُ كل مُقلقَلٍ ، ولكنَّهُ من يخذُلِ اللهُ يُخذَلِ . ثم أقبل على الناسِ فقال : أيها الناس ! لا بَأْسَ بأمرِ الله ، قدَرٌ وكتابٌ ، مَلْحَمةٌ كُتبَت على بَنى إسرائيل ! فأمَرَ فَضُرِبت عنُقه . ثم أُتِيَ بغَزَّال[1] بن سَمَوْأَل ، ونَبَّاش ابن قَيسٍ فضرِبت أعناقُهُما . وقد جابَذَ[2] نبّاشٌ الذى جاء به ، حتى قاتله ودَقَّ أنفَه فأرعفَه[3] ، فقالَ صلى الله عليه وسلم لِلّذى جاء به : لِمَ صَنَعت به هذا ؟ أما كان السَّيفُ كفايةً ! ثم قال : أحسِنوا إسارَهُم ، وقَيِّلوهم وأسقوهم[4] ، لا تجمعوا عليهم حَرَّ الشمس وحَرَّ السلاح . وكان يوماً صائفاً ، فقيَّلوهم وسقَوْهم وأطعموهم ؛ فلما أبرَدُوا راحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقتل من بَقِى منهم

أمر رسول الله بالاحسان إلى الأسرى

وسألت أم المنذر سَلْمى بنت قَيْس بن عمرو بن عُبيْد بن مالك بن عَدِيّ بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجّار الأنصارية رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى رِفاعة بن سَمَوْأل فقال : هو لكِ ؟ فأسْلم . وجاء سعدُ بن عُبادة والحُباب بن المُنذر فقالا : يا رسول الله ، إنّ الأوسَ قد كَرِهت قَتْلَ بنى قُرَيظة لِمكان حِلفِهم . فقال سعد ابن مُعاذ : ما كَرِهه من الأوْس أحدٌ فيه خيرٌ ، فمن كَرِههُ فلا أرضاه الله . فقام أُسيد بن حُضَيْر فقال : يا رسولَ الله ، لا تَبْقَيَنَّ دارٌ من دُور الأوس إلاّ فرّقتهم فيها . ففرقهم فى دور الأنصار فقتَلوهم . وضرَبَ رسول الله عُنُق كعْب بن أسد بيْنَ

إسلام رفاعة بن سموأل

كراهة بعض الأوس قتل قريظة ، ثم تفريق الأسرى فى الأوس

وهذا تخليط كله . وقد نقلنا لك نسبه من نسب أم المؤمنين زوجِ رسول الله « صفية بنت حيى ابن أخطب » رضى الله عنها

(١) فى الأصل « بغزل »

(٢) جابذ : جاذب

(٣) أرعفه : أسال الدم من أنفه ، والرعاف : سيل الدم منه

(٤) قيّلوهم : أريحوهم بالقيلولة ، وهى راحةُ نصف النهار عند حرّ الشمس

قتل بنانة اليهودية وسببه

يَدَيه . وأمر ببُنانَة امرأةِ الحَكَم القُرظيّ — وهى من السَّبْى — فقُتِلَت ، لأنها ألقَتْ من حِصْن الزُّبَير بن بَاطَا رَحًى (١) بإشارة زَوْجها عَلَى نفرٍ من المُسْلمين كانوا يَسْتَظِلون فى فَيئِه ، فشَدَخَتْ رأسَ خَلَّادِ بن سُوَيْد بن ثَعْلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مَالك الأغرّ فماتَ . وأمرَ رسول الله صلى الله عليه

قتل كل من أنبت ، وبكاء نساء يهود

وسلم بقَتل كل من أنبَتَ مِنهُم ، وتَرْك من لم يُنْبِتْ ، وتمَادَى القتْلُ فيهم إلى اللّيل فقُتِلوا عَلَى شُعَلِ السَّعَف ، ثم رُدَّ عليهم التُّرابُ فى الخنادق . وكانَ من شُكَّ فيه منْهم أنْ يكونَ بَلَغ ، نُظِر إلى مُؤْتَزَرِه : فإن كَانَ أنْبَتَ قُتِل ، وإلاَّ تُرِكَ فى السَّبْى . وكانوا ستمائة ، [وقيل ما بين الستمائة إلى السبعمائة ، وقيل كانوا سبعمائة وخمسين] ، ولمَّا قُتِلوا صَاحَتْ نِساؤُهم ، وشَقَّتْ جُيُوبها ، ونَشَرَتْ شُعُورَها ، وضَرَبَتْ خُدُودَها ، وملأتِ المدينةَ

خبر الزبير بن باطا

وسأل ثَابتُ بن قَيْس بن شمَّاس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الزُّبيْر بن بَاطَا فقال : هو لكَ . فلم يَرْضَ بالحياةِ وطَلَب أنْ يُلْحِقوه بأحِبَّتِهِ ، فضرَبَ الزُّبَيْرُ بن العوّام عُنُقَه . وطَلَبَ ثابتُ بن قَيْس أهلَه وولده فرُدُّوا إلَيْه إلاَّ الحلْقَةَ ، فكانوا مع آل ثابت بن قيس . وأخَذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رَيْحَانَةَ بنتَ

إسلام ريحانة بنت زيد

زيدٍ لنفسه صَفِيًّا وعَرَضَها حتى تُسْلِم ، فما زال بها [ثَعْلبة بن سَعْيَة] (٢) حتى أسلمت ، فبعثها إلى بيت أمّ المنذر سَلْمى بنت قَيْس حتَّى حاضَتْ ثم طَهُرَتْ . فجاءها وخَيَّرها : أيُعتِقُها وَيتزوَّجها أو تَكون فى مِلْكه يَطَؤُها بالمِلْك ؟ فاختارت أن تكونَ فى مِلْكه ، وقيل أعْتَقَها وتزوَّجها

(١) فى الأصل بعد قوله « باطا » راء مفردة فى آخر السطر ، وفى أول السطر الذى يليه ألف موصولة هكذا (ا) ، وأول هذا السطر ضائع فى التصوير الشمسى ، ولعلّ الكلمة هى « رَحاً » كما كتبنا

(٢) فى الأصل مكان بين القوسين : « ابن سعيد »

بيع المتاع وقسمة الفيء

وأمر بالمتاع فبيعَ فِي مَنْ يَزِيدُ، وبيع السَّبيُ، وقُسمت النَّخْل أسهُماً. وكانت الخيلُ ستًّا وثلاثين فرساً، فأسهَمَ: للفرس سهمان، ولصاحبه سهمٌ، وللراجل سهم. وقادَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَةَ أفْراس فلم يَضْرِب إلاَّ سهماً واحداً. وأسهَم لخَلَّاد بن سُوَيْد بن ثَعلبة بن عَمْرو، وقد قُتل تحتَ الحِصْن طُرِحت عليه رَحًى فَشدَخته شَدْخًا شَدِيداً. وأسهم لأبي سِنان بن مِحْصن [واسمه وَهب بن عبد الله، ويقال عبد الله بن وَهب، ويقال عامر؛ ولا يصحّ، ويقال. اسمُهُ وَهب بن مِحْصن] بن حُرْثَان بن قيس بن مُرَّة بن كَبِير بن غنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمة، وعلى هذا فهو أخو عُكَّاشة بن مِحصن، وهو أصح ماقيل فيه. ومَات ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحَاصِرهم، وكان يُقَاتِل مع المسلمين. وكان المسلمون ثلاثةَ (١) آلافٍ، فكانت سُهمانُ الخيلِ والرِّجَال على ثلاثةِ آلاف واثْنيْن وسَبعين سهماً: للفَرَس سهمان ولصاحبه سهمٌ. وأسهم يَومئذٍ على الأموال فجُزِّئَت خمسةَ أجْزاء، وكَتَب فى سهمٍ منها لله، فخرجَت السُّهمان، وكذلك الرِثَّةُ (٢) والإبل والغنَمُ والسَّبي؛ ثم فَضّ أربعةَ أسهمٍ على النَّاس

ترك فيء رسول الله للنساء

وأخَذَ فَيْءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم النِّسَاء اللاَّتى حَضَرتِ القِتَال ولم يُسهِم لَهُنَّ. وهُنّ: صَفيَّةُ بنتُ عبد المطَّلب، وأم عمَارة، وأم سَليطٍ، وأمُّ العلاء الأنصاريَّةُ، والسُّمَيراء بنتُ قَيس الأنصارية، وأم سعد بن معاذٍ؛ وهى: كَبْشةُ بنتُ رافع بن عبيد بن ثَعلبة بن عبيد بن الأبجر، وهو خُدْرَةُ، بن عوف بن الحارث بن الخَزرج

أمر السَّبي

ولما بيعت السَّبايا والذُّريَّةُ بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بطائفةٍ إلى

(١) فى الأصل: «ثلاثة، ثلاثة» مكررة

(٢) الرِّثَّة: متاع البيت الردىء الدون

الشَّأم مع سعد بن عُبادة[١] ، يبيعُهم ويشترِى بهم سلاحاً وخَيْلا . واشترى عثمانُ ابن عفّان وعبدُ الرحمن بن عوف رضى الله عنهما طائفةً ، فكان يوجد عند العجائز المالُ ولا يوجَد عند الشّوابِّ ، فربح عثمان مالًا كثيراً لأنّه صار فى سهم العجائز . ويقال لمّا قسم صلى الله عليه وسلم جَعل الشّوابّ على حدَةٍ ، والعجائز على حِدَةٍ ، وخيَّر عبد الرحمن وعثمان فأخذ عُثمان العجائز . واشترى أبو الشَّحْمِ اليهوديُّ امرأتين — مع كلٍّ واحدة ثلاثةُ أطفال — بخمسين ومائة دينـار ، وجعل يقول : أَلَسْتُمْ على دينِ يهودَ ؟ فتقول المرأتان : لا نُفارق دينَ قَومنا حتى نموتَ عليـه ؛ وهُنَّ يَبكِينَ . وكان السَّبْىُ ألفاً من النساء والصِّبيان ، فأخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خُمُسَهُ قبل بَيْع المَغنَم ، فجزّأ السبْىَ خمسةَ أجزاء : فأخذَ خُمُساً ، فكان يَعتِقُ منه ، ويَهَبُ منه ، ويُخْدِم منه من أراد . وكذلك صنع بما أصاب من رِثَّتِهم : قُسِمَت قبلَ أن تُباع . وكذلك النَّخلُ عزَل خُمُسَه . وكلُّ ذلك يُسهِمُ عليه خمسة أجزاء ويكتب فى سهم منها فيْئَه ، ثم[٢] يُخرِجُ السهمَ ، فحيثُ طارَ سهمُه أخذَه ولم يتَخيَّر . وصار الخُمُس إلى مَحْمِيَة بن جَزْء الزُّبيْدى ، وهو الذى قسَم المَغْنَمَ بين المسلمين . ونهى رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم أن يُفرَّق فى القَسْم والبيْع بين النساء والذُّرِّيّة ، وقال . لا يُفرَّقُ بين الأُمِّ ووَلدِها حتى يَبلغُوا ؛ فقيل : يا رسولَ الله ! وما بلُوغُهم ؟ قال : تَحيضُ الجاريةُ ويَحْتَلِمُ الغلام . وكان يفرّق يومئذٍ بين الأُختَين إذا بَلَغتا ، و بين الأُمّ وابنتِها إذا بلغت .

النهى عن التفريق بين النساء والولد حتى يبلغوا

(١) هكذا فى الأصل ، ولم أجده فى غيره من كتب أصحاب السير فى غزوة بنى قريظة . بل الذى أعرفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث « سعدَ بن زيد الأشهلىّ » بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاحاً . ذكر ذلك صاحب أسد الغابة فى ترجمته

(٢) فى الأصل : « ويكتب فى سهم منها فعد م » الكلمات الأخيرة غير منقوطة ولا بينة ، وهكذا قرأناها

وكانت الامُّ ووَلدُها الصِّغارُ تُباع من المشركين من العرَب ، ومن يهود المدينة وتيْماء وخيْبَر ، يخرجون بهم . وإذا كان الوَلدُ صغيراً ليس معه أمٌّ لم يُبَعْ من المشركين ولا من يهود إلّا من المسلمين . فكانت أموالُ بَنِى قُرَيظة أوّلَ فَىْء وقعَ فيه السُّهمان والخُمُس

موت سعد بن معاذ ، وبكاء أمه ، وحزن رسول الله على سعد ثم دفنه

ولما حَكم سعدُ بن مُعاذ رضى الله عنه فى بنى قُرَيظة ، رجَع إلى خيْمة رُفَيدَة بنت سعد الأسْلَمِيّة — وكان قد كوى جُرحَه بالنار فانتفَخَتْ يدُه ، وسال الدَّم فَحَسمه أُخرَى فانتفخت يدُه ، فسألَ اللهَ أن يُبقِيَه حتى يقاتل بنى قُرَيظة — فانفجرَ جُرحُه وماتَ بعد ما عادَه النبي صلى الله عليه وسلم فحُمِل إلى منزله . وغسَّله الحارثُ بن أوْس بن مُعاذ ، وأُسَيْد بن حُضير ، وسلَمة بن سلامة بن وقَش بحضرة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأُمُّ سعد تبكى وتقول :

[وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدَا صَرَامَةً وحَدَّا
وسُؤدُداً ومَجْدَا وفارساً مُعدَّا
سُدَّ به مَسَدَّا يَقُدُّها ما قَدَّا][1]

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كلُّ البَواكِى يكذِبْن إلّا أمّ سعد . ثم كفِّنَ فى ثلاثةِ أثوابٍ وحُمِل فى سَريرٍ . فحَمَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [جِنازَتَه][2] وهو بين عَمودَى سريرِه حتى رُفِعَ من داره إلى أن خرج ، ومشى أمام جِنازَته ، ثم صلَّى عليه . ونزَل فى قبره أربعةُ نفرٍ : الحارثُ بن أوْس بن

(١) فى الأصل مكان هذه النَّدبة ما نصه : « ويل سعد سعدا ، براعة وجدا ، بعد أيادى له ومجدا ، مقدم سدّ به مسدّا » ، وهى إحدى روايات الخبر . وهذا الذى أثبتناه هو الذى اجتمعت عليه الرواية

(٢) زيادة للسياق من ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١٠ . والجنازة : سرير الميت ، أو الميت نفسُه

مُعاذ ، وأُسيد بن حُضَيْر ، وأبو نائِلة ، وسلَمة بن سلامة ؛ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم واقفٌ على قَدَمَيْه على قبره . ولما وُضِع فى لحدِه تغيَّر وجهُه وسبَّح ثلاثاً ، فسبَّح المسلمون ثلاثاً حتى ارْتَجَّ البَقيع(١) ، ثم كبَّر ثلاثاً وكبَّر أصحابُه حتى أُرْتَجَّ البقيعُ . فسُئِل عن ذلك فقال : تَضايق على صاحبكم قبْرُه ، وضُمَّ ضَمّةً لو نجا منها أحدٌ لنَجا منها سعدٌ ، ثم فرَّج الله عنه . وجاءت أمُّ سعد تنظر إليه فى اللحدِ وقالت : أَحتَسِبُك عند الله . وعزّاها(٢) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قبره . وجَلس ناحيةً والمسلمون يرُدُّون تراب القبر حتى سُوِّى ورُشّ عليه الماء ، ثم وقَفَ صلى الله عليه وسلم فدَعا ، ثم انصرَف

بلوغ خبر قريظة إلى يهود بنى النّضير

وسار حُسَيْل بن نُوَيْرَة الأشْجَعىُّ يوْمَين حتى قَدِم خيْبر ، فأعلَم سلّام بن مِشكم ، وكِنانة بن الرّبيع بن أبي الحُقَيْق ، ويهودَ بنى النّضير ، ويهود خَيْبر : بأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد قَتل مُقاتِلةَ قُرَيظة صَبْراً بالسيف ، وسبى النساء والذُّريّة . فقال سلّام بن مِشْكَم ، وكانت له رِياسة بَنى النّضير بعد يوم بُعاث(٣) : هذا كلُّه عملُ حيَيِّ بن أخطَب ، لا قامتْ يهوديّةٌ بالحجاز أبداً ! وصاح نساؤُهم وأقَمْن المآتِم ، وفَزِعت اليهودُ إلى سلّامٍ ليرَوْا رأْيَه . فأشار عليهم بأن يسيروا معه ، ويهودُ تَيماء وفَدَك ووادى القُرى — ولا يُجْلِبوا معهم أحداً من العرَب — حتى يغزوا محمداً فى عُقْرِ داره ، فوافقوه على ذلك

زواجه زينب بنت جحش

وفى هذه السّنة الخامسةِ تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم زيْنب بنت جَحْشٍ ، فى قول طائفة

(١) البقيع : بقيعُ الغَرْقَد ، وهو مدافن أهل المدينة ، وكان داخل المدينة
(٢) فى الأصل : « وعزها »
(٣) فى الأصل : « بُغَاث »

فرض الحجّ

وفيها فُرِضَ الحجُّ ، وقيل سنة ستٍّ ، وقيل سنة سبع ، وقيل سنة ثمانٍ ، وقيل غيرُ ذلك

سريّة عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد ابن نُبَيح الهذلىّ

ثم كانتْ سَرِيَّةُ عَبدِ الله بن أُنَيْس بن أَسْعَد[1] بن حرام بن حُبَيْب بن مالك بن غَنْم بن كعب بن تَيْم بن نُفَاثَة بن إياس[2] بن يَرْبوع بن البَرْك بن وَبَرة [ويُعْرَفُ بالجُهَنِىِّ وليس بجُهَنِىّ ، ولكنه من وَبَرَة من قُضَاعة ، وجُهَيْنَةُ أيضاً من قضاعة][3] — إلى سُفْيان بن خالد بن نُبَيْح الهُذَلِىّ ، ثم اللِّحْيَانِىّ

خروجه إليه وسببه

خرجَ إليها يوم الاثنين لخمس خَلَوْن من المحرم على رَأْس أربعةٍ وخمسين شهرا[4] ، فغابَ اثنتى عشرةَ ليلةً وقدِم يوم السَّبت لسَبْعٍ بقين من المحرَّم . وكان قد بلغَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَنَّ سُفْيانَ بن خالد بن نُبَيْح الهُذَلىَّ ثم اللِّحْيانىَّ نزَلَ عُرَنةَ وما حولها فى ناسٍ يجمع لحرْبه ، وضَوَى إليه[5] بَشَر كثيرٌ من أفْناء العرب . فبعثَ عبدَ الله بن أُنَيْسٍ وحدَه ليقْتُلَه ، وقال له :

صفة ابن نبيح

أَنْتَسِبْ إلى خُزاعة . [فقال عبد الله بن أُنَيْس : يا رسولَ الله ! انعَتْهُ لى حتى

---

(١) فى الأصل : « ابن إسحاق » . وانظر أسد الغابة والإصابة

(٢) فى الأصل : « أنيس »

(٣) هذا الذى بين الأقواس كان فى الأصل بعد قوله : « الهذلى ثم اللحيانىّ » . وهذا هو حقُّ مكانه . وعبد الله بن أنيس يقال له : الأنصارى والسَّلمىّ والجهنىّ والقضاعىّ . وعرف بالجهنى لأنّ ولدَ البَرْك بن وبرة دخلوا فى جهينة من قضاعة فكانوا فى عِدادهم

(٤) قال ابن سعد ج ٢ ص ٣٥ — ٣٦ : « على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وهو الصواب . وقد فاتنا أن ننبّه إلى ذلك فى ص (١٧٤) فى خبر سرية مرثد بن أبى مرثد ، فإنه ذكر أن سبب السرية هو قتل سفيان ابن نبيح الهذلىّ ، فكان الصواب أن يكون خبر سرية عبد الله بن أنيس هذه فى موضعها قبل سرية يوم الرجيع . وكانت على رأس ستة وثلاثين شهراً

(٥) ضوى إليه : مال إليه وانضمّ

أعرِفَهُ][(١)] قال إذا رَأَيْتَهُ هِبْتَه وفَرِقْتَ منـه وذَكَرْتَ الشَّيطَانَ ، وآية [ما بينَك وبينَه][(٢)] أن تَجِد له قُشَعْرِيرَةً إذا رَأَيْتَه . وأذِنَ له أن يَقُول ما بَدَا لَهُ ، وكانَ أُنيسٌ لا يهابُ الرِّجال . فأخذ سيفَه وخرج ، حتى [إذا][(٣)] كان ببطْن عُرَنَةَ لَقِى سفْيانَ يمشى : وراءه الأحابيشُ ، فهابَهُ ، وعرفه بالنَّعت الذى نعتَ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وقد دخل وقتُ العصر ، فصلَّى وهو يمشى يُومِئُ إيماءً برأسه . فلما دنَا منه قال : مَنِ الرَّجُل ؟ قال : رجُل من خُزَاعة ؛ سمعتُ بجمعك لمحمَّدٍ فجئتُك لأكونَ معك . ومشى معه يحادثه ويُنشِدُه ، وقال : عجباً لـما أَحْدَثَ محمَّد من هذا الدِّين المُحْدَث ، فارَق الآباء وسفَّهَ أحلامهم ! فقال سفيان : لم يلق محمَّد أحداً يُشْبِهُنى ! حتى انتهى إلى خِبائه وتفرّق عنه أصحابُهُ . فقال : هَلُمَّ يا أخا خُزَاعة . فدَنَا منه وجَلس عنده حتى نامَ النَّاس ، فقَتَله وأخَذ رأسه واختفى فى غار ، والخيلُ تطلُبه فى كلِّ وجهٍ . ثم سارَ اللّيلَ وتوَارَى فى النَّهار إلى أنْ قَدِم المدينةَ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجِد فقال : أَفْلَحَ الوَجْهُ ! قال : أفلحَ وجهُك يا رسولَ الله ! ووضع الرأس بين يَدَيْه ، وأخبرَه الخبرَ ، فَدفع إليه عصاً وقال : تَخَصَّرْ[(٤)] بهذه فى الجنَّة ، فإن المُتخصِّرِينَ فى الجنَّة قليلٌ . وكانتْ عنـده حتى أُدْرِجت فى أَكْفَانِهِ بعدَ موْتِه

قتله

(١) زيادة يقتضيها السياق ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٩٨١ ، وابن سعد ج ٢ ص ٣٦

(٢) فى الأصل : « وآية ذلك أن تجد » ، وهذه أدَلّ على السياق

(٣) زيادة للسياق

(٤) تخصر : حمل المخصرة فى يده ، والمخصرة : العَصَا يتوكأ عليها ، أو يحملها الملك يشير بها

غزوة القرطاء

ثم كانت غزوةُ القُرَطاء من بنى بكر(١) بن كلاب ، بناحية ضَرِيَّةَ بالبَكَرات ، وبين ضرِيَّةَ والمدينة سبْعُ ليالٍ . خرجَ فيها محمد بن مَسلمة لعشرٍ خلَوْن من المحرَّم ، فغاب تسع عشرة ليلة ، وقَدِم لِلَيْلَةٍ بقِيتْ من المحرَّم . وكان فى ثلاثين رجلاً ، فسارَ الليل وكمَنَ النَّهارَ(٢) ، [حتى إذا](٣) كان بالشَّرَبَّةِ(٤) لقى ظُعُناً من مُحَارِبٍ ؛ فأغارَ عليهم وقتَلَ نفراً منهم وفرَّ سائرُهم ، واستاق نَعماً وشاءً ، ومضى . وقدَّمَ عَبّادَ بن بِشْرٍ عَيْناً لينظُرَ بنى بكر(١) بن كِلاب ، فلما أتاه بخبرِهم شَنَّ الغارةَ عليهم ، وقتل منهم عشرة ، واستاق النَّعَم والشَّاء ، وقَدِم المدينةَ : وهى خمسون ومائة بعيرٍ ، وثلاثة آلاف شاةٍ . فخمَّس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وقَسَمَ ما بَقِىَ ، فعُدِّلَ الجَزور بعشرٍ من الغَنَم .

غزوة بنى لحيان

ثم كانت غَزْوَةُ بنى لِحْيانَ بن هُذَيْل بن مُدرِكة ، بناحية عُسْفَان . خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لِهلال رَبيع الأول سنة ستٍّ فى مائتىْ رجُلٍ ، ومعهم عشرون فرساً ، يُريد بنى لِحْيان ليأخُذَ بثأر أصحاب الرَّجيع(٥) . فعسكَر من نَاحية الجُرُفِ فى أوَّل نهاره ، وأظهرَ أنَّه يُريد الشَّأْم ، ثم راح مُبرِداً حتى أنتهى إلى حَيثُ كان مُصاب عاصِم بن ثَابِتٍ وأصحابِه بين أَمَجٍ وعُسْفَان ببطن غُرَان(٦) ؛ وبينها وبين عُسفَان خمسة أميال . وقد هرَبَ بنو لِحيان ،

(١) فى الأصل : « من بنى أبى بكر »
(٢) فى الأصل : « وأكن »
(٣) زيادة للسياق
(٤) الشربَّة : موضع فى طريق نجد ، وضريَّة التى ذكرها قبل من نجد ، وفى الأصل : « الشرية »
(٥) مضى خبرهم فى ص (١٧٤)
(٦) فى الأصل : « عمران »

فأقام يَوْمًا أو يومين و بثّ السَّرَايا فلم يَقدِر على أحدٍ . فأتى عُسفَان فى مائتى راكبٍ من أصحابه ، ثم بعث فارِسَين حتى بَلَغا كُرَاعَ الغَمِيم ثم كرّا . وقال الوَاقدىُّ : بعثَ أبا بكر رضى الله عنــه فى عشرَة فَوَارِسَ فبلَغ كُراع الغَمِيم وَرَجَع ، ولم يَلق أحداً . فقال صلى الله عليه وسلم : إنَّ هذا يَبلغ قُرَيشاً فيذْعَرُهم ، ويَخافُونَ أن نكُون نُريدهم . وكان خُبَيْب بن عَدِىّ يومئذ فى أَيْدِيهم ، فخافوا أن يكون قد جاء ليُخَلِّصه . وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينةِ ، وقد غابَ أربع عشرة ليلة ، وكان يَخلُفه على المدينة ابنُ أمّ مَكتوم . وقال فى مُنصرَفِه إلى المدينــة : آيِبون تائبُون عابِدُون ، لرَبِّنا حامِدون . اللّهُمّ أَنتَ الصَّاحبُ فى السَّفَر ، والخليفةُ عَلَى الأهــل ! اللهُمّ أَعُوذُ بكَ من وَعْثَاء السَّفَر ، وكآبةِ المُنْقَلَب ، وسُوء المنظَر فى الأَهْل والمـالِ . اللهُمّ بَلِّغنا بَلاغا صالحاً يَبْلُغ إلى خَيْر ، مَغْفِرَةً منك ورضوَاناً . وهذا أوّلُ ما قالَ هذا الدُّعاء

دعاء رسول الله

وصَحّح جماعةٌ أنّ غزوةَ بنى لِحْيان هذه كانت بعدْ قُرَيْظة بستة أشهُر ، وأنّها كانت فى جُمَادى الأُولى . وصحح ابنُ حزم أنها فى الخامسة

غزوة الغابة

وكانت غزوة الغَابَة : ويقال غَزاة ذى قَرَد [ويقال قُرُد بضَمّتين] ، وهو ماء على بَرِيدٍ من المدينة ، فى ربيع الأول . وقال ابن عبد البَرّ : [1] كانت بعد بنى لحيان بليال . وقال البُخَارىّ : كانت قبْل خيبر بثَلَاثة أيامٍ ، وفى مسلم نحوه . وفيه نظرٌ لإجماع أهل السيَر على خلافه

سببها

وسببها أن لِقَاح[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكانت عشرينَ لِقْحَةً : منها ما أصاب فى ذَاتِ الرِّقَاع ، ومنها ما قدِم به مُحمّد بن مَسْلمة من نَجْد — وكانت

(١) فى الأصل : « أبو عبيد البر »

(٢) اللقاح جمع لِقحة : وهى الناقة أول نتاجها فى أول الربيع ، فلا تزال كذلك حتى ينصرم الصيف عنها

تَرعَى البَيْضاء فقرَّبُوهَا إلى الغَابة ، وكان الرَّاعِى يؤُوب بلَبنِها كلَّ ليـلة عند المغرب . فاستأْذَن أبو ذَرٍّ جُندبُ بن جُنَادة بن قيْس بن عمرو بن مُلَيل بن صُعَيْر بن حَرَام بن غِفَار الغِفارىُّ ، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فِى الخروجِ إلى لقَاحه ، فقال : إنى أَخاف عليكَ مِن هذه الضاحِيَة أن تُغيِرَ[1] عليك ، ونحنُ لَا نأمَنُ عُيَيْنَة بن حِصْنٍ وذَوِيه . وهو فى طَرَفٍ من أطرافهمْ ، فلما ألح عليه أبُو ذَرّ رضى الله عنه قال : لَـكأَنِّى بِكَ قد قُتِل ابنُك وأُخِذَت امرأتُك ، وجِئْتَ تَتوَكَّأُ على عصَاك .

خبر أبى ذر

فلمَّا كانت ليلة السَّرْحِ ، جعلَتْ سَبْحَةُ فَرَسُ المِقْداد بن عَمْرو[2] لا تقِرُّ ، ضَرْبًا بيَدَيها وصهيلاً ، فيقولُ أبو مَعْبَدٍ : واللهِ إنّ لها لشَأنًا ! فيَنْظُرُ آرِيَّها[3] فإذا هُو مملوء علفًا ، فيقول : عَطْشَى ! فيَعْرِضُ المـاء عليها فلا تريدُه . فلمَّا طلع الفَجْر أسْرجها ولبس سِلاحه وخَرَج ، حتى صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصُّبْح فلَمْ يرَ شيئاً . ودخل النبىُّ صلى الله عليه وسلم بيتَه ، ورجع المِقْداد إلى بيْته ، وفَرَسُه لا تقِرُّ . فوَضَع سَرْجَه وسِلَاحه واضْطَجَع . فأتاه آتٍ فقال : إنَّ الخيْلَ قد صُبِّحَ بها[4] !

ليلة السَّرْح

وكانت لِقَاحُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قد رُوِّحت وعُطِّنتْ وحُلِبَتْ عَتَمَتُها[5] ، وأحْدَق بهم عبد الرَّحمن بن عُيَيْنة بن حِصْنٍ فى أربعين فارساً من بنى عَبْد الله بن غَطَفان ، [وذكر ابن الـكَلْبِىّ أن الذى أغار على سَرْح المدينة

غارة ابن عيينة على السرح

(١) فى الأصل : « تغيره »
(٢) هو المقداد بن الأسود ، وكنيته أبو معبد ، كما سيأتى بعد
(٣) الآرِىُّ : مربط الدابة ومعْلفها
(٤) صُبِّح بها : أى أغير عليها بغتة مع وجه الصُّبح
(٥) رُوِّحت : أى ردّت إلى مراحها الذى تبيتُ فيه ، وعُطِّنتْ : أى سُقيت ثم رجعت إلى مأواها . والعتمة : ثلث الليل الأول ، وكانوا يحلبون لقاحهم وقت العتمة ، فسموا الحلاب فى ذلك الوقت عَتَمة ، سموا اللبن باسم الوقت

عبدُ الله بن عُيَيْنة بن حِصْن] ، وهم نِيامٌ . فأشرف لهم ابْنُ أبي ذَرّ فقَتَلوه وساقُوا اللِّقاح . فجاء أبُو ذَرّ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره فتَبَسَّمَ

خبر سلمة بن الأكوع

وكان سَلَمَةُ بن عمرو [بن][1] الأَكْوَع — [واسمه سنان] — بن عبد الله ابن قُشَيْر بن خُزَيمة بن مالك بن سَلَامان بن أسلم بن أفصىّ الأسلميّ قد غدا إلى الغَابَةِ لِلِقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم [بفرسٍ لطلحة بن عبيد الله] لِيُلْبِنَه[2] لَبَنها . فلقى غلامَ عبد الرحمن بن عوْف رضى الله عنه — وكان فى إبله فأخطأوا مَكَانها — فأخبره أنّ لِقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أغار عليها ابن عُيَيْنَة فى أربعين فارساً ، وأنهم رأوا إمْدَاداً بعد ذَلك أُمِدَّ به ابْن عُيَيْنَة . فرجع سلمة إلى المدينة وصرخَ على ثنية الوَدَاع بأعْلى صوته : يا صَبَاحاه ! ثلاثاً ؛ ويقال نادى : الفَزَع الفَزَع ! ثلاثاً . ووقف على فرَسه حتى طلَع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديدِ مُقَنَّعاً فوقف واقفاً . [وقيل رَكِبَ فرساً عُرْياً لأبى طلْحة يقال له مندوب ، فلما انْصرفَ قال : إنْ وَجَدْناه لَبَحْراً][3]

---

(١) زيادة لا بدّ منها

(٢) هذه الكلمة فى الأصل : « لأن يبلعنه » تدخل العينُ فى الهاء المتصلة من جهتها ، ثم الألف الأخيرة قد ألصقت بها هاء ، ونبرت نبرة قبلهما ، ولم نر لهذه الجمجمة إلا قراءتها « لأن يُلبنه » ثم جعلناها « ليُلْبنَه » ، ولم أجد الكلمة فى خبر من أخبار سلمة بن الأكوع . وألبَنَه : سَقاه اللبن ، والعبارة بين الأقواس هى حقّ الكلام ، وكانوا يلبنون خيلهم اللبن إكراما لها ، وانظر ابن سعد ج ٢ ص ٥٩ ، وابن هشام ج ٢ ص ٧١٩

(٣) هكذا ذكر المقريزى ، ولا ندرى من أين وقعت له هذه الرواية ، وليس هذا — فيما نرى — موضعها . فإن خبر فرس أبى طلحة قد رُوى فى أكثر الكتب الصحاح ، ولم يذكر أحد أنه كان فى هذه الغزوة . وفى الحديث لفظ يدل بياناً على أنّ ذلك كان فى فزع لم يأت بعده ما يروع المسلمين ، ففى البخارى ج ٤ ص ٥٢ من حديث أنس بن مالك قال : « كان بالمدينة فزَع فركبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً لأبى طلحة فقال : ما رأينا من شىء ، وإن وجدناهُ لبحْراً » . وبعد هذا الحديث حديث آخر بغير لفظه فيه قال : « لم تراعوا ، إنه لبحر » . فهذا كما ترى شىء غير مستقيم لمن تدبره

نداء الفزع ليلة السَّرح

[ونودىَ : يا خيلَ الله اركبى ! وكان أوّلَ ما نُودىَ بها] [١] ، فكان أوّلَ من أقبلَ إليه المِقْدادُ بن عمرو عليه السلاحُ شاهرا سيفَه . فعقد له لواء على رُمحه وقال : امْض حتى تَلْحَقَكَ الخيول ، إنّا على أثرك . فخرج حتّى أدركَ أُخرَياتِ العَدُوّ ، فظفِر له بفرس . وأدركَ مَسعَدَة بن حَكَمة بن مالك بن حُذيفة بن بَدْرٍ الفَزَارىّ فتطَاعنا برُمحيهما ، ثم فرّ مَسعَدة . فنصبَ مِقْداد اللواء ، ولحقَه أبُو قتادة — مُعَلمًا بعِمَامةٍ صفْراء على فرس له — فتسايَرا سـاعةً ، فاستحثّ أبو قتَادة فرسه حتى غَاب ، وقد أدركَ مَسعَدة فقَتَله

وخرج سَلَمَة بن الأَكْوَع على رِجْلَيه يَعدُو : يَسْبِقُ الخَيْل ، حتى لَحِق العدوّ فرماهم بالنَّبْلِ والخيلُ تكُرُّ عليه وهو يقول :

خُذْها وأنا ابْنُ الأَكْوَعْ اليَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّـعْ

وصول رسول الله إلى ذى قَـرَد

[حتى انتهى بهم إلى ذى قَرَد] ، ولَحِقَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والخيولُ عِشاء ، وكانوا ثمانية أفراسٍ ، وكان المِقْدادُ أميرَ الفُرْسانِ [٢] [وقيل بَلْ أميرُهم سَعدُ بن زيد الأشْهلىُّ [٣]] . فقال سلَمَةُ : يارسولَ الله ! إنَّ القومَ عِطاشٌ ، وليس لهم ماء دون أحْساءِ كذا وكذا ، فلو بعثْتَنى فى مائةِ رجلٍ اسْتَنْقَذْتُ

---

(١) زيادة من ابن سعد ج ٢ ص ٥٨ ، ولابد منها لسياق الكلام ، وإلا فإنّ تلفيق الروايات الذى اتخذه المقريزى هنا قد أفسد معانيها جميعاً . وفى الأصل بعد الزيادة : « وكان » وجعلناها « فكان »

(٢) فى هذا الموضع اضطراب شديد ، وقد آثرنا أن نضعه هذا الوضع ، وبهذه الزيادة ليتساوق المعنى ويستوى . وفى الأصل بعد قوله « اليوم يوم الرضع » ما يأتى : « حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيولُ عشاء ، وكانوا ثمانية أفراس ، وكان المقداد أمير الفرسان حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد » ؛ وانظر ابن سعد ج ٢ ص ٥٨

(٣) فى الأصل : « مسعدة بن زيد » ، وليس فى الصحابة من اسمه مسعدة . وانظر ابن سعد ج ٢ ص ٥٩ ، وديوان حسّان ص ١٠٨ ، وسيأتى كذلك (٢٦٢)

ما بأيديهم من السَّرْح وأخذتُ بأعناقِ القوم ! فقال : مَلَكْتَ فأسْجِح[(١)] ! ثم قال : [إنّهم الآنَ][(٢)] لَيُقْرَوْنَ فى غَطَفَان . وذهب الصَّرِيخُ[(٣)] إلى بنى عمرو بن عَوْفٍ فجاءتِ الأمْدادُ ، فلم تزل الخيلُ تأتى ، والرجالُ على أقدامهم ، و[على][(٤)] الإبل ، والقوْمُ يَعتقِبون البعيرَ والحمارَ ، حتى انتهوْا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بذى قَرَدٍ ، فاستنقَذُوا عشر لقائحَ — منها جملُ أبى جهْل — وأفلتَ القوْمُ بعَشْر .

ذكر القتلى

وكانت رايةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم العُقابُ يحملها سَعْدٌ . وكان قد أدرك مُحرِزُ بن نَضْلَةَ بن عبد الله بن مُرّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمة — القومَ مُهِيبًا[(٥)] ، فطاعنَهُمْ ساعةً[(٦)] بالرُّمح فقتله مَسْعَدَة بن حَكَمَة . وأقْبل عَبّاد بن بِشْر على أوْبار بن عمرو بن أوْبار[(٧)] وقاتَله ، فقتَله عبّاد ؛ وقيل : بل قَتَلَه عُكَاشَةُ بن مِحْصَن .

دعاء رسول الله لأبى قتادة

ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبى قتادة لمّا أدركه فقال : اللهمّ باركْ له فى شعَرِه ، وبَشَرِه ، وقال : أفلَحَ وجْهُك ! فقال : ووجْهُك يا رسولَ الله !

(١) أسجحَ : سهِّلَ وأحسنَ ، وهذا مثل فى العفو عند المقدرة ، أى ظفرت فأحسن العفوَ

(٢) زيادة لا بُدّ منها ، من ابن سعد ج ٢ ص ٥٨ ، وقوله « ليقرون » : من القرى ، وهو ما يقدّم للضيف

(٣) الصريخ : صوتُ المستصرخ المستغيث ، أو المستغيث نفسُه

(٤) زيادة للسياق

(٥) فى الأصل : « بهيقا » ولا معنى لها ولا وجه . وقد رأيت أن أقرأها كذلك لمقاربة الرسم . وأهاب بالقوم : صاح بهم ليقفوا فهو مهيب . وقد قال ابن هشام ج ٢ ص ٧٢١ ، إن محرزاً لما أدرك القوم : « وقف لهم بين أيديهم ثم قال : قفوا معشر بنى اللكيعة ! حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار »

(٦) فى الأصل : « ساعد » ، هكذا مشكولة ، وهو فاسد

(٧) فى الأصل : « آثار بن عمرو بن آثار »

ثم قال : قتلتَ مسعَدَةَ ؟ قال : نعم ! قال : ما هذا بوَجْهِك ؟ قال : سَهمٌ رُميتُ به يا رسولَ الله ! قال : فادْنُ مني ! فدَنَا منه فبَصَق عليه فما ضرَب عليه قطُّ ولا قَاحَ[1]. فماتَ أبو قتَادة ، وهو ابنُ سبعين سنة ، وكأنَّه ابنُ خَمْس عشرة[2] سنة . وأعطاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فَرَسَ مَسْعَدَة وسلاحَه وقال : بَارَكَ الله لك فيه

أصحاب الخيل واستعمَل صلى الله عليه وسلم يومئذٍ على الخيْل سَعْد بن زَيْد الأشْهلى وقدَّمه أمامَه ، فلحقَ القومَ وناوَشهم ساعةً : هو والمقدادُ بن عمرٍو ، ومُعاذ بن ماعِص ، وأبُو قتَادة ، وسلَمة بن الأكْوع ، فحمل سَعْدٌ على حبيب بن عُيَيْنَة بن حصن فقتله وأخذَ فرَسه ؛ وقيل قتل حبيبَ بن عيينْة المِقْدادُ . وكان شعارُ المسلمين يومئذٍ: أمِتْ أمِتْ

صلاة الخوف وصلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ صلاةَ الخَوْف : فقام إلى القِبْلة وصَفَّ طائفةً خَلْفه ، وطائفةٌ مُواجِهةُ العدوّ ؛ فصلَّى بالطَّائفة التى خَلْفه رَكْعة وسجدَتيْن ثم انصرفوا ، وقاموا مَقامَ أصْحابهم ؛ وأقبلَ الآخَرُون فصلَّى بهم ركعةً وسجدتين وسلَّم . فكان لرَسولِ الله صلى الله عليه وسلم ركعتان ، ولكلّ رجلٍ من الطَّائفتين ركعةٌ

تاريخ الغزوة وكانت غزَاةُ ابن عُيَيْنة ليلة الأربعاءِ لثلاثٍ خَلَوْن من ربيع الأول سنة ستٍّ . فخرجَ صلَّى الله عليه وسلم يوم الأربعاء ، واستَخْلف على المدينة ابن أم مَكتوم ، وأقام بذى قَرَدٍ يوماً وليلة . وقَسَم فى كل مائةٍ من أصحابه جَزُوراً يَنْحرونها ، وكانوا خمسمائة ؛ ويقال كانوا سبعمائة

(١) فى الأصل : « قاح » ، وهذا هو الصواب . فاح الجرحُ أو الشجة فهي تفيحُ : إذا نفحت بالدم فسال منها

(٢) فى الأصل : « خمسة عشرة »

حراسة المدينة ، وإمداد سعد بن عبادة المسلمين

وأقام سعدُ بن عُبَادة — فى ثلاثمائة من قومه — يَحرُسُون المدينةَ خمسَ ليالٍ حتى رَجَع صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين . وأمَدَّ المُسْلمين سَعْدُ بن عُبادة رضى الله عنه بأَحْمال تمْرٍ وبعَشْرِ جزَائر بذى قَرَد : بعَث بذلك مع ابنه قَيس بن سعد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ! بَعَثك أَبُوك فارساً ، وقَرَى المجاهِدين ، وحَرَسَ المدينـةَ من العَدُوّ ! اللهُمّ ارحمْ سعداً وآلَ سعدٍ ! ثم قال : نِعْمَ المرءُ سعدُ بن عُبادة ! فقالت الأنصار : يا رسول الله ! هو بَيْتُنا وسيدُنا وابنُ سيدنا . كانوا يُطْعِمون فى المَحْل (١) ، ويَحْملون الـكَلَّ (٢) ، ويَقْرُون الضَّيْف ، ويُعْطُون فى النَّائبة ، ويحمِلون عن العشيرة (٣) . فقال : خِيارُ النَّاسِ فى الإسلام خِيارُهم فى الجَاهِلِيّة إذا فَقُهُوا فى الدِّين

الرجوع إلى المدينة وخبر امرأة أبى ذر

ورَجَع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليلةَ الاثنين وقد غابَ عنها خمس ليال . فأقبلت امرأةُ أبى ذَرّ على ناقته القَصْواء (٤) — وكانت فى السَّرْح — فدخَلتْ عليه فأخبرتْه من أَخْبارِ النَّاس ، ثم قالت : يارسول الله ! إنّى نذَرْتُ إنْ نجّانىَ الله عليها أنْ أنحرَها فآكلَ من كَبِدها وسَنامِها ! فتبسَّم وقال : بِئْسَ ما جَزَيْتِها ! أنْ حَمَلكِ الله عليها ونجَّاكِ [بها] (٥) ثم تَنْحَرِينَها ! إنه لا نَذْر فى مَعْصية الله ، ولا فيما لا تَمْلِـكِينَ ، إنما هى ناقةٌ من إبِلى ، فارجِعى إلى أهلِك عَلَى بركة الله

خبر المدية

وقيل لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم : هذه لِقْحَتُك السَّمْراءُ على بابك . فخرج مُستَبْشِراً ، فإذا رَأْسها بيَد ابْنِ أخِى عُيينة بن حِصْنٍ ، فلمَّا نَظرَ عَرَفَها

(١) المحل : الجدبُ والقحط

(٢) فى الأصل : « يحملون فى الـكلّ » . والـكل : الفقير يثقل على صاحبه فهو عيال عليه

(٣) يحملون هنا : من الحمالة وهى الدية والغرامة يحملها أشرافهم وأغنياؤهم

(٤) اسم ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٥) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٧٢٢ ، والعبارة بها أبلغ

فقال : أيمَ بِكَ[١] ؟ قال : يا رسول الله ! أَهْدَيتُ إليك هـذه اللِّقْحة . فتبسَّم وقبضها منْه ، وأمرَ له بثلاثة أواقى فِضَّة ، فتَسَخَّط . فصلَّى عليه السلام الظُّهْرَ وصعد المِنْبر فحمِد الله ، ثم قال : إن الرَّجُلَ أَهْدَى لِىَ النَّاقةَ من إبِلى ، أعرِفُها كما أعْرِفُ بعضَ أهلى ثم أثيبُه عليها ، فيَظَلُّ يَتسخَّط علىَّ ! ولقد هَمَمْتُ ألاَّ أقْبَل هديَّةً إلاّ من قُرَشِىٍّ أو أنصارىٍّ . وفى روايةٍ : أو ثَقَفِىٍّ أو دَوْسِىٍّ

بعض تاريخ الغزوة

ووقع فى صحيح مسلمٍ عن سَلَمة بن الأكوع فى هذه القِصة قال : فرجَعنا إلى المدينة فلم نَلْبَثْ إلا ثلاثَ ليال حتى خرجنا إلى خَيبر . وذهب قوم إلى أن غَزوَة المُرَيسيع كانت فى شَعبان ، بعد غزوة الغَابةِ هذه

ياخيل الله اركبي

وفى غزوة الغَابة نودى عند ماجاءَ الفزَعُ : يا خَيْلَ الله اركبى : ولم يَكُن يُقال قبلَها

سرية عكّاشة ابن محصن إلى الغَمْر

ثم كانت سرية عُكَّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثان بن قَيس بن مُرّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودان بن أسَد بن خُزَيمة — الأسدى — إلى الغَمْرِ : وهو ماء لبنى أسَدٍ على ليلتَين من فَيْدٍ فى ربيع الأول سنة ستٍّ . خرج فى أربعين رجُلاً يُغِذُّ السَّير فنَذِرَ به القومُ فهربوا ، وانتهى إلى عُليا بِلادِهم فلم يَلْقَ أحداً . وبثَّ سراياه فظفِرُوا بنَعَمٍ فاستساقُوا مِائتى بعيرٍ وعادوا

سرية محمد بن مسلمة إلى ذى القَصَّة

ثم كانت سريّةُ محمد بن مَسلَمة إلى ذى القَصّة — موضعٌ بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا — يُريد بنى ثَعلَبة وبنى عُوال من ثَعلبة[٢] : وهم مائةُ رجل ، فى ربيع الأوّل . فسار فى عشرة حتى ورَدوا ليلا وناموا ، فأحاطَ بهم المائة رجلٍ من بنى ثعلبة ففزِعوا ، ورامَوْهم ساعةً بالنَّبلِ ، ثم حملت الأعرابُ

---

(١) يريدُ : أى شىء بك ، وهذه لفظة يستعملونها كذلك ، وفى الحديث : أيمُ هُوَ يا رسول الله ؟ : أى ما هو ، وأيمَ تقول ؟ : أى شىء تقول

(٢) فى الأصل : « تغلب » ، وهو خطأ ، فهم من بنى سعد بن ثعلبة بن ذبيان

بالرِّماح عليهم فقتلوهم ، وسقط محمد بن مَسلمة جَريحًا ، فحُمِل بعد ذلك إلى المدينة

سرية أبي عبيدة بن الجرّاح إلى ذى القَصَّة

ثم كانت سَرِيّة أبي عُبَيدة بن الجرّاح إلى ذى القَصَّةِ فى شهر ربيع الآخر سنة ست . خرج فى ليلةِ السبتِ ومعه أربعون رجلا ، فغاب لَيلتين . وكانت بلادُ بنى ثعلبة وأنمارٍ قد أجدَبتْ ، فتتَبَّع بنو مُحاربٍ وثعلبة وأنمارٍ سحابةً وقعتْ بالمِراض إلى تَغلَمَيْن ، [والمِراضُ على ستّةٍ وثلاثين ميلا من المدينة] ، وأجْمَعوا أن يُغيروا على سَرْح المدينة ببطن هَيفا[1] : [موضعٌ على سبعةِ أميالٍ من المدينة] . فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا عُبَيْدةَ رضى الله عنه بمن معه ، بعدَ ما صلَّوْا صلاةَ المغرب . فمشوْا ليلَهم حتى وافَوْا ذا القَصّة مع عَمايةِ الصُّبح[2] ، فأغاروا على القَوْم فأعْجزوهم هرَبًا . وأخذوا رجلا ، وَاُستاقوا نَعَمًا ، ووجَدوا رِثّةً من مَتاعٍ ، وعادوا . نخمّس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الغَنيمةَ ، وقسَم باقيَها . وأسلمَ الرّجل وتُرِكَ لحاله

سرية زيد بن حارثة إلى العيص

وكانت سَرِيَّةُ زيْدِ بن حارثة رضى الله عنه إلى العِيصِ : على أربع ليالٍ من المدينةِ ، فى جمادى الأُولى منها ، ومعه سبعون ومائة راكبٍ ، ليأخُذوا عيراً لقُرَيشٍ قد أخذَتْ طريقَ العراق ، ودليلُها فُرات بن حيّان العِجْليّ . فظفِر بها زيدٌ ، وأسَر أبا العاص بن الرّبيع ، والمُغيرة بن مُعاوية بن أبى العاص ، ووجد فِضَّةً كثيرة لصَفْوان بن أُمَيَّة . وقَدِم المدينـةَ ، فأجارتْ زينَب [بنت رسول الله][3] عليها السلام زوْجَها أبا العاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المُؤْمنون يدٌ على مَنْ سِواهم ، يُجير عليهم أدناهم ، وقد أجَرْنا مَن أجارتْ . وردَّ عليه كلَّ ما أُخِذَ له من المـال . فعادَ إلى مكة ، وأدّى إلى كلّ ذى حقٍّ حقَّه ،

إسلام أبي العاص زوج زينب بنت رسول الله

(١) فى الأصل : « هيقا » ، وانظر ابن سعد ج ٢ ص ٦٢
(٢) عماية الصبح : بقيّة ظلمة الليل ، قبل أن تتبين الأشياءُ
(٣) زيادة للإيضاح

إفلات المغيرة بن معاوية من أسر عائشة

خبر دعاء رسول الله على عائشة

وأسلمَ . ثم قدِمَ المدينة مُهاجراً ، فردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه زينبَ بذلك النِّكاح . وأفلَتَ المُغيرة بن مُعاوية فتوجَّه إلى مكة ، فأخذَه خوّاتُ بن جُبيْر أسيراً — وكان فى سبعة نفَرٍ مع سعد بن أبى وقّاص — فدخلوا به المدينةَ بعد العصر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعائشةَ رضى الله عنها : احتفِظى عليْكِ[1] بهذا الأسيرِ . وخرَج . فلهَتْ عائشة مع امرأةٍ بالحديث ، فخرج وما شعرَتْ به . فدخلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فلم يرَه وسألها ، فقالت : غفلْتُ عنه ، وكان هُهُنا آنفاً ! فقال : قطعَ اللهُ يدَكِ . وخرجَ فصاح بالنّاسِ ، فخرجوا فى طلَبه حتى أخذوه وأتَوْا به . فدخل صلى الله عليه وسلم على عائشة وهى تُقلِّبُ يدَها فقال : ما لكِ ؟ قالت : أنظرُ كيفَ تُقْطع يَدى ! قد دعوْتَ علىّ بدعوتك ! فاستقبل صلى الله عليه وسلم القِبْلةَ ورفع يدَيه ثم قال : اللّهُمَّ إنما أنا بَشرٌ أغْضبُ وآسَفُ[2] كما يَغْضَبُ البَشر ، فأيّما مُؤمنٍ أو مُؤمنةٍ دعوْتُ عليه بدعوةٍ فاجعلْها له رَحْمة

سرية زيد بن حارثة إلى الطرَف

وكانت سَرِيّةُ زيد بن حارثة إلى الطَّرَفِ : ماء على ستّة وثلاثين ميلًا من المدينة بناحيةِ نَخْلٍ من طريق العراق — فى جُمادى الآخرة منها ، ومعه خمسة عشر رجلاً يريد بنى ثعلبة ، فأصاب لهم نعَمًا وشاء . وقدِم من غير قِتالٍ بعشرين بعيراً ، ثم غاب أربع ليال

سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى ، وسببها

وكانت سَرِيّةُ زَيْدٍ أيضاً إلى حِسْمَى وراء وادى القُرَى ، فى جُمادى الآخرة هذا . وسَبَبُها أنّ دِحْيةَ الكلْبىّ أقبلَ من عند قيصرَ مَلِكِ الرّوم بجائزة وكُسوة ، فلَقِيَهُ بحِسْمَى الهُنَيْدُ بن عارضٍ وابنهُ عارضُ بن الهُنَيْد فى جَمْعٍ من جُذام ،

(١) فى الأصل : « عليه »

(٢) أسف يأسَفُ أسفاً : غضب غضباً شديداً فى حزن ولهفة

فأخذوا ما معه . ودخل المدينة بسَمَلٍ[1] ثَوْبٍ ،[ويقال بل نفر إليه النعمان ابن أبي جعال في نفر من بني الضُّبَيْب فخلّص له متاعه بعد حرب] . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدًا على خمسمائة رجل ومعه دِحْيَة ، فكان يسير ليلاً ويكمن نهاراً ، حتى هجم مع الصُّبح على الهُنَيْد وابنه فقتلهما ، واستاق ألفَ بعيرٍ وخمسة آلاف شاة ، ومائةً ما بين امرأة وصبيّ . فأدركه بنو الضُّبَيْب — وقد كانوا أسلموا وقرأوا من القرآن — وحدّثوه أن يردّ عليهم ما أخذ . ثم قدم زيد بن رفاعة الجُذَاميّ في نَفَرٍ من قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، فذكر له ما صنع زيدُ بن حارثة ، ورضوا بأخذ ما أصابَ لهم من الأهل والمال ، وأغضوا عمّن قُتل . فبعثَ معهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه سيفه أمارةً — ليردّ عليهم زيدٌ ما أخذَ لهم . فردّ جميعَ ذلك بعد ما فرّقه فيمن معه ، وقد وَطِئوا النساء

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى كلب بدومة الجندل يدعوهم إلى الاسلام

وكانت سَرِيَّةُ عبد الرحمن بن عَوْف رضي الله عنه إلى كلْبٍ بدُومة الجَنْدَل في شَعْبان منها ، ليدعوَ كلباً إلى الإسلام ، ومعه سبعمائة رجل . فأقعده بين يديه ، ونقضَ عِمامَته بيده الكريمة ، ثم عَمَّمه بعِمامَةٍ سَوْدَاء ، وأرخى بين كتفيه منها ، ثم قال : هكذا فأعتمّ يا ابنَ عوفٍ ! ثم قال صلى الله عليه وسلم : أغدُ باسْمِ الله وفي سبيل الله فقاتِل من كفر بالله . لا تَغُلّ[2] ولا تغدِرْ ولا تَقتُلْ وَليداً . ثمّ بسطَ يدَه فقال : يا أيها النّاس ! أتقوا خمساً قبلَ أن تحلَّ بكم : ما نُقِصَ مِكْيالُ قومٍ إلا أخذهم الله بالسِّنين[3] ونقصٍ من الثَّمرات لعلَّهم يَرجعون ، وما نكَثَ قومٌ عهْدهم إلا سلّط الله عليهم عدُوّهم ، وما مَنع

الخمس المهلكات

(١) ثوب سمل : بال خلق

(٢) غلّ يغلّ : خان فسلّ لنفسه بعض الغنيمة

(٣) السنين جمع سنة : يراد بها القحط والجدبُ ، والعام الذي يكون مجدباً

قومٌ الزَّكاةَ إلّا أمْسك الله عنهــم قَطْرَ السَّماء : ولولا البهائِم لم يُسقَوْا ، وما ظَهَرَتِ الفَاحشةُ فى قومٍ إلّا سَلَّطَ الله عليهم الطّاعون ، وما حكَمَ قومٌ بغيرِ آىِ القرُآنِ إلاَّ ألبَسَهُم[(١)] شيَعًا وأذاق بعْضَهُم بأْسَ بعضٍ

إسلام الأصبغ ملك كلب ، وزواج عبد الرحمن بن عوف تماضر ابنته

فسارَ عبد الرحمن حتى قَدِمَ دُومةَ الجَنْدل ، ودَعا أهلَها ثلاثة أيّامٍ إلى الإسلام وهمْ يأْبَوْن إلا محاربته . ثم أَسلَمَ الأَصْبَغُ بن عمرو بن ثعلبة بن حِصن ابن ضَمضم الكلبي : وكان نصرانيًّا وهوَ رَأْسُ القَوْم ، فكتب عبد الرحمن ابن عَوْفٍ بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رَافع بن مَكيثٍ ، وأنَّه أراد أن يتزَوَّجَ فيهم ، فكتب إليه أن تزوّج تُماضِرَ ابنة الأصبغ ، فتزوَّجها ، فهى أوّلُ كَلْبيَّةٍ تزوَّجها قُرَشِيٌّ ، فولدتْ له أبا سلَمَة ، [العتية][(٢)] ، وهى أُخْتُ النُّعمان بن المُنذر لأُمِّه[(٣)] . وأقبل بعدما فَرَضَ الجِزْية على من أقام على دينه

سرية على بن أبى طالب إلى بنى سعد بن بكر

ثم كانت سريّةُ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى بنى سعْد بن بكر[(٤)] وكانوا بفَدَكَ فى شعبان منها ، ومعه مائةُ رجُل . وقد أجمعوا [يعنى بنى سعد بن بكر][(٥)] على أن يُمِدُّوا يهودَ خيْبر . فسارَ ليلاً وكَمَنَ نهاراً ، حتى [إذا][(٥)] انتهى

---

(١) ألبسهم : من قولهم لبس الأمرَ أى خلط بعضه ببعض ، يريد يخلطهم فيجعلهم فرقاً متنابذين مختلفين متباغضين

(٢) هكذا رسم هذه الكلمة فى الأصل ولم أهتد لصواب أقرؤها به ، وربما وضح الكلام بحذفها

(٣) ولعل المقريزى يريد أنّ تماضر بنت الأصبغ هى أخت النعمان بن المنذر لأمّه ، ولم أجد هذا القول فيما بين يدىّ من الكتب ، وكلّ ما وجدته فى ذلك أن أم تماضر هى : « جويرية بنت وبرة بن رومانس من بنى كنانة بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة من كلب » . انظر ترجمتها فى ابن سعد ج ٨ ص ٢١٨

(٤) فى الأصل : « بنى عبد الله سعد بن بكر » ، والذى أثبتناه هو نص ابن سعد ج ٢ ص ٦٥

(٥) زيادة للبيان والإيضاح . وفى الأصل بعده : « حتى انتهى »

إلى ماء بين خيبر وفَدَكٍ يقال له الهَمَجُ ، وجَد عَيناً لبنى سعْدٍ قد بعثوه إلى خيبر — لتجعل لهم يهودُ من ثمرها كما جعلوا لغيرهم ، حتى يَقْدَمُوا عليهم — فدلَّهم على القوْم بعدما أمَّنوهُ . فسار علىٌّ حتى أغارَ على نَعَمِهم وضَمَّها ، وفرَّت رُعاتُها فأنْذرَتِ القوم . وقد كانوا تجمَّعوا مائتى رجُل ، وعليهم وبَرُ بن عُلَيْم[1] ، فتفرَّقوا . وانتهى علىٌّ بمن معه فلم يرَ منهم أحداً ، وساق النَّعم : وهى خمسمائة بعيرٍ وألفا شاةٍ . فعزَلَ الخُمُسَ وصفِىَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لَقُوحاً تُدْعى [الحفدة][2] ، ثم قَسم ما بقى ، وقَدِم المدينة

سرية زيد بن حارثة إلى أمّ قِرْفة، وسببها

ثم كانت سرِيَّة زَيْد بن حارثة إلى أمّ قِرْفَةَ فاطمَة بنت ربيعة بن بَدْرٍ الفَزَارِيَّةِ ، بناحية وادى القرى : على سبع ليال من المدينة ، فى رمضان سنة ستٍّ . وسببُها أنّ زيداً خرَج فى تجارة إلى الشَّأْم ، [ومعه بضائعُ لأصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم][3] ، فخرجَ عليه — دُوَيْنَ وادى القُرَى — ناسٌ من بنى بَدْر من فزَارة فضربوه ومن معهُ حتى ظنوا أنّهم قد قتلوه ، وأخذوا ما كان معه ؛ ثم تَحامَل حتى قَدِم المدينةَ . فبعثَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سَرِيَّةٍ إلى بنى فزَارة ، فكان يَكْمُنُ نَهاره ويسير لَيلَه ، ونَذِرتْ بهم بنو بَدرٍ فاستعدُّوا لهم . فلما كان زيدٌ ومن معه على مَسيرة ليلة أخطأَ بهم دليلُهم الطَّرِيق ، حتى صبَّحوا القوْمَ فأحاطُوا بهم . فَقَتل سلمة بن الأكوع رجلاً منهم ، وأخذ [سلمة بن][4] سلاَمة بن وقَش ، [ويقال بَلْ سلمَة بن الأكوع ، واسم الأكوع سِنَان] ، جارِيَةَ بنت مالك بن حُذَيْفة بن بدر وأمّها أمّ قِرفة : فاطمةَ بنت ربيعة

---

(١) فى الأصل : « وبرب علبم »

(٢) لم أجدها إلا فى ابن سعد ج ٢ ص ٦٥ وهى هناك « الحفدة » ، ولا أدرى صواب ضبطهما

(٣) زيادة للبيان والإيضاح من ابن سعد ج ٢ ص ٦٥

(٤) هذه الزيادة لا بُدَّ منها ، فليس فى الصحابة سلامة بن وقش

ابن بدر، وغنِموا. ثم قدِموا المدينةَ، فقرَع زيدُ بن حارثةَ البابَ، فقامَ إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يجرُّ ثوبَه عُريانًا حتى اعتنقَه وقبّله، وساءَله فأخبره بما ظفّره الله. وقُتل فى هذه السريّة عبد الله بن مَسعَدة، وقيسُ بن النُّعمان ابن مسعدة بن حكَمة بن مالك [بن حُذَيفة][1] بن بدر، أحدُ بنى فِزارة. وأمُّ قِرفةَ قتلها قيسُ بن المُحسّر [اليَعْمُرِىّ][2] قتلاً عنيفًا: ربط بين رِجْلَيها حبلاً، ثمّ ربطها بين بعيرَيْن [ثمّ زَجَرهما فذهبا فقطعاها][3]، وهى عجوز كبيرةٌ. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسها فديرَ به فى المدينة ليُعلَمَ قتلُها، ويَصدُق قولُ رسولِ الله فى قوله لقُرَيشٍ: «أرأيتُمْ إنْ قَتَلْتُ أمَّ قِرْفَة؟ فيقولون: أيكونُ ذلك[4]؟» وكان زوجُها مالكُ بن حُذيفة بن بدر. وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلَمة بن الأكوع ابنةَ أمِّ قِرفةَ، فوهبها لحَزْنِ بن أبى وَهب بن عمرو بن عائذِ بن عمران بن مخزوم، وهى مُشركة وهو مُشرك، فولدت له: عبد الرحمن بن حَزْن، وكانت جميلةً.

سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم اليهودى بخيبر

ثم كانت سريّةٌ أميرُها عبدُ الله بن رَواحة إلى أُسَير بن زارِم[5] بخَيبَر، وكان من يهود، فى شوال سنة ست. وكان قد بعثَه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك فى رمضان فى ثلاثة نفرٍ ينظرُ إلى خيبر وما تكلّم به يهود، فوعَى ذلك وعاد بعد إقامة ثلاثة أيّام، فقدِم لليالٍ بَقين منه، فأخبر رسولَ الله صلى

(١) زيادة من النسب

(٢) زيادة، وفى ابن هشام ج ٢ ص ٩٨٠ «المسحر»

(٣) زيادة لتمام المعنى من ابن سعد ج ٢ ص ٦٥

(٤) كانت العربُ تقول، إذا رأوا أمراً عجباً فسأله أحدهم غير متهيب: «لو كنت أعزّ من أمّ قرفة ما زدْتَ»، وضربوا بها المثل فقالوا: «أمْنع من أمّ قرفة» و «أعز من أم قرفة». وذلك أنها كانت فى بيت شرف فى قومها، وأنّه كان يُعلقُ فى بيتها خمسون سيفاً لخمسين فارساً، كلهم لها محرم. وكانت هذه المشركة تسبّ رسولَ الله وتكثر

(٥) وفى ابن هشام ج ٢ ص ٩٨٠ «اليسير بن رزام» و «رازم» أيضاً

خبر أسير بن زارم

الله عليه وسلم بما نَدَبَهُ إليه . وكان أُسَير قد تأمَّر على يهودَ بعد أبي رافع ، فقام فيهم يُرِيد حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسار فى غطفان فجمعها ليسير إلى المدينة . فقدم بخبره خَارجة بن حُسَيل الأشْجعىّ(١) . فندَب رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّاسَ فانتَدب له ثلاثون رجلاً ، واستعملَ عليهم عبدَ الله ابن رَوَاحة رضى الله عنه . فقَدِموا خيبر ، وبَعثوا إلى أسير فأمَّنهم حتى يأتوهُ(٢) فيما جاءوا فيه ، فأتوْه وقالوا له : إنَّ رسول الله بَعثَنا إليك أن تَخرُج إليه فيستعملكَ عَلَى خيبر ويُحسِنَ إليك . فطَمِع فى ذلك ، وخرَج فى ثلاثين من يهود ، ثم نَدِم فى أثناء الطَّريق حتى عُرِف ذلك منه . وهمَّ بعَبد الله بن

غدرة اليهودىّ

أُنَيس — وكان فيمن خرَج مع ابن رَوَاحة — ففَطِنَ عبدُ الله بغَدْرِه وبادَره ليقْتُله ، فَشَجَّه أُسَيْرٌ ثم قُتِل . ومالُوا على أصحابه فقتَلوهم كلهم ، إلا رجلاً واحداً فرَّ منهم ؛ ولم يُصَب أحَدٌ من المسلمين . وقَدِموا المدينة — وقد خرَج لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتحَسَّبُ(٣) أخبارَهُم — فحدَّثُوه الحديثَ ، فقال : نَجَّاكم اللهُ من القَوم الظَّالمين . ونَفَث فى شَجَّة عبدِ الله ابن أُنَيس فلم تَفِـح(٤) بعد ذلك ولم تُؤْذِه ، وكان العظمُ قد نُقِّل(٥) . ومسح على وجْهه ودَعا لَهُ ، وقطع له قِطْعةً من عصاه فقال : أمسكْ هذه علامةً بينى وبينَك

(١) خارجة بن حسيل ، لم أجد له ترجمة ولا خبراً ولا ذكرا ، ولا رأيت أحداً من أصحاب السير ذكره فى خبر هذه السرية . وأخشى أن يكون هو خارجة بن الحمير الأشجعى : ذكره ابن هشام فيمن شهد بدراً ج ١ ص ٥٠٠ ، وترجم له صاحب أسد الغابة ، وابن حجر فى الإصابة وقال : « هو حارثة بن حمير الأشجعى » وترجم له فيه

(٢) فى الأصل : « يأتونه »

(٣) تحسب الخبر واحتسبهُ : تطلبه وتحسَّسَهُ وتعرَّفهُ

(٤) فى الأصل : « تقح » ، وفاحت الشجة : نفحت بالدم

(٥) نقّلت الضربة العظم : كسرته حتى يخرج منه فراش العظام ، وهى قشور تكون على العظم دون اللحم ، وتسمى هذه الضربة ، المنقّلة

يومَ القيامَة أعرِفُك بها ، فإنَّك تأتى يومَ القيامة مُتخصِّرا (١) . فجُعلت معه فى قبره تَلِى جِلْده . ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد قال لَه : يا عبدَ الله ! لا أرى أُسير بن زَارم ! أى أَقْتُلُه

سرية كرز بن جابر

ثم كانت سريَّة كُرز بن جابر بن حِسْل بن لَاحب بن حبيب بن عمرو بن شَيْبَان بن محارب بن فِهر بن مالك القُرَشىّ الفهرىّ — لمّا أُغير على لقاح النبى صلى الله عليه وسلم بذِى الجَدْر — فى شوال سنة ست — وهى على ستَّة أميال من المَدينة . وذلك أنَّ نفراً من عُرَيْنَة ثمانيةً قَدِموا على النبىّ صلى الله عليه وسلم [فأسلموا ، واسْتَوْبأوا المدينة . وطَحلوا ، فأمرَ بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم] (٢) إلى لقاحِه — وكان سَرْحُ المسلمين بذى الجَدْر ناحيةَ قُباء قريباً من عَيْرٍ ، ترْعى هُناك — فكانوا فيها حتى (٣) صَحُّوا وسَمِنوا — وكانوا استأذَنوه أن يشرَبوا من ألبانها وأبوالِها فأذِنَ لهم — فغَدَوْا على اللِّقاح فاستاقوها . فيُدْرِكُهُم يسارٌ مَوْلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ومعه نفرٌ فقاتَلهم ، فأخذوه فقطعوا يدَه ورِجلَه وغرَزوا الشَّوْكَ فى لسانه وعَيْنيه حتى مات ، وانْطلقوا بالسَّرح . فأقبلَتْ امرأةٌ من بَنى عمْرو بن عوف على حمارٍ لها حتى تَمُرَّ بيسار فتجِدُهُ (٤) تحتَ شَجَرةٍ ، فلما رأَتْهُ وما بهِ رَجَعتْ إلى قومها فأخبَرَتْهم ، فخرجوا نحو يسارٍ حتى جاءوا بهِ إلى قُباء مَيِّتاً . فبعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى إثْرِهم عشرِين فارساً ، واستعمل عليهم كُرْزَ بن جابر الفِهْرِىّ ، فخرجوا فى طَلَبهم حتى

(١) أى يحمل المخصرة وهى العصا

(٢) زيادة لا بدّ منها لتمام الكلام ، من ابن هشام ج ٢ ص ٩٩٩ ، وابن سعد ج ٢ ص ٦٧ . واستوبأ الأرض : استوخمها ووجدها وبئة . وطحل : شكا الوجع من طِحَاله

(٣) فى الأصل : « حتى إذا » ، والسياق فى حذف إذا

(٤) هذه الكلمة فى الأصل مضطربة مجمجمة

أدركهم الليـلُ فباتوا بالحرَّة ، وأصبَحوا لا يَدْرُون أين يَسلُكون ؛ فإذَا هُمْ بأمرأةٍ تحملُ كتِفَ بَعيرٍ فأخذُوها ، فقالوا : ما هٰذا معَك ؟ قالت : مررتُ بقومٍ قد نحروا بعيراً فأعطوْنى هٰذا . ودلَّتهُم عَلَى موضعهِمْ فأتوهم ، فأحاطوا بهم وأسروهم جميعهم ، وربَطوهم ، وأردَفُوهم[١] على الخيلِ حتى قَدِموا بهم المدينـة — وقد خرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغابةِ[٢] — فأتوه بهم . فقُطعَت أيديهم وأرجُلُهم ، وسَمَلَ[٣] أعيُنَهم ، وصُلبوا بالزُّغابة

عقاب الأسرى

فنزلت هذه الآية : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (المائدة : ٣٣)[٤] فلم تُسمَل بعد ذلك عَين ، ولا بَعثَ صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بَعثاً إلا نَهاهُمْ عن المُثْلة . وَرَوَى جَعفَر بن مُحمد ، عن أبيه ، عن جدِّه[٥] : لم يَقْطَع رسول الله صلى الله عليه وسلم لساناً قطُّ ، ولم يَسْمُل عيناً ، ولم يَزِدْ عَلَى قَطْعِ اليَدِ وَالرِّجْل

النهى عن المثلة

ولـما ظفر المسلمون باللِّقاح خلَّفُوا عليها سلمة بن الأكوَع ومعه أبو رُهْمٍ الغِفَارِىّ ، وكانت خمس عشرةَ لقحةً غِزَاراً . فلمَّا أقبل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من الزُّغابة إذا اللِّقاح على باب المسجد تَحَانُّ[٦] ، فلما نظر إليها تفقَّدَ منها لِقْحةً

اللقاح

(١) أردفه : جعله رديفاً ، فأركبه خلفه
(٢) فى الأصل : « بالغابة »
(٣) سَمَلَ العين : فقأها
(٤) فى الأصل : « ... فساداً ، الآية »
(٥) جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنـه ، وعلى بن الحسين يروى عن جده على بن أبى طالب حديثاً مرسلا
(٦) هذا الحرف فى الأصل غير منقوط ، وهكذا قرأناه ، ولم يذكر أصحابُ اللغة =

يقال لها الحنّاء ، وقد نحرَها القوم ، فردَّها إلى ذى الجَدْر فكانت هناك ، وكان لبنُها يروحُ به سـلمةُ بن الأكوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلَّ ليلة وَطْبُ[١] لبنٍ

عُمْرة الحديبية

ثم كانت عُمْرَةُ الحدَيْبية [على مقربة من مكة][٢] . وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رأى فى النَّوم أنّه دخل البيت ، وحلّق رأسه ، وأخذ مِفتاحَ البيْت ، وعرّف مع المُعرِّفين[٣] ؛ فاستَنفرَ الصَّحابة إلى العُمْرة ، فأسرعوا وتهيَّأُوا للخروج . وقَدِمَ عليه بُسْرُ بن سفيان بن عَمرو بن عوَيْمر الخزاعىّ فى ليالٍ من شوال مُسْلماً ، فقال له : يا بُسْرُ ! لا تَبرَحْ حتى تخرُجَ معنا ، فإنا إن شاء الله مُعْتمِرون . فأقام ، وأبتاع بُدْناً لِرَسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يَبْعَثُ بها إلى ذِى الجدرِ حتى حَضر خرُوجه ، فأمَرَ بها فجلبت إلى المدينة ، وسلمها إلى نَاجية بن جُندُب بن عُمَير بن يعْمر بن دارِم بن عمرو بن وَاثلة بن سهم[٤] بن مازن ابن سلامان بن أسلَمَ بن أفْصى الأسلمىّ ليقدِّمها إلى ذى الحُليفة .

إسلام بسر بن سفيان ، وشراؤه الهدى لرسول الله

سلاح المسلمين وهديهم

وخرج المُسْلمون لايَشُكُّون فى الفَتْح — للرؤْيا المذكورة — ، وليس معهم سِلاحٌ إلا السيوف فى القُرُبِ . وساق قومٌ الهَدْى[٥] : منهم أبو بكر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفّان ، وطلحةُ بن عبيد الله ، وسعد بن عبادة رضوان الله عليهم

كلام عمر فى أمر السلاح

وقال عُمَر بن الخَطّاب رضى الله عنه : أَتَخْشَى يا رسولَ الله عَلَيْنَا من

= هذا البناء ، وهو لا ينكر . وهو من الحنين (تفاعل) ، إذا سمع بعضها صوت بعض حنّ ، فتردّد حنينها وترجّعُه

(١) الوطبُ : سقاء من جلد يكون للبن خاصة

(٢) الذى بين القوسين كان فى الأصل بعد قوله : « وطبُ لبن » ، وهذا حق مكانه

(٣) عرّف : وقف بعرفة فى الحجّ

(٤) فى الأصل : « واثلة بن تيم »

(٥) الهدى : ما يُهدَى من النعم إلى بيت الله الحرام فينْحر ، فى الحج

أبى سُفْيان بن حرب وأصحابه ولم تَأْخُذْ للحرب عُدَّتها ؟ فقال : ما أدرى ، ولستُ أُحِبُّ أَحْمِلُ السِّلاحَ مُعْتَمِراً . وقال سَعْد بن عُبادة رضى الله عنه : لو حَمَلْنا يارسول الله السِّلاحَ مَعنا ، فإنْ رأَيْنا من القَوْم رَيْبًا كُنَّا مُعِدّين لهُم ! فقال : لستُ أَحْمِلُ السِّلاح ، إنَّما خرجْتُ مُعْتَمِرًا

يوم الخروج

واستخلَفَ على المدينةِ ابنَ أُمِّ مكتُومٍ . وخَرَج من المدينةِ يومَ الاثْنَين لهلالِ ذى القَعْدة . هذا هو الصَّحيح ؛ وإليه ذَهب الزُّهْرى ، وقَتَادة ، ومُوسى ابن عُقْبة ، ومُحمّد بن إسحاق ، والواقدىُّ . واُختُلِفَ فيــه على عُرْوَة بن الزُّبَيْر فَعَنْه : خَرَج رسول الله صلى الله عليــه وسلم إلى الحُدَيْبِيَة فى رمضان ، وكانت الحُدَيبيَةُ فى شوال . وعنه : أنَّها كانت فى ذى القَعدةِ من سنة ستٍّ

بدء الجهاز للعمرة

قال الواقدىُّ : فاغْتَسل فى بَيْتــه ، ولَبِس ثَوبين من نَسْجِ صُحَار[1] ، وركب راحلتَه القَصْواءَ من عنــد بَابه ، وخَرَج المُسلمون . فصلَّى الظهرَ بذِى الحُلَيْفَةِ ، ثم دعا بالبُدْن فجُلِّلَتْ[2] ، ثم أَشْعَر منها[3] عِدّةً — وهى مُوَجَّهاتٌ إلى القِبْلَة — فى الشقِّ الأيمن . ثم أمر نَاجِية بن جُنْدُب بإشْعارِ ما بَقِىَ ، وقَلَّدَ[4] نَعْلاً نَعْلاً ، وهى سبعون بَدَنَة : منها جَمَل أبى جَهْلٍ الذى غنمه يوم بدْرٍ . وأَشْعر المُسلمون بُدْنَهم ، وقَلَّدوا النِّعال فى رِقَابهــا . وبعثَ بُسْرَ بن سُفْيان عَيْناً لهُ ، وقدَّم عَبَّادَ بن بشرٍ طليعةً فى عشرين فرساً ، ويقالُ جَعَل أَميرَهم سَعْد بن زيدٍ الأَشهلى

إشعار الهدى وتقليده

(١) صُحار : قرية باليمن كانت تعمل بها الثياب وتنْسب إليها
(٢) جلّل البدنة : ألقى عليها بُرداً أو غيره ، وفى الحديث : «أنّه كان يجلّل بُدْنه القَبَاطِىّ » : وهى ثياب من كتان بيض رقاق كانت تعْمل بمصر
(٣) أشعَر البَدَنَة : أعْلمها ، وهو أن يشقّ جلدها أو يطعنها فى سنامها فى أحد الجانبين بمبضع حتى يظهر الدم ، ويُعْرف أنها هَدْى
(٤) قلّدَ البدنة : علّق فى عُنقها عُرْوة مزادة أو خَلَق نعْل فيُعْلم أنها هَدْى

إحرام رسول الله من ذى الحليفة

ثم صَلَّى رَكعتَيْن ورَكب من باب المسجد بذى الحُلَيْفَة[(١)] ، فلما أُنبَعَثَتْ به رَاحِلَتُه مُسْتقبلةَ القِبْلةَ أَحْرم فلبّى: « لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَاشَرِيكَ لك ، لَبَّيْكَ إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمةَ لَكَ ، والمُلْكَ لا شَرِيكَ لكَ » . وأحرم عامَّةُ النَّاس بإحْرامِه . وسَلَكَ طَرِيق البَيْدَاء ، وخَرَجَ معه من المسلمين ألفٌ وستمائة ، ويقال ألفٌ وأربعمائة ، ويقال ألفٌ وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلا ، ويقال ألفٌ وثلاثمائة .

عدد المسلمين

عدد النساء

وأَرْبَعِ نِسْوَة : أُمُّ سَلمة أُمُّ المؤمنين ، وأُمُّ عُمَارة ، وأُمُّ مَنِيعٍ — أَسْماء بنت عمرو ابن عدى [بن سِنَان بن نَابِئ[(٢)]] بن سَوَاد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَةَ الأَنْصَارِيَّة ، وأُمُّ عَامرٍ الأَشْهلية . وقال بعضهم : كانوا سبعمائة . قال ابن حَزْم : وهذا وَهَم شَديدٌ أَلْبَتَّةَ ، قال : والصحيحُ بلا شَكٍّ ما بَيْن أَلْفٍ وثلاثمائة إلى ألفٍ وخمسمائة

مقالة بنى بكر ومزينة وجهينة

ومَرَّ فيما بَيْن مكة والمدينـة بالأعراب بنى بكرٍ ومُزَينة وجُهَينة فاسْتَنْفَرهم ، فتشاغَلُوا بأبنائهم وأموالهم ، وقالوا فيما بينهم : أيُرِيد محمدٌ أَنْ يَغْزُوَ بنَا[(٣)] إلى قومٍ مُعِدِّين فى الكُرَاع والسِّلاح ؟ وإنَّمَا محمَّدٌ وأصحابه أَكَلَةُ جَزُورٍ[(٤)] ! لن يرجعَ محمَّدٌ وأصحابُه من سفرهم هذا أبداً ! قومٌ لا سِلَاحَ معهُم ولا عَدَد ! ثم قدمَ ناجيةُ ابن جُنْدُب مع الهَدْيِ فى فتيانٍ من أَسلم ، ومعهم هَدْيُ المسلمين . ولقى بالرَّوْحاءِ طائفةً من بنى نَهْدٍ ، فدعاهم إلى الإسلام فأبَوْا ، وبَعثُوا إليه بلَبَنٍ من نَعَمهم فقال :

هدية بنى نهد

(١) فى الأصل : « بالحديبية »

(٢) فى الأصل مكان مابين القوسين : [بن أبى بن عمرو] ، والذى ذكرناه هو نصّ ابن سعد ج ٨ ص ٢٩٨ ، وفى أسد الغابة بحذف « سنان » ، وفى الإصابة كما فى أسد الغابة ، إلّا أنه جعل مكان « نابئ » « ياسر » .

(٣) فى الأصل : « أيريد محمداً يغزوننا »

(٤) هذا كناية عن قلة عددهم ، فإن أَكَلَة الجَزُور لا يزيدون على العشرة (انظر ص٧٧ ، خبرَ حزر عدة المشركين يوم بدر) . ومن كنايتهم فى ذلك أيضاً « ماهم إلا أَكَلَةُ رأس » : أي قليل قدر ما يشبعهم رأس واحد

ردّ هدية المشركين

لا أَقبل هَدِيَّةَ مُشْرِكٍ . وردَّه ، فأبتاعه المسلمون منهم . وأبتاعوا ثلاثة أَضُبٍّ[١] فأَكلَ منها قوم أَحِلّةٌ . وسأَلَ المُحْرِمون رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال : كلُوا ، فكلُّ صَيدِ البَرِّ لكم حلالٌ فى الإحْرام تأْكُلونه إلَّا مَا صدتُم أَوْ صِيدَ لكُمْ .

الصَّيد فى الحرم

ورأى أبو قتَادة بالأَبواءِ حِماراً وَحْشيًّا — وكان مُحِلاًّ[٢] — فحَمَل عليه فقتَله ، فأَكلَ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاءه يوْمئذٍ الصَّعبُ بن جَثّامة ابن قيْس اللَّيْثِيُّ بحمارٍ وَحْشيٍّ أهداه له فَرَدَّه وقال : إنَّا لم نَرُدَّه إلَّا أَنَّا حُرُمٌ .

هدية إيماء بن رحضة

وأَهْدَى لَهُ إيماء بن رَحْضَة بن خربة الغِفَارىُّ مائة شاةٍ ، و بعيرَين يَحْمِلان لَبناً : بعث بهما مع أبنه خُفَاف ابن إيماء ، ففرّق ذلك وقال : باركَ الله فيكم . وأُهْدِى لَهُ من وَدَّان بنيا[٣] [وهو حَبٌّ أَبْيض كالحِمَّصِ] وعِتْرٌ وضَغَابيسُ ، فجعَل يأْكُل الضَّغَابيسَ[٤] والعِتْرَ وأَعجبَهُ ، وأَدْخَل منه على أُمِّ سَلمة

خبر كعب الذى آذاه القمل وهو محرم

ورأى بالأَبْواء كَعْبَ بن عُجْرَةَ بن أُمَيّة بن عَدِىّ بن عُبَيد بن الحارث البَلوِىَّ ورأْسه يَتَهافَتُ قملاً وهو مُحْرِمٌ ، فقال : هل تُؤْذِيكَ هَوامُّك يا كَعب ؟ قال : نعم يارسول الله ! قال : فاْحْلِق رأْسكَ . وفيه نزلتْ : « فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ » الآية (البقرة: ١٩٦)[٥] ، فأمرَه رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يَذْبحَ شاةً ،

---

(١) أضبّ وضباب جمع ضَبّ : هو من حشرات البَرّ سَبْط الخلق أجرش الذنب مفقَّرُه ، وذنبُه ذوعقد وأطوله يكون قدر شبر ، ولونه إلى الصُحْمة : وهى غبْرة مشربة سواداً ، وإذا سَمِن اصفرّ صدرُه ، ولا يأكل إلا الجنادب والجراد والعشب ولا يأكلُ الهوامّ . وكانت الأعرابُ يحرصون على صيده وأكله

(٢) المُحِل : الرجُل غير المحرِم الذى لم يتلبّس بأسباب الحج وأحكامه

(٣) هكذا فى الأصل ، ولم أهتد لصوابها أو تصحيفها

(٤) العتر : شجرة صغيرة منبتها نجد وتهامة لها ثمر صغار تؤكل غضّة . والضغابيس : القثّاء الصغارُ

(٥) فى الأصل : « وفيه نزلت ، ففدية ... »

أو يَصُومَ ثلاثة أيَّام ، أو يُطْعِمَ ستَّةَ مَساكين : لـكل مسكين مُدَّين ، أىَّ ذلك فَعل أجزأَهُ . ويقال : إنَّ كَعْب بن عجرة أهدى بَقرَةً قَلَّدها وأشعَرَها

ما عَطِب من الهدى

وعطِبَ[1] من نَاجية بن جُنْدُب بعيرٌ من الهدى ، فجاء بالأبواء إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم وأخْبره ، فقال : انْحرهَا[2] ، واصْبُغْ قَلائدَهَا فى دَمِها ، ولا تأْكُل أنتَ ولا أحد من أهل رُفْقَتِكَ منها ، وخَلِّ بين النَّاسِ وبَيْنها

نزول الجحفة

ولما نزل الجُحْفَة لم يَجدْ بها ماء ، فبَعثَ رجلاً فى الرَّوَايَا إلى الخَرَّار ، فرجع بها وقال : يارسول الله ! ما أستطيع أن أمْضِىَ رُعباً ! فبعث رجلاً آخر بالرَّوَايا ، فرجع وذَكر كما ذَكر الأوَّل . فبعثَ آخر وخَرَجَ السُّقَّاء مَعهُ ، فاستَقَوا وأتَوْا بالماء .

خطبة رسول الله

ثم أمر بشَجَرةٍ يُقَمُّ[3] ما تحتها ، وخَطَب الناسَ فقال : إنى كَائِنٌ لـكم فَرَطًا[4] ، وقد تَرَكتُ فيكم مَا إنْ أخَذْتم بِهِ لم[5] تَضلُّوا : كتابَ الله وسنَّةَ نبيِّه

بلاغ خبر المسلمين إلى أهل مكة وخروجهم إليهم

وبلَغَ أهلَ مكةَ خروجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَرَاعَهُمْ ذلك ، وتَشَاوَرُوا . ثم قدَّموا عِكْرِمة بن أبى جَهْـل — ويقالُ خالدَ بن الوليد — على مائتىْ فارسٍ إلى كُرَاع الغَمِيم ، واستَنْفَروا من أطاعهم من الأحابيش ، وأجْلَبَتْ ثقيفٌ معهم . ووَضَعوا العيونَ على الجبالِ ، وهم عشرة رجالٍ يُوحِى بعضهم إلى بعضٍ بالصَّوْتِ : فَعل محمدٌ كذا وكذا ، حتى يَنتهى ذلك إلى قُرَيش ببَلْدَحَ . وخرَجوا إلى بَلدَحَ وضَرَبُوا بها القباب والأبنية ، ومعهم النِّساء والصِّبيانُ ، فعسكَرُوا هناك ؛ وقد أجمعوا عَلَى مَنْع رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ دُخولِ

---

(١) عطب البعير : اعترته آفة تمنعه من السير

(٢) الضمير هنا راجعٌ إلى « البدنة » ، وهى هذا البعير الذى عطب

(٣) قمَّ الـكناسة : كنسها

(٤) الفَرَط : المتقدِّم إلى الماء يسبق الورَّاد ، فيهىء لهم الأرسان والدِّلاء ، ويملأ الحياضَ ويستقى لهم . وقال رسول الله « أنا فَرَطُكم على الحوض يوم القيامة »

(٥) فى الأصل : « لن »

إجماع قريش على منع المسلمين من دخول مكة، ومشورة المسلمين

مَكة ومحاربته . ورَجَع بُسْر بن سُفْيان من مكة وقد عَلِم خَبَرَ القوْم ، فَلَقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مِن وَرَاء عُسْفَان وأخبره الخبر . واستشار [رسول الله صلى الله عليه وسلم] (١) الناسَ : هل يَمْضى لوَجْهِه ويُقَاتِل مَنْ صَدّه عن البَيْتِ ، أو يُخَالِفُ الذين اسْتُنْفِرُوا إلى أَهْلِيهم فَيُصِيبهُم ؟ فأشارَ أبُو بكر رضى الله عنه أَنْ يَمْضُوا لوُجُوههم ، ويُقَاتِلُوا من صدَّهم . وقال المِقداد بن عمرو : يا رسول الله لا نَقُول لكَ كما قالتْ بَنُو إسرائيل لموسى : « اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُون » ولكن « أذهب أَنْتَ ور بُّك فقَاتلاَ إنَّا معكما (٢) مُقَاتِلُون » . واللهِ ، يارسولَ الله ! لو سرْتَ إلى بَرْكِ الغِماد لَسِرْنَا مَعك ما بَقِى منَّا رَجُل . وقال أُسَيْد بن الحُضَيْر : يا رسول الله ! نرَى أَنْ نَصْمِدَ (٣) لِمَا خَرَجْنا له ، فمن صدَّنا قاتَلْنَاه . فقال : إنَّا لم نَخْرُج لِقتَال أَحَدٍ ، إنما خَرَجنا عُمّارًا

بديل بن ورقاء وخبر قريش

ولقِيَهُ بُدَيْل بن وَرْقَاء بن عبد العُزَّى بن رَبيعة بن جرُىّ بن عامر بن مازن ابن عَدِىّ بن عمرو بن ربيعة [وهو لُحَىٌّ] (٤) الخُزَاعىُّ — فى نفر من خُزَاعة ، منهم الحُلَيْس بن عَلْقَمة الحارثىّ ، من بنى الحارث بن عَبْد مَنَاة ، فقال (٥) : يا مُحَمَّد ! لقد اغْتَرَرْتَ بقِتَال قوْمك حَلائِبَ (٦) العرَب ، والله ما أَرَى معَك أحداً لَه وَجْهٌ ، مع أنِّى أراكم قوْمًا لا سِلاح معَكمْ ! فقال أبو بكر رضى الله عنه : عَضَضْتَ ببَظْرِ اللاَّت ! فقال بديل : أَمَا والله لَوْلَا يدٌ لَكَ عِنْدِى لأَجَبْتُك ،

---

(١) زيادة للبيان

(٢) فى الأصل : « معكم » . وقد مضى مثل هذا الخبر فى غزوة بدر ص ٧٤

(٣) صمد الأمر وصمد إليه : قصده واعتمده

(٤) فى الأصل : « عمرو لحى بن ربيعة »

(٥) القائل هو بُديل بن ورقاء

(٦) الحلائب : الجماعات يجتمعون للنصرة والإعانة ، من قولهم إذا جاء القومُ من كل وجه فاجتمعوا لحرب أو غير ذلك : قد أحلبوا . ويريدُ بديل أنهم أشتات من أفناء العرب

فوالله ما أُتِّيهم أنا ولا قومِي ألَّا أكونَ أُحبُّ أن يَظْهَر محمّدٌ . إنى رأيتُ قُرَيْشاً مُقاتِلتَك عَن ذَرارِيها وأَمْوالها ، قد خرجوا إلى بَلْدَح فاضطَرَبُوا[1] الأبنيَة ، معهم العُوذُ المَطَافيل[2] ، وتَرَافَدُوا على الطَّعام[3] يُطْعِمون الخَزِيرَ[4] من جاءهم ، يتقوّوْن به على حَرْبك ؛ فَرَ رأيكَ[5] . وكانت قُرَيشٌ قد تَرَافَدُوا وجمَعُوا أمْوالاً يُطعمون بها من ضَوَى إليهم من الأحَابيش . وكان يُطْعَم فى أربعة أمكنة : فى دار النَدْوَة لجماعتهم ، وكان صَفْوانُ بن أُمَيّة ، وسُهَيْل بن عمرو ، وعِكْرِمة بن أبى جَهل ، وحُوَيْطب بن عبد العُزّى كل منهم يُطعِم فى داره

دنوّ خالد بن الوليد فى المشركين للقاء المسلمين

ودَنَا خالدُ بن الوليد فى خَيْله حتى نَظر إلى المُسلمين ، فصَفّ خيله فيما بَيْنهم وبينَ القِبْلة ؛ فقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم عَبّاد بن بِشر فى خَيْله ، فقام بإزائه وصَفّ أصحابَه . وحانَتْ صلاةُ الظُّهر فأذّن بلالٌ وأقامَ ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه مُسْتَقْبِلَ القِبْلة وهُم خَلْفَه ، يَرْكعُ بهم ويَسْجُد ، ثم قامُوا ؛ فكانُوا على ما كانوا عليه من التَّعْبئة . فقال خالدُ بن الوليد : قد كانوا على غِرّةٍ ، لو كُنّا حَمَلْنا عليهم أَصبْنَا مِنهم ! ولكنْ تأْتى الساعةَ صلاةٌ

صلاة الخوف

هى أَحَبُّ إليهم من أَنْفُسِهم وأبنائِهم ! فنزَل جبريل عليه السلام بين الظُّهر والعصر بهذه الآية : « وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ

---

(١) اضطرب البناء : ضربه ، ونصبه ، وأقامه

(٢) العوذُ جمع عائذ : وهى الحديثة النتاج من الظباء والإبل وغيرها . والمطافيل جمع مُطفل : وهى ذاتُ الطفل من الإنسان والوحش . ويريدُ : معهم النساءُ والأطفالُ

(٣) ترافدوا : أعان بعضهم بعضاً

(٤) الخزيرُ والخزيرة : اللحم الغابُّ ، يؤخذ فيقطع صغاراً فى القدر ثم يلقى عليه دقيق ثم يُعْصَد

(٥) رَ : فعل الأمر من « رأى »

وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ، وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ، وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ، إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا »(النساء : ١٠٢) (١) . فحانت العصرُ ، فأذَّن بلالٌ وأقامَ ، فقامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مُواجِهًا القبلةَ والعدُوُّ أمامَه ، فكبّر وكبّر الصَّفّانِ جميعًا ، ثم ركعَ فركعَ الصفّانِ جميعًا ، ثم سجَدَ فسجَدَ الصفُّ الذى يَليه ، وقام الآخرون يَحْرُسُونه . فلما قَضَى رسول الله صلى الله عليه وسلم السُّجُودَ بالصَّفِّ الأوّل ، قامَ وقامُوا معه ، وسَجَد الصَّفُّ المُؤَخَّر السَّجْدَتَين ، ثم اسْتأخر الصفُّ الذى يَلونَه ، وتقدَّم الصفُّ المؤخَّر فكانوا يَلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامُوا جميعًا . ثم رَكعَ صلى الله عليه وسلم فركَعَ الصفّان جميعًا ، ثم سَجدَ وسَجد الصفُّ الذى يَلونه ، وقام الصفُّ المؤخَّر يَحرُسونه مُقْبلين على العدُوِّ . فلما رَفع رأسَه من السَّجدتين ، سجَد الصفُّ المؤخرُ السَّجْدتين اللّتين بَقِيتا علَيهم ، واستوى صلى الله عليه وسلم جالسًا فتَشهّدَ ثم سلّمَ

الخلاف فى أوّل صلاة الخوف

وكان ابْنُ عبّاسٍ رضى الله عنه يقول : هذه أوّل صلاةٍ صلّاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الخَوف . وقال سُفْيان بن سعيد ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبى عيّاشٍ الزُّرَقِىّ : أنه كان — يعنى ابْنَ عباس — مع النبى صلى الله عليه وسلم يَومئذ ، فذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى هكذا . وذكر أبو عيّاشٍ أنّها أوّلُ ما صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاةَ الخوف — يعنى ابنَ عباس . وقال الواقِدى : حدثنى رَبيعة بن عثمان ، عن وَهْب بن كَيْسان ، عن

(١) فى الأصل : « ... فلتقم الآية »

جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : صلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أوّل صلاةِ الخوفِ فى غزوة ذات الرِّقاع ، ثم صلَّاها بعدُ بعُسْفَان ، بينهما أربعُ سنين . قال الواقدىُّ : وهذا أثبتُ عندنا (١)

مسير المسلمين إلى ثنيّة ذات الحنظل وحيرة الدليل

فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تيامَنوا فى هذا العَصَلِ (٢) ، فإن عُيون قريش بمَرِّ الظَّهْران أو بضَجْنان ، فأيُّكم يعرف ثَنِيَّة ذاتِ الحَنظَل ؟ فقال بُرَيْدَة بن الحُصَيْب : أنا ، يا رسولَ الله ! فقال : أسلُكْ أمامَنا . فأخذ بُريدة فى العصَلِ ، قِبَل جبال سُراوِع قِبَل المغرب ، فسار قليلا (٣) وحَار . فنزل حمزةُ بن عَمرو الأسلمىُّ فسار بهم قليلا ، ثم لم يَدْرِ أين يَتوجَّه . فسار بهم عمرو ابن [عَبْدِ] (٤) نُهْمٍ الأسلمىُّ . حتى بَلغها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

خبر الثنيّة وأن من جازها غُفر له

والّذى نفسى بيده ، ما مثَلُ هذه الثَّنِيَّة اللَّيلةَ ، إلّا مثْل الباب الذى قالَ اللهُ لبنى إسرائيل : « ٱدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وقُولُوا حِطَّةٌ » (٥). ثم قال : لا يجوزُ هذه الثَّنِيةَ أحدٌ إلّا غُفِر له . فجعل الناسُ يُسرِعون

طعام المسلمين

فلمّا نزَل من الثَّنِيةِ قال : مَنْ كان معه ثُفْلٌ [أى دَقيق] فَليَصطَنِع (٦). فقال أبو سعيد الخُدْرىّ رضى الله عنه : وأيُّنا معه ثُفْلٌ ؟ إنما كان عامَّةَ زادنا التَّمْرُ . فقالوا : يا رسول الله ! إنَّا نخافُ من قُرَيشٍ أنْ ترانا ! فقال : إنهم لن يروْكُم ، إنَّ اللهَ سيُغَبِّيكُم (٧) عليهم . فأوْقَدوا النِّيران ، واصطَنع من أراد أنْ

(١) انظر : صلاة الخوف ص (١٨٩) ، وص (٢٦٢)

(٢) فى الأصل : « تنامنوا » . والعَصَل : الرَّمْل الملتوى المعوجّ

(٣) فى الأصل : « ليلا »

(٤) زيادة لا بُدّ منها . ونُهْم : صَنَم كان لهُمْ ، فتعبَّدوا له

(٥) آية البقرة : ٥٨ . وقوله تعالى « قولوا حطّة » : أى قولوا لله « لِتكنْ مِنك اللهمّ حِطّة » ، فيحط الله عنهم ذنوبهم وخطاياهم ويغفر لهم

(٦) اصطَنع : أى اتخذ صنيعاً ، والصَّنيع : الطعام فى سبيل الله

(٧) يُغبّى ، من قولهم غَبِى عليه الأمرُ وغُبّى : خفى ، أى سيُخفيكمْ ويضلهم عنكم

الغُفران

يضْطَنِعَ : فلقد أوْقَدوا خمسمائة نارٍ . فلمّا أصبحوا صلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصبحَ ثم قال : والذى نفسى بيده ، لقد غفر الله للرَّكْبِ أجمعين ، إلّا رُوَيْكباً واحداً على جملٍ أحمر ٱلْتفَّتْ عليه رِحال(١) القَوم : ليس منهم . فطُلِب

خبر الرجُل المحروم من غفران الله

فى العسكر فإذا به ناحيةً ، وهو من بنى ضَمْرَة من أهل سيفِ البحر(٢) ، قد أوَى إلى سعيد بن زيْد بن عمرو بن نُفَيْل ، فقال له سعيدٌ — وقد قيل له ما قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — : وَيْحَكَ ! اُذْهب إلى رسول الله يستغْفِر لك ! فقال : بعيرى أهمُّ إلىَّ من أن يَستغْفر . وكان قد أضلَّ بعيرَه . فقال سعيد : تحوَّل عنى ، لا حيّاكَ الله ! فانطَلق يطْلُب بعيره ، فبيْنا هو فى جِبال سُراوِع إذ زلقت نعلُه فتردَّى فماتَ وأكلتهُ السِّباعُ

أهل اليمن

وقال يومئذ : أتاكُم أهلُ اليَمن كأنهم قِطَع السَّحاب ، هُم خيرُ مَنْ على الأرض

الدنوّ من الحديبية ، وخبر راحلة رسول الله

وسار حتى(٣) دنا من الحُدَيْبِيَة — وهى طَرَفُ الحَرَم ، على تسعة أميال من مكة ، فوقعَتْ يَدا راحِلَته صلى الله عليه وسلم على ثَنِيَّةٍ تهبطُ على غائط(٤) القوْم ، فبَرَكتْ، فقال المسلمون : حَلْ حَل . [يزجُرونَها] — فأبتْ أنْ تنْبَعِثَ ، فقالوا : خَلأَتِ القَصْواء(٥) ! فقال : إنها ما خَلأَتْ ، ولا هُو لها بعادَةٍ ، ولـكن حبَسها حابِسُ الفيل . أما والله لا يَسألونى اليوْم خُطَّةً فيها تعظيمُ حُرْمَةِ الله إلّا أعطَيْتُهم إيّاها . ثم زَجروها فقامتْ ؛ فولَّى راجِعاً حتى نزَل بالناس على ثَمَدٍ من

(١) فى الأصل : « رجال »
(٢) سِيف البحر : ساحِلُه
(٣) فى الأصل : « وسار فلما » ، وهذه أجود وهى نص ابن سعد ج ٢ ص ٦٩
(٤) الغائط : المكانُ المتسِع من الأرض المنخفضُ مع طمأنينة
(٥) خلأت الناقةُ : بركت وحرَنت من غير عِلّة فلم تبرح مكانها ، ولا يقال إلا فى الإناث . أما الجمل فيقال له : ألَحّ

خبر جيشان الماء من الثمد

بِثمادِ(١) الحُدَيبِيَة [ظَنون] قليلِ الماء . واشتكى الناسُ قلّةَ الماء ، فانتزَع سهماً من كنانتِه فأمرَ بهِ فغُرِزَ فى الثَّمَد ، فجاشتْ لهم بالرَّواء(٢) حتى صَدَروا عنه بعَطَنٍ(٣) ، وإنهم ليغْتَرِفون بآنيتِهم جُلوساً على شَفيرِ البئر . وكان الذى نزَل بالسهم ناجيةُ بن جُندُب ؛ وقيل ناجيةُ بن الأعْجَم ، وقيل خالدُ بن عُبادَة(٤) الغِفاريّ ، وقيل البراءُ بن عازِب .

مقالة المنافقين فى دليل النبوّة

وكان على الماء نفر من المنافقين ؛ الجَدُّ بن قيْس ، وأوْسُ [بن خَوْلِيّ](٥) ، وعبدُ الله بن أُبَيّ ، فقال أَوْس بن خوليّ : ويْحَك يا أبا الحُباب ! أما آن لك أن تُبصِرَ ما أنْتَ عليه ! أبعْد هذا شىء ؟ فقال : إنى قد رأيتُ مثلَ هذا . فقال أوسٌ : قبَّحك الله وقبّح رأْيك ! فأقبل ابنُ أُبَيّ(٦) يريدُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أىْ أبا الحُباب ! أين رأيتَ مثْلَ ما رأيتَ اليوْم ؟ فقال : ما رأيتُ مثْلَهُ قطُّ ! قال : فَلِمَ قُلتَ ما قُلتَ ؟ فقال عبد الله بن أُبيّ : أستغْفِرُ اللهَ . فقال ابنُه : يارسولَ الله ! استغْفِرْ له ! فاستغْفَرَ له

المطر ، والصلاة فى الرحال

ومُطِر المسلمون بالحدَيبِية مِراراً وكثُرت المياه ، ومُطِروا مَطَراً ما ابتلّتْ منه أسفَل النِّعال فنودى : إنَّ الصلاةَ فى الرِّحالِ . وصلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصبحَ فى الحُدَيبية فى إثْر سماء(٧) كانت من اللّيل ، فلمّا انصرف أقْبل

(١) الثماد جمع ثمَد : وهو حفرة فى جَلَد من الأرض يكون فيها ماء قليل لا يمده شىء . والزيادة التى بعدُ من ابن سعد ج ٢ ص ٧٠ ، والظنون : قليل الماء لايوثق بمائه

(٢) الرَّواء : الماءُ الكثير العذبُ الذى فيه للواردين رىّ

(٣) رواية ابن هشام وغيره « حتى ضرب الناس عليه بعَطَنٍ » ، أى حتى بركت الإبل حول الماء بعد ما رويت . وتأويلُ « صدرت » هنا أى حتى شربت فرجعت فبركتْ حول الماء

(٤) فى الأصل : « عباد »

(٥) زيادة للبيان

(٦) فى الأصل : « فأقبل أبى »

(٧) السماء : المطر

الأنواءُ

على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربُّكم ؟ قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلم ! قال : أصبحَ مِن عبادى مؤمنٌ بى [كافرٌ بالكوكب ، ومؤمنٌ بالكوكب كافر بى](١) ؛ فأمّا مَنْ قال : مُطِرْنا بفضلِ الله ورحمتِه ، فذلك مؤمنٌ بى كافر بالكوكب ، وأمّا مَن قال : مُطِرْنا بنوْء كذا وكذا ، فذلك كافرٌ بى مؤمنٌ بالكوكب . وكان ابن أُبَيٍّ قال : هذا نَوْء الخريف ، مُطِرْنا بالشِّعْرَى

الهـدايا

وأهْدى عَمرو بن سالم و بُسر بن سُفْيان الخُزاعِيّان بالحُدَيبِيَة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم غنَماً وجَزُوراً ، وأهدى عمرو بن سالم لسعد بن عُبادة جُزُراً ، وكان صديقاً له . فجاء سعدٌ بالغَنَم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره أنَّ عمراً أهداها لهُ ، فقال : وعمرو قد أهْدى إلينا ما ترى ، فباركَ الله فى عمرو ! ثم أمرَ بالجُزُر(٢) تُنْحَر وتُقسّم فى أصحابه ، وفرّق الغنَمَ فيهم من آخرِها . فدخل على أمِّ سلَمَةَ من لحم الجُزُر(٢) كنحو ما دخل على رجلٍ من القوْم ، وشرِكَ عليه السلام فى شاتِه ، فدخل على أمِّ سلَمة بعضُها . وأمرَ صلى الله عليه وسلم للّذى جاء بالهَدِيَّة بكُسْوَة

خبر بديل بن ورقاء مع رسول الله

ولما اطْمَأَنَّ بالحُدَيْبية ، جاءه بُدَيْلُ بن وَرْقاء وركبٌ من خُزَاعة — وهم عَيْبَةُ(٣) نُصْحِ رسولِ الله بتِهامة ، منهم المُسْلم ومنهم المُوادِع ، لايُخْفُون عليه بتِهامة شيئاً — فسلَّمُوا . ثم قال بُدَيْل : جِئْنَاكَ من عنْد قَوْمك كَعْب بن لُؤَيّ وعامر بن لُؤَيّ ، قد اسْتَنْفَروا لك الأَحابِيشَ ومَنْ أطاعهم ، معهم العُوذُ المطَافِيل

---

(١) فى الأصل : « أصبح من عبادى مؤمناً بى وكافراً » وقد رددنا الحديث إلى أصله وهو من حديث زيد بن خالد الجُهَنِيّ رضى الله عنه ، مسند أحمد ج ٤ ص ١١٧

(٢) فى الأصل : « الجزور »

(٣) العيبة : وعاء من جلد يكون فيها المتاع يَصُونه . وعيبةُ نصح : كناية عن قلوبهم وما فيها من المودّة والنصْح لرسول الله وللمسلمين

— [النساء[١] والصِّبيان] — يُقسِمون بالله لا يُخَلُّون بينك وبين البيت حتَّى تَبيدَ خضراؤُهم[٢] . فقال صلى الله عليه وسلم : إنّا لم نأتِ لقتال أحدٍ ، إنّما جئنا لنطوفَ بهذا البيت ، فمن صدَّنا عنه قاتلناه . وقُرَيشٌ قومٌ قد أضرَّتْ بهم الحربُ ونهكتْهم ، فإنْ شاءوا مادَدْتهم مُدَّةً يأمَنُون فيها ، ويُخَلُّون فيما بيننا وبين النّاس — والناسُ أكثرُ منهم — ، فإن ظهر أمري على النّاس كانوا بين أنْ يَدْخُلوا فيما دَخل فيه الناس ، أو يُقَاتِلوا وقد جَمُّوا[٣] . والله لأجْهَدَنَّ على أمري هذا إلى أنْ تَنفرِدَ سالِفَتِي أوْ يُنْفِذَ اللهُ أمرَه ! فعاد بُدَيْلٌ وركْبه إلى قريش ، وقد تواصوْا ألَّا يسألوا بُدَيلاً عما جاء فيه . فلما رأى أنَّهم لا يَسْتخبرونه قال : إنَّا جئنَا من عند محمَّد ، أتُحِبُّون أن نخبركم ؟ فقال عِكْرِمة بن أبي جَهل ، والحكَمُ بن أبي العاص : لَا ، والله مَالَنا حاجةٌ بأن تُخْبرُونا عنه ، ولكن أخْبِرْه عنَّا : أنَّه لا يَدْخلها علينا عامَه هذا أبداً حتى لا يَبْقى منَّا رَجُلٌ

سماع المشركين مقالة بديل

فأشارَ عليهم عُرْوَةُ بن مسعُود بن مُعَتِّب بن مالك بن كَعْب بن عَمْرو بن سَعْد بن عَوْف بن ثَقِيف [واسمه قيْس] بن مُنَبِّه بن بَكر بن هَوَازِن بن عِكْرِمة ابن خَصَفَة بن قَيْس عيلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدنان — أن يَسْمَعوا كلام بُدَيْل ، فإن أعجبهم قَبِلُوه ، وإلا تركوه . فقال صَفْوان بن أُمَيَّة ، والحارثُ ابن هِشام : أخْبِرْنا بالذى رأيتَ والذى سَمِعتَ . فأخبرُوهم بمقالةِ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال عُروة بن مسعود : فإن بُدَيْلاً قد جاءكم بخُطَّةِ رُشْدٍ ، لا يرُدُّها أحَدٌ إلّا أخذَ شرًّا منها . فاقْبَلوها منه ، وابعثوني حتى آتيكمُ بِمِصْداقِها ،

(١) فى الأصل : « والنساء »
(٢) خضراؤهم : أى دهماؤهم وسوادهم وجماعتهم
(٣) جمّ : استراح ، يريد استراحوا وكثروا واجتمعوا

بعثة قريش عروة ابن مسعود إلى رسول الله

وأكونَ لكم عَيْنًا . فبعثُوه . فقال : يا محمد ! إنى تركتُ قومَك على أعدادِ[1] ماء الحُدَيْبية قد استَنفَرُوا لك ، وهم يُقسمون بالله لا يُخَلُّون بَينك وبين البيت حتى تَجْتاحَهم ، وإنما أنت من قِتالهم بين أَحد أمرَين : إمّا أن تجتاحَ قومَكَ — فلم نَسْمَعْ برَجُل أَجْتَاح أصلَه قبلَك — أو بين أن يَخْذُلَك مَن نرى مَعك ، فإنّى لا أَرَى معك إلا أَوْباشاً[2] منَ النّاس لا أَعرِفُ وُجُوهَهم ولا أنسابَهم . فغضب أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه وقال : أُمْصَصْ بِبَظْرِ اللاّت ! أَنحنُ نَخْذُلُه ؟ فقال : أَمَا والله لولا يدٌ لكَ عندى لأَجَبْتُك ! وطَفِق عُرْوَة يَمَسّ لحيةَ رسول الله وهو يُكلّمه ، والمُغيرة بن شُعبة بن أبى عامر بن مَسعود بن مُعَتّب بن مالك — قائمٌ على رأسِه بالسَّيْف ، فقَرَع يدَ عُرْوة [وهو عمُّه] وقال : أَكفُفْ يدَكَ عن مَسِّ لِحيةِ رسول الله قَبْلَ أَلّا تصلَ إليك . فلما فَرَغ عُروةُ من كلامه ، وردَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما قال لبُدَيْل بن وَرقاء ، عادَ إلى قريشٍ فقال : ياقوم قد وَفَدْتُ على كِسْرَى وهِرَقْلَ والنّجاشِيّ ، وإنّى والله ما رأيتُ مَلِكاً قطُّ أطْوَعُ فيمنْ هوَ بَين ظَهْرَانَيْه من محمدٍ فى أصحابه ، والله مايُشِدُّون[3] إليه النّظر ، ومايَرْفعُون عنده الصَّوت ، وما يكْفِيه إلّا أنْ يُشيرَ إلى امرِئٍ فَيفْعل ، وما يَتَنَخّم وما يبصُقُ إلّا وَقَعتْ فى يَدَىْ رجُلٍ منهم يَمْسَحُ بها جلْدَه ، وما يَتوضَّأُ من وَضوءٍ إلّا أزْدَحموا عليه أَيُّهُمْ يَظفَر منه بشىء . وقد حَزَرْتُ القومَ ، وأَعْلَمُوا أنّكم إنْ أرَدْتم السَّيفَ بذَلوه لكم ، وقد رأيتُ قومًا لايُبَالُون ما يُصْنَع بهم إذا مَنعوا صَاحبَهم ، والله لقد

(١) الأعدادُ جمع عِدّ : هو من العيون والآبار ما قدُم عهدُه ، وكانت له مادّة تمدّه فهو كثيرُ الماء لا ينزح

(٢) الأوْباش والأوْشَاب (وبهما روى الخبر) : الضروب المختلفة المتفرقة من الناس وغيرهم

(٣) أى يُحِدّون . أشدّ إليه النظر : أحدّه

رأيتُ نُسَيَّاتٍ[1] معه ، إنْ كُنَّ لَيُسلمنَه أبداً على حال ، فروا رأيَكُم . وقد عَرَض عليكم خُطَّة ، فمادُّوه[2] ياقوم . أقبلوا ماعَرَضَ فإنِّى لكم ناصحٌ ، مع أنّى أخافُ ألّا تُنصَرُوا عليه . رجُلٌ أتَى هذا البيتَ مُعَظِّما له مَعَ الهدى يَنحَرُهُ ويَنصرِفُ ! فقالوا : لاتَكَلَّمْ بهذا يا أبا يَعفور ! لوْ غَيرُكَ تكلَّمَ بهذا ! ولكن نَرُدُّه في عامِنا هذا ويَرْجِعُ إلى قابِلٍ

بعثة مكرز بن حفص إلى رسول الله

ثم جاء مِكْرَزُ بن حَفْص بن الأخيَف بن علْقمة بن عبد الحارث بن الحارث ابن مُنْقِذ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهر — فلما طَلَع قال رسولُ الله صلى الله عليه سلم : إنّ هذا رجُلٌ غادِرٌ [وفى رواية : هذا رجلٌ فاجرٌ] . وجاء ، فكلَّمه بنَحوٍ مما كلَّم به أصحابه ، وعادَ بذلِكَ إلى قُرَيش .

بعثة الحليس سيد الأحابيش

فَبعثُوا الحلَيْسَ بن علْقمة بن عَمرو بن الأوقح بن عامر بن عوف بن الحارث بن عبدِ مناة ابن كِنانة الحارثيّ الكنانيّ سيّدَ الأحابيش ورَأْسهُمْ ، فقال صلى الله عليه وسلم : هذا من قومٍ يُعَظِّمون الهدى ، [وفى رواية يَتأَلَّهون][3] ، أبعثُوا الهَدْيَ في وَجهه . فبعثُوه فلما رأى الهدىَ يَسيلُ فى الوادى — عليه القلائد ، قد أكل أوْبارَه [من طُولِ الحبسِ عن مَحِلِّه[4]] ، يُرَجِّعُ الحنين ؛ واستقْبله القوم فى وَجهه يُلَبُّون ، وقد أقامُوا نصفَ شهر فتفَلوا وشَعِثوا[5] — رجع ، ولَم يَصل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى . فقال لقريش : إنى قد رأيتُ ما لا يَحِلُّ صَدُّه !

(١) نسيات : تصغير نسوة للتقليل والتعظيم

(٢) مادّه : جعل بينه وبينه مُدَّة مُهدنَة

(٣) تألّه : تنسَّك وتعبَّد

(٤) زيادة للبيان من ابن هشام ج ٢ ص ٧٤٣ وابن سعد ج ٢ ص ٧٠ . ومَحِلُّ الهدى : الموضع أو الوقت الذى يحل فيه نحرُهُ

(٥) التفَل : ترك التطيب بالطيب ، وتفِل : تغيّرت رائحتُه من ترك الطيب طويلا . وشَعِث : تلبّد شعره واغبرّ وتفرّق وانتتف من طولِ ما ترك فلم يدّهن

رأيتُ الهَدْىَ فى قلائدِه قد أَكلَ أَوْبارَه مَعكوفاً(١) عن مَحِلِّه ، والرِّجالَ قد تفِلوا وقَمِلوا أن يَطوفوا بهذا البيت ! أما وَاللهِ ماعلى هذا حالَفْناكم ولا عاقَدْناكم : على أنْ تصُدُّوا عن بيْتِ الله من جاء له مُعَظِّماً لحُرْمتِه مُؤَدِّياً لحقِّه ، والهَدْىَ مَعكوفاً أن يَبلُغ مَحِلَّه ! والذى نفسى بيده ، لَتُخَلُّنَّ بيْنه وبيْن ما جاء بهِ ، أو لأَنفِرَنَّ بالأَحابيشِ نفْرَةَرجُلٍ واحدٍ ! قالوا : كلُّ ما رأيتَ مكيدةٌ من محمد وأصحابه ، فاُكْفُفْ عنَّا حتى نأْخذَ لأَنفُسنا بعضَ ما نرضى بهِ . وفى رواية الزُّبَيْر بن [بكّار](٢) أنَّه لمَّا رجَع قال : يا قَوْم ! الهدْىَ ! البُدْنَ ! القَلائدَ ! الدِّماء ! فقالت قريش : ما نعْجَبُ منك ، ولكن نعجبُ منَّا إذْ أرسلْناك ، إنما أنتَ أعرابىٌّ جِلفٌ

بعثة رسول الله خراش بن أمية إلى قريش

وبعثَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى قريشٍ خِراشَ بن أُمَيّة بن الفَضْل الكَعْبِيَّ الخزاعِىَّ — على جملٍ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم يُقال له الثَّعلَب — ليُبلِّغ أشْرافَهم أنَّه إنَّما جاء مُعتَمِراً . فعقَر الجمَلَ عِكْرِمةُ بن أبى جَهْلٍ ؛ وأرادوا قتْلَه ، فمنعه مَنْ هُناكَ من قوْمه ، فرَجع . فأرادَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يبعثَ عُمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، فخافَ على نفسه وأشار بعثمان رضى الله عنه . فبعثَهُ ليُخبِرَهم : إنَّا لم نأتِ(٣) لقِتال أحدٍ ، وإنما جئْنا زُوَّاراً لهذا البيتِ مُعظِّمين لحُرْمتهِ ، ومَعنا الهَدْىُ ننْحرَهُ وننصرِف . فأبوْا على عثمان أن يَدخُلَ عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . ورحَّب به أبانُ بن سعيد بن العاص وأجاره ، وحَمله من بَلْدَح إلى مكة وهو يقول : أقْبِل وأدبِرْ ولا تخَفْ أحداً ، بنو سعيدٍ

بعثة عثمان بن عفان

(١) عكفه يعكُفُه : حبسه ، ومعكوفاً : محبوساً

(٢) فى الأصل بياض مكان ما بين القوسين ، ولعل الذى أثبتناه هو المرادُ

(٣) فى الأصل : « إناه لم يأت »

أعِزَّةُ الحرَمِ! فبلَّغ عثمان مَنْ بمكة ما جاء فيــه ، فقالوا جميعاً : لا يَدخُل محمدٌ علينا أبداً

حراسة المسلمين وأسر بعض المشركين

وكان يتناوبُ حِراسةَ المسلمين بالحُدَيبيَة ثلاثةٌ : أوسُ بن خَوْلِيّ ، وعبّاد بن بشر ، ومحمد بن مَسلمة . فبعثتْ قريشٌ مِكْرَز بن حَفْص على خمسين رجُلا ليصيبُوا من المسلمين غِرَّةً ، فظفَر بهم محمّد بن مَسْلَمَة وجاء بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبلَغَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم — بعد إقامَةِ عثمان بمكة ثلاثاً — أنَّه قُتل ، وقُتِل معه عشرة رجالٍ مُسلمون قد دخَلوا مكة بإذن رسول الله لِيرَوا أهاليهم . وبلغَ قرَيشاً حَبسُ أصحابهم ، فجاء جمعٌ منهم وَرَمَوا بالنَّبل والحجارة ، فرَماهم المسلمون وأسَرُوا منهم اثنيْ عشر فارساً . وقُتل من المسلمين زُنَيْم ، وقد اطَّلَعَ الثَّنِيَّة من الحُدَيبية ، فرماه المُشركون فقتلوه

بدء الصُّلح

فبعثَت قرَيش سُهيلَ بن عمرو بن عبد شمس بن عَبد وُدّ بن نَصر بن مالك ابن حِسْل بن عامِر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهر[(١)] ، وحُوَيْطِب بن عبد العُزّى ، ومِكْرَز بن حَفصٍ [لِيصالحُوه][(٢)]

تحرك المسلمين إلى منازل بنى مازن بعد خبر مقتل عثمان . والبيعة

وأمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم منازلَ بنى مازن بن النَجّار ، وقد نزلت فى ناحيةٍ من الحُدَيبيَة جميعاً ، فجلسَ فى رِحالهم . وقد بَلغهُ قتلُ عثمانَ رضى الله عنه ، ثم قال : إنّ الله أمرَنى بالبَيعَةِ . فأقبلَ النَّاسُ يُبايعونه حتى تدَاكُّوا ، فما بَقِىَ لهم مَتاعٌ إلَّا وَطِئوه ، ثم لَبِسُوا السِّلاح ، وهو مَعهم قَليلٌ . وقامت أمُّ عُمارة إلى عَمودٍ كانت تَستَظِلُّ به فأخذته بيدها ، وشَدَّتْ سكِّيناً فى وَسَطها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبايع النَّاسَ ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه آخذٌ بيده ، فَبايعَهُم على ألَّا يَفِرُّوا ؛ وقيل : بايعهم على الموت . ويقال :

(١) فى الأصل : « فهم »
(٢) زيادة لا بدّ منها . انظر الطبرى ج ٣ ص ٧٦ ، ٧٨

أوَّلُ مَن بايع سِنانُ بن أبي سنان وَهْب بن مِحْصن فقال : يا رسول الله ، أبايعُك عَلَى مافي نَفسك . فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبايعُ الناس على بَيعةِ سِنانٍ ، فبايعوه [إلَّا] (١) الجدُّ بن قيسٍ اختْبأ تحت بَطن بعيرٍ

بعثة سهيل بن عمرو إلى رسول الله في الصلح والأسرى

فلما جاء سُهَيل بن عمرو ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : سُهِّل أمرهم ! فقال سُهيل : يا محمد ! إن هذا الذي كان — من حَبس أصحابك ، وما كان من قِتَال من قَاتلكَ — لمْ يكُن من رأْي ذَوِي رأْينا ؛ بل كُنّا له كارهين حينَ بَلَغنا ، ولم نَعلَم به — وكان من سفهائنا . فابعث إلينا بأصحابنا الَّذين أسَرْتَ أوَّلَ مرة والَّذين أسَرتْ آخر مرَّة . قال : إنِّي غَيرُ مُرْسِلِهم حتى تُرسلوا (٢) أصحابي . قال : أنْصَفْتنا . فبعث سُهَيلٌ ومن معه إلى قريش بالشَّتيم بن عبْد مناف التَّيْميِّ فبعثُوا بمن كان عنْدهم ؛ وهم : عُثمان وَعشرة من المُهاجِرين . وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابَهم الذين أُسرُوا .

البيعة تحت الشجرة وخوف المشركين

وكان صلى الله عليه وسلم يُبايع النّاس تحتَ شجرة خضراء ، وقد نَادَى عمرُ رضى الله عنه : إن رُوحَ القُدُسِ قد نَزل على الرَّسُول وأمر بالبيعة ، فاُخرُجوا على اسم الله فبَايعُوا . فلما رأى سهيلُ بن عمرو ومن معه ، ورأت عيُون قُرَيش سرْعةَ النَّاسِ إلى البَيعة وتَشميرَهُم إلى الحرب ، اشتد رُعبُهم وخوفُهم ، وأسرعوا إلى القضيَّة (٣) . ولما جاء عثمانُ رضى الله عنه بايعَ تحتَ الشَّجرة . وقد كان قبل ذلك — حين بايعَ النَّاسُ — قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ عثمانَ ذَهب في حاجَةِ الله وحاجةِ رسولِه ، فأنا أُبايع لهُ . فضرَب بيَمينه شِمالَه

بعثة قريش إلى عبد الله بن أبي

وبعَثتْ قريشٌ إلى عبد الله بن أُبيّ أُبن سَلول : إنْ أحببْتَ أن تدخل

(١) زيادة لابد منها للسياق

(٢) في الأصل : « ترسل »

(٣) القضيَّة : الحُكم ، يعني حكم الصُّلح

فتطوفَ بالبيتِ فافعل . فقال له ابنه : يا أبتِ ! أُذَكِّرُكَ الله أنْ تفضَحنا فى كلِّ مَوْطِنٍ ! تَطوف ولَم يَطُفْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ! فأَبَى حينئذ ، وقال : لا أطوف حتى يَطوفَ رسولُ الله . فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كلامُه فسُرَّ به

رجوع سهيل إلى قريش وعودتهم إلى رسول الله

ورجع سُهيل وحُوَيطب ومِكرَزٌ فأخبرُوا قرَيشًا بما راوا من سُرعة المسلمين إلى التَّنعيم(١) . فأشارَ أهلُ الرَّأْيِ بالصُّلح على أن يَرجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ويَعودَ من قابِلٍ فيُقيمَ ثلاثًا . فلما أجمعوا على ذلك أعادُوا سُهَيْلاً وصاحِبَيْه لِيُقرِّر هٰذا . فلمَّا رآه النبيُّ صلى الله عليه وسلم قال : أراد القومُ الصُّلح . وكلَّمَ رسولَ الله ، فأطَالَا الكلامَ وترَاجَعا ، وارتفعتِ الأصوات . وكان صلى الله عليه وسلَّم يومئذٍ جالساً مُتَرَبِّعًا ، وعبَّادُ بن بشر ، وسَلَمَة بن أسلم بن حَريش مُقنَّعان بالحديد قائمان عَلَى رأسِهِ . فلمَّا رفَعَ سُهيلٌ صوتَه قالا : اخْفِضْ مِن صوْتِك عندَ رسولِ الله ! وسُهيل باركٌ على رُكبتيه(٢) رافعٌ صوتَه ، والمسلمونَ حولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسٌ

خبر الصلح ، وغضب عمر بن الخطّاب

فلما اصطلَحُوا ولم يَبْقَ إلا الكِتابُ ، وثَبَ عمَر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ! أَلَسْنا بالمسلمين ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلَى ! فقال : فعلامَ(٣) نُعطِى الدَّنيَّةَ فى دِينِنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا عبدُ الله ورسولُه ، ولَن أُخالف أمرَه ، ولَنْ يُضيِّعَنى . فذهبَ عُمر إلى أبى بكر رضى الله عنهما فقال : يا أبا بكر ! أَلَسْنا بالمسلمين ؟ قال بَلَى ! قال : فَلِمَ نُعْطِى

(١) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ليس فى الحرم
(٢) فى الأصل : « ركبته »
(٣) فى الأصل : « فعلى ما »

الدَّنيَّةَ فى ديننا ؟ فقال : اْلْزَمْ غَرْزَه ![1] فإنى أشهدُ أنَّه رسولُ الله ، وأنَّ الحقَّ ما أُمِر به ، ولَنْ يُخالف أمرَ الله ، ولَن يُضَيِّعه اللهُ . ولَقِى عمر رضى الله عنه من القضيَّة أمراً كبيراً ، وجعل يردِّدُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلامَ ، وهو يقول : أنَا رسولُه ولن يُضيِّعَنى ! ويردِّد ذلك . فقال أبو عُبَيدَةَ بن الجرَّاح رضى الله عنه : ألا تَسمع يا ابنَ الخطَّاب رسولَ الله يقولُ ما يقولُ ! تعوَّذْ بالله من الشيطان واتَّهِمْ رَأْيَك ! فجعلَ يتعوَّذُ بالله من الشَّيطان الرَّجيم حيناً . وكان

كراهيةُ المسلمين الصلحَ

المُسْلمون يكرهُون الصُّلح ، لأنَّهُم خرَجُوا ولا يشكُّون فى الفَتح ، لرُؤْيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه حَلَقَ رأْسَه ، وأنَّه دخل البيتَ فأخَذ مِفتاحَ الكعبة وعرَّفَ مع المعرِّفين . فلما رأَوْا الصُّلحَ داخَلهم من ذلك أمرٌ عظيم حتى كادُوا يَهْلِكُون . فجعَل الله عاقبةَ القضيَّة خيراً . فأسْلم فى الهُدْنة أكْثرُ ممن كان أسْلم — من يوم دَعا رسولُ الله إلى يوم الحُدَيبيَة — ، وما كان فى الإسلام فَتحٌ أعظَمَ من الحُدَيبية ، فإنَّ الحربَ كانَتْ قد حجَزَت بين النَّاس . فلما كانت الهُدنَة وَضَعَتِ الحرْبُ أوزارَها ، وأَمِن النَّاسُ بعضُهم بعضاً ، ودخَل فى تلك الهُدنة صنَادِيدُ قريشٍ الذين كانوا يقُومون بالشِّرك ، وما يُحْدِثُ عمرُو بن العاص وخالدُ بن الوليد وأشباهُهما ، وفَشَا الإسلام فى جميعِ نَواحى العرب . وكانتِ الهدنة إلى أن نَقَضُوا العهدَ اثنَين وعشرين شهراً

خبر أبى جندل ابن سهيل بن عمرو

وبيْنَا الناسُ قد اصطَلَحوا والكتابُ لم يُكْتب ، أقْبَل أبو جَنْدَل بن سُهيْل بن عَمْرو بن عَبد شمس بن عبد وُدّ بن نَصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لؤَى بن غالب القُرَشِيُّ العامرِىُّ — وقد أفلَتَ يَرسُفُ فى القَيدِ متُوَشِّحَ

---

(١) الغَرْزُ : هو للناقة ورَحْلها كالرِّكاب للفرس وسرْجها . ويريد بقوله « الزم غرزه » : اعتلقْ به وأمسِكْه ، فاتبع قوله ولا تخالفه ولا تفارقه

السيفِ خلالَ أسفلِ مكة ، فخرجَ من أسفلِها حتى أتى رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو يكاتِبُ أباه سُهيلاً . وكان سُهيلٌ قد أوثقه فى الحديد وسَجَنه ، فخرج من سِجن سهيل ، واُجتنَبَ الطَّريقَ ورَكِبَ الجبال حتى هَبَطَ بالحُدَيبية . ففرح المُسلمون به وتَلَقَّوه حين هَبط من الجبَل فسلَّموا عليه وآوَوْه ؛ فرفَع سهيل رأْسَه فإذا بابنِهِ أبى جَندَل ، فقام إليه فضَرَبَ وجهه بغُصن شوكٍ وأخذ بتلبيبه[(1)] . فصاح أبو جَندَلٍ بأعلى صوتِهِ : يا مَعشر المسلمين ! أأُرَدُّ إلى المشركين يَفتِنُونى فى دِينى ؟ فزادَ المسلمين ذلك شَرًّا إلى ما بِهِمْ ، وجعلُوا يَبكُون لكلام أبى جندَل . فقال حويطب بن عبد العزَّى لِمِكْرَز بن حفْص : ما رأيْتُ قوماً قَطُّ أشدُّ حبًّا لمن دخَل معهم من أصحاب محمَّدٍ لمحمّدٍ وبعضِهم لبعضٍ ! أمَا إنى أقول لك : لا نأخُذُ من محمد نَصَفاً أبداً بعد هذا اليوْم ، حتى يَدخُلَها عَنوَةً[(2)] ! فقال مِكرَز : وأنا أرى ذلك . وقال سُهيل بن عمرو : هذا أوّلُ مَن قاضَيْتُك عليه[(3)] ، رُدَّهُ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّا لم نقْضِ الكتابَ بعدُ ! فقال سهيل : والله لا أُكاتبُك على شىء حتى تَرُدَّه إلىّ . فردَّه عليه ، وكلَّمه أن يَتْرُكه ، فأبى سُهَيل وضربَ وجه بغُصنٍ من شَوْكٍ ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هَبْه لى ، أو أجِرْهُ من العذاب ! فقال : والله لا أفعلُ . فقال مِكْرَزٌ وحُوَيْطِب: يا محمد ؛ نحن نُجيرُه لك . فأدخَلاه فُسطاطا فأجاراه فكفَّ عنه أبوه . ثم رَفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صوتَه فقال :

رد أبى جندل إلى أسر المشركين

(١) فى الأصل : « بلبته » . يقال فى الخصومة ، أخَذ بتلْبيبه وتلابيبه : إذا جمعَ عليه ثوبه الذى هو لابسه ، من عند صدره ونحره ، ثم قبضَهُ وجرّه إليه

(٢) النَّصَف : الإنصاف ، يريدُ لا يعطينا من الحقّ مثل الذى يستحقّ لنفسه . وعنوة : أى بالقهر والغلبة والإذلال

(٣) قاضى : من القضاء وهو الحكم والفصل . وقوله بعدُ : « لم نقضِ » أى لم ننته من أحكامه

يا أبا جَنْدل ! اُصبِرِ واُحتَسِبْ . فإنّ الله جاعلٌ لك ولمن معك فرَجًا ومخرَجًا . إنَّا قد عقَدنا بيننَا و بين القوْم صُلْحًا ، وأعطَيْناهم على ذلك عَهداً ، و إنَّا لا نغدِر .

عودة عمر إلى مقالته

وعاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ! ألَستَ برسولِ الله ؟ قال بَلى ! قال ألَسْنا على الحقِّ ؟ قال : بلى ! قال : ألَيس عدُوُّنا على الباطل ؟ قال بلى ! قال . فلِمَ نُعطِى الدَّنيَّة فى ديننا ؟ فقال : إنّى رسولُ الله ، ولن أعصيَه ولن يُضَيِّعَنى . فانطلَق إلى أبى بكر رضى الله عنه فقال له مثل ذلك ، فأجابه بنحوِ ما أجابَ به رسولُ الله ، ثم قال : ودَعْ عنْك ما ترى يا عمر . فوثَب إلى أبى جَنْدَلٍ يمشى إلى جنبه ، وسُهَيْلٌ يَدفعُه ، وعمر يقول : اُصبِرْ يا أبا جَندل ، فإنما هُمُ المشركون ، وإنما دمُ أحدِهم دمُ كلْبٍ ! و إنما هو رجُل ! ومعه[1] السيف يُحَرِّضُه على قتْل أبيه . وجعل يقول : يا أبا جندل ! إن الرجل يقْتُل أباه فى الله ! والله لو أدركْنا آباءنا لقتلْناهم فى الله ، فرجُلٌ برجُلٍ . فقال له أبو جَندل : مالكَ لا تقْتُله أنت ؟ قال عمر : نهانى رسول الله عن قَتْله وقتلِ غيرِه . قال أبو جندل : ما أنتَ أحقٌّ بطاعةِ رسولِ الله منّى !

مقالة المسلمين لرسول الله فى الصلح

وقال عمر ورجالٌ معه : يا رسولَ الله ! ألَمْ تكُن حدَّثْتنا أنّك تدخُلُ المسجدَ الحرامَ ، وتأخذُ مِفتاح الكعبة ، وتُعَرَّفُ مع المُعرِّفين ؟ وهدْيُنا لم يصلْ إلى البيت ولا نحنُ ! فقال : قلتُ لكم فى سفرِكم هذا ؟ قال عمر : لا . فقال صلى الله عليه وسلم : أما إنكم ستَدْخُلونَه ، وآخُذُ مِفتاحَ الكعبة ، وأُحلِّقُ رأسى ورؤوسكم ببطْنِ مكة ، وأعرِّفُ مع المُعرِّفين . ثم أقبل على عمر رضى الله عنه وقال : أنَسيتُمْ يومَ أُحُدٍ ، إذ تُصعِدون ولا تلْوون عَلَى أحدٍ ، وأنا أدعوكم فى أُخْراكم ؟

---

(١) فى الأصل : « ومعك » ، وهذا هو الصواب ، وذلك أن عمر كان يُدنِى قائم سيفه من أبى جندل ، ويقول عمر : « رَجَوْتُ أن يأخُذُ السيف فيضرب به أباه ، فضنَّ الرجُل بأبيه ونفذت القضية » . ابن هشام ج ٢ ص ٧٤٨

أنسيتم يومَ الأحزاب ، إذ جاءوكم من فوقكم ومِن أسفَل منكم ، وإذ زاغَت الأبصارُ وبلَغت القُلوب الحناجر ؟ أنَسيتم يومَ كذا ؟ أنسيتم يومَ كذا ؟ والمسلمون يقولون : صدَق الله ورسولُه ، يا نبى الله ! مَا فكّرْنا فيما فكّرْتَ فيه ، ولأَنتَ أعلَمُ بالله و بأمرِه منّا . فلمّا دخل صلى الله عليه وسلم عامَ القَضيّة [1] وحلّق رأسَه قال : هذا الذى وَعدْتُكم . فلمّا كان يومُ الفَتْح ، أخذ المِفتاحَ وقال : أدعوا إلىّ عمر بن الخطاب ! فقال : هذا الذى قُلت لكم . فلمّا كان فى حَجّةِ الوَداع ، وقف بعرَفةَ فقال : أىْ عمر ! هذا الذى قُلت لكم . قال : أى رسول الله ! ما كان فَتحٌ فى الإسلام أعظَمَ من صُلحِ الحُدَيبيَة .

فتح الحديبية وخبر أبى بكر

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول : ما كان فتحٌ أعظمَ فى الإسلام من فَتح الحُدَيبية ، ولكنّ النّاس يومئذ قَصُر رأيُهم عمّا كان بين محمد وربِّه . والعبادُ يَعجلون ، والله لا يعْجَلُ كعجَلَةِ العبادِ حتى تبلغَ الأُمور ما أراد . لقد نظَرْتُ إلى سهيْل بن عمرٍو فى حَجّة الوَداع قائماً عند النّحرِ يُقرِّبُ إلى رسولِ الله بُدْنَه ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينْحرُها بيدِه ! ودعا الحلاّقَ فحلّق رأْسَه ، فأنظُرُ إلى سهيْلٍ يَلقُطُ من شَعَرِه ، وأَراه يضَعُه على عَينَيْه ! وأذْكرُ إباءَهُ أن يُقِرَّ يوم الحُدَيبية بأن يُكْتَب بسم الله الرّحمن الرّحيم ! وإباءَ أن يُكتَب أنّ محمداً رسولُ الله ! فحمدتُ الله الذى هداه للإسلام . فصلَواتُ الله وبركاتُه على نبىِّ الرّحمةِ الذى هدانا بهِ ، وأَنقَذَنا به من الهَلَكةِ .

كتاب الصلح

فلمّا حضَرتِ الدّوَاة والصّحيفةُ — بعد طول الكلام والمُراجعة — دَعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أَوْسَ بن خَوْلِيّ يَكْتُب ، فقال سهيل : لا يكْتب إلّا ابْنُ عَمّك علىٌّ ، أو عثمانُ بن عفّان . فأَمر عَليّا فكتَب ، فقال : اُكتُبْ ،

(١) هى عُمْرة القضية ، وسيأتى ذكرها بعد غزوة وادى القرى

بِسم الله الرَّحمٰن الرَّحِيم . فقال سهيل : لا أَعْرِفُ الرَّحْمٰن ، اُكتبْ ما نكْتب ، بِاسْمِكَ اللهُمَّ . فضاقَ المسلمُون من ذلك وقالوا : هو الرَّحمٰن ، واللهِ لا نَكْتُبُ إِلَّا الرَّحْمٰن . قال سهيل : إذاً لا أُقاضيهِ على شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اُكتبْ ، باسْمِكَ اللهمَّ . هذا مَا اصْطلح عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : لَوْ أَعْلَمَ أنَّكَ رسول الله ما خالفتُكَ واتَّبعتك ، أفتَرْغَبُ عن اسمك واسم أبيك ، محمد بن عبد الله ؟ فضجَّ المسلمون منها ضَجَّةً هى أشَـدَّ من الأُولى حتّى ارتفعت الأصواتُ ، وقام رِجالٌ يقولون : لا نكتب إلا محمّدٌ رسول الله ! وأخَذَ أُسَيْد بن حُضَيْر وسعد بن عُبادة رضى الله عنهما بيَد الكاَتب فأمْسكاها وقالا : لا تكتبْ إلا محمد رسول الله ، وإلا فالسيْفُ بيننا . علامَ نعْطِى هـذه الدَّنِيَّةَ فى دِيننا ؟ فجعل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ يُخَفِّضهُم(١) ويُومِئُ إليهم بيده : اسكتُوا . وجعل حُوَيْطب يَتَعَجَّبُ مِمّا يصنعُون ، ويقول لمكْرَز : ما رأيْتُ قوماً أحْوطَ لدينهم من هٰؤلاء ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : أنا محمد بن عبْدِ الله ، فاُكْتُب ، فكتَب :

نصُّ كتاب الصلح

« باسْمِكَ اللهُمَّ . هذَا ما اصْطَلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرٍو ، اصْطَلَحا على وَضْع الحرْب عَشْرَ سِنين ، يأْمَن فيها الناسُ ويَكُفُّ بعضهم عن بعضٍ ، على أنه لا إسْلَال ولا إغْلال(٢) ، وأنَّ بيْنَنا عَيْبَةً مكْفوفَةً(٣) . وأنه

---

(١) يخفّضهم : يسكّنهم ويهوّنُ عليهم الأمر ، من الخفض : وهو الدعة والسكون

(٢) الإسلالُ : السرقة الخفيَّة والرشوة ، ويقال هو الغارة الظّاهرة بسَلّ السيوف . والإغلالُ : الخيانة

(٣) العَيْبة : وعاء من أدم يُصان فيه المتاع ، والمكفوفة : المشرجة المعقودة . ومعنى ذلك أنّ بينهم فى هذا الصُّلح صَدْراً معقوداً على الوفاء بما فى هذا الكتاب نقيّا من الغِلّ والغدر والخداع ، فهُمْ فى مُوادعة ومُكافّةٍ عن الحرب يجريانِ مجرى المودّةِ التى تكون بين المتصافيين يثق بعضهم ببعض.

من أَحَبَّ أن يَدْخُل فى عهـدِ محمّدٍ وعَقْدِه فعَل ، وأنه من أحبَّ أن يَدْخُل فى عهدِ قريش وعقْدِها فعل . وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذْنِ وَليّه رَدّه محمّدٌ إليه ، وأنه من أتى قريشاً من أصحابِ محمّدٍ لم يَرُدُّوه . وأن محمداً يرجعُ عَنّا عامَه هـذا بأصحابه ، ويدخُلُ علينا منْ قابلٍ فى أصحابه فيقيمُ بها ثلاثاً ، لا يدخُل علينا بسِلاح إلا سِلاحَ المُسافِر : السُّيوف فى القُرُبِ »

شهود الكتاب

شهد أبو بكر بن أبى قُحافة ، وعُمَر بن الخطاب ، وعبدُالرّحمن بن عوْفٍ ، وسعْد ابن أبى وقاصٍ ، وعُثْمان بن عفان ، وأبُوعبَيدة بن الجرّاح ، ومحمد بن مَسْلمة ، وحُوَيْطب ابن عبد العزّى ، ومِكْرزُ بن حَفْص بن الأَخْيف ، وكتب علىٌّ صدْرَ الـكِتاب

نسخة كتاب الصلح، ودخول خزاعة فى عهد رسول الله ، وبنى بكر فى عهـد قريش

فقال سهيل : يكون عنْدى . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بلْ عندى ! ثم كتب له نسخة ، وأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الـكتاب الأول ، وأخذ سهيل نُسْختَه . ووَثَب مَنْ هُناكَ من خُزاعة فقالوا : نَحْنُ ندخُل فى عهد محمّدٍ وعقْده ، ونحن على مَنْ وراءَنا من قَوْمِنا . ووَثَبَتْ بَنُو بكرٍ فقالوا : ندخل مَعَ قُرَيش فى عهدها وعقْدها ، ونحن على من وراءَنا من قومِنا . فقال حُوَيطب لسهيل : بَادأَنَا أخوالُك بالعداوة ، وقد كانوا يتَستَّرون منا ، قد دخلوا فى عقْد محمد وعهْده ! وقال سهيل : ماهمْ إلا كغَيرهم ، هؤلاء أقاربُنا ولُحْمَتُنَا (١) قد دخلُوا مع محمّدٍ ، قومٌ اختَاروا لأنْفُسهم أمرًا فما نصْنَع بهم ؟ قال حُوَيطب : نَصْنع بهم أنْ نَنصُر عليْهم حُلفَاءَنا بنى بكْر ! قال سهيل : إياكَ أنْ تَسْمع هذا منك بكرٌ ، فإنَّهم أهل شُؤْمٍ ، فيقَعُوا بخُزَاعة ، فيغضَبَ محمد لحلفَائه ، فيَنْتَقِضَ العهدُ بينَنَا و بينه

مدة الهدنة

وقال عبد الله بن نافع ، عن عاصم بن عمر ، عن عبد الله بن دينار (٢) ، عن ابن

(١) اللحمة : القرابة والنسبُ الشابك المتلاحم

(٢) فى الأصل : « بن دنيه » ، ولم أجده ، وعبد الله بن دينار هو مولى ابن عمر ، ويروى عنه عاصم بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولعل هذا هو الصواب

عمر قال: كانت الهدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم و بين أهل مكة بالحديبية أربع سنين. خرّجه الحاكم وصححه، وفي كتاب عمر بن شبّة في أخبار مكة: كانت سنتين

خبر أمر رسول الله المسلمين بالنحر والحلق والإحلال

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب، وانطلق سهيل وأصحابه، قال: قوموا فانحروا واحلقوا وحِلُّوا (١) فلم يجبه أحد إلى ذلك. فردَّدها ثلاث مرّات، فلم يفعلوا. فدخل على أمّ سلمة رضى الله عنها وهو شديد الغضب، فاضطجع، فقالت: مالك يا رسول الله؟ مراراً، وهو لا يجيبها، ثم قال: عجباً يا أمّ سلمة! إنى قلت للناس انحروا واحلقوا وحِلُّوا مراراً، فلم يجبنى أحد من الناس إلى ذلك، وهم يسمعون كلامى، وينظرون فى وجهى! فقالت: يارسول الله انطلق أنت إلى هديك فانحره، فإنهم سيقتدون بك. فاضطبع (٢) بثوبه وخرج، فأخذ الحربة ويمّم هديه، وأهوى بالحربة إلى البدنة رافعاً صوته: بسم الله والله أكبر. ونحر. فتواثب المسلمون إلى الهدى، وازدحموا عليه ينحرونه، حتى كاد بعضهم يقع على بعض. وأشرك صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فى الهدى، فنحر البدنة عن سبعة، وكان الهدى سبعين بدنة، وقيل مائة بدنة.

نحر الهدى

وكان الهدى دون الجبال التى تطلع على وادى الثَّنِيَّة، عرض له المشركون فردّوا وجوه البدن، فنحر رسول الله بدنه حيث حبسوه، [وهى الحديبية]. وشرد جمل أبى جهل من الهدى وهو يرعى — وقد قلّد وأشعر، وكان نجيباً مهريًّا — فمرّ من الحديبية حتى انتهى إلى دار أبى جهل بمكة. وخرج فى إثره عمرو بن عنمة (٣) بن عدىّ بن نابى السلمىّ الأنصارىّ، فأبى سفهاء مكة أن يعطوه

(١) حلّ من إحرامه: خرج منه
(٢) اضطبع بثوبه: أدخله من تحت إبطه الأيمن، فغطى به الأيسر
(٣) فى الأصل: «غنمة»

حتّى أمرهم سهيل بن عَمْرو بدَفْعه إليه . فدفعُوا فيه مائة ناقةٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْلَا أنَّا سَمَّيْناه فى الهدى فعَلْنا . ونحرَه عن سبعة . ونحر طلحةُ بن عُبَيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعُثْمان بن عفّان بدَنَاتٍ سَاقُوها . وكانَ رسولُ اللهصلى الله عليه وسلم مُضْطَرِباً⁽¹⁾ فى الحِلِّ ، و إنما يُصَلِّى فى الحرَم . وحضَرهُ من يَسْأَل من لُحُوم البُدْن مُعْتَرًّا⁽²⁾ ، فأعطاهم من لحومها وجُلودها . وأَكل المُسلمون من هَديهم وأَطْعمُوا المَساكين . وبعثَ صلى الله عليه وسلم من الهدي بعشرين بَدنةً لتُنْحَرَ عند المَرْوَةِ مع رجلٍ من أَسْلَمَ ، فنحرَها عند المَرْوَةِ وفرّق لحمها . فلما فرَغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحر البُدنِ ، دَخَل قُبّةً

دعاء رسول الله للمحلّقين والمقصرين

له مِن أَدَمٍ حمراء ، فيها الحلّاق فحَلّق رَأْسَه . ثم أخرج رأْسه من قبَّته وهو يقول : رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقِينَ ! قيل : يا رَسُولَ الله ، والمُقَصِّرِين ! قال : رَحم اللهُ المحلِّقين ! ثلاثاً ، ثم قال : والمُقَصِّرِين . ورَمى بشَعَره على شَجَرةٍ كانت بجنبه من سَمُرةٍ خضراء ، فجعل الناسُ يَأْخُذُون الشَّعَر من فوق الشَّجرة فيَتَحَاصُّون⁽³⁾ فيه . وأَخذَتْ أُمُّ عمارة طَاقاتٍ من شَعَرٍ ، فكانَتْ تغسلُها للمريض وتَسْقيه حتَّى يَبْرَأ . وحلّق نَاسٌ وقَصَّر آخرون . وكان الذى حلقه [صلى الله عليه وسلم]⁽⁴⁾ خراشُ ابن أُمَية بن الفَضل الكعبي ، فلما حَلَّقوا بالحديبية ونَحرُوا ، بَعَثَ الله تعالى ريحاً عاصفاً فاَحتملت أَشعارهم فالْقَتْها فى الحرَمِ .

خبر أم كلثوم بنت عقبة

وخرجتْ يومئذٍ أُمُّ كلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعيط ، وهى عاتِقٌ⁽⁵⁾ لم تَزَوَّجْ ،

---

(١) من قولهم اضْطَرَب بناءً أو خيمة : نصبها وأقامها ، يريد نازلاً

(٢) المعترُّ : الفقير الذى يُطيفُ بك يتعرَّضُ لمعروفك

(٣) تحاصَّ القوم : اقتسموا ، فأخذ كل أحد منهم حِصَّتَه

(٤) زيادة للبيان

(٥) العاتق : الشابَّة التى لم تَبِنْ من والديها ولم تتزوَّجْ

فقَبِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هِجرتَها ولم يَرُدَّها إلى المشركين ، وقدمَت المدينةَ ، فتزَوَّجها زَيدُ بن حارِثة

إقامة المسلمين بالحديبية ، وما أصابهم من الجوع

وأقام صلى الله عليه وسلم بالحُدَيبية بضعةَ عشر يومًا ، ويقال عشرين يوماً ، ثمَّ انصرف . فلمّا نزَل عُسْفَان أَرْمَل[(١)] المُسْلمون من الزَّاد ، وشكَوْا أنَّهم قد بُلِغُوا[(٢)] من الجُوعِ ، وسألوا أن يَنْحَروا من إبِلهم ، فأَذِن لهم صلى الله عليه وسلم فى ذلك . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسولَ الله ! لا تفعَلْ ، فإن يَك فى النَّاس بَقِيَّةُ ظَهْرٍ يكنْ أمْثَل ، ولكن ادْعُهم بأزْوَادِهم ، ثم ادعُ لهم فيها الله . فأمرَ صلى الله عليه وسلم بالأنْطَاعِ فبُسِطَتْ ، ثم نادَى مُنَادِيه : من كان عِنده بَقِيَّة زادٍ فَلْيَنثُرْه على الأنطاعِ . فكان منهم من يَأْتى بالتَّمْرة الواحدة ، وأكثرُهم لا يأْتى بشىء ؛ ويُؤْتَى بالكَفِّ من الدَّقيق والكَفِّ من السَّوِيق ، وذلك كلُّه قليل . فلما اجتمعتْ أَزْوَادُهم وانقَطعت موادُّهم مَشى صلى الله عليه وسلم إليها فدَعا فيها بالبرَكةِ ، ثم قال : قرِّبوا أَوْعِيَتكم ! فجاءوا بأَوْعِيتِهم ، فكان الرَّجُل يأخذ ما شاء من الزَّادِ حتى إنّ أحَدهم ليأخُذ ما لا يَجِدُ له مَحْمَلًا

المطر

ثم أَذَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالرَّحيل ، فلما ارتَحلوا مُطِروا ما شاءوا وهُم صائِفون[(٣)] ، فنزَل ونزلوا معه فشرِبوا من ماء السماءِ . وقام صلى الله عليه وسلم فخَطَبهم . فجاء ثلاثةُ نفَرٍ ، فجلس اثنان وذهب واحدٌ مُعرِضًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أُخَبِّركم خبَرَ الثَّلاثة ؟ قالوا : بلى ، يا رسولَ الله ! قال :

---

(١) أرْمل المسافر : نفِد زادُه

(٢) بُلِغَ (مبنى للمجهول) : أدركته مشقة فبلغت منه وجهده

(٣) صافَ بالمكان : أقام به صيفاً أو مرَّ به

أمّا واحدٌ فاستَحيا فاستَحيا اللهُ منه ، وأما الآخرُ فتاب فتابَ الله عليــه ، وأمّا الثالثُ فأعرَضَ فأعرَض الله عنه

سؤال عمر سكوت رسول الله عن جوابه ، ونزول سورة الفتح

وبَيْنا عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه يسير مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، فسأله فلم يُجِبْه ، ثم سَأَله فلم يُجبه ، ثم سأله فلم يُجبْه ، فقال : ثَكِلَتْك أُمُّك ياعمر ! بَدَرْتَ[1] رسولَ الله ثلاثاً ، كلُّ ذلك لا يُجيبُك ! وحرّكَ بعيرَهُ حتى تَقــدَّم الناسَ ، وخَشِي أن يكونَ نزَل فيه قرآنٌ ، فأخذَه ما قرُبَ وما بَعُد : لمراجعته بالحُدَيبِيَة وكَراهتِه القضيَّةَ . وبيْنا هو يسيرُ مهموماً متقدِّماً على الناس[2] ، إذا مُنادى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يُنادى : يا عُمر بن الخطّاب ! فوقَع فى نفسه ما الله به أعلم . ثم أقبل حتى أنتهى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فسَلَّم ، فردَّ عليه السلامَ وهو مسرورٌ ثم قال : أُنزِلتْ علَيَّ ســورَةٌ هى أَحَبُّ إلىَّ مِمّا طلَعتْ عليه الشّمس . فإذا هُو يَقرأ « إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحًا مُبيناً » ، فأنزل الله فى ذلك سورة الفتح . فرَكَضَ الناسُ وهم يقولون : أُنزِل على رسولِ الله ! حتى توافَوْا عنده وهو يَقرؤُها . ويقال : لمّا نزَلَ بها جبريلُ عليــه السلام قال : نُهنِّئك يا رسولِ الله ! فلمّا هَنَّأه جبريل هَنَّأَهُ المسلمون . وكان نُزول سورة الفَتْح بكُراع الغَمِيم ؛ ويقال : نزَلتْ بضَجْنان . وعن قَتادة عن أنس رضى الله عنــه : « إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحًا مُبيناً » ، قال : خيْبَر . وقال غيرُه : الحُدَيْبِيَة ، مَنْحرُه وحلقُه . وقيل : نزَلت سورةُ الفتْح مُنْصَرَفَه من خيْبَر

خبر فرار أبى بصير من أسر المشركين

ولمّا قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ من الحُدَيْبية ، فى ذى الحجّة جاءَ أبُو بَصِير — عُتْبة بن أَسِيد [وقيل : عُبَيْد بن أَسِيد] بن جارِيَة بن أَسِيد

(١) بدرهُ عجِل إليه ، وفى الأصل : « ندرت »

(٢) فى الأصل : « للناس »

كتاب قريش فى أمر أبى بصير

ابن عبد الله بن [أبى](١) سَلَمة بن عبد الله بن غِيَرة بن عوف بن قَسِىّ [وهو ثقيف]، حليفُ بنى زُهْرَة — مُسْلِمًا ، قد انْفلَتَ من قومه ، وسار على قدَمَيْه سَبْعًا . وكتب الأخْنَس بن شَرِيق ، وأزْهر ابن عَبْدعَوْف الزُّهْرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا مع خُنَيْس بن جابر من بنى عَامِر ، واستأجراه ببَكْرِ بن لَبُونٍ ، وحَمَلاه على بعيرٍ ؛ وخرج معه مَوْلًى يقال له كَوْثر ، وفى كتابهما ذِكْرُ الصُّلح ، وأنْ يَرُدَّ عليهم أبَا بَصِير . فقدِمَا بعد أبى بَصِيرٍ بثلاثة أيام ، فقرَأَ أُبَىُّ بن كعْب الكتابَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه : « قد عرَفْتَ ما شَارَطْنَاكَ عليه — وأشْهَدْنا بيننا و بينَك — مِنْ رَدِّ مَنْ قَدِمَ عليك من أصحابِنا ، فابْعث إلينا بصَاحبنا » . فأمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبَا بَصيرٍ أنْ

ردّ أبى بصير إلى المشركين

يَرْجِع معهم ودَفَعه إليهما ، فقال : يا رسول الله ! تَرُدُّنى إلى المشركين يَفْتِنُونى فى دِينى ! فقال : يا أبا بصير ، إنَّا قد أعطَيْنا هؤلاء القومَ ما قد علمتَ ، ولا يَصلُحُ لنا فى دينِنا الغَدْرُ ، و إنّ الله جاعلٌ لك ولمن معَك من المسلمين فَرَجًا ومَخْرَجًا . فقال : يا رسولَ الله ! تَرُدُّنى إلى المشركين ! قال : انْطَلِقْ يا أبَا بَصير ؛ فإنّ الله سَيجعَل لك مَخْرَجًا . ودفعَه إلى العامِرىّ وصاحبِه . فخرجَ معهما ، وجعَل المسلمون يُسِرُّون إلى أبى بَصير : يا أبَا بَصير ، أبْشِرْ ! فإنَّ الله جاعلٌ لك مَخْرَجًا ، والرَّجُل يَكونُ خَيْرًا من ألْف رَجُل ، فافْعَل وافْعَل : يَأمرُونَه بالذين مَعه . فانتَهيَا به عند صَلاة الظُّهْرِ إلى ذى الحُلَيفة ، فصلَّى أبو بَصيرٍ فى مسجدِها رَكْعتين صلاةَ المُسافِر . ومعه زادٌ له من تَمْرٍ يَحْمِله ، ثم أكل منه ودَعا العامِرىَّ وصاحبَه ليأكُلَا معه ، فقدَّما سُفْرَةً فيها كِسَرٌ وأكلوا جميعًا .

قتلة العامرى

وقد علَّق العامِرىُّ سيفَه فى الجِدار ، وتحادَثوا . فقال أبو بصير : يا أخا بنى عامر !

(١) زيادة من أسد الغابة

ما اسمك ؟ قال : خُنَيْس . قال : ابنُ مَنْ ؟ قال : ابن جابرٍ . قال : يا أبا جابر ، أصارِمٌ سَيْفُك هذا ؟ قال : نعم ! قال : ناوِلْنيه أنْظُرْ إليه إن شئْتَ . فناولَه . فأخذ أبو بَصير بقائِم السَّيف — والعامرىّ مُمْسِكٌ بالجَفْن — فعَلاه به حتى برَدَ . وخرج كَوْثَر هارباً يَعْدو نحوَ المدينة ، وأبو بَصيرَ فى أثَرِه فأعجزَه ، حتى سَبقَه إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . ورسولُ الله جالسٌ فى أصحابه بعد العصر ، إذْ طَلَع كَوْثر يَعْدو ، فقال : هذا رجلٌ قد رأى ذُعْراً ! وأقبل حتّى وَقفَ فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم : ويْحَك ! مالكَ ؟ قال : قَتَل صاحبُكُم صاحِبى ، وأفْلتُّ منه ولَمْ أكَدْ ! وأقبل أبو بصيرٍ فأناخ بعيرَ العامرىِّ بباب المسجدِ ، ودخل متوشِّحاً سيْفَه ، فقال : يا رسولَ الله ! وفَتْ ذِمَّتُك ، وأدّى اللهُ عَنك ، وقد أسْلَمْتنى بيد العدُوِّ ، وقدِ امتنَعتُ بدينى من أنْ أُفتَنَ ، ويُعْبَثَ[1] بى أو أُكَذَّبَ بالحقِّ . فقال عليه السلام : وَيْلُ أمِّهِ مِحَشُّ[2] حَرْبٍ لوْ كان معه رِجالٌ ! وقَدَّم سَلَبَ العامرىّ وَرَحْلَه وسَيْفَه ليُخَمِّسه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى إذا خَمَّسْتُه رَأَوْا[3] أنى لَم أوفِ لهم بالّذى عاهدتُهُم عليهِ ، ولكن شأنَكَ بسَلَبِ صاحبِك . ثم قال لكَوْثر : ترْجِع به إلى أصْحَابك ؟ فقال : يا محمد ! مالِى به قُوَّةٌ ولا يَدانِ ! فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بصير : اذْهبْ حيثُ شئْتَ

مرجع أبى بصير إلى المدينة

خروج أبى بصير إلى العيص

فخَرَجَ حتى أتى العِيصَ ، فنزَل منه ناحيةً على ساحل البحر على طريق عِيرِ قريش إلى الشأم . وعند ما خرَجَ لم يكن معهُ إلّا كَفٌّ تمْرٍ فأكله ثلاثة

(١) فى الأصل : « وتبعث »

(٢) حش النّار : حرَّكها لتستعر ، ومحشُّ حرب : موقد نار الحرب يؤرثها بنفسه جائلاً فى حَوْمتها

(٣) يعنى : رأت قريش

أيامٍ ، وأصابَ حِيتاناً قد ألقاها البحرُ بالسَّاحِلِ فأكلَها . وبلغَ المسلمينَ الذين قد حُبِسُوا بمكة خبرُه ، فتسلَّلُوا إليه . وكان عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه هو الذى كتبَ إليهم بقَوْلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بَصير : وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشُّ حَرْبٍ لو كان مَعَهُ رجالٌ ! وأخبرهم أنه بالسَّاحل . فاجْتَمع عندَ أبى بَصيرٍ قريبٌ من سَبعين مسلماً ؛ فكانوا بالعيص ، وضيَّقُوا على قريش ، فلا يَظْفَرُون بأحَدٍ منهم إلا قتلوه ، ولا تَمُرُّ عِيرٌ إلَّا اقْتَطَعوها . ومرَّ بهم رَكْبٌ يريدُون الشَّأم ، معهم ثمانُون بعيراً ، فأَخَذُوا ذلك ، وأصابَ كلَّ رجلٍ منهم قيمةُ ثلاثين ديناراً . وكانُوا قد أمَّرُوا عليهم أبا بَصير ، فكان يُصلِّى بهم ويُقرِئهم وَيجمِّعُهُمْ ، وهُم له سامعون مُطيعون . فغاظَ قريشاً صَنيعُ أبى بَصير وشَقَّ عليهم ، وكتبُوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَسأَلُونَه بأَرْحامهم إلَّا أدْخَل أبا بَصير إليهِ ومَن معه : فلا حاجَةَ لنا بهم . فكتبَ صلى الله عليه وسلم إلى أبى بَصير أنْ يَقْدَمَ بأَصحابه مَعَهُ . فجاءَهُ الكتاب وهو يموتُ ، فجعل يَقرأُهُ ، ومات وهو فى يده فدفنوه . وأقبلَ أصحابُه إلى المدينةِ وهم سَبعون ، فيهم الوليدُ بن الوَليد بن المُغيرة ، فماتَ بعقِب قُدُومِه ، فبكَتهُ أُمُّ سَلَمة رضى الله عنها

هجرة أم كلثوم بنت عقبة إلى المدينة

وكانت أُمُّ كلثوم بنت عُقْبة [١] بن أبى مُعَيطٍ قد أسلمت بمكة ، فكانت تَخرج إلى بَادِيَة أَهلِها [لها بها أهلٌ] [٢] ، فتُقيمُ أيامًا بناحيَة التنعيم ثمَّ ترجع . حتّى أَجْمعت على المسير مُهاجِرةً ، فخرجت كأَنها تريد الباديةَ على عادتها ، فوجَدت رجُلاً من خزاعة فأعْلمَته بإسْلامها ، فأرْكبها بعيرَهُ ، حتى أقدَمها المَدينة بعد ثمانى ليالٍ . فدخلت على أمِّ سلَمة رضى الله عنها ، وأعْلمتها أنَّها جاءت مهاجرةً ، وتخوَّفت

(١) فى الأصل : « عتبة »
(٢) هكذا فى الأصل ، والذى بين القوسين تكرار

أن يَرُدَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلَمة أعلمَته ، فرحَّبَ بأم كلثوم وسَهَّل ، فذكرت لَهُ هِجرَتَهَا ، وأنَّها تخَافُ أن يرُدَّها ، فأنزل الله فيها آية المحنْة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ، اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ ، لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَاهُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وآتُوهُمْ ما أنفَقُوا ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أن تَنكِحوهُنَّ إذَا آتَيتُموهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، ولا تُمسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ وَاسْئَلوا ما أنفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلوا مَا أنفقوا ، ذَلِكُمْ حُكمُ اللهِ يَحْكُمُ بَينكم وَاللهُ عليمٌ حكِيمٌ » (الممتحنة : ١٠)[١]

ما نزل فيها من القرآن

فكان[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم يرُدُّ من جاءه من الرِّجَال ، ولا يرُدُّ مَن جاءه من النِّساء . وقدمَ أخوَاهَا من غَدِ قدُومها — الوَلِيدُ وعُمَارة أبنا عقبة بن أبي مُعَيْط — فقالا : يا محمد ! فِ لَنَا بشرطنا وما عاهَدتَنا عليه . فقال : قد نُقِضَ ذلك . فانصرَفَا إلى مكة فأخبرا قريشاً ، فلم يبعثوا أحداً ، ورَضُوا بأن تُحْبَسَ النِّساء

طلبُ قريش رد أم كلثوم

ويُقال إن أُمَيْمَة بنت بِشْر الأنصاريّ ، ثم من بني عَمْرو بن عوف ، كانت تحت حَسّان بن الدَّحداح[٣] [أو ابن الدَّحْداحة] وهو يومئذ مُشْرِك ، ففرّتْ من زَوجِها بمكة ، وأَتَتْ[٤] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تُريد الإسلام ، فهمَّ

فرار أميمة بنت بشر وهجرتها إلى المدينة

(١) في الأصل : « ... فامتحنوهنّ ، الآية »
(٢) في الأصل : « وكان »
(٣) في الأصل هكذا : « كانت ثابت بن الدحداح » ، والصواب ، « كانت تحت » ، وأما قوله «ثابت بن الدحداح» فهو خطأ محض . فإن ثابتاً رضي الله عنه استشهد يوم أحد ، قتله خالد بن الوليد ، وقد مرّ ذلك في ص (١٥١ — ١٥٢) . والتصحيح الذي ذكرناه من ترجمتها في أسد الغابة ، والإصابة
(٤) في الأصل : « أتت »

أن يردّها إلى زوجها ، حتى أنزلَ الله تعالى « فَٱمْتَحِنُوهُنَّ »(١) . ثم زوّجها رسولُ الله سَهْلَ بن حُنَيف ، فولدتْ له عبدالله بن سهل .

طلاق الكوافر

وأنزَل الله تعالى : « وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ »(١) ، فطلّق عمر بن الخطاب امرأتين هما : قُرَيْبَةُ بنتُ أبى أُمَيَّة ، [بن المُغيرة](٢) ، فتزوّجها مُعاوية ابن أبى سُفْيان(٣) ، والأُخرى أم كلْثوم بنت جَرْوَل بن مالك بن المُسَيَّب بن ربيعة بن أصْرم بن حُبَيْش بن حرام بن حُبْشِيَّة بن سَلول بن كعب الخزاعية ، فتزوجها أبو جَهْم بن حُذَيْفة . وطلّق عِياض بن غَنْم الفِهْرِىّ أمَّ الحَكَم بنت أبى سُفْيان بن حرب ، فتزوّجها عبدُ الله بن عُثْمان الثَّقفى ، فولدتْ له عبد الرّحمن ابن أمّ الحَكَم ؛ وكلُّهم يومئذٍ مُشْرِكٌ . ولم يُعلَم أنَّ امرأةً من المسلمين لَحِقتْ بالمشركين

بعثة الرسل إلى الملوك

وفى هذه السنة السادسة ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رُسُلَه إلى المُلوك بكُتبه

بعثة حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس بمصر

فأرْسَلَ حاطب بن أبى بَلْتَعَةَ [عمرو ، وقيل راشد] بن مُعاذ اللَّخْمِىّ إلى المُقَوْقِس بمصر

بعثة شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبى شمر

وأرْسل شُجاع بن وَهْب [ويقال ابن أبى وَهْب] بن رَبيعة بن أسَد بن صُهَيْب بن مالك بن كبير بن غَنم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمة الأَسَدىّ إلى الحارثِ بن أبى شَمِر الغَسّانِى

بعثة دحية الكلبى إلى قيصر الروم

وأرسلَ دِحْيَة بن خليفة بن فَرْوَة بن فَضالة بن زيد بن امرئِ القَيس بن

(١) انظر (٣٠٦) آية الممتحنة

(٢) فى الأصل : « قريبة بنت أمية » ، والذى أثبتناه هو الصواب ، والزيادة بين القوسين من نسبها

(٣) ونقل ابن حجر فى الإصابة عن البلاذرى : أن معاوية ، تزوّجها بعد أن أسلم

الخَزْرَج[١] [وهو زيدُ مَناة] بن عامر بن بكر بن عامر الاكبر بن عوْف بن عُذْرة بن زيد اللّات بن رُفَيْدة بن ثوْر بن كلب الكلبيّ ، إلى قيْصر ملك الرُّوم

بعثة سليط بن عمرو إلى اليمامة

وأرسل سَليطَ بن عمرو بن عبدِ شَمْس بن عبد وُدٍّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَىّ القُرَشيَّ العامرىَّ ، إلى هوْذَة بن علىٍّ الحَنفِىِّ ، وإلى ثُمامة ابن أثال [وهُما][٢] رئيسا اليَمامة

بعثة عبد الله بن حذافة إلى كسرى

وبعث عبد الله بن حُذافَة بن قيْس بن عدىّ بن سَعد بن سَهم القُرَشىّ السَّهمى ، إلى كِسرى ملكِ فارس

بعثة عمرو بن أمية إلى النجاشىّ

وأرسلَ عمرو بن أُميَّة بن خُوَيلد بن عبد الله بن إياس بن عبيد بن ناشِرة[٣] ابن كَعب الضَّمْرِىّ ، إلى النَّجاشِىِّ ملكِ الحَبَشة

بعثة العلاء بن الحضرمىّ إلى ملك البحرين

وأرسل العَلاء بن الحَضرَمِىَّ [واسمه عبد الله] بن عبَّاد [وقيل عبد الله بن عمّار ، وقيل عبد الله بن ضِمار ، وقيل عبد الله بن عبيدة بن ضمار] بن مالك ؛ وقيل : العلاء بن عبد الله بن عمار بن أكبر بن رَبيعة بن مالك بن أكبر بن عُوَيْف ابن مالك بن الخَزْرج بن أُبَىّ بن الصَّدِفِ ، إلى المُنذِر بن ساوى ملكِ البحرين . وقيل إنَّ إرساله كان سنةَ ثمان

رد المقوقس

فأما المُقَوْقِس ، فإنه قَبِلَ كتابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى إليه أربعَ جوارِى ، منهُنَّ مارِيَةُ

رد قيصر

وأما قيْصر [واسمه هِرَقْل] ، فإنَّه قَبِل أيضاً الكتابَ واعترف بالنبوّة ، ثم خافَ من قوْمه فأمسَك

رد الحارث بن أبى شمر

وأما الحارث بن أبى شَمِر الغَسَّانى ، فإنَّه لمّا أتاه الكتابُ قال : أنا سائرٌ

(١) فى الأصل : « الخزرج »
(٢) زيادة للسياق
(٣) فى الأصل : « عتيك بن باشرة »

إليه [يعنى مُحارِباً] . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بَلغه ذلك عنه : بادَ مُلْــكُه

خبر النجاشى

وأما النَّجاشِىُّ ، فإنه آمنَ برســولِ الله وأتَّبعَه ، وأسلم على يدِ جعفر بن أبى طالبٍ رضى الله عنه ، وأرسل أبنَه فى ستِّين من الحَبشَة فغَرِقوا فى البحر . وبعثَ إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يُزَوِّجَه بأُمِّ حَبيبةَ بنتِ أبى سُفْيان ابن حرْب — وكانت مُهاجرةً بالحبشــة مع زَوجِها عبد الله بن جَحْشٍ فتَنصَّر هناك — فزَوَّجَهُ إيَّاها ، وقامَ بصَداقها : أربعمائة دينارٍ من عنده

ردّ كسرى

وأما كسرى أبَرْوَيْز بن هُرْمُز ، فإنَّه مزَّق الــكتابَ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مزَّق الله مُلْــكَه . فَسُلِّطَ عليه أبنُه شيرَوَيْه فقتَله

رد هوذة بن على

وأما هَوْذَة بن علىّ ، فبعَثَ وفداً بأنْ يجعلَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمرَ بعدَه حتى يُسْلِم ، وإلا قَصَدَه وحاربَه . فقال النبى صلى الله عليه وســلم : اللَّهُمَّ أكفِنيه ! فمات بعد قليل

ردّ المنذر صاحب البحرين

وأما المُنذِر بن ساوَى ، فإنه أسلَمَ وأسْلم أهلُ البحريْن

سحرُ لبيد بن الأعصم لرسول الله

وفى مُحرم سنة سَبع سَحرَ لبيدُ[1] بن الأَعْصَم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، على مالٍ جَعلَه له من بَقِىَ بالمدينة من اليهودِ والمُنافقِين

غزوة خيبر

وكانت غزْوَةُ خَيْبَرَ فى صفر سنة سَبعٍ ، وبينها وبين المدينة ثمانية بُرُدٍ ، مَشْىُ ثلاثة أيام . وقيل سُمِّيَتْ بخَيْبر بن قانِيةَ بن هلال بن مُهْلهِل بن عُبَيل بن عوص بن إرمَ بن سام بن نوح[2] . وكان عثمان بن عفَّان مَصَّرَها

(١) قال ابن هشام ج ١ ص ٣٥٢ « لبيد بن الأعصم ، وهو الذى أَخَّذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نِسائه » . والأُخْذَة : نوع من السحْر يتخذونه لمنع الرجال عن النساء

(٢) فى معجم البلدان : «وذكر أبو القاسم الزجاجى أنها سميت بخيبر بن قانية بن =

أول الخروج إلى خيبر

ويقال خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لهلال ربيع الأول . ونُقل عن الإمام مالك : أنّ خيبر كانت فى سنة ستّ ، وإليه ذهب أبو محمد بن حزم ، والجمهورُ على أنها كانت فى سنةِ سَبع . وأمر أصحابه بالتهيُّؤ للغزْو ، واستنفر مَنْ حوله يَغْزون معه . وجاءه المخلّفون عنه فى غزْوة الحُدَيبية ليخْرجوا معه رَجاءَ الغَنيمة ، فقال : لا تَخْرجوا مَعِيَ إلّا راغبين فى الجهاد ، وأمّا الغَنيمةُ فلا . وبعث منادياً فَنادى : لا يخرُجَنّ معنا إلّا راغبٌ فى الجهادِ . واستخْلف على المدينة سِباعَ بن عُرْفُطَة الغِفاريّ ، وقيل : أبا ذَرّ ، وقيل : نُمَيْلة بن عبد الله اللّيثيّ

ما كانت تفعله يهود قبل غزو المسلمين

وكان يهودُ خَيبَر لا يظنُّون أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَغزوهم ، لمَنَعَتِهم وحُصونِهم وسِلاحهم وَعَددِهم . كانوا يخرجون كلّ يوم عشرةَ آلافِ مقاتلٍ صفوفاً ثم يقولون : محمدٌ يغزونا ! ! هَيهات هَيْهات ! فَعَمّى الله عليهم مخرجَ النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى نزَل بساحتِهم ليلاً

دعاء رسول الله لما أشرف على خيبر

ولمّا أشرف على خَيْبَر قال لأصحابه : قِفُوا . ثم قال : قولُوا : اللّهُمّ ربّ السموات السّبْع وما أظلّتْ ، ورَبّ الأرَضِينَ السبْعِ ومَا أقلّتْ ، [وربّ الشياطين وما أضَلّتْ] [(١)] ، وَربّ الرّياح وما ذَرَتْ ، فإنّا نسألك خيْرَ هذه القَرْيةِ وخيرَ أهلِها وخيرَ ما فيها ، ونعوذُ بك من شرّها [وشرّ أهْلها] [(١)] وشرّ ما فيها ! ثم قال : أدْخُلوا على بَرَكَةَ الله . وعرّسَ بمنْزلته ساعةً

خبر يهود وغزو المسلمين

وكانت يهودُ يقُومون كلّ ليلةٍ قبْل الفجْر ، فيَلبَسون السلاحَ ويَصُفّون الكتائبَ . وخرَج كِنانةُ بن أبي الحُقَيْق فى أربعة عشر رجلاً إلى غَطَفان ، يَدْعوهم إلى نَصْرهم ولهم نصفُ ثمرِ خَيْبر سَنَةً . فلمّا نزَل رسولُ الله صلى الله عليه

= مِهْلائيل بن إرم بن عبيل [وعبيل أخو عاد] بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وهو عمّ الرّبَذة وزرود وشقرة بنات يَثْرب . وكان أول من نزل هذا الموضع »

(١) زيادة فى سائر الروايات

وسلم بساحتهم ، لم يتحركوا تلك الليلة ، ولم يصح لهم ديك ، حتى طلعت الشمس ، فأصبحوا وأفئدتهم تخفق . وفتحوا حصونهم ، [وغدوا إلى أعمالهم] [١] ، معهم المساحي والكرازين والمكاتل ، فلما نظروا المسلمين قالوا : محمد والخميس [٢] !! وولوا هاربين إلى حصونهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الله أكبر ! خربت خيبر ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين -

قتال أهل النطاة

وقاتل يومه ذلك إلى الليل أهل النطاة [٣] ، فلما أمسى تحول بالناس إلى الرجيع [٤] . وكان يغدو [٥] بالمسلمين على راياتهم . وكان شعارهم : يا منصور أمت . وأمر بقطع نخلهم ، فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمائة عذق [٦] ، ثم نادى بالنهي عن قطعها . ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل خيبر أخذته الشقيقة [٧] ، فلم يخرج إلى الناس

مقتل محمود بن مسلمة

قال الواقدي : وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع

---

(١) زيادة للسياق من ابن سعد ج ٢ ص ٧٧ ، وقد شرحنا الألفاظ التي تلي ذلك في ص ٢٢٠

(٢) الخميس : الجيش يكون خمس فرق ، المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة

(٣) كانت خيبر ذات زرع ونخل كثير ، وكان بها عدة حصون ، وهذه أسماؤها : حصن النطاة [وهو هذا] ، وحصن القموص [وكان لأبي الحقيق وولده] ، وحصن ناعم ، وحصن الشق ، وحصن الوطيح [ويقال : الوطيحة أيضاً] ، وحصن الكتيبة ، وحصن السلالم ، وحصن الصعب بن معاذ ، وحصن قلعة الزبير ، وحصن أبي ، وحصن النزار ، وسيمر بك بعض أسماء هذه الحصون فاذكرها

(٤) هذا المكان المسمى « بالرجيع » قرب خيبر ناحية الشام ، وهو غير « الرجيع » الذي لهذيل بين مكة والطائف ، حيث غدرت عضل والقارة فقتلوا السبعة الذي بعثهم رسول الله ومنهم عاصم حمي الدبر ، وقد مضى ذكرهم وذكر الموضع في ص ١٧٤

(٥) في الأصل : « يغدو »

(٦) العذق : النخلة بحملها

(٧) الشقيقة : صداع يأخذ في مقدم الرأس ونصفه وأحد جانبي الوجه

فيئَهُ(١)، وقد قاتلَ يومئذٍ، وكان يوماً صائفاً(٢)، فدلَّى عليه مَرْحَبُ [اليهوديّ](٣) رحًى فهشَّمت البَيضةَ، وسقَطتْ جِلْدَة جَبينه على وَجْهه، ونَدَرَت(٤) عَينُه. فأُتِيَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرَدَّ الجِلدة كما كانت، وعَصبَها بثَوْبٍ. وتحوَّل إلى الرَّجِيع خَشْيةً على أصحابه من البيَاتِ، فكان مُقامه بالرَّجِيع سبعة أيامٍ. يغدُو كلَّ يوم للقتالِ، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفـان رضى الله عنه، ويقاتل أهلَ النَّطَاةِ يومَهُ(٥)، فإذا أمْسَى رجَع إلى الرَّجيع. ومَنْ جُرِح يُحْمَل إلى العَسكر ليُدَاوَى. فَجُرِح أوَّلَ يوم خمسون من المسلمين

اليهودى المستأمن

ونادى يهوديٌّ من أهلِ النَّطَاة بعد ليْلٍ: أنا آمِنٌ وأُبلِّغكم؟ فقالوا: نعم! فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدَلَّه على عوْرَةِ يهودَ. فدعَا أصحابَهُ وحضَّهم على الجهادِ، فغَدَوْا عليهمْ، فظفَّرهم الله بهم، فلم يَكُ فى النطَاةِ شىءٌ من الذُّرِّية. فلما انتَهَوْا إلى الشِّقِّ وجدوا فيه ذُرِّيةً، فدفَع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودِيِّ زَوْجَتَهُ

حراسة المسلمين وفتح النطاة

وكانت الحراسَة نُوَباً بين المسلمين، حتَّى فَتح الله حصن النطَاة، فوُجِد فيه مَنْجَنيقٌ، فنُصب على حصن النِّزَار(٦)، ففتحه الله. ونازَلَ المسلمون حِصنَ ناعِمٍ فى النطاةِ، فنهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال حتَّى يَأْذن لهم. فعمَد رَجلٌ من أشْجَع فحمل على يهودَ، فقتله مرحبٌ، فنادى مُنادِى رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تَحِلُّ الجنةُ لعَاصٍ. ثم أمر الناس بالقتال. وكان ليهودَ عبدٌ

(١) فى الأصل: « فئة ». والفَىْءُ: الظلّ يأتى فينسَخُ الشمسَ من المكان
(٢) اليوم الصائف: الشديد الحرّ، من الصَّيف
(٣) زيادة للإيضاح
(٤) ندرَ: سقط من جوفٍ شىء أو من بين أشياء فظهر، وخرجَ
(٥) فى الأصل: « قومه »
(٦) فى الأصل: « البراز »

حبشيٌّ اسمُهُ يَسَار ، فى مِلْك عامرٍ اليهودى ، يرْعى له غنَماً ، فأقبلَ بالغنَم حتَّى أسْلم ، وردَّ الغنم لصاحبها ، وقاتَلَ حتى قتِل شهيداً

الألوية ، وأول راية فى الإسلام

وفرَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّايات ، ولم تكن رَايةٌ قبلَ خيبر ، إنما كانت الألوِيَةُ . فكانت رايةُ النبىِّ صلى الله عليه وسلم سَوْداء تدْعى العُقَاب : من بُرْدٍ لعائشةَ رضى الله عنها ، ولواؤه أبيض . ودفَع رايةً إلى علىٍّ ، ورايةً إلى الحبَاب بن المنذر ، ورايةً إلى سَعد بن عبادة رضى الله عنهم

مدد عيينة بن حصن ليهود

وكان عيينة بن حصن قد أقبل مَدَدًا ليهود بغَطفَان فى أربعة آلاف ، فأرسلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يرْجعَ ولهُ نصف تمر خيبر ، فأبَى أن يتخلَّى عن حلفَائه . فبعث الله على غطفَان الرُّعبَ ، فخرجُوا عَلَى الصعْبِ والذلُول[1] ، فذَلَّ عند ذلك عدوُّ الله كِنَانَةُ بن أبى الحقَيْق ، وأيقَنَ بالهلَكةِ

حصن ناعم ورجوع المسلمين عنه

وجَثَمَ[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحصون ، وألَحَّ على حصن ناعمٍ بالرَّمى ، ويهودُ تُقاتل . ورسول الله صلى الله عليه وسلم على فرسٍ يقال له الظَّرِب[3] ، وعليه دِرْعان ومِغْفَرٌ وبَيْضَةٌ ، وفى يَدِه قَنَاةٌ وتُرْس . وقد دفَع لواءه إلى رجلٍ من المهاجِرِين فرجع ولم يصنَعْ شيئاً ، فدَفعه إلى آخرَ من المهاجرين فرجَع ولم يصنعْ شيئاً ؛ ودفَع لواء الأنصار إلى رَجُلٍ منهم فرَجع ولم يصنع شيئاً . فحثَّ صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد ، وسالَتْ كتائبُ يهود : أمَامهم الحارثُ أبُو زَيْنَب يهُدّ[4] الناس هَـذًّا . فساقهم صاحبُ راية الأنصار حتَّى أنتهوا إلى

(١) الصَّعب من الدوابِ : الذى لم يركبْ ، فهو شديد عاصٍ . والذَّلول : السهل الذى ذلّ بالركوب حتى أسمَحَ . وقوله ، « خرجوا على الصعب والذلول » : كناية عن هربهم فى كلّ وجه لا يبالون شدائد ما يأتون ولا سُهوله ، من شدة رُعْبهم

(٢) جثم على حصونهم : أى لزمَ مكانَه منها ولم يَبْرحْه

(٣) فى الأصل : « الضرب »

(٤) فى الأصل : « بهذا » ، والهذّ : الإسراع

الحِصن فدخلوه . وخرج أُسَيْرٌ يقْدُمُ يهودَ، فكشَفَ الأَنصارَ حتى أُنتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مَوْقفِه ، فاشتَدَّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسَى مَهْموماً . [وخرج مع ذلك سعْدبن عبادة] (١)، فقال صلى الله عليه وسلم : لأُعطِيَنَّ الرّايةَ غداً رجُلا يحبُّه الله ورسولُه ، يَفْتَح اللهُ على يديه ، لَيْسَ بفَرّار . أَبْشِر يامحمّدبن مَسلمة ! غداً — إن شاء اللهُ تعالى — يُقْتَلُ قاتلُ أخيك ، وتُوَلِّى عَاديَةُ يهود (٢)

بعثة علىّ لفتح حصن ناعم

فلمّا أصْبَح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَرْسَل إلى علىٍّ رضى الله عنه —وهو أرْمَد— ، فقال [علىّ] (٣): ما أُبْصِرُ سهْلًا ولا جَبَلًا ! فذَهب إليه فقال [صلى الله عليه وسلم] (٣): افتحْ عَيْنَيك ! ففتحهُما ، فتَفل فيهما ، فما رَمِدَ بعْدها .

مقتل أبى زينب اليهودى

ثم دفعَ إليه اللِّواء ، ودَعا له ومَن معه بالنّصْر . وكان أوّلَ من خَرَج إليه الحارثُ أبُو زينب — أخو مَرْحب— فانكشف المسلمُون وثبَتَ علىٌّ ، فاضطرَبا ضرَباتٍ فقتله علىٌّ . وانهزَم اليهودُ إلى حِصْنهم .

خبر مرحب اليهودى ومقتله

ثمّ خرج مَرْحبٌ فحَمَل عَلَى علىٍّ وضرَبه ، فاتّقاه بالتُّرْس ، فأطَنَّ (٤) تُرسَ علىٍّ رضى الله عنه . فتناوَلَ باباً كان عند الحِصْن فترّس به عنْ نَفْسه ، فلم يزَلْ فى يدِه حتى فتحَ اللهُ عليهِ الحصن ، و بعَثَ رجلًا يُبشِّرُ النبي صلى الله عليه وسلم بفتح حِصْن مَرْحب . ويقال إنَّ بابَ الحِصن جُرِّب بَعد ذلك ، فلم يَحْمِلْه أربعون رجلا . ورُوِى — من وَجْهٍ ضعيفٍ —

(١) هكذا هذه العبارة فى الأصل ، ولا أدرى ما أرادَ : وقد نقل صاحب السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٩ ، نص كلام الإمتاع ، ولم يذكر هذه العبارة . ولعله أراد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بعد ذلك ومعه سعد بن عبادة — وهو أحد أصحاب الرايات فى يوم خيبر — فقال ماقال ، ممّا ذكر بعد ذلك

(٢) العادية : أوّلُ من يعدو إلى القتال من الرجّالة والفرسانِ

(٣) زيادة للبيان

(٤) أطنّ الترسَ : أى ضربها ضربة شديدة فقطعها ، وسُمع فى صوت القطع طنينُ الضربة

عن جابرٍ : ثمّ اُجتمع عليه سبعُون رجلاً ، فكان جُهْدَهم أن أعادوا البابَ . وعن أبى رافعٍ : فلقد رأيْتُنى فى نفرٍ مع سبعةٍ — أنا ثامِنُهُمْ — نَجْهَدُ أن نَقْلِبَ ذلك البابَ فما استطَعنا أن نَقْلبَه . وزعم بعضهم : أنَّ حَمْلَ علىّ باب خَيْبر لا أصل له ، وإنما يُرْوَى عن رَعاعِ الناس . وليس كذلك ، فقد أخرجَه ابن إسحاق فى سيرَتِه عن أبى رافعٍ ، وأنَّ سبعةً لم يَقْلِبوه . وأخرجَه الحاكمُ من طُرُقٍ منها : عن أبى على الحافظ ، حدثنا الهيثم بن خلف الدَّوْرِىّ ، حدثنا إسماعيل ابن مُوسى الفزَارِىّ [نسيبُ][1] السُّدِّىّ ، حدثنا المطَّلب بن زياد ، حدثنا لَيْثُ بن أبى سُلَيْم ، حدثنا أبو جعفر محمّد بن علىّ بن حُسَيْن ، عن جابر : أنَّ عليًّا حملَ البابَ يومَ خَيْبر ، وأنه جُرِّبَ بعد ذلك فلم يَحْمِله أربعون رجلا

خبر مرحب وأسير وياسر ومقتلهم

ويقال إنَّ مرحباً بَرَزَ كالفحْل الصَّوُّول يدعو للبِرَاز ، فخرجَ إليه محمّد بن مَسلمة فتَجَاوَلَا ساعةً ، وضربَ محمّدٌ مرحبًا فقطعَ رِجْليه وسقَطَ ، فمرَّ به علىٌّ رضى الله عنه فضرَبَ عُنُقَه وأخذَ سَلَبَهُ ، فأعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَلَبَهُ محمّدَ بنَ مسلمة . وبرَزَ أُسَيْرٌ ، فخرج له محمد بن مسلمة فقتَله محمدٌ ، ثم برَزَ ياسرٌ ، وكان من أشِدائِهم ، فقال :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى ياسِرُ شَاكِى السِّلاحِ بَطَلٌ مُغاوِرُ
إذَا اللُّيُوثُ أقْبلَتْ تُبادِرُ وأَحْجَمَتْ من صَوْلَتِى المَخاطِرُ[2]
إنَّ حِمَاىَ فِيهِ مَوْتٌ حاضِرُ

فقتَله الزُّبيْر رضى الله عنه وهو يقول :

قدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى زَبَّارْ قَرْمٌ لِقَوْمٍ غَيْرُ نِكْسٍ فَرَّارْ

---

(١) زيادة لا بد منها ، من ترجمته فى تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٣٥
(٢) فى الأصل : «من صولة» ، ورواية الطبرىّ ج ٣ ص ٩٣ «من صولتى المغاور»

وأَبْنُ حُماةِ المَجْدِ وَأبنِ الأخيَارْ — يا سِرُ ! لا يغرُرْكَ جَمْعُ الكُفَّارْ

فجمْعُهُمْ مِثْلُ السرَابِ الجرَّارْ(١)

[وفى روايةٍ : « فإنَّهُمْ مِثْلُ السرَابِ المَوَّارْ »] . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشرُوا ! قد ترَحَّبَتْ خَيْبَرُ وتيسَّرَتْ(٢) . وبرزَ عامِرٌ فقتله علىٌّ وأخذَ سلاحَه . ولما قُتِل مَرْحَبٌ بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جُعَيْلَ بن سُراقة الغِفَارىَّ يُبشرُ محمود بن مَسْلَمة : أنَّ الله قد أنزَل فرائض البَنَاتِ ، وأنَّ محمّد بن مسلمة قد قتَل قاتلَه . فسُرَّ بذلك ، وماتَ فى اليوم الذى قُتِل فيه مرْحَبٌ ، بعد ثلاث من سُقوط الرَّحَى عليه

البشرى بقتل قاتل محمود بن مسلمة

فتح حصن الصعب بن معاذ بعد الجوع والجهد

وكان النَّاس قد أقاموا على حِصْن النَّطاة عشرة أيام لا يُفْتح ، وجَهَدهم الجوعُ ، فبعثُوا أسماءَ بنَ حارثة بن هِند بن عبد الله بن غِيَاث بن سعد بن عمرو ابن عامر بن ثَعلبة بن مالك بن أفصَى الأسْلَمىَّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : نشكُوا الجوعَ والضَّعْفَ ، فادعُ اللهَ لنَا ! فقال : اللهم افْتح عَليهم أعظَمَ حِصْنٍ فيه ، أكثرَه طعامًا وأكثرَهُ وَدَكًا . ودفَع اللواء إلى الحُباب بن المنْذِر بن الجموح ، وندبَ النَّاس . فما رَجَعُوا حتى فتحَ اللهُ عليهم حصن الصَّعْب بن مُعاذ . وأقبلَت غَنَمٌ ليهودَ ، وهُم فى حِصارِ حِصْنِ الصَّعْب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ رَجُلٌ يُطعِمُنا من هذه الغَنَمَ ؟ فقال أبو اليَسر كَعْب بن عَمْرو ابن عبَّاد بن عمرو بن(٣) سَوَاد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمَة : أنَا ، يا رسول الله ! وخرَجَ يَسْعى مثل الظّبى ، فقال عليه السلام : اللَّهُمَّ مَتِّعنا به ! فأدرَكَ الغَنَمَ وقد

خبر أبى اليسر فى إطعام المسلمين

(١) فى الأصل : « وجمعهم مثل السراب الجار » ، وهذه الرواية أجود ، انظر الطبرى ج ٣ ص ٩٣

(٢) وذلك لقتل مرحب وياسر

(٣) فى الأصل : « عمرو بن غزية بن سواد » وليس فى كتاب من الكتب الأصول كلها ، ذكرُ « غزية » بين عمرو وسواد

دَخَل أوّلُها الحِصنَ ، فأخذَ شاتيْن من آخرِها واْحتَضَنَهُما ، ثم أقبلَ عَدْوًا . فأمرَ بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فذُبِحَتَا[١] وقُسِمَتَا ، فما بَقِى أحدٌ من أهل العسكر المُحاصِرين الحصنَ إلّا أكلَ مِنها ، وكانوا عَدَدًا[٢] كثيراً .

نحر الحمر الإنسية وتحريم لحمها

وخَرج مِن الحِصن عشرون حِماراً أو ثلاثون ، فأخَذَها المُسْلمون وانْتحَرُوها[٣] ، وطَبَخُوا لحومها . فمرَّ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهُمْ على تلك الحال ، فسألَ ، فأُخبِر خبرَها . وأمرَ فنُودِىَ : إنّ رسولَ الله نَهاكم عن لُحُوم الإِنْسِيّة[٤] فأكفِئُوا القُدور ، وعن مُتْعَةِ النساء ، وعن كلّ ذى نابٍ ومِخْلَب .

النهى عن متعة النساء وكل ذى ناب ومخلب

وذَبح المسلمون فرسَيْن قبل فَتح حِصن الصعب فأكلُوا

مقتل عامر بن سنان

وقُتِل عامرُ بن سِنانٍ الأنصارى — عمُّ سَلَمَةَ[٥] بن عمرو بن الأكوع [وسِنانٌ هو الأكوَع] — ، وقد لَقِىَ يهوديًّا فَبدَرَه بضرْبةٍ ، فاتّقى عامرٌ بدَرَقَتِه ، فنبَا سَيْفُ اليهودِىّ عنه ، وضرَب عامرٌ رِجْل اليهودِىّ فقطَعها ، ورجَع السَّيْفُ عليه ، فنُزِفَ فمات . فقال أُسَيْد بن حُضَيْر : حَبِطَ عملُه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كَذَبَ من قالَ ذلك ، إنَّ لهُ لأَجْرَيْن ، إنه جاهِدٌ[٦] مُجاهِدٌ ، وإنه ليَعُومُ فى الجنّة عَوْمَ الدُّعْمُوص[٧]

خبر حصن الصعب

ولما أقام المسلمون على حِصن الصعب يَومَين ، غَدا بهم الحُباب بن المُنْذِر فى اليوم الثالث ومعه الرّاية ، فقاتلَهم أشدَّ قِتالٍ . وبكَّرَ رسول الله صلى الله عليه

---

(١) فى الأصل : « قد لحقا »

(٢) فى الأصل : « عداداً »

(٣) انتحر الدابة ونحرها : طعنها فى نحرها فذبحها

(٤) يعنى الحُمر الإنسية غير الوحشية

(٥) فى الأصل : « مسلمة »

(٦) الجاهدُ : الجادّ فى أمره

(٧) الدعموص : دُوَيبّة تغوص فى الماء غوصاً سهلا

وسلم فترامَوْا بالنَّبْـل ، وقد ترّس المسلمون على رسول الله . ثم حَمَلت اليهودُ حَملةً مُنكَرةً ، فانكشف المسلمون حتى انتهَوْا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو وَاقفٌ قد نزل عن فَرَسه ، ومِدْعَمٌ[١] يُمسِكُ الفَرسَ ، وثبت الحباب برَايته يُراميهمْ على فرسِه . فنَدَبَ رسول الله الناس وحضّهم على الجهاد فأقبلوا حتى زحفَ بهم الُحباب . واشتدّ الأمرُ ، فانهزمتْ يَهودُ وأغْلقوا الحِصن عليهم ، ورمَوْا من أعلى جُدُره بالحجارة رَمْيا كثيراً[٢] ، فتباعدَ عنهم المسلمونَ ، ثم كَرُّوا . فخرجتْ يَهود وقاتلُوا أشدّ قِتالٍ ، فقُتِل ثلاثةٌ من المسلمين ، ثم هزَمهم الله تعالى . واْقتحم المسلمون الحصنَ يقتلُون ويَأْسِرون . فوجَدُوا فيه من الشَّعير والتمر والسمْن والعسَلِ والزيت والوَدَكِ كثيراً . فنادَى مُنادى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : كلُوا وأَعْلِفُوا ولا تحْتَمِلُوا [يعنى لا تخرُجُوا به إلى بلادِكم] . فأخذوا من ذَلكَ الحصنِ طعامَهم ، وعَلَفَ دوابّهم ، ولم يُمْنَع أحدٌ من شئٍ ، ولم يُخَمَّسْ . ووَجدوا بزًّا فى عشرين عِكماً[٣] مَحزومةً من متاعِ اليمن[٤] ، ووجدوا خَوابِىَ سَكَرٍ[٥] ، فأمر بالسَّكَرِ فكُسّر فى خَوابيه . ووجَدُوا آنيةً من نُحاسٍ وفَخّارٍ كانت يهودُ تأكلُ فيها وتَشْرَبُ ، فقال عليه السلام : اْغسلُوها ، واُطبُخُوا ، وكلُوا فيها ، واْشرَبوا . وأخْرَجوا منها غَنماً وبَقرًا وحُمُرًا ، وآلةَ الحرْبِ ، ومَنْجَنِيقاً ، ودبّاباتٍ ، وعُـدّةً ، وخمسمائة قطيفَة ، وعشرة أحمال

غنائم حصن الصعب

(١) مدْعم : عبد أسود أهداه لرسول الله رفاعة بن زيد الجذامىّ ، وهو من أهل النار ، وحديثه فى البخارى ج ٥ ص ١٣٨

(٢) فى الأصل : « كبيراً »

(٣) العِكْمُ : ثوب يبسطُ ويوضع فيه المتاعُ ويشد عليه ويُحْزم ، وهو المعروف عندنا (بالبقجة)

(٤) فى الأصل : « اليمين »

(٥) الخابية ، وجمعها الخوابى : الحب الكبير ، وهو كالدنّ . والسكر : ما يُسْكِرُ من الخمر

كشوب(١) فأحرق . وشرب الخمرَ رجلٌ من المسلمين يُقال له « عبد الله الحِمَار(٢) » ، نخفقه(٣) رسولُ الله بنعلَيْه ، وأمر من حَضرُوه نخفقوهُ(٤) بنعالهم . ولعنَه عمَر ابن الخطّاب رضى الله عنه ، فقال صلى الله عليه وسلم : فإنه يُحبُّ الله ورسولَه ! ثم راح عبد الله كأنه أحدُهم ، فجلَسَ معهم

فتح قلعة الزبير

وتحوّلَتْ يهودُ إلى قَلعة(٥) الزُّبَيْر ، فزَحفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهم وحصَرَهم — وكانوا فى حِصْنٍ مَنيعٍ — مدّةَ ثلاثةِ أيام حتى فَتحَه ، وكان آخرَ حصون النَّطَاة

فتح حصون الشّـقّ

ثمّ أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالأنفَال والعسكرِ أن يحوّلَ من الرَّجيع إلى مكانه الأوّلِ بالشّقّ ، وبه عِدّةُ حصون ، فنازَلها حتى فَتحها . ووُجد فى حصنٍ منها صَفيّةُ بنت حُيَيّ وَابنةُ عَمِّها ، ونُسَيّاتٌ معها وذَرارِيُّ ، يَبلُغ عِدّةُ الجميع زيادة على ألفين .

مصالحة كنانة بن أبي الحقيق على أهل الكتيبة

وصالَح كِنانةُ بن أبى الحقيق رسولَ الله صلى الله عليه وسلم [على](٦) أهلِ الكتيبة ، فأمَّن الرِّجالَ والذُّرِّيَّة ، ودَفعوا إليه الأموال من الذّهب والفِضّة والحَلْقَةِ والثّياب إلا ثوبًا على إنسان ، بَعْدَ ما حصرَهم أربعة عشر يومًا . وقال مالك ، عن ابن شهاب : والكَتيبةُ أكثرُها عَنْوة ، وفيها صُلح . قال ابن وهب : قلتُ لمالك : وَمَا الكتيبة ؟ قال : من أرضِ خَيبر ،

(١) هكذا هو فى الأصل ولم أدر ماهو ؟
(٢) اسمه عبد الله ، والحمار لقب ، وكان يُضحِك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان من عمله أن يهدى الهدايا إلى رسول الله ، ويكون هو قد اشتراها من أصحابها وأجّلهم ثمنها ، ثم يأتى بعد ذلك رسولَ الله ومعه صاحب الهدية فيقول له : يا رسول الله ، أعطه ثمنها ! !
(٣) خفقه بالسوط والسيف والنعل والعصا : ضربه ضربًا خفيفًا
(٤) فى الأصل : « نخفقوهم »
(٥) فى الأصل : « قطعة »
(٦) زيادة لابُدّ منها ، وحصون الكتيبة هى : القموص ، والوطيح ، وسُلالم ، والكتيبة

ما كتمه ابن أبى الحقيق من أموال يهود وما كان فيه من الغنائم

وهى أربعون ألف عَذْقٍ . فوُجِد خمسمائة قوسٍ عربية ، ومائة دِرْعٍ ، وأربعمائة سيف ، وألفُ رمح . وسأل [رسولُ الله صلى الله عليه وسلم](١) كنانةَ بن أبى الحُقَيق عن الأموالِ — وكان قد قالَ صلى الله عليه وسلم حين صالحه : بَرِئَتْ منكم ذمّةُ الله وذمّةُ رسوله إن كتمتمونى شيئاً — فقال كنانةُ : ياأبا القاسم ! أنفقناه فى حرْبِنا فلَمْ يَبْقَ منه شىءٌ ! وأكّدَ الأيمان ، فقال رسولُ الله : بَرِئَتْ منكم ذمّةُ الله وذمّةُ رسوله إن كان عندكُم ؟ قال : نعم ! ثم قال صلى الله عليه وسلم : وكلُّ ما أخذْتُ من أموالكم ، وأصَبْتُ من دِمائكم ، فهو حِلٌّ لى ولا ذِمّة لكم ؟ قال : نعم ! وأشهد عليه عِدّةً من المسلمين ومن يهود . فدلّه سَعْيَةُ(٢) بن سَلّام ابن أبى الحقيق على خَرِبَةٍ ، فبعث عليه السلام الزُّبيْرَ فى نفرٍ مع سَعْيَةَ(٢) حتى حفَرَ ، فإذا كنزٌ فى مَسْكٍ(٣) جَمَلٍ ، فيه حُلِيٌّ . فأتى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الزُّبيْر أن يعذِّب كنانةَ حتى يستخرجَ كلَّ ما عنده ، فعذبه الزُّبيْر حتى جاءهُ بمالٍ ، ثم دفعهُ إلى محمدِ بن مسلمة فقتلَه بأخيه محمود . وعذّب ابن أبى الحقيق الآخر ، ثمّ دُفِع إلى وُلاة بِشْر بن البَراء(٤) فقُتِلَ به ، وقيل ضرَبَ عُنُقَه . واستحلّ صلى الله عليه وسلم بذلك أموالهما ، وسَبَى ذراريّهما . ووُجِدَ فى المَسْك : أسْوِرَةُ الذّهب ، ودَمَالِجُ الذّهب ، وخَلاخِل الذّهب ، وأقْرِطَةُ ذَهَبٍ ، ونَظْمٌ من جَوْهرٍ وزُمُرُّذٍ ، وخَواتِم ذَهَبٍ ، وفَتَخٌ بجَزْعِ ظَفارٍ مُجَزّعٌ(٥)

(١) زيادة للبيان

(٢) فى الأصل : « ثعلبة »

(٣) المسك : الجِلْد يكون مِسْلاخَ الدابّةِ أو الغنم

(٤) سيأتى خبر مقتل بشر بن البراء بالسمّ بعد قليل فى ص (٣٢١)

(٥) فى الأصل : « وفتح بجرع ظفار مجرع » . والفَتَخ جمع فتخة ، وهى حلقة تلبَس فى الإصبع كالخاتم ، (وهى المعروفة عندنا بالدبلة) ، وكانت نساءُ الجاهلية يتّخذونها فى عشر هنّ . وجَزْع ظفار ، مضى ذكره فى ص ٢٠٧

بالذّهب . [وذكر](١)

صفية بنت حُيَيّ : إسلامها، وزواج رسول الله بها

وكانت صَفِيّةُ بنت حُيَيّ تحتَ كِنانة بن أبي الحُقَيق ، فسباها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبَعث بها مع بِلالٍ إلى رَحْلِه . فمَرّ بها وبِأبْنةِ عمِّها على القَتْلَى ، فصاحت ابنَةُ عمّها صِياحًا شديداً ، فكَرِهَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما صَنَع بِلالٌ وقال : ذَهَبَتْ منك الرّحْمة ؟ تمرُّ بجارية حديثَةِ السنِّ على القَتْلى ! ! فقال : يا رسولَ الله ! ما ظَنَنْتُ أنك تَكرَهُ ذلك ، وأحببتُ أن ترى مصارعَ قَوْمِها ! فَدفَع أبنة عمّ صفيّة إلى دِحْيَةَ الكلبيّ ، وأَعْتق صفيّةَ وتزوّجها ، وجعل عِتْقَها صَداقَها

خبر الشاة المسمومة التي أكل منها رسول الله ، وقتلت بشر بن البراء

ثُمّ إنّ زينب أبنةَ الحارث اليهودية أُختُ مرْحب ، ذَبحت عَنزاً لها وطَبختها وسَمّتها ، فلما صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المغربَ وأنصرف إلى منزله ، وجَدَ زينب عند رَحلِه فقدّمت له الشاةَ هديةً . فأمر بها فوُضعت بين يديه ، وتقدّم هو وأصْحابه إليها ليأكلوا . فتناولَ الذّراعَ ، وتناوَل بِشر بن البراء عَظْماً ، وأنْتَهَسَ(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمّ أزْدرَدَ ، وقال : كفّوا أيديَكم ، فإنّ هذه الذراع تُخَبِّرني أنّها مسمومةٌ ! فقال بِشْر بن البراء : واللهِ يا رَسول الله ، وَجدْت ذلك من أُكلَتي(٣) التي أكلْتُ ، فما مَنَعني أن أَلْفِظها(٤) إلّا كَراهيَةُ أُنغِّصُ عليك طعامَكَ . فلم يَرِمْ(٥) بشرٌ من مكانه حتى تَغيّر ثم مات . ودعا

(١) هكذا جاءت هذه الكلمة في المكان بين الكلامين ، ولا أدرى أهي معطوفة على ماقبلها ، أم هي مقطوعة منه ، وفي صلتها — بالذي يجيء بعدها من الكلام — سقط ؟ وأيّ ذلك كان ، فالكلام مستقيم ما حذفت

(٢) انتهس اللحم : انتزعه بمقدّم الثنايا وتعرّقه ، وازدردَ : ابتلَع

(٣) الأُكلة : اللقمة يأكلها ، ويُفتح أوّلها أيضاً بمعناها

(٤) لفظ اللقمة : طرحها من فيه

(٥) لم يَرِم : لم يفارق مكانه ولم يَبْرَحه

رسولُ الله زينبَ وقال : سَمَمْتِ الذِّرَاع ؟ قالت : منْ أَخبرَك ؟ قال : الذِّرَاع ! قالت . نعَمْ ! قال : وما حملَكِ على ذلك ؟ قالت : قَتَلْتَ أَبي وعمِّي وزَوْجِي ، ونِلْتَ من قومي مانلْتَ ، فقلتُ : إن كان نبيًّا فَسَتُخْبِره الشاةُ ، وإن كان مَلِكًا أَسْتَرَحنا منه ! فقيل : أمرَ بها فقُتِلتْ ثم صُلِبَتْ ، كما رَوَاه أبو دَاوُد . وقيل : عَفَا عنها . وقد اختلفتِ[1] الآثارُ في قتلها : ففي صحيح مسلمٍ أنَّه لم يقتلها ، وهو مروىّ عنْ أبي هريرة وجابر . وفي أبي داود أنه قتَلها . وعن ابن عباس دفَعها إلى أولياء بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرور ، وكان أكل منها فمات بها ، فقتلوها . وقال ابن سَحْنون : أجمع أَهْلُ الحديث أن رسول الله قتَلها . وكان نفرٌ ثلاثةٌ قد وَضَعوا أيدِيهم في الطعام ولم يُصيبوا منه شيئًا ، فأَمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاُحتَجَموا أَوْساطَ رُؤُوسهم ، واحتجم صلى الله عليه وسلم تَحْتَ كتِفه اليُسْرى ، وقيل على كَاهِلِه ، حجمه أبُو هِنْدٍ بالقَرْنِ والشَّفْرَةِ . وقال صلى الله عليه وسلم في مَرَضِ مَوْته : ما زالت أُكْلَة خيبر يُصيبنى منها عِدَادٌ ، حتَّى كان هذا أوانَ أن تقْطَعَ أَبْهرِى[2] . ويقال الذى ماتَ مسمومًا من الشاة مُبَشِّر بن البراء ، وبشر أثبت

الاختلاف في قتل صاحبة الشاة المسمومة

احتجام رسول الله من سم الشاة

مغانم خيبر

وَاستعملَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَغَانِم خيْبر فَروةَ بن عمرو بن وَدْفَة بن عبيد[3] بن عامر بن بَيَاضة البيَاضِيَّ الأنصاريَّ ، فلَمْ يُخَمِّس الطَّعَام وَالأَدَم والعَلَف ، بلْ أَخذَ الناس منه حاجتَهم . وكان مَنِ احتَاجَ إلى سلاح

(١) في الأصل : « واختلف »

(٢) العِدَاد : اهتياجُ وجع اللَّدِيغ أو المسموم ، وذلك أنه إذا تَمَّتْ له سنة مذ يوم لُدِغ هاج به الألم كأوَّل ما لدغ . ويروى هذا الحديث : « ما زالت أُكْلةُ خيبر تُعَادُّنى ، فهذا أوانُ قطعتْ أَبْهرى » . فقوله تعادّنى : من العِدَاد أى تراجعنى ويعاودنى ألم سمّها في أوقاتٍ معلومةٍ . والأبهر : عرق مستبطن في الصلْب يخرجُ من القلبِ متصل به فإذا انقطع لم تكن معه حياة ، وانظر ص ٢٣٢ (الأكل)

(٣) في الأصل : « ودفة بن عميل » ، والصواب ما أثبتناه ، وما اتفق عليه الرواة انظر ترجمته في أسد الغابة وابن سعد والإصابة ، وابن هشام وغيرهم

يقاتلُ به ، أَخذه من صَاحب المَغْنم ثم ردَّهُ[١] إليه . فلما اجْتمعت المغانمُ كلها ، جَزَّأها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسَة أجزاء ، وكتب فى سَهْمٍ منها لِلّه ، وسائرُ السُّهمان أغْفَالٌ . وكان أوَّلَ سهم خرَج ، سهمُ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لم يَتخَيَّر فى الأَخمَاس . ثم أمر ببَيع الأخماس الأربعةِ فيمَن يزيدُ ، فباعها فَرْوةُ بن عمرو . ودعا فيها صلى الله عليه وسلم بالبركة فقال : اللّهم ألْقِ عليها النَّفاقَ ! فتَدَاكَّ الناس عليها حتى نفقَ فى يومين ، وكان يُظَنُّ أنهم لا يتخلصون منه حيناً لكثرته . فأعطى رسول الله صلى الله وسلم من خُمُسه ما أراه الله : فأعطى أهله ، وأعطى رجالاً من بنى عبد المطلب ونساء ، وأعطى اليتيمَ والسائلَ . وجُمعت مَصاحِفُ فيها التوراةُ ، ثم رُدَّتْ عَلَى يهود . ونَادَى منادِى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أَدُّوا الخِيَاطَ والمِخْيَطَ[٢] ، فإن الغُلولَ[٣] عارٌ وشَنَارٌ ، ونارٌ يومَ القيامة ! فعصَبَ فَرْوَةُ رأسَه بعصابة ليَستَظِلَّ بها من الشَّمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عِصابةٌ من نارٍ عَصَبْتَ بها رأسَك ! فطرَحَها .

الغلول من الغنائم

وسألَ رجل أن يُعْطَى من الفَيْء شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم : لا يَحِلُّ من الفَيْء خَيْطٌ ولا مِخْيَطٌ لأحد ، ولا مُعْطًى . وسأَله رجل عِقالاً فقال : حتى تُقْسَم الغنائم ثم أُعطيك عقالاً . وقُتل[٤] كِرْكِرَةُ يومئذٍ ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنَّه الآن لَيُحرَقُ فى النّار عَلَى شِمْلةٍ غَلَّها . وتُوُفِّى رجلٌ من أشجَع فلم يُصَلِّ عليه ، وقال : إنَّ صاحبَكم غلَّ فى سبيلِ الله . فوُجِدَ فى متاعه خَرَزٌ[٥]

(١) فى الأصل : « ردّوه »
(٢) الخياطُ : الخيطُ . والمِخْيطُ : الإبرة يخاط بها
(٣) غلَّ من المغنم : خان وسرقَ ، واسم ما يسرقُ من الغنائم : الغُلول
(٤) فى الأصل : « وقيل »
(٥) فى الأصل : « حزو » ، ولم يتوجّه لنا رأى فى صوابها إلا ما كتبناه ، أو أن تكون « خزٌ لا يساوى ... »

لا يساوِى درهمين . واشترَى الناس يومئذ تِبرًا بذَهَبٍ جُزَافًا[١] ، فنهَى[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك . ووجَد رجلٌ فى خَربةٍ مائتىْ دِرْهَمٍ ، فأخذَ منها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخُمُسَ وَدَفَعها إليه.

النهى عن أشياء

وسُمِـعَ [صلى الله عليه وسلم][٣] يومئذ يقول : مَنْ كان يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخِرِ فلا يَسْقِ ماءَه زَرْعَ غيره ، ولا يَبِعْ شيئاً من المَغْنَم حتى يُعلَم ، ولا يرْكَبْ دابَّةً من المَغْنَم حتى إذا أدْبَرَها[٤] ردَّها ، ولا يَلْبَسْ ثوبًا من المَغْنَم حتى إذا أخْلَقَهُ رَدَّهُ ، ولا يَأْتِ[٥] امرأةً من السَّبْى حتى تُستَبْرأَ بِحَيْضَةٍ[٦] ، وإنْ كانت حُبْلَى حتى تَضَعَ الحَمْلَ . ومرَّ على امرأة مُجِحٍّ[٧] فقال : لمن هذه ؟ فقيل : لفُلانٍ . فقال : لعلَّهُ يَطَؤُها ؟ قالوا : نعم ! قال : كيف بوَلَدِها ؟ يرِثُه وليس بابْنِه ، ويَسترِقُّه وهو يَغْذُو[٨] فى سَمْعِه وبَصره ! لقد هَمَمتُ أن ألعنه لَعْنةً تَتْبعُه فى قبره

قدوم أصحاب السفينتين

وقَدِم أهلُ السفِينَتَيْن من عند النَّجَاشِىّ بعد أن فُتِحتْ خيبر ، فيهم جَعفرُ

(١) فى الأصل : « وأسرى الناس يومئذ يذهبُ جزافاً »
(٢) فى الأصل : « فانتهى »
(٣) زيادة للبيان
(٤) أدبرَ الدابة : إذا أثقل عليها الحِمْل ، فقرّحها القتبُ حتى تَدْمَى . والدَّبَرةُ اسم القرحة التى تكون من ذلك
(٥) فى الأصل : « ولا يأتى »
(٦) استبراءُ الجارية : أن لا يمسها ولا يطؤها حتى تبرأ رحمها ، فتحيض ثم تَطْهرُ ، وعندئذ يتبيّنُ حالها هل هى حامل أم لا
(٧) فى الأصل : « مخج » . أصله ، أجحّت : السبُعة والكلبة فهى مُجِحّ : إذا حملت فاقربت وعظُم بطنها ، واستعير ذلك للمرأة استبان حملُها
(٨) غذوتُ الصبى : إذا غذّيته ، وجَعَل ماء الرجُل للحمل كالغذاء للجنين ، ومن أجل ذلك لم يحلّ له أن يستخدمه ويسترقه . وفى الحديث أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تغذُّوا أولادَ المشركين » ، وذلك نهيه المسلمين عن وطء الحبالى من السَّبْى

ابن أبى طالب وأبُو موسى عبدُ الله بن قيس الأشعرىّ ، فى جماعة من[1] الأشْعَرِيِّين يزيدون على سبعين . وذَكر ابنُ سعدٍ عن الواقدى بسنده : أنهم لما سمعوا خبرَ هِجْرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينَة ، رجع معهم ثلاثةٌ وثلاثون رجلاً وثمانى نِسْوة ، فماتَ منهم رجلاَن بمكة ، وحُبِس بمكةَ سَبْعةُ نفرٍ. وشهدَ بدراً منهم أربعةٌ وعشرُونَ رجلاً . فلما كان شهْر ربيع الأوَّل سنة سَبْعٍ من الهجرة ، كَتَب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النَّجاشىّ يدعوه إلى الإسْلام مع عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرىّ ، فأسلم . وكتب إليه أيضاً أن يُزَوِّجَه أُمَّ حَبِيبة [بنت أبى سفيان][2] — وكانت فيمن هاجر إلى الحبشة — فزوَّجه إيَّاها . وكتب إليه أيضاً أن يبعث بمَنْ بقِى عنده من أصحابه ويَحْمِلهم ؛ فحَمَلهم فى سفينتين مع عمرو بن أُميَّة ، فأرسوْا بساحل بولا[3] وهو الجارُ[4] . ثم ساروا حتى قَدِموا المدينةَ ، فوجدُوا[5] رسولَ الله بخيْبر فأتوه ، فقال صلى الله عليه وسلم : مَا أَدْرِى بأيِّهما أنا أسَرُّ ؟ قُدُوم جعْفَر ، أو فتح خيبر ! ثم ضمَّهُ وقبَّل بين عينَيه . وهمَّ المسلمون أن يدخِلُوا جعفراً ومَنْ قدِم معه فى سُهْمَانِهم ففعلوا . وقدم الدَّوْسِيُّون ، فيهم أبو هُرَيرة والطُّفَيل بن عَمْرو وأصحابهم ، ونفرٌ من الأشعريِّين ، فكلم رسولُ

كتاب رسول الله إلى النجاشىّ فى الإسلام ، وزواج أم حبيبة ، ورجعة المهاجرين

إشراك القادمين فى غنائم خيبر

---

(١) فى الأصل : « فى »

(٢) زيادة للبيان

(٣) ساحل بولا : لم أعرف صواب رسمه أو ضبطه ، ولم أجده فى كتب البلدان ، انظر التعليق التالى

(٤) الجارُ : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) بينها وبين المدينة يوم وليلة ، وهى فرضة كانت تُرْفَأُ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين والهند ، ونصف الجار جزيرة فى البحر ونصفُها على الساحل . وقد سُمِّى البحر من جُدّة إلى القُلْزم كله باسمها (بحر الجار) ، فلعل بولا هو اسم هذا البحر بلسان الحبشة

(٥) فى الأصل : « فواجدوا »

الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه[١] فيهمْ أن يشرَكوهم فى الغَنيمةِ ، فقالوا : نعم ، يا رسول الله

الخمس وقسمته

وكان الخُمُس إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من كل مَغْنَم غَنِمَه المسلمون ، شَهِدَه أو غابَ عنه . وكان لَا يقْسمُ لغائبٍ فى مَغْنم لم يشهَدْه ، إلا أنَّه فى بدرٍ ضرَب لثمانيةٍ لم يشهدُوا . وكانتْ خيبر لأَهل الحديْبية من شهدِها أو غابَ عَنها . قال الله سُبحانه : « وَعَدَكُم اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِه » (الفتح : ٢٠) يعنى خيبر ، وقد تخلَّف عنها رجالٌ ، ومات رجُلانِ . وأسهم صلى الله عليه وسلم لمن تخلَّف منهمْ ومن مات ، وأسهم لمن شهدَ خيبر ولم يشهد الحدَيبية ، وأسهم لرُسُلٍ كانوا يختلفون إلى أهل فدَكٍ ، وأسهَم لثلاثة مرضَى لم يحضُروا القِتَال ، وأسهم للَّذين استُشهدُوا . وقيل : كانت خيبرُ لأهل الحديبية ، لم يشهَدْها غيرُهم ، ولم يُسهم فيها لغيْرهم ، والأول أثبتُ . وأسْهَم لعشرة من يهودِ المدينة — غزّاهم[٢] إلى خيبر — كسهْمانِ المسلمين ، ويقال أحْذَاهم[٣] ولم يُسْهِمْ لهم ، وأعطى مماليك كانوا معه ولم يسهمهم

من شهد خيبر من النساء

وشهد خيبر عشرون امرأة : منهن ، أمُّ المُؤمنين أُمُّ سَلَمة ، وصَفِيَّةُ بنتُ عبد المطلب ، وأُمُّ أيمن ، وسلْمى امرأة أبى رَافعٍ مَولاةُ النبى صلى الله عليه وسلم ، وامرأة عاصم بن عَدىّ ، [وَولدت بخيبر سَهْلَة بنت عاصم] ، وأُمُّ عُمارة نُسيْبة بنت كعبٍ ، وأُمُّ مَنِيعٍ وهى أُمُّ شَبات ، وكعَيْبَةُ بنتُ سعْد الأَسلمية ، وأم مُطاع الأسلمية ، وأُمُّ سُلَيْم بنتُ مِلْحَان ، وأُم الضحَّاك بنتُ مَسعود الحارثية ، وهِنْد بنت

(١) فى الأصل : « وأصحابه »
(٢) غزّاهم : حملهم على الغزو
(٣) فى الأصل : « أحداهم » . وأحذَى المملوك والمولى من الغنيمة : أعطاهُ منها ووَهب له

عمرو بن حرام ، وأُمُّ العلاء الأنصارية ، وأم عامر الأشهلية ، وأم عطية الأنصارية ، وأم سليط ، وأُمَيّة بنت قيس الغِفَارية ، فرَضَخَ لهن(١) من الفَيْء ولم يسهم لهن . وولدت امرأةُ عبد الله بن أُنيس فأخذاها ومَن وَلَدَته

خبر أفراس المؤمنين وسهمانها

وقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيبر ثلاثةَ أفْراس : لِزَازٌ والظَّرِب(٢) والسَّكْب . وقاد المسلمون مائتى فرس ، وقيل ثلاثمائة ، والأول أثبت . فأسهم لمن لَه فَرَسَانِ خمسةَ أسهم : أربعةً لفرسَيْه وسهماً لَهُ ، ولم يسهم لأكثر من فرسَين لرجل واحد . ويقال إنّه لم يسهمْ إلا لفرسٍ واحدٍ ، وهذا أثبتُ . ويقال إنه عرَّبَ العربىَّ وهَجَّن الهجين(٣) يوْم خيبر ، فأسهم للعربىّ دون الهجين . وقيل : لم يكن فى عهْده عليه السلام هَجِينٌ ، إنما كانت العِرابُ(٤) ، حتى كان زَمَنُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفتِحَتِ الأَمصار . ولم يُسْمَع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرَبَ لما كان مَعَه من الخيلِ لنفْسه إلا لفرسٍ واحدٍ ، فكان له صلى الله عليه وسلم ثلاثةُ أسهمٍ : لفرسِهِ سهمان وله سهمٌ . ووَلِىَ إحْصاءَ الناس بخيْبر زيدُ بن ثابتٍ ، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم الغَنَائم : وهمْ ألفٌ وأربعمائة ، والخيلُ مائتا فرسٍ . وكانتِ السهمان التى فى النَّطَاةِ والشِّقِّ على ثمانية عشر سهماً . وكان مَن كان فارساً لَهُ فى ذلك ثلاثةُ أسهمٍ فَوْضى لم تُحَدّ ولم تُقْسم ، إنما لها رؤُوسٌ مُسَمَّوْنَ ، لكل مائةٍ رأسٌ يَقْسمُ على أصحابه ما خَرَج من غَلّتها

(١) رَضَخَ له من ماله : أعطاه عطاء مقارباً ليس بالكثير ، واسم ما يعطى كذلك : الرضيخة

(٢) فى الأصل : « الضرب »

(٣) العربى من الخيل والناس : الذى يكون أبوه عربيا عتيقاً وأمهُ عربية ، فإذا كانت الأم غير عربية ، فولدُهما هجين ، وهو عيب يعابُ به

(٤) العرابُ من الخيل : العربيّة . فرّقوا بين الخيل والناس فقالوا فى الناس : عرب وأعراب ، وفى الخيل : عِرَاب

مساقاة اليهود على زرع خيبر

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر، سَاقَ[١] يهود على الشَّطْرِ من الثَّمر والزَّرْع، وكان يُزْرَعُ تحتَ النَّخْل. وكان يبعث عبد الله بن رواحة يخرُص[٢] عليهم النَّخْل، ويقولُ إذا خرَص: إن شئتُم [فلكمُ][٣]، وتَضْمنون نصفَ ما خرصتُ؛ وإن شِئتُم فلنَا، ونضمن لكم ما خَرَصْتُ. وخرَص عليهم أربعين ألف وَسْقٍ[٤]. فلمّا قتِل ابن روَاحة بمُؤْتة؛ خَرَص عَليهم أبُو الهيْثم بن التيِّهان؛ وقيل: جَبّار بن صخْر؛ وقيل: فَرْوَة بن عمرو. وجَعَل المسلمون يَقعُون[٥] فى حرثهم وبَقْلِهم بعد المُساقاة، فشكت يهودُ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فنادَى عبدُ الرحمن بن عوف: الصَّلاةُ جامِعَةٌ؛ ولا يَدْخل الجنّة إلا مُسلِمٌ. فاُجْتمع المسلمون؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمِدَ الله وأثنَى عليه ثم قال: إنَّ يهُودَ شَكَوا إلىّ أنكم وَقعتُم فى حَظَائِرِهم[٦]؛ وقد أمَّنّاهمُ على دمائهم؛ وعلى أموالهم التى فى أيديهم فى أرَاضيهم؛ وعامَلناهم[٧]. وإنّه لا تحلُّ أموال المُعاهدين إلا بحقِّها. فكانَ[٨] المسلمون لا يأخذُون من بقُولهم شيئاً إلّا بثمن

شكوى اليهود من المسلمين وإنصافهم

(١) المساقاةُ فى اصطلاح الشريعة من قولهم ساقى فلاناً نخْلَه أو كرمَه: إذا دفعه إليه، واستعمله فيه، على أن يعْمُره ويسقيه ويقوم بما يصلحهُ من الإبار وغيره، فما أخرج الله من ثمره، فللعامل فيه سهْم ممَّا تغِله، والباقى لمالك النخل

(٢) خَرَصَ النخْل والكرم يخرُص خرصاً: إذا حَزَر ما عليه من الرطبِ تمراً، ومن العنب زبيباً، وهو ظن وتقدير بظنّ، واسم من يفعل ذلك الخارص، وجمعه خُرّاص

(٣) زيادة للسياق

(٤) الوَسْق: مِكْيلة معلومة عندهم، ويقال: هو يبلُغ حِمْل بعير

(٥) وَقَع فى حرثِ فلان: إذا نزل بدوابه فيه ترْعى غير حَذِر

(٦) الحظائر جمع حظيرة: وهى ما يحيطُ بالشىء تكونُ من قصَب أو خشب، كالحائط من البُنيان، فسمَّوا ما أحاطوه من زروعهم بما يحظُرُها — أى ما يمنعها ويحرّمها ويحميها — حظيرة

(٧) المعاملة: أن يدفع إليهم الأرضَ يقومون عليها بما يُحْتاج إليه من عمارة وزراعة وتلقيح وحراسة ونحو ذلك، وهى المساقاة التى مرّ ذكرها قبل. ولذلك كانت المساقاةُ فى كلام فقهاء الحجاز، هى المعاملة فى كلام فقهاء العراق

(٨) فى الأصل: «وكانَ»

خبر الكتيبة وأنها لرسول الله خالصة

وقيل إن الكتيبةَ كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خالصةً، لأنهم لم يوجفوا عليها[١]، وقيلَ هى خُمُسُه من خيْبَر. وكان صلى الله عليه وسلم يُطعِم من الكتيبةِ من أطْعَمَ، ويُنْفِقُ على أهلِه منها، وكانت تَخرُص ثمانية آلاف وَسْق تمراً، فَليهودَ نصفُها: أربعةُ آلاف. وكان يُزرَع فيها الشَّعير، فيُحصَد منه ثلاثةُ آلافِ صاعٍ، لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم نصفُه، وليهود نصفُه. وربّما اجتمع منها ألْف صاع نوًى[٢]، هى أيضاً بينهما نصفَين. فأطعم من الكتيبة كلَّ امرأةٍ من نسائه ثمانينَ وَسْقاً تمراً، وعشرين وَسقاً شعيراً؛ وللعبّاس بن عبد المطلب مائتى وَسْقٍ؛ ولفاطمة وعليٍّ عليهما السلام ثلاثمائة وَسقٍ شعيراً وتمراً؛ ولأسامة ابن زَيْد مائة وخمسين وَسقاً شعيراً وتمراً. وأطعمَ آخرين. وقسم بين ذوى[٣] القُرْبى بخَيْبر: بين بنى هاشم وبنى المطَّلب فقط

شهداء خيبر

واستُشْهِد بخَيْبر خمسةُ عشر رجلا: أربعةٌ من المهاجرين، والبقيّةُ من الأنصار. فقيل: صلَّى عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: لم يُصَلِّ عليهم. وقُتل من يهودَ ثلاثةٌ وتسعون رجلا. وأعطى صلى الله عليه وسلم جَبَلَ[٤] بن جَوّال الثَّعلبى كلَّ داجِنٍ[٥] بخَيْبر، وقيل: إنَّما أعطاهُ كل داجِنٍ فى النَّطاةِ، ولم يُعطِه من الكتيبة ولا من الشِقِّ شيئاً

ما نهى عنه فى خيبر

وفى غزاة خَيْبر نَهى صلى الله عليه وسلم: عن أكل الحمار الأهلىّ. وعن أكْل كلِّ ذى نابٍ من السِّباع. وأنْ توطأَ الحبالى حتى يَضَعْنَ. وعن أن تُباعَ

(١) أوجفَ دابته: إذا حثَّها، وأوجف بها: أسرَع. وكلُّ ما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فهو خالص لرسول الله
(٢) نوًى: جمع نواة التَّمْر
(٣) فى الأصل: «وقسم بينهم ذى القربى»
(٤) فى الأصل: «جبلة»، وكان جبل يهوديا وأسلم، وكان شاعراً
(٥) الداجنُ: هى الشاة التى تعلفها الناسُ فى منازلهم

السِّهامُ حتى تُقْسم . وأن تُباع الثَّمَرَةُ حتى يبدُوَ صلاحها . ولَعن يومئذٍ الواصِلَة والمَوْصولةَ(١)، والواشمةَ والمَوْشومة(٢)، والخامشةَ وجهَهَا(٣) ، والشاقَّةَ جَيْبها(٤) . وحرَّم لحوم البغال وكلَّ ذى مِخْلَبٍ من الطُّيور . وحرَّم المُجَثَّمَةَ(٥) والخَلِيسةَ(٦) والنُّهْبَةَ(٧) . ونهى عن قَتْل النساء

بلوغ خبر خيبر إلى أهل مكة

وقدم عبَّاس بن مِرْداس السلمى مكةَ ، فخبَّر أن محمداً سارَ إلى خيْبَر ، وأنَّه لا يُفْلِتُ . فقال صفْوان بن أمية : أنا مَعكَ يا عبّاس . وضَوى إليه نفَر ، وقال حُوَيْطب بن عبد العُزّى : إنَّ محمداً سَيظْهَر . ووافَقَهُ جماعة ، فتخاطَرا(٨) مائةَ بعيرٍ . فلما جاء الخبرُ بظهور(٩) رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أخذ حويطبٌ

(١) رواية الحديث : « الواصلة والمستَوصلة » . قالوا ، والواصلة : التى تصِلُ شعرها بشعر امرأة غيرها زُوراً ، والمستوصلة التى يفعلُ بها ذلك . وقد روى عن عائشة أنها قالت : « ليست الواصلة بالتى تعنون ، ولا بأسَ أن تعرَّى المرأة عن الشعر فتصل قرناً من قرونها بصوف أسود ، وإنما الواصلة التى تكون بغيّا فى شبيبتها ، فاذا أسنت وصلتها بالقيادة » . فالموصولة والمستوصلة لقول عائشة هى التى تبتغى ذلك من الواصلة لتدرج بها إلى الرجال

(٢) الوشم : نقش تجعله المرأة على ذراعها بالإبرة وتحشوه بالنؤور ، وهو دخان الشحم ، أو الكحل ، فيثبت على لحمها أزرق أو أخضر . وفى رواية الحديث « الواشمة والمستوشمة » . والواشمة التى تفعل ذلك لمن تطلبه ، وهى المستوشمة ، وذلك من أمر الجاهلية

(٣) الخامشة : التى تكدحُ وجهها بأظافرها من الحزْن عند النوح فتخمشه وتخدشه ، وكان من عاداتهن فى الجاهلية

(٤) الشاقة جَيْبها : التى تمزّق ثوبها ، وتقطعه طولا من عند نحرها إلى أسفله ، وذلك أيضا من جاهليتهنّ

(٥) المجثّمة : هى الشاة أو غيرها مما يجثَّم ثم يُرْمى بالحجارة حتى تموت ثم تؤكل

(٦) فى الأصل : « الخلسة » ، والخليسة : هى ما يستخلَصُ من السَّبُع إذا افترسها ، فتموت قبل أن تذكى ، ويذكر اسم الله عليها . وسميت كذلك لأنها اختلستْ منه : أى استلبت من بين أنيابه ومخالبه

(٧) النهْبَة والنهْبى : ما يُنتهَبُ من شىء ، كالغَنم وغيرها أى يُغَار عليه فيُساقُ اختلاساً

(٨) تخاطر القوم على أمر : تراهنوا ، واسم الرِّهان الخَطَر

(٩) الظهور : النصرُ والغلبة

وحَيِّزُهُ (١) الرَّهْن . وكان الذى جاءهم بذلك الحجّاج بن عِلاطِ السُّلَمِىّ [بن ثُوَيرة بن حنثر بن هلال بن عُبَيد بن ظفَر بن سعد بن عمرو بن تَيْم بن بَهْز] (٢) ابن امرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيْم بن منصور ، وقد أسلم بخيبر . [وكان قد استأذنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يأتىَ مكة ، وكان له بها مالٌ وأهلٌ ، وتخوّف إن علمت قريشٌ بإسلامه أن يذهبوا بماله . فأَذِنَ لهُ رسول الله أن يأتىَ مكة] (٣) ليجمعَ ماله

مصالحة أهل فَدَك

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لمّا أقبل إلى خَيْبَر ، بعثَ مُحَيِّصة بن مَسعود بن كَعب بن عامر بن عُدَىّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرج الأنصارىّ إلى فَدَك ، يَدْعوهُم إلى الإسلام . فبعثوا مَعه بنفرٍ منهم ، حتى صالحَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أنْ يُخَلُّوا بَيْنه وبين الأموال ، وأَنَّ لهم نصفَ الأرض . وصارتْ (٤) فدك خالصةً لرسول اللهِ أبداً ، أَخذَها بغيرِ إيجافِ خيلٍ ولا رِكابٍ

إعراسُه بصفية بنت حي

وانصرفَ صلى الله عليه وسلم من خيْبَر يريد وادى (٥) القُرى . فلمّا كان بالصَّهباء أعْرَسَ بصَفِيّةَ بنت (٦) حُيَىٍّ مساءً ، وأَوْلَمَ عليها (٧) بالحَيْسِ والسَّويق

(١) فى الأصل : « وحيزة » ، والحيّز : الناحية ، يريد ومن كان فى ناحيته وحزبه
(٢) هكذا عمود النسب ، والذى بين الأقواس من أسد الغابة وغيره . وفى الأصل بعد « السلمى » ما نصه : « بن عمرو بن سعد بن عمرو بن زهير بن امرئ القيس . . »
(٣) فى الأصل : سقط ، وقد استوفيناهُ من خبر الحجّاج بن علاط فى سيرة ابن هشام وغيرها بغير لفظه ، والخبرُ طويل جيّد
(٤) فى الأصل : « وضارب »
(٥) فى الأصل : « وأخرى »
(٦) فى الأصل : « بن حي »
(٧) أولم : اتّخذ لعرسها وليمة

والتمر(١) . وباتَ أبو أيّوب الأنصاريّ رضى الله عنه قريباً من قُبّتِه ، آخذاً بقائم السّيف حتى أصبحَ ، وهو يَحْرسُه صلى الله عليه وسلم

غزوة وادى القُرَى

فلمّا انتهى إلى وادى القُرى — وقد ضَوى إليها(٢) ناس من العربِ — استقبلَه اليهودُ بالرّمْى ، فقُتِلَ مِدْعَمٌ(٣) — وهو يَحُطُّ رَحْل النبيّ صلى الله عليه وسلم — بسهمٍ . فعبّأ عليه السلام أصحابَهُ وصفَّهم للقتالِ ، ودَفع لواءَه إلى سعد ابن عُبادة ، ورايةً إلى الحُباب بن المُنذر ، ورايةً إلى سَهلَ بن حُنَيْف ، ورايةً إلى عَبّاد بن بِشْر . ثم دعاهم إلى الإسلام فأبَوْا . وبرَزوا ، فقُتِل منهم أحدُ عشر رجلا . وباتَ عليهم وغَدا لقتالِهم ، فأَعطَوْا بأيديهم(٤) ، فأخذها عَنْوَةً ، وغنِمَ ما فيها فقسَمَهُ ، وعامَلَ(٥) يهودَ على النّخْل . فطلبت يهودُ تَيْماء الصُّلحَ فصولحوا على الجِزْيَة ، وأقاموا على أموالهم . وانصرَفَ صلى الله عليه وسلم من وادى القُرى

مصالحة يهود تيماء

النوم عن صلاة الصبح

— وقد أقام أربعة أيام — يُريد المدينـةَ ، فلما قَرُب منها نزَل وعَرّس ، فنام ومن مَعَهُ عن صلاةِ الصُّبح حتى طَلَعت الشّمس ، فأذّنَ بلالٌ ، وركَعوا رَكعتى الفجر ، ثم صلَّى بهم حتى إنَّ أحدَهم لَيَسْلُتُ(٦) العَرَقَ عن جَبينـهِ من حرِّ الشمس ، فلما سلّم قال : كانت أنفُسنا بيَدِ الله ، فلو شاء قَبضَها ، وكان أوْلَى بها ، فلمّا رَدَّها إلينا صلّينا . ثم أقبل على بلال — وكان قد قال قبل أن ينام : ألَا رجلٌ صالحٌ حافظٌ لعيْنَيه يَحفَظُ لنا صَلاةَ الصُّبح ؟ فقال بلال : أنا ! ثم نَامَ

(١) الحيس : طعام للعرب تتخذه من التمر والأقط والسمن ، وقد يجعلون عوض الأقط الدقيق والفتيتَ . والسويق يُتخذُ من الحنطة والشعير

(٢) ضوى إليها : مال إليها واجتمع فيها

(٣) مدعم : غلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، انظر ص (٣١٨)

(٤) أعطى بيده : سلم من غير قتال

(٥) انظر ص (٣٢٨)

(٦) سَلَتَ عرقه عن جبينه : أماطه ومسحَهُ ببنانه أو يَدِه

معهم ، غلَبتْه عيناه — فقال : مَهْ(١) يا بلال ! فقال : بأَبى وأُمّى ، قبَضَ نفْسِى الذى قبَضَ نفْسك ! فتَبَسّم صلى الله عليه وسلم . وقد قيل إنَّ ذلك كان مَرْجِعَه صلى الله عليه وسلم من حُنَيْن . والأوّل قول محمد بن شِهابٍ عن سَعيد بن المُسيَّب ، وهو أعلَمُ النَّاس بالسيَرِ والمَغازى ، وكذلك سَعيد بن المسيَّب ، ولا يُقاس بهما المخالف لهُما فى ذلك . ورُوِى عن قَتـادة أنَّ ذلك كان فى جَيْشِ الأُمراء ، وهذا وَهَمٌ ، وجيشُ الأُمراء كان فى غَزْوة مُوْتَة ، ولم يَشْهَدْها النبىُّ صلى الله عليه وسلم . وعن عَطاء بن يَسار أنها كانت فى غزوة تَبوك ، وهـذا لا يصحُّ ، لأن الآثار الصحاحَ على خِلاف قوله مسندةٌ ثابتةٌ ، وقولُه مُرْسَل

جبل أُحُد ، واتخاذ المنبر

ولمـا نَظَرَ إلى أُحُدٍ قال : هذا جبَل يُحِبُّنا ونحبُّه ! اللهمَّ إنى حَرَّمْتُ ما بين لا بَتَى(٢) المدينة . ونَهَى أن يَطْرُق الرَّجُل أهلَه بعد صـلاةِ العشاء . ولمَّا قدِم المدينة اتَّخَذ المِنبَر ، وله دَرَجتان والمُسْتَرَاحُ . وخَطب عليه فحنَّ الجِذْعُ(٣) الذى كان يَسْتَنِدُ إليه إذا خَطب

ردّ زينب بنت رسول الله إلى أبى العاص

وفى جُمادى الأُولى من سنة سبعٍ ، رَدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتَه زينبَ على أبى العاص بن الرَّبيع

سرية عمر بن الخطاب إلى تُربة

ثم كانت سريةُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تُرَبَةَ ، فى شعبانَ سنة سبعٍ . بعثَه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين رجلا إلى عَجُزِ هَوازن بتُرَبَة ، وهى بناحية العَبْلاء ، على أربع ليالٍ من مكةَ ، طريقُ صَنعاء ونَجْران . فخرجَ ومعه دليلٌ من بنى هِلال ، فكانُوا يسيرون الليلَ ويكْمُنون النَّهار ، حتى

(١) مهْ كلة للاستفهامِ ، بمعنى ماذا

(٢) اللاَّبةُ : الحَرَّة ، وهى الأرضُ الواسعة التى قد ألبستها حجارة سُود ، والمدينة ما بين حرتين عظيمتين ، وهما لا بَتَاها

(٣) الجذْعُ : ساقُ النَّخلةِ

أتوا محالّهم وقد فرّوا . فلم يلقَوْا أحداً ، وعادُوا إلى المدينة

سرية أبي بكر إلى بنى كلاب

ثم كانت سريّة أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضى الله عنه إلى بنى كلاب بنَجْد بناحية ضَرِيَّة ، فى شعبان هذا . فبيّت ناساً من هوازن ، وقتل منهم

سرية بشير بن سعد إلى بنى مُرَّة بفدك

وسريَّة بَشير بن سَعد إلى فدَك ، فيه أيضاً . ومعه ثلاثون رَجُلًا ليُوقِع ببنى مُرَّةَ ، فاستاق نعَماً وشاءً وانحدر إلى المدينة ، فأدركُوه ليلاً ، ورامَوْهم بالنَّبْل ، حتى فَنِيَت نَبْل المسلمين ، وأحيط بهم وأُصِيبُوا . واستاق المُرِّيُّون نعَمَهم وشاءَهم . فتحامل بَشير بن سعد حتى أنتهى إلى فدَك ، فأقام عند يَهوديٍّ حتى أندَمَلت جِراحُه ، وعادَ إلى المدينة

سرية الزبير بن العوام ثم سرية غالب بن عبد الله إلى بنى مرّة أيضاً

فهيّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبَيْر بن العوّام ، وبعَثه إلى مُصاب القوم ، ومعه مائتا رجل ، وعَقَد له لواء[(1)] . ثم بعثَ غالبَ بن عبد الله [الليثىّ][(2)] على مائتىْ رجلٍ فى صفر سنة ثمان ، ومعه أُسامةُ بن زيد وعُلْبة بن زَيْد الحارثىّ ، فسارَ حتى دنا منهم . فبعثَ الطَّلائع عليها عُلْبَة بن زيد ، فأعْلموه خبرَهُم . ثم وَافاهُم ، وحَضَّ من معه على الجهادِ ، وأَوْصاهُم بالتَّقْوَى ، وحَمَل بهم على القوم ، فقاتلوا ساعةً ثم حَوَوْا[(3)] الماشيةَ والنِّساء ، وقد قتلوا الرّجال . ومرَّ أُسامةُ بن

قتل أسامة الرجل الذى قال لا إله إلا الله

زيد فى إثْر رجلٍ منهم يقال له نَهِيكُ بن مِرْداس ، حتى دَنا منه ، فقال : لا إلٰهَ إلا الله ! فقَتله ، ثم نَدِمَ . وأقبل إلى جماعَته فقال له غالبُ بن عبد الله : بئْسَ والله ما فعَلْت ! تَقْتُل أمرءًا يَقول لا إلٰهَ إلّا الله !! وساقَ النَّعَمَ والشَّاءَ والسَّبْىَ ،

(١) فى ابن سعد ج ٢ ص ٩٠ « أنّه لما قَدِم غالب بن عبد الله الليثى من الكديد من سرية ، قد ظفّره الله عليهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزُّبير : اجلِسْ . وبعث غالب بن عبد الله الليثى » ، فبيّن من هذا أن الزبيْر لم يغزُ بهذه السريّة واستبدل به

(٢) زيادة للبيان

(٣) حوَى الشيء : جمعه وضمّه إليه

فكانت سهامُهم عَشْرة أَبْعِرَةٍ كلُّ رجلٍ، أو عِدْلُها من الغنم: كلُّ جَزُورٍ بعشْرَة. وقَدِموا المدينةَ، فحدَّث زيدٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بخَبَرِه، فقال: قتَلْتَه، يا أُسامةُ، وقد قال: لا إله إلا الله!! فجعلَ يقول: إنما قالَها تعوُّذاً من القتْلِ! فقال: أفلا شقَقْتَ عن قلبه فتعلَمَ أصادقٌ هو أمْ كاذبٌ؟ فقال أسامة: لا أَقْتُلُ أحداً يقول لا إله إلا الله أبداً[1]

سرية غالب بن عبد الله إلى المَيْفعة

ثم كانت سريّة غالب بن عبد الله بن مِسْعر اللَّيْثى أيضاً — فى رمضان منها — إلى المَيْفَعَة، ليُوقع ببنى عُوال وبنى عبْد بن ثَعْلَبة، فى مائة وثلاثين رجلا، ومعه يَسَارٌ مَوْلَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فاستاقوا نَعَماً وشاءً وقتلوا من أشرَفَ لهُمْ، على ماء يُقال له الميفَعة بناحيةِ نجد، بُعْدُه من المدينة ثمانيةُ بُرُدٍ، وعادوا بالغَنيمة

سرية بشير بن سعد إلى يُمْن وجُبَار

ثم كانت سريّةُ بشير بن سَعْد إلى يُمْنٍ وجُبار فى سنة سبعٍ. وذلك أن حُسَيل بن نُوَيْرة الأشْجَعى أخبرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن جَمْعاً من غطفان بالجنَاب، قد وَاعدُوا عُيَيْنة بن حِصْن أن يَزْحفُوا إلى أطْرَاف المدينةِ. فذكرَ ذلك لأبى بكر وعمرَ رضى الله عنهما، فأشارَ بإرْسال بَشِير بن سعد، فعقَدَ له لواءً، وبعَثَ معه ثلاثمائة رجُل. وكان حُسَيْلٌ دليلَهم. حتى أتوا إلى يُمن وجُبَار وهى نحو الجنَاب، والجنَابُ يُعارِضُ سَلَاحِ وخَيْبَر ووادِى القُرَى، فنزلوا بسَلاحٍ. ثم دنَوْا من القوْم فأصابوا نعما كثيراً مَلأُوا منه أيديَهم، وتفرّقَ الرِّعاءُ فأنذرُوا أصحابَهم، ففرُّوا على وُجُوههم، فلم يَلْقَ بشير أحداً. وعاد بالنَّعمِ، فوجَد عَيْناً لعيينة فقتَله، ثم لقى جَمْعَ عُيَيْنة فأوْقَع بهِمْ وهُم لا يشعرون،

(١) ذكر ابن سعد ج ٢ ص ٨٦، أنّ خبر أسامة كانَ فى خبر السريّة التى تأتى بعد هذا إلى الميفعة

فناوشهم فانهزموا ، وأسرَ منهم رجلاً أو رجلين ، وقدِمَا المدينة فأسلما وتركا لحالهما

عمرة القضيّة

ثم كانت عمْرَة القضيّة ، وتسمّى عُمْرَة القَضاء ، وغَزْوَة القَضاء ، وعمْرَة الصُّلح ، ويقال لها عمْرَةُ القِصاصِ . قال الفِرْيابيُّ : أخبرنا[1] وَرْقاء ، عن ابن أبى نُجَيْح ، عن مجاهد ، فى قوله تعالى : « الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ » (البقرة : ١٩٤) قال : فخزِنَتْ قُرَيش لردِّها[2] رسولَ الله يومَ الحُدَيْبِية مُحْرِمًا فى ذى القَعدة عن البلَد الحرَام ، فأدْخله الله مكة من العام القابِل فقضى عُمْرَتَهُ ، وأقَصَّه[3] ما حِيلَ بينهُ وبين يوْم الحُدَيْبِيَة

أوّل الجمع للعمرة

وذلك أنَّ ذا القَعدة لمّا أهَلَّ فى سنة سبع ، أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يعْتَمِروا قضاءَ عُمْرتهم ، وألّا يتخلَّف أحدٌ ممن شهِد الحُدَيْبية ، فلم يَتخلّفْ من أهلها أحدٌ هو حيٌّ ، وخرجَ سوَى أهلِ الحُدَيْبية رجالٌ عُمّارًا . وكان المسلمون فى عُمرة القَضيَّة ألْفَين . وقال جماعةٌ من العرب : والله يارسولَ الله ما لَنا زادٌ ، وما مِنْ أحدٍ يُطْعِمُنا . فأمر المسلمين أن يُنْفِقُوا فى سبيلِ الله ، وأن يَتصدَّقوا ، وألّا يَكُفُّوا أيْدِيَهم فيهْلِكُوا[4] . فقالوا : يا رسولَ الله ! بمَ نَتَصَدَّق ، وأحدُنا لا يجِد شيئًا ؟ فقال : بما كانَ ، ولو بِشقَّة تمرَةٍ ، ولوْ بمِشْقَصٍ[5] يَحْمِلُ به أحدُكم فى سبيلِ الله . فأنزلَ الله تعالى فى ذلك : « وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » (البقرة : ١٩٥) يعنى ترْكَ النّفقة فى سبيل الله

(١) فى الأصل : « نا » وهو اختصار حدثنا أو أخبرنا
(٢) فى الأصل : « بردّها »
(٣) أقصّه : أن يعطيه القصاصَ ويمكنه منه ، والقِصَاصُ : أن تمثل مِثْلاً من فِعْل فُعِلَ بك ، من قتل أو ضرب أو جرح أو غير ذلك
(٤) فى الأصل : « فهلكوا »
(٥) المِشْقصُ : السهم العريضُ النّصْل

الهَـدْىُ، ومسير المسلمين

وساقَ عليه السلامُ ستّين بَدَنَةً ، وجعَل عليها نَاجيةَ بن جُنْدُب الأسْلَمى ليسـير أمامه يَطْلُب الرِّعْى فى الشَّجر ، ومعه أربعة فتيان من أسْـلَمَ . وكان أبو رُهْم كلْثُوم بن حُصَيْن الغِفَارِىّ ممن يَسُوقها ويركبُها . وقلَّد صلى الله عليه وسلم هَدْيَه بيَدِه . وحَمَل السلاح فيها البيْضُ والدُّرُوع . وقادَ مائة فرسٍ عليها محمّد ابن مَسلَمة ، وقدَّمَ الخَيْل والسلاح . واستخلفَ على المدينة أبا ذَرٍّ الغِفَارِىّ . وأَحْرَمَ من باب المسجدِ ، لأنّه سَلَكَ طَرِيقَ الفُرْع[1] ، ولولا ذلك لأَهَلّ من البَيْداء ، وسارَ يُلَبِّى والمسلمون معه يُلَبُّون . فلما انتهى محمّد بن مَسلمة بالخيل إلى مَرّ الظَّهْرانِ ، وجَد بها نفراً من قريش ، فسألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يُصَبِّحُ هذا المَنزِلَ غـداً إن شاء الله . ورأَوْا سِلاحا كثيراً مع بَشِير بن سعْدٍ ، فأسرعُوا إلى مكةَ ، وأخبرُوا قريشاً ففَزِعُوا ، وقالوا : والله ما أَحـدَثْنا حَدَثاً ، ففيمَ يَغزُونا محمّد؟

بلوغ الخبر إلى قريش

ولمـا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظَّهْران[2] قدَّم السلاح إلى بطْن يَأْجَج[3] وترك معه مائتين من أصحابه ، عليهم أوْس بن خَوْلِيّ . وخرج مِكْرَز بن حَفْص فى نَفَرٍ حتى لَقُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ببطن يَأْجَج[3] ، فقالوا : يا محمّد! والله ما عُرِفْتَ صغيراً ولا كبيراً بالغَدْر! تَدْخُل بالسلاح الحرَمَ ! وقد شَرَطْت ألّا تَدْخل إلّا بسلاح المسافِرِ ، السُّيوفَ فى القُرُب ؟! فقال : إنى لا أُدخِل عليهم السلاح . فعادَ [مِكْرَز][4] إلى مكةَ فخرجت قريش إلى رُؤُوسِ الجبال ، وقالوا : لا نَنْظُر إليـه ولا إلى أصحابه .

---

(١) فى الأصل : « الفروع »

(٢) فى الأصل : « من الظهران »

(٣) فى الأصل : « ياحج » ، وهو مكان على ثمانية أميال من مكـّة

(٤) زيادة للإيضاح

دخول رسول الله مكة

وحبَس الهَدْى بذى طُوًى ودخلَ عليه السلام مكّة من الثَنِيّة [(١)] التى تطلُع على الحَجُون ، وقد ركب القصواء ، وأصحابُه حولَه مُتَوشِّحُو السُّيوف يُلَبُّون ، وعبدُالله ابن رَواحة آخذٌ بزِمام راحلتِه ، فلم يزَل عليه السلام يُلَبِّى حتى استلَم الرُّكْنَ . وقيل : لم يَقطع التَّلبية حتى جاء عرُوش مكةَ

طواف المسلمين بالكعبة

وتحدثَت قريشٌ أنّ المسلمين فى جُهْد ، ووَقَف منهم جماعاتٌ عند دار النَّدْوة ، فاضطَبَع [(٢)] عليه السلام بردائه ، وأخرجَ عَضُدَه اليُمْنى ، ثم قال : رَحِمَ اللهُ أمرءًا أراهم اليوْم قُوَّةً ! فلمّا أنتهى إلى البيتِ — وهو على راحِلته ، وابن رواحة آخذٌ بزِمَامِها ، وقد صفَّ له المسلمون — دَنا من الرُّكن فاستَلمه بمِحْجَنِه [(٣)] وهو مُضْطَبِعٌ بثَوْبه ، وهرْوَل هو والمسلمون فى الثلاثة الأشْواط الأُوَل [(٤)] .
وكان ابنُ رواحة يرْتجِز [(٥)] فى طَوافه ، وهو آخذ بزِمام النَّاقَةِ ، فقال عليه السلام : إيهًا [(٦)] يا أبن رَوَاحة ! قُلْ : لَا إِلٰه إلَّا اللهُ وحْدَه ، صَدَق وَعْدَه ، ونَصَر عَبْدَه ، وأَعزَّ جُنْدَه ، وهَزَم الأَحْزاب وَحْدَه ! فقالَها الناس . فلمّا قَضى طَوافَه ، خرج [(٧)] إلى الصَّفا فَسعى على راحِلَتِه ، والمسلمون يَستُرونه من أهل مكة أن يرْمِيَه أحدٌ منهم أو يُصيبَه بشىء . ووقف عند فَراغه قريباً من المَرْوَة

---

(١) فى الأصل : « البنية »
(٢) اضطبع : هو أن يدخل الطائفُ ببيت الله الحرام رداءهُ من تحت إبطه الأيمن ، ويغطى به الأيسر من جهتى صدره وظهره
(٣) المحجن : عصا معقّفة الرأس كالصولجان . وفى الأصل : « حتى دنا ... »
(٤) هَرْوَل : أسرع سيراً بين المشى والعَدْو . والشَّوْطُ : المرّة الواحدة من الطواف بالكعبة ، وجمعه أشواط
(٥) ارتجز : ترنم بالرَّجز من الشِّعْر
(٦) إذا قلت للرجل : « إيهِ ، وإيهٍ حدّثنا » فأنت تستزيده من الحديث ، فإن قلت له : « إيهاً » بالنصب ، فإنما تأمره بالانقطاع والسكوت
(٧) فى الأصل : « وخرج »

— وقد وقفَ الهَدْى عندها — فقال : هذا المَنْحَرُ ، وكلُّ فِجاجِ مكة مَنْحرٌ.

نحر الهدى عند المروة

ونَحَر عند المَرْوَة . وكان قد أُعتمر معه قومٌ لم يشهَدوا الحُدَيبِيَة فلم ينْحَروا ، وشَرِكَهُ فى الهَدْىِ من شَهِدَ الحُدَيْبِيــة . فمن وَجَد بَدَنَةً من الإبل نَحَرَها ، ومن لم يجدْ بَدَنة رُخِّصَ له فى البَقَرة ؛ وكان قد قدِمَ رجُلٌ ببَقَرٍ فاشْتَراه النَّاسُ منه . وحلَّق عليه السلام عند المروة ، حلقَه مَعْمَرَ بن عبد الله العدَوِىّ

دخول رسول الله الكعبة

ثم دخلَ البيْتَ ، ولم يزَلْ فيه حتى أَذَّن بلالٌ بالظُّهْر فوق ظَهْرِ الـكَعْبة . فقال عكرمة بن أبى جهل : لقد أكْرَم الله أبا الحَـكَمِ ! لم يَسْمَعْ هـذا العبدَ يقول ما يقولُ ! ! وقال صفْوانُ بن أُمَيــة : الحمدُ لله الذى أذْهَب أَبى قبل أنْ يرَى هذا ! وقال خالد بن أَسيد : الحمدُ لله الذى أَمَات أَبى ولم يَشْهَدْ هذا اليومَ ، حين يقومُ ابنُ أمِّ بلالٍ يَنهَقُ فوْقَ الـكَعْبة !! وغطَّى سُهَيْلُ بن عمرٍو ورجالٌ معهُ وجوهَهم حين سمعوا . وقيلَ لم يدخُلْ عليه السلام الـكَعْبة ، بل أرسلَ إليهم فأَبَوْا ، وقالوا : لم يَكُنْ فى شَرْطِك ! فأمَر بلالًا فأَذَّن فوق الـكَعْبة مرَّةً ولم يَعُدْ بعْدُ ، وهو الثَّبْتُ

زواجه ميمونة

وخطبَ مَيْمونةَ ، فجعلتْ أمرَها إلى العبَّاس بن عبد المطَّلِب ، فتزَوَّجها وهو مُحْرِم ؛ وقيل تزوَّجها لمَّا أَحلَّ . وكلَّم عليٌّ بن أبى طالب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى عُمارة بنت حَمزَةَ — وكانت مع أُمِّها سَلْمَى بنت عُمَيْس بمكة —

خبر عمارة بنت حمزة

فقال : عَلَامَ نَتْرُكُ بنتَ عمِّنا يَتيمةً بين ظَهْرَانَى المشركين ! فخرج بها ، حتى إذا دَنَوا من المدينــةِ ، أرادَ زيدُ بن حارثة — وكان وَصِىَّ حمزَةَ وأخاهُ أُخُوَّةَ المهاجرِين — أن يأخُذَها من عليٍّ ، وقال : أَنا أحقُّ بها ، أَبنةُ أخى ! فقال جعْـفر ابن أبى طالب : الخالَة والدةٌ ، وأنا أحقُّ بها لمكانِ خالتِها عِنْدِى ، أسمـاء بنتِ

عُمَيْسٍ(١) ! فقال علىٌّ رضوان الله عليهم : ألا أراكم فى أبنة عمّى(٢) ، وأنا أخرَجتها(٣) من بين أظْهُر المشركين ، وليس لكم إليها نسبٌ دُونى ، وأنا أحقٌّ بها منكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحكمُ بينكم ، أمّا أنتَ يا زيدُ فمَوْلَى اللهِ ورسولِه ، وأمّا أنْتَ يا علىٌّ فأخى وصاحبى . وأما أنْتَ يا جعفرُ فتُشْبِهُ خَلْقى وخُلُقى ، وأنْتَ يا جعفرُ أوْلَى بها ، تَحتَك(٤) خالَتُها ، ولا تُنْكَحُ المرأةُ على خالَتِها ولا عَمّتِها . فقَضَى بها لجعفر ، فقام جعفرٌ فحَجَل حوْل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا يا جَعفر ؟ قال : يا رسولَ الله ؟ كان النَّجاشىُّ إذا أرْضَى أحداً قامَ فحجل حولَه . فقال على رضى الله عنه : تزَوّجها يا رسولَ الله ! قال : هى أبنَة أخى من الرَّضاعة !

طلب قريش خروج رسول الله من مكة

ولمّا كان عند الظُّهر يوْم الرابع ، أَتى سُهيْلُ بن عمرون وحُوَيْطِبُ ابن عبد العُزّى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — فى مجلسِ الأنصار ، وهو يتحدَّث مع سعد بن عُبادة — فقال : قد أنْقضى أجَلُك ، فاخرُجْ عنّا . فقال : ومَا عليكم لو ترَكْتُمونى فأَعْرَسْتُ(٥) بين أظْهُرِكم ، وصَنَعْتُ طعاماً ؟ فقالا : لا حاجةَ لنا فى طعامِك . أُخرُجْ عنّا ، نَنْشُدُك(٦) اللهَ والعَهْدَ الذى بيننا وبَيْنك إلا خرجتَ منْ أرْضِنا ! فهذه الثلاثُ قد مَضَتْ ! فغضبَ سعد بن عُبادة وقال لسهيْل : كذبتَ لا أُمَّ لَكَ ! ليستْ بأرضِكَ ولا أرضِ أبيك ، والله لا يبرحُ منها إلا طائعاً راضياً ! فتبَسّم صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا سَعْد ، لا تُؤْذِ قومًا

(١) فى الأصل : « عميش »
(٢) يريد : أراكم تختلفون فى أمر ابنة عمّى
(٣) فى الأصل : أخرجها »
(٤) فى الأصل : « تحبك »
(٥) يريد إعراسه بزواج ميمونة رضى الله عنها
(٦) نشدَه : استحلفه بالله

زَارُونا فى رِحالنا . فأسْكَتَ الرَّجلانِ[١] عن سعد . ورُوِى أنهم بعثُوا عليًّا إلى النبى عليه السلام ليَخْرُجَ عن بَلدهم

الرحيل ، والبناء بميمونة

وأمرَ عليه السلام أبا رافع بالرَّحِيل ، وقال : لا يُمْسِيَنَّ بها أحدٌ من المسلمين . وركبَ حتى نزَل سَرِف ، وخلّف أبا رافع ليحمل إليه ميمونةَ حين يمسِى ، فخرج بها مَساءً ، ولقى عَنَتاً[٢] من سُفهاءِ المُشركين . فبَنَى النبىُّ صلى الله عليه وسلم على مَيْمونةَ بسرِف

منزل رسول الله

ولم يَنْزِلْ بمكة بيتاً ، وإنما ضُرِبتْ له قُبّةٌ من أَدَمٍ بالأبطح ، وكان هناكَ حتى سَارَ منها . وبعثَ بمائتى رجلٍ ممن طَافُوا بالبيت إلى بَطْنِ يأْجَج[٣] ، فأقاموا عند السلاح حتى أتَى الآخرون فقَضَوا نُسُكَهم[٤] . وقدم المدينة فى ذى الحجة

سرية ابن أبى العوجاء إلى بنى سليم

وكانت سريّةُ ابن أبى العَوْجاء السُّلَمى إلى بنى سلَيْم ، فى ذى الحجّة سنة سبعٍ . بعثهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خمسين رجلاً إلى بنى سُليم ، وقد أُنذِرُوا به فجَمّعوا له[٥] ، فقاتلوا حتى قتِل عامّةُ أصحاب ابن أبى العَوجاء ، وأثْخنُوه بالجراح . ثم تحَامل إلى المدينة فقَدمها أوّل يوم من صَفر

إسلام عمرو بن العاص، وخالدبن الوليد ، وعثمان ابن طلحة

وفى صفر سنة ثمان ، خرَج عمرُو بن العاص بن وَائل بن هاشم بن سُعَيْد بن سهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَىّ القُرشىُّ السهْمِىُّ ، من مكة — بعد

(١) أسكَتَ الرجلُ (وهو فعل لازم) : سكت سكوتاً طويلاً على غضب أو فكرة
(٢) فى الأصل : « عيناً » . والعنتُ : الشّدّة والمشقة والضرر
(٣) فى الأصل : « يأجج »
(٤) النُسُك : العبادة والطاعة وكل ما يتقرّب به إلى الله سبحانه وتعالى . وقضَوا نسُكَهم : أى فرغوا من طوافهم ونحرِهم ، وأتموا عُمْرتَهم
(٥) فى الأصل : « وجمعوا » . وهذه حقّ المعنى ، فإن ابن أبى العوجاء فى سريته هذه ، كان فيمن معه عين لبنى سُلَيم ، فتقدّم أهلَ السرية وأسرع إلى بنى سليم فأنذرهم بغارته عليهم وحذّرهم

مَرْجِعه من الحَبَشة — يريد المدينةَ ؛ مهاجِرٍ ، فوَجدَ فى طريقِهِ خالدَ بن الوليد بن المُغيرة بن عبْد الله بن عُمر[١] بن مَخْزوم القُرشيّ المخزُومىّ ، وعثمانَ بن طَلْحةَ بن أبى طَلْحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثْمان بن عبْد الدّار بن قُصَىّ القرشىّ العَبْدرىّ ، وقد قصدَا قصدَه . فقدِمُوا المدينة ، ودخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبايعهُ خالدٌ أوَّلاً ، ثم بايَعه عثْمانُ ، ثم عَمْرو على الإسلام . فقال عليه السلام : إن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبْلَه[٢] ، والهجْرةُ تَجُبُّ ما كان قبلَها

سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد

وفى صفر هذا كانت سَرِية غالب بن عبد الله بن [مِسْعر بن جعفر بن][٣] كلْب بن عوف بن كعب بن عامر بن لَيْث بن بُكَيْر[٤] بن عبْد مَناة بن كِنانة بن خُزَيمة ابن مُدْركة بن الياس بن مُضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدْنان الكِنانىّ ثم اللَّيْثى — إلى الكديد ليُغيرَ على بنى المُلَوَّح من بنى ليث ، فى ربيع الأوَّل منها . فخرجَ فى بضْعة عشر رجُلاً حتى [إذَا][٥] كان بقُدَيْد لقِى الحارثَ بن مالك بن قيْس بن عَوذ[٦] بن جابر بن عبد مناف بن شِجْع بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبْد مناة ابن كِنَانة ، [وكان يقَال لمالك بن قيْس : ابن البرْصَاء] فأخذَه فشدّه وَثَاقًا ؛ [البرْصاء هى أمُّ قيس بن عوف ، واسمها : رَيطة بنت ربيعةِ بن رَباح بن أبى ربيعة بن نَهيك بن هلَال بن عامر] ، وخلف عليه سوَيد بن صَخْر . وأتى الكَديد

(١) فى الأصل : « عمرو »
(٢) جبّ الشىء : قطعه ، والإسلام والهجرة والتوبة تجبّ ما قبلها ، أى تقطع وتمحو ما كان قبلها من الكفر والمعاصى والذنوب
(٣) هذا سياق نسبه اعتمدناه من كتب التراجم ، الإصابة ، وأسد الغابة وغيرهما . وفى الأصل مكان ما بين القوسين ما يأتى : [بن نُفَيْع بن حَزْن بن سيّار بن عبد الله بن عُبَيد] . ولم نجد أحداً نسبه كذلك ، فمن أجل هذا لم نثبته فى المتن
(٤) فى الأصل : « بكر »
(٥) زيادة للسياق
(٦) فى الأصل : « عوف »

عند غرُوب الشَّمس ، فكمن فى ناحيةِ الوادى ، وبعَث جُندُب بن مَكِيث الجُهَنِىّ رَبِيئةً ، فأتى تلاًّ مشرِفاً على الحاضرِ (١) فعلاهُ وَانْبَطَح ، فخرج رجلٌ من خِبائِه فقال [لامرأته] (٢) : إنى أرى على هذا التلِّ سواداً (٣) ما رأيته عليه [أوّلَ من يومى هذا] (٢) . ورماه بسهم ثم آخرَ فما أخطأه ، وثبت مكانه ، فقال : لو كان زَائلةً (٤) لقد تحرّكَ بعدُ ! لقد خالَطَه سهمايَ !! ثم دخل خباءه . وراحت ماشيةُ الحيِّ من إبلهم وأغنامهم ، فحلَبُوا وعطَّنوا ، حتى إذا اطمأنوا شَنّ المسلمون عليهم الغَارَةَ ، فقتلُوا المُقَاتِلة ، وسبَوُا الذرِّيةَ ، واستاقوا النَّعمَ والشاء . وكان شعارُهم أَمِتْ أَمِتْ . ثُمَّ انحدرُوا بها نحو المدينة ، واحتَمَلوا ابنَ البرْصَاء مَعَهم . فجاءهم القوم بما لاَ قبل لهم به ، وبَيْنهم وَبَيْنَهُمْ الوَادى ، فجاء الله بالسَّيل حتَّى مَلأَ جَنَبَتَيه (٥) ولم يَسْتطع أَحَدٌ يجوزُه . فوقَفَ المشركون ينْظُرون إليْهم ، حتى فاتوهم ولا يقدرون على طلبهم ، إلى أنْ قدمُوا المدينةَ . فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مائتى رجل إلى مُصاب أصحاب بَشِير بن سعد ، وذلك فى صفر سنة ثمان كما تقدم (٦)

سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح

ثم كانت سريَّةُ كَعب بن عُمَيْر الغِفَارِىِّ إلى ذاتِ أَطْلاحٍ مِن أرض الشَّأْم ، وراءَ وادِى القُرى ، فى خمسة عشر رجلا ، فقَاتَلَهُم حتى قُتِلوا . وأفلت

(١) الحاضر : الحىّ الذى يحضره القوم

(٢) زيادة لا بُدّ منها ، انظر ابن سعد ج ٢ ص ٩٠

(٣) السَّوَادُ : شخْص الشيء تبينُ هيأتُه ولا يستبينُ ما هو ، وأكثر ذلك فى سواد الليل

(٤) فى الأصل : « ذابلا » . والزائلة كل شيء من الحيوان يزول عن مكانه ولا يستقرّ فيه . وكان جندب قد سكّن نفْسَه لا يتحرّك ولا يزول لئلا يحسّ به فيُجْهَز عليه . ولفظه فى بعض الروايات : « دابة » المسند ج ٣ ص ٤٦٨ ، وفى أخرى « ربيئة » ابن سعد ج ٢ ص ٩٠ ، وجميعها سواء

(٥) جنبَةُ الوادى : جانبه وناحيتُه وشاطئه

(٦) انظر ص (٣٣٤)

منهم رجلٌ جريحٌ ، فتحامَل حتى أتى المدينةَ فشَقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم

سرية شجاع بن وهب إلى السِّىّ

وكانت سريّةُ شُجاعِ بن وَهْبٍ [الأسدىّ][1] إلى السِّىّ — وهو ماءٌ من ذات عِرْقٍ إلى وَجْرَة ، على ثلاث مَراحِلَ من مكة إلى البَصرة ، وخمسٍ من المدينة — يريد بنى عامرٍ بناحية رُكْبَةَ فى ربيع الأوّل أيضاً ، على أربعة وعشرين رجُلا . نخرجَ حتى أغارَ على القومِ وهم غارّون ، فأصابوا نَعَمًا وشاء ، وقَدِموا المدينةَ . وكانت سِهامُهم خمسة عشر بعيراً كلُّ رجلٍ ، وعدَّلوا البعيرَ بعشرة من الغَنَم . وغابوا خمس عشرة ليلة . وقَدِموا بسَبايا ، فيهنَّ جاريةٌ وضيئةٌ ، فقَدِم وَفْدُهم مُسلِمين ، فردُّوهنَّ إليهم ، واختارَتِ الجاريةُ الوَضيئةُ شُجاعَ بن وَهْبٍ ، وكان قد أخذها بثَمَنٍ ، فأقامت عنده حتى قُتِل باليَمامَةِ

سرية قطبة بن عامر إلى خثعم بتبالة

ثم بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قُطْبَة بن عامر بن حَديدَة فى عشرين رجلا إلى حَىٍّ من خَثْعَمَ بناحية تَبالَةَ . نخرجوا على عشرة أبعِرَةٍ يَعْتَقِبونَها ، فوجَد رجلا فسألَه فلم يُجِبْه عن القَوْم ، وجَعل يصيحُ بالحاضر ، فضرَبَ عُنُقَه . وشنّ الغارةَ ليلًا فقاتلَه القوم قِتالا شديداً حتى أتى قُطْبَةُ عليهم ، وساقَ النَّعَم والشَّاء والنِّساء حتى قدِمَ المدينة . فكانت سِهامُهم أربعةَ أبعرة لكلِّ رجل أو عَدْلَها : عشرةً من الغَنَم عن كل بعير

غزوة مؤتة

ثم كانت غزْوَةُ مُؤْتَةَ من عمل البَلْقَاءِ بالشأم دون دِمَشق ، [وهى بضمّ أوّله ، وإسْكان ثانيه ، بعده تاء مُعجَمةٌ باثنَتين من فوقها] ، كانت فى جُمادى الأُولى .

سببها

وسببُ ذلك أنَّ الحارث بن عُمَيْر الأَزْدىّ لما نزَل مُؤْتَةَ بكتابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى صاحب بُصْرَى ، أخذه شُرَحْبيل بن عمرو

(١) زيادة للبيان

الغَسَّانِىّ وضرَب عُنُقَه . فاشتدَّ ذلك على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ونَدَب النَّاسَ ، فأسرعوا وعَسْكَروا بالجُرْف ، ولم يُبَيِّنْ لهم الأمْرَ(١) . فلمّا صلَّى الظهرَ جَلس فى أصحابه وقال : زَيْدُ بن حارثةَ أميرُ الناسِ ، فإن قُتِل زيدُ بن حارثة فجَعْفَرُ بن أبى طالب ، فإنْ أُصيب جعفر فعبدُ الله بن رَوَاحة ، فإن أُصيب عبدُ الله ابن رَوَاحة فَلْيَرْتَضِ المسلمون بينهم رجُلا فيَجْعَلوهُ(٢) عليهم . وعقَد لواءً أبيضَ ودَفعه إلى زيدِ بن حارثة . فودَّعَ الناسُ الأُمراء ، وخرج مَعهم إلى مُؤتَة ثلاثةُ آلافٍ ، وجَعل المسلمون يُنادون : دَفَعَ الله عنكم ورَدَّكُم صالحين غانمين

الأمراء يوم مـؤتة

وشَيَّعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى ثَنِيَّة الوَداعِ ، ثم وقفَ وهم حوْلَه ، وقال : أُوصيكم بتَقْوى اللهِ ، وبمن مَعكم من المسلمين خيراً . اغزُوا بِسم الله فى سَبيل الله ، فقاتلوا من كَفَر بالله . لا تَغْدِروا ولا تَغُلُّوا ولا تَقْتُلوا وَليداً . وإذا لَقيتَ عدوَّكَ من المشركين فادْعُهُم إلى إحدى ثلاثٍ فأيَّتُهُنَّ ما أجابوكَ إليها ، فاقْبل منهم واكْفُفْ عنهم : ادعُهُم إلى الدُّخول فى الإسلام ، فإن فعلوا فاقبَل منهم واكْفُفْ عنهم ؛ ثم ادعهُم إلى التَّحَوُّل من دارِهم إلى دارِ المُهاجِرين ، فإن فعَلوا فأَخْبِرْهُم أنَّ لهم مَا للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، وإن دَخلوا فى الإسلام واختَاروا دارَهم ، فأَخْبِرهم أنَّهم يكونون كأَعْرابِ المسلمين ، يَجْرِى عليهم حُكْمُ الله ، ولا يكونُ لهم فى الفَىْء ولا فى الغَنيمةِ شىءٌ إلّا أنْ يُجاهِدُوا مع المسلمين ؛ فإنْ أَبَوْا فادْعهُم إلى إعْطاء الجزْيَةِ ، فإن فَعلوا فاقبل منهم واكْفُفْ عنهم ؛ فإن أبَوْا فاستَعِنْ بالله وقاتِلْهُم

وداعُ جيش مؤتة ووصية الأمراء

وإنْ أنْتَ حاصَرْتَ أهل حِصْنٍ أو مدينةٍ فأرادوكَ أن تَستَنزِلَهم على حكم

(١) فى الأصل : « الأمراء »
(٢) فى الأصل : « فليجعلوه »

الله فلا تستنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيب حكمَ الله فيهم أم لا ؟ وإنْ حاصرت أهلَ حصنٍ أو مدينةٍ فأرادوك على أن تجعلَ لهم ذِمّةَ الله وذمّةَ رسوله ، فلا تجعلْ لهم ذمّةَ الله وذمّةَ رسوله ، ولكن أجعلْ لهم ذمّتك وذمّةَ أبيكَ وذِمّةَ أصحابك ، فإنكم إنْ تُخْفِروا(١) ذِمّتكم وذِمّةَ آبائكم خيرٌ لكم من أن تُخْفِروا ذمّةَ الله وذمّةَ رسوله

وستجدُون رجالًا في الصّوامع مُعْتزِلين للنّاس ، فلا تتعرّضُوا لهم ، وستجدون آخرين في رءوسهم مَفَاحِصُ(٢) فاقْلَعُوها بالسُّيوفِ . لا تَقْتُلُنّ امرأةً ولا صغيراً ضَرَعًا(٣) ، ولا كبيراً فانياً ، ولا تغرِقُنّ نخلاً ، ولا تَقْلَعُنّ شجرًا ، ولا تهدِمُوا بيتاً

من خبر عبد الله ابن رواحة

وقال عبد الله بن رَوَاحة : يا رسولَ الله ! مُرْني بشيء أحْفَظه عَنك . قال : إنّك قادِمٌ غداً بَلداً ، السُّجودُ فيه قليلٌ فأكثِرِ السُّجودَ . قال : زِدْني يا رسولَ الله . قال : اذكُرِ الله ، فإنّه عَوْن لكَ عَلَى ما تطْلُب(٤) . فقامَ من عنده ، حتى إذا مَضى ذَاهباً رَجَع . فقال : يا رسول الله ، إنّ اللهَ وِتْرٌ يحبُّ الوتر(٥) ! فقال : يا ابن رواحة ، ما عَجَزْت فلا تَعْجِزَنّ إنْ أسأتَ عَشْرًا أن تُحْسِنَ واحدةً . فقال : لا أسألُك عن شيء بعدَها

(١) أخْفَر الذمّة : نقضها ، ولم يوف بها ، ولم يُتمّها ، وأزال خِفَارتها : أي أمانها وذِمامها

(٢) مفاحص جمع مَفْحَص : وهو كالأفحوص ، حيث تجثم القطا وتفرّخ . ومعنى الحديث أن الشيطان قد عشّش في رؤوس هؤلاء وفرّخ ، فجعل له فيها مفاحص كمفاحص القطا والطير ، فاستوطنَ فيهم ، فألزمهم شدة الغيّ ، والانهماك في الشر

(٣) الضرَع والضارع : الصغير السنّ الضعيفُ الضاوى ، يذل من ضعفه ، ولا يدفعُ عن نَفْسه

(٤) في الأصل : « تطالب » ، ولا باس بها

(٥) الوتر (بكسر الواو وفتحها) : الفردُ الأحد . وكان ابن رواحة كما ترى سال رسول الله شَفعاً (أى سؤالين) ، فأراد أن يُوتر سؤاله ، فيجعله فرداً غير شفع

بلوغ المسلمين إلى مصرع الحارث ابن عمير

ومضَى المسلمون ، وقد أمرَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ ينتَهُوا إلى مَقتل الحارِث بن عُمَيْر ، وسمع العدوُّ بمسيرِهم ، فجمعُوا لهم . فقام فيهم رجلٌ من الأَزْدِ يقال له شُرَحْبِيل [بن عمرو الغسّانى] [١] ، وقدم الطَّلائع أمامَه [٢] ، و بعث أخاه سَدُوسَ بن عمرو فى خمسين فلقُوا المسلمين بوادى القُرَى فقاتَلُوه وقتلُوهُ . ونزلوا مُعَان [من أرض الشَّأم] [٣] ، فبلغَهم أن هِرَقْل قد نزَل مَآبَ من البَلْقاء ، فى مائة ألفٍ من الرُّوم ، ومعه من بَهْراء ووَائل و بكْر ولَخْم وجُذام مائةُ ألفٍ ، عليهم رجلٌ من بَلِيٍّ يقال له مالكٌ .

أول القتال يوم مؤتة وخوف المسلمين ثم إقدامهم

فأقاموا ليلتيْن ، وأرادوا أنْ يكتبُوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبَر ليرُدَّهُمْ أو يزِيدَهُمْ رجالا ، فشجَّعَهم عبدُ الله بن رَواحةَ وقال : والله ما كنَّا نُقاتِلُ الناسَ بكثْرَةِ عَدَدٍ ، ولا بكثْرة سلاحٍ ، ولا بكثْرةِ خيولٍ ، إلا بهذا الدِّينِ الذى أكرَمنا الله به ! أنْطَلِقوا ، والله لقد رأيتُنا يومَ بدرٍ مامَعنا إلا فَرسانِ ، ويومَ أُحُدٍ فرسٌ واحد ! فإنما هى إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ : إمَّا ظُهورٌ عليهم ، فذلك ما وَعَدَنا الله وَوَعَد نبيَّنا ، وليس لوَعده خُلْفٌ ؛ و إما الشَّهادةُ ، فنَلْحَقُ بالإخوان نُرافقهم فى الجِنان ! فشجَّعَ الناسَ ومَضَوْا إلى مُؤْتَةَ . فرأوا المشركين ومعهم مالا قِبَلَ لهم به من العَدَد ، والسِّلاح ، والكُرَاعِ ، والدِّيباجِ ، والحريرِ ، والذَّهَب . قال أبو هريرة : وقد شَهِدْتُ ذلك فَبَرِقَ بَصرى [٤] ، فقال لى ثابتُ ابن أقْرم [٥] : يا أبا هريرة ! مالَكَ ؟ كأنَّكَ ترى جُمُوعا كثيرةً ! قلت : نعم !

---

(١) زيادة للإيضاح ، وقد مضى ذكره ص (٣٤٤)
(٢) فى الأصل : « أو قدم الطلا مع أمامة »
(٣) زيادة للبيان
(٤) بَرِق البَصرُ : دهش فلم يُبصر ، وتحير فلم يطرف ، من فزع وحيرة
(٥) فى الأصل : « بن أقوم »

قال : لمْ تَشْهدْنا ببدْرٍ ! إنّا لم نُنْصَر بالكثرة !

مقتل زيد بن حارثة

وقاتلَ الأمراء يومئذٍ على أرجُلِهم : فأخذَ اللواء زيدُ بن حارثة فقاتَل وقاتلَ الناسُ معه ، والمسلمون على صُفوفهم ، وعلى المَيْمنة قُطْبة بن قَتادة السَّدُوسىّ ، وعلى الميسرة عَبَايَةُ[1] بن مالك ، فقُتِل زيدٌ طعناً بالرِّماح

مقتل جعفر بن أبي طالب

ثم أخذه جعفر فنزَل عن فرسه فعرْقَبَها[2] ، ثم قاتل حتى قُتِل : ضرَبه رجل من الرُّوم فقطعه بنِصْفَين ، فوقع أحدُ نِصفيْه فى كَرْمٍ ، فوُجِد فى نِصفه بضعٌ وثلاثون جُرْحا . وقيل : وُجد — ممَّا قِبَلَ يدَيه[3] فيما بين مَنْكِبيْه — اثنتان وسبعون[4] ضَرْبة بسيْف أو طعنَةً برُمْح ، ووُجِد به طَعْنةٌ قد أنْفذَتْه

مقتل ابن رواحة

ثم أخذَ اللواء بعدَه عبدُ الله بن رَوَاحة ، فقاتَل حتى قُتِل

سقوط لواء المسلمين وهرب المسلمين

وسقَطَ اللواء ، فاختلَط المسلمون والمشركون ، وانهزَم المسلمون أسوأ هزيمةٍ ، وقُتِلوا ، واتَّبعهم المشْركون . فجعل قُطْبة بن عامر يَصيح : يا قوم ! يُقْتَلُ الرجُل مُقْبِلًا أحسنُ من أن يُقتَل مُدبِرًا ! فما يَثوب[5] إليه أحدٌ . ثم تَراجعوا ، فأخذ اللِّواء ثابت بن أقْرَم ، وصاح : يا لَلأنصار !! فأتاه النّاسُ من كلّ وَجْهٍ وهم قليلٌ ، وهو يقول : إلىَّ أيها النّاس ! فلما نظَر إلى خالد بن الوَليد قال : خُذِ اللواء يا أبا سُليمان ! فقال : لا آخُذُه ، أنت أحقُّ به ، أنْتَ رجُلٌ لك سِنٌّ[6] ، وقد شهدتَ بدراً . قال ثابتٌ : خُذْه أيها الرّجل ! فوالله ما أخذتُه إلّا لكَ !

أخذ اللواء لخالد ابن الوليد

(١) فى الأصل : « عباية »

(٢) عرقب فرسَه : قطع عُرقوبها ، وهو الوتر الذى خلف كعبيها من مفصل القدم والساق . وكانت تلك عادتهم إذا حمى البأسُ . قالوا : وكانت فرس جعفر أول فرس عُرقبت فى الإسلام

(٣) فى الأصل : « مما قبل من يديه »

(٤) فى الأصل : « اثنتين وسبعين »

(٥) ثاب يثوب : رجع

(٦) فى الأصل : « شن »

فأخذه خالدٌ لحمله ساعة ، وجعل المشركون يَحمِلُون عليه ، فثبت حتى تَكَرْكَرَ[١] المشركون ، وحمل بأصحابه ففضَّ جمعاً من جمعهم ، ثم دَهَمَهُ منهم بَشَرٌ كثير[٢] ، فانْحَاشَ[٣] بالمسلمين فانكشفوا راجعين . وقد قيل : إنّ ابن رَوَاحة قُتِل مَساء . فباتَ خالدٌ فلمّا أصبحَ غدًا ، وقد جعلَ مُقَدِّمتَه ساقَةً ، وساقَتَهُ مُقدِّمةً ، ومَيْمنَتَه مَيسَرَةً ، ومَيسرتَه مَيْمنةً ، [فأنكَر المشركون][٤] ما كانوا يَعرِفون من راياتِهِمْ وهَيْأَتِهم ، فقالوا : قد جاءهم مَدَدٌ !! ورُعِبُوا ، فانكشَفُوا مُنهزِمين ، فقَتَلُوا منهم مَقْتَلةً لم يُقْتَلْها قومٌ . والأوّل أثبَتُ : أنَّ خالداً انهزَم بالنَّاس فعُيِّرُوا بالفِرار ، وتشاءَم الناسُ[٥] به . فلما سَمع أهلُ المدينة بقُدُومهم تَلَقَّوْهم ، وجعلوا يَحْثُون فى وُجوههم التُّرابَ ويقولون : يا فُرّار ! أفرَرتُم فى سبيل الله ؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيسُوا بفُرّارٍ ، ولكنهم كُرّارٌ إن شاء الله !

هزيمة المسلمين ومرجعهم إلى المدينة

فانصرَفُوا إلى بُيوتِهم فلَزِمُوها ، فإنهم كانوا إذا خَرَجُوا صاحوا بهم : يا فُرّار ! أفرَرتم فى سبيل الله ؟ وكان الرّجل يَدُقُّ عليهم فيأبَوْن يَفْتَحُونَ له لئلّا يَقول[٦] : ألّا تقدَّمْتَ مع أصحابك فقُتِلت ؟ حتى جعلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُرسل إليهم رجُلاً رجلاً ، يقول : أنتم الكُرّارُ فى سبيلِ الله ! وكان بَين أبى هريرة و بين ابنِ عمرٍ له كلامٌ ، فقال : إلاّ فِرارَكم يَومَ مُؤْتَةَ ! فما دَرَى ما يقول له

خبر المنهزمين وما لقوا من الناس

---

(١) كركَرَهُ عن الشىء : ردّه ودفعه وحبَسَه ، فتكركر : ارتدّ
(٢) فى الأصل : « كبير »
(٣) انحاش بهم : جمعهم فتصرَّفَ بهم ثم نفر بجمعهم
(٤) فى الأصل مكان ما بين القوسين : « فأنكروا » ، وهذه أبينُ للسياق
(٥) أى تشاءموا بخالدٍ
(٦) فى الأصل : « تقول »

إخبار رسول الله عن أهل القتال يوم مؤتة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — لمّا التقى الناسُ بمُؤْتة — جلس على المِنْبر وكُشفَ له ما بينه وبين الشَّأْم، فهو ينظُر إلى مُعْتَرَكهم فقال: أَخَذَ

زيد بن حارثة

الرّايةَ زيدُ بن حارثة، فجاءه الشيطانُ فحبَّبَ إليه الحياة وكرّه إليه الموت فقال: الآن حين استحكم الإيمانُ فى قلوبِ المؤمنين، تُحَبِّبُ إلىَّ الدنيا! فمضَى قُدُمًا حتى استُشْهد. فصلى عليه وقال: استغفِرُوا له! وقَدْ دَخَل الجَنّة وهو يَسْعَى

جعفر بن أبي طالب

ثم أخَذَ الرايةَ جعفرُ بن أبى طالبٍ فجاءه الشيطان فمنّاهُ الحياةَ وكرّه إليه الموتَ، فقال: الآن حينَ اُستحكم الإيمانُ فى قلوبِ المؤمنين تُمَنِّيَنِيَ الدُّنيا! ثم مَضى قُدُما حتى استُشْهِد. فصلى عليه ودعَا له. ثم قال: استَغفِروا لأَخيكم فإنه شهيدٌ دخَل الجنة، فهو يَطِيرُ فى الجَنّة بجناحَيْن من ياقوتٍ حيثُ شاء من الجنّة

عبد الله بن رواحة

ثم أَخَذ الراية بعدَه عبدُ الله بن روَاحة فاستُشهد[1]، ثم دخَل الجنة مُعْترضاً. فشقّ ذلك على الأنصار، فقال: أصَابته الجراح. قيل: يا رسولَ الله ما إعْرَاضُه؟ قال: لمّا أصابَتْه الجراح نكَلَ[2]، فعَاتَب نفسه فشَجُع، فاستُشْهد فدخَلَ الجنة فسُرِّيَ عن قومه

سلمة بن الأكوع

وقال يومئذٍ: خيرُ الفرسان أبو قتَادة، وخيرُ الرَّجال[3] سلَمةُ بن الأكْوع. ولما أخَذَ خالدٌ الرّاية قال صلى الله عليه وسلم: الآن حَمِيَ الوَطيسُ[4]

---

(١) فى الأصل: «فاستشهدوا»

(٢) نَكَلَ الرجُل عن الأمر: جَبُنَ وتخاذَل

(٣) الرّجال: جمع راجل، وهو الذى لا فرس له، فهو يركبُ رجليه فى الجهادِ

(٤) هذه الكلمة لم تُسْمع إلاّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: وذلك يوم حنين، وقيل يوم مؤتة. والوطيس: حفيرة تحتفر فى الأرض فتوقد فيها النّارُ ويصغّر رأسها، ويخرقُ فيها خرق للدخانِ ثم يوضَع فيها اللحم ويُسدّ، ثم يؤتى من الغدِ واللحم غابٌّ لم يحترقْ، ولحمها شواء. وهذه الكلمة من بليغ المجاز فى شدة الحرب وقيامها واحتدامها

دخول رسول الله على أهل جعفر بن أبي طالب

ودخل صلى الله عليه وسلم على أسماء بنتِ عُمَيْسٍ[١] امرأةِ جعفرِ بن أبى طالب فقال : يا أسماء أيْنَ بنُو جعفر ؟ فجاءت بهم إليْه ، فضمّهم إليه وشمّهم ، ثم ذَرَفَتْ عَيْناهُ فبكى ، فقالت : أىْ رسولَ الله لعَلَّه بَلغَك عن جعفر شىء ؟ فقال : نعم ، قتِل اليوم ! فقامت تصيحُ ، واجتمع إليها النِّساء فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أسماء ! لا تَقُولِى هُجْراً[٢] ، ولا تضربِى صدْراً . وخرَج حتى دخَل على ابنَتِه فاطمةَ عليها السلام وهو يقول : وَاعَمّاه ! وقال[٣] : على مِثْل جعفر فَلْتَبْكِ[٤] الباكية ! ثم قال : اصْنعوا لآل جعفرٍ طعامًا ، فقد شُغِلُوا عن أنفسهم اليوْمَ . وقد رُوى أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم لما نَعى لأسماء جعفراً ، مَسَحَ على رأس عبدالله بن جعفر ، وعيناهُ تُهَرَاقان[٥] الدُّموعَ حتى لحيتُه تَقْطُر[٦] ، ثم قال : اللّهم إنَّ جَعْفَراً قد قَدِّم إلىّ أحْسَن الثَّواب ، فاخْلُفْهُ[٧] فى ذُرِّيتِه بأحْسَن مَا خَلَفْتَ أحداً من عبادك فى ذُرِّيته ! ثم قال : يا أسماء ، ألا أُبَشِّرُك ؟ قالت : بَلَى ، بأبى أنْت وأمِّى ! قال : فإنَّ الله جَعَل لجعفر جَنَاحَين يطِيرُ بهما فى الجنّة ! قالت : بأبى وأمّى يا رَسُولَ الله ! فأَعْلِم الناسَ ذلكَ . فقَامَ ، وأخَذَ بيَد عبد الله ابن جَعْفر ، يمْسح بيدَيْه رأْسَ عبد الله حتى رَقىَ المنْبَر ، وأجْلَسَ عبدَ الله أمامَه على الدرجَة السُّفْلى ، والحزْنُ يُعْرَفُ عليه ، فتكلّمَ وقال : إنَّ المرْءَ كثيرٌ بأخيه

خطبته فى أمر جعفر

(١) فى الأصل : « عميش »
(٢) الهُجر : التخليط فى الكلام أو الإفحاش
(٣) فى الأصل : « فقال »
(٤) فى الأصل : « فلتبكى »
(٥) هَرَاق الماء والدَّمع : أراقه وسفحه وصبّه
(٦) فى الأصل : « حتى تقطر لحيته »
(٧) خلفه الله فى ولده : كان خليفةً عليهم . ومن أدب الدعاء أن تقول : « خَلَفَ الله عليك » لمن هلك له من لا يعتاضُ عنه كالأب والأمّ والعم ، وتقول : « أخلفَ الله عليك » ، لمن هلك له ما يعتاضُ منه كالمال والولد والأهل

وابنِ عمّه . ألَا إنّ جعفراً قدِ استشهِد ، وقد جَعَل الله له جناحَيْن يَطِيرُ بهما فى الجنة . ثم نزَل ، ودخل بَيْته ، وأمر بطعامٍ يُصْنَع لآلِ جعفر ، وأرسل إلى أخى عبدِ الله بن جعفر فتغدَّيا عِنْدَه : شعيراً طَحَنَتْه سلْمى خَادِمُه ؛ ثم نَسَفَته[1] ؛ ثم أَنْضَجَتْهُ . وأَدَمَتْهُ بزَيْتٍ[2] ، وجعلت عليه فُلْفُلاً . وأقامَا ثلاثةَ أيامٍ فى بيتِه ، يَدُوران معه فى بيوتِ نِسَائه

غنائم مؤتة

وغَنِم المسلمون بعضَ أمتِعَةٍ بمُؤْتَةَ . وجاء رجُلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاتَمٍ ، فقال : قتلْتُ صاحبَهُ يَومئذٍ ! فنَفَّلَه إيّاه . وقَتل خُزَيْمة بن ثابتٍ يومئذٍ رجلا ، وعليه بَيْضَةٌ فيها ياقوتةٌ ، فأَخَذها وأتى بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فنَفَّلهُ إيّاها ، فباعَها بمائةِ دينارٍ . واستُشْهِدَ بمُؤْتَةَ ثمانيةُ نفَرٍ

غزوة ذات السلاسل وسببها

ثم كانت غزوةُ ذاتِ السَّلاسِل . [ويقال السَّلْسَل] ، وهو ماء وراء وادى القُرَى من المدينة ، [بينه و بين المدينة][3] عشرةُ أيام . وسببها أنَّ جَمْعاً من بَلِيّ وقُضَاعةَ تجمَّعوا لِيَدْنُوا من أطراف المدينةِ ، فعقدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص لواءً أبيضَ ، وجعل معه رايةً سَوْداء ، وبعثه فى جُمادى الآخرة سنة ثمان على ثلاثمائة من سَرَاة[4] المهاجرين والأنصار ، وأمرَه أن يَستعين بمنْ مرَّ به من بلادِ بَلِيّ وعُذْرَة وبَلقَيْن . وذلك أنّ عَمراً كان ذا رَحِمٍ فيهم : كانت أمُّ العاص بن وائل بَلَوِيَّةً ، فأراد عليه السلام يتألَّفَهُم بعمرٍو . فسارَ يَكْمُن النهار ويسيرُ الَّليل — وكانت معه ثلاثون فرساً — حتى دنَا منهم ،

(١) نَسَفَ الحنطة والشعير : نخَلَه وغربله ونَفَضَه حتى تذهب نسافتُه وقشرُه
(٢) أدَمَته بزيت : خلطته به فجعلته إداماً
(٣) زيادة للسياق
(٤) سَرَاة القوم : أصحابُ الشرف والمروءة منهم ، وأحدهم سرِى ، وجمعه بفتح السين غير قياسىّ

فنزل على ماء بأرضِ جُذام[١] يقال له السّلاسِل . وكان شـتاء ، فجمَع أصحابُه الحَطبَ ليصطَلُوا فمنَعَهم ، فشقّ ذلك عليهم ، حتى كلَّه بعضُ المهاجرين بغِلْظةٍ ، فقال عمرٌو : قد أُمِرْتَ أن تَسمعَ لِي وتُطيع ! قال : أفعلُ

السَّدَد ، واختلاف عمرو وأبي عبيدة على الإمارة

وبعثَ رافعَ بن مَكيثٍ الجُهَنِيَّ يُخْبرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّ للقَومِ جَمعاً كثيراً ويَستمِدُّه ، فبعثَ أبا عُبَيْدةَ بن الجرّاح وعقَد له لواء ، وبعث معه سَراةَ المهاجِرين كأبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، وعدّةً من الأنصار . فسارَ فى مائتين ، وأمرَهُ أنّ يكونا جميعاً ولا يختلِفاَ . فلمّا لَحق بعمرٍو ، وأرادَ أنْ يؤُمَّ الناسَ ويتقدَّم عمراً ، فقال له عمرو : إنما قدِمْتَ مَدَداً لِي ، وليْسَ لكَ أن تؤُمَّني ، وأنا الأميرُ ! فقال المهاجرون : كلا ! بَلْ أنتَ أميرُ أصحابك ، وهو أميرُ أصحابه . فقال : لا ! أنتم مَدَدٌ لنَا . فقال أبو عُبَيْدة — وكان حسَنَ الخُلُق — أنظُرَنْ يا عمرو ! تعلَمَنَّ أنّ آخرَ ما عهدَ إليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ قال : إذا قَدِمْتَ على صاحبك فتطاوعا ولا تَخْتلِفاَ ، و إنَّك واللهِ إن عصَيْتَنى لأُطيعنَّك ! فكان عمرو يصلّي بالناس . وسارَ — وقد صارَ فى خمسمائة — حتى وَطِئَ بلادَ بَلِيّ ودَوَّخَها ، وكلّما أُنتهى إلى موضِـعٍ ، بَلَغه أنَّه قد كان به جَمْعٌ فلمّا سَمِعوا به تفرّقوا ، حتى أُنتهى إلى أقْصى بلادِ بَلِيّ وعُذْرةَ وبَلقَيْن . ولقِيَ فى آخر ذلك جَمْعاً ، فقاتلهمْ ساعةً وهزمهمْ . وأقامَ أيّاماً يَبُثُّ سَراياهُ ، فيُؤْتَى بالشّـاء والنَّعَم ، فيَنْحَرون ويذبَحون . ولم يكُنْ فى ذلك أكثرُ من هذا ، ولم تكنْ غَنائمُ تُقْسَم

خبر صاحب الجزور

وخرَج عَوْفُ بن مالك الأشْجَعِيُّ يوماً فى العسكَرِ ، فمرّ بقَومٍ[٢] قد

(١) فى الأصل : « خدام »
(٢) فى الأصل : « فمن يقوم »

عجزوا عن نَحْرِ جزورِهم وعمَلها ، فقال : أتعطونى عليها وأقسمُها بينكم ؟ فجعلوا له عَشِيراً منها ، فنحرها ، وجَزّأها بينهم ، وأخذ جُزْءَهُ وأتى به أصحابَه ، فطبخوه وأكلوهُ . فلمّا فرغوا ، قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : من أيْنَ لك هـذا اللّحم ؟ فأخبرَهما . فقالا : والله مَا أحسنْتَ حين أطْعمتَنا هذا ! ثم قامَا يتقيّآن ، وفعل ذلك الجيشُ . وقال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما لعوفٍ: تعجّلْتَ أُخرَى ! ثم أتى أبا عبيدة رضى الله عنه ، فقال له مثل ذلك

صلاة عمرو بالناس بغير غُسْل

واحتلمَ عمرُو بن العاص رضى الله عنه فى ليلةٍ باردةٍ كأشـدِّ ما يكون من البرْد فقال لأصحابه : ما ترَوْن ؟ قدْ واللهِ احتلَمْتُ ، وإن اغْتسَلْتُ مِتُّ ! فدعا بمـاء فتوَضّأ وغَسَل فَرْجَه وتيمّم ، ثم قام فصلَّى بهـمْ . وبعثَ عوفَ بن مالك بَرِيداً[1] ، فقدِمَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فسلَّم عليه ، فقال : عوْفُ ابن مالك ؟ قال : عَوْفُ بن مالكٍ يا رسولَ الله ! قال : صاحبُ الجَزُور ! قال نعم ! قال : أخبرْنِى ! فأخـبره بمَسيرِهم ، وما كانَ بين أبى عبيدة وبين عَمْرو ، ومُطاوَعةِ أبِي عُبَيْدة ! ثم أخبره أنَّ عمرًا صلّى وهو جُنُبٌ ومعهُ ماء ، لم يَزِدْ على أنْ غَسل وَجْهَه بمـاء وتيَمّمَ . فلما قَدِم عمرٌو وسألهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن صلاتِه قال[2] : والذى بَعثَك بالحقِّ لو اغتسلتُ لَمِتُّ ، ولم أجِدْ قطُّ بَرْداً مثـلَه ، وقد قالَ الله : « وَلا تقْتلُوا أنفُسَكم إنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحِيمًا » (النساء : ٢٩) ، فضحِكَ صلى الله عليه وسلم ولم يَقُلْ شيئاً

سريّةُ الخَبَط

ثم كانت سريّةُ الخَبَطِ[3] أميرُها أبو عُبيدة عامرُ بن الجرّاح ، [وقيلَ :

(١) البَرِيدُ : الرَّسُول ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا أبْرَدْتمْ إلىَّ بَرِيداً فاجعلوهُ حَسَنَ الوَجْـهِ حَسَنَ الاسمِ »

(٢) فى الأصل : « فقال »

(٣) الخَـبَط : ورقُ العضاه من الطَّلْح ونحوه من الشجر يُخْبَـطُ بالعصا (يضربُ) فيتناثر ، والورق الساقطُ هو الخَبَـطُ . وكانت تعلّفه الإبلُ

عبدُ الله بن عامر بن الجرّاح] (١) ، والصحيح : عامرُ بن عبد الله بن الجرّاح بن هِلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارثِ بن فِهْرِ بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة القرشيُّ الفِهْرِيُّ . بعثَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى رجَب على ثلاثمائةٍ — إلى حىٍّ من جُهَيْنة ، بالقَبَليَّةِ مما يَلِى ساحل البحرِ ، على خمس ليالٍ من المدينة . فأصابهم جوعٌ شديدٌ ، فجمعوا زادَهم حتى إنْ كانوا لَيَقْتَسِمُونَ (٢) التَّمرةَ ، ولم يكنْ معهم حَمولةٌ (٣) ، إنما كانوا على أقْدامِهم ، وأباعِرُ يحملون عليها زادَهم . فأكلوا الخَبَطَ ، حتى ما كادُوا (٤) أن تكون بهم حركةٌ إليه . فابتاعَ قَيْس ابن سعد بن عُبادَةَ خمسَ جزائرَ ، كلُّ جَزُورٍ بوَسْقَيْنِ من تمرٍ : يقومُ بها إذا رَجَع ، ونَحَرها — كلَّ يوم جزوراً — للقوم ، مدَّةَ ثلاثةِ أيامٍ ، حتى وَجَدُوا حُوتاً يقالُ له العَنبرُ قد ألْقاهُ البَحر ، فأكلوا منه اثنتَىْ عشرة ليلةً . ثم أمر أبو عبيدة بضِلَعٍ من أضْلاعه فنُصِبَتْ ، ومرَّتْ تحتها راحلةٌ برَحْلِها فلم تُصِبْها ، وكان يَجْلِسُ فى مَأْقِ (٥) عيْنِ الحوتِ الجماعةُ من النَّاسِ

سرية أبى قتادة إلى خُضْرة

ثم كانت سريَّةُ أبى قتادةَ بن رِبعىٍّ الأنصارىِّ إلى خُضْرَة ، وهى أرضُ مُحارِبٍ بنجْدٍ (٦) ، أميرها أبو قتادة الأنصارىّ ، [بعثَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم] (٧) فى شعبان منها — فى خمسة عشر رجلا إلى غَطَفان نحو نجدٍ . فساروا

(١) وهذه الجملة التى بين القوسين مكررة فى الأصل

(٢) فى الأصل : « ليقتسموا »

(٣) الحمولة : ما يحتمِلُ عليه الناسُ من الدوابِّ كالحمير والبغال والإبل . يريد لم يكن لهم زاد أو ميرة يحملونها على دوابّ

(٤) فى الأصل : « حتى ما كاد وأن يكون »

(٥) فى الأصل : « ميق » . والمأقُ : حرفُ العين الذى يلى الأنف . والذى يلى الصدغَ والأذن يقال له : اللَّحاظُ

(٦) فى الأصل : « ثم كانت خُضْرة أرض محارب سرية أبى قتادة بنجد »

(٧) زيادة لسياق الكلام

ليلا وكَمَنُوا نهاراً ؛ حتى أتَوْا ناحيتَهُمْ ، فهجموا على حاضر منهم[1] عظيم ، وجَرَّدوا سيوفهم وكَبَّرُوا ، فقتلوا رجالا ، واستاقُوا النَّعَم ، وحملُوا النساء ، حتى قَدِموا بمائتى بعير ، وألف شاة ، وسَبْيٍ كثيرٍ ، فعزَلوا من ذلك الخُمُس . وقد غابُوا خمس عشرة ليلةً . وكانتْ سُهمانُهم اثنى عشرَ بعيراً ، أو عَدْلَها عن البعيرِ عشرة من الغَنَم

سرية أبي قتادة إلى بطن إضَم

ثم كانتْ سريّةُ أبى قَتَادة بن رِبْعِيٍّ الأنصاريِّ إلى بَطْن إِضَم — وهى فيما بين ذِى خُشُبٍ وَذِى المَرْوَة ، على ثلاثة بُرُدٍ من المدينة — فى رمضان ، على ثمانية أنْفُسٍ . وذلك حين هَمَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بغَزْوَة الفَتْح ، ليَظُنَّ ظانٌّ أنه عليه السلام تَوَجَّه إلى تلك النَّاحية ، ولأَنْ تَذْهَب بذلك الأَخْبَارُ .

قتل المسلم

فلقِيَهُم عامرُ بن الأَضْبَط الأشْجَعى ، فسَلَّمَ عليهم بتحيَّةِ الإسلام ، فبَدَر إليه[2] مُحَلِّمُ بن جَثَّامة اللَّيْثِيُّ فقتَله ، وأخَذ بعيره وسلَبَهُ . ثم لَحِقُوا برَسُولِ الله وقد علِموا مَسيرَه ، فأدركُوهُ بالسُّقْيا ولم يَلْقَوْا جَمْعاً

ما نزل فيه من القرآن

وفيهم نَزَل قولُه تعالَى : « يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ، كَذَٰلِكَ كُنتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ، إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » (النساء : ٩٤)[3]

الاختلاف فى سبب نزول الآية

وقال ابْنُ عبد البَرّ : والاختلاف فى المراد بهذه الآية كثير مُضطَرِبٌ جدًّا ، قِيلَ : نَزَلتْ فى المِقْداد ، وقيل : نَزَلت فى أُسَامة بن زَيْد ، وقيل : فى محلِّم بن جَثَّامة . وقال ابن عباس : نَزَلت فى سَرِيَّةٍ ؛ ولم يُسَمِّ أحداً . وقيل : نَزلت

---

(١) فى الأصل : « على حاضرتهم عظيم » . والحاضرُ : الحىّ يقيمون على ماء عِدّ

(٢) بدر إليه : سبق إليه وسارَعَ

(٣) فى الأصل : « ... الحياة الدنيا ، الآية »

فى غالب الليثى من بنى ليث ، يقال له فُلَيْت ، كان على السَّرِيَّة [١] ، وقيل : نَزَلت فى أبى الدَّرْداء . وهذا اضطرابٌ شديدٌ جدًّا

غزوة الفتح وسببها

ثم كانت غَزْوَةُ الفَتْح . وسببها أنَّ أَنَسَ بن زُنَيْم الدِّيلِيَّ هَجَا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فسمِعَه غلامٌ من خُزَاعة فضَرَبه شَجَّه ؛ فثار الشَّرُّ بين بنى بكر [حِلفِ قُرَيش] ، و بين خُزَاعة [حِلف رسولِ الله صلى الله عليه وسلم] . فلما دخل شعبانُ على رأسِ اثنين وعشرِين شهراً من صُلح الحُدَيْبِية — [وقال ابن إسحاق : فمَكثُوا فى تلك الهُدْنَةِ نحو السَّبعة عشر أو الثمانية عشر شهراً] — كلَّمتْ بنو نُفَاثَةَ من بنى الدِّيلِ أشرافَ قُرَيْشٍ أن يعينوها بالرِّجال والسِّلاح على خُزاعة ؛ فأَمَدُّوهمُ بذلك . وخرَج إليهم صفْوانُ بن أُمَية ، ومِكْرز بن حَفْص بن الأَخْيف [٢] ، وحُوَيطب بن عبد العزّى ، وشَيْبَة بن عُثمان ، وسهيْل بن عمرو [٣] ، وأَجْلبوا معهم أرِقَّاءهم فبيَّتوا — مع بنى بَكْرٍ ، ورأْسهم نَوْفَل بن مُعاوية الدُّؤَلِيّ — خُزاعةَ ليلاً وهم آمنون ، فقتلوا منهم ثلاثةً وعشرين رجُلا . وذلك على ماءيقال له الوَتِيرُ قريبٍ من مكة ، وعامَّتهم نساء وصِبْيان وضَعَفَةُ الرِّجال ، حتى أدخلوهم

---

(١) فُلَيْت ، ويقال أيضاً ، قُلَيْب . قال ابن حجر فى الإصابة ما نصه : « ووقع ذكره فى تفسير محمد بن سعيد العوفى ، عن أبيه ، عن عمِّه ، عن أبيه ، عن جدِّه عطيَّة بن سعد ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : «ولا تقولوا لمن ألْقى إليكمُ السَّلامَ لستَ مُؤمناً» وهو رجُل اسمه مرداس خلَّى قومه هاربين من خيل بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رجل من بنى ليث يقالُ له قُلَيْب . واستدركه أبو موسى على ابن منده ، وابن فتحون على الاستيعاب [لابن عبد البر] ، لكن ذكره أبو موسى بقاف أوله ، وموحدة آخره ، وابن فتحون بفاء أوله ، ومثنَّاة آخره . والذى يظهر أن كلا منهما تصحيف ، وإنما هو غالب الليثى كما تقدَّم فى ترجمته » . انتهى كلام ابن حجر فى الإصابة ، وانظر ص (٣٣٤) من هذا الكتاب ، فى خبر غالب بن عبد الله الليثىّ

(٢) فى الأصل : « الأحيف »

(٣) قال ابن سعد ج ٢ ص ٩٧ ، إنهم خرجوا «متنكّرين متنقّبين» . وذلك خوفَ أن يبلغ رسول الله أنهم نقضوا العَهْد والمدّة

دارَ بُدَيْل بن وَرْقاء ، وقيل حتى انتهَوْا بهم إلى أنصابِ الحَرَمِ[(١)]

ندم قريش على نقض العهد

وندِمَت قريشٌ ، وعرفوا أنَّ هـذا الذى صنعوا نَقضٌ[(٢)] للمدَّةِ والعهد الذى بينهم و بيْن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاء الحارثُ بن هشام وجماعةٌ إلى صَفوان بن أُمَيَّة ومَن كان معه فَلاموهم ، وقالوا لأبى سُفْيان بن حرْب : هذا أمرٌ لا بُدَّ له من أنْ يُصلَح . فأتَّفقوا على مَسيره إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ليَزيد فى الهُدْنَةِ ، ويُجدِّدَ العَهدَ ، فخرج لذلك . وقد سار عَمرو بن سالمِ بن حُصَيْرة بن سالم الخُزَاعِىّ فى أربعين راكباً ، من خُزاعة ، حتى دخلَ المسجدَ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ فى أصحابه ، فقامَ ينْشِد شعراً ، وأخْبره الخبَرَ واستَصْرَخَه[(٣)] ، فقام صلى الله عليه وسلم وهو يَجُرُّ ثَوْبه ويقولُ : لا نُصِرْتُ إن لم أَنْصُر بَنى كعب مِمَّا أَنْصُرُ منه نفْسى !

قدوم أبى سفيان إلى المدينة

وقدم أبو سُفْيان فقال : يا محمَّد ! إنِّى كُنْت غائباً فى صُلْح الحُدَيْبية ، فاشْدُدِ العهد وزِدْنا فى المدَّة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولذلك قَدِمْتَ يا أَبَا سفْيان ؟ قال : نعم ! قال : هل كان قِبَلَكم حَدَثٌ ؟ قال : مَعاذَ الله ! قال : فنحنُ على مُدَّتنا وصُلْحِنا يوم الحُدَيبية ، لا نُغيِّر ولا نُبَدِّل

خبر أبى سفيان فى دار أم المؤمنين ابنتـه

ثم قام أبو سفيان فدخَل على ٱبنَته أُمِّ حَبِيبَة[(٤)] رضى الله عنها ، فلما ذَهَب ليَجْلسَ على فراشِ رسول الله صلى الله عليه وسلم طوَتْه دُونه ، وقالت : أَنْت امرُؤٌ نَجَسٌ مُشْرِكٌ ! فقال : يا بُنَيَّة ! لقد أَصَابك بعدى شرٌّ ! قالت : هَدَانى اللهُ للإسْلام ، وأنتَ يا أَبَتِ سَيِّد قرَيْش وكبيرُها ، كيف يسقط عنكَ دخُولُك

---

(١) أنصابُ الحَرَم : حدُوده التى تفصِلُ بين الحِلِّ والحَرَم

(٢) فى الأصل : « نقضاً »

(٣) استصرخه : استغاثه واستنصرَه

(٤) أمّ المؤمنين زوج نبى الله صلى الله عليه وسلم

فى الإسلام ؟ وأنتَ تعبُد حَجراً لا يَسْمَع ولا يبْصر ! ! قال : يا عجَباهُ ! وهـذا منكِ أيضاً ! أأَتْرُكُ ما كان يعْبدُ آبائى ، وأتبع دينَ محمّدٍ ! ؟

مناشدة أبى سفيان لـكبار أصحاب رسول الله

ثم خرج فلقىَ أبا بكرٍ رضى الله عنه فكلَّمه ، وقال : تُكلّمُ محمداً ، أوْ تُجير،(١) أنتَ بين الناس ! فقال : جِوَارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم لقى عُمَر رضى الله عنه فكلَّمه بمثل ما كلَّمَ به أبا بكر فقال [عُمر](٢) : والله لوْ وَجَدت الذَّرّ(٣) تُقَاتلـكم لأَعَنْتها عَلَيكم ! فقال [أبو سفيان](٢) : جُزِيتَ من ذِى رَحِمٍ شرًّا . ثم دخل على عُثْمان رضى الله عنه فقال : إنه لَيْس فى القوم أحَدٌ أقربَ بى رَحِماً مِنْك ، فزِدْ فى الهدْنة وجدِّد العهْد ، فإن صاحبَك لن يرُدَّه عليك أبداً ! قال : جِوَارى من جِوَار رسول الله ! فدَخَل على فاطمةَ وكلَّمها فى أن تُجيرَ بين الناس ، فقالت : إنما أنَا امرأةٌ ! قال : مُرِى أحدَ ابْنَيْك يُجِيرُ بين الناس ! قالت : إنما هما صَبِيَّان ! ولَيس مِثلُهما يُجِيرُ

مناشدته عليًّا ومشورة علىّ

فأتى علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : يا أبا حسَن ! أجِرْ بين الناس أوْتـكلِّمُ محمداً يزِيدُ فى المدَّة ! فقال : وَيْحَكَ يا أباسفْيان ! إن رسول الله قد عزَم أن لا يفْعَل ، وليس أحدٌ يستطيع أنْ يكلمه فى شىء يكرهُه . قال : فما الرَّأى ؟ يَسِّرْنى(٤) لأمرى ، فإنه قد ضَاقَ علىَّ ، فمُرْنى بأمرٍ تَرَى أنه نافعى . قال : وَالله ما أَجِدُ لك شيئاً أَمْثَلَ من أن تقومَ فتُجِير بين الناس ، فإنك سَيِّد كِنَانة . قال : تُرَى ذلك مُغْنِياً عنى شيئاً ؟ قال : لا أظُنُّ ذلك والله ، ولـكنى لا أجد لك غيْرَه . فقام أبو سفيان بين ظَهْرَىِ الناس فصاح : ألا إنى قد أجَرْتُ بين النـاس ، ولا

(١) فى الأصل : « وتجير »
(٢) زيادة للبيان
(٣) الذرّ : النمل الأحمر الصغيرُ
(٤) فى الأصل : « يمرنى »

أظنُّ محمداً يُخْفِرُنى ! ثم دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ! ما أظنُّ أن تردَّ جوارى ! فقال : أنتَ تقولُ ذَلك يا أبا سفيان ! ! ثم جاء لسعد ابن عُبادة فقال : يا أبا ثابتٍ ، قد عرفتَ الذى كان بيْنى و بينك ، وأنى كنتُ لك فى قَوْمِنا جاراً ، وكنتَ لى بيَثْرِب مثل ذلك ، وأنت سيِّد هذه البَحْرة[1] ، فأَجِرْ بين الناس وزِدْ فى المُدَّة . فقال : يا أبا سفيان ! جِوارِى فى جوار رسول الله ، ما يُجير أحدٌ على رسول الله !

ويقال : خرَج أبو سُفيان على أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم : أنت تقولُ ذلك يا أبا سفيان !! ويقال : لما صَاح لم يقْرَبِ النبىّ عليه السلام ، ورَكب راحِلته وانطلق إلى مكة

مرجع أبى سفيان إلى مكة وما قيل له

وكانت قد طالتْ غَيْبَتُه ، واُتُّهمته قريش أنه قد أسْلَمَ . فلما دخل على هِنْدٍ ليلا قالت : لقد حَبَسْت حتى أُتُّهمك قومُك ! فإن كنتَ مع طولِ الإقامة جئتهم بنُجْحٍ ، فأنتَ الرّجل! ثم دَنَا منها فجلَس منها مَجْلِس الرّجل من امرأته ، فجعلت تقول : ما صنعتَ ؟ فأخبرَها الخبرَ وقال : لم أَجِد إلّا ما قال لِى علىّ ! فضرَبت برِجليها فى صـدْره ، وقالت : قُبِّحْت من رَسُول قَوْمٍ ! وأصبَح فحلَق رأْسه عند إسافٍ ونَائِلَةَ[2] ، وذَبح لهما ، ومَسح بالدم رؤوسهما ، وقال : لا أُفارق عبادتكما حتى أموت على ما ماتَ عليه أبى

وقالت له قريشٌ : ما وراءك ؟ هَلْ جِئْتَنا بكتابٍ من محمدٍ ، أو زيادةٍ فى مُدَّةٍ أماناً من أن يغزُوَنا ؟ فقال : والله لقد أَبَى علىّ ، ولقد كلمت أصحابه عليه فما قَدَرتُ على شىء منهم ، إلا أنهم يرمُونى بكلمةٍ وَاحدة . إلّا أن عليًّا قد قال —

(١) البَحْرة : البلدة
(٢) صنمان من أصنام المشركين كانا بمكة

لما ضاقت بى الأُمور — : أنت سيد كِنانة ، فأجِرْ بين الناس ! فناديتُ بالجوار ، ثم دخلتُ على محمد فقلتُ : إنى قد أجرتُ بين الناس ، وما أظنّ أن تردّ جوارى ! فقال : أنت تقول ذلك يا أبا سفْيان ! ! لم يزدنى على ذلك . قالوا : ما زاد على أن تَلَعَّب بك تَلَعُّباً !! قال : والله ما وَجدتُ غيرَ ذلك

جهاز رسول الله للفتح

ولما وَلَّى أبو سُفيان راجعاً قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعائشةَ رضى الله عنها : جَهِّزينا وأَخْفِى أَمْرَكِ . وقال عليه السلام : اللهمّ خُذْ من قريشٍ الأخبارَ والعُيونَ حتى نَأْتِيَهُم[1] بَغْتَةً .[وفى رواية : اللهم خُذْ عن قُرَيش الأخبارَ والعيونَ حتى نأتيَهم بغتةً . وفى رواية : اللهم خُذْ على أبصارِهم فلا يرَوْنى إلّا بَغتةً ، ولا يَسْمَعون بى إلّا فجأةً]. وأخذ صلى الله عليه وسلم بالأَنْقاب[2] ، وكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يَطُوفُ عليها ويقول : لا تدَعُوا أحداً يَمُرُّ بكم تُنكِرُونه إلّا ردَدْتموه . وكانتِ الأنقاب مُسْلِمةً ، إلّا من سَلك إلى مكة فإنه يُتحَفَّظ به ويُسَاءل عنه

خبر أبى بكر

ودخَل أبو بكر رضى الله عنه على عائشةَ رضى الله عنها وهى تُجَهِّزُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، تَعْمَل قمحاً سَوِيقاً ودَقيقاً ، فقال : يا عائشةُ ! أهَمَّ رسولُ الله يَغزُو ؟ قالت : ما أَدْرِى ! قال : إنْ كان همّ بسفرٍ فآذِنينا[3] نتهيّأْ لهُ . قالت : ما أَدْرِى ! لعلَّه يُرِيد بنى سُلَيم ! لعلَّه يريد ثَقيفاً ! لعلَّه يُريد هَوازن ! فاسْتَعْجَمتْ عليه[4] حتى دخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ! أردتَ سَفراً ؟ قال : نعم ! قال : أَفأَتجهَّزُ ؟ قال : نعم ! قال : فأين تريدُ يا رسول الله ؟

(١) فى الأصل : « تأتيهم »

(٢) الأنقاب جمع نقب : وهو الطريقُ بين الجبلين ، وأنقابُ المدينة طُرُقها التى تفضِى إليها

(٣) آذنه : أعلمه وأخبره

(٤) استعجَم عليه : التوى عليه واستبهم ، فلم يجب سائله بياناً

قال : قريشاً ، وأَخْفِ ذلك يا أبا بكر ! وأمر صلى الله عليه وسلم الناسَ بالجهاز ، وطوى عنهم[1] الوَجْهَ الذى يريدُ . وقال أبو بكر : يا رسولَ الله ! أوليس بيننا وبينهم مدةٌ ؟ قال : إنّهم غَدَرُوا ونقضُوا العهدَ ، فأنا غازيهم ، واُطْوِ ما ذكرْتُ لك ! فظانٌّ يظنُّ أنه يريدُ الشَّأْم ، وظانٌّ يظنُّ ثقيفاً ، وظانٌّ يظنُّ هَوَازِنَ

خبر حاطب بن أبى بلتعة ورسالته إلى قريش

فلما أجمع صلى الله عليه وسلم المسيرَ إلى قُرَيْشٍ وعَلِم بذلك النَّاسُ ، كتب حاطِب بن أبى بَلْتَعَةَ إلى قريش ، يُخْبِرهم بالذى أجمعَ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمرِهم . وكان كِتابُه إلى ثلاثة نفرٍ : صفوان بن أُمَيَّة ، وسُهَيْل ابن عمرو ، وعِكْرِمة بن أبى جَهل ، فيقول فيه : «إنّ رسولَ الله قد أذَّنَ[2] فى النَّاس بالغَزْوِ ، ولا أُرَاهُ يُرِيدُ غيرَكُمْ ، وقد أحْبَبت أن يكونَ لى عِندكم يدٌ بكتابى إليكُمْ» . وأعْطَى الكتابَ إلى امرأةٍ من مُزَيْنَة من أهل العَرْج — [يقال لها كَنُود ، ويقال : سَارَة ، مولاةُ عَمْرو بن صَيْفِيّ بن هاشم بن عبدِ مَناف] — وجَعل لها ديناراً [وقيل : عشرةَ دَنانير] ، عَلَى أَنْ تبلّغَهُ قريشاً ، وقال : أَخْفِيهِ ما اسْتطعْتِ ، ولا تمُرِّى على الطَّريق فإنَّ عليه حَرَساً[3] . فجعلَتْهُ فى رأسها ثم فتَلتْ عليه قُرُونَها[4] ، وسَلكتْ على غيرِ نَقْبٍ[5] ، حتى لَقِيَت الطريقَ بالعقِيقِ . وأتَى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنَع حاطِبٌ ، فبعث عليًّا والزُّبيْر رضى الله عنهما فقال : أدْرِكا امرأةً من مُزَيْنة ، قد كَتَب معها حاطبٌ كتاباً يُحذِّرُ قريشاً . فخرجا ، فأدْرَكاها ، فاستَنْزَلاها ، والْتمَسَاهُ[6] فى

(١) طَوَى عنه الخبر : أخفاهُ وستَرَهُ
(٢) أذَّن : نادى فيهم إعلاماً لهُمْ وإعلاناً ودعاء
(٣) فى الأصل : « محرساً »
(٤) القرون جمع قرن : وهى غدائر المرأة وضفائرها
(٥) سلكت على غير نقب : أى خرجت من المدينة تسلك طرقاً لا يركبها الناس من طرق المدينة التى تسمى الأنقاب ، وانظرها فى ص (٣٦١)
(٦) فى الأصل : « والتماساه »

رحلها فلم يجِـدا[١] شيئاً . فقالا لها : إنَّا نحلفُ بالله ما كُذِبَ رسولُ الله ولا كُذِبْنَا ، ولتُخْرِجِنَّ هٰذا الـكتابَ ! أَوْ لَنَـكْشِفَنَّكِ ! فلما رأتْ منهما الجِدَّ قالت : أَعْرِضَا عَنِّي ! فأعرضَا عنها ، فحَلَّتْ قُرُون رأْسِها ، فاستخرَجت الـكتابَ . فجاءا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فدعا حاطباً فقال : ما حملك على هٰـذا ؟ فقال : يا رسولَ الله ! والله إنى لمؤْمِنٌ بالله ورسولِه ، ماغَيَّرْتُ ولا بَدَّلْتُ ، ولـكنى كنتُ أمرءًا ليسَ لى فى القوْم أصلٌ ولا عشيرَةٌ ، وكان لى بين أظْهُرِهم أَهْـل ووَلَدٌ ، فصانعتُهُمْ . فقال عمر رضى الله عنه : قَاتَلَكَ الله ! ترى رسولَ الله يَأْخُذُ بالأنْقَابِ ، وتـكتُبُ إلى قريش تُحذِّرُهم !! دَعْنِي يا رسولَ الله أَضْرِبْ عُنُقه ، فإنه قد نافَق . فقال : وما يُدْرِيك يا عُمر ؟ لعلَّ الله اطَّلعَ يَوْم بدرٍ على أهـل بدرٍ فقال : أعمَلُوا ما شِئتُم ، فقد غَفرْتُ لكم . وأنزلَ الله فى حاطبٍ : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ، تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ، وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ » (الممتحنة : ١)

ومضتْ سارةُ إلى مكة ، وكانت مُغَنِّيَةً ، فأقبلتْ تَتَغَنَّى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ارتدَّتْ عنِ الإسلام

دعوة المسلمين من القبائل

فلمَّا أَبَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أرسل إلى أهلِ البادية و إلى مَنْ حَوْلَه من المسلمين يقولُ : من كان يؤمن بالله واليومِ الآخر فلْيَحْضُرْ رمضانَ

(١) فى الأصل : « فلم يجد »
(٢) فى الأصل : « ... تلقون إليهم بالمودَّة ، الآية »

بالمدينة . وبَعَثَ رُسُلا فى كلّ ناحية حتى قَدِموا . فقدِمَتْ أَسْلمُ ، وغِفَارُ ، ومُزَيْنةُ ، وجُهَيْنة ، وأَشْجعُ ، المدينةَ ، وأَتَتْ بنو سُلَيْم بقُدَيْد . وعَسْكر ببئر أبى عِنَبة ، وعقد الأَلْوِية والرّايات

عدة المسلمين

وكان المهاجرون سبعمائة ، ومعهم ثلاثمائة فَرَس ؛ وكانت الأنصارُ أربعةَ آلاف ، ومعهم خمسمائة فرس ؛ وكانت مُزَينة ألفاً ، فيها مائة فرس ومائة دِرْعٍ ؛ وكانت أسْلم أربعمائة ، فيها ثلاثون فرساً ؛ وكانت جُهَينة ثمانمائة ، معها خمسون فرساً ؛ وكانت بنو كَعب بن عمرو خمسمائة . ويُقال : لم يَعْقِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الألويةَ والرّاياتِ حتى انتهى إلى قُدَيدٍ

الخروج إلى الفتح

وخرَجَ يومَ الأربعاء لعشر خَلَوْن من رمضان بعد العصر . وروَى أبو خَليفة الفَضْل بن الحُبَاب ، من حديث شُعْبة ، عن قَتَادة ، عن أبى نَضْرَة ، عن أبى سَعيد الخُدْرىّ ، قال : خَرَجْنا مع رسولِ الله حين فَتْح مكةَ لسبع عشرة أو تسع عشرة بَقِينَ من رمضان ؛ الحديث . ورواه سَعِيد[1] بن أبى عَرُوبةَ ، عن قَتَادة بإسناده ، فقال فيه : خَرَجْنا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لثِنْتَى عشرة . وقال هِشامٌ عن قتادةَ فيه بإسناده : لثمان عشرة . وعن عطيَّة بن قيس ، عن قَزَعَة[2] ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، قال : آذَنَنا[3] رسولُ الله بالرَّحيل عامَ الفَتح لليلتين خَلَتا من رمضان ، الحديث

مسير المسلمين

وخرج المسلمون وقادُوا الخيول ، وامْتَطَوُا الإبل . وكانوا عشرة آلاف رجل ، وقال الحاكم : اثنا عشر ألفاً . وقدَّم صلى الله عليه وسلم أمَامَه الزُّبَير بن

(١) فى الأصل : « سعد »
(٢) هذا هو « قزعة بن يحيى » أبو الغادية البصرى ، مولى زياد بن أبى سفيان
(٣) فى الأصل : « آذنا » ، آذنه : أعلمه وأعلنه ودعاهُ

العَوَّام رضى الله عنه فى مائتين ، فلمّا كان بالبَيْداء قال : إنى لأرَى (١) السَّحَابَ يَسْتَهِلُّ (٢) بنصْر بنى كعب . ولمّا خرجَ من المدينةِ نادى مُنَادِيه : مَنْ أَحَبَّ أن يَصُوم فلْيَصُمْ ، ومن أحَبَّ أن يُفطِر فَلْيُفْطِرْ . وصامَ هو ، حتى [إذا] (٣) كان بالعَرْج صَبَّ على رأْسِه وَوَجْهه الماء من العَطَش . فلمّا كان بالكَدِيد — بين الظُّهْر والعصر أخَذَ إناءً من ماء فى يده حتى رآه المسلمونَ ، ثم أفْطَرَ تلك الساعة ، ويقال كان فِطْرُه يومئذٍ بعد العصر . وبلغَه أنّ قوماً صَامُوا ، فقال : أولئك العُصَاة ! وقال بمَرِّ الظَّهْرَان : إنكم مُصَبِّحُو (٤) عَدُوِّكم ، والفِطرُ أقْوَى لكم

منزل رسول الله بالعَرْج

فلما نزَل العَرْجَ — والناسُ لا يدرون أيْنَ يَتَوجَّه (٥) ! أإلى قُرَيش ، أو إلى هَوازن ، أو إلى ثَقِيفٍ ؟ وأحبُّوا أنْ يَعْلَموا — أتَى (٦) كعب بن مالك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — وقد جَلَس فى أصحابه ، وهو يَتَحَدَّث — ليعلمَ ذلك ، فأنشده شعراً ، فتبسَّم ولم يَزِدْ على ذلك . فلمّا نزل بقُدَيد قيل : هَلْ لَكَ يا رسولَ الله فى بِيضِ النِّساء وأُدْمِ الإبل ؟ فقال : إنَّ الله حرَّمهم علىَّ بِصِلة الرَّحِم ، ووَكْزِهم فى لَبَّات الإبل . [وفى رواية : [إنَّ] (٧) الله حرَّمهم علىَّ بِبِرِّ الوالدِ ووكْزِهم فى لبَّات الإبل] . وجاء عُيَيْنةُ بن حِصْن بالعَرْج وسارَ (٨) .

وكان الأقْرَعُ بن حابس قد وَافَى بالسُّقْيا فى عشرة من قومه . فلمّا عَقَد صلى الله

(١) فى الأصل : « لا أرى »
(٢) استهلَّ السَّحابُ : إذا أشرقَ قبل أوَّل المطر ، ثم انصبَّ بمائه
(٣) زيادة للسياق
(٤) فى الأصل : « مصبّحوا »
(٥) فى الأصل : «توجه »
(٦) فى الأصل : « فأتى »
(٧) زيادة للسياق
(٨) يريد أنه جاء مُسْلِماً

عليه وسلم الألويةَ بقُدَيد ، نَدِم عُيَيْنة ألاَّ يكون قَدِم بقَوْمِه [(١)]

خبر الكلبة

ونَظَر عليه السلام بعد مَسيره من العَرْج إلى كَلْبة تَهِرُّ [(٢)] على أولادِها ، وهُن حولها يرْضَعْنَها ، فأمر جُعَيْل بن سُرَاقة أنْ يقومَ حِذاءَها ، لا يَعْرِضْ لها أحدٌ من الجَيش ولا لأوْلادها

الطلائع

وقَدَّم من العَرْج جريدةً من خيْل [(٣)] طليعةً ، فأتَوْا بعَيْنٍ من هَوازِن ، فسأله عنهم فقال : تركتُهم ببِقْعاء قد جَمَّعوا الجُمُوعَ وأَجْلَبُوا العرب ، وبَعَثوا إلى ثقيفٍ فأجابتهم ، فتركتُ ثَقيفاً قد جَمَّعوا الجُمُوع ، وبعثوا إلى جَرَش [(٤)] فى عَمَل الدَّبّابات [(٥)] والمَنْجنيق ، وهم سائرون إلى هوازِن فيكونون جميعاً . فقال [رسول الله صلى الله عليه وسلم] [(٦)] : وإلى مَن جَعَلوا أمرهم ؟ قال : إلى مالك بن عَوْف . قالَ : وكلُّ هوازنَ قد أجاب ؟ قال : أبْطَأ من بنى عامرٍ كعبٌ وكلابٌ ؛ وقد مَرَرْتُ بمكة فرأيتُهم ساخطين لما جاء به أبو سُفيان ، وهم خائفون . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : حَسْبُنا الله ونعم الوكيل ، ما أُراه إلاَّ صَدَقَنى ! وأمر خالدَ بن الوليد فحبَسه حتى دخل مكة وفتَحها فأَسْلم ، وشهد هوازنَ فقُتل بأَوْطاس

(١) وندمه من أجل حبّه أن يعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء على قومه

(٢) هَرَّت الكلبة على ولدها : نبحتْ وكشرتْ عن أنيابهـا ، تذبّ عن أولادها وتدافع

(٣) فى الأصل : « من خيل جديدة » . والجريدة : الطائفة من الفرسان ليس فيها رجّالة

(٤) جرش : مدينة — كانت — فى أرض البلقاء وحوران من عمل دمشق ، وكانت إذ ذاك فى يد الروم ، وفتحها شُرَحبيلُ بن حسنة فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(٥) فى الأصل : « الدباب » ، والدبّابة : كانت على عهدهم آلة تُتّخذ من جلود وخشب يدخُل فيها الرجَالُ ، ثم يقربونها من الحصن المحاصَر ، ثم تدفَعُ فى أصل الحصن — والرجالُ فى جوفها — لينقبُوه ، وتقيهم ما يُرْمون به من فوقهم . وسميت كذلك لأنها تدبّ دبيباً

(٦) زيادة للبيان

أبو سفيان بن الحارث وإسلامه

وقَدِم بالأَبْواء أبو سُفْيان بن الحارث بن عبدِ المطَّلب يريد الإسلام ، بعد ما عادَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عشرين سنةً وهَجاه ، ولم يَتخلَّفْ عن قتاله . فلمّا طلَع صلى الله عليه وسلّم فى مَوْكبِه وقفَ تِلْقاء وَجهه ، فأَعرَض عنه ، فتحَرَّكَ إلى ناحيته ، فأَعرَض عنه مِراراً ، وأعرَض عنه النَّاس وتجَهَّموا له ، فجلَس على بابِ مَنزِل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يُلازِمُه حتى فَتح مكة ، وهُو لا يكلِّمه ولا أحدٌ من المسلمين . فلما كان يومُ هَوازِن ، ثبَت فيمَنْ ثبَت مع رسولِ الله ، وأخذَ العبّاس رضى الله عنه بِلِجام بَغْلتِه ، وأخذَ أبو سفيان بالجانب الآخر[1] ، فقال : مَن هذا ؟ فقال العباس : يا رسول الله ! أخوك وابْنُ عمِّك أبو سُفيان بن الحارث[2] ! فارضَ عنـه ، أىْ رسولَ الله ! قال : قد فَعلْتُ ، فغفَر الله له كلَّ عَداوةٍ عادانيها . فقبّل أبو سفيان رِجلَه فى الرِّكاب . فالتفَتَ عليه السلام إليه ، فقال : أخى لَعمْرِى ! ! ويقال إنَّه جاء هُو وعبدُ الله ابن أبى أُمَيّة — أخو أُمِّ سَلَمة — إلى نِيقِ العِقَاب فطردهُما ، فشفَعَت فيهما أُمُّ سَلَمة ، وأبلغَتْه عنهما ما رقَّقَه عليهما ، فقَبِلَهما

العباس ابن عبد المطلب ومخزمة بن نوفل

وقدِمَ العبّاس بن عبد المطّلب ومَخْرَمةُ بن نوْفل ، بالسُّـقْيا . وقيل : بل قَدِمَ العبّاس بذى الحُلَيْفَة — وقيل بالجُحْفَة — فأسلَمَ ، وبعَث ثَقَلَه[3] إلى المدينة . ومَضَى مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأقامَ معه ، ولم يخرُج من عنده حتى راحَ عليه السلام . وكان يَنزِل معه فى كلِّ منزِلٍ حتى دخل مكة

رُؤيا أبى بكر

ورأى أبو بكرٍ الصِّدِّيق رضى اللهُ عنـه — فى اللَّيلةِ التى أصبح فيها بالجُحْفَة — أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لمّا دنَوْا من مكة ، خرجتْ عليهم

(١) فى الأصل : « بالجناب »
(٢) مضى فى ص (٥) أنه ابن عمه وأخوه من الرضاعة ، من قِبَل حليمة السعدية
(٣) الثَّـقَـلُ متاعُ المسافر وحَشَـمُه

كلْبة تَهِرُّ ، فلمّا دَنَوْا منها استلقَتْ على ظهْرِها ، فإذا أطْباؤُها تَشْخَبُ لبناً[١] . فذكَرها أبو بكرٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذهَب كَلَبُهم ، وأقبل دَرُّهم[٢] . هُم سائِلوكم بأرحامِكم ! وأنتم لاقُون بَعْضَهم ، فإن لَقيتم أبا سُفْيان فلا تقْتُلوه

منزل المسلمين بقديد

فلما نزَل عليه السلام قُدَيْداً لقِيَتْه سُلَيْم — وهم تسعمائة على الخُيول جميعاً ، مع كلِّ رجُلٍ رُمْحُه وسِلاحُه ، ويقال إنهم ألْفٌ — فجعَلهم مُقَدِّمَتَه مع خالدِ ابن الوَليدِ رضى الله عنه . وأجتمع المسلمون بمَرِّ الظَّهْران ، ولم يبلُغْ قريشاً حرْفٌ واحد من مَسيرِهم . فأمرَ صلى الله عليه وسلم المسلمينَ أن يوقِدوا النِّيرانَ ، فأوقدوا عشرة آلاف نارٍ ، وأمرَ بالأجْراس أن تُقطَع من أعناق الإبل لياليَ فتحِ مكة ، وفي غزْوَةِ بَدْر

بعثة قريش أبا سفيان يتجسَّس

وبعثَت قريشٌ أبا سُفْيان يَتَجسَّسُ الأخبارَ ، وإن لقِيَ محمداً يأخُذ لهم منه جِواراً ، فإن رأى رِقَّةً من أصحابه آذَنهُ بالحَرْب . فخرج ومعه حكيمُ بن حِزام وبُدَيل بن وَرْقاء ، فرأَوْا الأبْنيَة والعسكرَ والنيرانَ بمرِّ الظَّهْران ، وسمعوا صَهيل الخيلِ ورُغاء الإبِلِ ، فأفزعَهُم ذلك فزَعاً شديداً وقالوا : هؤلاء بنو كَعب جَاشَتْها الحربُ[٣] ! فقال بُدَيْل : هؤلاء أكثر من بني كعب ! قالوا : فتَنَجَّعَت[٤]

(١) الأطباء جمع طُبْي : حلمات الضرع التي فيها اللبن من ذوات الخف والظلف والحافر والسباع ، وهو كالثدى للمرأة ، إلا أنه حلمة . شخب الثدىُ يشخَبُ : تفجر لبنُه وسَالَ

(٢) الكَلَب : داء شبهُ الجنون ، وسُعَار يأخذُ الكلابَ فتنبح وتَعَض ، فإذا عضَّت إنساناً أصابَهُ مثلُ ذلك . وهذا كناية عَنْ عنادِ قريش وجُنُونها وإرْصادها العداوة لرسول الله بالأحقاد والأضغان والغمر . والدر : اللبن يدرِ به الثدىُ وذلك حين يسيلُ . وهذا كناية عن تسهل أعمالهم ، وإقبال خيرهم

(٣) جاشتها الحربُ : هاجتها وفَارت بها ، كما تجيشُ النارُ القدرَ فيَغلى ماؤها

(٤) التنجّع والانتجاع والنُّجْعة : طَلبُ الكلأ ومساقط الغيث ، وذلك يكون أيام الربيع حين يهيجُ العُشْب

هَوازِنُ على أرضِنا ! واللهِ ما نَعرِف هذا ! إنَّ هذا العسكَرَ مثلُ حاجِّ النّاس ! وكان على الحرَس تلك اللّيلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

خبر العباس وقدومه بأبى سفيان وصاحبيه على رسول الله

وقد رَكِبَ العباس رضى الله عنه دُلْدُلَ(١) ، على أنْ يُصيبَ رسولًا إلى قُرَيْش يُخبِرُهم : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم داخلٌ عليهم فى عشرة آلاف . فَسمِع صوتَ أبى سُفْيان ، فقال : أبا حنْظَلة ! فقال : يا لَبّيْك ! أبا الفَضل ! قال : نعم ! قال : فما وراءك ؟ قال : هذا رسولُ الله فى عشرة آلاف من المسلمين ، فأسلِم ، ثكِلَتْك أمُّك وعشيرتُك . وأَقْبَلَ على حَكيم بن حِزام وبُدَيل بن وَرقاء فقال : أسلِما ، فإنى لكما جارٌ حتى تنْتهوا إلى رسولِ الله ، فإنى أَخشى أن تُقطَعوا دون النبىّ ! قالوا : فنحنُ معك . ويُرْوَى أن أبا سفيان وحكيما وبُدَيلًا لما طلَعوا على مَرِّ عِشاء(٢) ، ورأوا النّيرانَ والفَساطيطَ والعسكَرَ راعهُم ذلك . فبيْنا هُم كذلك لم يَشعُروا حتى أخذَهم نفَرٌ — كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعثهم عُيونًا له — بخُطُم أبعرَتِهم(٣) ، وأتَوْا بهم العسكَرَ ، فلَقِيهم عند ذلك العبّاس فأجارهم . وأتى بهم العبّاس ودَخل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ! أبو سُفْيان ، وحكيم بن حِزام ، وبُدَيْل بن وَرْقاء ، قد أجرْتُهُم ، وهم يَدخلون عليك ! فقال : أدْخِلْهُم . فدَخلوا عليه ، فمكَثوا عنده عامّة الليل ليَستخْبِرَهم ، ودَعاهم إلى الإسلام ، فأسلَمَ حكيمٌ وبُدَيْل . وقال أبو سفيان : أشهد أن لا إله إلّا الله . فقال رسول الله . وأنى رسولُ الله . قال : والله يا مُحمّد ، إنّ فى النّفْس من هذا لشَيْئًا بعدُ ، فأَرْجِها(٤) . ثم قال للعبّاس :

دخولهم على رسول الله

(١) دُلْدل : اسم بغلة كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) فى الأصل : « مدعشا » ؛ ومرّ : يعنى مرّ الظّهْران

(٣) الخُطُم جمع خِطام : وهو الحبل الذى يقاد به البعير

(٤) أرْجأ الأمرَ أخّره ، وسُهّلت الهمزة فصار الأمر أرْجِ ، مكان أرجِئْ

أمر أبي سفيان وإسلامه

قد أجَزْناهم ، أذهَبْ بهم إلى منزِلِك . فذهَب بهم . فلمّا أَذّنَ الصُّبْحُ أذّنَ العسكرُ كلُّهُم ، ففزِع أبو سُفْيان من أذانِهم وقال : ما يَصنعون ؟ أمِروا فِيَّ بشىء ! قال : لا ! ولكنهم قاموا إلى الصّلاة ! قال أبو سفيان : كَمْ يُصلُّون فى اليوْمِ واللّيلة ؟ قال : يُصلّون خمسَ صلوات . قال : كثيرٌ والله ! فلما رآهم أبو سفْيان يَبْتدِرون وَضُوءَ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : ما رأيت يا أبا الفَضل مُلْكا كهذا ! لا مُلْكَ (١) كسرى ولا مُلْكَ بنى الأَصفَر ! فقال العباس : وَيحَك آمِنْ ! قال : أَدْخِلنى عليه . فأَدخَلَه . فقال : يامحمّد ! استنصَرْتُ إلٰهى واستَنْصَرتَ إلٰهَكَ ، فلا والله ما لَقيتُك من مَرّة إلا ظَفِرْتَ علىّ ، فلو كان إلٰهى حقًّا وإلٰهك مُبْطِلًا لقد غلَبْتُك ! وشهِدَ أن محمداً رسولُ الله

مقالة أبى سفيان وحكيم بن حزام

ثم قال أبو سفيان وحكيم : يامحمّد ! جِئْتَ بأَوْباش الناس — من نَعرِف ومن لا نعرف (٢) — إلى عشيرَتِك وأَصْلِك ! فقال صلى الله عليه وسلم : أنتم أظلم وأفجرُ ، غَدَرْتم بعَهد الحُدَيبية ، وظَاهَرتم على بنى كعب بالإثم والعُدْوان فى حَرَمِ الله وأَمْنه . فقال أبو سفيان وحكيم بن حِزام : يا رسول الله ! (٣) لو كُنْتَ جعلت حَدَّك (٤) ومَكيدَتَك بهوازن ، فهُمْ أبعدُ رِحماً ، وأشَدُّ لك عداوة ! فقال : إنّى لأرْجو (٥) من رَبِّى أن يَجْمَع ذلك لى كلّه : فتحَ مكة وإعْزازَ الإسلام بها ، وهَوازِنَ ، وأنْ يُغنِّمَنى الله أموالَهم وذَرَاريَّهم ، فإنّى راغبٌ إلى الله فى ذلك

وقيل : إنّ أبا سفيان رَكِب خَلْفَ العبّاس ، ورَجع حكيم بن حِزام وبُدَيل

---

(١) فى الأصل : « إلا ملك كسرى »

(٢) فى الأصل : « من تعرف ومن لا تعرف »

(٣) فى الأصل : « فقال أبو سفيان : يا رسول الله وحكيم بن حزام »

(٤) فى الأصل : « جدك » . الحدّ : الشدّة والمضاء

(٥) فى الأصل : « لأرجوا »

خبر عمر بن الخطاب حين رأى أبي سفيان

ابن وَرْقاء . فلمّا مرّ العبّاس بعُمر بن الخطاب ، ورأى أبا سُفْيان قال : أبا سفيان ! عَدُوّ الله ! الحمدُ لله الّذِى أمْكن منك بلا عَهدٍ ولا عَقْدٍ . ثمّ خرج نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يَشتدُّ ، فرَكَض العبّاس البغلةَ حتى اُجْتمعوا على بابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فدَخلوا . فقال عمر : يا رسولَ الله ! هٰذا أبو سفيان عدُوُّ الله ، قد أمكنَ اللهُ منه بلا عهد ولا عقد ، فدَعْنى أضْرِبْ عنقَه . فقال العبّاس : إنى قد أجَرْتُه ! ثم اُلْتزَمَ[١] رسولَ الله ، فقال : والله لا يُنَاجِيهِ اللّيْلةَ أحدٌ دُونى . فلما أكْثر عمرُ فى أبى سفيان قال العبّاس : مَهْلاً ياعمرَ ! وتلاَحَيَا[٢] ، فقال النبى عليه السلام للعباس : اُذْهبْ به فقد أجَرْتُه ، فَلْيَبِتْ عندكَ حتى تَغْدُوَ به علَيْنا إذا أصبحتَ . فغَدَا به . فقال له رسول الله : وَيْحكَ يا أبا سفيان ! ألم يَأْنِ لك[٣] أن تَعلَمَ أن لا إلٰه إلا الله ؟ قال : بأبى أنْتَ ! ما أحْلَمك وأكْرَمَك وأعْظمَ عَفْوَكَ ! قدْ كان يَقعُ فى نفسى أن لو كان مع الله إلٰهٌ[٤] لقد أغْنَى عنّى شيئاً بعدُ . قال : يا أبا سفيان ! ألم يأنِ لَكَ أنْ تعلمَ أنّى رسولُ الله ؟ [قال][٥] : بأبى أنتَ وأمّى ! ما أحلمَك وأكرمَك وأعظمَ عَفوَكَ ! أمّا هذه فوَالله إنّ فى النفس منها لشَيْئاً بعدُ . فقال العباس : وَيْحَكَ ! أشْهَدْ أن لا إلٰه إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله قبْلَ واللهِ أن تُقْتَل ! فشَهِدَ شهادةَ الحقّ

من دخل دار أبى سفيان فهو آمن

فقال العبّاس : يا رسول الله ! إنّك قد عَرَفْتَ أبا سفيان وحُبَّه الشّرَفَ والفَخْر ، اُجعَلْ له شيئاً . قال : نعَمْ ! مَنْ دخل دار أبى سفيان فهُوَ آمِنٌ ، ومَن

(١) التزمه : اعتنقه واحتضنه
(٢) تلاحى الرجلان : تخاصما وتنازعا
(٣) أنى له يأنى : حانَ وقتُه
(٤) فى الأصل : « إلاه »
(٥) زيادة يقتضيها السياق

أَغْلق [عليه] (١) دارَه فهو آمِنٌ . وأمر ألَّا يُجْهَز على جريحٍ ، ولا يُتَّبَع مُدْبِر . ويُرْوَى أن أبا سفيان وحكيماً قالا : يا رسول الله ! أُدْعُ الناسَ إلى الأمان ! أرأيتك إنِ اعتزَلَتْ قريشٌ وكفَّت أيديَها ، آمِنون هم ؟ قال : نعَم ! مَن كَفَّ يدَه وأغلق [عليه] (١) بابه فهُو آمِنٌ . قالوا : فابْعثْنا نؤَذِّنْ فيهم بذلك . قال : انطَلِقوا ، فمن دَخَل دارَك يا أبا سفيان فهو آمن ، ودَارَك يا حكيمُ ، و[من] (١) كَفَّ يدَه فهو آمن

ردّ أبي سفيانَ بعد فراقه

فلما توجّهوا قال العباس : إنى لا آمَنُ أبا سفْيان أن يرْجِعَ عن إسلَامه ويكْفرَ ، فارْدُدْهُ حتى يَفْقَهَ ويرَى جُنود الله مَعَك . فأدركه عباسٌ فحبَسَه ، فقال : أغَدْراً يا بَنِي هاشم ؟ قال : ستَعْلَمُ أنَّا لَسْنا بغُدُرٍ (٢) ، ولـكنْ لِي إليكَ حاجةٌ ، فأَصبِحْ حتى تَنظُر إلى جُنُود الله ، وإلى ما أُعِدَّ للمشركين . فحبسه بالمضيق — دون الأرَاكِ إلى مكة — حتى أصبحوا . وقيل : بلْ قال عليه السلام للعباس بعد ما خرج أبو سفيان : أحبِسه بمضيق الوَادى حتى تمُرَّ به جنودُ الله فيَرَاها . فعدَل به العباس فى مَضِيق الوادى ، وأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منادياً فنادَى : لِتُصْبِحْ كلُّ قبيلةٍ قد ارتحلَتْ ووَقفتْ مع صاحبها عند رَايتِهِ ، وتُظْهِرْ ما مَعها من العُدَّة

تعبئة المسلمين ومرورهم على أبي سفيان

فأصبح الناسُ على ظهْرٍ (٣) ، وعَبَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فجعلَ أبا عُبَيْدَة بن الجرَّاح على المقدِّمة ، وخالد بن الوليد على المَيْمَنة ، والزُّبيْر بن العوَّام على الميسرة ، وهُو صلى الله عليه وسلم فى القَلب ، وقدَّم بين يديه الـكَتائب . فمرَّتِ القَبائلُ على قادَتها ، والـكتائبُ على رَاياتها . فقدم خالدُ بن الوليد فى بنى

(١) زيادة للسياق
(٢) غُدُر جمع غَدُور : وهو الغادر
(٣) يقال أصبحَ فلان على ظهْرٍ : أى مُزْمِعاً للسفر أو غيره ، فهو غيرُ مطمئنٍّ، كأنه قد ركب لذلك الأمر ظهْراً ، والظَّهْر : ما يُركَب

سُلَيم — وهم ألف يحمل لواءهم عباس بن مِرْداس ، وخُفَاف بن نُدْبَة — فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال العباس : خالدُ بن الوليد . فلما حَاذَى خالدٌ العباسَ وأبا سفيان ، كَبَّر بمن مَعه ثلاثاً ومَضَوْا . ثم مرّ على إثْره الزُّبيْر بن العوّام ، فى خمسمائة ومعه رايةٌ سَوْداء ، فلما حاذَاهما كبَّر ثلاثاً وكبَّر أصحابه ، فقال [أبوسفيان] [1] : مَنْ هذا ؟ قال [العباس] [1] : الزُّبيْر بن العوّام . قال : ابْنُ أُخْتِك ؟ قال : نعم ! ومرّت بنو غِفَارٍ فى ثلاثمائة يَحْمِل رايتَهم أبوذَرٍّ الغِفارىُّ ، [ويقال : إيماء بن رَحْضَة] ، فلما حاذَوْهما كبّروا ثلاثاً ، فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال العباس : بنو غِفَار . فقال : مالِى ولبَنِى غفَار ! ثمّ مَضَت أسْلَمُ فى أربعمائة — فيها لواءان يحمل أحدَهما بُرَيْدَةُ بن الحُصَيْب ، والآخرُ ناجيةُ بن الأعجم — فلما حاذَوْهما كبّروا ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : أسلَم . قال : مالِى ولأسلَمَ ! ما كان بيننا وبينها تِرَةٌ [2] قطُّ . قال العباس : هُمْ قومٌ مُسْلِمون دخلُوا فى الإسلام . ثم مَرّت بنو كعب بن عمرو فى خمسمائة ، يَحْمِل لواءهم بُسر ابن سُفْيان . قال : من هؤلاء ؟ قال : بنو كعب بن عمرو . فلما حاذَوْهُ كبَّرُوا ثلاثاً . ثم مَرّتْ مُزَيْنة فى ألف — فيها ثلاثةُ ألوية ومائةُ فرس ، يَحْمِل ألوِيتَها : النُّعمان بن مُقَرِّن ، وبلالُ بن الحارث ، وعبدُ الله بن عمرو — فلما حاذَوْه كبَّرُوا ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : مُزَيْنَة . قال : مالِى ولمُزَينة ! جاءتْنِى تُقَعْقِعُ من شَوَاهِقِها [3] ! ثم مرّت جُهَيْنة فى ثمانمائة — معها أربعةُ ألوِية

(١) زيادة للبيان

(٢) التِّرةُ : الثّأر والذَّحْل . وكنى أبو سفيان بذلك عن هَوَانهم ، وأنهم لم يكنْ لهم عز فى الجاهلية يصونونه بالدّم

(٣) القعْقَعة : حكاية حركة الشىء إذا سُمع له صوت كالسلاح وما إليه . والشواهق جمع شاهق : وهى الجبال العالية . وكانتْ مزينَةُ من أصحابِ الجبال ، كانت منازلهم فى جبال طيء والعيص وما دانى هذه البلاد . وكَنى أبو سفيان بذلك عن أنهم أجْلاف غِلاظ

يحملها أبو زُرْعَة(١) مَعْبدُ بن خالد ، وسُوَيْدُ بن صَخْر ، وَرافع بن مَكِيث ، وعبدُ الله بن بَدر — فلما حاذَوْها كبَّرُوا ثلاثاً . ثم مرّت كِنانَةُ : [بنو لَيْثٍ ، وضَمْرةُ ، وسَعدُ بن بَكر] فى مائتين ، يَحْمِل لواءهم أبو واقدٍ اللَّيْثِى ، فلما حاذَوْهُما كبّروا ثلاثاً ، فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال : بنُو بَكْر . قال : أَهْلُ شُؤْم ! هؤلاء الذين غزَانا محمَّد بسببهِم ، أَما وَالله ما شُوورْتُ(٢) فيه ولا عَلِمْتُه ، ولقد كنتُ له كارهاً حَيْثُ بَلَغنى ، ولكنَّهُ أمرٌ حُمَّ(٣) ! قال العبّاس : قد خارَ الله(٤) لك فى غَزْوِ محمّدٍ لكم ، ودَخلتم فى الإسلام كافّة . ومرّت بنو ليْث — وهم مائتان وخمسونَ ، يحملُ لواءهم الصَّعْب بن جَثَّامَة — فلما حاذَوْها كبّرُوا ثلاثاً ، فقال أبو سفيان : من هؤلاء ؟ قال : بنو لَيْث . ثم مرّت أَشْجَعُ — وهم ثلاثمائة معهم لِواءانِ يَحْملهما(٥) ، مَعْقِلُ بن سِنان ، ونُعَيم بن مسعود — فقال أبو سفيان : [من هؤلاء ؟ قال : بنو أشْجع . قال](٦) : هؤلاء كانوا أَشدَّ العَرَبِ على محمّدٍ ! فقال العبّاس : أَدْخَل الله قلوبَهم الإسلامَ ، فهذا مِن فضلِ الله

كتيبة رسول الله

فلمّا طلَعت كتِيبةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخَضْراء ، طلَع سوادٌ وغَبَرةٌ من سَنَابِك الخَيْل ، ومرَّ النّاسُ حتى مَرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَاقَته القَصْواء بين أبى بكر وأُسَيْد بن حُضَيْر — وهو يُحدِّثُهُما — ، ومعه المهاجرون(٧) والأنصارُ ، — فيها الرَّاياتُ والألويةُ ، مع كلّ بَطْنٍ من الأنصارِ

(١) فى الأصل : « أبو روعة »
(٢) فى الأصل : « شووت » . وهذا من المشاورة
(٣) فى الأصل : « جمّ » . وحمّ الأمرُ : قُضى وأُنْفِذَ
(٤) خارَ الله لك : اختار لك خير الأمرين ، فهداك إليه
(٥) فى الأصل : « لوان يحملها »
(٦) زيادة
(٧) فى الأصل : « المهاجرين »

رايةٌ ولواءٌ — فى الحديدِ لا يُرَى منهم إلّا الحَدَق ، ولعُمَرَ بن الخطاب فيها زَجَلٌ[١] ، وعليه الحديدُ ، وهو يَزَعُها[٢] . فقال أبو سفْيان : لقد أَمِرَ أَمْرُ عَدِىٍّ[٣] بعد قِلّةٍ وذِلّةٍ !! فقال العباس : إنّ الله يرفع ما يَشاء بما يَشاء ، وإنّ عُمَرَ ممن رَفَعه الإسلام

مقالة سعد بن عبادة لأبى سفيان

وكان فى الكتيبةِ ألفُ دَارِعٍ ، وسعدُ بن عُبادة يَحمِل رايةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أمامَ الكتيبة ، فنادَى : يا أبا سفيان ! اليَوْم يَوم المَلْحَمة ، اليومَ تُسْتَحلُّ الحُرْمةَ ، اليوْمَ أذلّ الله قُرَيشاً !! فنادى أبو سفيان — عند ما حاذَاه النبيُّ عليه السلام — : يارسولَ الله ، أمَرْتَ بقَتْل قَوْمك ؟ زَعَم سَعْدٌ ومَنْ معه كذا — وذَكرَ ما قالهُ سَعْدٌ — وإنى أَنْشُدُكَ اللهَ فى قومك ! فأنتَ أبَرُّ الناس ، وأرْحَم النّاسِ ، وأوْصَلُ الناس ! فقال عبد الرحمن بن عوْف وعثمان بن عفّان : يا رسول الله ! ما نأْمَن من سَعد أن تكُون منه فى قريشٍ صَوْلةٌ . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ياأبا سفْيان ! اليومَ يومُ الرّحمةِ ، اليومَ أعزّ اللهُ فيهِ قريشاً ! وأرسلَ إلى سَعد فعزَله ، وجَعل اللواء إلى قَيْس بن سعد . فأبَى سعدٌ أن يُسلِّم اللّواء إلا بأمارةٍ ، فأرسلَ صلى الله عليه وسلم بعِمامته ، فدفع اللواء إلى أبنه قيس . ويُقال : دخَل سعدٌ بلوَائه حتى غرَزَهُ بالحَجُون . ويقال : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرَ علياً فأخذَ الرّاية ، فذهبَ علىٌّ بها حتى دخَل بها مكة فغرَزَها عند الرُّكن . وقيلَ : بل أمرَ الزُّبيْر بن العَوّام فأخذَ اللّواء . وصَحّحه جماعةٌ

عزل سعد عن راية رسول الله

---

(١) زَجَل : جلبة وصوت رفيع عال كأنّه الرّعْدُ

(٢) وَزَع الجيش يَزَعُه : رتّبَه وصفّه ، وسوّى صفوفه ، وكفّه عن التفرّق والانتشار . ومنه الوازعُ فى الحرب ، وهو الموكل بالصفوف يدبّر أمرهم وترتيبَ قتالهم

(٣) أَمِرَ أَمْرُه : ارتفع شأنُه ، وعظُم سُلْطانُه

مقالة أبي سفيان حين رأى ما رأى

وقال أبو سفيان : ما رأيتُ مثلَ هذه الكتيبة قطُّ ، ولا خبّرنيه مُخبِرٌ ! مالأحدٍ به طاقةٌ ولا يدانِ ! لقد أصبح مُلك ابنِ أخيك الغداةَ عظيما !! فقال له العباس : يا أبا سفيان ! ليس بمُلْك ولكنه نبُوّةٌ . قال : فنعَم[١] ! قال : فانْجُ وَيحكَ فأدْرِك قوْمَك قبل أن يَدْخُلَ عليهم

خروج أبي سفيان إلى مكة وما كان منه

فخرَج أبو سفيان فتقدَّم الناسَ كلَّهم حتى دَخل مكة من كُداء وهو يقول : من أغلَق بابَه فهو آمنٌ ! حتى انتهى إلى هِنْد بنت عُتْبة ، فأخذتْ برأسه فقالت : ما وراءك ؟ قال : هذا محمد فى عشرةِ آلافٍ عليهم الحديدُ ، وقد جَعل لى : من دَخل دارى فهو آمنٌ ! قالت : قبّحك الله رسولَ قَوْم ! وجَعل يصْرُخ بمكة : يا مَعشَرَ قريْشٍ ! وَيْحكُم ! إنَّه قد جاء ما لا قِبَل لكم به ! هذا محمد فى عشرةِ آلافٍ عليهم الحديدُ ! فأسلِموا تَسْلَموا ! قالوا : قبّحك الله وافِدَ قوْمٍ ! وجعلت هِنْدُ تقولُ : اقتُلوا وَافِدَكم هذا ، قبّحك الله وَافِدَ قوْمٍ ! فيقول : وَيْلَكم ! لا تغرَّنَّكم هذه مِنْ أنفسِكم ! رأيتُ ما لم تروْا[٢] ! رأيتُ الرِّجالَ والكُراعَ والسِّلاح ، فما لأَحدٍ[٣] بهذا طاقةٌ !

خبر العباس فى مكة

وذكر عُمرُ بن شبّةَ[٤] : أنَّ العبّاس رَكِبَ بَغْلةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مَرٍّ[٥] ليَدْعُوَ أهلَ مكة ، فقدِمها وقال : يا أهل مكة أسلِموا تَسْلَموا ، قد استُبْطِنْتُم بأشْهبَ بازلٍ[٦] . وأعلَمهم بمَسير الزُّبيْر من أعلى مكة ، ومَجيء

(١) نَعَر ينعَر : صاح وصوّت صوتاً شديداً من خَيْشُومه

(٢) فى الأصل : « ما لا تروا »

(٣) فى الأصل : « مال أحد »

(٤) فى الأصل : « عمرو بن شيبة »

(٥) مرّ : يريد مرّ الظهران

(٦) استبطنَ الوادى وتبطّنه : دَخَل بطنَه . والأشهب : الأبيض ، يريدُ الجيش لكثرة سلاحه وحديده يلمعُ فى الشَّمْس . والبازلُ : هو البعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعنَ فى التاسعةِ وفَطَر نابُه ، وذلك وقت نهاية قُوّته . ومعنى قول ابن عباس : إنّه قد رُميتم بهذا الجيش الصعب ، فنفَذَ فيكم ، ولا طاقة لكم به

خالد بن الوليد من أسفلها ، لقتالِهم . ثم قال : مَنْ ألقى سلاحَه فهو آمِنٌ ، ومن أغلق بابه فهو آمنٌ ، ومن دَخل دارَ أبي سُفْيان فهو آمنٌ

موقف المسلمين

وانتهى المسلمون إلى ذى طُوًى ، فوَقَفوا يَنْظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاحقَ النَّاس . وقد كان صفوانُ بن أُميَّة ، وعِكْرِمةُ بن أبى جَهل ، وسُهَيْل بن عمرٍو دَعوْا إلى القِتَال ، واُجتمع إليهم — من قريش وغيرِهم — جماعةٌ عليهم السِّلاح ، يَحْلِفون بالله لا يَدخُلها محمدٌ عَنْوةً أبداً

دخول رسول الله مكة

وَأقبلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبتِه الخضْراء — على ناقته القَصْواء ، مُعْتَجِراً بشقَّةِ بُرْدٍ حِبَرَة[1] ، [وفى رواية : وهو مُعتجِر بشِقَّة بُرْدٍ أسود] ، وعليه عِمامةٌ سوداء ، ورايته سوداء ، ولواؤُه أسودُ — حتى وقفَ بذى طُوًى وتوَسَّط النَّاسَ ، وإنَّ عُثْنونَه[2] ليَمَسُّ واسطة الرَّحْل أو يَقْرُب منه ، تواضعاً لِله تعالى حينَ رأى ما رأى من فَتْح الله وكثرةِ المسلمين ، ثم قال : العَيْشُ عيْشُ الآخرة

مداخل المسلمين إلى مكة

وأَمرَ الزُّبيْر بن العَوّام أن يدخلَ من كُداء من أعلَى مكة ، وأن يَنْصِبَ رايتَه بالحَجون . وأمرَ خالد بن الوليد أن يدخلَ من اللِّيط : وهى كُداء من أسفَلِ مكة . [ويقال : بعثَ الزُّبيْر بن العَوّام من أعلَى مكة ، وأمر سعدَ بن عُبادة أن يدخل من كُداء] . ودَخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أذاخِرَ .

النهى عن القتال

ونهى عن القِتال . ويقال : بل أمرَهم بقِتَال من قاتلَهم ، فترامَوْا بشىء من النَّبْل . فظَهر عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأمَّن الناسَ إلَّا خُزاعةَ عن[3]

---

(١) بُرْدُ حِبَرة : ضرب من ثياب اليمن موشّى مخطط . واعتَجَر : لَوَى الثوب على رأسه واعتم به

(٢) العثنون : من لحية الرجل ما نبت على الذّقَن وتحته

(٣) فى الأصل : « غير »

بنى بكر . وذكر جماعةٌ أنه لم يُؤَمِّنهم . وقيل : أمرَ بقَتْل سِتَّةِ نفرٍ ، وأربعِ نِسْوة : عِكْرِمةَ بن أبى جَهْل ، وهَبَّارِ بن الأَسود ، وعبدِ الله بن سعد بن أبى سَرْح ، ومِقْيَس بن صُبابة اللَّيْثِىّ ، والحُوَيرث بن نُقَيذ[1] بن بُجَير بن عَبْد بن قُصَىّ ، وهِلال بن عبد الله بن عَبْد مناف بن أسعد بن جابر بن كَبِير ابن تَيْم بن غالب بن فِهْر[2] ؛ فتَيْم هو الأَدْرَم[3] [وعبدُ الله بن عبد مناف ، هو خَطَل بن خَطَل الأَدْرَمِىّ] . وهِنْدَ بنت عُتبة بن رَبيعة ، وسَارةَ مولاةُ عَمْرو ابن هِشام ، وقَيْنَتَيْنِ لابن خَطَل : فَرْتَنا وقُرَيْبة ، ويقال : فَرْتَنا وأَرْنَبَة

قتال خالد بن الوليد

فكلُّ الجُنُودِ دَخل فلم يَلْقَ جمْعاً ، إلّا خالدُ بن الوليد ، فإنه وَجَد جمْعاً من قريشٍ وأَحابيشِها : فيهم صَفوانُ بن أُميّة ، وعِكْرِمةُ بن أبى جَهل ، وسُهَيْل ابن عمرو ، فمنعُوه الدُّخولَ ، وشهَرُوا السِّلاحَ ، ورَمَوْا بالنَّبْل ، وقالوا : لا تدخُلُها عَنوَةً أبداً . فصاح خالدٌ فى أصحابه وقَاتَلهم ، فقتَل منهم أربعة وعشرين رجُلاً من قُرَيشٍ ، وأربعةً من هُذَيْل ، [وقيل : بَلْ قَتَل من المشركين ثلاثة عشر رجُلاً] ؛ وانْهَزَموا أقْبح هزيمة . وقُتِل من المُسْلمين ثلاثةٌ

خبر راعش المعرك

وكان راعشٌ[4] ، أحدُ بنى صاهلة الهُذَلِىّ ، [وقيل : حِماس[5] بن قيس بن خالد أحد بنى بكر] ، يُعِدُّ سلاحاً ، فقالت له امرأته : لِمَ تُعِدُّ ما أرَى ؟ قال :

(١) فى الأصل : « نفيد » . وبعد هذا فى الأصل : [وابنُ بُجَير بن عبد بن قصى] ، والصواب حذف واو العطف . وسيأتى بعدُ فى أخبار من أسلم ومن قتل يوم الفتح ، ص ٣٩٣

(٢) فى الأصل : « فهم »

(٣) فى الأصل بعد قوله « هو الأدرم » ما نصه : « وعبد الله بن عبد مناف بن أسعد ابن جابر بن كبير بن تيم بن غالب بن فهم » ، وهو تكرار من الناسخ

(٤) فى ابن هشام وابن كثير وغيرهما : « الرَّعاش الهذلى »

(٥) فى الأصل : « خماس »

لمُحَمّدٍ وأصحابه ! فقالت لَهُ : ما أَرَى أنّه يَقُوم لمحمّدٍ وأصحابه شىء ! فقال : والله إنى لأَرْجُو أنْ أُخْدِمَكِ بَعْضَهُمْ ، ثم قال :

إنْ تُقْدِمُوا اليومَ فما بى عِلَّهْ هٰـذَا سلاحٌ كاملٌ وأَلّهْ[١]
وذُو غِرَارَيْن سريعُ السَّلَّهْ

هزيمة المشركين

ثم شهد الخَنْدَمَة مع صَفْوان وعِكْرِمة وسهيْل ، فهزَمَهم خالدُ بن الوليد . فرّ حِمَاسٌ[٢] منهزِمًا حتى دخل بيته ، وقال لامرأته : أَغلِقى علىّ بابى ! فقالت : فأين ما كنْتَ تقول ؟ فقال :

إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يوْمَ الخَنْدَمَه إذْ فرَّ صفْوَانُ وفرَّ عِكْرِمَهْ
وَاسْتَقْبلَتْنَا بالسيوفِ المُسْلِمهْ يَقْطَعْنَ كلَّ ساعدٍ وجُمْجُمَهْ
ضَرْبًا فَلَا تُسْمَعُ إلَّا غَمْغَمَهْ لهمْ نَهِيتٌ خَلْفَنَا وَهَمْهَمَهْ
لم تَنْطِقِى فى اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ[٣]

التأمين

وَاتَّبَعهم المُسْلِمون ، وأبُو سفْيان بن حرب وحَكيمُ بن حِزَام يصيحان : يامَعْشر قريش ! عَلَامَ تَقْتلون أنفسكم ؟ مَن دخَل دارَه فهو آمِنٌ ، ومَن وَضَع السّلاح فهو آمِن ! فاقتحم الناسُ الدورَ ، وأغلقوا عليهم الأبوابَ ، وطَرَحوا السّلاح فى الطُّرُق ، فأَخذَها المسلمون . ويُرْوَى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عَقَدَ لأبى رُوَيحة عبد الله بن عبد الرحمن — أَحَدِ الفَزَعِ بن شَهْرَان بن عِفْرِس بن خلف بن أَفْتَل [وهو خَثْعَم] — لواءً وأَمرَه أن ينادِىَ : مَن دخل تحت لِوَاءِ أبى رُوَيحة فهو آمن

(١) الأَلّة : الحربة العظيمة النّصْل
(٢) فى الأصل : « خماس »
(٣) فى الأصل : « فى اليوم »

قتال خالد بن الوليد

ولما ظهر(١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ثَنِيّةِ أذَاخِر ، نظَر إلى البارقةِ(٢) فقال : ما هذه البارقة ؟ ألَمْ أنْهَ عن القتال ؟ فقيل : يارسول الله ، خالدُ بنُ الوليد قُوتِل ، ولو لم يُقَاتَلْ ما قَاتَل ! فقال : قَضَاءُ الله خيرٌ

ابن خَطَل

وأقْبل ابن خَطَلٍ من أعلَى مكة فى الحديد على فرسٍ بيَده قناةٌ ، و بناتُ سَعِيد بن العاص قد نَشَرْنَ رُؤُوسَهُنّ ويَضْرِبْنَ بخُمُرِهِنّ(٣) وُجُوهَ الخَيْل ، فقال لهن : أمَا والله لا يَدْخُلُها محمدٌ حتى تَرَيْنَ ضَرْبًا كأفْواه المَزَاد(٤) ! فلمّا انْتَهى إلى الخَنْدمةَ ، ورأَى خَيْلَ المسلمين وقتالَهم ، دَخَلَهُ رُعْبٌ حتى ما يَسْتَمسِك من الرِّعْدَةِ ، فانْتَهَى إلى الكَعْبة فنزَلَ ، وطَرَحَ سِلَاحه ، ودَخَل بين أسْتَارها . فأخَذَ رجُلٌ من بنى كَعْب دِرْعَه ومِغْفَره و بَيْضَتَه وسَيْفَه وفرَسه ، ولَحِق النبىَّ صلى الله عليه وسلم بالحَجُون

دخول الزبير مكة

وأقْبَل الزُّبَيْرُ بمن معه حتى انْتَهى إلى الحَجُون ، فغرَزَ به الرّايةَ . ولم يُقْتَل من المسْلمين إلّا رجُلَان(٥) أخْطآ الطَّرِيقَ ، هما : كُرْزُ بن جابرٍ الفِهْرِىّ ، وخالد الأشْعَر الخُزَاعِىّ

منزل رسول الله بمكة

ولمّا أشْرَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أذَاخِر فنَظَر بُيُوتَ مكة ، وَقفَ فحمد الله وأثْنَى عليه ، ونظَر إلى مَوْضع قُبّتِه فقال : هٰذَا مَنْزِلُنا يا جابرُ ، حيث تقَاسَمَتْ علينا قُرَيْشٌ فى كُفْرِها ! وكان أبو رافعٍ قد ضَرَب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالحَجُونِ قُبّةً من أدَمٍ ، فأقْبل حتى انْتَهى إلى القبّة ، فى

(١) ظهر : ارتفع عليها وركبها
(٢) البارقة : بريقُ السلاح ولمعانُه ، والسيوفُ تسمى من أجل ذلك البارقة
(٣) الخُمُر جمع خِمار : هو ما تُغطّى به المرأةُ رأسها
(٤) المزاد جمع مَزَادة : وهى الظَّرفُ الذى يحمل فيه الماءُ كالقربة . ويريد ضربا يتفجّر منه الدم كما يتفجر ماء المزاد إذا أُرْسِل فَمُه
(٥) فى الأصل : « إلّا رجلين »

يَوْم الجُمعة لعَشْر بقين من رَمَضان ، وقيل لثلاث عشرة مَضَتْ من رمضان(١) . فمضى الزُّبَيْر بن العَوّام برايته حتى رَكَزها عند قُبّة رسول الله . وكان معه أمُّ سَلَمة ومَيْمونةُ رضى الله عنهما . وقيل : يا رسولَ الله ! ألا تنزلُ منزلَكَ من الشِّعْب ؟ فقال : وهل تركَ لنا عَقِيلٌ مَنْزلًا ؟ وكان عَقِيلُ بن أبى طالب قد باع منزلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومنْزِلَ إخْوَته ، والرِّجالُ والنّساء بمكة . فقيل : يا رسولَ الله ! فأنزِلْ فى بعض بيوت مكة فى غير منازلك ! فقال : لا أدْخُل البُيُوت . فلم يزل مُضْطَرِبًا(٢) بالحَجُونِ لم يَدخل بيتاً ، وكان يأتى المسجدَ من الحَجُون لكل صلاة

خبر إجارة أم هانئ عبد الله بن أبى ربيعة والحارث بن هشام

وكانت أمُّ هانئٍ بنتُ أبى طالب تحت(٣) هُبَيرة بن أبى وَهْب المخزومى ، فدَخَل عليها حَمْوانِ لها — : عبدُ الله بن أبى رَبيعة عَمْرُو بن المُغيرة بن عبد الله ابن عُمَر(٤) بن مَخزوم المخزومى ، والحارثُ بن هِشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر(٤) ابن مَخزوم — يَستَجيران بها ، فأجارَتْهُما . فدَخل عليها أخُوها علىٌّ بن أبى طالب يريد قَتْلَهما ، وقال : تُجيرين المشركين ؟ فحالت دُونهما وقالت : واللهِ لتَبْدأَنَّ بى قَبْلَهما ! فخرَجَ ولم يَكَدْ ، فأغلَقت عليهما بيْتًا ، وذهَبَتْ إلى خِباء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبَطْحاء ، فشَكَتْ إلى فاطمةَ عليها السلام عَلِيًّا فلم تُشْكِها(٥) ، وقالت لها : لِمَ تُجيرينَ المشركين ؟ وإذا برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عليه(٦)

---

(١) « وقيل لثلاث عشرة ... » ، هذه الجملة مكررة فى الأصل
(٢) مضطرباً : ضارباً قُبّته
(٣) فى الأصل : « تحب »
(٤) فى الأصل : « عمرو »
(٥) شكا له فأشكاهُ : أى أخذ له منه ما يحبّ حتى يرضى
(٦) فى الأصل : « عليها »

رَهَجَةُ الغُبَار[١] ، فقال : مَرْحَباً بفَاخِتَةَ أُمِّ هانئ ! فقالت : ماذا لَقِيتُ من ابن أُمّي عليّ ! ما كِدْتُ أُنفلِتُ منه ! أَجَرْتُ حَمَوَيْن لى من المشركين ، فتَفَلَّتَ عليهما ليَقْتُلَهما ! فقال : ما كان ذلك لَهُ ! قد أَمَّنّا من أَمَّنْتِ ، وأَجَرْنا من أَجَرْتِ . ثم أَمر فاطمةَ عليها السلام فسَكَبَتْ له ماء فاغتَسَل ، وصلّى ثمانى ركعاتٍ فى ثَوْبٍ واحد مُلْتَحِفاً به ، وذلك ضُحًى . وَرَجعتْ أُمُّ هانئ فأخبرتهما ، فأقاما عندها يَوْمين ثم مَضَيا . وأَتَى آتٍ فقال : يا رسولَ الله ! الحارثُ بن هِشام وأبنُ أبى رَبيعة جالسان فى ناديهما فى المُلَاء المزَعْفر[٢] ! فقال : لا سبيل إليهما ! قد أَمَّنّاهما

تجهز رسول الله للطواف بالبيت

ومكَث صلى الله عليه وسلم فى منزله ساعةً مِن نهارٍ ، واُغتَسَل وضَفَرَ رأسَه ضَفَائر أربع ، [وقيل : بل اُغتَسَل فى بيت أُمّ هانئ بمكة] ، وصَلَّى ثمانى ركعاتٍ ، وذلك ضُحًى . وذلك فى الصَّحيحين ، وزادَ أبو داود : سَلَّم من كلّ ركْعتَين . ثم لَبِسَ السِّلَاحَ ومِغفرًا من حَديدٍ ، وقد صَفَّ له الناسُ ، فرَكِبَ القَصْوَاء ، ومرّ وأبو بكر رضى الله عنه إلى جَنْبه يُحادِثُه ، وعبدُ الله بن أُمّ مكتوم بين يديه من بين الصَّفا والمَرْوَة وهو يقول :

يا حَبَّذَا مكةُ مِنْ وَادِى [أرضٌ] بها أهْلِى وعُوّادِى[٣]
[أرضٌ] بها أمْشِى بلا هادِى [أرضٌ] بها ترْسَخُ أوْتَادِى[٤]

طوافه

حتى اُنتهى إلى الكَعْبَة . فتقدّم عَلَى راحلتِه فاستَلم الرُّكن بمِحْجَنِه وكَبَّرَ ،

(١) رهجة الغبار : آثارُ الغبار
(٢) الملاء جمع ملاءة : وهى ثوب يُشتَمَل به . ومُمَعصفَر : مصبوغ بالعُصفر فهو أصفَرُ
(٣) ما بين الأقواس زيادة من ابن سعد ج ٢ ص ١٠٢
(٤) فى الأصل : « ترنم »

فكبَّرَ المسلمون لتكبيره حتى ارتجّتْ مكةُ تكبيراً.فأشار إليهم : أن اسكتُوا ! والمشركون فوق الجبال ينظُرون . ثم طافَ، ومحمد بن مَسْلمة[1] آخذٌ بزمامها ، وحولَ الكعْبة ثلاثمائة وستُّون صنماً مرصّصة بالرَّصاص — وهُبَلُ أعظمها وهو وِجاهَ الكعْبة على بابها ، وإسافٌ ونائلةُ حيْثُ ينْحرون ويذْبحون — ، فجعَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كلَّما مرَّ بصنمٍ منها يُشير بقضيبٍ فى يَدِه ويَقُول : « جاء الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقاً » . فيقعُ الصنمُ لوَجهِه . فطاف سَبْعاً يَسْتلم الركن بمِحْجَنه فى كلِّ طوافٍ . فعَطِش [صلى الله عليه وسلم][2] — وكان يوماً صائفاً — فاستَسْقى[3] ، فأُتِىَ بقَدَحٍ من شرابِ زَبيبٍ ، فلمَّا أدْناه من فِيهِ وَجَد له ريحاً شديدةً فردّه ، ودَعا بماء من زَمْزَم فصبَّهُ عليه حتى فاضَ منْ جَوانبه ؛ وشرِب منه ، ثم ناوله الذى عَنْ يمينه . فلمَّا فرَغ من سُبْعِه[4] نزَل عن راحلته ، وجاء مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة فأخرج راحلته . وانتهى رسولُ الله إلى المقَام — وهو يومئذٍ لاصقٌ بالكعبة ، والدِّرع والمِغفَرُ عليه ، وعمامةٌ لها طرَفٌ بين كتِفَيه — فصلَّى ركعتين ، ثم انصرف إلى زمْزَم فاطَّلع فيها وقال : لَوْلا أنْ يُغْلَبَ بَنُو عبد المطَّلب لنَزَعْتُ منها دَلْواً ! فنَزَع له العبّاس بن عبد المطلب دَلْواً فشَرِب منه . ويقال : الذى نَزَع الدَّلْوَ أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب . ولم يَسْعَ بين الصفا والمرْوَة لأنَّه لم يكن يومئذ مُعتمِرًا

الأصنام التى حول الكعبة

كسر هُبَل

وأمر بهُبَل فكُسِّر وهو واقِفٌ عليه ، فقال الزُّبير بن العوَّام لأبى سفيان

---

(١) فى الأصل : « سلمة »

(٢) ما بين القوسين كان فى الأصل بعد قوله : « صائفا » ، وهذا موضعه

(٣) استسقى : طلب أن يُسقَى

(٤) السُّبْعُ والأسبوع : طوافُ المعتمر والحاجّ بالكعبة سَبْعَة أشواط

ابن حَرْب : يا أبا سُفْيان ! قد كُسِرَ هُبَل ! أَمَا إنَّكَ قد كنت منه يوم أُحُدٍ فى غُرُور ، حين تَزْعُمُ أنَّه قد أَنْعَمَ ! فقال : دَعْ هٰـذَا عنك يا ابنَ العَوَّام ، فقَدْ أَرَى لَوْ كان مع إله محمّدٍ غيرُه لَكَانَ غيرُ ما كان

خبر زَمْزم

ثم انْصَرَف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجَلَسَ ناحيةً من[1] المسجد والنّاسُ حولَه ، فأُتِىَ بدَلْوٍ من زَمْزَم فغَسَل منها وَجهَه ، فما يَقع منه قَطْرَةٌ إلّا فى يَدِ إنْسَان : إنْ كانت قَدْرَ ما يَحْسُوها حَسَاها ، وإلا تَمَسَّح بها . والمشركون يَنظُرُون ، فقالوا : ما رأينا مَلِكاً قَطُّ أَعظَمَ من اليَوْم ، ولا قَوْماً أَحْمَق من القَوْم يَتَّصِلُ به !

إسلام قريش والبيعة

وجاءَتْه قُرَيش فأَسلموا طَوْعاً وكَرْهاً ، وقالوا : يا رسولَ الله ! اصنَعْ بنا صُنْعَ أخٍ كَرِيم . فقال : أنتُم الطُّلَقاء ! وقال : مَثَلِي ومَثَلكم كما قال يُوسُفُ لإخوَتِهِ : « لَا تَثْرِيبَ عليكُمُ اليَوْمَ يَغفِرُ اللهُ لَكُمْ وهُوَ أَرحَمُ الرَّاحمين » . ثم اجتَمعوا لمُبَايعته ؛ فجَلَس عَلَى الصَّفَا ، وجلس عمر بن الخطَّاب أسفَلَ مجلِسِهِ يأخُذُ عَلَى النّاس ، فبايَعُوا عَلَى السَّمْعِ والطَّاعة لله ولرسوله فيما استَطَاعوا ، فقال : لَا هِجْرَةَ بعد الفَتْح .

غسل الكعبة

وتجرَّد الرجال من[2] الأُزُر ، ثم أخَذُوا الدَّلْوَ فغَسَلوا ظَهْرَ الكعبَة وبَطْنَها حتى انْبعَجَ[3] الوادى من الماء ، فلم يَدَعُوا فيه صورةً ولا أثراً من آثار المشركين إلّا مَحَوْه . وكان صلَّى الله عليه وسلم لمَّا جلَسَ ناحيةَ من المسجد ، تَوَضَّأَ بسَجْلٍ[4] من زَمزَم قريباً من المَقَام ، والمسلمون يُبَادرون

(١) فى الأصل : « من من » مكررة

(٢) فى الأصل : « فى »

(٣) فى الأصل : « إن بعج » . وانبَعَج : اتّسع فيه الماء وانفرج

(٤) السجل : الدلو الضخمة

وَضُوءَه يَصُبُّوبه على وُجُوههم ، والمشركون يَتَعجَّبون ويقولون : ما رأينا مَلِكاً قطُّ بَلَغَ هذا ولا شبيهاً به !

مفتاح الكعبة

ثم أرْسَل بلالاً إلى عُثْمان بن طَلْحَة ليأتِيَه بمِفْتاحِ الكَعْبةِ فمنَعتْه أُمُّه ، حتى جاء أبُو بَكْر وعمرُ رضى الله عنهما ، فدَفعتْه إلى ابنها فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تَنَاوَلَهُ قال العباس : يا رسول الله ! أجمعْ لنا بين السقايةِ والحِجَابةِ [(١)] . فقال عليه السلام : أُعْطِيكم ما تُرْزَأُون فيه ولا أُعطيكم ما تَرْزَأُون به [(٢)] . وقيل : بَلْ جاء عُثْمان بنُ طلحة بالمِفتاح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بَلَغَ رأس الثَّنِيَّة . وقيل : بَعثَ صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطَّاب رضى الله عنه من البَطْحاء — ومعه عُثْمان بن طلحة — ليَفْتَحَ البيْتَ ، ولا يَدَعَ صورةً إلاَّ مَحاها ، [ولا تِمْثالا] [(٣)] ، فترك عمر صورةَ إبْراهيم عليه السلام حَتى مَحَاها عليه السلام .

محو الصور

دخوله الكعبة

ودخَلَ صلى الله عليه وسلم الكَعْبَةَ — ومعه أُسامة بن زَيْد وبِلالٌ وعُثْمان بن طَلْحَة — فمكَثَ فيها وصلَّى ركْعتين ، ثمَّ خَرَجَ والمفتاحُ فى يَدِه . ووقف على البَاب خالدُ بن الوليد يَذُبُّ الناسَ عَنْه حتى خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوقف على بابِ البيت وأخَذَ بعِضَادَتَيْه [(٤)] ، وأشْرَفَ على الناس وفى يَدِه المِفتاح ، ثم جَعله فى كُمِّه ، وقال — وقد جَلَسَ الناسُ — :

---

(١) السقايةُ : سقاية الحاجِّ ، وذلك سقيهم الشراب ، وكانت قريش تسق الحاجّ من الزبيب المنبوذ فى الماء . وكان العباس بن عبد المطلب يلى سقاية الحاج فى الجاهلية والإسلام . والحجابة : حجابة الكعبة ، وهى السِّدَانة أيضاً : وهى توّلى حِفْظها ، وفى أيدى أصحابها تكون مفاتيح الكعبة . وقد قال رسول الله : « كلّ مأثُرَة من مآثر الجاهلية تحت قدمَىَّ ، إلاسقايةَ الحاجّ وسِدَانة البيت »

(٢) رُزِئَ : أصيب فى ماله . ورَزَأه : أصاب منه خيراً ما كان . يقول رسول الله : أعطيكم ما يصيبُ الناسُ به من خير أموالكم ، ولا أعطيكم ما تصيبون به من خير الناس

(٣) هذه زيادة فى الخبر من الأصل ، وإجماع الرواية على أنه أمر عمر أن يمحو الصُّوَر . وأما خبر كسر التماثيل ففيه أقوال كثيرة ليس هذا موضع بيانها

(٤) عضادتا الباب : الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله

خطبة رسول الله على باب البيت

الحمدُ لله الذى صَدَق وعْدَه ، ونَصَرَ عَبْدَه ، وهَزَمَ الأَحْزاب وَحْدَه : [يا مَعشَر قُرَيش][(١)] : مَاذا تَقُولون ؟ وماذا تَظُنُّون ؟ قالوا : نَقُول خيراً ونَظُنُّ خيراً ، أخٌ كَرِيمٌ وابْنُ أخٍ كَرِيم ، وقَدْ قَدَرْتَ . فقال : فإنِّى أقول كما قال أخى يُوسف : « لا تَثْرِيبَ عَلَيْـكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَـكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ »

ألاَ إن كُلَّ رِباً فى الجَاهِلية ، أو دَمٍ ، أومالٍ ، أوْ مَأْثُرَةٍ فهوَ تحتَ قَدَمىَّ هاتَيْنِ إلاَّ سِدَانةَ البيْتِ وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ . ألاَ وَفِى قَتِيل العَصَا والسَّوْط الخطأُ شِبْهُ العمد ، الدِّيَةُ مُغَلَّظَةٌ مائةُ ناقةٍ ، منها أربعون فى بُطُونِها أولاَدُها

إنَّ الله قد أذْهَب نَخْوَةَ الجاهِليّة وتَـكَاثُرَها بآبائها ، كلُّـكم لآدَمَ وآدمُ من ترابٍ ، وأَكْرَمُـكُمْ عندَ الله أتقاكُمْ . ألا إنَّ الله حَرَّم مكةَ يومَ خلَق السَّمٰوات والأرضَ ، فهى حَرامٌ بحَرَام الله ، لم تُحَلَّ لأحدٍ كان قَبلى ، ولا تَحِلُّ لأحدٍ كائنٍ بعدى ، ولم تُحَلَّ لى إلّا ساعةً من النهـار . ألا لا يُنَفَّرُ صَيْدُها ، ولا يُعضَدُ عِضاهُها[(٢)] ، ولا تَحِلُّ لُقطَتُها إلّا لمُنْشِدٍ[(٣)] ، ولا يُخْتَلى خَلاها[(٤)] . فقال العبَّاس : إلّا الإذْخِرَ يا رسولَ الله ، فإنّه لا بُدَّ منه للقُبورِ وظُهورِ البُيوت ! فسكتَ ساعةً ثم قال : إلّا الإذْخِرَ فإنّه حلالٌ

ولاَ وصيَّةَ لوارثٍ . وأنَّ الوَلَدَ للفِرَاش وللعاهر الحَجَرُ . ولا يَحِلُّ لامْرَأةٍ تُعْطِى من مَالِها إلا بإذْن زَوْجِها . والمُسلِم أخُو المُسلم ، وَالمسلمون إخْوةٌ . والمُسلِمون يدٌ واحدةٌ على مَنْ سِواهُم ، يَتَكافَؤُنَ دِمَاءَهُمْ ، يرُدُّ عليهم

(١) زيادة لازمة للبيان

(٢) العضاه : شجر عظام له شوك ، وهو ضروب كثيرة . ويعضَد : يُقطَع

(٣) اللُّقطة : الشىء تراه ملق فتأخذه . والمنْشِد : المعرِّف الذى يعرِّف الضالة واللّقَطَة

(٤) الخلا : الحشيش من بقول الربيع ما دام رطبا . واختلى : قَطَع أو نزع

أَقْصَاهُم ، ويَعْقِدُ عليهم أَدْناهم ، ومُشِدُّهُمْ على مُضْعِفِهِم[١] ، ومُسَيِّرُهم[٢] على قَاعِدِهِم . ولاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بكافرٍ ، ولا ذُو عَهْدٍ فى عَهْدِه . ولا يتوارَثُ أَهلُ مِلَّتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْن . ولا جَلَبَ ولا جَنَبَ[٣] . ولا تُؤْخَذُ صدقاتُ المسلمين إلاَّ فى بُيوتِهم وبِأَفْنِيَتِهِم . ولا تُنْكَحُ المرأةُ على عَمَّتِها وخَالَتِها . والبَيِّنَةُ عَلَى من ادَّعى ، واليمينُ على من أَنْكَر . ولا تُسافِرُ امْرَأَةٌ مسيرةَ ثَلاثٍ إلا مَع ذِى مَحْرَم . ولا صلاةَ بعد العَصْرِ وبَعد الصُّبْح . وأَنْهاكُم عن صِيامِ يَوْمين : يومِ الأَضْحَى ويومِ الفِطْرِ ، وعَنْ لِبْسَتَين : لا يَحْتَبِ أَحَدُكم فى ثوبٍ واحدٍ يُفْضِى بعَوْرَتِه إلى السَّماء ، ولا يَشْتَمِل الصَّمَّاء[٤] ؛ ولا إِخَالُكُم إلاَّ وقَدْ عَرَفْتُمُوها

ردّ المفتاح إلى عثمان بن طلحة

ثم نزلَ ومعه المِفْتاحُ ، فتَنَحَّى ناحيةً من المسجد فَجَلَس فقال : ادْعُوا إلىَّ عُثْمان بن طَلْحَةَ ، فدُعِىَ . وكانَ صلّى الله عليه وسلم قال لَه يوما بمكَّةَ ، وهو يَدْعوه

(١) المُشِدّ : الذى دوابّه شديدة قوية . والمضعف : الذى دوابّه ضعيفة . يريد أن القوىّ من الغُزاة يُساهِم الضعيف فيما يكسبُه من الغنيمة

(٢) فى الأصل : « متسيرهم » . والمسيّر : الذى أخرجَ من بلده للغزو ، والقاعد : الذى لم يخرجْ له

(٣) الجَلبُ : أن يتخلّف الفرسُ فى السّباق ، فيحرّكَ وراءَه الشىء يستحثّ فيسبقُ . والجنبُ : أن يُجْنبَ مع الفرس الذى يسابقُ فرس آخر عُرْى ، فيرَسل ، حتى إذا دَنا تحوّل راكبُه على الفرس المجنوب فأخذ السَّبَق . هذا تفسيره فى السباق ، وثمّة تفسير آخرُ لهذين الحرفين فى أمر الزكاة . وذلك أن الجلب : أن يقدم المصدّق على أهل الزكاة ، فينزل موضعاً ، ثم يرسل إليهم من يَجلبُ إليه الأموال من أماكنها ليأخُذَ صدقاتها ، فنُهى عن ذلك ، وأمِر أن يأخُذَ صدقاتهم من أماكنهم وعلى مياههم وبأفنيتهم . والجنب : أن ينزل العامل المصدّق بأقصى مواضع أصحاب الصدقة ، ثم يأمُر بالأموال أن تُجنَبَ إليه أى تُحضَر ، فنهوا عن ذلك . أو أن يُجنِبَ رب المال بماله (أى يبعدهُ عن موضعه) ، حتى يحتاج العاملُ إلى الإبعاد فى اتّباعه وطلبه

(٤) الاحتباء : أن يَضمّ الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظَهْره ، ويشدّه عليها ، فهو جالس كأنه مستند . واشتمل : تغطّى بشملة ، واشتَمل الصماءَ : أن يردّ الكساءَ من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم يردّه ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن ، ويغطيهما جميعاً ، فكذلك يسدّ على يديه ورجليه المنافذ كلها ، كأنها لا تصل إلى شىء ولا يَصلُ إليها شىء ، كالصخرة الصماء التى ليس فيها خَرْق ولا صدْع

إلى الإسْلام ، ومع عُثمان المِفْتَاحُ ، فقال : لعلَّكَ سَتَرى هَذَا المِفْتَاحَ يوماً بيَدِى أَضَعُه حيثُ شِئْتُ ! فقال له عُثْمان : لقد هَلَكَتْ إِذَنْ قُرَيْشٌ وذَلَّت ! فقال صلى الله عليه وسلم : بل عَمِرَت وعزَّت يَوْمَئِذٍ[(١)] ! فأَقْبل عثمانُ ، فقال عليه السلام : خُذُوهَا يا بَنِى أَبِى طَلْحة تَالِدةً خالدةً[(٢)] ، ولا يَنْزِعُها منكم إلاّ ظالِمٌ ! يا عُثْمان ! إن الله استأْمَنَكُمْ على بَيْتِه ، فكُلُوا بالمعروف . فلما وَلَّى عُثْمان نَادَاه عليه السلام فرجَع إليه ، فقال له : أَلَم يَكُنِ الَّذِى قُلْتُ لَكَ ؟ فذكر عثمان قَوْلَه لَهُ بمكة ، فقال : بَلَى ! أَشهد أنَّك رسولُ الله . فقال : قُمْ عَلَى البَابِ ، وكُلْ بالمعْرُوفِ . وَدفَع عليه السلام السِّقَايَةَ إلى العبَّاس رضى الله عنه

معاتبة خالد بن الوليد من أجل قتاله

وقال لخالدِ بن الوَليد رضى الله عنه : لِمَ قاتلتَ وقد نُهِيتَ عن القِتَال ؟ فقال : هُمْ يا رسولَ الله بَدأُونا بالقِتَال ، ورَشَقُونا بالنَّبْل ، ووضَعُوا فينا السِّلاح ، وقد كَففْتُ ما استطعتُ ، وَدَعَوتُهم إلى الإسْلام وأَنْ يدخُلوا فيما دَخَل فيه النَّاسُ فأَبَوْا ، حتَّى إذا لم أجِدْ بُدًّا قاتَلْتُهم ، فظَفَّرنا الله عليهم وهَرَبوا فى كلِّ وَجْهٍ يا رسولَ الله ! فقال : فكُفَّ عَنِ الطَّلَبِ . قال : قَدْ فَعَلْتُ يا رسولَ الله . قال : قَضاء الله خيرٌ

النهى عن القتال إلا خزاعة عن بنى بكر

ثم قال : يا مَعَاشِرَ المُسلِمين ! كُفُّوا السلاحَ ، إلاَّ خُزَاعةَ عن بنى بَكْرٍ إلى صلاة العَصْر . فخَبَطُوهم ساعةً ، وهى السَّاعة التى أُحِلَّتْ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم لَمْ تُحَلَّ لأحدٍ قَبْله . وقيل : خَبطُوهم إلى نِصْفِ النَّهار . وكان صلى الله عليه وسلم نَهَى أنْ يُقْتَل من خُزاعةَ أحدٌ . و بعث تَميمَ بن أَسَدِ الخُزاعِىّ فَجَدَّد

تجديد أنصاب الحرم

أَنصاب الحَرَم . ودخل جُنَيْدِب بن الأَدْلع [الهذلىّ][(٣)] مكةَ يرْتادُ وَينظُر

(١) عَمِرَ الرجل يعمر عَمَراً : عاش وبقى زماناً طويلا
(٢) تالدة : قديمة أصلية يتوارثونها عن آبائهم
(٣) زيادة للبيان

— والناس آمِنُون — فرآهُ جُنْدُب بن الأعجم[1] الأسلميّ ، فقال : جُنَيدِبُ ابن الأدْلع ! قاتِلُ أحمرَ ؟[2] فقال : نعم ! فخرَج جُنْدِبُ [بن الأعجم][3] يستجِيشُ عليه[4] حيَّه ، فلَقِيَ خِراشَ بن أمية الكعْبيَّ فأَخْبَره . فاشتمَل خِراشٌ على السيفِ ثم أقبل إليه — والناسُ حوله وهو يُحدِّثُهم — فحمل عليه فقتَله .

ويقال إنه قتله بالمُزْدَلِفَة

خطبته لما كثر القتل بين خزاعة وبنى بكر

فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قتلُه ، قام خطيباً — الغَدَ من يوْم الفَتح بعد الظُّهر — فقال : أيها الناسُ ! إن الله حرَّمَ مكةَ يومَ خَلَق السمواتِ والأرضَ ، ويومَ خَلَق الشمسَ والقمرَ ووضع هذيْن الجَبَلين ، فهى حرامٌ إلى يوم القِيامة . لا يَحِلُّ لِمُؤْمنٍ يؤمنُ بالله واليومِ الآخِر أن يَسْفِكَ فيها دَمًا ، ولا يَعْضِدَ فيها شجراً . لم تُحَلَّ لأحدٍ كان قَبْلى ، ولا تَحِلُّ لأحدٍ [يكونُ][5] بعدى ، ولمْ تُحَلَّ لى إلا ساعةً من نهارٍ ، ثم رجعتْ حُرْمَتُها بالأمسِ ، فَلْيُبَلِّغْ شاهدُكم غائِبَكم . فإن قالَ قائل : قد قاتَلَ فيها رسولُ الله ! فقولوا : إنَّ الله قد أحلَّها لِرَسولِه ولم يُحِلَّها لكم ! يا معشر خُزاعة ! أرْفعوا أيديكم عن القَتلِ ، فقدْ واللهِ

(١) فى الأصل : « الأعجر »

(٢) فى الأصل : « فقال : جنيدب بن أحمر ، قاتل أحمر باسا » . وهذا نصّ فاسد ، وقد اعتمدنا فى تصحيحه على سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٢٢ . وقوله : « قاتل أحمر بأسا » تخليط ، فإن خبر ابن هشام عن رجُل من أسلم قال : « كان مَعَنا رجُل يقال له أحمرُ بَأساً ، وكان شجاعا ، وكان إذا نام غَطّ غطيطاً منكراً لا يَخفَى مكانه . . . . فإذا بُيِّتَ الحيّ صرَخوا : يا أحمرُ ! ! فيثورُ مثلَ الأسدِ لا يقومُ لسبيله شيء » . فقوله : « أحمر بأساً » ، ليس اسمه مركباً كما توهم المقريزى ، وإنما المراد أنه سُمّى (أحمر) لبأسه . والعرب تصف الشديد القوى الذى لا يقوم له شيء فتقول مثلا : مَوْت أحمر ، لما فيه من المشقة والشدة ، وسَنَة حمراء : شديدة ، قد أجدبتْ

(٣) فى الأصل : « جنيدب » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، وزدنا ما بين القوسين للإيضاح والبيان

(٤) استجاش قومه : أى أثارهم وجمّعهم ، وطلب أن يؤلّفهم جيشاً

(٥) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٨٢٤

كَثُرَ إن نَفَعَ(١) . وقد قَتلتُمْ هذا القتيل ، وَاللهِ لأدِينَنَّه ! فمَنْ قُتِل بعد مَقَامى هذا فأَهْلُه بالخِيار : إن شاءوا فَدَمُ قَتِيلِهم ، وإن شاءوا فعَقْلُه(٢) . ويُرْوَى أنه قام خطيباً فقال : إن أعْدَى الناسِ على الله(٣) : من قَتَل فى الحَرَم ، ومن قتل غيرَ قاتِلِه ، ومن قتل بذُحُولِ الجاهلية(٤) . ويقال : إنَّ قَتْل خِراشٍ لجُنَيْدِب كان بعد ما نَهَى النبىُّ صلى الله عليه وسلم عن القَتل ، وإنه عليه السلام قال : لو كُنْتُ قاتلاً مُؤْمِناً بكافرٍ لقتلت خراشاً بالهُذَلِىّ . ثم أمَرَ خزاعة يُخرِجونَ دِيَتَه ، فأخرجوها مائةً من الإبِل ، فكان أوّل قَتيلٍ وَداهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام

أذان بلال على ظهر الكعبة ، ومقالة قريش

وجاءت الظُّهْر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً أن يُؤَذِّنَ فوْق ظَهْرِ الكعبة . وكانت قُرَيْشٌ فوق رؤوسِ الجبالِ ، وقد فرَّ وُجوههم وتَغَيَّبُوا خوفاً أن يُقتَلوا . فلمّا أذَّنَ بلالٌ ورَفع صوتَه كأشَدِّ ما يكونُ وقال : أشهدُ أن محمداً رسولُالله — قالت جُوَيْرِية بنت أبى جَهل : قَدْ لَعَمرى رَفَعَ لَكَ ذِكْرَكَ ! أمّا الصلاةُ فسَنُصَلى ، واللهِ لا نُحِبُّ من قَتَلَ الأحِبَّة أبداً ، ولقد كان جاء أبى الذى جاء محمداً من النُّبُوّة فردَّها ، وكَرِه خِلافَ قَوْمِه . وقال خالدُ بن الأُسيد : الحمدُ لله الذى أكْرَم أبى فلم يَسْمَع هذا اليوْم ! وقال الحارثُ بن هِشام : واثُكلاَه ! ليْتَنى مِتُّ قَبْلَ هذا اليوْم ! قبل أن أسمعَ بلالا يَنْهَقُ فوْق الكعبة ! وقال الحَكَمُ بن أبى العاص : هذا واللهِ الحَدَثُ العظيم ، أنْ يَصِيحَ عَبْد بنى جُمَح على بَنِيّةِ أبى طَلحة(٥) ! وقال سهيل بن عمرو : إنْ كان هذا سَخَطاً لله فسَيُغَيِّره ،

(١) فى الأصل : « كبر أن يقع »
(٢) فى الأصل : « ففغله » ، والعَقْل : دية القتيل
(٣) أعدى الناس : أجرأهم وأكثر تعدياً لحدود الله
(٤) الذّحول جمع ذَحل : وهو الثأرُ والعداوةُ
(٥) البنيّة : البيت المبنى ، يريد الكعبة

وإن كان لله رضًى فسيُقِرُّه . وقال أبو سُفيان بن حرْب : أمّا أنا فلا أقول شيئاً ، لو قلتُ شيئاً لأخبرَتْه هذه الحَصباء(١) ! فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرَه خبرَهم

أمية بن أبي عبيدة

وأتاه يَعلَى بن مُنْيَة بأبيه(٢) فقال : يا رسولَ الله ، بايعْ أبي على الهِجْرة . فقال : لا ! بلْ أبايعُه على الجهاد ، فقد انْقضَت الهجرةُ

سهيل بن عمرو

وكان سُهَيْل بن عمرو أغلقَ عليه [بابَه](٣) ، وبعث إلى ابنه عبد الله بن سُهَيْل أن يأخذَ له أماناً ، فأمّنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : مَنْ لقيَ سهيل بن عمرو فلا يُشِدَّ النَّظَرَ إليه(٤) ! فلعَمْرِي إن سُهيلًا له عَقْلٌ وشَرَفٌ ، وما مثلُ سهيلٍ جَهِلَ الإسلام ، ولقد رأى ما كانَ يُوضِعُ فيه(٥) أنَّه لم يكن له بنافعٍ . فخرجَ عبد الله إلى أبيه فأخبرَه ، فقال سُهَيْل : كان والله بَرًّا صغيراً وكبيراً ! فخرج وشهِدَ حُنَيناً ، وأسْلم بالجِعِرّانَة

هبيرة بن أبي وهب وابن الزبعرى

وهرَب هُبَيْرة بن أبي وَهْب زوج أمّ هانئ بنت أبي طالب — هو وعبدُ الله ابن الزِّبَعْرَى بن قَيْس بن عَدِيّ بن سعد بن سَهْم القرشيُّ السَّهْمِي — إلى نَجْران . فبعثَ حَسان بن ثابت بشعر إلى ابن الزِّبَعْرَى فجاء . ولما نظرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليْهِ قال : هٰذا ابن الزِّبَعْرَى ومعه وجْهٌ فيه نورُ الإسلام ! فأسلمَ . وماتَ هُبَيْرةُ بنجْران مشرِكاً

(١) الحصباءُ : الحصا الصغارُ

(٢) أبوه هو : « أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث التميمي الحنظلي ، حليف قريش » . وأما « مُنْيَةُ » التي يُنسَب إليها فهي : « منية بنت الحارث بن جابر » ، قيل : هي أمه ، وقيل : أم أبيه أميّة ، وأمّ العوّام والد الزبير بن العوّام أيضا

(٣) زيادة للبيان

(٤) أشدَّ النظر إليه : أحدَّهُ وشدد فيه

(٥) أوْضَعَ في الأمر : اجتهد فيه واشتدّ وأسرع في إنفاذه ، وأصله من الوَضْع : هو سير الإبل والدواب سيراً ليس بالشديد

حويطب بن عبد العزى

وهربَ حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى بن أبي القيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤَى القرشيُّ العامريُّ ، فأمَّنَه أبو ذَرّ رضى الله عنه ، ومشَى معه ، وجمع بَيْنه و بين عِياله

إسلام نساء من قريش بيعتهن ، وخبر هند بنت عتبة

وأسلمتْ هِندُ بنت عُتبة ، وأمُّ حكيم بنتُ الحارث بن هشام : امرأةُ عِكْرِمة ابن أبي جَهْل ، والبَغُوم بنت المُعذَّل[1] : امرأةُ صَفوان بن أُمَيّة ، وفاطمة بنتُ الوَليد بن المُغيرة ، وهندُ بنت مُنَبِّه بن الحجَّاج : أمُّ عبدِ الله بن عمْرو بن العاص في عَشرِ نِسْوَةٍ من قُرَيش . فأتَين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبْطَح — وعنده زَوْجَتاه وفاطمةُ ابنتُه ، في نساء من نساء بنى عبد المطَّلب ، فبايعْنَه ، ولم تَمَسَّ يدُه يَدَ امرأةٍ . وقيل : وَضَع على يده ثوبا ثم مَسَحْن على يده . وقيل : أَدْخَل يده في قَدَحٍ فيه ماء ، ثم دَفعه إليهنّ فأدخلْنَ أيْدِيَهُنَّ فيه . وقيل : بل كانت بَيعة النساء عُقَيْب بَيعة الرِّجال عند الصفا . ورُوِّيَتْ[2] فيهنَّ هِند وهى مُتَنكِّرَةٌ لأجْل صنيعها بحمْزَة — وكان زوجُها أبو سفيان حاضراً — فعرَفَها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنَّكِ لهِندُ ! فقالت : أنا هِند ، فاعْفُ عمَّا سَلَفَ . فبايعهُنَّ عُمَر رضى الله عنه ، واستغفرَ لهنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

إسلام عكرمة بن أبي جهل

وطلبتْ أمُّ حكيمٍ أماناً لِعِكْرِمةَ وقد هربَ إلى اليمن ، فأمَّنَه . فَخَرجتْ إليه حتى قَدِم . فلما دَنا من مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأْتيكُمْ عِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ مؤمناً مُهاجراً ، فلا تَسُبُّوا أباهُ ، فإنَّ سَبَّ الميِّتِ يُؤْذِى الحيَّ ولا يَبْلُغُ إليه ! فلما رآه وَثَبَ إليه فرَحا ، فوقَفَ — ومعه امرأته مُنْتَقِبَةً — فقال : يا محمَّد ، إنّ هٰذه أخبرَتْنى أنك أمَّنْتَنى ! فقال : صدَقَتْ ، فأنت آمِنٌ ! فأسْلَمَ

(١) فى الأصل : « المعزل »
(٢) فى الأصل : « رأيت »

صفوان بن أبي أمية

وهرَب صفوانُ بن أُمَيّة بن خَلَف بن وَهب بن حُذَافة بن جُمَح القُرَشىُّ الجُمَحىُّ . فأخذ له عمير بن وَهب بن خَلَف بن وَهب بن حُذافة أماناً ، وَخَرج فى أثرِه حتى رَجَع . وشهِد هَوازن كافراً ، وأسلم بالجِعرّانة

عبد الله بن سعد بن أبي سرح

وكان عبدُ الله بن سعد بن أبى سَرْحٍ ممن أَهْدَر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمَهُ يوم الفَتح ، فأتى به عُثمانُ بن عفّانٍ رضى الله عنه ، وسأله أن يَهَبَه له ، فوهب له جُرْمَه . وأسلَم

الحويرث بن نقيذ

وأَهْدَر صلى الله عليه وسلم دَمَ الحُوَيرث بن نُقَيذ [1] بن بُجَيْر بن عبد بن قُصَىّ ، فضرَب علىٌّ رضى الله عنه عُنُقَه ، وكان موْذِياً لله ولرسوله

هبار بن الأسود

وأَهْدَر دَمَ هَبّار بن الأسود بن المُطَّلِب بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ الأسدىّ القرشىّ ، فأسلم

ابن خطل

وأخرج أبو بَرْزَة الأسْلَمِىُّ عبدَ الله بن خَطَل [2] — وهو مُتعلِّقٌ بأستار الكعبة — فضرَب عُنُقَه بين الرُّكْن والمَقام .[ويقال قتله سَعيد بن حُرَيث المخزومىُّ . ويقال : عَمّار بن ياسر . وقيل : نَضْلة [3] بن عَبد الله بن الحارث بن حِبّال بن رَبيعة [4] بن دِعْبل بن أنس بن خُزَيمة بن حَديدة بن مازن بن الحارث [5] ابن سَلامان بن أَسْلم بن أَفْصَى بن حارثة بن عَمْرو مُزَيْقِيَا [6] ويقال : شريك بن

(١) فى الأصل : « نقيد » ، وانظر ص (٣٧٨) ، والتعليق

(٢) انظر ص (٣٧٨) ، وقد اختلف فى اسمه فقيل : هلال بن خَطَل ، وقيل : عبد الله بن خَطَل

(٣) نضلةُ هذا هو أبو بَرْزة الأسلمى الذى أخرج ابن خطل وقتله كما ذكر قبل ، فهذا القول تكرار لا معنى له

(٤) فى الأصل : « ربيع » ، وانظر ابن سعد ج ٤ قسم ٢ ص ٣٤ ، و ج ٧ قسم ١ ص ٤ وقسم ٢ ص ١٠٠ . وفى بعض النسب اختلاف

(٥) فى الأصل : « الحرب »

(٦) نسب أبى برزة : نضلة بن عبد الله ، على سياقته هذه لم أجدهُ

عَبْدَةَ العَجْلَانيُّ[١] وأَثْبَتَه أبو بَرْزَة] . وفيه نزَلَتْ : « لا أُقْسِمُ بِهَـٰذَا البَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا البَلَدِ » . وفى المستدرَكِ للحاكم ، عن السائب بن يَزيد قال : رأيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخْرَج عبد الله بن خَطَل من بَين أستار الكَعبة فقتله صَبْرًا[٢] ، ثم قال : لا يُقْتَلُ أحدٌ من قريشٍ بَعد هذا صبْرًا

سارة

وقُتِلت سارَة مولاةُ عَمْرو بن هشام[٣] ، وهى التى حَمَلت كتابَ حاطِب ابن أبى بَلْتَعَةَ ، قَتَلها علىٌّ رضى الله عنه . ويقال : غيرُه

أرنب

وقُتِلت أَرْنَب [أو قُرَيْبة] ، وأسلمت فَرْتَنَى

مقيس بن صبابة

وقتَل مِقْيَسَ بن صُبَابة[٤] نُمَيْلَةُ بن عَبد الله اللَّيْثِيّ . وقيل : رآه المسلمون بين الصَّفا والمرْوَة فقتلوه بأسيافهم

مقالة أبى سفيان فى القتلى

ولما قُتِلَ النَّفَر الذين أمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتْلهم ، سُمِع النَّوح عَليهم . وجاء أبو سفيان بن حَرْب فقال : فِدَاكَ أبى وأُمِّى ! البَقِيَّةَ فى قَوْمِك[٥] ! فقال صلى الله عليه وسلم : لا تُقْتَلُ قُرَيْشٌ صبْرًا بعدَ اليوم ، [يعنى على كفر] . وفى رواية : لا تُغْزَى قريشٌ بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة ، [يعنى على كفر]

الأمر بقتل وحشى

وأَمَر عليه السلام بقتل وَحْشِىّ ، ففرَّ إلى الطائف حتى قَدِم فى وَفْدِهم فأَسْلَم ، فقال له عليه السلام : غَيِّبْ عَنِّى وَجْهَك ! فكان إذا رأى النبىَّ صلى الله عليه وسلم تَوارى[٦] عنه

(١) ويعرف باسم : « شريك بن سحماء » ، وسحماء أمه
(٢) قُتل صَبْراً : إذا قُتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ ، من الصَّبْر وهو الحبس ، فكأنه أمسك على الموت وحبس عليه
(٣) فى الأصل : « هاشم »
(٤) انظر ص (١٩٧)
(٥) البقيةُ : الإبقاءُ على الشىء ، يريد : أبق عليهم ولا تستأصلهم بالقتل
(٦) فى الأصل : « توزى » . وتوارى : استتر منه

سلف رسول الله من بعض قريش

واستَسْلَفَ صلى الله عليه وسلم من عَبْد الله بن أبى رَبيعة أربعين ألف درهم فأعطاه ، فردَّها عليه من غنائم هَوَازن ، وقال : إنَّما جَزَاء السَّلَفِ الحَمْدُ والأداء . وقال : بارَكَ الله لكَ فى مَالِكَ وَوَلَدِك ! واسْتَقْرَضَ من صَفْوان بن أمَيَّة خمسين ألف درهم فأقْرَضَه . واستَقْرَضَ من حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى أربعين ألف درهم . فكانت ثلاثين ومائة ألفٍ قَسَمها بين أَهْل الضَّعْف ، فأصابَ الرَّجُلُ خمسين درهماً وأقلَّ وأكْثَر . وبعَثَ من ذلك إلى بنى جَذِيمة

هدية الخمر

وأُهْدِى له يومئذ رَاوِيَةُ خَمْرٍ فقال : إنَّ الله حَرَّمَهَا ! فسارَّ الرجلُ غُلامَه : اذْهَبْ بها إلى الحَزْوَرَة[1] فبِعْها . فقال : بِمَ أمَرْتَه ؟ قال : ببَيْعِها ! فقال : إنَّ الذى حَرَّم شُرْبَها حَرَّم بيْعَها ! ففُرِّغَتْ بالبَطْحاء . ونَهَى يومئذٍ عن ثَمَن الخمرِ، وثَمَن الخِنْزِير ، وثمن المَيْتَة ، وثمن الأصنام ، وحُلْوانِ الكاهِن[2]

تحريم شحوم الميتة

وقيل له يومئذٍ : ما تَرَى فى شُحُوم المَيْتَة يُدْهَن بها السِّقَاء ؟ فقال : قاتَلَ الله يَهُود ! حَرَّمَ عليهم الشُّحُومَ فباعُوها ، فأكلوا ثمنَها

وحَرَّمَ مُتْعَةَ النِّساء يومئذٍ

مكة

وقال يَوْمَئِذٍ : — وهو بالحَزْوَرَة[1] — : والله إنَّكِ لَخَيْرُ أرض الله إلَىَّ ، ولولا أنِّى أُخْرِجْتُ منك ما خَرَجْتُ[3]

العفو عن بعض أهل مكة

وهَبَط ثمانُونَ من أهلِ مكةَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من جَبَل التَّنْعيم عند صلاة الفَجْر ، فأخَذَهم سَلَمًا[4] فعفا عنهم ، ونزل فيهم : « وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أنْ أظْفَرَكُمْ

(١) الحزورة : سوق مكة ، ودخلت فى المسجد الحرام لما زيد فى بنائه

(٢) الحُلوانُ : ما يعطاه الكاهن من أجرة تجعل له على كهانته . والكاهنُ : هو الذى يتعاطى الخبر عما هو كائن فى مستقبل الزمان ، ويدعى معرفة الغيب والأسرار

(٣) فى الأصل : « أخرجت » . ولعلّ لفظ الحديث : « والله إنّكِ لأحبُّ ... »

(٤) سلم : أخذوا بغير حرب مستسلمين مذعنين منقادين

عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا » (الفتح : ٢٤)(١)

حدّ شارب الخمر

وأُتِيَ بشارِبٍ فضربُوه بما فى أَيْدِيهم ، فمنهم من ضَرَبَ بالسَّوْط وبالنَّعْلِ وبالعَصَا ، وحَثَا عليه النبى صلى الله عليه وسلم التُّرَاب

إسلام جَبر

وجاء جَبْر غُلَام بنى عبد الدّار — وقد كان يَكْتُم إسلامَه — فأَعْطاه ثمنَه ، فاشْتَرَى نَفْسَه فعَتَق(٢)

نذر رجُل الصلاة فى بيت المقدس

وقال رجُلٌ يومئذ : إنّى نَذَرْتُ أن أُصَلِّيَ فى بَيْتِ المَقْدِس إنْ فتحَ الله عليكَ مكةَ ، فقال صلى الله عليه وسلم : والّذى نَفْسى بيَده ! لَصَلَاةٌ ها هُنا أَفْضَلُ من ألف صلاةٍ فيما سواهُ من البُلْدَان . وقالتْ ميمونةُ أُمُّ المؤمنين رضى الله عنها : يا رسولَ الله ! إنّى جَعَلْتُ عَلَى نفسى — إنْ فتح الله عليكَ مكةَ — أنْ أُصلِّيَ فى بَيْتِ المَقْدِس ! فقال : لَا تَقْدِرين على ذلك ، ولكنِ ابْعَثِي بزَيْتٍ يُسْتَصْبَحُ(٣) لكِ فيه بِه ، فكأنك أتَيْتِه(٤) . وكانَتْ ميمونةُ تبعثُ إلى بَيْتِ المَقْدِس كلَّ سنةٍ بمالٍ لِيُشتَرَى به زيتٌ يُسْتَصْبَحُ به فى بيت المقدس ، حتى ماتَتْ فأوصتْ بذلك

نذر ميمونة أم المؤمنين

نساء قريش وجمالهن

وجلَس عبد الرَّحمٰن بن عَوْف رضى الله عنه فى مَجْلِسٍ فيه جماعةٌ — منهم سَعْدُ بن عُبادة رضى الله عنه — فمرّتْ نِسْوَةٌ من قريشٍ فقال سعد : قد كان يُذكَرُ لنا من نِسَاء قريشٍ حُسْنٌ وجمالٌ(٥) ، ما رأيْنَاهُنَّ كذلك ! فغَضِبَ عبد الرحمن بن عَوْف حتى كادَ أن يَقَع بسَعد وأغلظَ له(٦) ، ففرَّ منه سعدٌ حتى

(١) فى الأصل : إلى قوله تعالى « أظفركم عليهم »
(٢) عَتَقَ العبدُ : خرجَ من الرقّ إلى الحرية ، وأعتقه غيرُه : جعله كذلك
(٣) استصبح به : استسرج ، أى أشعل به السراج
(٤) فى الأصل : « أتيتيه »
(٥) فى الأصل : « حسناً وجمالا »
(٦) فى الأصل : « وأغلظ »

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! ماذا لَقِيتُ من عبد الرّحمن ؟ فقال : وما لَهُ ؟ فأخبره بما كان ، فغَضِبَ صلى الله عليه وسلم حتى كان وجهُه لَيتَوَقَّدُ(١) ، ثم قال : رأيتَهُنَّ وقد أُصِبْنَ بآبائهنَّ وأبنائهنَّ و إخْوَتهِنَّ وأزْوَاجِهنَّ! خيرُ نِساء رَكِبْنَ الإبِل نساء قُرَيْشٍ ! أَحْنَاهُ على وَلَدٍ ، وأبْذَلُه لزَوْجٍ بما مَلَكَتْ يَدٌ

هدية هند بنت عتبة بعد إسلامها

وأهْدَتْ هِند بنت عُتْبة بعد إسلامها هدِيَّةً لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم — وهو بالأبْطَحِ — مع مولاةٍ لها ، جَدْيَيْنِ مَرْضُوفَينِ وقَدٍّ(٢) . فانتهتِ الجاريةُ إلى خَيْمَتِه ، فَسلَّمَتْ واستأذَنَتْ فأَذِنَ لها ، فدخلتْ ورسولُ صلى الله عليه وسلم بين أمِّ سلَمَة ومَيْمُونَةَ ونساء بنى عبد المطَّلِب ، فقالت : إنَّ مَوْلاتى أرْسلَتْ إليك بهذه الهَدِيَّة ، وهى مُعْتَذِرَةٌ إليك ، وتقول : إنَّ غنَمنا اليوْم قليلةُ الوالِدَة . فقال : باركَ الله لكم فى غَنَمكم ، وأَكْثَرَ والدَتَها ! فسُرَّتْ هندُ لمّا أخبرتْها مولاتُها بذلك ، ورأوا من كثْرةِ غَنَمِهم ووَالدَتِها ما لم يكنْ قبلُ ولا قريباً . وكانت هندُ تقولُ : هٰذا بدُعاء رسول الله وبَرَكَته !

إحدى نساء بنى سعد وخبر وفاة حليمة السعدية

وأتَتْه إحْدَى نِساء بنى سَعد بن بَكْر — إمَّا خالةٌ أو عمَّةٌ — بِنِحْيٍ(٣) مملوء سَمناً وجرابِ أَقِطٍ(٤) — وهو بالأبطحِ — فعرفَها ، ودَعاها إلى الإسلامِ فأسلَمت ، وأخْبرته بوَفاةِ حَليمةَ(٥) فذَرَفَتْ عَيْناه ، وقالت : أَخَوَاك وأُخْتاك

---

(١) توقَّد : تلألأ وبَرَق واحمرّ ، وذلك عند الغضب وما يفعل فعله

(٢) فى الأصل : « بجديين » . المرضوف : المشوىّ على الرَّضْف ، والرضف حجارة يحمى عليها على النار ، حتى إذا احمرّتْ طرحت فى جوف الجدْى أو الحَمَلَ حتى ينشوى . والقَدّ : سقاء صغير متَّخذ من جلد السخلة يكون فيه لبن

(٣) النّحى : الزقّ من الجلد يكون فيه السَّمْن خاصّة

(٤) الأقط : يُتَّخذ من ألبان الإبل ، فيمخضْ ، ثم يطبخ ، ثم يترك حتى يمْصل ، أى يتميز ماؤه ويقطر

(٥) حليمة السعدية ، ظئره وحاضنته ومرضعته صلى الله عليه وسلم

مُحتاجون ! فأمرَ لها بكُسوة وجمَل ومائتى دِرْهم ، فقالت : نِعمَ والله المكفولُ كنتَ صغيراً ، ونعمَ المرء كنتَ كبيراً ، عظيمَ البرَكة

السَّرايا
هدم الأصنام

وبثَّ صلى الله عليه وسلم سَراياه ، وأمرَهم أن يُغيروا على من لم يُسْلِمْ . فخرج هِشامُ بن العاص فى مائتين قِبَل يَلَمْلَم . وخرَج خالدُ بن سَعيد بن العاص فى ثلاثمائة قِبَل عُرَنَة . وبعثَ خالدَ بن الوليد إلى العُزَّى فى ثلاثين فارساً فهدَمها لخَمْس[1] بَقِينَ من رَمضان ، وكانت بنَخْلَة . وبعثَ الطُّفَيل بن عمرو بن طريف بن العاص ابن ثعلبة بن سُلَيْم بن فَهْم[2] الدَّوْسِيّ إلى ذى الكفَيْن صَنَمِ عَمْرِو بن حُمَمَة [الدَّوْسيّ][3] فحرَّقه بالنَّار . وبَعثَ سعد بن زَيْد الأشهَلى إلى مَناةَ بالمُشَلَّلِ فهدَمَه . وبعثَ عمرو بن العاص إلى صنمِ هُذَيْل سُوَاعٍ فهدَمَه . ونادَى منادى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ كان يؤمن بالله وبرسوله فلا يَدَعَنَّ فى بَيتِه صنماً إلا كسرَهُ أو حرَّقَه ، وثمنُه حرام . فجعلَ المُسلمون يكسِرون الأصنام ، ولم يكن رجُلٌ من قريشٍ بمكَّة إلا وفى بيته صنَمٌ : إذا دخل مَسَحَهُ وإذا خرَج مسحه : تبرُّكاً به . وكان عِكْرِمة بن أبى جهل لمَّا أسلم لم يَسمَعْ بصنَمٍ فى بيتٍ إلا مشَى إليه حتى يَكْسِرَه . وجعلتْ هندُ بنت عُتْبة تَضْرِب صنماً فى بيتها بالقَدُوم فِلْذَةً فِلْذَةً[4] وهى تقول : كُنَّا منكَ فى غُرُورٍ ! !

مدة المقام بمكة

وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة — على ما فى صحيح البخاريّ — خمسَ عشرة ليلة ،

---

(١) فى الأصل : « بخمس »

(٢) فى الأصل : « سالم بن فهر » ، وانظر ص (٢٨) ، إسلام الطفيل الدوسى ذى النُّور

(٣) ما بين القوسين زيادة ، وكان عمرو بن حممة من حكام العرب ، قالوا وكان حاكما على دوس ثلاثمائة سنة ، ويقال إنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال : إنه مات فى الجاهلية . أما ابنه « جندب بن عمرو بن حممة » ، فأسلم وقتل يوم أجنادين . وانظر ما يأتى ص (٤١٥)

(٤) الفلذة : القطعة

[وفى روايةٍ تسعَ عشرة ، وفى أبى داود تسعَ عشرة ، وفى الترمذى ثمانى عشرة ، وقيل : عشرًا ، وقيل : بِضعَ عشرة ، وقيل : عشرين ليلة] يصلِّى ركعتين ، ويأمر أهل مكة أن يُتِمُّوا ، كما رواه النَّسائى . وأفْطَر بقية شهر رمضان

بعثة خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة وقتلهم ، وكانوا مسلمين

ولما رَجَعَ خالدُ بن الوليد من هدْمِ العُزَّى ، بعثَه رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى جَذِيمة بن عامر بن عمرو بن مناة بن كِنانة يدعوهم إلى الإسلام . فخرج أوّلَ شوال فى ثلاثمائة وخمسين إلى أسْفَل مكة وأنتهى إليهم ، فقالوا : نحنُ مُسْلِمون ! فقال خالد : اسْتأْسِرُوا ! فكَتَفَ بعْضُهم بعْضًا . ودفع خالدٌ إلى كلّ رجُل من أصحابه رجُلًا أو رجُلَيْن ، فباتُوا فى وَثَاقٍ إلى السَّحَر . فنادَى خالدٌ : مَنْ كان معه أسِيرٌ فليُدَافِّه[(١)] . فقتَل بنُو سليم من كان فى أَيْدِيهم ، وكانوا قريبًا من ثلاثين رجُلًا . وأمَّا المهاجرون والأنصارُ فأرْسَلوا أسَارَاهم ، وقالوا : أذْهَبُوا حيث شئْتُمْ ! . فغضِب خالدٌ عَلَى مَنْ أرسَل أسيرَه . فقال له أبو أُسَيدٍ السَّاعدىّ : أتّقِ اللهَ يا خالد ! ما كُنَّا لنَقْتُلَ قومًا مُسلِمين ! قال : وما يُدْرِيك ؟ قال : تَسْمَعُ إقرارَهم بالإسلام ، وهذه المساجِدُ بساحَتِهم ! فلما قَدِم خالدٌ عَلَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عابَ[(٢)] عبدُ الرحمن بن عَوْف عليه ما صنَع ، فتلاحَيَا ، وأعانَهُ عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ، وأعرضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه وقال له — وقد بلغَه ما صنع بعبْد الرحمن بن عَوْف — : يا خالد ! ذَرُوا لِى أصحابى ! مَتَى يُنْكَأُ أنفُ المرْءِ يَيْجَع[(٣)] ! لَوْ كان أُحُدٌ ذَهَبًا تُنفِقه قيراطًا قيراطًا فى سبيلِ الله لَمْ تُدْرِك غَدْوَة أو رَوْحَةً من غَدَوَات أو رَوَحات

(١) فى الأصل : « فليُذافه » ، وكلاهما صحيح ، والرواية أكثرها على ما أثبتناه ، ودافّه يدافّه ، ودفّف عليه ، وذافّه ، وذفّف عليه : أجهز عليه وحرّر قتله

(٢) فى الأصل : « غاب »

(٣) فى الأصل : « متى ينكا أنف المرء وينكا » ، ولم أجد المثل ، ولكنى هكذا أذكره . ونكأ القرحة : قشرها . وَجع فلان يَوْجع ويَيْجع : اشتكى وتألم

عبد الرحمٰن بن عَوف ! ورفَعَ صلى الله عليه وسلم يَدَيْه حتى رُؤِى بَيَاضُ إبطَيه ، وهو يقول : اللّهُمَّ إنّى أبْرَأُ إليك ممّا صنَع خالدٌ !

بعثة على بالديات إلى بنى جذيمة

وبعث عليًّا رضى الله عنه إلى بنى جَذيمة بمالٍ فوَدَى لهم ما أصابَ خالدٌ ، ودفَع إليهم مالهم . فبقيَتْ لهم بقيّةُ مالٍ ، فبعثَ علىٌّ أبا رافعٍ إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم ليَسْتزيدَه فزَاده مالاً ، فوَدَى لهم كلَّ ما أصابَ ، حتى إنّه لَيَدِى لهم مِيلَغَةَ[1] الكلبِ . وَبقِىَ مع علىٍّ شىءٌ من المال . فقال : هذه البَقِيّةُ من هذا المال لكمْ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ممَّا أَصابَ خالدٌ ، مما لا يَعلمُه ولا تَعْلَمُونَه . فأَعْطَاهم ذلك وعادَ ، فأخبرَ النبىَّ صلى الله عليه وسلم بما صنَع فقال : أصَبْتَ ! مَا أمَرْتُ خالداً بالقِتال ، إنما أمَرْته بالدُّعاء ! ثم أقْبَل عَلَى خالدٍ رضى الله عنه وقال : لَا تَسُبُّوا خالدَ بن الوليد ، فإنما هو سَيْفٌ من سُيُوف الله سَلّهُ عَلَى المشرِكين

فتح مكة

وقد اختُلِفَ فى فتح مكة ، فقال الأَوْزاعىُّ ، ومالكٌ ، وأبو حَنيفة : إنّها فُتِحَتْ عَنْوَةً ثمّ أَمّنَ أَهْلَها . وقال مجاهدٌ ، والشافعىُّ : فُتِحَتْ صلحاً بأمان عَقَدَه . وقيل : فُتِحَ أَسفَلُها عَنْوةً ، وأعلاها صلْحًا

ورُوِى أنه يوم فتحِ مكة حامَ حمام الحَرَمِ[2] فأظلّتْهُ صلى الله عليه وسلم ، فدَعَا لها بالبرَكة . وكان يُحِبُّ الحمام[3]

---

(١) فى الأصل : « مبلغه » . والمليغةُ : الإناءُ الذى يَلَغُ فيه الكلب ، أى يشرب بلسانه كفعله

(٢) فى الأصل : « الحرر »

(٣) فى الأصل : « وكانت تحت الحمام » ، وقد رووا عن عائشة : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر إلى الخضرة وإلى الأترجّ وإلى الحمام الأحمر » ، قالوا : « وكان فى منزله حمام أحمر يقال له وردان »

غزوة حنين (هوازن)

ثم خَرَج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة حُنَيْنٍ : وذلك وادٍ — ويقال ماء — بينــه و بين مكة ثلاثُ ليالٍ فى قُرْبِ الطائف . سُمِّى بحُنَيْن بن قانية بن مَهْلَائيل من جُرْهم ، وقيل : حُنَيْن بن مائقة بن مهلان بن مهليــل بن عبيل بن عوص بن إرم بن سام(١) بن نوح

جموع هوازن وثقيف

وذلك أن أَشْرَاف هَوَازِن وثقيف حَشَدُوا ، وقد جَعَلوا أمرهم إلى مالك بن عَوْف بن سعد بن رَبيعــة بن يرْبوع بن واثلة(٢) بن دُهْمَان بن نصر بن مُعاوية ابن بكْر بن هَوازن النَصْرِى ، وهو ابن ثلاثين سنة . وأقبلتْ ثقيفٌ ونَصْرٌ وجُشَم ، وكان فى ثقيفٍ سيِّدَان(٣) لها هُما : قارِب بن عبد الله بن الأسْوَد(٤) بن مَسعُود الثقَفِىّ ، وذُو الخِمار سُبَيْع بن الحارث ، [ويقال الأحمر بن الحارث](٥). وأُجْتَمَع إليهم من بنى هِلال بن عامر نحوُ المـائة ، ولم يحضُرْهم أحــد من كَعْب ولا كِلاَب [من هَوَزان](٦) . وحضَرَ دُرَيْد بن الصِّمَّة بن [الحارث بن](٧) بكْر بن عَلْقَمَة بن خُزَاعة بن غَزِيَّـة(٨) بن جُشَم بن مُعَاوية بن بكر بن هَوازن فى بنى جُشَم ، وهو ابنُ ستِّين ومائةِ سنةٍ لا شىء فيه ، إلّا أنّهم يتيَمَّنون برأيِه ، ومَعْرفته بالحرب ودُرْبَته(٩)

منزل هوازن

وجاءوا جميعاً بأموالهم ونِسائهم وأبنائهم يريدون حَرْب رسولِ الله صلى الله

(١) فى الأصل : « سدم » .
(٢) فى الأصل : « واثلة »
(٣) فى الأصل : « سيديان »
(٤) أكثر الرواة على أنه « قارب بن الأسود » ، وأنه ابن أخى « عروة بن مسعود »
(٥) فى ابن هشام ج ٢ ص ٨٤٠ « ذو الخمار سبيع بن الحارث ، وأخوه أحمر بن الحارث »
(٦) زيادة للبيان
(٧) زيادة من نسبه
(٨) فى الأصل : « عريه »
(٩) فى الأصل : « ذربته »

خبر دريد بن الصمة

عليه وسلم حتى نزلوا بأَوْطاس ، فقال دريد : بأىِّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأَوْطاس . فقال : نِعْمَ مَجَالُ الخَيْلِ ! لا حَزْنٌ ضَرِسٌ ، ولا سَهْلٌ دَهِسٌ(١) . ثم قال لمالك بن عوف : ما لِى أسْمَعُ بكاءَ الصَّغير ، ورغاء البعير ، ونُهاقَ الحمير ، ويُعار الشاء ؟ قال مالك : يا أبا قُرَّة(٢) ! إنى سقْتُ مع الناسِ أموالَهم وذرارِيَّهُمْ ، وأردتُ أن أجعلَ خَلْفَ كلِّ رجُلٍ منهم أهلَه ومالَه يُقاتِلُ عنه . فأنقضَ به دريْد ، ثم قال : رُوَيْعى ضَأْنٍ والله ! وهل يَرُدُّ المنهزِمَ شىء ؟ وقال : هٰذا يومٌ لم أَشْهَدْهُ(٣) ، ولم أَغِبْ عنه ! وقال :

يا لَيْتَنِى فِيهَا جَذَعْ(٤) أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ(٥)
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ(٦) كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعْ(٧)

[قوله : « أَنْقَضَ به دريْد » يريد أنَّه نقَر بلسانه فى فِيه كما يَزْجُر الشاةَ أو الحمارَ . وقوله : « رُوَيْعى ضأن »(٨) ، يَسْتَجْهِلُه]

خروج رسول الله إلى حنين

فغدَا صلى الله عليه وسلم يُريدهم يومَ السبْت لستٍّ خلوْن من شوَّال . وقيل : قَدِم مكة لثمانى عشرة ليلة خَلَتْ من شهر رمضان سنة ثمانٍ ، وأقام بها

(١) الحزْن : ما غَلُظ من الأرض ، ضد السَّهل . والضرس : الغليظ الخشنُ الوطء إنما هى حجر . والدهِس : اللين السهل لا يبلغ أن يكون رملاً ، وليس هو بتراب ولاطين
(٢) كنية دريد بن الصمَّة
(٣) فى الأصل : « أشهد »
(٤) فى الأصل : « جزع » ، والجذع : الصغير السن
(٥) من الخبَب والوَضْع : وهما ضربان من العدْو ، والوضع أشد
(٦) فى الأصل : « الرمع » . والوطفاء : الغزيرة الشعر . والزَّمع جمع زمعة : وهى شعرة مدلاة خلف الرسغ . وذلك من صفتها ممدوح فى الفرس ، وهو يريد فرساً
(٧) الصدَع : الوَعِلُ الحديث السن المدمج الشديد الخلق الصلب القوى . وشبهه بالوَعِل لتوقله فى الصعاب ورؤوس الجبال
(٨) رويعى : تصغير « راع »

اثنتَيْ عشرة ليلةً ، ثم أصبحَ غَداةَ الفِطْر غادياً إلى حُنَيْن . وخَرَجَ معه أهْلُ مكة — لم يتأخَّر منهم كبيرٌ أحَدٍ — ركْبَانًا ومُشاةً ، حتى خرج معه النِّساء يمشين : على غَيْرِ دِينٍ نُظَّاراً ينظرُون ويرْجُون الغنائم ، ولا يَكْرَهُون الدَّوْلَة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . واستَعْمَلَ على مكة عَتَّاب بن أَسيد بن أبي العيص بن أُميَّة ابن عبد شمس القُرَشيَّ الأُمَوِيَّ — وله نحو عشرين سنة — ، وجَعَل معه مُعاذَ ابن جَبَل بن عمرو بن أوْس بن عائذ بن عُدَىّ بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ بن سعد ابن على بن أسد بن سارِدَة [1] بن يزيد بن جُشَم بن الخَزْرج الأنصارىَّ الخَزْرَجىَّ ، يعلِّمهُم السنَنَ والفِقْه . وخرج معه اثنا عشر ألف رجُل : عشْرَةُ آلافٍ من أهلِ المدينة ، وألْفَانِ من أهْل مكة ، وهم الطُّلَقَاء . فقال رجل من

إعجاب المسلمين بكثرتهم يوم حنين

بنى بكر : لَوْ لَقِينا بنى شَيْبان ما بالَيْنَا ، ولا يَغْلِبُنا اليومَ أحَدٌ من قِلّةٍ ! فأنزلَ الله تعالى : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ » (التوبة : ٢٥) [2]

عارية السلاح

واستَعار رسول الله صلى الله عليه وسلم من صَفْوان بن أُمَيَّة مائةَ دِرْعٍ ، وقيل : أربعمائة دِرْع ، بأَدَاتِها ، وخرج [صَفْوانُ] [3] وهو مُشْرِكٌ مع المسلمين.

خبر ذات الأنواط

فمرُّوا بشجَرةٍ عظيمةٍ خضراء يُقال لها ذاتُ أَنْوَاطٍ — كانت العربُ من قريشٍ وغيرِها يأتُونَها كلَّ سنةٍ يُعلِّقُون عليها أسْلِحَتَهُم ، ويذْبحون عندها ، ويَعْكُفون عليها يوْمًا — فقالوا : يا رسولَ الله ! اُجْعَلْ لنا ذاتَ أنْوَاطٍ كما لهُمْ

---

(١) فى الأصل : « ماردة » ، وانظر ص (٧٦)

(٢) فى الأصل : « ... كثرتكم ، الآية »

(٣) زيادة للبيان

ذاتُ أنْوَاطٍ ! فقال : اللهُ أكبرُ !! قُلتم — والذى نفسى بيَده — كما قال قومُ موسى : « اجْعَلْ لنَا إلهًا كما لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ »(١) ، إنَّها السُّنَنُ ، سُنَنُ مَن كان قبلَكمُ [وفى رواية : لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمُ](٢)

خبر الرجل الذى أراد قتل رسول الله

ونزل صلى الله عليه وسلم تحت شجرةٍ دُوَيْنَ أَوْطاس ، وعَلَّق بها سَيْفه وقَوْسَه ، فجاء رجلٌ وهونائمٌ فسلّ السيفَ ، وقامَ على رأْسه ففَزِعَ(٣) به وهو يقول : يا محمَّد ! مَنْ يَمنعُكَ منِّى اليوْم ؟ فقال : اللهُ ! فأتى أبو بُرْدَة بن نِيار يُريد أن يَقْتُلَ الرَّجلَ ، فمنعَه النبىُّ عليه السلام من قَتْله وقال : يا أبا بُرْدَة ! إنَّ الله مانِعى وحافِظى حتى يُظهِر دينَه على الدِّينِ كلِّه

منزل المسلمين بحنين
عيون هوازن ورُعب المشركين

وانتهى صلى الله عليه وسلم إلى حُنَيْنٍ مَساءَ ليلةِ الثلاثاء لعشر ليالٍ خَلَوْن من شوّال . فبعثَ مالكُ بنُ عوف ثلاثةَ رجالٍ متفرِّقين فى العسكرِ [يأتونه بخبر أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم](٤) ، فرَجَعوا وقد تفرّقَتْ أوصالُهم [من الرُّعْب](٤) ، وقالوا : رَأينا رجالاً بيضاً على خَيْلٍ بُلْقٍ ، فوالله ما تماسَكْنا أن أصابنَا ما تَرَى ! وقالوا : ما تُقاتِلُ أهلَ الأرض ، إنْ تُقاتل إلا أهلَ السماء ! وإن أطعتَنَا رجعتَ بقوْمِك . فسبَّهم وحبسهم . ثم بعثَ آخرَ فعاد إليه بمِثْل ما قال الثلاثةُ ، فلم يَنْتَهِ . وبعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبى حَدْرَد الأسلمِىّ ، فطاف عسكرَهم ، وسمع كلامَ مالكِ بن عوفٍ وما يدبِّره من أمره ، وعاد بذلك . وباتَ أُنَيْس بن مَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغَنوىُّ تلك الليلةَ على فرسهِ يحْرُسُ المسلمين

---

(١) من آية سورة الأعراف « ١٣٨ »
(٢) سُنة الطريق ، وسُننه ، وسَننُه : نهجُه ووجْهُه
(٣) فزع الرجُل من نومه : هَبَّ وانتبه ، وفزع به : يريد أنبهه
(٤) زيادة للبيان من ابن سعد ج ٢ ص ١٠٨

خروج غير المسلمين إلى حنين

وكان قد خرج رجالٌ من مكةَ عَلَى غيرِ دينٍ ، يَنظرون عَلَى مَن تكون الدائرةُ فيصيبُون من الغنائم ، منهم : أبو سُفيان بن حَرْب[١] ، ومعه مُعاوية بن أبى سفيان[٢] — خرج ومعه الأزلامُ[٣] فى كنانَته ، وكان يَسير فى أثرِ العسكر ، كلّما مرّ بتُرْسٍ ساقطٍ أو رُمْحٍ أو متاعٍ حمَلَه ، حتى أَوْقرَ جَمَلَه[٤] — ، وصفوانُ بن أُميَّة ، ومعه حكيم بن حِزَام ، وحُوَيْطِبُ بن عبد العُزَّى ، وسُهَيْلُ ابن عمرو ، والحارث بن هشام[٥] ، وعبدُ الله بن أبى ربيعةَ ، فلما كانت الحرْبُ وقَفوا خَلْفَ الناسِ

تعبئة المسلمين

وَعبَّأَ مالك بن عوف أصحابَه فى اللَّيل بوادى حُنَيْن ، وَعبَّأَ لهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى السَّحر ، وَوَضَع الألْوِيَةَ والرَّايات فى أَهْلها . فحَمَلَ رايات المُهاجرين : عَلِىٌّ ، وسعدُ بن أبى وقَّاص ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم . وحَمَل راياتِ الأنصار الحُبابُ بن المُنذِر ، وقيل كان لواءُ الخَزْرج الأكبرُ مع سعد بن عُبادة ، ولواءُ الأَوْس مع أُسَيْد بن حُضَيْر . وفى كلِّ بطنٍ لواءٌ أو رايةٌ . وكانت راياتُ المُهاجرين سوداً وأَلْوِيتُهم بيضاً ، وراياتُ الأنصار خُضْراً وحُمْراً ، وكانت فى قَبائلِ العرَب راياتٌ . وبقِيَتْ سُلَيْمٌ كما هى فى مُقَدِّمَةِ الخَيْل ، وعليهم خالدُ بن الوليد

المسير إلى القتال

وَانْحدَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأصحابِه فى وَادِى حُنَيْن ، وهو على

---

(١) هذا غريب ، فإنّ أبا سفيان كما مضى (٣٧٠) أسلم ليلة الفتح فتح مكة ، وأجمعوا على أنه شهد حنيناً مسلماً

(٢) وكذلك معاوية أسلم يوم الفتح هو وأخوه يزيد وأمّه هند . وأنا أرى أن هذا القول فى معاوية وأبيه باطل كله

(٣) الأزلام : سهام كانوا يستقسمون بها فى الجاهلية

(٤) أوقر الجمل : أثقل حمله

(٥) والحارث بن هشام أسلم يوم الفتح

تَعْبِئَتِه ، وقد ركب بَغْلَتَه البيضاء دُلْدُل ، ولبسَ دِرْعَين والمِغْفَر والبَيْضَة . وحضَّ على القِتال ، وَبَشَّر بالفتح إن صدَقوا وصبَرُوا . فاُستقبلتهم هَوازِنُ في غَبَشِ الصُّبح[1] بكَثْرَةٍ لم يرَوْا مثلَها قطُّ ، وحَملوا على المسلمين حَمْلَةً واحدةً ، فانكشف أوّلُ الخَيل خَيْلِ [بنى][2] سُلَيْم مُوَلِّيَةً ، فولَّوْا وتَبِعهم أهلُ مكة ، وتَبعهم النَّاسُ مُنْهزمين ما يَلْوُون على شيء . فالتفَتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يميناً وشمالًا — والناسُ منهزِمون حتى بلغوا مكة ، فلم يرْجِع آخرُهم إلَّا والأُسارى بين يَدَىِ النبي عليه السلام — وهو يقول : يا أنصارَ الله وأنصارَ رسوله ؟ أنا عبدُ الله ورسولُه ! ! ثم تقدَّم بحَرْبَتِه أمَامَ الناس ، وانهزَمَ المشركون ، وما ضَرَب أحدٌ من المسلمين بسيْفٍ ولا طَعَن برُمْحٍ . ورجَع صلى الله عليه وسلم إلى العسكَر ، وأمَر أن يُقْتَلَ كلُّ من قُدِر عليه من المشركين ، وقد وَلَّتْ هوازنُ ، وثَابَ من انهزَم من المسلمين

انهزام المسلمين

انهزام المشركين بغير قتال

ولم يَثْبت معه صلى الله عليه وسلم وقتَ الهزيمةِ إلَّا أبو سُفْيان بن الحارث ابن عبد المطلب وقد أخذَ بثَفَرِ[3] البَغْلَةِ ، والعبَّاسُ وقد أخذَ بحَكَمَتِها[4] ، وهو يرْكُضُها إلى وَجْه العدوّ ، ويُنَوِّهُ باُسمه فيقول :

الذين مع رسول الله في الهزيمة

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ

وقال صلى الله عليه وسلم : يا عبَّاس ! اُصرُخْ : يا مَعشَرَ الأنصار ! يا أصحابَ

دعوة المنهزمين

(١) غبَش الصُّبْح : الظلمة يخالطها البياضُ في بقية الليل

(٢) زيادة

(٣) الثفر : هو السَّير الذي يكون في مؤخر السرج تحت ذنب الفرس أو البغل . وفي الأصل : « سعر » غير واضحة

(٤) الحكَمة : هي ما أحاط من اللجام بحنكي الدَّابة

السَّمُرَةِ[١] ! فنادى بذلك — وكان رجُلًا صيِّتًا[٢] — ، فأقبلوا كأنَّهم الإبِلُ إذا حَنَّتْ إلى أولادِها يقولون : يا لبَّيْك ! ! يا لبَّيْك ! ! فأشرفَ صلى الله عليه وسلم كالمُتطاوِلِ فى رِكابيْه ، فنظرَ إلى قِتالهم وقال : الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ[٣] ! ثم أَخذَ بيَدِه من الحَصا فرَمَاهُمْ بها وهو يقول : شَاهَتِ الوُجوهُ[٤] ! حَمَ لَا يُنْصَرُونَ ! ثم قال : انْهزَموا وربِّ الكَعبَة ! فما زال أمرهم مُدْبِراً وانهزَموا

عدد من ثبت معه

فانحازَ صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ، وهو على بَغْلَتِه قد جرَّد سيفه . وثَبَت معه[٥] سوىٌّ من ذكرنا : علىٌّ ، والفَضْلُ بن عبَّاس ، ورَبيعةُ بن الحارث [ابن عبد المطَّلب][٦] ، وأيمَن بن عُبَيْد الخزرجىُّ[٧] ، وأُسامة بن زيد ، وأبو بكر ، وعمر ، رضى الله عنهم . وقيل : لمَّا انكشَفَ النَّاس عنه قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لحارثة بن النُّعمان الأنصارىِّ : كَمْ تُرى النَّاسَ الَّذين ثبَتوا ؟ فحَزَرهم مائةً . وهذه المائةُ هى التى كَرَّتْ بعد الفِرار ، فاستقبلوا هوازِنَ واجْتلَدوا هُم وإيَّاهُم . وكان دُعاؤُه يومئذٍ — حين انكشف النَّاسُ عنه ، فلم يَبق إلَّا فى المائة الصَّابرة — : اللَّهُمَّ لك الحمدُ ، وإليكَ المُشتَكى ، وأنتَ المُسْتَعانُ ! ويقال إنَّ المائةَ الصابرةَ يومئذٍ : ثلاثةٌ وثلاثون من المهاجرين ، وسبعةٌ وستُّون من الأنصار . وكان علىٌّ ، وأبو دُجانة ، وعُثمان بن عفَّان ، وأيْمن بن عُبَيد رضى الله عنهم يُقاتلون بين يَدَيِ النبىِّ صلى الله عليه وسلم

(١) هم الذين بايعوه تحت الشجرة ، انظر ص (٢٩١)
(٢) الصيت : الرفيع الصوت الجهيره
(٣) انظر ص (٣٥٠)
(٤) شاهت الوجوه : قبحت الوجوه
(٥) فى الأصل : « وما معه »
(٦) زيادة للبيان
(٧) هو ولدُ أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

خبرُ علىّ وقتاله يوم حنين

قال الحارث بن نَوْفل ، فحدَّثنى الفضلُ بن العبَّاسِ قال : ٱلتفتَ العبَّاس يومئذ — وقد أقْشَعَ(١) النـاسُ عن بَكْرةِ أبيهم — فلم يرَ عليًّا فيمن ثبَت ، فقال : شُوهَةً وبُوهةً(٢) ! أوَ فى مِثْلِ هذا الحال يرْغَبُ ٱبن أبى طالب بنفسه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهو صاحبُه فيما هو صاحبُه ! ! [يعنى المواطِنَ المشهورةَ له] فقلتُ : بعضَ قولِك لٱبنِ أخيك ! أما تراهُ فى الرَّهَج ؟ قال : أشْعِرْهُ(٣) لى يا بنىَّ . قلت : هُوَ ذو كذا ، ذو كذا ، ذو البُرْدَة . قال : فما تلك البَرْقَةُ ؟ قلت : سيْفُه يرْفُلُ به بين الأقْرانِ(٤) . فقال : برٌّ ٱبنُ برّ ! فَدَاهُ عمٌّ وخالٌ ! ! قال : فضربَ علىٌّ يومئذٍ أربعين مُبارزاً كلُّهم يَقُدُّه حتى يَقُدَّ أنفه وَذَكَرَه . قال : وكانت ضرَباتُه مُنْكَرَة

قتال أم عمارة وصواحباتها

وكانت أمُّ عُمارة فى يدها سيفٌ صارمٌ ، وأمُّ سُلَيْمٍ معها خِنْجَرٌ قد حزَمَتْه على وسَطِها وهى يومئذٍ حاملٌ بعبد الله بن أبى طَلْحة ، وأمُّ سَليط ، وأمُّ الحارث — حين ٱنهزَمَ الناسُ — يُقاتِلْنَ . وأمُّ عمارة تَصيح بالأنصار : أيَّةُ عادةٍ هٰذه !! ما لكُم وللفِرار !! وشَدَّتْ على رجُل من هَوازن فقتلته وأخذَتْ سيفَه

موقف رسول الله

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ مُصْلِتٌ السيفَ بيده ، وقد طرَحَ غِمْدَه ينادى : يا أصحابَ سورَةِ البَقَرة ! فكَرَّ المُسلمون ، وجعلوا يقولون : يا بنى عبد الرَّحْمٰن ! يا بنى عبد الله ! يا بنى عُبَيْد الله ! يا خَيْلَ الله ! — وكان صلى الله

(١) أقشع القوم : تصدَّعوا ، فتفرقوا ، فأقلعوا ، فانكشفوا ، فذهبوا

(٢) فى الأصل : « شوهة بوهة » . والشوهة والبوهة : هنا البُعْد . وهذا يقال فى الدعاء والذمّ ، أى بُعْداً له

(٣) الرهج : غبار الحرب . أشعره : أى اذكر شعاره ، والشعار : العلامة فى الحرب يتخذها المحارب ليعرف بها بين رفقته

(٤) رفل يَرْفل : خطر فى مشيته وتبختر . والأقران جمع قِرْن : وهو الكفء والنظير فى الشجاعة والحرب

عليه وسلم قد سمّى خَيْله خيلَ الله — [وكان شعارُ[1] المهاجرين بنى عبد الرحمن ، وشعارُ الأوْس بنى عبيد الله ، وشعارُ الخَزْرَج بنى عبد الله] . فكَرَّت الأنصارُ ، ووقفَتْ هوازنُ حَمْلةَ[2] ناقةٍ ، ثم كانت هزيمتهم أقبحَ هزيمةٍ ، والمسلمون يَقتلُون ويأسرون

تحريض أم سليم

وأمُّ سُلَيْم بنت مِلْحان تقول : يارسولَ الله ! ما رأيْتَ هؤلاء الذين أسلمُوا وفرُّوا عنك وخذَلوك !! لا تعفُ عنهم إذا أمكنك الله منهم ، تقتلُهم كما تَقتُلُ هؤلاء المشركين ! فقال : يا أمَّ سُلَيْم ! قد كفَى الله ، عافيةُ الله أوْسع

النهى عن قتل الذرّيّة

وحَنِقَ المسلمون على المشركين فقتَلوهم حتى شرَعُوا[3] فى قَتْل الذُّرِّيَّة . فلما بلغَ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بالُ أقوامٍ ذهَبَ بهم القتلُ حتى بلغ الذُّرِّيّة ! ألَا لا تُقتَلُ الذُّرِّيّة . فقال أُسَيدُ بن الحُضَيْر : يا رسولَ الله ! أليْسَ إنما هُم أولادُ المشركين ! فقال : أوَلَيسَ خيارُكم أولادَ المشركين ؟ ! كلُّ نَسَمَةٍ تُولَدُ على الفِطْرَة حتى يُعرِبَ عنها لِسانُها ، وأبوَاها يُهوِّدَانها أو يُنصِّرَانها[4] !

خبر النمل

وقال جُبَير بن مُطعِم : لما ترَاءينا نحنُ والقومُ ، رأينا سوَاداً لم نرَ مثلَه قطُّ وكثرةً ، وإنما ذلك السوَادُ نَعَمٌ حَملوا النِّساء عليه . فأقبلَ مثلُ الظُّلَّةِ السوداء من السَّماء ، حتى أظلَّت علينا وعليهم وسدَّت الأرضَ . فنظرتُ فإذا وادى حُنَين يسيلُ بالنمل ، نملٍ أسودَ مَبْثوثٍ : لم أشُكَّ أنه نصْرٌ أيَّدَنا الله به ،

(١) فى الأصل : « وجعل شعار »

(٢) فى الأصل : « حلت » ، ويريد : وقفوا مقدار ما تحمل الناقة رحلها

(٣) فى الأصل : « أشرعوا » ، وشرعوا : أخذوا

(٤) أى يحملانها على شريعة يهودية أو نصرانيّة ، وفى الأصل : « وينصرانها »

فهزمهم الله. وحدّث شيوخٌ من الأنصار قالوا: رأينا كالبُجُد[١] السودِ هوَتْ من السّماء رُكاماً، فنظرنا فإذا نملٌ مَبْثوثٌ، فإنْ كنّا لننفُضُه عن ثيابنا، فكان نصرًا أيّدنا الله به

نصر الملائكة

وكان سيما الملائكةِ يوم حُنَيْنٍ عمائمَ حُمْرًا[٢] قد أرخَوْها بين أكتافهم. وكان الرُّعبُ الذى قذَف الله فى قلوب المشركين يومئذٍ كوَقْع الحَصَاةِ فى الطَّسْتِ: له طَنِينٌ، فيجدُون فى أجْوافهم مثلَ ذلك. ولمّا رَمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الكَفِّ من الحصَا، لم يَبْقَ أحدٌ من المشركين إلا وهو يَشكو القَذَى فى عَيْنه، ويجدون فى صدورهم خَفقانًا كوَقْع الحصَا فى الطِّسَاس[٣]: ما يَهدأُ ذلك عنهم. ورأوا رجالاً بيضاً على خَيْلٍ بُلْقٍ، عليهم عمائمُ حُمْرٌ قد أرخوها بين أكتافهم، وهُمْ بين السماء والأرضِ: كتائبَ كتائبَ، فما كانوا يستطيعون أن يتأمّلوهم من الرُّعبِ منهم

القتل فى ثقيف

وَاسْتَحَرَّ القَتْلُ من ثقيفٍ [فى][٤] بنى مالك، فقُتِلَ منهم قريبٌ من مائة رجُل تحتَ رايتهم، وقُتِلَ ذو الخِمار، وهرَبت ثقيف

إسلام شيبة بن عثمان

وكان شَيْبة بن عُثمان بن أبى طَلْحة قد تعاهَد هو وصَفْوان بن أُمَيّة يومئذٍ: إنْ رَأَيَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم دَبْرَةً أن يكونا عليه، وهما خَلْفَه. قال شيبة: فأدخَل الله الإيمانَ قُلوبَنَا. ولقد هَمَمْتُ بقتْله، فأقبل شىءٌ حتى

(١) البجد جمع بجاد: وهو كساء مخطط من أكسية الأعراب غليظ

(٢) فى الأصل: «حمر»

(٣) الطساسُ جمع طسْت وطسَّة، والطستُ: تاؤه غير أصلية، أصلها سين، وذلك لأن الطاء والتاء لا يدخلان فى كلمة واحدة أصلية فى شىء من كلام العرب. وهم لا يجمعون طسْتا إلا على طساس ولا يصغرونها إلا طسيسة

(٤) زيادة للسياق، ابن هشام ج ٢ ص ٨٤٩

يغشى فؤادى ، فلم أطِقْ ذلك ، وعلمتُ أنه قد مُنِـعَ منّى . وفى روايةٍ : غشيتنى ظُلْمةٌ حتى لاأبصِرُ ، فعرفتُ أنّه مُمْتنِـعٌ منّى ، وأيقنْتُ بالإسلام . وفى روايةٍ : أنّ شَيْبة قال : لمّا رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم غزا مكة فظفِرَ بها وخرَج إلى هوازنَ ، قُلتُ : أخرجُ لعَلّى أُدْرِكُ ثأرى ! وذكرتُ قتلَ أبى يوم أُحُدٍ — [قتَلَهُ حمزة] — ، وعمّى ، [قتَله علىٌّ] . فلما انهزمَ أصحابُه جئتُه عن يمينه ، فإذا العبّاس قائمٌ عليـه دِرْعٌ بيضاء كالفِضَّةِ ، فقلت : عَمُّه ! لن يَخْذُلَه ! ثم جئتُه عن يَساره ، فإذا بأبى سُفْيان بن الحارث ، فقلت : ابن عمِّه ! لن يَخْذُلَه[١] ! فجئتُه من خَلْفه ، فلم يَبْقَ[٢] إلّا أُسَوِّرُهُ بالسيفِ[٣] ، إذ رُفِـع لى — فيما بينى وبينه شُواظٌ[٤] من النار كأنّه برقٌ ، وخِفتُ أنْ يَمْحَشَنِى[٥] ، فوضَعْتُ يَدى على بصَرِى وَمَشيْتُ القَهْقَرى . فالتفتَ إلىَّ وقال : يا شيْبَ ! أُدنُ منّى ! فوضَعَ يدَه على صدْرى وقال : اللّهُمَّ أذهِبْ عنه الشّيْطانَ ! فرفعتُ رَأسى إليـه وهو أحَبُّ إلىَّ من سَمْعى و بصَرِى وقلبِى ، ثم قال : ياشَيْب ! قَاتِلِ الكُفّار ! فتقدَّمْتُ بين يَدَيْه أُحِبُّ والله أَقِيهِ بنفسى كلَّ شىء . فلما انهزمت هَوازِنُ ، رجَع إلى منزِلِه ودخلتُ عليـه ، فقال : الحمدُ للهِ الذى أرادَ بك خيْراً مما أرَدْتَ . ثم حدَّثنى بما هَمَمْتُ به

خبر المنافقين

ولمـا كانتْ هزيمةُ المسلمين ، تكلّمَ قومٌ بما فى نفوسهم من الضِّغْنِ والغِشِّ ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تَنْتَهِى هَزِيمَتُهم دُونَ البَحْرِ ! فقال أبو مُعَتِّب بن

---

(١) فى الأصل : « أن يخذله »
(٢) فى الأصل : « أبق »
(٣) تسور الحائط وسَوَّره : عَلاه ، يريد لم يبق إلا أن أرتفع إليه فأعلوه فآخذه بالسيفِ
(٤) فى الأصل : « شوظ » ، والشواظ : اللهب الذى لا دخان فيه
(٥) محشته النار : أحرقت جلده حتى يبدو العظمُ

سُلَيْم (١) : أَمَا واللهِ لولا أنى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَنْهَى عن قتْلِك لقَتَلْتُك ! وقال كَلَدَةُ بن حَنْبَل — أخو صَفْوان لأُمّه — : أَلا بَطَلَ سِحْرُ محمدٍ اليَوْمَ ! فقال له صفْوان (٢) : اُسْكُتْ فَضَّ الله فاكَ ! لَأَنْ يَرُبَّنِى رَبٌّ (٣) من قُرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَىَّ من أن يَرُبَّنِى رَبٌّ من هَوَازِنَ ! وقال سُهَيْل بن عمرو : [والله] (٤) لا يَجْتَبِرُها (٥) محمدٌ وأصحابُه [أَبَدًا] (٤) ! فقال له عِكْرِمَة [بن أبى جَهل] (٦) : إنَّ هذا ليس بقَوْلٍ ! إنَّما الأمرُ بيَدِ الله ، وليس إلى محمدٍ من الأمر شىء ! إنْ أُدِيلَ عليه اليَوْم فإنَّ له العاقبةَ (٧) غداً . فقال سُهَيل : والله إنَّ عَهْدَكَ بخِلاَفِه لَحَدِيثٌ ! قال : يا أبا يزيد ! إنَّا كُنَّا والله نُوضِعُ فى غير شىء ، وعُقُولُنا عُقُولُنا (٨) ، نَعْبُدُ حَجَرًا لا يَنْفَع ولا يضُرّ !!

النهى عن قتل النساء والمماليك

ومَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بامْرَأَةٍ مَقتولةٍ : قتَلها خالدُ بن الوليد ، فبعثَ إليه : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَنْهاكَ أن تقتُلَ امرأةً أو عَسِيفاً (٩)

(١) لم أجد فى الصحابة من يعرف بأبى معتب بن سليم ، وفيهم « أبو معتب بن عمرو الأسلمىّ » ، ولم أجد للخبر ذكراً فى غير هذا المكان ، إلا ما جاء فى السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٥٧ : أن صفوان بن أمية أجاب أبا سفيان فقال : « بفيك الكثيبُ » ، وهكذا ورد فى السيرة الحلبية ، والصوابُ أنه قال : « بفيك الكِثْكِثُ » ، والكِثْكِث دُقاق الحصا والتراب

(٢) وكان صفوان بن أمية يومئذ مشركا فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣) رَبَّه يَرُبه : كان ربًّا فوقه وسيداً يملكه

(٤) الذى بين الأقواس زيادة للسياق

(٥) جبر الكسر والمصيبة وغيرها واجتبرها : أصلح أمرها وأقامها

(٦) زيادة للبيان

(٧) فى الأصل : « العافية »

(٨) فى السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٥٧ « وعقولنا ذاهبة »

(٩) العسيف : الخادمُ ، والأجير المستهان به ، والمملوك

خبر بنى سليم

ولما هزَم رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازنَ ، واتَّبعَهم المسلمون يَقتُلونهم ، نادتْ بنو سُلَيمٍ : ارْفعوا عن بَنى أُمِّكُم القتلَ ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللّهمَّ عليكَ بِبنى تُكْمَةَ ! أمّا فى قومِى فوَضَعوا السِّلاحَ وَضْعًا ، وأمَّا عن قَوْمِهم فرَفَعُوا رَفْعًا ! [وتُكْمَةُ بنتُ مُرٍّ أمُّ سُلَيْم ، وهى أُخْتُ تميم بن مُرٍّ]

خبر بجاد السعدى

وأمرَ عليه السلام بطلَبِ القوم ، وقال : إنْ قَدَرْتُم عَلَى بِجَادٍ فلا يُفلِتَنَّ منكمُ ! وكان [بجادٌ] (١) من بنى سعد [بن بَكر بن هَوازن] (١) وقد قطَّعَ رجُلًا مُسْلِمًا وحرَّقَه بالنار . فأخذَتْه الخيلُ ، وضمُّوه إلى الشَّيْماء بنت الحارث بن عبد العزَّى — أُختِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرَّضاعة (٢) — وأتوا بهما . فرحَّب بالشَّيْماء وأجلسَها على ردائه ، وأعطاها — بعد ما أسلمتْ — ثلاثةَ أَعْبُدٍ وجاريةً . فاستوْهَبَتْه بجادًا فوهبَهُ لها

هزيمة هوازن وقتل دريد بن الصمة

ومرَّتْ هوازن فى هزيمتها إلى الطائفِ ، وإلى أَوْطاسٍ ، وإلى نَخْلَةَ . فسارت الخيلُ تريدُ من أتى نَخْلَةَ ، فأدرك الرَّبيع بن ربيعة بن رُفَيع بن أَهْبان (٣) ابن ثَعلبة بن ضُبَيعة بن ربيعة بن يَرْبُوع بن سَمَّال بن عَوف بن امرئ القيس ابن بُهْثَة بن سُلَيْم السُّلَمِىّ — [وكان يقال له : « ابن الدُّغُنَّة » ، وهى أُمُّه فغلبت على اسمه] (٤) — دُرَيْدَ بن الصِّمّة فقتَله

أبو عامر الأشعرى

وتوجَّه أبُو عامرٍ عُبَيْد الأشعَرِىّ — أخو أبى موسى [الأشعرىّ] (٤) — إلى أَوْطاسٍ ، ومعه لواءٌ فى عدَّةٍ من المسلمين ، وقد عسكرَ المشركون ، فقاتلَهم وقتل

(١) ما بين الأقواس زيادة للبيان
(٢) انظر ص (٥ — ٦)
(٣) فى الأصل : « أهان »
(٤) ما بين الأقواس زيادة للبيان

منهم تسعةً ثم أُصيبَ ، فاستخلَفَ أخاه أبا مُوسى ففتَح الله عليه . ولَحِقَ مالكَ ابن عوف بالطائف

الغنائم والسبي

وأمرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالغَنائم فجُمِعتْ ، ونادَى مُناديه : مَنْ كان يؤمِن بالله واليومِ الآخر فلا يَغُلَّ ! وأصاب المسلمون سَبَايا ، فكانوا يكرَهون أن يَقعوا عليهنَّ ولهنَّ أَزْوَاجٌ ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأنزل الله : « وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ ، وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ، فَمَا اُسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً » (النساء : ٢٢)(١) . وقال صلى الله عليه وسلم يومئذٍ : لا توطَأُ حاملٌ من السَّبْي حتى تَضَعَ حَمْلَها ، ولا غيرُ ذاتِ حَمْل حتى تَحيضَ . وسألوهُ يومئذٍ عن العَزْلِ(٢) ، فقال : ليسَ مِنْ كلِّ الماء يكونُ الوَلدُ ، وإذا أرادَ الله أن يَخْلُق شيئاً لم يَمْنعه شيء

دية عامر بن الأضبط

وقام عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر الفَزاريّ يطلُب بدم عامرِ بن الأَضْبطَ الأَشْجَعِيّ — وقد قتَله مُحَلِّم بن جثّامة بن قَيْس اللّيْثِيّ فى سَرِيّة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى إضَم — بعد مَا حَيَّا بتَحِيّة الإسلام(٣) — فدافَع عنه الأقرَعُ بن حابس ، فأشارَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالدِّيَة فقَبلوها

(١) فى الأصل : « ... أيمانكم ، الآية »
(٢) العزل : أن يعزلَ الرجل الماء عن النساء حذر الحمل
(٣) انظر ص ٣٥٦

شارب الخمر

وأُتِى يومئذٍ بشَارِبٍ ، فأمر عليه السلام مَنْ عنده(١) فضرَبوه بما كان فى أيديهم ، وحَثَا عليه التُّراب

الشهداء

سَلَب القتلى

وجميعُ مَن استُشْهِد(٢) بحُنَيْن أربعة . وفى هــذه الغَزَاةِ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَتَلَ قتيلًا فله سَلَبُه . وكان أبو طَلْحَة(٣) قد قَتَلَ عشرين رجُلًا فأعْطاه سَلَبَهُمْ . وذَكر الزُّبَيْر بن بَكّار : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَبَى يوم حُنَيْن سِـتَّةَ آلافٍ — بين غُلامٍ وامرأة — فجَعَل عليهم أبا سُفْيان بن حرب . وماتَ رجُلٌ من أشجَع أيامَ حُنَيْن ، فقال رســولُ الله صلى الله عليه وسلم : صَلُّوا على صاحِبكُمْ فإنَّه قد غَلَّ . فنظَروا ، فإذا فى بُرْدَيه خَرَزٌ لا يُساوِى دِرْهَمَيْن

غزوة الطائف

ثم كانت غَزْوَةُ الطَّائِفِ . وذلك أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمّا افتَتَح حُنَيْنًا ، بعثَ الطُّفَيل بن عمرو بن طَرِيف بن العاص بن ثَعْلَبة بن سالم بن فَهم الدَّوْسِىّ إلى ذى الـكَفَّيْن — صَنَمِ عمرو بن حُمَمَةَ(٤) — يهدِمُه ، وأمرَه أنْ يَسْتَمِدَّ قومَه ويُوافيه بالطَّائف ، وقال له : أفْشِ السَّلامَ ، وابْذُلِ الطَّعَام ، وَاسْتَحْيِ من الله كما يَسْتَحْيِي الرجلُ ذو هَيْئَة(٥) من أهلِه ؛ إذا أسَأْتَ فأحْسِن ، فإنَّ الحَسناتِ يُذْهِبْنَ السيِّئاتِ ذلكَ ذِكْرَى للذاكرين . فخرجَ إلى قومه فهدم ذَا الـكَفَّين ، وجعَلَ يَحُشُّ النَّار(٦) فى وَجْهه ويُحَرِّقه ويقول :

(١) فى الأصل : « بن عبدة »

(٢) فى الأصل : « ما استشهد »

(٣) هو « زيد بن سهل الأنصارى الخزرجىّ » ، وهو الذى قال فيه رسول الله : « لصوتُ أبى طلحة فى الجيش خير من مائة رجل »

(٤) انظر ص (٣٩٨)

(٥) فى الأصل : « ذو أهلية » ، وذو الهيئة : ذو الوقار والسمت الصالح

(٦) حشّ النَّار : جمع إليها ما تفرق من الحطب ، فأوقدها ثم أسعرها وهيجها وحركها

يا ذَا الكَفَّيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكَا(١) مِيلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَا
أَنا حَشَشْتُ النَّارَ فى فُؤَادِكَا

ووَافَى معه بأربعمائة من قَوْمه ، بعد ما قَدِم عليه السلام الطَّائفَ بأربعة أيام ، ومعه دبَّابة ومَنْجَنِيق . ويقال : بل اتَّخذَ المَنْجَنِيقَ سَلْمانُ الفارسىّ ، وقَدِم بالدبَّابة خالدُ بن سَعيد بن العاص من جَرَش(٢) . وكان مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حَسَك من خَشَبٍ(٣) يُطِيفُ بعَسْكَرِه

بعثة خالد بن الوليد على المقدمة

وقدَّم صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد على مقدِّمَته ، و بعث بالسَّبْى والغَنَائم إلى الجِعِرَّانةِ مع بُدَيْل بن وَرْقاء الخُزَاعِىّ ، وسار إلى الطائف وقد رَمُّوا حِصْنَهم(٤) ، ودخَلَ فيه من أنهزَمَ من أوطاسٍ ، وأستَعَدُّوا للحَرْب . وأُتِىَ صلى الله عليه وسلم — فى طريقه بِلِيَّةَ(٥) — برجل من بنى لَيْثٍ قَتَل رجُلًا من هُذَيْل ، فضَرَب أوْلياؤه عُنُقَه ، وكان أوّلَ دَمٍ أُقِيدَ به فى الإسلام(٦) . وحرَّقَ بلِيَّةَ(٧) قصْرَ مالك بن عَوْف

منزل المسلمين بالطائف

ثم نَزَل قريباً من حِصْن الطائفِ وعَسْكَرَ به ، فرموا بنَبْلٍ كثيرٍ أُصيب به جماعةٌ من المسلمين بجِرَاحة ، فحوَّل عليه السلامُ أصحابَهُ ، وعسكَرَ حيث

(١) رواية الشعر بتخفيف الفاء وفتحها ، وذلك لضرورة الشعر
(٢) فى الأصل : « بن جرش » . انظر ص (٣٦٦) وانظر بعد ص (٤١٨)
(٣) الحسك : شوك مدحرج لا يكادُ أحد يمشى عليه إذا يبس ، إلا من كان فى رجليه خف أو نَعْل . ثم اتخذوا من آلات العسكر فى الحرب حسكا من الحديد والخشب ، يعمل على مثاله فيلقى حول العَسكر ليمنع العدوّ من الدنوّ
(٤) أصلحوه ، ويعنى بالضمير ثقيفاً
(٥) فى الأصل : « بليه » . لِيَّة : ناحية من نواحى الطائف ، ابتنى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدا يومئذ فصلى فيه
(٦) أقادَ القاتل بالقتيل : قتله به ، وهو من القَوَد : أى القِصاص
(٧) فى الأصل : « حرق عليه » . وكان فى لِيَّة حصن لمالك بن عوف

لا يُصيبُهم رَمْىُ أهلِ الطائف . وثارَ المسلمون إلى الحِصْن ، فقُتِل يزيد بن زَمَعة ابن الأَسْود بن المُطَّلب بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ القُرَشيّ الأسديّ ، فظفر أخوه يَعْقُوب بن زَمَعَة بهُذَيْل بن أبى الصَّلْت ، [أخى أُمَيَّة بن أبى الصَّلت] ، وقال : هذا قاتِلُ أخى ! فضَرَبَ عُنُقَه . وأقامَ صلى الله عليه وسلم على حِصار الطائف ثمانية عشر يوماً ، وقيل : تسعة عشر يوماً ، وقيل : خمسة عشر يوماً ، وصحّح ابن حَزْم إقامتَهُ عليه السلام بضْعَ عشرة ليلة . وفى الصَّحيح عن أنسِ بن مالك قال : فحاصَرْناهم أربعين يَوْماً . يَعْنى ثَقيفاً .

مصلى رسول الله

فكانَ فى إقامته يصلى ركعتَيْن بين قُبَّتَين قد ضُرِبتا لزَوْجَتَيْه أمِّ سَلَمة وزَيْنَبَ رضى الله عنهما . فلمّا أسلمت ثقيفٌ بَنَى أميةُ بن عَمْرو بن وَهْب بن مُعَتّب بن مالك (١) على مُصَلَّى النبيِّ صلى الله عليه وسلم مسجداً ، وكان فيه سارِيةٌ — [فيما يَزْعُمون] (٢) — لا تَطْلُعُ الشمسُ عليها [يَوْماً] (٢) من الدَّهر إلّا يُسْمَعَ لها نَقيضٌ أكثرَ من عشرِ مِرارٍ ، وكانوا يَرَوْنَ أنَّ ذلك تَسْبيحٌ (٣)

محاصرة حصن الطائف

ونَصَب صلى الله عليه وسلم المَنْجَنيق على حِصْن الطائف ، وقد أشار به سَلمان الفارسىُّ رضى الله عنه ، وقد عَمِله بيده . وقيل : قَدِم به يزيد بن زَمَعة ومعه دبَّابتَان (٤) . وقيل : قدم به الطُّفَيْل بن عَمْرو . وقيل : قَدِم به وبِدَبَّابتَيْن

(١) ترجم له ابن حجر فى الإصابة فى « عمرو بن أميّة بن وهب . . . . » ، وكنيته أبو أميّة . ثم قال : « له ذكر فى مغازى ابن إسحاق . . . . وقد اختلف فى اسمه ، ففى مختصر السيرة هكذا ، وعنـد الأموى فى المغازى عن ابن إسحاق : « أبو أمية بن عمرو بن وهب » ، وعند الواقدى : « أمية بن عمرو بن وهب » . وانظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٧٢ ، والطبرى ج ٣ ص ١٣٣

(٢) زيادة من الطبرى ج ٣ ص ١٣٣ وابن هشام ج ٢ ص ٨٧٢

(٣) فى الأصل : « تسبيحا »

(٤) فى الأصل : « دبابتين »

خالدُ بن سعيد مِنْ جَرَش [١] . ونثَر صلى الله عليه وسلم الحَسَكَ حَوْل الحِصْن ، ودخَل المسلمونَ تحْتَ الدبَّابتين ، ثم زحَفوا [٢] بها إلى جدَار الحصن ليَحْفرُوه ، فأرسلتْ عليهم ثقيفٌ سِكَكَ الحديد [٣] مُحْمَاةً بالنّار فحَرَّقَتِ الدبابتين — وكانتا من جُلود البقَر — فأُصيبَ من المسلمين جماعةٌ ، وخرج من بَقِيَ من تحتها فقُتِلوا بالنَّبْل . فأمرَ عليه السلام بقَطْع أعْنَابهم وتحْريقها ، فقَطَعها المسلمون قطْعاً ذَرِيعاً . فنادى سُفيَان بن عبد الله الثَّقَفِيّ : يا مُحَمَّد ! لِمَ تَقْطَعُ أَمْوَالَنا ؟ إمَّا أن تَأْخُذَها إن ظَهَرْتَ عَلَيْنا ، وإمَّا أن تدَعَها [لِلّه] [٤] ولِلرَّحِمِ كما زَعَمْتَ ! فقال عليه السلام : فإنِّي أَدَعُها لله وللرَّحِم ! وكَفَّ عنها

النازلون من حصن الطائف

ونادَى منادِي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أيُّما عَبْد نزَل من الحصن وخَرَج إلينا فهو حُرٌّ ! فخرج بضعة عشر رجُلًا : أبو بَكْرَة [٥] ، والمُنْبَعِثُ ، والأزْرَق [أبُو عُقْبة بن الأزْرق] ، ووَرْدانُ ، ويُحَنِّسُ [٦] النَّبَّال ، وإبراهيمُ بن جابر ، ويَسَار ، ونافع ، وأبو السَّائِب [٧] ، ومرزوق ، فأعتقَهم صلى الله عليه وسلم ، ودَفَع كلَّ رجلٍ منهم إلى رجُل من المسلمين يَمُونه ويَحْمِله ، وأمَرهم أن يُقْرِئوهم القرآنَ ويُعَلِّموهم السُّنَن ، فشقَّ ذلك على أهْل الطائف

خبر هيت وماتع

وكان مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مَوْلًى لخالتِه فاختَة بنت عمرو بن

---

(١) فى الأصل : « ابن جرش » ، وانظر ص (٤١٦)

(٢) فى الأصل : « رجفوا »

(٣) السكة : الحديدة التى يحرثُ بها الأرض

(٤) زيادة للسياق

(٥) هو « نفيع بن مسروح » ، ويقال : « نفيع بن الحارث » ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتدلى من حصن الطائف إلى النبى صلى الله عليه وسلم ببكرة ، فسمى أبا بكرة لذلك

(٦) فى الأصل : « محنس »

(٧) فى الأصل : « ونافع أبو السائب »

عائذ بن عِمران بن مَخْزوم؛ يقال له « مَاتِـع » ، وآخر يقال له « هيتٌ » . وكان ماتع "(١) يدخُل بُيوتَهُ ، ويُرى أنه لا يَفطَنُ لشئ من أمرِ النِّساء ولا إرْبَةَ له ، فَسمِعَه وهو يقولُ لخالد بن الوليد ، [ويقال لعبد الله بن أبى أُمَيّة(٢) بن المُغيرة] : إنِ أُفتتَح رسولُ الله الطَّائفَ غداً فلا تُفلِتَنّ منك بادِيةُ بنت غَيْلان ! فإنها تُقبِل بأربعٍ وتُدْبِر بثمان ، وإذا جلَست تَثَنّت ، وإذا تكلّمت تغنّت ، وإذا أضطَجعتْ تَمنّتْ ، وبينَ رجليها مثلُ الإناء المُكْفَإ ، مع ثغر كأنّه الأُقحُوان ! فقال عليه السلام : ألا أرَى هذا الخبيثَ يفطُن لما أسمَع ! ! لا يَدخُلَنّ على أحدٍ من نسائِـكم ! وغرّبهُما إلى الحِمى ، فَتشَكّيا الحاجةَ(٣) ، فأذِن لهما أن يَنزلا كلّ جُمُعَةٍ يَسألانِ ثم يرجِعان إلى مكانِهما . فلما تُوُفّى عليه السلام ودخَلا مع الناسِ ، أخرجَهما أبو بكر رضى الله عنه ، فلمّا تُوُفّىَ [دخلا مع الناس ، فأخرجهما عمر ابن الخطاب رضى الله عنه . فلما تُوُفّى](٤) دخَلا مع الناس

خبر خولة بنت حكيم

وقالت خَوْلةُ بنت حَكيم بن أُميّة بن الأَوْقص السُّلَمِيَّـة امرأة عثمان بن مَظْعون : يا رسولَ الله ! أعطِنى — إن فتَح الله عليك [الطَّائفَ](٥) — حُلِيَّ الفَارِعة بنت الخُزاعىّ(٦) أو بادِيةَ بنت غَيْلان . فقال لها : وإن كان لم يُؤْذَنْ

(١) فى نسبة القول إلى ماتع خلاف ، وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة فى ترجمة ماتع ، وبعض هـذا الخبر فى البخارى ج ٥ ص ١٥٦ ، وقد تكلم شراح البخارى فيه ، وذكروا الخلاف فى ضبط « هيت » هذا

(٢) فى الأصل : « عبد الله بن أمية »

(٣) فى الأصل : « فشكيا »

(٤) فى الأصل مكان هـذا كله ، ما قبل القوسين وما بعدهما : « فلما توفى فدخلا مع الناس » ، وقد رأيت أن أزيد هذه العبارة ، فإن الصحيح أن عمر أخرجهما بعد دخولها مع الناس بعد وفاة أبى بكر ، انظر عمدة القارى ج ١٧ ص ٣٠٣ — ٣٠٤ ، والإصابة فى ترجمة « ماتع » و « هيت »

(٥) زيادة للسياق

(٦) الذى فى ابن هشام ج ٢ ص ٨٧٤ « الفارعة بنت عقيل » ، وكذلك ذكرها غيره

أذان عمر بالرحيل عن الطائف

لنا فى ثقيف يا خَوْلةُ ! فذكرتْ ذلك لعمر رضى الله عنه فقال : يا رسولَ الله ! ما حديثٌ حدَّثَتْنى خوْلةُ[1] ، أنَّك قُلتَه ؟ قال : قد قُلتُــه ! قال : وَلَمْ يُؤْذَنْ لك فيهم ؟ قال : لا ! قال : أفلا أُؤَذِّنُ فى الناس[2] بالرَّحيل ؟ قال : بلى ! فأَذَّن عمر بالرَّحيل ، فشَقَّ على المسلمين رَحيلُهم بغيرِ فَتْح . ورحَلوا ، فأمرَهم عليه السلام أن يَقولوا : لا إلٰه إلَّا اللهُ وحدَه ، صدَق وَعْدَه ، ونَصَر عَبْـدَه ، وهزَم الأَحزابَ وَحدَه . فلما استَقَلُّوا بالمَسير قال : قولوا : آئبون إن شاءَ الله تائبون عابِدُون لرَبِّنا حامِدُون . وقيل له لما ظَعَن : يا رسولَ الله ! اُدعُ اللهَ على ثقيف ! فقال : اللَّهُمَّ اُهدِ ثقيفاً وَأْتِ بهم ! وكان من اُستُشْهِدَ بالطَّائف أحدَ عشر رجُلًا

الجعرّانة

وسار صلى الله عليه وسلم إلى الجِعِرَّانَةِ ، فبيْنَا هو يَسير — وأبو رُهْم الغِفَارىُّ إلى جنْبِه على ناقةٍ لهُ ، وفى رجلَيْه نَعلان غَليظَتَان — إذ زَحَمت ناقتُه

خبر أبى رُهْم

ناقةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فوقَع حَرْفُ نَعْله على ساقِ رسول الله فأوْجعَه فقال : أوجَعْتَنى ! [أَخِّرْ رِجْلَك ! وقرع رجلَهُ بالسَّوْطِ ، قال أبو رُهْم : فأخذَنى ما تقدَّم من أمرِى وما تأخَّر ، وخشيتُ أن ينزل فىَّ قرآنٌ لعَظيم ما صنعتُ ، فلمَّا أصبَحنا بالجِعِرَّانة ، خرَجْتُ أرعى الظَّهْرَ — وما هو يوْمِى — فرقاً أن يأتى للنبىِّ عليه السلام رسولٌ يطلبُنى ، فلمَّا روَّحْتُ الركابَ سألتُ ، فقالوا : طَلَبَك النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إحداهُنَّ واللهِ[3] ! فجئتُه وأنا أترقَّبُ ، فقال : إنَّك أوجَعْتَنِى][4] برِجْلِك فقرَعتُك بالسَّوْط ، فخُذْ هـذه الغنَمَ عِوَضاً مِنْ[5]

(١) فى الأصل : « حديث خولة ما حدثتنى . . . »
(٢) فى الأصل : « للناس »
(٣) أى إحدى الدواهى والمصائب التى كان يتوقعها
(٤) زيادة يتم بها الكلام ، من ابن سعد ج ٤ قسم أول ص ١٨٠
(٥) فى الأصل : « عن »

ضَرْبتى . [قال أبو رُهم : فرِضاهُ عنّى كان أحبَّ إلىَّ من الدُّنيا وما فيها](١) . وحادَثَهُ عبد الله بن أبى حَدْرَد(٢) الأسلَمىّ فى مسيره ، فلَصِقَتْ ناقته بناقةِ النبىِّ صلى الله عليه وسلم فأصابَ رِجلَه ، فقال : أحٍّ ! ! أوجَعْتَنى ! ودفَع رِجْلَ عبد الله بمِحْجَنٍ فى يَدِه ، فلمّا نزَل دعاه وقال له : أَوْجَعتُك بمِحْجَنى البارحةَ ! خُذْ هذه القطعةَ من الغنَم . فأخذَها فوجدَها ثمانين شاةً ضائنةً(٣) . ولما أراد أن يركَب من قَرْنٍ(٤) راحِلتَه ، وَطِئَ له على يدِها أبو روعة الجُهَنِىّ(٥) ، ثم ناوله الزِّمام بعدما ركب ، فجَلَفَ(٦) عليه السلام النَّاقةَ بالسَّوطِ ، فأصابَ أبا روعة(٥) فالتفتَ إليه وقال : أصابَكَ السَّوطُ ؟ قال نعم ، بأبى وأُمِّى ! ! فلمّا نزَل الجِعِرّانة صاح : أيْن أبو روعة(٥) ؟ قال هأنذا ! قال : خُذْ هــذه الغنَمَ بالذى أصابَكَ من السَّوطِ أمس . فوجدَها عشرين ومائة

خبر سراقة بن مالك بن جعشم

ولقيه سُراقَة بن مالك بن جُعْشُم وهو منحدِرٌ إلى الجِعِرّانة ، فجعل الكتابَ الذى كَتَبَهُ له أبو بكر رضى الله عنه بين إصبَعَيْه ونادى : أنا سُراقةُ ، وهــذا كتابى(٧) ! فقال عليه السلام : هذا يوم وَفاء وبرّ ، أدنوه ! فأدنَوْه منه ، فأسلَمَ وساق إليه الصَّدَقة . وسألهُ عن الضالّةِ من الإبِل تغْشى حِياضَه وقد ملأها لإبلِه ، فهل له من أجرٍ إن سقاها ؟ فقال عليه السلام : نعم ! فى كلِّ ذاتِ كَبِدٍ حَرَّى(٨) أجرٌ

(١) زيادة يتم بها الكلام ، من ابن سعد ج ٤ قسم أول ص ١٨٠
(٢) فى الأصل : « جدرد »
(٣) الضائنة : الشاة من الغنم ذات الصوف ، وهو صفة
(٤) اسم موضع
(٥) انظر ص (٣٧٤)
(٦) فى الأصل : « خلف » ، وجلفه بالسوط والسيف : ضربه
(٧) انظر خبر هذا الكتاب فى ص (٤٢)
(٨) حَرَّى تأنيث حَرّان ، وهو من حَرَّ يحَر حرّة : عطش ، ويقال إنه أراد فى كلّ ذى روح من الحيوان أجر ، لأنه إنما تكون كبده حرّى إذا كان فيها حياة

هدية رجل من أسلم

واعترَض له رجلٌ من أسْلَمَ معه غنمٌ فقال : يارسول الله ! هٰـذه هَدِيَّةٌ قد أهْدَيتُها لك ! — وكان قد أسْلَمَ وساق صَدَقَتَه إلى بُرَيْدة بن الحُصَيْب لما خرج مصدِّقاً — فقال صلى الله عليه وسلم : نحنُ على ظَهْرٍ كما ترَى ، فالْحَقْنا بالجِعِرّانَة . فخرج يَعْدُو عِرَاضَ ناقةِ[1] رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : يارسولالله ! وأَسُوق الغَنَمَ مَعى إلى الجِعِرّانة ؟ فقال : لا تَسُقْها ، ولـكن تَقْدَمُ علينا الجعرّانة فنُعْطِيك غنماً أُخرَى إن شاء الله . فقال : يا رسول الله ! تُدْرِكُنى الصلاةُ وأنا فى عَطَنِ الإبلِ[2] ، أفأُصَلِّى فيـه ؟ قال : لا ! قال : فتُدْرِكُنى وأنا فى مُرَاحِ[3] الغَنَمِ ، أفأُصَلِّى فيه ؟ قال : نعم ! قال : يارسولَ الله ! رُبَّما تَباعد بنا الماء ومع الرَّجُلِ زَوْجَته ، فيَدْنُو منها ؟ قال : نعم ! ويتَيَمَّمُ . قال : يا رسولَ الله ! وتكونُ فينا الحائضُ ؟ قال : تتيَمَّمُ ! فلحقهُ عليه السلام بالجعرّانة فأعطاه مائةَ شاةٍ

سُؤال الأعراب

وجعلَتِ الأعرابُ فى طريقـه يَسْأَلُونَه [أَنْ يَقْسِم عليهم فَيْئَهُم من الإبل والغنَمِ][4] ، وكثَّروا عليه حتى اُضْطَرُّوه إلى سَمُرَةٍ[5] فخطَفَتْ رِدَاءه فنزَعَتْه ، فوقف وهو يقول : أَعْطُونِى رِدَائِى ! لو كان عَدَدُ هٰذا العِضَاهِ[5] نَعَمًا لقَسَمْتُه بينكم ، ثم لا تَجِدُونِّى بَخِيلًا ولا جَبَاناً ولا كَذَّاباً

منزله بالجعرّانة

وانتهى إلى الجِعِرّانة ليـلةَ الخميس لخمسٍ خلوْن من ذى القَعدَة ، والسَّبْىُ والغنائمُ بها مَحْبوسَة ، وقد اتَّخَذَ السَّبْىُ حظائرَ يَسْتظلُّون بها من الشَّمس ، وكانوا

(١) فى الأصل : « يعـدو إعراض ناقته رسول الله . . . » ، يقال : « تقدَّم فى عراض القوم » ، إذا سار حذاءهم معارضاً لهم ، و « أخذ فى عراض كلامه » ، أى فى مثل قوله ومقابله معارضاً له . ويريد أنه كان يعدو ليعترض ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) العطن : مبرك الإبل حول الحوض أو قريباً منه ، تأوى إليه وتبيتُ فيه

(٣) المراح : الموضع الذى تروح الماشية إليه فتأوى ليلا لتبيت فيه

(٤) زيادة للبيان

(٥) العضاه : كل شجر يعظمُ وله شوك ، وهو ضروب كثيرة ومنه السَّمر ، واحدته سمرة

ستةَ آلاف ، والإبلُ أربعةً وعشرين ألف بعير — فيها أثنا عشر ألف ناقة — والغنمُ أربعين ألفاً ، وقيـل أكثر .

الغنائم والسبي

فأمر بُسْرَ⁽¹⁾ بن سُفيان الخُزاعيّ يَقْدَمُ مكةَ فيشترى للسَّبْي ثياباً يكسُوهم ، وكساهم كلّهم . واستأنَى صلى الله عليه وسلم بالسَّبْي ، وأقام يَتربَّص أن يَقْدَم وفْدُهم . وكان قد فرّق منه وهو بحُنَين؛ فأعطى عبد الرحمن بن عَوْف امرأةً ، وأعطى صَفْوان بن أُمَيّة ، وعليًّا ، وعثمانَ ، وعمرَ ، وجُبَـير بن مُطْعِم ، وطلحةَ بن عبيد الله ، وسعْد بن أبي وقّاص ، وأبا عُبَيْدة بن الجرّاح ، والزُّبَير بن العوّام رضى الله عنهم .

عطاء المؤلفة قلوبهم

فلما رَجَع إلى الجِعِرّانة بدأ بالأموال فقَسَمها ، فأعطى المؤلَّفةَ قلوبُهُم أوّلَ النّاس . وكان ممّا غَنِم أربعةُ آلاف أوقيّة فضّة .

عطاء أبي سفيان

فجاء أبو سفيان بن حرب والفِضّة بين يديه ، فقال : يارسولَ الله ! أصْبحْتَ أكثرَ قريشٍ مالاً ! فتبسّم عليه السلام ، فقال أبو سفيان : أَعْطِنى من هـذا يا رسولَ الله ! قال : يا بلال ! زِنْ لأبى سفيان أرْبعين أُوقيَّة ، وأعطوه مائةً من الإبل . قال : أبنى يزيدُ ! قال : زِنُوا ليزيدَ أربعـين أوقية وأَعْطوه مائة من الإبل . قال : أبنى معاويةُ يا رسولَ الله ! قال : زِنْ له يا بلال أربعين أوقيَّة وأَعْطه مائةً من الإبل . قال أبو سفيان : إنّك لـكريمٌ فِداكَ أبى وأُمّى ! والله لقـد حاربتُك فنِعمَ المحاربُ كنتَ ! ثم سالَمْتك فنِعمَ المسالمُ أنتَ ! جزاكَ الله خيراً

عطاء حكيم بن حزام

وسألَ حكيمُ بن حِزام يومئذٍ مائةً من الإبِل فأعطاه ، ثم سألَ مائةً فأعطاهُ ، ثم سأل مائةً فأعطاه ، ثم قال : يا حكيمَ بن حِزام ! إنَّ هذا المـالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فمَنْ أَخذَه بسَخاوَةِ نَفسٍ بُورِكَ له فيه ، ومَنْ أَخذه بإشرافِ نفْسٍ لم يُبارَكْ له فيه ، وكان كالذى يأكلُ ولا يَشْبَع ، واليَدُ العُليا خيرٌ من السُّفْلى ، وأبْدَأْ بمن

(١) فى الأصل : « بشر »

تَعُول(١) . فأخذ حكيم المائةَ الأولى ثم ترَك ما عَدَاها

عطاء النضير بن الحارث

وأعطى النُّضَـيْر بن الحارث [عَلْقمة](٢) بن كَلَدَة — أخا النَّضْر بن الحارث — مائة من الإبل ، وأعطى أُسِيدَ بن جارية(٣) — حليفَ بنى زُهْرَة — مائةً من الإبل ، وأعْطى العَلاء بن جارية خمسين بعـيراً ، وأعطَى الحارثَ بن هشام مائةً من الإبل ، وسَعيد بن يَرْبُوع خمسـين بعيراً ، وصَفْوان بن أُمَيَّة مائةَ بعير

عطاء صفوان بن أمية

وفى صحيح مُسْلم عن الزُّهْرِىّ : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم أعطَى يومئذٍ صفْوانَ بن أُميّة ثلاثمائة من الإبل . ويقال إنه طافَ مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتَصَفَّحُ الغَنائم ، إذْ مرَّ بشِعْبٍ ممَّا أفاء الله عليه ، فيه غَنَمٌ وإبلٌ ورِعاؤُها مملوءًا ، فأَعْجبَ صفوانُ وجَعل ينظُر إليه ، فقال : أَعْجَبك يا أبَا وَهْب هذا الشِّعْب ؟ قال : نعم ! قال : هُولك وما هوَ فيه ! فقال : أشهد ما طابَتْ بهذا نَفْسُ أحدٍ قطُّ إلَّا نبىّ ! وأشهد أنك رسول الله

عطاء جماعة من المؤلفة قلوبهم

وأعطى قَيْس بن عَدِىّ مائة من الإبل ، وأعْطى عُثمان بن وَهْب خمسـين بعيراً ، وأعطى سُهَيْل بن عمرو مائة من الإبل ، وأعطى حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى مائةً من الإبل ، وأعطى هِشَام بن عمرو خمسين بعيراً ، وأعطى الأَقْرَع بن حابس التَّميمىّ مائة من الإبل ، وأعطى عُيَيْنـة بن حِصْن الفَزَارىّ مائةً من الإبل ، وأعطى أبا عامر العَبَّاسَ بن مِرْدَاس بن أبى عامر بن حارثةَ(٤) بن عَبْد بن عَبْس

(١) قوله : « خضرة » أى ناعمة غضة طرية طيبة ، يزدادُ آكلها حبًّا لها واشتهاء لحلاوتها . و « إشرافُ النفس » : تطلعها إلى المال ، يريد الحرص والطمع والشره . وقوله « اليد العليا » : يد المعطى ، « واليد السفلى » : يد السائل المستعطى . يقول : فابدأ فى عطائك بأهلك ومن تجب لهم عليك النفقة

(٢) زيادة من نسبه

(٣) فى الأصل : « بن حارثة »

(٤) فى الأصل : « جارية »

ابن رِفاعة بن الحارث [بن يَحْيَى بن الحارث] (١) بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم [بن منصور السُّلَمِيّ] (١) دون المائة ، فعاتبَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى شِعْرٍ قاله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقطعُوا عنى لِسَانَه ! فأعطوه مائة ، ويقال : خمسين بعيراً ؛ وأثبت القوْلين أنَّ هذا العطاء كان من الخُمُسِ

منع جعيل بن سراقة العطاء

وقال يومئذٍ سَعد بن أبى وقّاصٍ رضى الله عنـه : يا رسولَ الله ! أعْطَيْتَ عُيَينـة بن حِصن والأقْرَع بن حابِسٍ مائةً مائةً ، وتركت جُعَيْل بن سُرَاقَة الضَّمْرى ؟! فقال : أمَا والّذى نَفْسى بِيَدِه ، لَجُعَيْل بن سُرَاقة خيرٌ من طِلاَعِ (٢) الأرضِ كلّها مِثلِ عُيَينة والأقرَع ، ولـكنى أتألّفُهما لِيُسْلِما ، وَوَكَلْتُ جُعَيْل ابن سُرَاقة إلى إسلامه

خبر ذى الخويصرة التميمى

وجلَسَ صلى الله عليه وسلم يوْمئذٍ ، وفى ثوْبِ بلالٍ رضى الله عنه فِضَّةٌ يُقَبِّضُها (٣) للنّاس على ما أراهُ الله ، فأتى ذُو الخُوَيْصِرَة التّميميّ — [واسمـه حُرْقُوص] — فقال : أعْدِلْ يا رسولَ الله ! فقال : وَيْلَكَ !! فمَنْ يَعْدِلُ إذا لم أعْدِلْ ، [قد خِبْتُ وخَسِرْتُ إنْ لم أكنْ أعدِلُ] (٤) ؟! قال عمر رضى الله عنه : إيذَنْ لى [فيـه] (٤) أضْرِبْ عُنُقَه ! قال : دَعْهُ ، فإنَّ له أصحاباً يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَهُ مع صـلاتِهِمْ (٥) ، وصِيامَه مَع صِيَامِهِم (٦) ، يَقرَأُون القرآنَ لا يُجاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يَمْرُقُون من الدِّين كما يَمْرُق السَّهْمُ من الرَّمِيَّـةِ (٧) : [يُنْظَرُ إلى

(١) زيادات من نسبه
(٢) فى الأصل : « طلائع » . وطلاعُ الأرض : ملؤها حتى تطلع من نواحيها وتفيض
(٣) قبّضه المال : أعطاهُ إياه ، والتقبيض : إعطاءُ المال لمن يأخذه
(٤) هذا الحديث فى صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٠٠ ، والزيادات بين الأقواس منه ، وكذلك سائر التصحيحات
(٥) فى الأصل : « صلاته مع صلاته »
(٦) فى الأصل : « صيامه مع صيامه »
(٧) مرق السهم من الرمية : نفذ فيها ، وخرج طرفه من الجانب الآخر وسائره فى جوفها ، والرميّة : هى الطريدة التى يرميها الصائد

نَصْله فلا يُوجَدُ فيه شيء ، ثم يُنظرُ إلى رِصافِه(١) فما يُوجَدُ فيه شيء ، ثم ينظر إلى نَضِيّه — وهو قِدْحه(٢) — فلا يوجد فيه شيء ، ثم] يُنْظَرُ إلى قُذَذِه(٣) فلا يُوجَدُ فيه شيء(٤) قد سَبَق الفَرْثَ والدَّمَ(٥) . آيَتُهم رَجُلٌ أسودُ ، إحدى عَضُدَيْه مثلُ ثَدْي المرأة(٦) ، أو مثْل البَضْعَة تَدَرْدَرُ(٧) ، [ويخرجون على حين فُرْقَةٍ من الناس](٨)

مقالة رجل من المنافقين

وقال مُعَتِّب بن قُشَيْر العَمْرِيّ يومئذٍ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُعْطى تلك العَطَايا : إنَّها لَعطَايا ما يُرادُ بها وَجْهُ الله ! فأَخْبرَ عبدُ الله بن مسعود رضى الله عنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بذَلك فتغَيَّر لَوْنُه ، ثم قال : يَرحَمُ اللهُ أخى مُوسَى ! قد أُوذِىَ بأَكْثَرَ من هٰذا فصبَر

إحصاء الناس والغنائم وقسمها

ثم أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زَيْدَ بن ثابتٍ رضى الله عنه بإحْصَاء الناس والغنائم ثم فَضَّها(٩) على الناس . وكانت سُهْمَانُهم : لكلّ رجلٍ أربعٌ من الإبل وأربعون شاة ، وإن كان فارساً أخذ ثِنْتى عشرة من الإبل أو عشرين ومائةَ شاة ، وإنْ كان معه أكثر من فرسٍ واحدٍ لم يُسْهِم له

---

(١) الرصافُ : قطعة تلوى فوق مدخل سنخ النصل فى عود السهم

(٢) والنضى : هو من عود السهم — إذ يكون عارياً — مابين موضع النصل والريش

(٣) قذذ السهم ، جمع قُذَّة : وهى الريش يكون على السهم كأنه آذان . وفى الأصل : « فى قذذه »

(٤) فى الأصل : « فلا يرى فيه شيئاً »

(٥) الفَرْثُ : مايكون فى كرش الحيوان من طعامه

(٦) فى الأصل : « إحدى يديه كثدى المرأة »

(٧) فى الأصل : « أو كبضعة تدردر » . البضعة : القطعة من اللحم . وتدردرت : تَرَجْرجت تجيءُ وتذهبُ

(٨) فى الأصل : « يخرجون على فرقة من المسلمين » ، وذلك بعد قوله : « سبق الفرثَ والدم » . وهذا نصُّها ومكانها فى حديث البخارىّ الذى اعتمدنا نصّه هنا

(٩) فضَّ المالَ وغيره : فرّقه

وفد هوازن وإسلامهم

وقَدِم وَفْد هَوَازن : وهم أربعة عشر رجُلًا — رأسُهُم [1] أبو صُرَد زُهَيْر ابن صُرَد الجُشَمِيُّ السعدىُّ — قد أسْلموا وأخبروا بإسلام مَنْ وَراءهم من قَومهم.

خطبة الوفد

فقال أبو صُرَد : يا رسول الله ! إنَّا أصْلٌ وعشيرةٌ [2] ، وقد أصابنَا من البَلاء ما لا يَخْفَى عليك ، [فامنن عَلَينَا منَّ الله عليكَ] [3] . إنَّما فى هذه الحظائر عمَّاتُك وخالاتُك وَحَواضِنُك [4] اللَّاتى كُنَّ يَكْفُلْنَكَ ، ولو أنَّا مَلَحْنَا [5] للحارثِ بن أبى شَمِر أو للنُّعمان بن المُنْذِر ، ثم نَزَل منَّا أحَدُهما بمثْلِ الذى نَزَلْتَ به ، رَجَونَا عَطْفَه وعائدَتَهُ ، وأنْتَ خَيْرُ المكفولينَ

[وفى رواية أنَّه قال : إنما فى هذه الحَظائر أخَواتك وعمَّاتُك و بناتُ عماتك [6] ، وخالاتُك و بناتُ خالاتك ، وأبعَدُهُنَّ قريبٌ منك يا رسولَ الله ! بأبى أنْتَ وأمِّى ! حضَنَّك فى حُجورِهِنَّ ، وأرضَعْنَك بِثُدِيِّهِنَّ ، وَوَرَّكْنَكَ على أوْراكِهِنَّ ! ! وأنتَ خيْر المكفولين ! !]

أُمْنُنْ عَلَينَا رَسُولَ الله فى كَرَمٍ ... فإنَّكَ المرء نرجُوه وَنَدَّخِرُ
أُمنُنْ على نِسْوَةٍ قد كُنْتَ تَرْضِعُها ... إذْ فوكَ يَمْلَأُهُ من مَحْضِها الدِّرَرُ
أُمنُنْ على نِسْوَةٍ إعتاقَها قَدَرٌ ... مُمَزِّقٌ شَمْلَهَا فى دَهْرِها غِيَرُ
أبقَتْ لنَا الدَّهْرَ هُتَّافًا على حَزَنٍ ... على قُلوبِهِم الغَمَّاءُ والغَمَرُ

(١) فى الأصل : « وأسهم »
(٢) فى الأصل : « إنا أصلك وعشيرتك » ، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم مسترضعاً فى بنى سعد ، انظر ص ٥
(٣) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٨٧٧ وغيره
(٤) فى الأصل : « حوضنك »
(٥) مَلَح لفلان : أرضعه
(٦) فى الأصل : « بنات عمك » ، وهو خطأ

اللاتِ إذ كُنتَ طفلاً كُنتَ ترضعُها[1] وإذْ يَزِينُك ما تأتي ومَا تَذَرُ[2]
إلا تدارَكَها نَعْماءُ تَنْشُرُها يا أَرْجَحَ الناسِ حِلْماً حينَ يُخْتَبَرُ
فألبسِ العَفْوَ من قد كُنْتَ تَرْضِعُه من أُمّهاتِك إنَّ العَفْوَ مُشْتَهِرُ
ياخَيْرَ من مَرِحَتْ كُمْتُ الجيادِ به عند الهِيَاجِ إذا ما استوقَدَ الشَّرَرُ
إنَّا نؤمّل عَفْواً منك تُلْبِسُه هذِي البرِيَّةَ إذْ تَعْفو وتَنْتَصِرُ[3]
فاعفُ عَفَا اللهُ عمَّا أنتَ وَاهبُه يومَ القِيامةِ إذ يُهْدَى لكَ الظَّفَرُ
لا تجْعَلَنَّا كمن شالَتْ نعامَتُه واستَبْقِ مِنَّا فإنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ
إنَّا لنَشْكُر آلاءً وإنْ قَدُمَتْ وعندَنا بَعْدَ هٰذا اليَوْم مُدَّخَرُ

جوابُ رسول الله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : إنَّ أحسَنَ الحديث أصدَقُه ، وعندى من ترَوْنَ من المسلمين ، فأبْناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أمْ أموالُكم ؟ قالوا : يا رسول الله ! خيَّرْتَنا بين أحْسابِنا وأموالنا[4] !! وما كنَّا نعدِلُ بالأحساب شيئاً ، فرُدَّ علينا أبناءنا ونساءنا . فقال : أمَّا ما [كان][5] لِي ولبنِي عبد المطَّلب فهو لكمُ ، وأسألُ لكمُ النَّاسَ . فإذا [أنا][5] صلَّيْتُ الظُّهْرَ بالناس [فقوموا][5] فقولوا[6] : إنَّا نَسْتَشْفِع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله ! فإنى سأقولُ لكمُ : ما كان لِي ولبنِي عبد المطَّلب فهو لكمُ ، وسأطْلب لكمُ إلى النَّاس .

رضي المهاجرين والأنصار وردّ غيرهم

فلما صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الظُّهْرَ بالناس ، قامُوا فتكلَّموا بما أمرَهم به ، فأجابَهُمْ بما تقدَّم ، فقال المهاجرُون : فما كان لَنا فهو لرسول الله !

(١) فى الأصل : « اللاتى » ، وهما سواء
(٢) فى الأصل : « وإذ يريبك ما تأتى ولا تذرُ »
(٣) فى الأصل : « تنتصروا »
(٤) فى الأصل : « وبين أموالنا »
(٥) زيادة للسياق
(٦) فى الأصل : « فقالوا »

وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسولِ الله ! وقال الأقْرَع بن حابِس : أمَّا أنا وبنو تميمٍ فلَا ! وقال عُيَينةُ بن حِصْن : أمَّا أنا وفَزَارةُ فلا ! وقال عبَّاسُ بن مِرْداس أمَّا أنَا وبنُو سُلَيم فلا ! فقالت بنو سُلَيْم : [بَلَى](١) !! ما كانَ لنا فهو لرسولِ الله ! فقال عباس : وهَّنْتُمونى

خطبة رسول الله فى أمر هوازن

ثم قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى النَّاسِ خطيباً فقال : إنَّ هؤلاء القوم جاءوا مُسلمين ، وقد كنتُ استأْنَيْتُ بهم فخيَّرتُهم بين النِّساء(٢) والأبناء والأموال ، فلم يَعْدِلوا بالنِّساء والأبناء ، فمن كان عنده منهُنَّ شيءٌ فطابَتْ(٣) نفسُه أن يرُدَّه فَسَبيلُ(٤) ذلك ، ومَنْ أبَى منكم ويُمسِّكُ بحَقِّه فَلْيرُدَّ عليهم ، ولْيَكنْ قَرْضاً علينا سِتُّ فَرائض من أوّلِ ما يُفِيءُ الله علينا به ! فقالوا : يا رسولَ الله ! رَضينا وسَلَّمنا ! قال : فمُرُوا عُرَفاءَكم أن يرْفَعوا ذلك إلينا حتى نعلَمَ . فكان زَيْدُ ابن ثابت على الأنصار يَسألُهم : هل سَلَّموا ورضوا ؟ فخبَّروه أنَّهم سلَّموا ورضوا ، ولم يتخلَّف منهم رجلٌ واحد . وبعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى المهاجرين يَسألهم ، فلم يتَخلَّفْ منهم أحدٌ . وكان أبو رُهْمٍ الغِفارىّ يطوفُ على قبائلِ العَرَب . ثم جمَّعوا العرفاء ، واجتمع الأُمَناء الّذين أرسلهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاتَّفقوا على قولٍ واحد : أنَّهم سَلَّموا ورَضوا . ودفَع عند ذلك السَّبْيَ إليهم . وتَمَسَّكتْ بنو تميمٍ مع الأقْرع بن حابس بالسَّبْيِ ، فجعَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الفِداء ستَّ فَرائضَ : ثلاثَ حِقاقٍ وثلاثَ جِذَاعٍ(٥) . وقال

(١) زيادة من السِّيَر

(٢) فى الأصل : « الشاء »

(٣) فى الأصل : « فطبت »

(٤) فى الأصل : « فسبل »

(٥) الحِقاق جمع حِقَّة : وهى الناقة إذا استكملت السنة الثالثة فى شبابها . والجِذَاع جمع جَذَعة : وهى التى استكملت الرابعة ودخلت فى الخامسة

يومئذٍ : لو كان ثَابتاً[١] على أحدٍ من العرب وَلَاءٌ أو رِقٌّ لثَبَتَ اليومَ ، ولـكن إنما هو إسارٌ أو فِدْيةٌ . وجعل أبا حُذَيْفة العَدَوِىَّ على مَقاسِمِ المَغْنَم

سؤاله عن مالك ابن عـوف

وقال للوفْد[٢] : ما فَعل مالِكُ بن عَوْف ؟ قالوا : هَرَب فلَحِقَ بحِصْنِ الطَّائف مع ثَقِيفٍ . فقال : إنَّهُ إنْ يأتِ[٣] مُسْلِماً رَدَدتُ إليه أَهـلَهُ ومالَهُ ، وأعطيتهُ مائة من الإبل . وكان قد حَبَس أهلَ مالكٍ بمكةَ عند [عمَّتِهـم أم عبد الله بهمة[٤] ابنة أبى أُمَيَّة][٥] ، ووَقَف ماله فلم تَجْرِ فيه السِّهام . فلما بلغَ ذلك مالـكاً[٦] فَرَّ من ثقيفٍ ليلًا ، وقدم الجِعِرَّانة وأسلم ، وأخَذ أهـلَه ومالَه ومائةً من الإبل . ويقال : بَلْ قَدم عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهُو بمكة واستعمله على قومه ، وعقَد له لواء فقاتل أهل الشِّركِ ، وأغارَ على ثقيفٍ وقاتَلهم وقَتل وغنِمَ كثيراً ، و بعثَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخُمُس مما يُغِيرُ عليه : فبعثَ مرَّةً مائةَ بعيرٍ ومرَّةً ألفَ شاةٍ

مقالة الأنصار إذ مُنِـعوا العطاء

ولما أَعْطَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عطَاياه وَجَد الأنصارُ[٧] فى أنْفسِهم — إذ لم يكنْ فِيهم منها شىء — وكَثُرَتِ القَالَةُ ، فقال واحدٌ : لَقِى رسولُ الله قَومَه !! أمَّا حِينَ القِتال فنحنُ أصحابُه ! وأمَّاحين القَسْم فقومُه وعَشيرتُه ! ووَدِدْنا

(١) فى الأصل : « ثابت »
(٢) فى الأصل : « للوقد »
(٣) فى الأصل : « فقالوا : إنه إن بات »
(٤) فى الأصل : « بهمت »
(٥) ما بين الأقواس هو هكذا بالأصل ، ولم أجد أم عبد الله هـذه ولا خبرها ، وفى السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٠ « عنه عمتهم أم عبد الله بن أبى أمية » ، وعبد الله بن أبى أمية ، أمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ، واختلف فى إسلامها . ومن ولد أبى أمية : أم سلمة أمّ المؤمنين ، وأختها ريطة بنت أبى أميَّـة . فلا أدرى ما صواب النصّ ؟ ولا أىّ شىء أثبت منه أو أنفى ؟
(٦) فى الأصل : « مالك »
(٧) وَجَـد فى نفسه يَجِـد : غَضِبَ

أنَّا نعلَم ممَّنْ كان هذا ؟ إنْ كان هذا من الله صَبَرْنَا ، وإن كان هذا من رأى رسولِ الله استَعْتَبْناهُ . فبلَغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فغَضِبَ غَضَباً شديداً ، ودخَل عليه سعدُ بن عُبادة رضى الله عنه فقال له : مايقول قَوْمُك ؟ قال : وما يقولون يا رسول الله ؟ ! فذَكَر له ما بَلَغه وقال : فأين أنتَ من ذلك يا سَعدُ ؟ فقال : يا رسول الله ! ما أنَا إلَّا كأحَدِهم ، وإنَّا لَنُحِبُّ أن نعلَم من أين هذا ؟ قال : فاْجمَع لى من كان ها هُنا من الأنْصار . فلمَّا اجتَمعوا ، حمِد الله وأثنى عليه ثم قال :

خطبة رسول الله

يا مَعشَرَ الأنصار ! ما مَقَالَةٌ بَلَغَتْنى عنكمُ ؟ وَجِدَةٌ(١) وَجَدْتُموها فى أنفُسكم ، ألمْ آتِكُم ضُلَّالًا فهداكم الله ؟ وعالةً فأغناكُمُ الله(٢) ؟ وأعْداء فألَّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بَلَى ! اللهُ ورسولُه أمَنُّ وأفْضل ! قال : ألا تُجِيبُونى ؟ قالوا : ومَاذا نُجِيبُك يا رسول الله ؟ قال : أمَا والله لو شئتُمْ قُلتُمْ فَصَدَقتُمْ : أتيتنا مكذَّباً فصدَّقناك ! ومَخذُولًا فنصَرناكَ ، وطَرِيداً فآوَيْناك ! وعَائلًا فآسَيناكَ ! [وخائفاً فأمَّنَّاكَ](٣) ! وجَدْتم فى أنفُسِكم يا مَعشر الأنصار فى شىء من الدُّنيا تألَّفْت به قوْماً أسْلموا ووَكَلْتُكم إلى إسلامكم ؟ ! أفلا ترضَوْنَ يامَعشرَ الأنصار أن تذْهَبَ الناس [إلى رِحالِهمْ](٣) بالشَّاء والبَعير ، وتَرْجعون برسول الله إلى رِحالِكم ؟ والذى نفسى بيَده ، لوْلا الهجرةُ لكُنْتُ امرَأً من الأنصار ، ولو سَلك(٤) النَّاس شِعْباً وسَلَكَتْ الأنصارُ شعباً ، لسَلَكت شعب الأنصار . أَكْتُب لكم بالبَحْرَين كتاباً من بَعْدى تكون لكم خاصَّةً دون النَّاسِ ؟ قالوا : وما حاجَتُنا بعْدَك يا رسول الله ؟ قال : إمَّا لَا ! فستَرَوْنَ بعدى

(١) الجِدَة والمَوْجِدَة : الغضب ، من وَجَد يجِد إذا غضب
(٢) العالة جمع عائل : وهو الفقير
(٣) زيادة من ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٨
(٤) فى الأصل : « ولولا سلك »

أثَرَةً ، فاْصبِرُوا حتى تَلْقَوُا الله ورسولَه ، فإنَّ مَوعِدَكم الحَوْضُ ، وهو كما بين صَنعاء وعُمان ، وآنيتُه أكثرُ من عدد النُّجوم . اللهم ارحَمِ الأنصار وأبناءَ الأنصار وأبناءَ أبناء الأنصار ! ! فبَكَوْا حتى أخْضلوا لِحاهم وقالوا : رَضِينا برسول الله حظًّا وقَسْماً . وانْصَرَفوا

مقامه بالجعرّانة

وأقامَ عليه السلام بالجِعِرّانة ثلاثَ عشرة ليلةً ، وخرج ليلةَ الأربعاء لثنْتى عشرة بقِيَتْ من ذى القَعْدة ، وأحْرَم ولَبَّى حتى استلم الرُّكْن . وقيل : لَمّا نظرَ إلى البَيْت قطع التَّلْبية ، وأناخَ راحلتَه على باب بنى شَيْبَة ، وطافَ فرَمَل فى الأشْواطِ[1] الثَّلاثة . ولمَّا أكْمَل طوافَه سَعى بين الصَّفا والمروَة على راحلتِه ، ثم حَلَق رأسَه عند المروة : حَلَقه أبو هند عبد بنى بَيَاضة ، وقيل : حَلَقه خِرَاشُ بن أُمَيــة . ولم يَسُقْ هَدْياً . ثم عادَ إلى الجِعِرّانةِ من ليْلتِه ، فكان كبائتٍ بها .

مسيره إلى المدينة

وخرج يوم الخميس على سَرِفٍ إلى مَرِّ الظَّهْران ، واْستعمل على مكة عَتّاب بن أَسِيد بن أبى العِيص بن أُمَيّة بن عبد شمْس ، وخلَّف مُعاذَ ابن جَبَل وأبا موسى الأشْعرىّ يُعلِّمان الناسَ القُرآنَ والتَّفَقُّه فى الدين . وقال لعتاب : أتدْرى على مَنِ اْستَعْمَلْتُك ؟ قال : اللهُ ورسولُه أعْلم ! قال : اْستعملتك على أهلِ الله ! بلِّغْ عنى أرْبعاً : لايَصْلُحُ شَرْطان فى بَيْعٍ ، ولا بيعٌ وسَلَفٌ ، ولا بيعُ ما لم يُضْمَن ، ولا تأكلْ رِبْحَ ما ليس عندك

خبر الفتح بالمدينة

وكان أوّلَ من قَدِم المدينةَ بفتْح حُنَينٍ رجُلان من بنى عبد الأشهل ، هما : الحارثُ بن أوْس ، ومُعاذ بن أوس بن عُبَيد بن عامر[2] . وقَدِم صلى الله عليه وسلم المدينةَ يومَ الجُمُعة لثلاثٍ بَقِين من ذى القَعْدة

(١) رمل : هرْوَل ، من الرَّمَل ، وهو فوق المشى ودون العدو

(٢) هكذا فى الأصل : « معاذ بن أوس ... » ولم أجده فى الصحابة ، ولعله « أوس ابن معاذ بن أوس » ، وهو بَدْرى استشهد يوم بئر معونة . راجع أسد الغابة والإصابة

بعثة عمرو بن العاص إلى ابنى الجلندى

وفى هٰذه السَّنة — وهى سنةُ ثمانٍ — بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العَاص إلى جَيْفَر وعَمْرو ابْنَىِ الجُلُنْدَى بعُمَان مُصَدِّقًا ، فأخذ الصَّدَقةَ من أغنيائهم وردَّها على فُقرائهم ، وأخَذ الجزيةَ من المجوس ، وهم كانوا أهلَ البَلد . وقيل : كان ذلك فى سنة سَبْع

وفيها تزوّج صلى الله عليه وسلم فاطمةَ بنت الضحَّاك بن سفيان الكِلاَبيَّة ثم فارَقها . وفيها ولدتْ ماريَةُ إبراهيمَ ابنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى الحِجَّة . وفيها أقام عَتَّاب بن أَسيدٍ بالنَّاس الحجَّ ، وحَجَّ الناس عَلَى ما كانت عادةُ العَرب تحُجُّ ، وحجَّ ناسٌ من المشركين على مُدَّتِهم

مولد إبراهيم عليه السلام

فريضة الصدقات وبعثة المصدّقين

ثم كانت فريضةُ الصدقات وبِعثَةُ المُصَدِّقين لهلالِ المحرَّم سنة تِسْع . فبعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بُرَيدة بن الحُصَيْب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعْد بن رِزاح بن عديّ بن سهم بن مازن بن الحارث بن سَلَامان ابن أسلَم بن أفْصَى بن حارثة بن عَمرو بن عامر الأسلَميّ — إلى أسلَمَ وغفارٍ يُصَدِّقهُم . [ويقال : بَلْ بعث كعبَ بن مالك الأنصاريّ] . وبعَثَ عبَّاد بن بِشْر الأشهليّ إلى سُلَيْم ومُزَيْنةَ . وبعث عَمرو بن العاص إلى فَزارة . وبعث الضحَّاك بن سفيان بن عَوْف بن كعب بن أبى بَكْر بن كِلاب الكِلابيّ إلى بنى كِلاَب . وبعث بُسْرَ[1] بن سفيان الكَعْبيّ إلى بنى كعب . وبعث ابن اللُّتْبِيَّة الأَزْدِيّ[2] إلى بنى ذُبْيَان . وبعث رجُلًا من بنى سعد هُذَيْم على صدَقَاتِهم

خبر بسر على صدقات بنى كعب

فخرج بُسْر[1] بن سُفْيان على صَدَقات بنى كَعب ، [ويقال : إنما خرج

(١) فى الأصل : « بشر »

(٢) نسبه صاحب أسد الغابة وصاحب الإصابة فقال : « عبد الله بن اللتبيَّة بن ثعلبة الأزدى » . واللتبية : نسبة إلى لتْب وهو حىّ من العرب

ساعِيًا عليهم نُعَيْمُ بن عبد الله النَّحَّام العَدَوِىُّ] ، فجاء وقد حَلَّ بنواحيهم من بنى تميم : بنو عمرو بن جُنْدُب بن العَنبر بن عمرو بن تميم ، فهُم يشربون على غَدِيرٍ لهم بذاتِ الأَشْظاظَ ، [ويقال على عُسفان] ، ثم أَمر بِجَمْع مَواشِى خُزاعة ليَأْخُذَ منها الصَّدَقة ، فحَشَرَتْ عليه خُزاعة الصَّدَقةَ من كلِّ نَاحية . فاستَكْثَرت ذلك بنو تميم ، ومنَعوا المُصَدِّق وشهَروا سيوفَهم ، فَفَرَّ إلى المدينة ، وأخبرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بذلك

خبر خزاعة

وأمَّا خُزاعةُ فإنَّها أَخْرجت التَّميميّين من مَحالِّها إلى بِلادهم . ونَدَب النبىُّ صلى الله عليه وسلم الناسَ لِحَربهم ، فانتَدَب عُيَيْنَةُ بن حِصن الفَزارِىُّ ، فبعثَه فى خمسين فارسًا لَيس فيهم مهاجِرٌ ولا أَنْصارِىٌّ . فسار إلى العَرْجِ وخَرج فى آثارهم ، حتى وَجدهم قد عدَلوا من السُّقْيا يؤُمُّون أرض بنى سُلَيْم . فلمّا رأَوْا الجَمْع وَلَّوْا ، وأخذ منهم أحدَ عشر رجُلًا وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صَبِيًّا ، فجَلَبَهم إلى المدينةِ . فأمرَ صلى الله عليه وسلم بهِم فحُبِسوا فى دارِ رَمْلَةَ بنتِ الحارثِ

وفد تميم

وقَدِم وَفدُ بنى تميمٍ ، وهُم عشرة من رُؤَسائِهم : عُطارِدُ بن حاجب بن زُرارَةَ فى سبعين ، والزِّبْرِقانُ بن بدْر بن امرِئ القيس بن خلف[1] بن بهْدَلة ابن عَوْف بن كَعب بن سعد بن زَيد مَناة بن تميم البَهدَلىُّ التَّميمىُّ السَّعدىُّ أبو عَيّاشٍ[2] [وقيل : أبو شَذْرة] ، وقَيْسُ بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنْقَر المِنْقَرِىُّ ، وقيس بن الحارث ، ونُعَيْم بن سعد ، وعمرو بن الأَهتَم بن سِنان بن خالد بن مِنْقَر ، والأَقرَعُ بن حابس بن عِقَال بن مُحمد بن سُفيان بن مُجاشِع بن

(١) فى الأصل : « خالد »
(٢) فى الأصل : « أبو هياش »

دارِم ، [والحُتات بن يزيد المجاشِعِىّ](١) ، ورِياح بن الحارث بن مُجاشِع ، — [وكان رئيسَ الوفْد : الأعورُ بن بَشامَة العنبَرِىّ](٢) — . ودخلوا المسجدَ قَبلَ الظُّهر ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بيتِ عائشةَ رضى الله عنها . وقد أَذَّن بلالٌ والنَّاسُ يَنْتَظِرون الصلاةَ ، فنادَوا : يا محمد ! أُخرُج إلينا ! وشَهَروا أصواتَهم(٣) ، فخرج عليه السلام . وقيل : إنما ناداه رجُلٌ واحدٌ : يا محمد ! إنَّ مَدْحى زَيْنٌ ، وإنَّ شَتْمى شَيْن ! وأقامَ بلالٌ الصلاةَ ، فتعلَّقوا به يُكلِّمونه ، فوقَف معهم مَلِيًّا ، ثم مضى فصلَّى بالنَّاس الظُّهر . فلمَّا انصَرف إلى بيتِه رَكَع ركعتين(٤) ، ثم خرج فجلَس

خطبة عطارد بن حاجب

وقدَّموا عُطاردَ بن حاجب خَطيبَهُم فقال : الحمدُ لله الّذى له الفَضْلُ علينا ، والذى جعَلنا مُلوكا ، وأعطانا الأموالَ نفعَلُ فيها المَعروف ، وجعَلنا أعزَّ أهلِ المَشْرِق وأكثَرَهم مالًا وأكثَرَهم عدَداً . فمَن مِثْلُنا فى النَّاس ؟ ألَسْنا برؤُوس النَّاسِ وذَوِى(٥) فَضْلهم ؟ فمَن يُفاخِرْ فَلْيَعْدُد مِثْل ما عدَدْنا . ولو شئنا لأكثَرْنا من الكلام ، ولكنَّا نَستَحْيِى من الإكْثارِ فيما أعطانا الله . أقول قَولى هذا لأَنْ نُؤْتَى بقَوْلٍ هو أفضَلُ من قَولنا

جواب ثابت بن قيس

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس : قُم فأَجِبْ خطيبَهُم . فقام — وكان من أجهَرِ النَّاس صوتاً — وما دَرى مِن ذلك بشىء ، ولا هَيَّأ قَبلَ ذلك ما يَقول ، فقال :

---

(١) فى الأصل مكان مابين القوسين مانصه : « وحباب » . راجع ابن هشام ج ٢ ص ٩٣٣ — ٩٣٤ ، وابن كثير ج ٥ ص ٤١ ، والطبرى ج ٣ ص ١٥٠ و ج ٦ ص ٦٤ وص ١٣٥

(٢) هذه زيادة من عندنا ، وسيأتى ذكر ذلك بعد فى ص (٤٣٩) ، وهو عاشر الرؤساء كما ذكر قبل

(٣) شهر صوته : رفعه

(٤) فى الأصل : « فركع »

(٥) فى الأصل : « وذي »

الحمدُ لله الّذى السّمٰواتُ والأرضُ خَلْقُه ، قضى فيهنَّ(١) أمرَه ، ووَسِعَ كلَّ شىء عِلْمُه ، فلَم يَكُن شىءٌ إلّا مِن فَضلِه . ثم كان مَا قَدَّر أن جعَلنا مُلوكا ، أصطفى لنَا من خلْقِه رسولا ، أكرمُهم نَسبًا ، وأحسنهم زيًّا ، وأصدَقهم حديثاً . أنزَل عليه كتابه ، وأئتمَنَهُ على خلْقه ، وكان خيَرَتهُ من عباده ، فدعا إلى الإيمان فآمَن المهاجرون من قومه وذوى رَحِمِه(٢) ؛ أصبحُ النَّاسِ وَجهاً ، وأفضل الناسِ فَعالاً . ثم كنَّا أوّل النَّاسِ إجابَةً حين(٣) دعا رسول الله ، فنحنُ أنصارُ الله ورسولِه ، نُقاتِلُ النّاسَ حتى يقولوا لا إله إلاَّ الله . فمَن آمن بالله ورسولِه منَع مِنّا مالَه ودمَه ، ومَن كفرَ بالله ورسوله جاهدْناه فى ذلك ، وكان قتْلُه علينا يَسيراً . أقول قولى هذا وأَستَغْفِر الله [لى ولكم و](٤) للمؤمنين والمؤمنات . ثم جلَس

شعر الزبرقان ابن بدر

وقالوا : يا رسولَ الله إيذَنْ لشاعرِنا ! فأذِنَ له ، فأقامُوا الزِّبْرِقان بن بدرٍ فقال :

نحنُ الكِرامُ فلا حَىٌّ يُعادِلُنا(٥) ... فِينا المُلوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ
وكم قَسَرْنا(٦) من الأحْياءِ كلِّهمُ ... عِنْدَ النِّهابِ وفَضْلُ الخيْرِ يُتَّبَعُ
ونحنُ نُطْعِمُهم فى القَحْطِ مَا أكلُوا ... من السَّديف إذَا لم يُؤْنَسِ القَزَعُ
[بما ترَى النَّاسَ تَأْتِينا سَرَاتُهُمُ ... مِنْ كلِّ أرضٍ هُوِيًّا ثم نَصْطنعُ](٧)

(١) فى الأصل : « فيهما »
(٢) فى الأصل : « وذى رحمه »
(٣) فى الأصل : « جنين »
(٤) زيادة من ابن كثير ج ٥ ص ٤٢
(٥) فى الأصل : « نحن الملوك فلاحى يقاربنا » ، والذى أثبتناهُ هو أشهر الروايات وأجودها
(٦) فى الأصل : « قرنا »
(٧) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٩٣٥ — ٩٣٦ ، ومن ابن كثير ج ٥ ص ٤٢ ، ومن الطبرى ج ٣ ص ١٥١

ونَنْحرُ الكُومَ عَبْطاً(١) فى أَرُومَتِنَا ... لِلنَّازِلين إذا ما أُنزِلُوا شَبِعُوا(٢)
[فَلَا تَرَانَا إلى حَيٍّ نُفَاخِرُهُمْ ... إلّا استقادوا ، فكادَ الرأسُ يُقْتَطَعُ
فمَنْ يُفَاخِرُنَا فى ذَاكَ نَعْرِفُه ... فيرجعُ القوم والأخبارُ تُسْتَمَعُ](٣)
إنَّا أبيْنا ولا يَأْبى لنا أحدٌ(٤) ... إنَّا كذٰلك عِنْدَ الفَخْرِ(٥) نرْتفعُ
تِلْكَ المَكَارِمُ حُزْنَاها(٦) مُقَارَعَةً ... إذا الكِرَام عَلَى أَمْثالها اقترَعُوا

شعر حسان

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَا حَسَّانُ ! أَجِبْهُمْ . فقَامَ فقال :

إنَّ الذَّوائبَ من فِهْرٍ وإخْوَتِهِمْ ... قد بَيَّنُوا(٧) سُنَّةً للنَّاسِ تُتَّبَعُ
يرْضَى بها كلُّ من كانَتْ سَرِيرَتُه ... تقْوَى الإلٰهِ وبالأمْرِ الَّذِى شَرَعُوا
قَوْمٌ إذَا حاربُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أَوْ حَاوَلُوا النفْعَ فِى أَشْيَاعِهِم نفَعُوا
سَجِيَّةٌ تلك مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ ... إنَّ الخلائِقَ فاعْلَمْ شَرُّها البِدَعُ
لَا يرقَعُ الناسُ مَا أَوْهَتْ أَكُفُّهُمُ ... عند الدِّفاع ولا يُوهُونَ ما رَقَعُوا
وَلَا يَضِنُّونَ عن جارٍ بفَضْلهمُ ... ولَا ينَالهم مِن مَطْمَعٍ طَبَعُ(٨)
إنْ كان فِى النَّاسِ سَبَّاقُون بعْدَهُم ... فكلُّ سَبْقٍ لأدنى سَبْقِهم تبَعُ
أَكْرِمْ بقَوْمٍ رسولُ الله شيعَتُهُمْ ... إذَا تفَرَّقَتِ الأهْواءُ والشِّيَعُ
أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فِى الوحْيِ عِفَّتُهُمْ ... لا يَطْمَعونَ ولَا يُرْدِيهِمُ طَمَعُ

(١) فى الأصل : « غبطا »
(٢) فى الأصل : « شعبوا »
(٣) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٩٣٥ — ٩٣٦ ، ومن ابن كثير ج ٥ ص ٤٢ ومن الطبرى ج ٣ ص ١٥١
(٤) فى الأصل : « إذا أتتنا فلا يانانا أحد »
(٥) فى الأصل : « الفجر »
(٦) فى الأصل : « خرناها »
(٧) فى الأصل : « قد شرعوا » ، والذى أثبتناه هو ما اجتمعت عليه الرواية ، وانظر ديوان حسان أيضاً ص ٢٤٨
(٨) فى الأصل : « طبعوا »

كأنَّهُمْ في الوَغى والموتُ مكْتنعٌ أُسْـد ببِيشَةَ في أرْسَاغِها فَدَعُ(١)
لا فخرَ إنْ همْ أصابُوا من عدوِّهمُ(٢) وإنْ أُصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ(٣)
إذا نَصَبْنا(٤) لحيٍّ لم نَدبَّ لهمْ كما يَدبُّ إلى الوَحْشيَّةِ الذُّرُعُ
نَسْمو إلى الحرْبِ نَالتْنا مَخالِبُها إذا الزَّعانِفُ مِنْ أظْفَارِها خَشَعُوا(٥)
خُذْ مِنْهُمُ ما أتَوْا عفْواً إذا غَضِبُوا ولا يكُنْ همُّكَ الأمرَ الذى مَنَعُوا(٦)
فإنَّ في حَرْبِهم فاتْرُكْ عَدَاوتَهم سمّاً غَريضاً عَليهِ الصابُ والسَّلَعُ
أهدَى لهم مَدحَهُ قَلْبٌ يُؤازِرهُ فيما أحَبَّ لِسَانٌ حائكٌ صَنَعُ
فإنَّهم أفضَلُ(٧) الأحياءِ كلهمُ إنْ جَدَّ بالناسِ جِدُّ القَوْلِ أو شَمَعُوا(٨)

فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بمقام ثابتٍ وحسّان ، وخَلا الوَفْدُ فقالوا : إنّ هـذا الرّجل مُؤيَّد مَصنُوعٌ له — [وفى رواية : إنَّ هذا الرَّجل لَمُؤتًى له] — ، والله لَخَطيبُه أخْطَبُ من خَطيبِنا ، ولشاعره أشعَر من شاعرنا ، ولهو أحْلَمُ منّا ! فأسلموا ، وكان الأقْرَع [بن حابس](٩) أسلَمَ قبل ذلك

ما نزل من القرآن فى وفد تميم

وفيهم نزَل قول الله تعـالى : « يَا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا ترْفَعوا أصواتكم فوقَ صَوتِ النبيِّ ولا تجهَروا لَهُ بالقولِ كجَهْرِ بعضِكم لِبَعضٍ أنْ تَحْبَطَ أعمالُكم وأنتم لا تَشْعرون «٢» إنَّ الذينَ يَغُضّونَ أصواتَهم عندَ رسولِ الله أولئكَ الذينَ

(١) فى الأصل : « فرع »
(٢) فى الأصل : « لا فرح إن أصابوا فى عدوهم »
(٣) فى الأصل : « ولا خرع »
(٤) فى الأصل : « وإن أصبنا »
(٥) فى الأصل : « من أطرافها خشع »
(٦) فى الأصل : « الذى منع »
(٧) فى الأصل : « فإن أفضل »
(٨) فى الأصل : « إذا جدّ بالناس جدّ القول أو سمعوا »
(٩) زيادة للإيضاح

أمتحن الله قلوبَهم للتقوى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ «٣» إنَّ الذين ينادونكَ من وراءِ الحُجُراتِ أكثرُهم لا يعقِلونَ «٤» ولو أنَّهم صبَرُوا حتَّى تخرُجَ إليهم لكانَ خيْرًا لهم واللهُ غفورٌ رحيمٌ » (الحجرات : ٢ — ٥)[١]

ردّ أسرى تميم

فردَّ عليهم صلى الله عليه وسلم الأسرَى والسَّبْيَ . ويقال : سألوه أنْ يُحْسن إليهم فى سبْيِهم ، فقال[٢] لسَبْرَةَ بن عَمْرو : هذَا يحكم بيْننا وبينكم ! فقالوا : عمُّه فينا وهو أفْضَلُ منْه ! فأبى النبيُّ صلى الله عليه وسلم . فحكم سَبْرَةُ أنْ يمُنَّ على الشَّطْر ويَفْدُوا الشَّطْر ، ففعل

رئيس وفد تميم

وكان رئيسَهم الأعورُ بن بَشَامة العَنْبَرِيُّ[٣] ، وكانت أُخْته صفِيَّةُ سُبِيَتْ ، فعَرَضَ النبيُّ عليها نفْسه فاخْتارت زَوجها ، فردَّها . وقام عمرو بن الأهتم يومئذٍ يهجو قَيسَ بن عاصم . وقد أجازَهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم كما كان يجيز الوفُود إذا قَدِموا عليه ، وقال : هل بَقِيَ منْكم مَنْ لم نُجزه ؟ فقالوا : غُلامٌ فى الرَّحل . فقال : أرسلوه نُجزْه ! فقال قيس بن عاصم : إنَّه غُلَام لا شَرَفَ له ! فقال : وإنْ كان ، فإنَّه وَافِدٌ وله حقٌّ ! ! فقال عمرو[٤] شعراً يريد به قيساً . وكانت جوائزُهم على يد بلالٍ رضى الله عنه : لكلِّ واحدٍ ثِنْتَى عشرة أُوقيّة ونصف ، ولغُلامٍ هو أصغرهم خمس أَوَاقٍ

بعثة الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق

ثم كانت بِعْثةُ الوليد بن عقْبة [بن أبى مُعَيْط][٥] إلى بنى المُصطلقِ ليأْخُذَ صدَقاتهم ، فخرجوا يلقَونه بالجزُرِ والغنَم فرَحًا بهِ ، فولَّى راجعاً إلى المَدينة ، وأخبر

(١) فى الأصل : « ... فوق صوت النبى ، الآية »
(٢) قال بيده : أى أشار بيده وهو يتكلم أو يهم بكلام
(٣) انظر ص (٤٣٥)
(٤) فى الأصل : « عمر »
(٥) زيادة للبيان

أنهم يلقَونه بالسِّلاح ليحولوا بينه و بين الصدَقة . فبلغَهم ذلك عنه ، فقدم وَفدُهم وقالوا : يا رسولَ الله ! سَلْ هَل نَاطَقنَا أو كلمنَا ؟ فنزلت فيه : « يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » (الحجرات : ٦) . فقرأها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : من تحبونَ أن أبعث إليكم ؟ قالوا : عبَّاد بن بِشر . فخرج معهم يقرئهم القرآن و يعلِّمهم شرَائع الإسلَام ، وقد قال له : خُذ صدقَات أموالهم ، وتوقَّ كرائم أموالهم . فأقام عندهم عشراً ثم انصرف راضياً

سرية قطبة بن عامر إلى خثعم

وكانت سَرِيَّةُ قُطبة بن عامر إلى خثْعم فى صفر سنة تسع ، فخرج فى عشرين رجُلًا معهم عشرة أبعرة يعتَقِبونها . [فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجَم عليهم ، فجعل يصيحُ بالحاضر و يحذِّرُهم ، فضربوا عُنقَه . ثم أمْهلوا حتى نام الحاضرُ فشنُّوا عليهم الغارةَ ، فاقتتلوا قِتالا شديداً حتى كثُر الجرحى فى الفريقين جميعاً : وقتل قُطْبةُ ابن عامر من قَتل . وساقوا النَّعَم والشاء والنِّساء إلى المدينة : وجاء سيْلٌ أَتِيٌّ[١] فحال بينَهم و بينه ، فما يجدون إليه سبيلا . وكانت سُهمَانُهم أربعةَ أبعرة أربعةَ أبعرة ، والبعيرُ يُعْدل بعشر من الغنم بعد أن أخرج الخُمُس][٢]

سرية الضحاك بن سفيان إلى بنى كلاب

وكانت سَرِيَّةُ الضحَّاك بن سفيان[٣] بن عَوْف بن كعب بن أبى بكر بن كِلاَب الكِلابىِّ إلى بنى كلاب ، فدعاهم إلى الإسلام فأبَوْا ، فقاتلهم بمَنْ معهُ وهزَمَهم[٤] : وذلك فى ربيع الأوَّل

(١) السيل الأتى : هو الذى لا يُدرى من أين أتى ؟

(٢) الزيادة التى بين الأقواس من ابن سعد ج ٢ ص ١١٧ ، فإنى رأيتُ خبر السرية مبتوراً ليس فيه شىء ، فآثرتُ إتمامه

(٣) فى الأصل : « إلى سفيان »

(٤) فى الأصل : « وهربهم »

كتاب رسول الله إلى بنى حارثة ابن عمرو

وكَتب صلى الله عليه وسلم إلى [بنى] [١] حارثة بن عمرو بن قُرَيط يَدعوهم إلى الإسلام مع عبد الله بن عَوْسَجة من عُرَينَة [٢] ، مستهلَّ ربيع الأوّل . فأخذوا الصَّحِيفَةَ [٣] نفسلوها ورَقَعوا بها دَلْوَهم ، وأَبَوْا أن يُجيبوا . فقال صلى الله عليه وسلّم — لما بلغه ذلك — : مالَهُم ؟ أَذْهَبَ الله عُقولَهم ! فصارُوا أهلَ رِعْدَة وعَجَلَة وكلامٍ مُخْتَلِطٍ ، وأهلَ سفَه .

وفد بلى

وقَدِم وَفْدُ بَلِيّ فى ربيع الأوّل هـذا ، فنزلوا على رُوَيفِع [بن ثابت] [٤] البَلَوِيّ

خبر رعية السحيمى

قال أبو بكر بن أبى شَيْبَة : حدثنا عُبَيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاق ، عن الشَّعْبيّ : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كَتَبَ إلى رِعْيَةَ السُّحَيْميّ بكتاب ، فأَخَذَ الكتابَ فرَقَع به دَلْوَهُ . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً فأخذُوا أهله ومَالَه ، وأَفْلَتَ رِعْيَةُ — على فرَسٍ له — عُرْيانًا ليس عليه شىْء . فأَتى ابنَتَه — وكانت مُتَزَوِّجة فى بَنى هِلَال ، وكانوا أَسْلَموا فأَسْلَمتْ معهم ، وكانوا دَعوْه إلى الإسلام [فأَبَى] [٥] — وكان مَجْلِسُ القوم بفِناء بيتها ، فأَتَى البيتَ من وراء ظَهْرِه . فلمَّا رأَتْهُ ابنته عُرْيانًا أَلقت عليه ثَوْبًا وقالت : مَالَكَ ؟ قال : كلُّ الشَّرِّ ! ماتُرِكَ لى أَهْلٌ ولا مَالٌ ! أَيْنَ بَعْلُكِ ؟ قالت : فى الإبِل ! فأَتاه فأَخبره ، فقال : خُذْ راحِلَتى برَحْلِها ، ونُزَوِّدُك من اللَّبن . قال : لا حاجَة لى فيه ، ولكن أَعْطِنى قَعُودَ الرَّاعى

(١) زيادة من الإصابة

(٢) فى الأصل : « بن عرينة »

(٣) فى الأصل : « فأخذ صحيفة »

(٤) زيادة للإيضاح

(٥) فى الأصل بعد قوله : « دعوه إلى الإسلام » ما نصه : « فأتى ابنته » ، ولا معنى لتكرارها ، وقد رأيت أن تكون « فأبى » ، فصحف الناسخ الكلمة وزاد بعدها « ابنته »

وإدَاوَةٌ من ماء[(١)] ، فإنى أُبَادِر محمّدًا لا يَقْسِمْ أهلِي ومالى ! فانطلق وعليه ثوبٌ : إذا غطّى به رأسَه خرَجَت اُستُه ، وإذا غطّى اُستَهُ خرَج رَأْسُه . فانطلق حتى دخَل المدينة لَيلًا ، فكان بِحِذَاء[(٢)] رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فلمّا صَلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الفَجرَ ، قال له : يا رسولَ الله ! اُبسُطْ يدَكَ لأُبايِعَكَ ! فبَسَط رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدَه ، فلمّا ذهَب رِعْيَةُ ليمسَح عليها قبَضَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له رِعيَةُ : يا رسولَ الله ! اُبسُطْ يدَكَ لِأُبايعَكَ ! فبسَطَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدَه ، فلما ذهبَ رِعيَةُ ليَمْسحَ عليها قبَضها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يارسول الله ! اُبسُطْ يدَكَ قال : ومن أنتَ ؟ قال : رِعْيَةُ السُّحَيْمِيُّ ! قال فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعَضُده فرفعه[(٣)] ثم قال : أيُّها النّاس ! هـذا رِعيَةُ السُّحَيْميّ الذى كَتبْتُ إليه فأخذ كتابى فرَقَع بها دَلْوَه ! ! فأسلم ، ثم قال : يا رسولَ الله ! أهلى ومالِي ! ! فقال : أمَّا مالُكَ فقد قُسِمَ بين المسلمين ، وأمّا أهلك فانظُر مَن قدَرْتَ عليه منهم ! قال [رعيةُ][(٤)] : فخرجتُ فإذا ابنٌ لى قد عرَف الرّاحِلةَ ، وإذا هو قائِمٌ عندها ، فأتيْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ : هـذا اُبنِي ! ! فأرسلَ معى بلالاً فقال : انطَلِقْ معهُ فسَلْهُ : أبوكَ هو ؟ فإنْ قال : نعم ! فادفعْه إليه . قال [رعيةُ][(٤)] : فأتاه بلالٌ فقال : أبوكَ هُو ؟ قال : نعم ! فدفعه إليه . قال : فأتى بلالٌ رضى الله عنه النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما رأيتُ

---

(١) القعود فى الإبل : ما يتخذه الراعى للركوب وحمل الزاد والمتاع وسائر حاجته . والإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء

(٢) فى الأصل : « بجدار »

(٣) فى الأصل : « فرفعها » ، وهذه حق المعنى

(٤) زيادة يوجبها السياق والإيضاح

واحداً منهما مُستَعْبِراً إلى صاحِبِه ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ذاك جَفاء الأعراب !

وقال أبو عمر بن عبد البرّ : رِعيَةُ السُّحَيْمِيّ ، [ويقال : الرَّبَعِيّ ، ويقال : العُرَنِيّ ، وهو الصواب . يُروَى أنّه من سُحَيْمة عُرَيْنَة] . كتب [إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى قطْعَة أدَم ، فرقع دَلْوَه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له ابنته] [(١)] : ما أُراكَ إلَّا ستُصيبُكَ قارِعةٌ ! عَمَدْتَ إلى كتاب سيِّد العرب فرَقَعْت به[(٢)] دَلْوَك ؟ [وكانت ابنتُـه قد تزَوّجتْ فى بنى هلال وأسلمتْ] [(٣)] . وبَعث إليه رسولُ الله [صلى الله عليه وسلم خيْلا] [(٤)] ، فأخذوا أهلَه[(٥)] ومالَه ووَلَدَه [ونَجا هُو عُرياناً] [(٤)] ، فأسلم . وقدِم على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال : أُغيرَ على أهلى ومالِى ووَلَدى ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمَّا المـالُ فقد اُقتُسِم ، ولو أدركته قبلَ أنْ يُقسَم كنتَ أحَقّ به ! وأمّا الوَلدُ ، فاُذهَبْ معهُ يا بلال ، فإن عَرَفه وَلدُه[(٦)] فاُدفَعْهُ إليه . فذهبَ معه فأراه إيّاهُ ، فقال لاُبنِه : تَعرِفُه ؟ قال : نعم ! فدفَعه إليه

سرية علقمة بن مجزز إلى الشعيبة

ثم كانت سَرِيَّة عَلْقمة بن مُجَزِّزٍ المُدْلِجِيّ فى ربيع الآخر — فى ثلاثمـائة رجُل — إلى ساحل بناحية مكة وقد تَرَايَا أَهلُ[(٧)] الشُّعَيْبَةِ[(٨)] ناساً من الحَبَشَةِ

(١) هذه الزيادة لا بُدّ منها ، وقد نقلتها من أسد الغابة ترجمة « رعية » ، ج ٢ ص ١٧٦ ، وهو نقلها من ابن عبد البر ، وانظر ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٣١

(٢) فى الأصل : « رقعت به »

(٣) زيادة من أسد الغابة

(٤) زيادات من أسد الغابة ، وبها يتم الـكلام ويستقيم

(٥) فى الأصل : « فأخذ هو وأهله

(٦) فى الأصل : « فان عرف ولده » ، وهو باطل المعنى

(٧) فى الأصل : « يرايا » ، ولم ينقطها إلا أولها ، ونص ابن سعد « ترايأهم أهلُ جدة » . وأصل الحرف « تراءى » ، أى رأى ، أو رأى بعضهم بعضاً مفاعلة ، وقلبت الهمزة ياء

(٨) هى مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز ، وهو كان مرفأ مكة قبـل جدة . ومنه سافر المهاجرون الأولون إلى الحبشة ، انظر ابن سعد ج ١ ص ١٣٦

فى مراكب . [فانتهى عَلْقمةُ وأصحابُه إلى جزيرة فى البَحر ، وقد خاضَ إليهمُ البَحر](١) ، ففَرُّوا منه ، فرجع . وأستأذنه بعضُ جَيْشِه فى الانصراف فأذِنَ لهم . وأمّرَ عليهم عبدَ الله بن حُذافة السّهمِىّ — وكانت فيه دُعابةٌ — فأمرَ أصحابه أنْ يَتواثبوا فى نارٍ(٢) لهم ، فلمّا أرادوا ذلك قال : إنما كنتُ أضْحَكُ مَعكم ! فذُكِر ذلك لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : من أمرَكُم بمَعْصيةٍ فلَا تُطيعوهُ .

سرية على بن أبى طالب إلى الفلس (صنم طيء)

ثم كانتْ سريةُ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى الفُلْسِ — صَنَمِ طَيّئٍ — ليهدمَه ، فى ربيع الآخر ، فى خمسين ومائة رجُل من وُجوهِ الأنْصار ، على مائة بعير وخَمْسين فرساً ، حتى أغاروا على أحْياء من العَرب ، وشَنُّوا الغَارَةَ مَع الفجر على مَحلة آل حاتم ، فسبَوْا حتى مَلأُوا أيْدِيَهُمْ من السّبى والنَّعم والشّاء . وهَدَم علىٌّ رضى الله عنه الفُلْسَ صنمَ طَيّئٍ وخرّبه ، ثم عاد . وكانت رايتُه سوداء ، ولواؤه أبْيض ، ويحمِل الرّايةَ سهلُ بن حُنيْف ، واللّواءَ جَبّار بن صخْر السُّلَمِىّ ، ودليله حُرَيث من بنى أسَد . وكان فيمن سَبى سَفّانةُ بنت حاتم الجوّاد بن عَبْد الله بن سعْد بن الحشْرَج بن امرئ القيس بن عَدِىّ بن أخزم بن أبى أخْزَم بن رَبيعة بن ثُعَل بن جَرْوَل بن عمرو بن الغوْث بن طَيّئٍ ؛ ومن(٣) أسرَ أسْلَم . ووُجِد فى بيْتِ الفُلْس ثلاثةُ أسْياف : رَسُوبٌ والمِخْذَمُ(٤) واليمانِىُّ ، وثلاثة أدراع . وأسْتعمَل على السّبْىِ أبَا قَتادة ، وعلى الماشية والرِّثّةِ(٥) عبدَ الله بن عَتِيك . وقسم السبى

(١) زيادة من عندنا يتم بها المعنى ويتوضح ، انظر ابن سعد ج ٢ ص ١١٨

(٢) فى الأصل : « على نار » ، وهذا نص ابن سعد ج ٢ ص ١١٨ وغيره ، وهو حق السياق كما ترى

(٣) فى الأصل : « وممن »

(٤) فى الأصل : « والمخزم »

(٥) فى الأصل : « والورثة » . والرثة : المتاع

والغنائم إلا آلَ حاتِمٍ فإنه قدِم بهم المَدينة ، وبالخمُس ممّا غنِموا ، وبالأسيَاف الثلاثة صفيًّا لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

خبر سفانة بنت حاتم الطائي

فنزَلتْ [سفّانَةُ بنت حاتم] (١) أختُ عَدِيّ بدار رَمْلة بنت الحارث . وكان عديٌّ بن حاتم قد فرّ — لمّا سمع بحرَكةِ عليّ رضى الله عنـه — إلى الشأم ، فكانت أخت عديّ إذا مرّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم تقول : يا رسولَ الله ! صلى الله عليك وسلم ! هَلَكَ الوَالدُ وغابَ الوَافد ، فامْنُنْ علَيْنا مَنّ الله علَيك ! فيسألها : مَنْ وَافدُك ؟ فتقول : عَدِيُّ بن حاتم ! فيقول : الفارُّ من الله ورسوله ؟ ! حتى يئِست . فلما كان اليوْمُ الرّابع مرّ (٢) ، فأشار إليها عليٌّ رضى الله عنه : قُومِي فكلميه ! فكلّمته فخلّى عنها ووَصلها . فأتَتْ أخاها عديَّ بن حاتم — وقد لحق بالشأم — فحسّنَتْ له أن يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقدم المدينةَ وأسلم ، وله فى إسلامه قصّة .

موت النجاشى

وفى رجب سنة تسعٍ نَعى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النَّجاشيَّ للمُسلمين ، وصَلّى عليه بمن معَه فى اليَوْم الذى مات فيـه ، عَلَى بعُدِ ما بين الحجازِ وأرض الحبشة ، فـكان ذلك عَلَماً (٣) من أعلام النبوةِ كبيراً (٤) .

غزوة تبوك

ثم كانت غَزْوةُ تبوُك — وتُسمّى غزوةَ العُسْرَة (٥) — ، فى غرّة رجب وسببُها أنّ أخبار الشأم كانت بالمدينة عند المسلمين ، لِـكَثْرة من يَقْدَمُ من الأنْباط بالدَّرْمك (٦) والزَّيْتِ . فذَكروا أنّ الرُّومَ قد جَمعت جُموعاً كثيرة (٧)

---

(١) زيادة
(٢) فى الأصل : « مر يتكلم » ، ولم أجد الزيادة فى غير هذا المكان ، ولا معنى لها
(٣) فى الأصل : « علم »
(٤) فى الأصل : « كبير »
(٥) فى الأصل : « العسرة »
(٦) الدرمك : هو الدقيق الحُوّارَى ، أى الذى حُور وبيض ، وهو دقيق أبيض ، لبابُ الدقيق وأجوده وأخلصه
(٧) فى الأصل : « كبيرة »

بالشَّأم ، وأن هِرَقْل قد رَزَق أصحابه لِسَنَة ، وأجْلَبَتْ معه لَخْمٌ وجُذَام (١) وغَسَّان وعامِلَة . وزَحَفوا ، وقَدَّموا مُقَدِّماتهم إلى البَلْقاء وعَسْكَروا بها ، وتخلَّف هِرَقْل بحِمْص . ولم يكُنْ ذلك ، إنَّما ذلك شيء قِيل لهم فقالوه

الخبر عن الغزو والبعثة إلى القبائل

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يَغْزو غَزْوَةً إلّا وَرَّى بغيرِها — لئلَّا تَذهَبَ الأخبار بأنَّه يريد كذا وكذا — حتى كانت غزوةُ تبُوك ، فغزاها فى حَرٍّ شديد ، واستَقْبَل سفَراً بعيداً وعَدَداً كثيراً ، فَجَلَّى (٢) للنَّاس أمرَهُمْ لِيَتَأَهَّبوا لذلك أُهبَتَه ، وأَخْبرهم بالوَجه الذى يريد . و بعَث الى القبائل و إلى مَكَّة يَسْتَنْفِرهم إلى عَدُوّهم . فبَعَث بُرَيدة بن الحُصَيْب وأمرَه أن يَبْلُغَ الفُرْع ، وبَعَث أبا رُهْم الغِفَارِىّ إلى قومه ، وأبا واقِدٍ اللَّيْثى إلى قومه ، وأبا جَعْدة الضَّمْرِىّ إلى قومه بالسَّاحل ، ورَافِعَ بن مَكِيث بن جُنْدُب بن جُنَادَةَ إلى جُهَيْنَة ، ونُعَيمَ بن مَسعود إلى أشْجع ، وبُدَيْلَ بن وَرقاء وعمرو بن سالم و بُسْرَ ابن سفيان إلى بنى كعب بن عَمرو ، والعبَّاسَ بن مِرداس إلى بنى سليم . وحَضَّ

صدقات المسلمين للغزو

على الجهادِ ورَغَّب فيه ، وأمر بالصَّدَقة فحُمِلَتْ صدقاتٌ كثيرةٌ . وأوَّل من حَمل صَدَقتَه أبو بكرٍ الصدِّيق رضى الله عنه : جاء بماله كلِّه أربعَةِ آلاف درهم ، فقال له رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : هَل أبقَيْتَ شيئاً ؟ قال : اللهَ ورسولَه ! وجاء عمر رضى الله عنه بنِصفِ ماله ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هل أبقَيْتَ شيئاً ؟ قال : نعم ! نصفُ مالى ما جئْتُ به . و بلَغ عمرَ ما جاء به أبو بكر رضى الله عنه فقال : مَا استَبَقْنا إلى خَيْرٍ إلّا سبقنى إليه . وحمل العَبَّاس ابن عبد المطلب رضى الله عنه مالاً يُقالُ إنَّه تسعون ألفاً . وحمل طَلْحةُ بن عُبَيْد الله مالاً . وحمل عبدُ الرَّحمن بن عَوف مائتى أُوقيَّة . وحمل سعد بن عُبادة

(١) فى الأصل : « خدام »

(٢) فى الأصل : « وحكى » ، وجلى لهم الأمر : أظهر وأبانه

ومحمد بن مسلمة[١] مالاً . وتصدّق عاصم بن عَدِيّ بتسعين وَسْقاً[٢] تمراً . وجهّز عُثمان بن عفّان رضى الله عنه ثُلُثَ ذلك الجيش ، فكان من أكثرهم نفقةً ، حتى كَفى ثُلُثَ ذلك الجَيْشِ مَؤُونتهم ، حتى إنْ كان ليُقَال : ما بَقِيَتْ له حاجة ! ! فجاء بألف دينار ففرّغها فى حجرِ النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعل يُقلّبها ويقول صلى الله عليه وسلم : ما ضَرَّ عثمانَ ما فعل بعد هذا اليوم ! قالها مراراً

ورَغّب عليه السلام أهل الغِنَى فى الخير والمعروف ، فتبادَر المسلمون فى ذلك ، حتى إن الرجل لَيأْتى بالبعير إلى الرَّجل والرَّجُلين فيقول : هذا البَعيرُ بينكما تعتقِبانه ، ويأْتى الرَّجل بالنفقة فيعطيها بعْض من يَخْرُج . وأتت النِّساء بكلّ ما قدَرْنَ عليه ، فكن يلقِينَ — فى ثوْب مَبْسوطٍ بين يدىِ النبى صلى الله عليه وسلم — المَسَكَ ، والمَعَاضِدَ ، والخلاخل ، والأَقْرِطة ، والخواتيم ، والخَدَمات[٣]. صدقات النساء

وكان الناس فى حرٍّ[٤] شديدٍ ، وحينَ طابت الثمارُ ، وأُحبّت الظِّلالُ ، والناس يحبون المُقَام ويَكْرهون الشُّخُوص عَنْها . وأخذَ صلى الله عليه وسلم الناس بالجدّ وعسكر بثنِيّةِ الوَداع ، والناس كثيرٌ لا يجمعهم كتابٌ

وقال صلى الله عليه وسلم للجَدّ بن قَيس بن صَخْر بن خَنْساء بن سِنَان بن عُبَيْد بن عَدِىّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة الأنصارىّ : أبا وَهْب ! هل لك العامَ تَخْرُجَ معنا لعَلّكَ تَحتَقِبُ من بنَات الأصفر[٥] ! قال : أَوْ تأْذنُ لى ولا تَفْتِنِّى ؟ فوالله لقد عَرَف قومى ما أَحدٌ أشَدُّ عُجْباً بالنِّساء منِّى ، وإنى لَأَخشى إن رأيتُ خبر المخلّفين

(١) فى الأصل : « محمد بن سلمة »
(٢) فى الأصل : « وستا »
(٣) انظر شرح غريب هذه الألفاظ فى ص (١٥٣)
(٤) فى الأصل : « فى عسر »
(٥) بنات الأصفر : هم بناتُ الروم

نِساءَ بنى الأصفر أنْ لا أصبِرَ عنهنَّ . فقال : قد أذِنْتُ لكَ ! فجعل يُثَبِّطُ قومَه ويقول : لَا تنفِرُوا فى الحرّ . فنزل فيه قولُه تعالى : « فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وقالوا لا تنفِرُوا فى الحرّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشدُّ حَرًّا لوْ كانوا يفقهون ، فلْيَضْحكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كثِيراً جَزَاءً بما كانوا يَكْسِبونَ » (التوبة : ٨١ — ٨٢)[١] ، وقوله تعالى : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لمحيطَةٌ بالـكافرين » (التوبة : ٤٩)[٢]

البكّاءون

وجاء البكّاءون — وهم سبْعةٌ : أبو لَيْلَى المَازِنىُّ ، وسلَمَةَ بن صخر الزُّرَقِىُّ[٣] وثعلبةُ بن غَنَمة السّلَمىُّ ، وعُلْبة بن زيد الحارثىُّ ، والعِرباضُ بن سارِيةَ السُّلمى ، وهَرَمىُّ بن عمرو المُزَنىّ ، وسالم بن عُمَيْر . [وقيل : وإنَّ فيهم عبدَ الله بن المُغَفَّل ومعقِلُ بن يسار . وقيل : البكّاءون بنو مُقَرِّن السبْعةُ ، وهم من مُزَيْنَةَ] — يَسْتَحْمِلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانُوا أَهْل حاجةٍ ، فقال : لَا أَجِدُ ما أَحْمِلُكم عليه فوَلَّوا يبْكُون[٤] . فلقىَ اثنـان منهما يامِينَ بن عمير بن كعب [ابن عَمّ عمرو بن جِحَاش النّضْرىّ][٥] فقال : ما يُبْكِيكما ؟ قالا : جِئْنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَحْمِلنا فلَمْ نجدْ عندهُ ما يحمِلُنا عليه ، وليس عندنا ما نتَقَوّى[٦] به على الخرُوج ، ونحن نكْره أن تفُوتنا غزوةٌ مع رسول الله صلى

(١) الذى فى الأصل مكان الآيتين : « وقالوا لا تنفروا فى الحرّ ، الآية »
(٢) فى الأصل : « ... ولا تفتنى ، الآية »
(٣) هكذا نسبه ، وإنما هو فى كتب الرجال « البياضىّ » حليف لهم وهو خزرجى
(٤) اقرأ من سورة التوبة الآيات ، من « ٩٠ » وما بعدها
(٥) فى الأصل مكان ما بين القوسين : « بن عمرو بن جحاش النضرىّ » ، وقد مضى كذلك فى ص (١٨٠) ، وقد ذكرنا هناك وجه الرأى فيه
(٦) فى الأصل : « تقوى »

الله عليه وسلم . فأعطاهما ناضحاً له[1] فارتحلاه ، وزوّد كلّ واحدٍ صاعَين من تمر وحَمَل العباسُ بن عبد المطَّلب منهم رجُلين . وحمل عثمان بن عفَّان منهم ثلاثة

النهى عن خروج أصحاب الضعف

وقال صلَّى الله عليه وسلم : لَا يَخْرُجَنَّ مَعَنا ، إلا مُقْوٍ[2] . فخرج رجل على بكرٍ صَعْبٍ[3] فصرَعه بالسُّوَيْداء ، فقال الناسُ : الشهيدَ الشهيدَ !! فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُنَاديا ينادي : لا يدخُل الجنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ — [أو إلَّا نفسٌ مُؤْمِنة] — ، ولا يدخل الجنةَ عاصٍ

المنافقون

وجاء ناسٌ من المنافقين يَسْتَأْذِنون رسول الله صلى الله عليه وسلم من غَير عِلَّةٍ فأَذِنَ لهم ، وهم بِضْعةٌ وثمانون رجلاً . وجاء المعذِّرون[4] من الأعراب فاعتذَروا ، وهم نفر من بنى غفَار — فيهم خُفَاف بن إيماء بن رَحْضَة — : اثنَان وثمانون رجلاً ، فلم يَعْذِرهم الله . وجاء عبد الله بن أُبيّ ابن سلول بعسكره — معه حُلَفاؤه من اليهود والمنافقين — فضرَبه على ثنيَّة الوَداع . فكان يقَال : ليس عسكرُ ابن أُبيّ بأقلّ العسكرين !!

تخليف على بن أبى طالب

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخْلِفُ على العسكر أبا بكرٍ رضى الله عنه ، فلما أُجمع على السير استُخْلف على المدينة سِباعَ بن عُرْفُطَةَ الغِفَارىّ ، [وقيل محمد بن مَسلمة] . وخلَّف علىّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه على أهلِه ، فقال المنافقون : ما خلَّفه إلا استِقْلالاً له ! فأخَذَ سلاحَه ولَحِقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجُرْفِ وأخْبره ما قالوا ، فقال : كذَبوا ! إنما خلَّفْتُك لِمَا ورائى ! فارْجع

(١) الناضح : البعير الذى يُحمَل عليه الماءُ

(٢) فى الأصل : « إلى مقوى » . يقال رجل مُقْوٍ : أى ذو دابّة قويّة ذلول تنقاد على المشى

(٣) البعير الصعب : الذى لا ينقاد . وصاحبُ البعير الصَّعْب الذى لا ينقادُ فى السير كصاحب الضعيف الذى لا يطيق السَّير ، كلاهما أُمِرَ أن لا يخرجَ مع المسلمين

(٤) المعذّرُ : هو الذى يعتذر اعتلالاً ولا عذرَ لهُ على الحقيقة

فَاخْلُفْنِى فى أَهْلِى وأهلِكَ ، أما ترضى أن تكونَ منِّى بمنْزِلَةِ هٰارون من موسى ، إلا أنه لا نَبِىَّ بعدى ؟ فرجعَ

الأمر بحمل النعال

وسارَ عليه السلام وقال : اسْتَكْثِرُوا من النعالِ ، فإنَّ الرَّجُل لا يزالُ راكباً ما دام مُنْتَعِلاً

تخلف المنافقين

فلمَّا سار تخلَّف ابْنُ أُبَىّ فيمن تَخَلَّفَ من المنافقين وقال : يغزُو محمَّدٌ بَنى الأَصْفَرِ — مع جَهْدِ الحال والحرِّ والبَلَدِ البَعِيد — إلى مَالَا قِبَل له به ؟! يَحْسَبُ محمَّدٌ أن قِتَالَ بنى الأصفرِ اللَّعِبُ ؟ ! ونَافَق بمنْ معه مِمَّن هو على مثل رَأْيه ، ثم قال : والله لكأَنى أَنْظُر إلى أصحابه غداً مُقَرَّنين فى الحِبَال

الألوية

فلما رحَل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثَنِيَّة الوَدَاع عقَد الألويةَ والرَّايَاتِ . فدفع لواءه الأعظم إلى أبى بكرٍ رضى الله عنه ، ورايتهُ العظمى إلى الزُّبَيْر ، ورايةَ الأَوْسِ إلى أُسَيْد بن الحُضَيْر ، ولواءَ الخزْرَج إلى أَبى دُجَانة ، [ويقال : إلى الحُبَاب بن المُنْذِر بن الجَمُوح] ، وأَمر كلَّ بطنٍ من الأنصار والقَبَائل من العرَب أنْ يتَّخذوا لواءً أَوْ رايةً

خبر العبد المملوك

فلقِيَه عبدٌ لامرأَةٍ من بنى ضَمْرَة وهو مُتَسلِّح ، فقال : أُقاتل معك يارسول الله ؟ فقال : وما أنْتَ ؟ قال : مملوكٌ لامرأَةٍ من بنى ضَمْرة سَيِّئةِ المَلَكَةِ[1] فقال : ارْجع إلى سيِّدتك ! لا تُقْتلْ معى فتدْخُل النَّار !

عدّة المسلمين

وسارَ ومعه ثلاثون ألفاً ، وعشرةُ آلاف فرسٍ ، واثنا عشر ألف بعير . وقال أبو زُرْعة : كانوا سَبْعين ألفاً . وفى روايةٍ : أربعين ألفاً

(١) يقال فلان حَسَنُ المَلَكَة : إذا كان حسن الصُّنْع والصحبة لماليكه . وفى الحديث : « لا يدخُل الجنَّة سيِّءُ الملكة » : أى الذى يُسىءُ صحبة مماليكه وعبيده

تخلف نفر من المسلمين

وتخلَّفَ نفرٌ من المُسْلمين أبْطَأَتْ بهم النيَّةُ ، من غير شَكٍّ ولا ارتياب ، منهم : كعبُ بن مالك بن أبي كعْب عَمرو بن القين[(١)] بن كعب بن سَوَاد بن غَنْم ابن كعب بن سَلِمة الأنصاريُّ ، وهلالُ بن أُميَّة الواقفيُّ ، وأبو خَيْثَمَةَ عبدُ الله بن خَيْثمة السَّالميُّ ، ومُرارَةُ بن الرَّبيع العَمْرِيّ . ثم إنَّ أبا خيثمة أدْرَكَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بتَبُوك

الدليل

وكان دليلَه عليه السلام عَلْقمةُ بن الفَغْواء[(٢)] الخُزَاعىّ . وجَمَع — من

الصلاة

يوم نَزَل ذا خُشُب — بين الظُّهر والعصر فى مَنْزِله : يُؤَخِّرُ الظهر حتى يُبْرِدَ ويعجِّلُ العصر ، ثم يجمع بينهما . فكان ذلك فِعْلَه حتى رَجع من تَبُوك

المتخلفون

ولمَّا مضى من ثَنِيَّةِ الوَداع ، جَعَل يَتخلَّف عنه قومٌ ، فيقولون : يا رسولَ الله ! تخلَّف فُلانٌ ! فيقول : دَعُوه ! فإن يَكُ فيه خيرٌ فسَيُلْحِقه الله بكم ، وإن يَكُ غيرَ ذلك فقد أراحَكم الله منه ! وخرجَ معه ناسٌ من المنافقين كثيرٌ ،

خبر أبي ذرّ

لمْ يَخْرُجوا إلّا رَجاء الغنيمة . وأبْطَأَ أبو ذَرّ رضى الله عنه من أجْلِ بعيره : كان نِضْوًا أعْجَفَ[(٣)] ، ثم عَجَز . فتَرَكه ، وحمل متاعَه على ظَهْرِه ، وسار ماشياً فى حرٍّ شديدٍ وَحْدَه ، حتى لَحِق رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نِصْفَ النهار وقد بلَغَ منه العَطَشُ ، فقال له : مرحباً بأبي ذَرّ ! يَمشى وحدَه ، ويموتُ وحْدَه ، ويُبعثُ وحده ! ما خَلَّفك ؟ فأخبره خبرَ بعيره ، فقال : إنْ كنْتَ لَمِنْ أعزِّ أهلى عَلَيَّ تخلُّفاً ! لقد غفرَ الله لك بكلِّ خُطْوةٍ ذَنباً إلى أن بَلَغْتَنى

---

(١) فى الأصل : « القيس »

(٢) فى الأصل : « الغفواء »

(٣) النضو : هو الذى أهزلته الأسفار وأذهبت لحمه . والأعجف : المهزول الذى أذهب سِمَنه الجوع

خبر أبى رُهْم

وسايَره أبو رُهْم — كُلثُومُ بن الحُصَيْن الغِفَارىُّ — ليلةً فأُلْقِىَ عليه النُّعاس ، فزاحَمَتْ راحلتُه راحلةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم — ورِجْلُه فى الغَرْزِ — فما استَيْقظ إلا بقوله : حَسِّ[1] ! فقال : يارسول الله ! استغفِر لى ! فقال : سِرْ ! وجعل يسألُه عمّن تخلَّف من بنى غِفَارٍ ويُخبره ، فقال : ما مَنع أحَدَ أولئك حين تخلَّف أن يَحْمل على بعيره رجُلًا نَشيطاً فى سبيلِ الله ممّن يَخرُج مَعنا ، فيكون له مثلُ أجْرِ الخارج ! إنْ كان لمنْ أعزِّ أهلى عَلَىَّ أن يتخلف عنِّى : المهاجرون من قُرَيش والأنصارُ وغِفَارُ وأسلم

جهد المسلمين

ومرَّ على بعيرٍ قد تَرَكه صاحبُه من الضَّعْف ، فمرَّ به مارٌّ فعَلَفه أيّاماً ثم حَمَله وقد صَلَح ، فخاصمه فيه صاحبُه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحْيَى خُفًّا أو كُرَاعاً[4] بمَهلَكةٍ من الأرض فهُوَ له . وشَكَوْا إليه صلى الله عليه وسلم ما بِظَهْرِهم من الجَهْد ، فتحَيَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَضِيقاً سارَ النّاس فيه وهو يقول : مُرُّوا باسمِ الله ! فجعل يَنْفَحُ[2] بظُهورهم وهو يقول : اللّهمَّ أحمِلْ عليها فى سبيلك ، فإنَّك تَحمِلُ على القَوِىِّ والضَّعيف ، والرَّطْبِ واليَابس ، والبرِّ والبحر ! فلمّا بلغوا المدينةَ جَعَلت تُنازِعهم أزِمَّتَها بدعوتِه صلى الله عليه وسلم . وصلّى يوماً بأصحابه وعليه جُبّةُ صوفٍ وقد أخَذ بعِنان فرَسه ، فبالَ الفرسُ فأصابَ الجُبَّةَ ، فلم يَغْسِلْه . وقال : لابأسَ بأبْوَالها ولُعابها وعرَقِها . لكن يُعَارِضُه قوله : استَنْزِهوا [من] البَوْل[3] ! وهو أصحُّ

---

(١) هذه الكلمة تقال عند التوجّع مما يصيبك ممّا يحرق أو يمضّ كالنار والضرب وغيرها

(٢) فى الأصل : « ينفخ » . نفح الشىء : دفعه

(٣) لم أجد الحديث ، والذى أتى من ذلك حديث المعذّب فى قبره : « كان لا يَستَنزه من البَوْل » ، فالزيادة التى بين القوسين من هذا الحديث ، ويقال ، استنزه من البول : أى استبرأ منه وتطهّر كأنه استبعد نفسه منه

(٤) الكراع اسم يجمع الخيل

مقالة المنافقين

وكان رَهْطٌ من المنافقين يَسيرُون ، منهم : وديعةُ بن ثابت أخو بنى عَمرو ابن عَوْف ، والجُلَاس بن سُوَيد بن الصَّامِت ، ومَخْشِيُّ بن حُمَيِّر من أشْجع حَليف بنى سلمة ، وثَعلَبة بن حاطب ؛ وقال ثعلبة : تحْسَبون قِتَال بنى الأصفر كقتال غَيرهم ! ! والله لـكأنِّى بكم غداً مُقَرَّنين فى الحبال ! وقال وَديعة بن ثابت : مالى أَرَى قُرَّاءنا[1] هؤلاء أرغَبنا [بُطونا[2]] ، وأكْذَبَنا ألْسنةً ، وأجْبَننا عنـد اللِّقاء ؟ فقال الجُلَاس بن سُوَيد — زوجُ أم عُمير[3] — : هؤلاء سادَتُنا وأشرافُنا وأهلُ الفَضْل منّا ، والله لئن كان محمَّدٌ صادقاً لنحن شرٌّ من الحَمِير ! ! فقال له عمير — وكان يَتيماً فى حِجره — : فأنت شرٌّ من الحَمِير ! ورسول الله صلى الله عليه وسلم الصادقُ وأنت الـكاذِبُ ! وقال مَخْشِيّ بن حميِّر : والله لَوَددْتُ أنى أُقَاضَى على أن يُضرَب كلُّ رجلٍ منا مائةَ جَلدة ، وأنَّا نَنفلتُ من أن يَنْزل فينا قرْآنٌ بمقَالتكم !

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمّار بن ياسر رضى الله عنـه : أدرك القَوْم فإنهم قد اختَرَقوا[4] ، فَسَلْهم عمّا قالوا ، فإن أنكَروا فقُل : بَلى ! ! قد قُلتم كذا وكذا ! ! فذهب إليهم فقال لهم ، فأتَوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَعتَذِرون إليه . فقال وَديعة بن ثابت — ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم على نَاقته ، وقد أخذ بحَقَبِها[5] — : يارسول الله ! إنّما كنَّا نخوضُ ونَلعَبُ ! فأنزل

(١) فى الأصل : « قرائنا » . ويريدُ بالقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) هذه الـكلمة بين القوسين محاها البياض فى التصوير الشمسى للـكتاب ، وهكذا قرأتها . يقالُ فلان رغيبُ البطن : أى عظيمه واسعه

(٣) عمير هذا هو « عمير بن سعد الأنصارى »

(٤) فى الأصل : « احترقوا » بالحاء المهملة ، وعندى أنّه بالخاء أجْوَد وأبْيَن . والاختراق : الاختلاق والافتراء والـكذب ، وذلك من قوله تعالى : « وخَرَقُوا لهُ بَنِينَ وبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ » ، أى اختلقوا كذباً وكفراً

(٥) الحَقَب : حزام يشدّ به الرحل فى بطن البعير

الله فيه : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ «٦٥» لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ » (التوبة : ٦٥ — ٦٦)(١)

وقال مَخشِيُّ بن حُمَيِّر : يا رسولَ الله ! قَعَد بى اُسمى وَأسمُ أبى ! فكان الذى عُفِىَ عنه فى هذه الآية مَخْشِيٌّ ، فتَسَمَّى عبدَ الرحمن ، وسأل الله أن يَقتُلَه شهيداً لا يُعلَم بمكانه . فقُتِل يومَ اليَمامة فلم يوجَدْ له أثرٌ

وجاء الجُلَاسُ فحلَفَ ما قال من ذلك شيئاً ، فأنزَل الله فيـه : « يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَاباً أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ » (التوبة : ٧٤)(٢) . وكان للجُلاس دِيةٌ فى الجاهليـة على بعضِ قومه — وكان مُحتاجاً — ، فلما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ أخذها له فاستَغْنَى بها

وادى القرى

ومرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وَادى القُرَى على حَديقة أمرأةٍ فقال : أُخرُصوها ! فجاء خَرْصُها عشرةَ أوسُقٍ(٣) فقال لها : أحفَظى ما خرَجَ منها حتى نرجِـع إليكِ

نزول الحجْـر ، وهبوب الريح

فلمّا أمسى بالحِجْرِ قال : إنّها ستهُبُّ اللّيلةَ ريحٌ شديدةٌ ، فلا يَقومَنَّ منكم أحدٌ إلّا مع صاحبه ، ومَن كان له بَعيرٌ فَلْيُوثِقْ عِقالَه . فهاجَت ريحٌ شديدةٌ ولم

(١) فى الأصل : « ... نخوض ونلعب ، الآية »

(٢) فى الأصل : « ... ولقد قالوا كلمة الكفر » وقوله تعالى « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ، الآية »

(٣) الأوسق جمع وَسْق : وهو حمل بعير

يَقُم أحدٌ إلّا مع صاحبه ، إلّا رَجُلَين من بنى سَاعَدة : خرَج أحدهما لحاجَتِه ، وخرَج الآخرُ فى طلَب بَعيرِه . فأمّا الذى خرَج لحاجَتِه فإنّه خُنِقَ على مَذْهبِه ، وأمّا الذى ذهَب فى طلب بعيرِه فاْحتَمَلتْه الرِّيحُ فطرَحَتْه بجَبَلَىْ طَيِّء . فأُخبِر عليه السلام خبَرَهُما فقال : ألَم أنهَكُم أن يخرُج رجلٌ إلا معه صاحبٌ له ؟ ثم دعا للّذى أُصيبَ على مَذهَبِه فشُفِى ، وأمّا الآخرُ فإنّ طيِّئاً قَدِمَتْ به المدينة

هدية اليهود بنى عريض

وأهدى له عليه السلام بَنو عُرَيضٍ اليهودىِّ هريساً فأكلها ، وأَطعَمَهم[1] أربعين وَسْقاً ، فلم تزل جارِيةً عليهم[2]

خبر بئر الحجر

وأستَقى الناسُ من بئْر الحِجْر[3] وعَجَنوا ، فنادى مُنَادى النبىِّ صلى الله عليه وسلم : لا تشرَبوا من مائِها ولا توَضَّؤا منه للصلاة ، وما كان من عجينٍ فأعلِفوه الإبلَ . فجعَل الناس يُهَرِيقون ما فى أسقِيَتِهم ، وتحوّلوا إلى بئر صالحٍ عليه السلام فأرتوَوْا منها . وقال يومئذٍ : لا تسألوا نبيَّكم الآياتِ ! هؤلاء قومُ صالحٍ سألوا نبيَّهم آيةً ، فكانتِ النّاقةُ ترِد عليهم من هذا الفَجِّ ، وتصدُر من هذا الفَجِّ ، تَسقيهم من لبَنِها يَومَ ورِدِها ما شربتْ من مائِهم . فعقَروها ، فأُوعِدُوا ثلاثاً ، وكان وعدُ الله غيرَ مكذوبٍ ، فأخذتْهم الصَّيحَةُ . وقالَ يومئذٍ : لا تدخُلوا على هؤلاء القوْم المُعَذَّبين إلّا أن تكونوا باكينَ ، فإن لم تكونوا باكينَ فلا تدخُلوا عليهم ، فيُصيبَكم ما أصابَهم

خاتم من الحجر

وجاءَه رجُل بخاتَمٍ وجَده فى الحِجْرِ فى بُيوتِ المعذَّبين ، فأعرَض عنه وأستَتَر بيَده أن يَنظرُ إليه ، وقال : أَلْقِهْ ! فألْقاه

---

(١) أطعمه : جعل له طُعْمَة أى رزقاً يجرى عليه

(٢) فى الأصل : « فلم يزل حارثة عليهم » ، وانظر ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٢٩

(٣) الحِجر : ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام

إسراعهم فى وادى القرى

وقال لأصحابه حين حاذاهم : إنَّ هذا وادى القُرى ! فجعلوا يُوضِعون فيه رِكابَهُم حتى خرَجوا منه ، وأَوضَع صلى الله عليه وسلم راحلَته . وَأُرتَحل من

قلة الماء ، ودعاء رسول الله بالمطر

وادى القُرَى فأصبح ولا ماءَ معهم ، فشكَوْا ذلك إليه ، فأُستقْبَل القِبْلَةَ ودَعَا — ولا يُرى فى السماءِ سَحَابٌ — ، فما برِحَ يَدعو حتى تألَّف السَّحاب من كلِّ نَاحية ، فما رام مَقَامَهُ حتى سَحَّتْ عليهم السَّماء بالرَّوَاء[1] . ثم كَشَف الله السماءَ من ساعَتِها والأرضُ غُدُرٌ[2] ، فسَقى الناسُ وارتوَوْا من آخرهم ، فكبَّر

مقالة المنافق

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : أشهَدُ أنّى رسولُ الله ! فقال عبد الله بن أبى حَدْرَدٍ لأوْس بن قَيْظِىٍّ — ، [ويقال لزَيْد بن اللُّصَيْت القَيْنُقَاعِىِّ][3] — وكان من المنافقين : وَيْحَك ! بعد هذا شىء ؟ فقال : سَحابةٌ مارَّةٌ

خبر ناقة رسول الله التى ضلت ، ومقالة المنافق

وارتحَل عليه السَّلامُ فأَصْبَح فى منزلٍ ، فضلَّت ناقتُه القَصْواء ، فخرج المسلمون فى طَلَبها . وكان زَيْدُ بن اللُّصَيْت أحدَ بنى قَيْنُقَاع ، وكان يهودياً فأسْلَمَ فنافَقَ ، وكان فيه خُبْثُ اليَهُودِ وغِشُّهم ، وكان مُظَاهِراً لأهلِ النِّفاق ، وقد نَزَل فى رَحْل عُمَارة بن حزْم ، وعمارةُ عند رسولِ الله — فقال زيدٌ : أليس محمَّدٌ يزعم أنَّه نَبِىٌّ ، ويُخْبِرُكم عن خَبر السَّماء ، وهو لا يَدْرى أين ناقَتُه ؟ ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ منافقاً يقُول : إنَّ محمَّداً يَزْعم أنه نَبِىٌّ وهُو يُخْبركم بِأمْرِ السَّماء ، ولَا يَدْرِى أيْنَ ناقَتُهُ ؟ وإنِّى واللهِ لا أَعْلَمُ إلا مَا علّمَنَى اللهُ ، وقَدْ دلّنى عَلَيها ، وهى فِى الوَادى فى شِعْب كذا وكذا — لِشِعْبٍ به —[4]

(١) الرَّواءُ : الماء الكثير

(٢) فى الأصل : « غدرا » . وغُدُر جمع غدير : وهو مستنقع من الماء يغادره السَّيل

(٣) انظر ص (٢٠٥)

(٤) فى الأصل : « لشعب إليه »

حَبَسَتْهَا شجرةٌ بِزِمَامِها ، فانْطَلِقوا حتى تَأْتُوا⁽¹⁾ بها . فَذَهَبُوا ، فجاءوا وقَدْ وجدَها الحارثُ بن خَزَمَة⁽²⁾ الأَشْهَلِىُّ ، كما قال عليه السلام . فرجَع عمارةُ بن حَزْم إلى رَحْلِهِ فقال : العَجَبُ من شىء حَدَّثَنَاهُ رسولُ الله آنِفاً عن مَقَالة قائلٍ أَخْبَرَه الله عَنْه قالَ كذا وكذا !! — لِلَّذِى قال زَيدٌ — ، فقال أَخُوه عَمْرو بن حَزْم ، ولم يَحضُر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ زَيداً هو قائلُ هٰذِه المقالَةِ قبلَ أن تَطْلُعَ علَيْنا ! فأقبل عمارةُ بن حزم على زَيد بن اللُّصَيْت يَجَأُه⁽³⁾ فى عُنُقِه ويقول : إن فى رَحْلِى لَدَاهِيَةً وما أَدْرِى !!⁽⁴⁾ أَخْرُجْ يا عَدُوَّ الله من رَحْلِى ! فقال زيد : لَكَأَنِّى لم أُسْلِمْ إلاَّ اليَوْم ! قد كنت شاكاً فى محمدٍ ، وقد أصبحتُ وأنا فيه ذُو بَصيرةٍ ، أَشْهَدُ أَنَّه رسول الله ! فقيل : إنَّه تاب ، وقيل : لم يزل فَسْلاً⁽⁵⁾ حَتَّى مَاتَ⁽⁶⁾

نبوءة الفتوح

وقال ليلةً وهم يَسِيرُون : إنَّ الله أَعْطَانِى الكَنْزَيْنِ : فارسَ والرُّوم ، وأَمَدَّنِى بالملوكِ ملوكِ حِمْيَر : يُجَاهِدُون فى سبيلِ الله ، ويأكلون فى الله⁽⁷⁾

تأخره عن صلاة الصبح

ولما كان بين الحِجْرِ وتبُوكَ ذَهَبَ لحاجَتِه — وكان إذا ذهب أَبْعَدَ — ، فتَبِعَه المغيرةُ بن شُعْبَة بماء فى إِدَاوَةٍ بَعْدَ الفَجْر . فأسْفَرَ النَّاسُ بِصلاَتِهِمْ حتّى خافُوا الشَّمسَ ، فقدَّموا عبد الرَّحمن بن عَوف رضى الله عنه فصلى بهم . فلمَّا فَرَغ

(١) فى الأصل : « حتى باتوا »
(٢) فى الأصل : « حزمة »
(٣) وَجَأَ الرجُل يَجَأُه : لكزه ووكزه
(٤) فى الأصل : « أراهية »
(٥) الفَسْلُ : الردىء الرذل من كلّ شىء ، وهو فى الناس النذلُ الردىء الذى لا مروءة لهُ ولا رأى
(٦) انظر هذا الخبر فى ص (٢٠٥)
(٧) هكذا فى الأصل : « ويأكلون فى الله » ، ولم أجد الخبر . ومعناه واضح ولكنى لا أطمئن إليه

صلى الله عليه وسلم من حَاجَتِه ، صَبَّ عليه المُغيرةُ من الإدَاوَة فغَسَل وجهَه . ثم أراد أَنْ يَغسِلَ ذِرَاعَيْه فضَاق كُمُّ الجُبَّة — وكان عليه جُبَّة رُومِيَّة — فأَخْرج يدَيه من تحتِ الجُبَّة فغسلَهما ومَسَح خُفَّيْه . وأُنتهَى إلى عبد الرَّحمن وقَد رَكَع بالنَّاسِ رَكْعَةً ، فسَبَّح الناسُ حين رَأَوْا رسولَ الله حَتّى كادُوا أَنْ يَفْتَتِنوا ، فجَعَل عبد الرحمن يريدُ أن يَنْكُصَ ورَاءَه ، فأشار إلَيهِ عليه السَّلامُ : أَنِ اُثْبُتْ ! فصلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَلْفَ عبد الرحمن رَكْعَةً ، فلمَّا جَلَس عبد الرحمن تَوَاثَبَ النَّاسُ ، وقامَ صلى الله عليه وسلم للرَّكْعة البَاقية ثم سَلَم بعد فَرَاغه منها ، وقال : أَحْسَنْتُمْ ، إنه لَمْ يُتوفَّ[1] نبيٌّ حتّى يَؤُمَّه رجُلٌ صالح مِن أُمَّته

صلاة رسول الله بصلاة عبد الرحمن بن عوف

وأتاه[2] يومئذ يَعْلَى بن مُنْية بأَجيرٍ لَهُ قَد نازع رجُلًا من العَسْكر فعَضَّه الرَّجُل ، فانتزَعَ الأجيرُ يدَه مِنْ فِي العَاضّ فَانتزَع ثَنِيَّتَهُ ، فلزمَه المجروحُ وبَلَغَ به النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يَعْمِدُ أَحَدُكم فيَعَضُّ أخاه كما يَعَضُّ الفَحْلُ ! فأَبْطَل صلى الله عليه وسلم ما أَصَاب مِنْ ثَنِيَّته

خبر الأجير ورجل من العسكر

وقال : إنَّكمُ سَتأْتُون غداً إن شاء الله تَعالى عَيْنَ تبوك : وإنَّكم لَنْ تأْتُوها حَتّى يُضْحِيَ النَّهارُ ، فمن جَاءها فلَا يَمَسَّ مِن مَائِها حَتَّى آتِيَ . فسبَق رجُلَان من المُنافقين إليها — والعَيْن تَبِضُّ بشَيْءٍ[3] من مَاء — فسأَلهما عليه السلام : هل مَسِسْتُما من مَائِها شيئاً ؟ قالا : نَعَمْ ! فسبَّهما وقال لهما ما شاء الله أن يَقول . ثم غرفُوا من العَين بأيديهم قَليلاً حتى اُجْتمع فى شيء ، ثم غَسل فيه وَجْهه ويديه

نهيه عن الشرب من عين تبوك حتى يقدم

(١) فى الأصل : « لم يتوفى »
(٢) فى الأصل : « وإياه »
(٣) بضّ الماء يبضّ من العين : إذا خرج قليلا قليلا

ثم أعادَهُ فيها ، فجاءَتِ العَيْن بماء كثيرٍ فأُستقى النَّاس . ثم قال [لمعَاذ بن جَبَل](١) : يُوشك يا مُعَاذُ إن طَالَت بك حَيَاةٌ أن تَرَى مَا هاهنا قد مُلِئَ جِنَانًا !

وقالَ يَوْمًا فى مَسيره : مَنْ شَهد أن لاَ إلٰه إلاَّ الله وَحده لا شَريك لَه حَرَّمه الله على النَّار

خبر الحيّة التى سلمتْ عليه

وعارَضَ النَّاسَ فى مَسيرهم حَيَّةٌ ذُكر من عظَمها وخَلْقها شىءٌ كثيرٌ — فأَقْبلت حَتَّى واقَفَت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو على رَاحلَته طويلا ، والناس ينظرون إليها ، ثمَّ الْتوَتْ حتَّى اعتَزَلَت(٢) الطَّريق فقَامَت قَائمَةً ، فأقْبل النَّاسُ حتَّى لحقُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم : هَلْ تدرُون مَنْ هذا(٣) ؟ قالوا : اللهُ ورسوله أَعْلَمُ ! قال : هٰذا أَحَدُ الرَّهْط الثَّمَانية من الجِنِّ الذين وَفَدُوا إلىَّ يَسْتَمِعون القرآنَ(٤) ، فرَأى عَليه مِنَ(٥) الحَقِّ — حين أَلَمَّ رسولُ الله ببَلدِه — أنْ يُسلِّمَ عليه ، وها هُوَ ذَا يقرئُكم السَّلامَ فسلِّمُوا عَلَيْه ! فقال النَّاسُ جَميعاً : وعَليه السَّلامُ ورَحمةُ الله ، فقال : أَجيبوا عِبَادَ اللهِ مَنْ كَانُوا

رقاده عن صلاة الفجر

ولما كان مِنْ تَبُوكَ على لَيلةٍ ، رَقَدَ(٦) صلى الله عليه وسلم فلم يَسْتَيقظْ حتَّى كانت الشَّمْسُ قِيدَ رُمْح(٧) ، فقال : يابلالُ : أَلَم أَقُل لَكَ اكْلأْنا اللَّيْلة(٨) ؟ فقال : يا رسول الله ذهَبَ بِيَ النَّوم ، ذَهَب بى الذى ذَهَب بك ! فارتحلَ عليه السَّلام من ذلك المكان غَيْرَ بَعيد ثم صَلَّى رَكْعَتين قبلَ الفجْر ، ثم صلى الفَجْر

(١) زيادة للبيان
(٢) فى الأصل : « أعزلت »
(٣) فى الأصل : « ما هذا » . وانظر الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٧٧
(٤) انظر ص (٢٧)
(٥) فى الأصل : « من من » مكررة
(٦) فى الأصل : « استرقد » ، ولم أجد هذا الفعل فى اللغة
(٧) قيد رُمْح : أى قدر رُمْح فى ارتفاعها على الأفق
(٨) كلأه : حفظه ورعاه

خطبته تبوك

ثم سارَ يومَه وليلته فأصبح بتبوكَ فجمعَ الناس ثم قال : أيُّها الناس ! أمَّا بعْد ، فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وأوثقَ العرَى كلمةُ التقوى ، وخيرَ المِلَلِ مِلةُ إبراهيمَ ، وخَيرَ السُّنَنِ سننُ محمَّدٍ ، وأشْرَف الحديث ذكْرُ الله ، وأحْسنَ القَصَصِ هذا القرآن ، وخيرَ الأُمور عَوَاقِبُها ، وشرَّ الأُمور محدثاتها ، وأحسَنَ الهَدْيِ هديُ الأنبياء ، وأشرَفَ القتْل قتلُ الشهداء ، وأعمى الضلالَةِ الضلالةُ بعد الهُدى ، وخيرَ الأعمال ما نفَع ، وخيرَ الهَدْيِ ما اُتُّبِـع ، وشرَّ العمى عَمى القلب . واليَد العليا خيرٌ من اليَد السُّفْلى ، وما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثُر وألْهَى . وشرُّ المعذرة حين يَحضُر الموتُ ، وشرُّ الندامة يومَ القيامة . ومنَ الناس من لا يَأْتى الجُمُعة إلا نَزْراً ، ومنْهم من لا يَذكُرُ الله إلا هُجْراً . ومن أعظم الخطايا اللِّسان الكذُوبُ . وخيرُ الغِنى غنى النَّفْسِ ، وخيرُ الزَّاد التَّقْوى ، ورأس الحكْمَةِ مخافةُ الله ، وخيرُ ما أُلقِىَ فى القلب اليَقينُ ، والاُرتيابُ من الكُفْر . والنِّياحَةُ من عمل الجاهلية ، والغُلول من جَمْر جهنم . والشُّكر كَنٌّ من النار . والشِّعر من إبليس ، والخَمْر جِمَاع الإثم ، والنِّساء حِبَالةُ إبليس ، والشَّباب شُعبة من الجنون . وشرُّ المكاسبِ كَسْب الرِّبا ، وشرُّ المالِ أَكْلُ مال اليَتيم . والسَّعيد من وُعظ بغيره ، والشَّقىُّ من شَقِىَ فى بَطْن أُمِّه ، وإنَّما يَصيرُ أحَدُكم إلى مَوْضِـع أرْبع أذْرُعٍ . والأمرُ إلى آخِره ، ومِلاكُ العَمل خَواتِمُه . وشرُّ الرُّؤيا رؤيا الكَذب ، وكلُّ ما هوآتٍ قريبٌ . وسِبابُ المُؤْمنِ فُسوقٌ ، وقتْل المؤمن كُفر ، وأَكْلُ لحمِه من مَعْصيةِ الله ، وحُرمةُ مالِه كَحُرْمةِ دمه . ومن يَتَألَّ[1] على الله يُكَذِّبْه . ومن يَعفُ يَعفُ الله عنه ، ومَن يَكْظِم الغَيظَ يَأْجُرْه الله ، ومن

(١) تألى يتألى : أى حكم عليه وحلف ، كالذى يقول « والله ليدخلنّ الله فلاناً النار ، والله ليرفعنّ الله شأن فلان ... »

يَصْبِرْ على الرَّزِيَّة يُعَوِّضْه الله . ومَن يَتتَبَّع السُّمعَة يُسَمِّع الله(١) به . ومَن يصبِرْ يضَاعِفْ الله له ، ومَن يَعص الله يعذِّبْه . اللَّهمَّ اغفِرْ لى ولأُمَّتى ، اللَّهم اغفِرْ لى ولأُمَّتى ، أَستَغفِر الله لى ولكم

عظته وهو يطوف بالناس

وطَافَ على ناقتِه بالنَّاس وهو يقول : يا أيُّها الناس ! يَدُ الله فوقَ يدِ المُعطى ، ويَدُ المُعطِى الوُسْطى ويَدُ المعطَى السُّفلى . أيُّها النَّاس ! فتَغنَّوْا(٢) ولو بحِزَمِ الحَطَب . اللَّهمَّ هل بلَّغتُ ! ثلاثاً . فقال له رجل من بنى عُذْرَة — يقال له عَدِىٌّ — : يا رسولَ الله ! إنَّ امرَأتين لِىَ اقْتَتَلَتَا ، فرَمَيْتُ فأصَبْتُ إحْداها فى رَمْيَتى ؟ [يعنى ماتت] ، فقال له : تَعقِلُها(٣) ولا تَرِثُها

قوله فى أهل اليمن وأهل المشرق

ونظرَ بتبوكَ نحوَ اليَمن ، ورفع يَديْه يُشيرُ إلى أهلها وقال : الإيمانُ يَمانٍ ! ونظر نحوَ المَشْرق ، وأشار بيَده وقال : إنَّ الجفاءَ وغِلَظَ القلوب فى الفَدَّادين(٤) أهلِ الوَبَرَ من نحو المشرق حَيْث يُطْلِعُ الشَّيطان قَرْنَيْه

خبر البركة فى الطعام

وجلَسَ بتَبُوكَ فى نفَرٍ من أَصحابه هو سابعهم ، فجاء رجلٌ من بنى سَعْد هُذَيم فسلَّم فقال : اجْلسْ ! فقال : يارسول الله ! أشهدُ أن لَا إله إلا الله وأنَّك رسول الله ! فقال : أَفْلَحَ وَجْهُكَ ! ثم قال : يا بِلَال ، أَطْعِمْنَا ! فبسطَ نِطْعاً(٥) ، ثم أَخرج من حَمِيتٍ(٦) له خَرَجاتٍ من تمْرٍ معجونٍ بسَمْنٍ وأقِطٍ ، ثم قال عليه السلام : كلُوا !

(١) السُّمْعة : الذكر يسمعه الناسُ من خير أو شرّ . وسمع الله به : حقَّره وصغَّره وفضحه وشهَّر به فى أسماع الناس

(٢) تَغَنَّى : غَنِى عن الشىء ، واستَغْنَى عَنْهُ ، يأمرُ صلى الله عليه وسلم بالكَسْب وتَرْك المسألة . وقد جاء فى الحديث « المسألةُ أخِرُ كَسْبِ الرجُل » ، أى أدناه وأرداه

(٣) عقل القتيل : أدَّى عنه الدِّيَة

(٤) الفدَّادون : أصحابُ الإبل الكثيرة والمواشى ، يعالجونها ويقومون عليها

(٥) النِطْع : قطعة من الجلد تفرش

(٦) الحَمِيتُ : زقٌّ صغير من الجلد لا شعر عليه يكون فيه السمنُ والعُكَّة وما إليهما

فأَكلُوا حتى شَبِعوا ، فقال الرجل : يا رسولَ الله إنْ كنتُ لآكلُ هذا وَحْدي ! فقال : الكافرُ يأكلُ في سبْعةِ أمْعاء والمُؤمِنُ يأكل في مِعًى واحدٍ . ثم جاء من الغدِ مُتحيِّناً الغَدَاء ليزْدَاد في الإسلام يقيناً ، فإذا عشرةٌ حوله عليه السلام فقال : هاتِ أَطْعِمْنا يا بِلَال ! فجعل يُخْرِج من جرابٍ تمرًا بكَفّه قَبْضَةً قَبْضَةً ، فقال : أَخْرِجْ ولا تخَفْ من ذى العَرْش إقْتَاراً ! فجاء بالجراب فنثَره ، فحَزَرَهُ الرجل مُدَّيْنِ ، فوَضَع صلى الله عليه يدهُ على التمر ثم قال : كلُوا باسم الله ! فأَكلَ القَوْم وأكل الرجل — وكَانَ صَاحِبَ تمْرٍ — حتى ما يجدُ [له][1] مَسْلَكاً ، وبقى على النِّطْع مثلُ الذى جاء به بلالٌ ، كأنَّهم لم يأكلُوا منه تمرةً واحدةً . ثمّ عاد الرجل من الغد ، وعاد نفرٌ . فكانوا عشرة أو يزيدُون رجلاً أو رَجُلَيْن ، فقال عليه السلام : يا بلالُ أَطْعِمْنا ! فجاء بذلك الجِرَاب بعَيْنِه فنثَره ، وَوَضَع صلى الله عليه وسلم يده عَليه وقال : كلُوا باسم الله ! فأَكلوا حتى شَبِعوا[2] ، ثم رَفَع مثْل الذى صبّ . ففَعَل مثلَ ذلك ثلاثة أيامٍ .

بعثة هرقل رجُلا من غسان

وكان هِرَقْلُ ملكُ الرُّوم قَدْ بعث رجلاً من غَسَّان إلى النبى صلى الله عليه وسلم ينْظر إلى صفَته وإلى عَلَامَته ، فوَعَى أشْياء من حَاله ، وعادَ إليه فذَكر ذلكَ . فدَعا هِرَقلُ الرومَ إلى التصديق به ، فأَبَوْا حتى خافهم على مُلْكه ، وهو فى مَوْضِعه لم يتحرَّكْ ولم يوجِفْ[3] . وكان الذى خُبِّر النبىُّ صلى الله عليه وسلم — عن تعْبِئَته أصحابه ، ودُنُوّه إلى أدنى الشام — باطلاً[4] ، لم يرِدْ ذلك هرقلُ ولا همَّ به

(١) زيادة للسياق

(٢) فى الأصل : « فأكلوا حتى نهلوا » ، و « نهل » لا يكون إلا لشراب يشربه الرجل حتى يروى ، فهو كالشبع من الطعام . ولذلك آثرنا تغيير الحرف ، نظنه من الناسخ أو المملى ، أخطأ

(٣) فى الأصل : « يرجف » . أوْجَفَ خيله : أسرع بها السَّيْر

(٤) فى الأصل : « باطل »

المشورة فى السير إلى القتال

وشاوَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التقدُّم ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنْ كنتَ أُمِرْتَ بالمَسِير فسِرْ ! فقال : لوْ أُمِرتُ به ما استَشَرْتكم فيه ! قالوا : يا رسولَ الله ! إن للرُّوم جُمُوعًا كثيرةً ، وليس بهـا أحدٌ من أهْلِ الإسْلام ، وقد دنوْتَ منهم حيث ترَى ، وقَدْ أَفزَعَهم دُنُوُّك ، فلَوْ رَجعتَ هذه السَّنةَ حتّى تَرَى ، أو يُحْدِثَ الله لك فى ذلك أمراً !

هبوب الريح لموت المنافق

وهاجت رِيحٌ شديدةٌ بتَبُوكَ فقال عليه السلام : هذا لِمَوْت منَافقٍ عظيمِ النِّفاقِ . فلما قَدِموا المدينةَ وَجَدُوا مُنافقاً قد ماتَ عظيمَ النفَاق

وأُتِىَ بجُبْنةٍ فقالوا : هـذا طعامٌ تَصْنَعه فارس ، وإنَّا نخشَى أن يكون فيه مَيْتَةٌ ! فقال : ضَعُوا فيه السكِّينَ وَأذكروا اسمَ الله

هدية فرس

وأَهْدَى إليه صلى الله عليه وسلم رجلٌ من قُضَاعة فرساً ، فأعطاه رجُلاً من الأنصار وأمرَ أن يرْبطَهُ حِيالَه ، أستئناساً بصَهِيلِه . فلم يزَلْ كذلك حتى قدم عليه السلامُ المَدِينةَ ففقَد صهيلَه ، فسأَل عنه صاحبَه فقال : خَصَيْتُه يا رسولَ الله ! فقال : مَهْ ![1] فإنَّ الخَيْلَ فى نواصيها الخيْرُ إلى يوم القيامَة

وقام بتَبُوكَ إلى فرسه الظَّرِب فعلَّق عليه شَعِيرَه ومَسَح ظهره[2] بردائه

غزوة أكيدر بدومة الجندل

ثم كانت غزوةُ أُكيْدِرَ بدُومَة الجَنْدل بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد من تبوكَ فى أربعمائة وعشرين فارساً — إلى أُكيْدرِ بن عبد الملك بدُومة الجنْدل ، فى رجَب ، وهى على ليالٍ من المدينة . وكان أُكيدر من كِنْدةَ قد مَلَكهُمْ ، وكان نَصْرَانيًا . فقال خالد : يا رسولَ الله ! كيف لِى به وهو وَسَط بلاد كلْب ، وإنما أنا فى أُناسٍ يسيرٍ ؟ فقال : ستجِدُه يصيد البَقر فتأْخُذُه ! وقال : فَلَا تقتلْه وَأْتِ[3] به إلىَّ ، فإنْ أَبَى فاقتلوه ! فخرج خالدٌ ، حتى إذا كان من حِصْنِه

(١) مَهْ : كلمة زجر معناها « اكفُفْ »
(٢) فى الأصل : « مسح بظهره »
(٣) فى الأصل : « ولا تقبله وأنت »

بمَنْظَرِ العَين ، وفى ليلةٍ مُقْمِرة صائفَةٍ ، وهو على سطحٍ لهُ من الحرِّ ، ومَعَه امرأته — الرَّبابُ بنت أُنيف بن عامر — ، وقَيْنَتُه تُغَنِّيه وقد شَرِب ، فأَقبلتِ البَقَرُ تَحُكُّ بقرُونها بابَ الحصْنِ . فأَشْرَفت امرأتُه فرأتِ البَقر فقالت : ما رأَيتُ كالليلة فى اللَّحْم ! هل رأيْتَ مثل هذا قطُّ ؟ قال : لا ! قالت : من يترُك هذا ! قال : لا أحَد !

قال أُكَيْدِر : واللهِ ما رأَيتُ جاءتْنا ليلًا بَقرٌ غيرَ تلك اللَّيلة ! ولقد كنتُ أُضَمِّر لها الخيلَ — إذا أَردتُ أَخذَها — شهراً أو أكثر ، ثم أركبُ بالرِّجال وبالآلَة[(١)]

فنزَل فأمر بفرَسِه فأُسرِج ، وأمر بخيْل فأُسرِجت ، وركِبَ معه نفرٌ من أهل بيته : معه أخوه حَسّان ومملوكان له . فخرجوا من حِصنِهم بمَطارِدِهم[(٢)] ، وخيلُ خالدٍ تنْتَظرهم : لا يَصْهَلُ منها فرسٌ ولا يتحَرَّك ، فساعةَ فَصَلَ أخذَتْه الخيْل[(٣)] . وقاتل حسّان حتى قُتِل عند باب الحِصن ، وهرَب المملوكان ومَن كان معَهما . واستَلب خالدُ بن الوليد حسّاناً قَباءَ دِيباجٍ مُخوَّصاً بذهَب[(٤)] ، فبعثَ [به][(٥)] إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مع عمرو بن أُمَيّةَ الضَّمْرِىّ ، فجَعَل المسلمون يَلْمِسونه بأيديهم ويَتعجَّبون منه ، فقال عليهِ السلام : تعْجَبون من هذا ! والذى نفْسى بيَده ، لمَناديلُ سعد بن مُعاذ فى الجَنَّة أحسنُ من هذا !

(١) هذا القول الذى قاله أكيدر ، إنما كان عند رسول الله لما أُقْدِم عليه
(٢) مطارد جمع مِطْرَد : رُمْح قصير تُطعن به الطريدةُ من الوحش فى الصَّيد
(٣) فَصَل : خرَج
(٤) التخويصُ بالذهب : أن يجعَل للشىء صفائح من الذهب على قدر عرض خوص النَّخْل وفى صورته
(٥) زيادة للسياق

وأَسلَمَ حُرَيْثُ [بن عبد الملك ، أخو](١) أُكَيْدِر ، على ما فى يده ، فسُلِّمَ له

فتح الحصن

وقال خالد لأُكَيْدر : هل لك أَنْ أُجيرَكَ من القَتْل حتى آتِيَ بك رسولَ الله على أن تفتَحَ لى دُومَة ؟ قال : نعم ! فانطلَق به فى وَثَاقٍ حتى أَدناهُ من الحِصن فنادَى أهله : افتحوا بابَ الحِصْن ! فأرادوا ذلك ، فأبى عليهم مَصادٌ أخوه ، فقال أُكيدر لخالد : تعْلَمْ وَالله لا يَفْتَحون لِى ما رَأَوْنى فى وَثَاقِك ، فحُلَّ عنِّى ، ولكَ اللهُ والأَمانةُ أَنْ أفتح لك الحِصن إنْ أنتَ صالَحْتَنِى على أهلِه . قال : فإنِّى أُصالِحك على [أهلِ الحِصنِ . قال أُكَيْدِر ،](٢) : إنْ شِئْتَ حَكَّمْتُكَ ، وإن شِئْتَ حَكَّمْتَنى . قال خالد : بَل نَقبَلُ منك ما أعطَيت . فصالَحَه على أَلفَىْ بعير ، وثمانمائة رأسٍ ، وأربعمائة دِرْع ، وأربعمائةِ رُمح — على أن يَنْطلق به وأخيه إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فيَحكُمَ فيهما حُكْمَه . فخلَّى سبيلَه فَفَتَح الحِصن ، ودخلَه خالدٌ وأوْثَق مَصاداً أخا أُكيْدِر ، وأخذ ما صالَح عليه من الإبِل والرَّقيق والسِّلاح

الرجوع بأكيدر إلى المدينة

ثم خرَج قافلًا إلى المدينةِ ومعه أُكَيْدِر ومَصادٌ ، وعلى أُكيدر صَليبٌ من ذَهبٍ ، وعليه الدِّيباج ظاهرٌ ، ومع خالدٍ الخُمُس ممَّا غَنِموا ، وصفِيٌّ خالصٌ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم . وكانت السُّهْمان خمسُ فرائض لكلِّ رجُل معه سِلاح ورِمَاحٌ .

المصالحة

فلمّا قَدِم بأُكَيْدِر ، صالَحه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الجِزْية وخلَّى سبيلَه وسَبيلَ أخيه ، وكتَب لهم أَمَاناً وختَمه بظُفُرِه : لأنَّه لَمْ يكُنْ فى يَدِه خاتَمٌ . وأَهْدَى [أُكَيْدِرُ](٣) إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثَوْبَ

(١) فى الأصل : « حريث أكيدر » ، وهذه الزيادة لا بدَّ منها لسياق الكلام

(٢) هذه الزيادة يوجبها السياق ، ولم أجد الخبر

(٣) زيادة للبيان

حرير ، فأعطاهُ عليًّا فقال : شَقّقْه خُمُراً بين الفَواطِمِ[١] . ونُسْخَةُ الكتاب بَعْد البَسْمَلة[٢] :

كتاب رسول الله لأكيدر

« هذا كتابٌ من محمَّدٍ رسولِ الله لأُكَيْدِرَ ، حين أَجابَ إلى الإسلام وخَلعَ الأنداد[٣] والأصنامَ ، مع خالدِ بن الوَليد سَيْفِ الله فى دُومَةِ الجَنْدَل وأَكْنافِها : أنَّ لهُ[٤] الضَّاحيَةَ[٥] من الضَّحْل[٦] والبُورَ[٧] والمَعَامِىَ[٨] وأَغْفَالَ الأرضِ[٩] والحَلْقَةَ[١٠] والسلاحَ والحافِرَ[١١] والحِصْنَ[١٢] ، ولكم الضَّامِنةُ من النَّخْل[١٣] والمَعِينُ من المَعْمور بعد الخُمُس[١٤] ، لا تُعْدَل

(١) الخُمُر جمع خمار : وهو ما تغطى به المرأة رأسها . والفواطم ، جمع فاطمة

(٢) انظر ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٣٦ ، وكتاب الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام ص ١٩٥ ، وسنعتمد نَصَّهما فيما يلى ، وأكثر شرحُ اللغة عن أبى عبيد

(٣) الأنداد جمع ندّ : وهو المثل ، يريد الأمثال والشركاء

(٤) فى الأصل وفى الأموال : « ولنا » ، وهذا نصّ ابن سعد ، والضمير فى قوله « له » أى لخالد بن الوليد

(٥) قال أبو عبيد : « الضاحية فى كلام العرب كلّ أرض بارزة من نواحى الأرض وأطرافها »

(٦) قال أبو عبيد : « الضحل : القليل من الماء »

(٧) قال أبو عبيد : « البور : الأرض التى لم تحرثْ »

(٨) قال أبو عبيد : « المَعَامِى : البلاد المجهولة »

(٩) قال أبو عبيد : « الأغفال : التى لا آثار بها »

(١٠) قال أبو عبيد : « الحلقة : الدروع ، وبعضهم يجعله السلاح كلّه »

(١١) قال أبو عبيد : « الحافر : الخيل وغيرها من ذات الحافر »

(١٢) قال أبو عبيد : « الحصن : يعنى حصنهم »

(١٣) قال أبو عبيد : « الضامنة من النخل : التى معهم فى المِصْر » ، وقال ابن سعد عن الواقدى : « الضامنة : ما حمل من النَّخْل »

(١٤) قال أبو عبيد : « المعين : الماء الدائم الظاهرُ ، مثل ماء العيون ونحوها . والمعمورُ : بلادهم التى يسكنونها

سارِحتُكم،(١) ولا تعدُّ فارِدَتكم،(٢) ، ولا يُحظَرُ عليكم النبَاتُ (٣) ، ولا يؤخذ منكم إلا عُشْرُ الثبات (٤) . تُقيمون الصلاةَ لوَقتها وتؤتون الزَّكاة بحقِّها . عليكم بذلك العهدُ والميثاقُ ، ولكم بذلك الصِّدقُ والوَفاء . شَهِد الله ومن حضر من المُسلمين »

عودة أكيدر

وعاد أُكَيْدِر إلى حِصنه . وقيل : إنَّه أَسْلم ثم ارتدّ ، فقتَله خالدُ بن الوليد في الرِدَّة . وقيل : لمَّا مَنَع في خلافةِ أبي بَكْرٍ ما كان يُؤَدِّيه إلى رسولِ الله ، أُخْرِج من جَزيرَة العَرَب في دُومَة ، فلَحِق بالجَزيرة(٥) ، وابتَنى بها — [قُرْبَ عَيْنِ التَمْر] —(٦) بناءً سَمَّاه دُومَة

قدوم يحنة بن رؤبة وأهل أيلة

وخافَ أهل أيْـلَةَ (٧) وتَيْماء ، فقَدِم يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ — ومعه أهْل جَرْباء وأَذْرُح — ، وعليه صَليبٌ من ذَهب ، وقد عَقَد ناصيتَه . فلمّا رَأى النبيَّ عليه السّلام كَفَّر(٨) وأَوْمَأ برأسِه ، فأَوْمَأَ إليه : [أَنِ](٩) ارْفَعْ رأسَك ! وكَساه

(١) قال أبو عبيد : « السارحة هي الماشية التي تسرَحُ في المراعي . يقول : لا تعْدَل عن مَرْعاها — لا تمنَع منه — ، ولا تحشر في الصَّدَقةِ إلى المصدِّق ، ولكنها تصدَّق على مياهها ومراعيها »

(٢) الفاردة : الزائدة على فريضة الصدقات . وقال ابن سعد عن الواقدي : « الفارد : ما لاتجب فيه الصدقة » . قال أبو عبيد : « يعني في الصدقة ، أي لا تعدّ مع غيرها فتضمّ إليها ثم تصدّق . وهذا نحو من قوله : (لا يُجمَع بين مُتَفرِّق) »

(٣) في الأصل : « الثياب » ، وهذا نصّ ابن سعد وأبي عبيد

(٤) هذه الجملة غير مثبتة في نص أبي عبيد ولا في نصّ البلاذري ، وهي في الأصل « عشر النَّبَات » ، ونقل ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدي قال : « الثبات : النَّخْل القديم الذي ضرب عروقه في الأرض وثبت » ، ولم يذكر هذا الحرف أحد من أصحاب اللغة فيما أعرفُ

(٥) الجزيرة : هي جزيرة أقور ، وهي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشمل ديار مضر وديار بكر

(٦) زيادة للبيان

(٧) في الأصل : « وائلة »

(٨) كفَّر الذمي والعلجُ لدهقانه وسيِّده : وذلك أن يضع يديه على صدره ثم ينحنيَ ويطأطئ رأسه — قريباً من الركوع — في خضوع وذلة

(٩) زيادة من ابن سعد

بُرْداً ، وأَنْزَلَهُ عِنْدَ بلالٍ . فصالَحَهُمْ عليه السلام ، وقَطَع عَلَيْهِم الجِزيةَ ، فوضَعَ على أَهْلِ أَيْلَةَ ثلاثمائة دينارٍ ، وكانوا ثلاثمائة رجُل . وكَتَبَ لهم بعد البَسْملة[1]

كتابه لأهل أيلة ويحنة بن رؤبة

« هٰذه أَمَنَةٌ[2] منَ الله ومحمَّد النبيّ رسولِ الله لِيُحَنَّةَ بن رُؤْبَةَ وأهل أَيْلَةَ : سفنُهم وسيَّارَتُهم[3] فى البرِّ والبَحر ، لهم ذِمَّة الله وذِمَّة محمدٍ النبيّ[4] ومَنْ كان مَعَهم من أهلِ الشَّأم وأهلِ اليَمَن وأهلِ البَحر . فَمَن أَحْدَثَ[5] منهم حَدَثاً فإنه لا يَحول مالُه دون نَفْسه ، وإنَّه طيِّبٌ لمَنْ أَخذَه من النَّاس . وإنَّه لا يحِلُّ أن يُمْنَعوا ماء يَرِدُونه ، ولا طَريقاً يُريدونه ، من برٍّ أو بحْرٍ . هذا كتابُ جُهَيْم بن الصَّلْت ، وشُرَحْبيل بن حسنَةَ ، بإِذْن رسول الله »

وقال الدُّولابيُّ : أَهْدَى أهلُ أَيْلَةَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم القُلْقاسَ فأَكله وأَعْجَبَه ، وقال : ما هذا ؟ فقالوا : شَحْمَةُ الأرضِ . فقال : إنَّ شَحْمَةَ الأرضِ لَطَيِّبَةٌ !

كتابه لأهل جرباء

وكَتَبَ لأَهْل جَرْباء :

« هذا كتابٌ من محمدٍ النبيّ رسولِ الله لأهل جَرْباء [وأَذْرُح][6] : أنهم آمِنون بأمانِ الله وأمانِ مُحَمَّد ، وأنَّ عليهم مائةَ دينارٍ فى كلِّ رَجَبٍ وافيةً طيِّبةً ، والله كفيلٌ [عليهم][7] »

(١) هذا الكتاب من نصّ ابن إسحاق ، فى سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٠٢ ، وابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٣٧ ، وفى الأموال لأبى عبيد ص ٢٠٠

(٢) فى الأصل : « هذا »

(٣) فى الأصل : « وسارتهم »

(٤) فى الأصل : « رسول الله » ، وبهذا نص كل من ذكرنا آنفاً

(٥) فى الأصل : « ومن أحدث »

(٦) زيادة من ابن كثير ج ٥ ص ١٦ وابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٣٧ وسنعتمد نص ابن سعد فى الخلاف

(٧) زيادة من ابن سعد

كتابه لأهل أذرح

ونُسْخَة كتاب أَذْرُح[١] بعد البَسْمَلة[٢] :

« مِنْ محمدٍ النبيِّ [رسولِ الله][٣] لأهل أذْرُح : أنهم آمِنون بأمانِ الله وأَمَانِ مُحَمد ، وأنَّ عليهم مائة دينارٍ فى كل رَجَبٍ وافيةً طَيِّبَـة ، والله كَفيلٌ عليهم بالنُّصْح والإحْسان للمسْلمين ، ومَن لَجَأَ [إليهم][٤] من المسلمين من المَخَافة ، والتَّعْزير[٥] إذا خَشوا على المسلمين وَهُمْ[٦] آمِنون حتى يُحْدث إليهم محمدٌ قبْلَ خُروجه[٧] »

كتابه لأهل مقنا

وكَتَب لأهْل مَقْنا : أَنهم آمنون بأمانِ الله وأمانِ محمدٍ ، وأنَّ عليهم رُبْعَ غُزولهم ورُبع ثِمارهم[٨]

وكان عُبَيد بن ياسر بن نُمَيْر[٩] ورجل من جُذَام قد قدما بتَبُوك وأسْلمَا ، فأعطاهما ربع مَقْنَا مما يخرج من البحْر ومن الثَّمر من نخلها . ورُبْعَ الغَزْل[١٠] . وأعطى عُبَيد بن ياسرمائةَ ضَفِيرة، [يعنى حلّة[١١]] ، لأنه كان فارساً ، والجُذَاميُّ

(١) فى الأصل : « أدرج »
(٢) فى ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٣٧
(٣) ما بين القوسين فى الأصل وليس فى ابن سعد
(٤) زيادة من ابن سعد
(٥) فى الأصل : « والتغيير » والتعزير : النصرة ، بالسيف والإعانة
(٦) فى الأصل : « فهم »
(٧) قال ابن سعد : « يعنى إذا أراد الخروج »
(٨) ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٣٨ ، وانظر فتوح البلدان للبلاذرى ص ٦٦ قال : « وصالح أهل مقنَـا على رُبْـع عرُوكهم وغزولهم ، (والعروك خشب يصطاد عليه) ، وربع كراعهم وحلقتهم ، وعلى ربع ثمارهم ، وكانوا يهوداً . وأخبرنى بعض أهل مصرَ أنه رأى كتابهم بعينه فى جلد أحمر دارس الخطّ فنسخه ، وأملَّ علىَّ نسخته » . ثم ذكر نص الكتاب
(٩) فى الإصابة : « عبيد بن يسر أحد بنى سعد »
(١٠) فى الأصل : « المغزل »
(١١) لم أجد هذا الخبر فيما عندى من الكتب ، ولم أجد تفسير الضفيرة بأنها الحلة فى كتب اللغة ، وإنما هى ضفائر الشعر والصوف ، ولعله أراد أن الضفيرة الواحدة من الصوف تكفى أن يتخذ منها حلة

راجلاً. ثم قدما مَقْنا وبها يهود، فكانت تقومُ على فرسه، وأعطاها سِتّين ضَفيرةً من ضَفائرِ فَرَسه . وأهْدى عُبَيْد للنبىِّ صلى الله عليه وسلم فرساً عَتيقاً يُقال له مُراوِح، وقال: إنه سابِقٌ! فأجرى عليه السّلام الخيلَ بتَبوكَ فسَبَق الفرسُ، ثم أَعطاه المِقْداد بن عمرو

تحريم النُّهبة

ومرَّ عليه السلام بتَبُوكَ لحاجَته ، فرأى أُناساً مجتمعين على بعير قد نَحَرَه رافع بنُ مَكِيثٍ الجُهَنِىّ، وأَخَذ منه حاجَتَهُ، وخَلَّى بين الناس وبينَه، فأمر أن يردَّ رافعٌ ما أخذه وما أَخَذَ النَّاس ثم قال: هٰذِه نُهبَةٌ[1] لا تَحِلُّ! قيل : يا رسولَ الله! إن صاحبَه أَذِنَ فى أَخْذِه! فقال: وإنْ أذن فى أَخْذه

أفضل الصدقة

وقال له رجل: أىُّ الصَّدَقة أفْضَلُ؟ قال: ظِلُّ خِباءٍ فى سبيل الله، أو خِدْمة خادم فى سبيلِ الله، أو طَرُوقَة فَحْلٍ[2] فى سبيل الله

وقال بتبوك: أَقْطَعُوا قَلائدَ الإِبل من الأوتار . قيل: يارسول الله! فالخَيْل قال: لا تُقَلِّدُوها بالأوتار

الحرس بتبوك

وكان قد استَعْمل على حرسه بتبوك عبَّاد بن بشر . وكان يطوفُ فى أصحابه بالعَسْكَر مُدَّة إقامتِه عليه السـلام . فسمع صوتَ تكبيرٍ من وَرَائِهم فى ليلة ، فإذا هُوَ سِلْكَان بن سَلَامة خرج فى عشرة على خُيُولهم يحرُسُون الحرَسَ، فقال

(١) قد مضى تفسير « النهبة » فى ص ٣٣٠ ، وكأنى قد أخطأت تفسيرها هناك ، فانى رأيت فى مادة (خطف) من اللسان ج ١٠ ص ٤٢٣ ، أن النبىَّ صلى الله عليه وسلمَ نهى عن المجثّمة والخَطْفَة . وقال فى تفسيرها : هى ما اختطفه الذئب من أعضاء الشاة وهى حيَّة . لأن ما أبين من حىّ فهو ميّت ... .. قال : وكل ما أبين من الحيوان وهو حىّ من لحم أو شحم فهو ميت لا يحلُّ أكله ، وذلك أنه لما قدم المدينة رأى الناس يَجُبّون أسنمة الإبل وأليات الغنم ويأكلونها . والخطفة المرة الواحدة فسمى بها العضو المختطف ، فلعل المراد هناك فى ص ٣٣٠ هو الخَطْفة ، والنهبة مثل الخطفة فى المعنى ، ولو لم يذكره أصحابُ اللغة ، أما هنا فالمعنى مختلف . ولم أجد من شرح هذا الحرف ، وأنا لا أفتات على حكم من أحكام رسول الله بالرأى ، إذ لا علم لى بمراده

(٢) طروقة فحل : هى الناقة بلغت من السنّ أن يضربها الفحل للنتاج

صلى الله عليه وسلم : رَحِمَ اللهُ حَرَسَ الحَرَسِ فى سبيل الله ، فلكم قيراطٌ من الأجْرِ على مَنْ حَرَستم من النّاس جميعاً أو دابّةٍ

وفد بنى سعد هذيم

وقدم من بنى سَعْد هُذَيْمٍ قومٌ فقالوا : يارسولَ الله ! إنا قَدِمْنا عليك وتركْنا أهلنا على بِئْرٍ لَنَا قليلٌ ماؤُها ، وهذا القَيْظُ ، ونحن نخاف إنْ تفرّقْنا أنْ نُقْتَطَع ، لأنَّ الإسلامَ لم يَفْشُ حَوْلَنَا ، فادْعُ اللهَ لنا فى مائِنا ، فإنا إنْ رَوِينا به فلا قَوْمَ أعزَّ مِنّا ، لا يَقْرَبُنَا أحدٌ مُخالفٌ لديننا ! فقال : أبغونى حُصَيّاتٍ ! فَدُفِعَ إليه ثلاثُ حُصَيّاتٍ فعَرَكَهُنَّ بيَده ، ثم قال : أذهَبوا بهـذه الحُصَيّات إلى بئْرِكم فاطْرحوا واحدةً واحـدةً وسمّوا الله . فانصرفوا ، ففعَلوا ذلك فجاشَتْ بِئرُهُم بالرَّوَاءِ(١) ، ونفَوْا(٢) من قارَبهم من المشركين ووَطِئوهم . فما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حتى أوْطأُوا مَنْ حَوْلَهم غَلَبَةً(٣) ودانوا بالإسلام

الصيد فى تبوك

واستأذَنَه رافع بن خَديج فى الصّيد فقال : إنْ ذَهَبْتَ فاذهَبْ فى عِدّةٍ من أصحابك ، وكونوا على خيلٍ ، فإنكم مُتَفرِّقون من العسكر . فانطلقَ فى عشرةٍ من الأنصار فيهم أبو قتَادة — وكان صاحبَ طَرْدٍ بالرُّمحِ ، وكان رافع رامياً — وأتوا بخَمسة أحْمِرة وظباء كثيرةٍ . فأمر عليه السلام رافعاً فجَعَلَ يُعْطِى القبيلةَ بأسْرِها الحمارَ والظّبْىَ حتى فرّقَ ذلك ، وصار لرسولِ الله ظبىٌ واحد ، فطبَخَه ، ودَعا أضيافَه فأكلوا

آية الطعام يوم تبوك

وكان عِرْباض بن سارِيَةَ يَلزَمُ بابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى الحَضَر والسَّفَر ، فرجع ليلةً من حاجته بتَبوكَ — وقد تَعَشّى عليـه السلام ومَن معه من أضْيافه ، وهو يُريد أن يدخُلَ قُبّته على أمّ سَلَمَة — فلما رأى العِرْباضَ سأله

(١) الرواء : الماء الكثير

(٢) فى الأصل « ولعوا »

(٣) أوطأه غلبة : أى وطئه بها فغلبه وقهره

عن غَيْبَتِه فأخبره . ثم جاء جِعَالُ بن سُرَاقة وعبدُ الله بن مُغَفَّل المُزَنِيُّ — وهم ثلاثتهم جِيَاعٌ — ، فطلَب عليه السلامُ فى بَيْته شيئاً يأكلُه فلم يَجِدْه ، فنادى بلالًا : هل من عَشاء لهؤلاء النَّفَر ؟ فقال : لا ، والَّذى بَعَثك بالحقِّ ، لقد نَفَضْنَا جُرُبَنَا وحُمُتَنَا[1] ! قال : أنظر ، عَسى أن تَجِدَ شيئاً ! فأخَذَ الجُرُبَ يَنْفُضُها جِراباً جِراباً ، فتقعُ التَّمرةُ والتَّمرتانِ ، حتى أجتمع سَبْعُ تَمَراتٍ . فوَضَعها عليه السلام فى صَحْفَةٍ وسَمَّى الله ، ثم قال : كلُوا بِاسْمِ الله ! فأكلوا . وأحْصَى عِرْباضٌ أربعاً وخمسين تمرةً أكلَها يَعُدُّها ونوَاها فى يده الأخرى ، وأكل كلُّ واحدٍ من الآخَرَيْن خمسين تمرةً ، ورَفَعوا أيديَهم ، فإذا التَّمراتُ السَّبْعُ[2] كما هى ، فقال : يابلال ! أرفعْها فى جِرابك ، فإنَّه لايأكل منها أحدٌ إلَّا نَهِلَ شِبَعًا ! فباتَ الثلاثةُ حول قُبَّة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقام يَتَهَجَّدُ على عادتِه ، فلما صلَّى بالنَّاس الصُّبحَ جَلس بفِناء قُبَّتِه ، وحولَه عشرة من القُرَاء ، فقال ، هَل لكم فى الغَداء ؟ فقال ، عِرباضٌ فى نفسه : أىُّ غَداء ؟ فدَعا بلالًا بالتَّمْر فوضَعَ يَدَه عليه فى الصَّحْفَـةِ ثم قال : كلُوا باسْمِ الله ؟ فأكلوا حتى شَبِعوا ، وإذا التَّمرات كما هى ، فقال عليه السلام : لولا أنِّى أسْتَحْيِى من رَبِّى لَأكلْنا من هذه التَّمرات حتى نَرِدَ المدينةَ مِن آخِرِنَا ! وأخَذَ التَّمرات فدفعها إلى غُلَيِّمٍ ، فولَّى الغُلام يَلوكُهنَّ

موت ذى البجادين

وماتَ بتبوكَ عبدُ الله [بن عبد نُهْمٍ المُزَنِىُّ][3] ذو البجادَيْن[4] ، فنزلَ

---

(١) جُرُب جمع جراب : والجراب وعاء من إهاب الشاء ، لايُوعى فيه إلا يابس كالتمر وما شاكله ، والحُمُت جمع حَمِيت : والحميت وعاء أو زِقٌ صغير من الجلد لا شعر عليه يجعل فيه السمن الذى مُتِّن بالرُّبِّ

(٢) فى الأصل : « فاذا السبع التمرات »

(٣) زيادة للايضاح

(٤) البجادُ . الـكساء الغليظ الجافى . وسبب تلقيبه بذلك : أنه كان يتيما فى حجر =

صلى الله عليه وسلم قبْره عِشاء وهَيَّأَهُ لِشِقِّهِ[١]، وقد دَلّاه أبو بكر وعمرُ رضى الله عنهما . ثم قال : اللّهُمَّ إنى قد أمْسَيْت عنه راضياً فأرضَ عنه ! فقال عبد الله ابن مسعود : يا ليتني كنتُ صاحبَ هذا اللّحْدِ

مدة الإقامة بتبوك

وأقامَ عليه السلام بتبوكَ عشرين ليلةً — وقيل : بضع عشرة ليلةً — يُصَلِّى ركعتين

العُسْرة والجوع وآية النبوّة

فلما أجْمَع المَسيرَ أرْمَلَ النَّاس[٢] إرْمالًا شَديداً ، فشَخَص على ذلك ، حتى استأْذَنوه أن يَنْحَروا رِكابَهم فأذِنَ لهم . فلقيهم عمر رضى الله عنه وهُمْ على نَحْرِها ، فأمَرَهم أن يُمسكوا ، ودَخَل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : أذِنْتَ للنَّاسِ فى حَمولتِهم[٣] يأكلونَها ؟ فقال : شَكَوْا إلىَّ ما بَلَغ منهم من الجوع فأذنت لهم ، تَنْحرُ الرُّفْقَةُ البعيرَ والبعيرين ، ويَتَعاقبون فيما فَضَل من ظَهْرِ ، هُمْ قافلون إلى أهْليهم ! فقال : يا رسولَ الله ! لا تفْعَلْ ، فإن يَكُ فى النَّاس فَضْلٌ من ظَهْرِهم يَكُنْ[٤] خيراً ، ولكن أدعُ بفَضْلِ أزْوَادهم ، ثم أجْمَعْها فادعُ الله فيها بالبَرَكة — كما فعلتَ فى مُنْصَرَفِنا من الحُدَيْبية حيث أرْمَلْنا — ، فإنَّ الله مستجيبٌ لكَ ! فنادى مُناديه : من كان عنده فَضْلُ زادٍ فَلْيأْتِ به ! وأمرَ بالأنْطاع فبُسِطَتْ ، فجعلَ الرَّجل يأتى بالمُدِّ الدقيقِ والسَّويقِ أو التَّمْر ، أو القَبْضَة من الدَّقيق والسَّويق والتَّمر ، والكِسَرِ ، فيوضَع كلُّ صِنْفٍ على حِدَةٍ ، وكلُّ

= عمه وكان محسناً له ، فبلغ عمّه أنه أسلم فنزع منه كل شىء أعطاهُ حتى جرّده من ثوبه . فأتى عبد الله أمّه فقطعت له بِجاداً باثنتين ، فاتّزر نصفاً وارتدى نصفا ، ثم أصبح فهرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له صلى الله عليه وسلم : أنت عبد الله ذو البجادين ! فالتزمْ بابى . فلزم بابه صلى الله عليه وسلم .

(١) الشّقّ : الجنبُ ، يقول : أضجعه لجنبه فى قبره

(٢) أرْمَل القومُ : نفد زادهم ، كأنه لم يبق لهُم من طعامِهم إلا الرملُ

(٣) الحَمولة : من الإبل التى تحمل الأثقال على ظهورها

(٤) فى الأصل : « يكون »

ذلك قليلٌ . فكان جميعُ ما جاؤُا به من الدقيق والسَّويق والتَّمر[١] ثلاثة أفْرُق حَزْراً[٢] . ثم توضَّأ وصلّى ركعتين ودَعا الله ، ونادى مناديه : هَلُمُّوا إلى الطَّعام خُذُوا منه حاجَتَكم ! فأقبل الناسُ فجَعَلَ كلٌّ من جاء بوِعاء مَلَأه ، فقال بعضهم : لقد طَرَحتُ يومئذ كِسْرَةً من خُبْز وقَبْضَة من تَمْر ، ولقد رأيتُ الأَنْطاعَ تَفيضُ ، وجئتُ بجِرابَيْن فملأتُ أحدهما سَويقاً والآخرَ خُبْزاً ، وأخذتُ في ثوبى دقيقاً ما كفانا إلى المدينة . فجعل النَّاس يتزوَّدون حتى نَهِلوا من آخرِهم ، حتى كان آخرَ ذلك أن أُخِذَت الأَنْطاع ونثِرَ ما عليها . فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَقولُ وهو واقفٌ : أشهدُ أن لا إلٰهَ إلّا اللهُ وأنّى عبدُه ورسولُه ، وأشْهَد أنَّه لا يقولُها أحدٌ من حَقيقَةِ قلْبِه إلّا وَقاهُ الله حَرَّ النَّار

خبر النهى عن الماء وخلاف المنافقين

وأقْبَلَ قافلًا حتى كان بين تَبوك ووادٍ يقال له وادى النَّاقَة[٣] — وهو وادى المُشَقَّق[٤] ، وكان فيه وَشَلٌ[٥] يخرُج منه فى أسْفَله قَدْرُ ما يرْوِى الراكبين والثَّلاثة — فقال : من سَبَقنا إلى ذلك الرمْل فلا يَسْتَقِيَنَّ منه شَيْئاً حتى نأْتى . فسَبَق إليه أربعةٌ من المنافِقين : مُعَتِّب بن قُشَيْر ، والحارثُ بن يزيد الطَّائِىُّ حَليفُ بنى عمرو بن عَوْف[٦] ، ووَديعة بن ثابت ، وزَيْد بن اللُّصَيْتِ ؛ فقال عليه السلام : أَلَمْ أَنْهَكُم ؟! ولعَنَهم ودَعا عليهم . ثم نزَلَ فوضع يدَه فى الوَشَلِ ، ثم مَسَحه بإصْبَعِه حتى اجتمع منه فى كفِّه ماءٌ قليل ، ثم نَضَحَه به ؛ ثم مَسَحه

(١) فى الأصل : « والسمن » ، والذى أثبتناه هو قضاءُ السياقِ
(٢) أفرُق جمع فَرَق : وهو مكيال ضخم لأهل المدينة يسع ستة عشر رطلا . وفى الأصل : « أفراق » ، وجمع الفرق : أفرُق ثم فُرقان
(٣) لم أجد من سمى هذا الوادى « وادى الناقة » فى غير هذا الكتاب
(٤) فى الأصل : « النقنق »
(٥) الوَشَل هنا : الجبَل أو الصخر يقطر منه الماء قليلا قليلا ، وهو فى غير هذا : الماء القليل يتحلب قليلا قليلا من جبل أو صخرة
(٦) لم أجد ذكر الحارث بن يزيد هذا

بيَدِه ، ثم دَعا بما شاء الله أن يدعو ، فانْخرَقَ[1] الماء . قال مُعاذ بن جَبَل : والذى نفسى بيده ! لقد سَمِعْت له من شدّة انْخِراقه مثْلَ الصّواعق ! فشربَ النّاس ما شاءُوا ، وسقَوْا ما شاءُوا . ثم قال عليه السلام : لَئِنْ بَقِيتُم — أو مَنْ بَقِىَ منكم — لتَسْمَعُنّ بهذا الوادى وهو أَخْصَبُ ما[2] بيْنَ يدَيْه وما خَلْفَهُ ! فقال سَلَمة بن سَلامة بن وَقْش لوَديعةَ بن ثابت : وَيلَك[3] ! بعدَ ما ترَى شىء[4] ؟ أما تعْتَبِر ! فقال : قد كان يفْعَلُ مثلَ هذا قبلَ هذا !

خبر أبى قتادة

ثم سارَ عليه السلام . وعن أبى قتَادة قال : بينما نحن فى الجَيْش نسيرُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلًا — وهو قافلٌ وأنا معه — إذْ خَفَق خَفْقَةً[5] وهو على راحِلته فمَال على شقّه ، فدَنَوْتُ منه فدَعَمْتُه[6] فانْتَبَه ، فقال : مَنْ هذا ؟ قلت : أبو قتَادَة يارسولَ الله ! خِفْتُ أنْ تَسْقُطَ فدَعَمْتُك ! فقال : حَفِظَك الله كما حَفِظْتَ رسولَه ! ثم سار غيرَ كبيرٍ ثم فَعل مثلها ، فأدْعَمُه فانْتبَه ، فقال : يا أبا قَتادة ! هلْ لكَ فى التّعْريس ؟[7] فقلت : ما شئْتَ يا رسولَ الله ! فقال : انظُر ، مَنْ خَلْفك ؟ فنظَرتُ فإذا رجُلان أو ثلاثةٌ ، فقال : ادْعُهُم ! فقلت : أجيبوا رسول الله ! فجاءوا فعَرّسْنا ، ونحن خمسةٌ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعى إداوَة فيها ماء . فنِمْنا فما انْتَبَهنا إلّا بحرّ الشمس ، فقلتُ : إنّا لله ! فاتَنا

التعريس

النوم عن الصلاة

(١) انخرق الماء : انشقّ واتسع واندفق فى جيشانه ، هذا مجاز الحرف وليس فى كتب اللغة

(٢) فى الأصل : « بما »

(٣) فى الأصل : « وتلك »

(٤) فى الأصل : « شيئا »

(٥) خفق : نام نومة خفيفة فحرّك رأسه من مسّ النوْم

(٦) دعَمه يدعَمُه : أسنده

(٧) التعريس : نزولُ القوم فى السفر من آخر الليل ، يقعون فيه وقعة للاستراحة ، ثم ينيخون وينامون نومة خفيفة ، ثم يثورون مع انفجار الصبح سائرين . عرّس القوم : فعلوا ذلك

الصُّبح ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَنَغيظَنّ الشيطانَ كما غاظَنَا ! فتوضّأ من ماء الإداوَة ففَضَل فَضْلةٌ ، فقال : يا أبا قتادة ! احتفِظ بما فى الإداوَة والرَّكْوَةِ[1] فإن لهما شأناً . ثم صلّى بنا الفَجْر بعد طُلوع الشمس ، فقرأ بالمائدة . فلمّا انصَرَفَ من الصلاةِ قال : أما إنّهم لو أطاعوا أبا بكرٍ وعُمَر رَشِدُوا ! وذلك أنّهما أرادا أن ينزِلا بالجَيْش على الماء فأبَوْا ذلكَ عليهما[2] ، فنَزَلوا على غيرِ ماء بفَلاةٍ[3] من الأرض . فركبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلَحِقَ الجيشَ عند زَوَالِ الشمس — ونحنُ معه — ، وقد كادَتْ تقْطَع أعناقَ الرِّجال والخيلِ والرِّكاب عَطَشاً ، فدعا بالرَّكْوة فأفْرغ ما فى الإداوة فيها ، فوضَعَ أصابعَه عليها فَنبَعَ الماء من بين أصابعه . وأقْبل النّاسُ فاستَقَوْا ، وفاضَ الماء حتى تَرَوَّوْا وأرْوَوا خَيْلَهم ورِكابَهم ، وإنْ كان فى العسكر اثنا عشر ألف بعير — ويقال خمسة عشر ألف بعيرٍ — ، والنّاسُ ثلاثون ألفاً ، والخيلُ عشرة آلافِ فرسٍ . وذلك قولُ النبى صلى الله عليه وسلم لأبى قتَادة : احتفظ بالرَّكْوةَ والإداوة

ظما الجيش بتبوك

آية الماء

آيات النبوة فى الماء ، بتبوك

وكان فى تَبوكَ أربعةُ أشْباهٍ[4] : فَبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يَسيرُ منحدراً إلى المدينة — وهو فى قَيْظٍ شديد — عَطِشَ العَسْكر بعد المرّتَيْن الأُولَيَيْن عطَشاً شديداً ، حتى لا يوجد للشَّفَة ماء قليل ولا كثيرٌ ، فشكوْا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل أُسَيْدَ بن حُضَيرٍ — فى يوم صائفٍ ، وهو مُتَلَثّمٌ — ، فقال : عسى أن تجد لنا ماء ! فخرج أُسَيد — وهو فيما بين الحِجْر وتَبُوكَ — فجعل يضرب فى كل وجهٍ ، فيجدُ راوِيَةً من ماء مع امرأة من بلِيٍّ ،

(١) الرَّكوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء
(٢) فى الأصل : « عليك عليهما » فحذفنا « عليك » فانها سبق قلم من الناسخ
(٣) فى الأصل : « بقلادة » ، والفلاة : الأرض الواسعة لا ماء بها ولا أنيس
(٤) فى الأصل : « أشيا » وهذه أقرب ، يريد الآيات المتشابهة فى أمر الماء

فكلَّمها وخبَّرها خبرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : هٰذا الماء ، فأنطلق به ! فدَعا فيه صلى الله عليه وسلم بالبَرَكة ، ثم قال : هَلُمُّوا أسْقِيَتَكم ! فلم يبق معهم سِقاء إلا مَلَأُوه ، ثم دعا برِكابهم وخيولِهم فسقَوْها حتى نَهِلَتْ . ويقال إنه صلى الله عليه وسلم أمر بما[1] جاء به أُسيدٌ فصبَّه[2] فى قَعْبٍ عظيم من عِساسِ[3] أهلِ البادية ، فأدخَل فيه يديه وغسَل وجهَه ويديه ورجليه ، ثم صلَّى ركعتين ، ثم رفع يديه مَدًّا ، ثم أنصرف وإن القَعْبَ لَيفور . فقال الناس[4] : رِدُوا ! فاتَّسع الماء وانبَسَط للنَّاس ، حتى يَصُفُّ عليه المائةُ والمائتَان ، فأروَوْا وإن القَعْب ليَجِيشُ بالرَّواء . ثم رَاحَ مُبْرِداً مُتَرَوِّيا[5] من الماء

كيد المنافقين بالقاء رسول الله من الثنية

ولما كان صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مَكَرَ به أُناس من المنافقين ، وأئتَمَروا[6] أن يَطْرحوه من عَقَبَة . فلما بلَغ تلك العَقَبة أرادوا أن يسلُكوها معه فأُخبِرَ خبَرَهم ، فقال للناس[7] : أسلُكوا بَطْنَ الوادى فإنه أسهلُ لكم وأوسعُ ! فسلك الناسُ بطنَ الوادى . وسلَك صلى الله عليه وسلم العَقَبة ، وأمر عَمَّار بن ياسر أن يأخذَ بزِمام الناقة يقودُها ، وأمر حُذَيفة بن اليَمان يسُوق خَلفه . فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسير فى العَقَبة ، إذْ سَمِع حِسَّ القوم قد غَشُوه ، فغضِب وأمر حذَيفة أن يَرُدَّهم ؛ فرجع إليهم فجعل يضربُ وجوهَ رواحلهم بمِحْجَن فى يدِه ، فأنْحَطُّوا من العقبة مُسْرعين حتى خالطوا الناسَ ، وأتى حذَيفةُ فساقَ

---

(١) فى الأصل : « بماء »

(٢) فى الأصل : « وصبَّه » ، » والفاء هنا هى وجه الكلام

(٣) العساسُ جمع عُسّ : قدح عظيم ضخم يروى العدة من الناس

(٤) فى الاصل : « فقال الناس »

(٥) المُبْرِدُ من قولهم « أبرد القوم » : دخلوا فى آخر النهار ، وساروا حين ينكسر حرُّ الظهيرة ويبوخ . والمتروّى : الذى أخذ كفايته من الرِّىّ والماء

(٦) هذه الكلمة غير واضحة فى الأصل مختلطة الحروف مجمجة بالقلم

(٧) فى الأصل : « فقال الناس »

به . فلما خرج من العقبة ونزل الناسُ قال : يا حذَيفة ! هل عرفتَ أحداً من الرَّكْب الذين رَدَدْتَهم ؟ قال : يارسول الله ! عرفتُ راحلةَ فلان وفلان ، وكان القومُ مُتَلَثِّمِينَ فلم أعرفهم من أجل ظُلْمة الليل

التقاط ما سقط من المتاع

وكانوا قد أنفَرُوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فَسَقَطَ بعضُ متاعِ رحله ، فـكان [(١)] حمزةُ بن عمرو الأسلميّ يقول : فنُوِّرَ لى فى أصابعى الخَمْسِ [(٢)] ، فأضاءت حتى كنَّا نجمع ما سَقط ، السَّوطَ والحَبْلَ وأشباهَهما ، حتى ما بقى من المتَاع شىء إلا جَمعناه . وكان [حمزةُ بن عمرو الأسلمىّ] [(٣)] قد لحقَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة

أمر المنافقين

فلما أصبح [رسول الله صلى الله عليه وسلم] [(٣)] قال له أُسيد بن الحُضير : يا رسولَ الله ! ما منعَك البارحةَ من سُلوك الوادى ، فقد كان أسهل ؟ فقال : يا أبا يَحيَى ! أتدرى ما أراد البارحةَ المنافقونَ وما همُّوا به ؟ قالوا : نتَّبعُه فى العَقبة ، فإذا أظلم الليل عليه قطعوا أنْسَاعَ راحِلتى ونخَسُوها حتى يطرحونى عن راحلتى !

مشورة أسيد بن حضير بقتل المنافقين

فقال أُسَيد : يا رسولَ الله ! فقد اجتَمع الناسُ ونزلوا ، فَمُرْ كلَّ بَطْنٍ أن يقتُل الرَّجل الذى هَمَّ بهذا ، فيكون الرجل الذى يقتُله من عشيرته ، وإن أحْبَبتَ فنبئْنى بهم ، فوالذى بعثَك بالحقِّ لا تبرحُ [(٤)] حتى آتيك برُءوسِهم ، وإن كانوا فى النَّبِيتِ [(٥)] كَفَيْتُـكَهُمْ ، وأمَرْتَ سيدَ الخَزْرَجِ فـكفاكَ مَن فى ناحيته ، فإن مِثْلَ هؤلاء لا يُترَكون ! يا رسول الله ! حتى مَتى نُدَاهِنُهمْ ؟ وقد صارُوا اليومَ

(١) فى الأصل : « وكان » ، والفاء هنا أتمّ للمعنى
(٢) فى الأصل : « الخمسة »
(٣) زيادة للبيان
(٤) فى الأصل : « وإن أحببت — والذى بعثك بالحق — فنبئنى بهم ، فلا تبرح .. » والذى كتبناه هو ترتيب القسم من العبارة
(٥) يعنى من الأوس ، والنبيت هو لقب عمرو بن مالك جد الأوس

فى القِلة والذِّلّة وضَرْبَ الإسلام بجِرَانه ؟! فما تَستَبقى من هؤلاء ؟ قال : يا أسيد ! إنى أكرَه أن يقولَ الناسُ إن محمّداً — لما انقضَت الحرب بينه وبين المشركين — وَضَع يدَهُ فى قتل أصحابه ! فقال : يا رسول الله ! وهؤلاء ليْسوا بأصحابٍ ! قال : أوَ ليْسَ يُظْهرون شهادة ألاّ إلٰه إلا الله ! قال : بَلَى ! ولا شهادة لهم ! قال : أوَ ليس يُظْهرون أنى رسول الله ؟ قال : بلى ! ولا شهادة لهم ! قال : فقَدْ نُهيتُ عن قَتل أُولئك

عدة أهل العقبة أصحابِ الكيد

وكان أهلُ العَقَبة — الذين أرادوا ما أرادوا — ثلاثةَ عشر رجلًا ، قد سمّاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لحُذَيفة وعَمّارٍ . وقيل : أربعة عشر ، وقيل : خمسة عشر ، وقيل : اثنى عشر ، وهو الثَّبْت . وقال ابن قُتَيْبَة : إنّ الذين هَمّوا بالنبىّ صلى الله عليه وسلم[1] عبدُ الله بن أُبَىّ [ابن سَلول][2] ، وسَعْدُ بن أبى سَرْح : [وهو الذى كان يَكتُبُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم مكان « غفور رحيم » ، « عزيز حكيم »][2] ، وأبو حاضِر الأعْرابىُّ ، والجُلَاس بن سُوَيد [بن صامت][2] ، ومُجمِّع بن جارية[3] ، ومُلَيْح التَّيْمِىّ[4] : [وهو][2] الذى سَرَق طيب الكَعْبة وارتَدّ [عن الإسلام][2] وانطَلَق فلا يُدْرَى أين ذَهب ، وحُصَيْن ابن نُمَيْر : [وهو الذى أغارَ على تمرْ الصَّدَقةِ فسرقَهُ][2] ، وطُعَيْمة بن أُبَيْرق ، ومُرَّة بن ربيع ، [وكان أبو عامرٍ رَأْسَهم ، وله بنَوْا مسْجِدَ الضِّرارِ ، وهو

---

(١) من كتاب المعارف لابن قتيبة (مطبوعة مصر — سنة ١٣٠٠) ص ١١٧ ، و (مطبوعة أوربا) ، ص ١٧٤ ، باب « أسماء المنافقين الذين أرادوا أن يلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنيَّة فى غزوة تبوك » . وكل ما سنثبته من الزيادة بين الأقواس فهو من نص ابن قتيبة

(٢) زيادات من نص ابن قتيبة

(٣) فى الأصل : « محمد بن جارية » ، وفى ابن قتيبة « مجمع بن حارثة » ، والصواب « جارية » ، وهو ابن عامر أحد المنافقين وأحد أصحاب مسجد الضرّار

(٤) فى الأصل : « الثقفىّ »

أبو حَنظلةَ غَسيلِ الملائكة][(١)] . واعترِضَ عليه بأنَّ ابْنَ أُبَيٍّ لم يشهدْ تبوك ، وأن أبا عامرٍ فرَّ عن النبى صلى الله عليه وسلم قَبل هذا[(٢)]

أصحاب مسجد الضرار

وأقبل صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أَوانٍ : — بلدٍ بينه و بين المدينةِ ساعةٌ من نَهارٍ — ، وقد كان جاءه أصحابُ مسْجد الضِّرار[(٣)] ، وهم خمسةٌ : مُعَتِّبُ بن قُشَيْر ، وثعْلَبة بن حاطِب ، وخِذامُ[(٤)] بن خالدٍ ، وأبو حَبيبَة بن الأَزْعَر ، وعبدُ الله بن نَبْتَل بن الحارث ، فقالوا : يا رسول الله ! إنَّا رُسُل مَنْ خَلْفَنا من أصحابِنا ، إنَّا قد بَنَيْنا مسجداً لِذى العِلَّة والحاجةِ واللَّيلة المَطيرةِ واللَّيلة الشَّاتيَّة[(٥)] ، ونحن نُحِبُّ أنْ تأتيَنَا فتصلِّيَ فيــه ! وكان يَتَجَهَّز إلى تَبوكَ ، فقال : إنِّى على جَناحِ سَفَرٍ وحالِ شُغْلٍ — [أو كما قال صلى الله عليه وسلم][(٦)] — ، ولو قَدِمْنا — إنْ شاء الله — أتَيْنَاكم فصَلَّيْنا بِكُمْ فيه

الوحى بخبر المسجد وإرصاده لأبى عامر الفاسق

فلمَّا نزَل بذى أَوانٍ أتاه[(٧)] خبرُ المَسْجد[(٨)] وخبرُ أَهْلِه من السَّماءِ ، وكانوا إنما بنَوْه [يريدون ببنائه السُّوآى ، ضِراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) فى الأصل مكان ما بين القوسين : « وأبو عامر » ، حَسْب

(٢) يعنى يوم أحد ، وانظر ص ١١٥ وص ١٢٣ ، وقد قلت فى ص ٢١٦ أنى لم أجد ذكر أبى عامر الفاسق هذا بعد يوم أحد ، إلا خبر موته عند هرقل ، وذلك عام حجة الوداع وهذا خطأ تورطت فيه عجلا ، فأمر أبى عامر فى مسجد الضـرار ليس يخفى على أصحاب السِّير

(٣) الضـِّرار : ابتغاء الضرر والشقاق بالمخالفة والتنازع ، وكان أصحاب هذا المسجد يريدون ذلك ، فسمى المسجد باسم إرادتهم ، ويسمى أيضاً مسجدَ الشِّقاق

(٤) فى الأصل : « خدام »

(٥) الليلة المطيرة : الكثيرة المطر ، وأما الليلة الشاتية : فمن قولهم : « شتا الشتاء يشتو ويوم شات ، وغداة شاتية : أى شديدة برد الشتاء » . وذلك كقولهم : « يوم صائف ، وليلة صائفة : أى شديدة حر الصيف »

(٦) زيادة من سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٠٦ ، وتفسير الطبرى ج ١١ ص ١٨

(٧) فى الأصل : « أتاه أتاه » مكررة

(٨) فى الأصل : « أتاه خبره » ، وهذا أبين فى السياق

وكفراً بالله ، وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لأبى عامر الفاسـق](١) ، قالوا بينهم : يأْتينا أبو عامرٍ فيتحدَّثُ عندنا فيه ، فإنَّه يقول : لا أستطيع أن آتىَ مسجدَ بنى عَمْرو بن عَوْف ، إنما أصحابُ محمدٍ يَلْحَظونا بأبصارِهم . يقول الله تعالى : « وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » (التوبة : ١٠٧) ، يعنى أبا عامرٍ.

هدم المسجد وتحريقه

فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عاصمَ بن عَدِىّ العَجْلَانِىّ ، ومالكَ بن الدُّخْشُم السَّالمىّ ، فقال : انطَلِقَا إلى هذا المسجدِ الظَّالمِ أهْلُه فاهدِمَاه ثم حَرِّقاهُ . فخرجا سَريعَيْن — عَلَى أقدامِهما — حتى أتَيا مسجد بنى سالم [بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُّخْشُم](٢) ، فقال مالك لعاصم : أنظِرْنِى(٣) حتى أخرجَ(٤) إليك بنارٍ من أهْلِى . فدخل إلى أهْلِه(٥) فأخذَ سَعَفاً من النَّخْلِ وأشْعَل فيه ناراً ، ثم خَرَجا يَعْدُوَان حتى أتَيَاهم بيْن المَغْرِب والعِشاءِ وهُمْ فيه ، وإمامهم مُجَمِّع ابن جارِية ، فأحْرَقاهُ ، — وثبَت من بينهم زَيْدُ بن جارِية بن عامرٍ حتى احترَقَتْ أَلْيَتُه(٦) — ، وهَدَماه حتى وضَعاه بالأرض

هجران أرض المسجد وشؤم أخشابه

فلما قَدِم صلى الله عليه وسلم المدينة عَرَضَ على عاصم بن عَدِىّ المسجدَ يتَّخذه داراً ، فقال : ما كنتُ لأتَّخذَ مسجداً قد نزل فيه ما نَزَل داراً ! فأعطاه ثابتَ ابن أقْرم(٧) . وأخذ أبو لُبابة بن عبد المُنْذِر خَشَباً من مَسْجِد الضِّرار — كان

---

(١) الذى بين القوسين زيادة للسياق من تفسير الطبرى ومن كلامه ج ١١ ص ١٨ . والعبارة فى الأصل : « وكانوا إنما بنوه قالوا بينهم » وهى غير جيدة التركيب

(٢) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٩٠٦ ، وهى يقتضيها السياق كما ترى بعد .

(٣) نَظَرَه ينظُرُه نَظَراً : انتظرَه

(٤) فى الأصل : « حتى أخرج حتى أخرج » مكررة

(٥) فى الأصل : « فدخل على أهله » ، و « إلى » فى هذا المكان هو الحرف الذى تطلبه المعنى

(٦) الأليَةُ : العجيزةُ للناس وغيرهم كالغنم وما شاكله

(٧) فى الأصل : « أقدم »

قد أعانَهم به ، وكان غيرَ مَغْموصٍ عليه فى النِّفَاق — فبَنى به منزلًا لهُ ، فلم يولدْ له فى ذلك البيت مولود ، ولم يَقِفْ فيه حَمَامٌ ، ولم تَحْضُن فيه دجاجةٌ قطُّ

عدّة من بنى مسجد الضرار

وكان الذين بَنَوْا مسجد الضِّرار أثنىْ عشر[١] رجُلا : جاريةُ بن عامر بن مُجمِّع[٢] بن العَطَّاف — وهو حِمارُ الدَّار — ، وأبناهُ[٣] مُجمِّعُ بن جارية ، [وزيد بن جارية][٤] ، ووديعَةُ بن ثابت ، وعبدُ الله بن نَبْتَل[٥] ، وبِجَادُ بن عُثْمان[٦] ، وأبو حَبيبة بن الازْعَر ، ومُعَتِّبُ بن قُشَيْر ، وعَبَّادُ بن حُنَيف ، وثعلبةُ ابن حاطب من بنى أُمَيَّة بن زَيْد ، وخِذامُ[٧] بن خالد من بنى عُبَيْد بن زَيْد أحدُ بنى عمرو بن عوف ، [وبَخْزَجْ من بنى ضُبَيْعة][٨]

من خبر المنافقين أصحاب المسجد

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : زِمَام خير من خِذام ، وسوطٌ خيرٌ من بِجَادٍ ! وكان عبدُ الله بن نَبْتَل يَسْتَمِع حديثَ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ثم يَأْتى به المنافقين ، فقال جبريل : يا مُحمّد ! إنّ رجلا من المنافقين يأتيك فيَسْتمع حديثك ، ثم يذهبُ به إلى المنافقين ! فقال : أيُّهُم[٩] هُو ؟ قال : الرَّجُلُ

(١) فى الأصل : « اثنا عشر » ، وقد عدّ المقريزى عشرة ، فأثبتنا تتمتهم من كتب السير بين القوسين

(٢) فى الأصل : « جارية بن عمرو بن العطاف » ، والذى أثبتناه هو ما اتفقت عليه الرواية فى كتب السِّير والتفسير والتراجم

(٣) فى الأصل : « وابنه » ، وأبدلناها بالمثنى لمكان الزيادة بعد

(٤) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٩٠٧

(٥) فى ابن هشام ج ٢ ص ٩٠٧ : « ونبتل بن الحارث من بنى ضُبَيْعة » ، ولم يذكر « عبد الله بن نبتل »

(٦) فى الأصل : « نجاد »

(٧) فى الأصل : « خدام »

(٨) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٩٠٧ ، وفيه « بحزج » وتفسير الطبرى ج ١١ ص ١٨ ، وفيه « بخدج » ، وتاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٤٨ ، وفيه « بَخزَج » . وهذه الزيادة هى التى تتم بها عدة من بنى مسجد الضّرار

(٩) فى الأصل : « لنهم »

الأسودُ ذو الشَّعَر الكثير ، الأحمرُ العينيين كأنهما قِدْران من صُفْرٍ ، كَبِدَهُ كَبِدِ حِمارٍ ويَنْظُر بعين شيطان

ما نزل فيهم من القرآن

وفيهم نزل قوله تعالى : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ «١٠٧» لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ، لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ » (التوبة : ١٠٧ — ١٠٨)[1] . وأرادوا ببنائه : أنَّهم كانوا يجتمعون فى المسجد فيتناجَون فيما بينَهم ويَلْتفت بعضُهم إلى بعضٍ ، فيَلحَظُهم المسلمون بأبصارهم ، فشَقَّ ذلك عليهم ، وأرادُوا مَسجداً يكونون فيه لا يَغْشاهم فيه إلا مَن يريدون ممّن هُو على مثل رأيهم . وكان أبو عامر يقول : لا أقْدر أن أدخُل مِرْبَدَكم[2] هذا ! وذلك أن أصحاب محمّد يلحظونى وينالُون منى ما أكرَه . فقالوا : نحن نبْنى مسجداً نتَحَدَّث فيه عندنا

المتخلفون عن تبوك

[وقد كان تَخَلَّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطٌ من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهْطُ الثلاثة من المسلمين من غير شكٍّ ولا نفاقٍ : كعبُ بن مالك الأنصارىّ السَّلَمِىّ ، ومُرَارة بن الرَّبيع العَمْرى ، وهلال بن أميَّة الواقفىّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُكلِّمُنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة ؟ فاعتزل

---

(١) فى الأصل : « الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً ، إلى قوله ، والله يحب المطَّهرين »

(٢) المرْبد فضاء وراء البيوت يرتفق به ، فربما حبست فيه الإبل والغنم وغيرها ، وقد جاء فى الحديث أن مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، كانَ مربداً ليتيمين فى حجر معاذ بن عفراء . فجعله للمسلمين ، فبناهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجداً . هذا ولكنّ عدو الله الفاسق كان يسمّى المسجد باسم ما كان عليه أوّلا

المسلمون كلام أُولئك النفر الثلاثة][1] ، وأَجْمَعَ كعبُ بن مالك أن يَصْدُقَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

مقدمه المدينة ودعاؤه

فقدِم صلى الله عليه وسلم المدينة فى رَمَضان ، فقال : الحمدُ لله على ما رَزَقنا فى سَفرِنا هذا من أَجْرٍ وحِسْبَةٍ ، ومن بَعْدِنا شُرَكاؤنا فيه ! فقالت عائشة رضى الله عنها : أَصابكم العُسْرُ[2] وشِدَّةُ السَّفَر ، ومن بعدكم شُرَكاؤكم فيه[3] ! فقال : إنَّ بالمدينةِ لَأَقواماً ما سِرْنَا من مَسيرٍ ، ولا هَبَطْنَا وادياً إلّا كانوا مَعنا ، حَبَسَهُم المرَضُ ، أوَ ليس الله يَقول فى كتابه « وَمَا كَانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً[4] » ؟ فنحن غُزاتُهم وهم قَعَدَتُنا[5] ، والذى نَفْسى بيده[6] ، لَدُعاؤُهم أَنفَذُ فى عدوّنا من سِلَاحِنا !

دخول المسجد والنهى عن كلام المتخلفين

ولما قَدِم بدأ بالمسْجد فركع فيه ركعتين ، ثم جَلَسَ للنَّاس . فجاء المُخَلَّفون ، فجَعَلوا يعتذرون إليه ويحلِفون له ، — وكانوا بضعة وثمانين رجلا — ، فقَبِلَ منهم عَلَانِيَتَهُمْ وأَيْمَانَهُم . وقيل : بل خَرَجَ[7] عامّةُ المنافقين إليه بذى أوانٍ ، فقال : لا تُكلّموا أحداً ممن تخلَّف عنّا ، ولا تُجالسوه حتى آذَنَ لَكُم ! فلم

---

(١) فى الأصل هذه الجملة مفردة وحدها بين كلامين : « وأجمع كعب ... » ولا شكّ أن الناسخ أسقط أسطراً من الأصل فى نقله ، فلذلك أثبتنا ما بين القوسين صلة للكلام وتتمة ، عن ابن هشام ج ١ ص ٩٠٧ وغيره

(٢) فى الأصل : «أصابكم السفر» ، وهو تكرار لا معنى له ، وغزوة تبوك هى غزوة العُسْرة ، فلذلك آثرنا هذا الحرف الذى أثبتناه ، ولعل الناسخ أخطأ لقرب التشابه فى الرسم

(٣) هكذا الأصل ، ولم أجد الخبر ، ولعل الصواب حذف « بعدكم » ، ويكون السياق « فمن شركاؤكم فيه ؟ »

(٤) سورة التوبة : ١٢٢

(٥) القعدة جمع قاعد : وهو الذى قعد عن الغزو ولم يمض إلى القتال

(٦) فى الأصل : « والذى نفسى بيده ، والذى نفسى بيده » مكررة

(٧) فى الأصل : « بالحرج »

المعذرون وقبول أعذارهم

يُكَلِّمُوهم . فلمَّا قدِم المدينـةَ جَاءه المُعَذِّرون (١) يحلفون له ، فأعْرَضَ عنهم وأعْرَضَ المُؤْمِنونَ ، حتى إنَّ الرَّجُلَ لَيُعْرِضُ عن أبيه وأخيه وعمِّه ؛ فجعلوا يأتون النبيَّ صلى الله عليه وسلم ويعتذِرون بالحُمَّى والأسْقام ، فيَرْحَمُهم ويقبَلُ عَلَانِيَتَهم وأيْمَانَهم ، وحَلَفوا فَصَدَّقَهم واسْتَغفَرَ لهم ، ووَكَلَ سَرائرَهم إلى الله

خبر كعب بن مالك (أحد الثلاثة الذين خلفوا)

وجاء كَعْبُ بن مالكٍ إلى رسولِ الله صلى الله عليـه وسلم وهو جالسٌ فى المسجد ، فلما سلَّم عليه تبسَّم تبسُّمَ المُغْضَبِ ثم قال : تَعالَ ! فجاء حتّى جَلَس بين يَدَيْه ، فقال : ما خَلَّفَكَ ؟ ألم تكُن ابتَعْتَ ظَهْرَك (٢) ؟ فقال : بَلى ، يا رسول الله ! والله لو جَلَسْت عند غيرِك من أهلِ الدُّنيا لرَأيْتُ أنِّى سأخرُج من سَخَطِه بعُذْرٍ ، لقد أُعْطيتُ جَدَلا ، ولـكن والله لقد علِمتُ لئِنْ حَدَّثْتُك اليومَ حديثاً كاذباً لِتَرْضَى عنى ، لَيوشِكَنَّ الله أن يَسْخط علىَّ ؛ ولئِنْ حدثْتُك اليومَ حديثاً صادقاً تَجِدُ علىَّ (٣) فيه ، إنى لأرجو عُقْبَى الله فيه . ولا واللهِ ما كان لِى عُذْرٌ ! واللهِ ما كنتُ أقْوى ولا أيْسَرَ منِّى حينَ تخلَّفْتُ عنك ! فقال عليـه السلام : أمَّا أنتَ فقد صدقتَ ! فقُمْ حتى يقضِيَ الله فيك !

فقام وقام معه رجالٌ من بنى سَلِمَة ، فقالوا له : والله ما علِمْنَاكَ كنتَ أذْنَبْتَ ذنباً قبلَ هذا ! ولقد عجِزْتَ ألّا تكونَ اعتذَرْتَ بما اعتذَرَ به المُخَلَّفون ، قد كان كافيَكَ ذنْبَكَ اسْتغفارُ رسولِ الله لك ! حتى كاد أن يرْجِعَ فيُكَذِّبَ نفْسَه ، فلَقِيَه مُعاذ بن جَبَلَ وأبو قَتَادة (٤) فقالا : لا تُطِـعْ أصحابك وأقِمْ على

(١) عَـذَّر الرجل : اعتذر ولم يأت بعُذر ، إلا أنه يتكلف عذراً باطلا ، فالمعذِّرون هم الذين أظهروا العذر اعتلالا يوهمون أن لهم عذراً ولا عذر لهم على الحقيقة

(٢) الظَّهر : الركاب التى تحمل الأثقال فى السفر ، لحملها إياها على ظهورها ، وكل ما يركب ظَهْر

(٣) وَجَدَ عليه يَجِدُ : غضب

(٤) فى الأصل : « وأبا قتادة »

الصِّدْق ، فإنّ الله سيجعلُ لك فرجاً ومَخْرَجاً إن شاء الله تعالى ؛ فأمّا هؤلاء المُعَذِّرون ، فإنْ كانوا صادِقين فسَيَرْضى الله ذلك ويُعلِم نبيَّه ، وإن كانوا على غيرِ ذلك يذُمُّهم أقبحَ الذَّمِّ ويُكَذِّبُ حديثَهم . فقال لهما : هل أتى هذا [أحدٌ] [1] غيرى ؟ قالا : نعم ! رجُلان قالا مثلَ مَقالَتِك ، وقيلَ لهما مثْلُ ما قيل لك ! قال : من هُما ؟ قالوا : مُرارةُ بن ربيع العَمْرِىّ ، وهِلالُ بن أُمَيّة الواقِفِىّ

النهى عن كلام الثلاثة وتمام أخبارهم

ونَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الثَّلاثة من بَين مَن تخلَّفَ عنه ، فاُجْتنَبهم الناسُ وتغيَّروا لهم ، حتى تنكَّرَت لهم أنفسُهم ، فلبثوا على ذلك خمسين ليلة . وقد قعد مُرَارة وهلالٌ فى بيوتهما ، وكَانَ كعْبٌ يخرُجُ فيشْهد الصلوات مع المسلمين ويَطُوفُ بالأسواق ، فلا يُكلِّمه أحدٌ . ويأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — وهو فى مَجْلِسه بعد الصلَوات — فيسلِّمُ عليه ويصلّى قريباً منه يُسَارِقُه النَّظَر ، وهو مُعرِضٌ عنه . وتَسوَّر يوماً جِدَار حائط أبى قتادة — وهو اُبن عمِّه وأَحَبُّ النَّاس إليه — فسلَّم عليه فلم يردَّ عليه السلامَ فقال : يا أبا قتَادة ! أنْشُدُكَ الله ! هل تعلَمُنى أُحبُّ اللهَ ورسولَه ؟ فسكَت ، وكرر ذلك فقال فى الثالثة : الله ورسولُه أعلم ! ففاضَتْ عيناهُ واُنصرف . فلما مَضَتْ أربعون ليلةً بعَثَ إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — وإلى هِلال بن أُمَيّة ومُرارة بن ربيع — مع خُزَيْمَة بن ثَابتٍ يأْمُرُهم أن يَعْتزِلوا نساءهم ؛ فقال كعبٌ لامرأته : اُلْحَقِى بأَهْلِكِ فكونِى عندهم حتى يقضىَ الله فى هذا الأمرِ ما هو قاضٍ !

هلال بن أمية

وبكى هلالُ بن أُمَيّة واُمتنع من الطعام ، ووَاصل اليومين والثلاثة ما يَذُوق طعاماً ، إلا أن يشرَبَ الشَّربةَ من الماء أو الضَّيْح من اللَّبن [2] ، ويصلّى الليلَ .

(١) زيادة من ابن هشام : ج ٢ ص ٩١٠

(٢) فى الأصل : « أو النصيح » ، والضَّيْح والضياح : اللبن — الحليب أو الرائب — يُصب عليه الماء حتى يرق

ولم يخرجْ من بيْته لأن أحداً لا يُكلمُه ، حتى إن الوِلْدَان يهجُرونه لطاعة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . وجاءتْ امرأتُه فقالت : يارسول الله ! إن هلالَ بن أُمية شيخٌ كبيرٌ ضائعٌ لا خادمَ له ، وأنا أرْفَق به مِن غيرى ، فإن رأيتَ أن تدَعَنى أخدُمُه فعلتُ ! قال : نعم ، ولكن لا تَدَعيه يصلُ إليكِ ! فقالت : يارسول الله ! ما به من حركة إلىّ ! والله ما زال يبْكى مُنذ كان من أمره ما كان إلى يومِه هذا ، وإن لِحْيَتَه لتقْطُر دموعاً الليلَ والنهارَ ، ولقد ظهرَ البياضُ على عيْنيه حتى تخوّفتُ أن يذهبَ بصرُه !

التوبة على الثلاثة وما نزل من القرآن

فلما كَمَلت خمسون ليلة — وهم كما قال الله تعالى : « حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَت وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ » (التوبة : ١١٨) — أنزل الله توبتهم بقوله تعالى : « لَقَدْ تَابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ « ١١٧ » وَعَلَى ٱلثَّلَاثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ « ١١٨ » يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ » (التوبة : ١١٧ — ١١٩)[١]، فأعلمَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم بذلك عند الصُّبح . فخرَج أبو بكر رَضىَ الله عنه فأوْفَى على سَلْع[٢] فصاح : قد تابَ الله على كَعْب بن مالك ! يُبَشِّرُه . فأتاه

البصرى

حمزة بن عمْرو فبشَّره ، فنزَع ثوبَيه وكساهما إياه ولا يملك غيرَهما ، وأستعارَ ثوبين من أبى قتَادة فلبسَهما ، ثم انطلق إلى رسول الله والناس يُهنّئُونه . وخرج أبو الأعوَر سعيدُ بن زَيد بن عمرو بن نُفَيل إلى هِلالٍ يبشِّره ، فلما أخبَرَه سجد .

(١) فى الأصل : « والأنصار ، الآيات »
(٢) سلع : جبل بسوق المدينة

ولقيه الناسُ يهنّئُونه ، فما استطاع المشْىَ — لِمَا ناله من الضّعف والحُزْن والبكاء — حتى ركب حماراً . وبشّر مُرَارة بن رَبيع سِلْكان بن سَلامة بن وَقْش ، فأقبلَ حتى تَوَافَوْا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم .

انخلاع كعب من ماله

فقامَ طلحَةُ بن عُبَيد الله يتلقى كعبَ بن مالك . فلما سلَّم على رسول الله صلى عليه وسلم قال له — ووَجهُهُ يبرُق من السرور — : أبْشر بخير يوم مرَّ عليك مُنذُ ولدَتْكَ أمُّك ! فقال : أمِنْ عندِك يا رسولَ الله أو منْ عندِ الله ؟ قال : منْ عندِ الله ! وتلا عليهم الآيات (التوبة : ١١٧ — ١١٩) (١) . فقال كعب : يا رسولَ الله إنَّ منْ توبتى أن أنْخلع من مالى صدقَةً ! فقال : أمْسك عليك [بعضَ] (٢) مالِكَ فهُوَ خيرٌ لك . قال فالثُّلُثَان ! قال : لا . قال : فالنِّصفُ (٣) ! قال : لا . قال فالثلث (٤) ! قال : نعم

ما نزل فى المعذرين الكاذبين

ونزل فى الذين كذَبوا قوله تعالى : « سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ «٩٥» يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ » (التوبة : ٩٥ — ٩٦) (٥)

توهم المسلمين انقطاع الجهاد

وجعل المسلمُون يبيعون أسلحتَهُمْ ويقولون : قد انقطعَ الجِهَاد ! فجَعل أهل القُوَى منهم يَشْتريها لفضْل قُوّته ، فبلَغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) انظر الآيات قبل هذا بقليل
(٢) زيادة لا بد منها انظر ابن هشام ج ٢ ص ٩١٢
(٣) فى الأصل : « بالنصف »
(٤) فى الأصل : « بالثلث »
(٥) فى الأصل : « ... إليهم » إلى قوله « الفاسقين »

فنَهَاهُمْ عن ذلك وقال : لا تَزَالُ(١) عصابةٌ من أُمَّتى ظاهرين يُجَاهدون عَلَى الحقِّ حَتَّى يَخْرُجَ الدجَّالُ

مانزل من القرآن فى تبوك

وأَنْزَلَ الله فى غَزْوَة تَبُوك : « يَاأَيُّهَا الذِين آمَنُوا مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِى سَبِيلِ الله اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرضِ أَرَضِيتُمْ بِالحيَاةِ الدنْيا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحيَاةِ الدنْيَا فِى الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ » (التوبة : ٣٨) (٢) ؛ الآياتِ من سُورة براءة(٣) . وكَشَفَتْ « براءةُ » منهم مَا كان مَسْتُوراً ، وأَبْدَتْ أضغانهم ونفاقَ من نَافَق منهم

وفد ثقيف

وفى شهر رمضان هذا قَدِمَ وَفْدُ ثَقِيفٍ :

إسلام عروة بن معتب

وكان عُرْوةُ بن مُعتِّبِ بن مالك بن كَعْب بن عمرو بن سَعْد بن عَوْف بن ثَقِيف الثَّقَفِىُّ — حين حاصَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الطَّائف — بِجُرَش ، ثم رجَعَ بعد مُنْصَرَفِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فَقَذَفَ الله فى قَلْبِهِ الإسْلام . فقدِمَ المدينةَ بعد رُجوعِ أبى بكر وعُمَر رضى الله عنهما من الحَجِّ ، فيما ذكر عُرْوة بن الزبير ومُوسَى بن عُقْبة . وقيل : بل لحِقَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بين مَكَّةَ والمدينةَ فأَسلم ، وهو قول ابن إسحاق

دعاؤه ثقيف

ثمَّ إنَّه(٤) أراد أن يرجعَ إلى ثقيفٍ فيدعُوهم إلى الإسلام ، فقال له عليه السلام : إنهم إذاً قَاتِلُوك ! [قال : لأنَا أحبُّ إليهم من أَبْكارِ أولادهم ! ثم استأذنه الثانية ، ثم الثالثة ، فقال : إنْ شِئْتَ فاُخرج ! فخرج](٥) ، وعاد إلى

(١) فى الأصل : « لا تزل »
(٢) فى الأصل : إلى قوله تعالى « إلى الأرض »
(٣) سورة براءة هى سورة التوبة ، ولها أسماء كثيرة ، وأكثر هذه السورة نزل فى تبوك
(٤) فى الأصل : « وإنه » ، و « ثم » هنا هى حقّ العبارة
(٥) ما بين القوسين زيادة وتتمة من ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٥٢

الطّائف عِشاء ، فدخَل منزلَه ولم يَأتِ الرَّبَّةَ(١) ، فأنكر قومُه ذلك وأتَوْه منزلَه ، فدعاهم إلى الإسْلام فاتَّهموه وآذَوْه ، وخرَجوا يأْتمرون ما يصنَعُون به . حتَّى إذا طَلَع الفجْرُ أوْفَى على غُرْفةٍ فأذَّنَ بالصَّلاة ، فرَمَاه وَهْبُ بن جابر — ويقال : أوْس بن عَوْف من بنى مالك — فأصَاب أكحَلَه فلم يرْقأْ دَمُه ، ومات . فلمَّا بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَتْلُه قال : مَثلُ عُروةَ مَثلُ صَاحبِ يَاسِين(٢) ، دَعَا قوْمَه إلى الله تعالى فقتَلوه ! ولَحِقَ ابنه أبو مُلَيْح وابن أخيه قاربُ بن الأسْود برسول(٣) الله صلى الله عليه وسلم فأسْلَمَا ، ونزَلا على المُغيرة بن شُعْبَة

موته

مشورة ثقيف (عمرو بن أمية)

وكان عمرو بن أُمَيَّة — أحدُ بَني عِلَاجٍ — من أدْهى العرب ، وكان مُهَاجِراً لعبْد يَاليل بن عمرو ، فمَشى إليه ظُهْراً حتَّى دخَل دارَه ، [ثمَّ أرسلَ إليه : إنّ عمرو ابن أُميَّة يقول لك : اُخرُجْ إليَّ ! فقال عَبْدُ ياليل للرسول : وَيْلَكَ ! أعمرٌو أرْسَلك إليّ ؟ قال : نعم ! وهاهو ذا واقفاً فى دَارك ! فقال : إن هذا شيء ما كنتُ أظُنُّهُ ! لَعَمْرٌو كان أمنعَ فى نفْسِه من ذلك !](٤) فخرج إليه ، فدَعَاه إلى الدُّخول فى الإسْلَامِ ، [وقال له : إنه قد نزَلَ بنا أمرٌ ليستْ معه هِجْرَة ! إنَّه قد كان من أمرِ هذا الرجُل ماقد رأيت ، وقد أسلمتْ العربُ كلّها ، وليست لكم بحربِهِمْ طاقةٌ ، فانظُروا فى أمْرِكم !](٤) . فقال [عبدُ ياليل](٤) : والله قد رأيْتُ ما رأيْتَ ! فَائْتمَرَتْ ثقيف فيمن يُرْسِلُونهُ(٥) إلى النبى صلى الله عليه وسلم ،

(١) الرّبة : هى اللاتُ ، وكانت صخرة تعبدها ثقيف بالطائف ، جعلوا لها بيتاً يسمونه « الرّبة » يُضاهِئون به بيت الله تعالى

(٢) هو الذى يقول فيه الله تعالى : « وجاء مِن أقصى المدينةِ رجل يسعى قال ياقومِ اتبعوا المرسلين » (سورة يس : الآيات من ٢٠ — ٣٠)

(٣) فى الأصل : « يارسول الله »

(٤) هذه الزيادات التى بين الأقواس لا بدّ منها للبيان عن دهاء عمرو بن أميّة ، وعن تأويل قول عبد ياليل بعد ، « والله قد رأيت ما رأيت » . انظر ابن هشام ج ٢ ص ٩١٥

(٥) فى الأصل : « يرسلوه »

وفد ثقيف والأحلاف

حتّى أجْمَعوا على أن يبعثُوا [عَبْدَ يَاليل بن عمرو بن عمير ، ومعـه](١) رَجُلين من الأحْلافِ وثلاثةً من بنى مالك ، فبعثوا : عبدَ يَاليل ، [ومعه](٢) الحـكَم ابن عَمْرو بن وهب بن مُعَتِّب ، وشُرَحْبِيل بن غَيْلَان بن سلَمَة — وهما من الأحْلاف رهْطِ عُروة بن مسعود — ؛ و بعثُوا من بنى مالك : عثمان بن أبى العَاص بن بِشْر ابن عَبْد بن دُهْمان أخَا بنى يَسَار ، وأوْسَ بن عَوْف ، ونُمَيْرَ بن خَرَشَة بن ربيعة ، ستَّةَ نفَرٍ . ويقال إن الوَفْدَ قدْ كانوا بضعةَ عَشَر رجلاً فيهم : سُفْيان بن عَبْدِ الله ، والحـكَم بن عَمْرو بن وَهْب

مقدم الوفد إلى المدينة

فخرجُوا — ورأْسُهم عَبْدُ يَاليل — حتَّى قاربُوا المدينةَ ، فإذَا المُغيرةُ بن شُعْبَةَ يَرْعى فى نَوْبتِه رِكابَ أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم — وكانتْ رِعْيَتُها نُوَبًا على أصحابه — ، فسلَّمَ عليهم وتَرَكَ الرِّكابَ عِنْدَهم ، وخَرَجَ يشتَدُّ يبَشِّر النبى صلى الله عليه وسلم بقُدُومهم ، فبشَّره ثم عادَ إليهم . فأتوْا إلى المَسْجِد فقال الناس : يا رسولَ الله ! يَدخُلون المَسْجِد وهم مُشرِكون ؟ فقال : إنَّ الأرضَ لا يُنَجِّسُها شىءٌ . ثم أنزلهم المغيرةُ فى داره ، وأمَرَ لهم عليه السَّلام بخيْماتٍ ثلاثٍ من حريرٍ فضُرِبن فى المسْجِد ، فكانوا يستَمِعُون القراءةَ بالليل وتهجُّد الصَّحابة ، وينظُرون صُفُوفهم فى الصَّلَوات المكتوبَات ، ويرجعون إلى مَنْزل المُغيرة فيَطْعَمُون ويتَوضَّأُون . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُجْرِى لهم الضِّيافة فى دارِ المُغيرة ، فكانوا لَا يَطْعَمون طعاما يأتيهم من رسولِ الله صلى الله عايه وسلم حَتَّى يأ كلَ منه خَالد بن سَعيدِ بن العاص ، فإنه كان يمشى بينَهُم و بينَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم ، حَتَّى أسْلَموا

ضيافة الوفد

(١) هذه زيادة لا بد منها ، فان عبد ياليل كان سادس الوَفد ورأسهم ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٩١٥ وابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٥٣
(٢) زيادة يقتضيها السياق

بعض اعتراضهم

وكانوا يَسْمَعون خُطبَة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يَسْمعونه يَذْكر نفسَه فقالوا : يَأْمُرُنَا نَشْهَد أنّه رسولُ الله ، ولا يشْهَدُ به فى خُطْبَته !! فلما بلَغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قولُهم قال : أنَا أَوّلُ من شَهِد أنّى رسُول الله ! ثم قامَ فخطَب ، وشَهِد أنه رسولُ الله فى خُطْبَته

إسلام عثمان بن أبى العاص

فمَكثُوا أيامًا يَغْدون على النَّبيّ صلى الله عليه وسلم ، ويُخَلِّفُون عثمانَ بن أبى العاص على رِحالِهم — وكان أصغرهم — ، فكانَ إذا رجعُوا وناَمُوا بالهَاجِرة ، خَرَج فعَمَد إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فسَأَله عن الدِّين ، فاستَقْرأه القرآنَ وأسلم سِرًّا ، وفقُهَ وقَرَأَ من القُرآن سُوراً

جدال الوفد فى الزنا والربا والخمر

هٰذا ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَدعُو الوفْدَ إلى الإسْلام ، فقال له عبدُ ياليل : هَل أَنْتَ مُقَاضِينا(١) حَتَّى نرجِع إلى قَوْمِنَا ؟ فقال : إنْ أَنتم أَقْرَرْتُم بالإِسْلام قاضَيْتُكُم ، وإلّا فلا قَضِيّة ولا صُلْحَ بيني وبينَكم . فقال عَبْدُ ياليل : أَرَأَيْتَ الزِّنَا ! فإنّا قَوْمٌ عُزّاب(٢) لابُدَّ لنَا مِنْهُ ، ولا يَصْبِرُ أَحَدُنا على العُزْبة(٣) ! قال : هُو مِمّا حَرّمَ الله ؛ قال : أرأيتَ الرِّبا ! قال : الرِّبا حَرامٌ ! قال : فإن أمْوالَنا كلَّها رِباً ! قال : لكم رُؤوسُ أمْوالكم . قال : أفرَأيت الخمر ! فإنها عَصيرُ أَعْنَابنا ولا بدَّ لَنَا مِنْها ! قال : فإن الله حَرّمَها ! فخلا بعضُهم ببَعْض ، وقال عبد ياليل : وَيْحَكُمْ ! نرجع إلى قومنَا بتَحْرِيم هذه الخِصَال ! ! لا تَصْبِرُ ثَقِيفٌ عَنَ الخمرِ ولا عن الزِّنا أبداً

كتاب الصلح

ومَشى خالد بن سعيد بن العاص بينهم وبين النَّبى صلى الله عليه وسلم حَتَّى

(١) قاضاه مقاضاة : جعل بينه وبينه قضاء محكما ، وحكما فاصلا ، وذلك هو القضية ، ويريدون قضية الصلح يكتبون بذلك بينهم كتاباً ، فذلك كله هو المقاضاة

(٢) فى الأصل : « عذاب »

(٣) فى الأصل : « العدبة » ، والعزبة والعزوبة واحد

كتبوا الكِتَاب — وكتبَه خالدٌ — ، وأسلَموا ، وتعلَّموا فرائضَ الإسلام وشرائعه ، وصَاموا بقيّةَ شهر رمضان . فأمَّرَ عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عُثمانَ بن العاص ، وهو أصغرُهم ، وقال له : أتَّخِذْ مُؤذّنًا لا يأخُذُ على أذَانه أجْراً . وخرجُوا إلى الطائف

هدم ربة ثقيف

وسارَ فى إثْرهم أبو سفيان بن حَرْب والمُغيرةُ بن شُعْبَة لِهَدْم الرَّبَّةِ صنَمِهم . فدخل القومُ الطَّائف ، وكانت لهم مع قَوْمِهم أنباء حتى أسْلَموا . ودخَل المغيرةُ فى بِضْعة عشر رجلًا فهدَموا الرَّبَّة ، وانتزَع كُسوتَها وما فيها من طيبٍ وذهَبٍ وفِضَّةٍ . فأعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ممَّا وجَد فيها أبا مُلَيح بن عُرْوة ، وقارِب بن الأسْوَد ، وناساً ؛ وجَعلَ فى سبيل الله وفى السِّلاح منها

كتابه لثقيف

ثم كتَبَ لثَقيفٍ بعْدَ البَسْملة :

« من محمدٍ النَّبى رسول الله(١) ، [هذا كتابٌ من النَّبىِّ رسولِ الله](٢) ، إلى المؤمنين : إن عِضاهَ وَجٍّ وصَيْدَه لا يُعْضَدُ(٣) ، ومن وُجد يفعل [شيئاً](٤) من ذلك يُجْلد وتُنزَع ثيابُه ، فإن تعدَّى [ذلك](٤) فإنه يُؤْخذُ فيُبْلَغُ [به](٤) النَّبىَّ مُحمَّداً ، و إنَّ(٥) هذا أمْرُ النبىِّ محمدٍ رسولِ الله . وكَتَبَ خالدُ بنُ سعيدٍ بأمْرِ النبىِّ محمد بن عبدِ الله ، فلا يتَعَدَّه أحدٌ فيظْلِم نفْسَه فيما أمرَ به محمد رسولُ الله »

(١) فى الأصل : « ورسول الله » ، الذى أثبتناه هو نص ابن هشام ج ٢ ص ٩١٨

(٢) الجملة التى بين القوسين هى فاتحة الكتاب فى رواية ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٣٣ إلا أنه قال : « من محمد رسول الله » ، والتى قبلها هى رواية ابن إسحق ، فى سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩١٨ ، والظاهر أن المؤلف نسى أن ينبه على اختلاف الرواية فأجرى القول

(٣) فى الأصل : « عضاة » ، والعضاه : كل شجر ذى شوك ، ماعظم منه وما قل . ووَجّ : اسم للطائف منازلِ ثقيف . وعضد الشجرة يعضدها : قطعها

(٤) زيادات من ابن هشام

(٥) فى الأصل : « فإن » ، وهذا نص ابن هشام

حمى وَجّ

ونهى صلى الله عليه وسلم عن قَطْع عِضاهِ[1] وَجّ وعن صَيْدِه، فكان الرَّجُل يُؤخذُ يفعلُ ذلك، فتُنزَع ثيابه. واستعمل على حِمى وَجٍّ سعدَ بن أبي وقّاصٍ رضى الله عنه

إسلام كعب بن زهير

وفى هذه السَّنة كان إسلامُ كعب بن زُهَيْر بن أبى سُلْمى رَبيعة بن رِياح المُزَنيّ، من مُزَيْنة بن أُدّ بن طابِخَة بن أَلياسِ بن مُضَر: وذلك أنه خرج هو وأخوه بُجَيْرٌ إلى أبْرَق العِراق، فتركه بُجَيْر فى غنَمه وقَدِمَ المدينةَ فأسلَم، فقال كعبٌ شِعْراً غَضِب منه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأهْدَر دمَه. فكتب إليه بُجَيْر بعد عوْدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الطّائف، وقال له: «النَّجاء النَّجاء! وما أراكَ أن تُفْلِتَ!». ثم كتب إليه يدعوه إلى الإسلامِ فأسلَمَ، وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وأنْشَده:

«بانَتْ سُعَاد فقلبى اليَوْمَ مَتبولُ»

خبره وخبر البردة

القَصيدَ. فكساه بُرْدَةً كانت عليه. وقيل: أمَرَ صلى الله عليه وسلم بقتْلِه لِانّه كان يُشَبِّب بأُمّ هانئٍ بنت أبى طالب. وذكر يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق قال: فلمّا قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة مُنْصرِفاً عن الطائف كتبَ بُجَيْر بن زُهَيْر إلى أخيه كعب، فذَكَرَ الحديثَ. وقيل: إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رأى زُهيْراً وله مائةُ سَنة فقال: اللّهُمّ أَعِذْنى من شيْطانِه! فما لاكَ بيْتاً حتى مات. وقال ابنُ قُتَيْبَة[2]: أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كَعب بن زهير راحِلةً وبُرْداً، فباع البُرْدَ من مُعاوِية[3] بعشْرين ألفاً، فهو عند الخُلَفاء إلى اليوم

(١) فى الأصل «عضاة»
(٢) الشعر والشعراء ص ٦٠ و ص ٦٩
(٣) فى الأصل: «معونة»

الوفود

ولمّا أسلَمت ثَقيف ضرَبتْ إليه وفودُ العَرب من كلّ وجْهٍ ، لمعرفتِهم أنهم لا طاقةَ لهم بحرْب رسول الله ولا عَداوَتِه ، فَدخَلوا فى دينِ الله أفْواجاً

وفد بنى أسد

فقدِم وَفْد بنى أسدٍ وقالوا : أتيْناكَ قبلَ أن تُرْسلَ إلينا ! فأنزَل الله : « يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » (الحجرات : ١٧)[١]

كتب ملوك حمير

وقَدمت كُتُب [مُلُوكِ][٢] حِمْيَر [ورسولُهم إليه بإسْلامِهمْ][٣] : الحارثُ ابن عبدِ كُلال ، [ونُعَيْم بن عبْد كُلال][٣] ، والنُّعْمان قَيْلِ ذى رُعَيْن [ومَعافِرَ][٣] وهَمْدانَ وقد أقرّوا بالإسلام

وفد بهراء

وقَدِم وَفْدُ بهْراء ، فنزلوا على المِقْداد بن عَمْرو [البَهْرانىّ][٤]

وفد البكاء وفزارة وثعلبة وسعد والداريين

وقدِم وفْدُ بنى البَكّاء ، ووفْد فَزارَةَ وفيهم خارِجَةُ بن حُصَيْن ، ووفْدُ ثَعْلَبة ، ووفدُ سَعْد بن بكر وَوَافِدُهُمْ ضِمَام بن ثعْلَبة ، ووفْدُ الدّاريِّين من لَخْمٍ وهم عشرة[٥]

موت عبد الله بن أبىّ ابن سلول

ومَرِض عبدُ الله بن أُبَىّ فى ليالٍ من شوّال ، وماتَ فى ذى القَعْدة . وكان مرضُه عشرين يوماً ، كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَعودُه فيها ، فلما دخل عليه وهو يجُودُ بنفسه قال له : قد نهيْتُك عن حُبّ يهودَ ! فقال : قد أبغضَهم

---

(١) فى الأصل : « أن أسلموا الآية »
(٢) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٩٥٥
(٣) هذه الزيادات التى بين الأقواس من ابن هشام ج ٢ ص ٩٥٥ ، وفى الأصل : « وقدمت كتب حمير مع الحارث بن عبد كلال » ، وهـذا خطأ ، فان الحارث والنعمان ، لم يَفِدا على رسول الله ، بل هو صلى الله عليه وسلم كتب إليهما ، وانظر كتابه فى ابن هشام ، وابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٢٠ و ص ٨٤
(٤) زيادة للإيضاح
(٥) فى الأصل : « ووفد الدواس من لخم وهم عشيرة » ، وهذا هو الصواب . انظر الطبرى ج ٣ ص ١٣٩ ، وابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٧٥

أَسْعَدُ بن زُرارَةَ ، فما نفعه(١) ؟ ! ثم قال : يا رسولَ الله ! ليس بحين عِتاب ، هو المَوْتُ ! فإنْ مِتُّ فاحضُرْ غُسْلِي ، وأعْطِنِي قميصَك أُكَفَّن فيه ! فأعطاه قميصَه الأعلى — وكان عليه قميصان — ، فقال : الذى يَلِي جِلْدَك ! فنزَع قميصه الذى يَلِي جِلْده فأعطاه ثم قال : صَلِّ عَلَيَّ واستغفرْ لى !

حضور رسول الله

ويُرْوَى أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم جاء بعْد موتِه إلى قبْره ، فأمَر به فأُخْرِجَ ، فكَشَف عن وَجْهه ، ونَفَثَ عليه من ريقه ، وأسْنَده إلى رُكْبَتَيْه ، وألبَسَهُ قميصَه الذى يلِي جِلْدَه : قال الواقديّ : والأول « أثبتُ » أنه حضَر غُسْلَه وكفنه . ثم حُمِل إلى مَوْضع الجنائز ، فتقدَّم صلى الله عليه وسلم ليُصَلِّيَ عليه ، فلما

الصلاة عليه واعتراض عمر فى ذلك

قامَ وثَبَ إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يا رسولَ الله تُصَلى على ابن أُبيّ ؟ ! فإنّه قال يوْم كذا كذا(٢) ويوم كذا كذا ! فعَدَّ عليه قولَه ؛ فتبسَّم وقال : أخِّرْ عنى ياعمر ؟ فإنى خُيِّرْتُ فاخترْتُ ، [قد قيلَ لى : « اُسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ » (التوبة: ٨٠)](٣) فلو أعلم(٤) أنى إنْ زدْتُ(٥) على السَّبعين غُفِرَ له زِدْت عليه ! فصلَّى عليه وأطال الوُقوف

ما نزل من القرآن فى المنافقين

ونزَلَ قولُه تعالى : « وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ «٨٤» وَلَا تُعْجِبْكَ

(١) هكذا يقول عدو الله وهو يموت ، مطابقاً قالة يهود ، وذلك قولهم فيا روى ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١٤٠ : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد أسعد بن زرارة وبه الشوكة ، فلما دخل عليه قال : قاتل الله يهود ! يقولون : لولا دفع عنه ! ولا أملك له ولا لنفسى شيئاً ! لا يلوموني فى أبي أمامة ! ثم أمر به فكوى ، وحجّر به حلقه ، يعنى بالكى »

(٢) فى الأصل : « يوم كذا وكذا »

(٣) زيادة للبيان يقتضيها السياق كما ترى ، ابن هشام ج ٢ ص ٩٢٧

(٤) فى الأصل : « ولو أعلم »

(٥) فى الأصل : « إذا زدت » ، وهذا نص ابن هشام وهو أتم للمعنى

أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ «٨٥» وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ «٨٦» رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ » (التوبة : ٨٤ — ٨٧) [١] ، فعرّف عليه السلام في هـذه الآية المنافقين ، فكان مَنْ مات منهم لم يُصَلّ عليه

دفن عبد الله واجتماع المنافقين

ثم حُمِل ابن أُبَيّ إلى قبره ، وقد غلَب عليه المنافِقون كسعد بن حُنَيْف ، وزَيْدِ بن اللُّصَيْت ، وسلالة بن الحمام [٢] ، ونُعْمان بن أوْفى بن عَمْرو [٣] ، ورافع بن حُرَيْملَةَ [٤] ، ومالك بن أبي قَوْقَل [٥] ، وداعسٍ [اليهوديّ] [٦] ، وسُوَيْدٍ [اليهوديّ] [٦] ، وهؤلاء أخابثُ المنافقين . وهُمُ الذين كانوا يُمَرِّضونه ، وكان يقولُ : لا يَلينى غيرهُم ! ويقول لهم : أنتم والله أحبُّ إليّ من الماءِ على الظَّما ! ويقولون : لَيْتَ أنَّا نَفْديك بالأنفُس والأموالِ والأولادِ ! فلما وَقفوا على حُفْرته — ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم واقفٌ يَلْحظُهم — ازدَحموا على النُّزول في حُفْرته ، وارتَفعت الأصواتُ ، حتى أُصيبَ أنفُ داعسٍ وسالَ الدَّمُ ، وكان

(١) في الأصل : « .. على قبره ، الآيتان » ، وقد سردنا الآيات كلها — أربعة — فانه لم يبين ما يريد بقوله « الآيتان » ، وعنـدى أنه أراد الآية الأولى : « ولا تصل على أحد .. » ، والأخرى : « وإذا أنزلت سورة . . » ؛ وهذا ما يدل عليه سياق سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٢٧ ، وهو كذلك لم يبين . وهذه الآية الآخرة هى آية التعريف بالمنافقين

(٢) هكذا هو فى الأصل ، ولم أجد له خبراً ولا ذكراً ، ولعل الصواب : « سلسلة ابن برهام اليهودى » وذكره ابن هشام فى المنافقين ج ١ ص ٣٦٢

(٣) فى الأصل : « نعمان بن أبى » ، والصواب ما أثبتناه ، انظر ابن هشام ج ١ ص ٣٦١

(٤) فى الأصل : « ... بن حرملة » ، وأثبتنا نص ابن هشام ج ١ ص ٣٦١

(٥) فى الأصل : « مالك بن نوفل » ، والصواب من ابن هشام ج ١ ص ٣٦٠

(٦) زيادات للبيان

يريد أن ينزلَ فنُحَيِّيَ . وجعل عُبادة بن الصَّامت رضى الله عنه يَذُبُّهم ويقول : أخفِضوا أصواتَكم عنْد رسولِ الله ! ونزَل حُفْرته رجالٌ من قوْمِه أهلُ فَضْلٍ وإسلامٍ ، وهم : ابْنُه [عبد الله] (١) ، وسعْد بن عُبادة ، وعُبادة بن الصَّامت ، وأوْسُ بن خوْلِيّ ، حتى بنَوْا عليه . ودَلَّاه عليهم (٢) الصَّحابةُ وأكابرُ الأوْسِ والخَزْرج ، وهم قيامٌ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم . ودلّاه عليه السلام بيدَيْه إليهم ، ثم قامَ على القبر حتى دُفِنَ ، وعزَّى ابنَه وانصَرفَ . وحَثا المنافقون عليه ترابَ قبرِه وهم يقولون : يا ليتَ أنّا فدَيْناكَ بالأنفس وكنّا قبْلَكَ ! ! وحثَوْا على رُؤوسهم الترابَ

ابنته وحزنها

ولم تتخلَّف امرأةٌ من الأوْس والخَزْرج حتى أتت ابْنَته جميلة بنتِ عبد الله ابن أُبيٍّ ، وهى تقول : واجَبَلاه ! وارُكْناه ! وا أبتاه ! وما ينْهاها أحدٌ ولا يعيب عليها

حجة أبي بكر الصديق

ثم كانت حَجَّةُ أبى بكرٍ رضى الله عنه سنة تسعٍ (٣) . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — قبل أن يَنْزلَ عليه سورةُ براءة (٤) — قد عاهَد ناساً من المشركين عهداً ، فلبِثَ بعد مرْجِعِه من تَبوك أربعةَ أشهرٍ وحضَر الحَجُّ ، فكَرِه أن يخْرج ذلك العام حتى ينْبذَ (٥) إلى كلٍّ من عهِدَ إليه من المشركين عهْدَه

حج المشركين

وكانوا يحُجُّون مع المسلمين ، فإذا قالَ المسلمون : « لبَّيْك لا شريكَ لكَ » عارضَهم المشركون بقولهم : [لبّيْك] (٦) « لا شريكَ لك ، إلا شريكٌ هو لك ،

---

(١) زيادة للبيان
(٢) فى الأصل : « عليه »
(٣) فى الأصل : « سنة سبع » ، وهو خطأ بيّن
(٤) هى سورة « التوبة »
(٥) نبذ العهد ينبذُه : إذا ردّه على المعاهد نقضاً للهدنة أو الصلح
(٦) زيادة يتم بها أصل الكلام

تملكه وما ملك » ؛ عاليةً أصواتهم ليُغلِّطوهم بذلك . ويَطوف رجالٌ منهم عُراةً ، ليس على أحدٍ منهم ثوبٌ ، يُعظِّمون بذلك الحُرْمَة[1] ، ويقولُ أحدهم :

أطوف بالبيْت كما وَلدَتْنى أُمى ، ليس علىَّ شىءٌ من الدُّنْيا خالطَه الظُّلم

الخروج الى الحج

فَكَرِه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يحجَّ ذلك العامَ ، فأُستَعْمل أبا بكرٍ على الحَجِّ ، [وكتَب له بنفس الحجِّ ، لأنه اشتَكى أنه لا عِلْم له بالقضاء][2] . فخرج فى ثلاثمائة رجُلٍ ، وبعَث معه بعشرين بدَنَةً قلَّدَها النِّعالَ وأشْعَرَها بيده فى الجانب الأيمن ، وأُستَعمل عليها نَاجيةَ بن جُنْدُب الأسلمىَّ ، وساق أبو بكر رضى الله عنه خمسَ بدَنَاتٍ . وحجَّ عامئذٍ عبدُ الرحمن بن عوْف رضى الله عنه ، فأهْدى بُدْناً . وأهلَّ أبو بكرٍ رضى الله عنه من ذى الحُلَيْفَةِ ،

على بن أبى طالب وسورة براءة

وسارَ ، حتى [إذا][3] كان بالعَرْج فى السَّحَرِ ، سَمِع رُغاء القَصواء ، فإذا علىُّ ابن أبى طالب رضى الله عنه عليها فقال : قدِ أُستَعمَلك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم على الحجِّ ؟ قال : لا ، ولكن بعَثنِى أقرأُ براءةَ على النَّاس ، فأنبِذُ إلى كلِّ ذى عَهْدٍ عهدَه . وقيل : أدركه علىٌّ رضى الله عنهما بضَجْنان

صفة الحجّ

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَهِد إلى أبى بكرٍ رضى الله عنه أن يُخالف المشركين : فيَقِفَ يوم عرَفة بعَرفَة ولا يقِف بجَمْعٍ ، ولا يدْفَع من عرَفة حتى تغرُبَ الشمس ، ويدفَع من جَمْعٍ قبل طلوع الشمس . فخرَج حتى أتى مكة وهو مُفْرِدٌ بالحجِّ ، فخطَبَ قبْل التَّرْوِيَة بيوم بعدَ الظُّهر ، وطاف يوم التَّرْوِيَة — حين زاغَتِ الشمس — بالبيت سبْعًا ، ثم ركبَ راحلتَهُ من باب بنِى شيْبَةَ ،

(١) يعنى حرمة بيت الله الحرام

(٢) توقفت عند هذه العبارة المحصورة بين القوسين ، ولم أتحقق معناها ، ولست أجد ما يشبهها فى كتب السير

(٣) زيادة للبيان

وصلّى الظُّهر والعصر والمغربَ والعشاء والصبح بِمِنًى . ولم يركَبْ حتى طلعت الشمسُ على ثَبيرٍ ، فانتهى إلى نَمِرَةَ ، فنزل فى قُبَّةٍ من شَعَرٍ فقال فيها . وركب راحلته لمَّا زاغتِ الشمس ، فخطَب ببَطْن عرَفة ، ثم أَناخَ فصلَّى الظهرَ والعصرَ بأذانٍ وإقامتَيْن ، ثم ركِب راحلتَه فوقَف بالهِضَابِ من عرَفة . فلما أفطَر الصَّائمُ دفَع يسيرُ العَنَقَ[1] حتى نزَل بجَمْعٍ — قريباً من النار التى على قُزَح[2] . فلما طلَع الفجر صلَّى الفجر ثم وقَف ، فلما أسفرَ دفَع . وجعل يقول فى وُقوفه : يا أيُّها الناسُ ! أسفِروا[3] ! ثم دفَع قبْل الشمس . وكان يسيرُ العَنَقَ حتى أنتهى إلى مُحسِّرٍ فأوضَعَ راحلتَه ، فلما جازَ وادِى مُحسِّرٍ عادَ إلى مَسيرِه الأوَّل ، حتى رَمى الجَمْرةَ راكباً بسبْع حُصَيَّاتٍ ، ثم رجع إلى المَنْحَرِ فنحَر ، ثم حلَق

قراءة براءة

وقرأ علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه — يوم النَّحر عند الجَمْرةِ — براءةَ ، ونبَذَ إلى كلِّ ذى عهدٍ عهدَه ، وقال : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحُجُّ بعد هذا العامِ مُشْرِكٌ ، ولا يطوف بالبيْتِ عُرْيان

خطبة أبى بكر

وخطَب أبو بكر رضى الله عنه يومَ النَّحْر بعد الظهر على راحلتِه ، وأقام يرْمِي الجِمَارَ ماشياً : ذاهباً وجائياً ؛ فلما رمى يوم الصَّدَرِ[4] وجاوَزالعَقَبَة ، ركِب . ويقال : رمى يومئذٍ راكباً . وصلَّى بالأبطَحِ الظهرَ والعصر ، وصلَّى بمكة المغربَ والعشاء ، ثم خرَج من ليْلَتِه قافلا إلى المدينة

---

(١) العنق : ضرب من السير سريع

(٢) قزَح : هو القرنُ الذى يقف الإمام عنده بالمزدلفة (ومزدلفة هى جَمْع) عن يمين الإمام ، وهو «الميقَدَة» ، وهو الموضع الذى كانت توقد فيه النيران فى الجاهلية ، وهو موقف قريش فى الجاهلية ، إذ كانت لا تقفُ بعرَفة

(٣) السفَر : الفجر ، وأسفَر بالفجْر : أطال الصلاة حتى يتبيّن الفجرُ ويظهر ظهوراً لا ارتياب فيه

(٤) يوم الصَّدَر : اليوم الرابع من أيام النحر ، سمى بذلك لأن الناس يصْدُرون (أى يرجعون) فيه عن مكة إلى أماكنهم

سيرة النبي قبل براءة

وكانت سيرة النبيِّ صلى اللهِ عليه وسلم[١] — قبْل نزول براءةَ — : أنْ يقاتِلَ مَنْ قاتلَه ، ومَنْ كفَّ يدَه كفَّ عنه ؛ فنَسَخَتْ براءةُ ذلك

وكان العرب إذا تحالَف سيِّدهم أو رئيسُهم مع آخرَ لم ينْقُضْ ذلك إلّا الذى يُحالفُ أو أقربُ النَّاس قَرابَةً به . وكانَ علىٌّ رضى الله عنه هو الذى عاهَد المشركين ، فلذلك بعثَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببراءةَ

إسلام المشركين من قريش

ولما رجَع المشركون من حَجِّهم لام بعضُهم بعضاً وقالوا : ما تصنَعون ، وقد أسلَمتْ قُرَيْش ؟ ! فأسلَموا

وفد غسّان ووفد غامد وفد نجران

ثم كانت سنة عشر . وفيها كان وَفْدُ غَسّان[٢] ووَفْدُ غامدٍ فى شهر رمضان

وقدِم وَفْدُ نَجْران : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أرسَل خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعْبٍ بنَجْران ، وأمرَه أن يدْعُوَهم إلى الإسلام ثلاثاً ، فإنْ أجابوا أقام فيهم وعلّمهم شرائعَ الإسلام ، وإنْ أبوْا قاتَلهم . فخرَج إليهم فى ربيع الأوّل سنة عشْرٍ ، ودَعاهم فأجابوا وأسلَموا ، وأقامَ فيهم . وكتَب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعْلمه إسلامَهم ، ثم عاد ومعه وَفْدُهم ، فيهم : قَيسُ ابن الحُصَيْن بن يزيد بن شدَّاد ويقال له أبنُ ذى الغُصّة[٣] ، ويزيد بن عبد المَدان ، فى آخرين ؛ ثم عادوا فى بقيّة شوال أو فى ذى القَعدة ، وأمَّر عليهم قيس بن الحُصَيْن

إسلامهم وكتاب النبي لهم

وخرج إليهم عَمْرو بن حَزْم يُعلِّمهم شرائع الإسلامِ ويأخذُ صدَقاتِهم . وكتَب له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كتاباً ليَحْمِلَهم على ما فيه ، وبيّن فيه

(١) هذه الجملة مكررة فى الأصل

(٢) فى الأصل : « غبشان » ، وانظر ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٧١ والطبرى ج ٣ ص ١٥٨

(٣) فى الأصل : « القصة »

الأحكامَ والزَّكَواتِ ومقاديرَ الدِّيات . ويقال : كان ذلك فى شهر ربيع الآخِر ، وقيل : فى جُمادى الأولى[١] . فتوُفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمْرو بن حَزْمٍ على نَجْران

المباهلة

وأرسل نصارى نَجْران العاقِبَ والسَّيِّد فى نفرٍ ، فأرادوا مُباهَلةَ[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج ومعه فاطمةُ وعلىٌّ والحسَن والحُسَيْن عليهم السلام . فلمّا رأوهم قالوا : هذه وجوهٌ لوْ أقسَمَتْ على الله أن يُزِيلَ الجبالَ لأزالَها ! ! ولم يُباهِلوا ، وصالَحوا على ألْفَى حُلَّةٍ : ثمنُ كلِّ حُلَّةٍ أربعون درهما ، وعلى أن يُضيفوا رُسُلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . وجَعل لهم عليه السلام ذمّةَ الله وعهدَه على ألَّا يُفْتَنوا[٣] عن دينهم ، ولا يُعْشَروا[٤] ، ولا يُحْشَروا[٥] ، ولا يأكلوا الرِّبا ولا يتعامَلوا [به][٦]

سرية على بن أبى طالب إلى اليمن

ثم كانت سَرِيَّةُ علىٍّ رضى الله عنه فى رمضان : بعَثَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن [حين][٧] تَتامَّ أصحابُه ، وعَقَد له لواء : أخذ عِمامةً فلفَّها مَثْنيَّةً مُربَّعةً وجعَلها فى رأسِ الرُّمحِ ، ثم دفَعها إليه وقال : هاكَ هذا اللِّواء ! وعمَّمه عِمامةً : ثلاثةَ أكوارٍ ، وجعَل ذراعاً بين يديْه وشِبْراً من وَرائه ، ثم قال :

---

(١) هذا التاريخ تاريخ بعثة خالد بن الوليد فى رواية ابن اسحاق ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٩٥٨

(٢) المباهلة : الملاعنة ، وذلك أن يجتهد الفريقان فى الدعاء يسألون أن تجعل لعنة الله على الكاذبين ، وقد جاءت الإشارة إلى مباهلة نصارى نجران فى سورة آل عمران : ٦١ ، وانظر أسباب النزول للواحدى ص ٧٤ ، وانظر ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٨٤

(٣) نص البلاذرى ص ٧١ : « ذمة الله وعهده وأن لا يفتنوا ... »

(٤) لا يُعشَروا : يقول ، لا يؤخذ عشر أموالهم فى التجارات ، وفى الأصل : ولا يعاشروا ، وانظر فتوح البلدان ص ٧١ و ٧٢

(٥) لا يحشروا : يقول ، لا يُندَبون إلى المغازى ، ولا تضربُ عليهم البعوث

(٦) زيادة لا بد منها من فتوح البلدان ص ٧١

(٧) زيادة يقتضيها السياق

وصية رسول الله

هكذا العِمَّة[1] ! وقال له : أمضِ ولا تلتفتْ ! فقال علي يا رسول الله ! كيف أصنعَ ؟ قال : إذا نزلْتَ بساحتِهم فلا تُقاتلْهم حتى يُقاتِلوك ، فإن قاتلوك فلا تقاتِلْهم حتى يقتُلوا منك قتيلًا ، فإن قتَلوا منكم قتيلًا فلا تُقاتلْهمْ ، تلَوَّمهمْ[2] حتى تُريهم أناةً ، ثم تقولُ لهم : هل لكم أنْ تقولوا لا إلٰه إلَّا الله ؟ فإن قالوا : نعم ! فقُل : هل لكم إلى أنْ تُصلُّوا ؟ فإن قالوا : نعم ! فقُل لهم : هل لكم إلى أن تُخرِجوا من أموالكم صدَقةً تردُّونها على فُقرائكم ؟ فإن قالوا : نعم ؟ فلا تبغِ منهم غيرَ ذلك ، والله لأنْ يَهْدِي الله على يديْك رَجُلًا واحداً خيرٌ لك مّما طلَعتْ عليه الشمسُ أو غربَتْ !

الغنائم

فخرج في ثلاثمائة فارسٍ حتى انتهى إلى أرض مَذْحِجٍ ففرّق[3] أصحابه ، فأتَوْا بنَهْبٍ وغنائم ونساء وأطْفالٍ ونَعَمٍ وشاء وغيرِ ذلك ؛ فكانت أوّلَ خيْلٍ دخلتْ إلى تلك البِلاد . فجعلَ على الغنائم بُرَيْدَة بن الحُصَيْب . ثم لقِيَ جمْعاً فدعاهُم إلى الإسلام ، فأبَوْا ورمَوْا بالنَّبل والحجارةِ ساعةً ؛ فصفَّ أصحابَه ، ودفع لواءه إلى مسعودِ بن سِنان السُّلَمِيّ ، وحمَل عليهم بمن معه ، فقتَل منهم عشرين رجُلًا ، فانهزَموا فلم يتْبَعْهُم ، ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا . وبايعَه نفرٌ من رُؤسائهم على الإسلام وقالوا : نحنُ على مَنْ وَراءَنا ، وهذه صدَقاتُنا فخُذْ منها حقَّ الله

قسمة الغنائم إلا الخمس

وجمَع عليٌّ الغنائمَ وجزأها خمسةَ أجزاء . وأقرَعَ عليها ، وكتَب في سَهْمٍ منها لله ، فخرَجَ أوّلَ السّهامِ سَهْمُ الخُمُس ، ولم يُنفِّل منه أحداً من الناس شيْئاً . وكان مَنْ قَبْلَه من الأمراء يعطُون أصحابهم — الحاضرَ دُون غيرهم — من

(١) العمة : هيئة الاعتمام ، وأما ما يتعممُ به فهو : العمامة
(٢) يقول ، تتلوَّمهم بحذف التاء الأولى : أي تنتظرهم وتستبقيهم
(٣) في الأصل : «فعرق»

الخمس ، ثم يُخْبَر بذٰلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يَرُدُّه عليهم ، فطلبوا ذلك من عَليٍّ فأبى وقال الخمس أَحْمِلُه إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يرى فيه رأيه ، وهٰذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُوَافِي المَوْسِمَ ، ونلقاه به فيَصْنَع ما أراهُ الله ! فانصَرَف راجعاً ، وحَمَل الخمس ، وسَاقَ معه ما كان سَاق . وكان في الخمس ثيابٌ من ثيابِ اليمن أحمالٌ مَعْكُومَةٌ ، ونَعَمٌ مِمّا غَنِموا ، ونعمٌ من صَدَقةِ أموالهم.

تعجل على وسبقه

ثم تَعَجَّل ، وجَعَل أبا رافع على أصحابه وعلى الخُمُس ، وكان عليٌّ يَنْهَاهم عن رُكوب إبل الصَّدَقة . فسأل القوم أبا رافع أنْ يكسوَهُمْ ثِيَاباً يُحْرِمون فيها ، فكساهم ثوبين . فلمّا خَرج عليٌّ يتلقّاهم — وهم داخِلون مكة لِيَقْدَم بهم — رَأى عليهم الثِّيابَ فعَرَفها ، فقال لأبي رافع : ما هٰذا ؟ فأَخْبَره ، فقال : قدْ رأَيْتَ إِبَائي عَليهم ذٰلكَ ، ثم أعْطَيْتهم ، وقد أَمَرْتُكَ أن تحتفِظَ بما خَلَّفْتُ فتُعْطيهم ؟! وجَرَّد بعضهم مِنْ ثَوْبيه . فلمّاقَدِموا على رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم شَكَوْه ، فدعاه[1] وقال : مَا لأصحابك يشكُونك ؟ فقال : ما أشْكَيْتُهُمْ ! قَسَمْتُ عَليهم ما غَنِموا ، وحَبَسْت الخُمُس حَتَّى نقْدَم عليك وترى رَأيكَ فيه ، وقد كانتِ الأُمراء يفعلون أموراً : ينفِّلون من أرادُوا من الخمس ، فأردْت أن أَحْمِلَه إليك لترى فيه رأيك ! فسكت عليه السلام

خبر أبي رافع في الإعطاء من الخمس

قدوم علي في الحج

وكان عليٌّ رضى الله عنه قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا ظهر على عَدُوِّه — مع عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَنيّ — بما كان من لقاءِ القوم وإسْلَامِهم ، فأمر أن يُوَافِيَه في الموسم ، فعَاد إليه عبدُ الله . وقَدِم عليٌّ من اليمن فوجَد فاطمةَ عليها السلام مِمَّن حَلَّ ، ولبِستْ ثيابا صَبِيغاً وَاكْتَحلَتْ ، فأنكَر ذٰلك عليها فقالت : أَمَرَني بهذا أبي ! فذَهَبَ إلى رسول الله صلى الله عليه

(١) في الأصل : «فدعاهم»

وسلم مُحَرِّشاً عليها (١) ، مُسْتَفْتِياً فى الذى ذكرتْ ، وأخْبره ، فقال : صَدَقَتْ ! ماذَا قلْت حين فرضْتَ الحَجَّ ؟ قال قلت : اللهُمَّ إنى أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسُولُكَ ! قال : فإن مَعى الْهَدْىَ فلا تَحِلَّ ! وكان الهَدْىُ الذى جاء به علىٌّ رضى الله عنه والذى ساقَه النبىُّ صلى الله عليه وسلم من المدينة مائة بدَنةٍ ، فأشرك عليًّا فى هَدْيِه (٢)

وفد الأزد

وفيها قَدِمَ (٣) وفْدُ الأَزْدِ ، ورأسُهم صُرَدُ بن عبد الله فى بضعة عشر رجُلًا فأسلَمَ ، وأمَّرَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على مَنْ أَسْلَمَ من قوْمه ، وأمرَه أن يُجاهِد المشركين . فسارَ إلى مدينة جُرَش ، فحصَرَ خَثْعَمَ نحو شهر ، ثم رجع كأنَّه مُنهزِمٌ ، فخرجوا إليه ، فعطَفَ عليهم فقَتَلهم أشدَّ قتْلٍ . وكان أَهْلُ جُرَش قد بعثوا رجُلين إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ينْظُران حالَه ، فأخبَرَهُما بما كان من أَمْرِ صُرَد بن عبدِ الله ، فرَجَعا ، فوجدا أصحابَهما قد أُصيبوا فى تلك السَّاعة من ذلك اليومِ الذى ذكر صلى الله عليه وسلم فيها حالَهم . فقدِمَ وَفْدُ جُرَش فأسْلَموا ، وحَمَى لهم النَّبىُّ صلى الله عليه وسلم حوْلَ القَريةِ للفَرَسِ والرَّاحلَة والمُثِيرةِ . وَالمُثيرةُ : بقرةُ الحَرْثِ [لأنها تُثير الأرضَ] (٤)

وفد مراد

وقدِم وفد مراد مع فَرْوَة بن مُسَيْك بن الحارث بن سلَمَة بن الحارث بن كُرَيْب (٥) الغُطَيْفِى ثم المُرادِىُّ ، مفارِقاً لملوكِ كِنْدَةَ ؛ فاستعمله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على مرادٍ وزُبيْدٍ ومَذْحِجٍ كلِّها ، وبعث معه خالدَ بن سعيد

(١) التحريش : الإغراء والتهييج ، ولكنه هنا يريدُ ذكر ما يوجب عتابه لفاطمة

(٢) فى الأصل : « هدية »

(٣) فى الأصل : « تقدّم »

(٤) فى الأصل : « والمثرة بقر الحارث » ، وانظر ابن هشام ج ٢ ص ٩٥٥ ، والزيادة التى بين الأقواس للبيان

(٥) فى الإصابة : « زيد » ، وفى أسد الغابة : « ذويد » ، وفى ابن سعد ج ٥ ص ٣٨٢ « الذُّؤيب » ، ولعلّ نص ابن سعد هو الصواب

ابن العاص على الصدقة . وقيل : كان إسلام فروة سنة تسع

وفد فروة الجذامى

وقدِم وفدُ فَرْوَةَ بنِ عمرو بن النَّافرة الجُذامىّ ، عاملِ الرُّوم على فِلَسطين وما حولها وعلى من يليه من العرب ، وكان موضعه بمُعانَ من أرضِ فِلسطين . وكتب بإسلامه ، وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغْلةً بيضاء ، فطلبه الرُّوم وحبَسوه ثم قتلوه

وفد زبيد

وقدِم وفْد زُبيْد مع عمرو(١) بن مَعْدِ يكربِ بن عبدِ الله بن عمرو بن عُصْم(٢) ابن عمرو بن زُبيْد ، ثم عاد . وقيل : كان إسلامه سنة تسع

وفد عبد القيس

وقدِم وَفْدُ عبد القيْس ، وفيهم الجارودُ بن عمرو بن حَنَش(٣) بن يَعْلَى ، وكان نصرانيًّا فأسْلم ، وأسلمَ مَنْ معه

وفد بنى حنيفة

وقدم وَفْد بنى حنيفة ، وفيهم مُسيْلِمة الكذَّاب بن ثُمَامة بن كَبير بن حُبَيْب ابن الحارث بن عبد الحارث بن عبد الحارث بن عَدِىّ ، فنزل دارَ أُبنةِ الحارث الأنْصاريَّة ، وعاد إلى اليَمامة فتنبَّأ ، وادَّعى أنه شريكُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى النُّبُوّةِ ، فاتَّبعهُ بنو حنيفة

وفد كندة

وقدِم وفْدُ كِنْدة — وهم ستون راكباً — مع الأشْعَث بن قيْس بن مَعْدِيكرِب بن مُعاوية بن جبَلة(٤) بن عدِىّ بن ربيعة بن مُعاوية [الأكْرمين](٥) ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثوْر بن مُرَتِّع [واسمه

(١) فى الأصل : «عمر»

(٢) فى الأصل : «حطم»

(٣) فى الأصل : «خنش» ، وهذا النسب من ابن إسحاق ، ابن هشام ج ٢ ص ٩٤٤ ، وأما أصحابُ كتب التراجم فيضعونه فى «الجارود بن المعلى .» ثم يذكرون الاختلاف فى نسبه

(٤) فى الأصل : «حبلة»

(٥) زيادة من أسد الغابة

عمرو] [١] بن مُعاوية بن ثوْر بن عُفَيْر، [وثور بن عُفَيْر هو كِنْدة، لأنه كَنَدَ أباه النِّعمةَ] [١] بن عدىّ بن مُرّة بن أُدَد بن زيْدِ الكِنْدىّ، فقال: نحنُ بنو آكلِ المُرار، وأنت يا مُحمَّد ابنُ آكلِ المُرار! فقال النبى صلى الله عليه وسلم: نحنُ بنو النَّضْر بن كِنانةَ، لا نقْفوا أُمَّنا ولا ننْتَفِى من أَبينا[٢]

وفد محارب

وقدم وَفْد مُحارب؛ ووَفْد الرَّهاويِّين — وهم بطنٌ من مَذْحِجٍ — ينسبون إلى رَهاء [بفتح الراء] ابن مُنبِّه بن حرْب بن عُلَة بن خالد بن مالك بن أُدَد بن زيْد بن يَشْجُب بن عُرَيْب بن زيْد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يشْجُب بن يَعْرُب ابن قَحْطان. وكانوا خمسةَ عشر رجلًا فأسلَموا، وأجازهُم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما كان يُجيزُ الوفْد، وتعلَّموا القرآن والفَرائض وعادوا إلى بلادِهم. ثم قدِم منهم نفرٌ فحجُّوا من المدينة مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وأقاموا حتى تُوُفِّىَ، فأوصى لهم عند موته بجادِ مِائةِ وَسْقٍ من الكتيبة بخَيْبَرَ جاريةً عليهم، وكتَب لهم بها كتابًا. ثم خرجوا فى بعْثِ أُسامَة إلى الشَّأْم

وفد عبس والصدف وخولان

ووَفْدُ عَبْسٍ، ووفْد الصَّدِف، ووفْد خَوْلان، وكانوا عشرة

وفد بنى عامر بن صعصعة

ووَفْدُ بنى عامر بن صَعْصَعَة. فيهم عامرُ بن الطُّفَيل، وأرْبَد بن قيْس، وجبَّار بن سلْمَى بن مالك بن جعفر، فأراد عامر الغَدْر برسولِ الله[٣] صلى الله عليه وسلم، فقال له قومه: إن النـاس قد أسلَموا فأسْلِمْ! فقال: لا أتبَعُ عَقِبَ

(١) زيادات من أسد الغابة

(٢) فى الأصل: « لا يقفوا امنا، ولا نتبع من أبينا ». وقوله: لا نقفوا أمنا: أى لا نتبعها فى لسبها، وإنما يتبع الرجل نسب أبيه لا نسب أمه. وذلك أن الأشعث كان من بنى آكل المرار من قبل النساء فانتسب إليهن، وآكل المرار هو « حُجر بن معاوية بن ثور بن مرتع .. »، وإن فى جدّات رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار » وهى أم « كلاب بن مرّة »، وفى كلاب يجتمعُ نسب أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم

(٣) فى الأصل: « يا رسول الله »

هذا الفتى ! ثم قال لأربد : إذا قدمنا عليه فإنى شاغله عنك فاعْلُهُ بالسَّيف من خلفه . فلمّا قدموا جعل عامرٌ يكلِّمُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم [يقول : يامحمد ! خَالِّنى ! قال : لا والله حتى تُؤْمنَ بالله وحْدَه . قال : يامحمد ! خالِّنى ! وجعل يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينتظرُ من أربَدَ ما كان أمره به ، فجعل أربدُ لا يُحِيرُ شيئاً . فلمّا رأى عامر ما يصْنَع أربدُ ، قال : يا محمد ! خالِّنى ! قال : لا ، حتى تؤمنَ بالله وحده لا شريك له . فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله] (١) لأملأنّها عليك خيْلًا ورَجْلًا ! فلما وَلّى قال صلى الله عليه وسلم : اللّهُمّ اكفِنِي عامراً ! فلما خرجوا قال عامر لأربد : لِمَ لا قتلْتَه ؟ قال : كلما همَمْتُ بقتْلِه دخلْتَ بينى وبينه حتى ما أرى غيرَك ، أفأضْرِبُكَ بالسَّيفِ ؟ ! فأرسل الله فى طريقهم على عامر الطّاعون ، فقتَله وهو فى بيْت امرأةٍ سَلوليّةٍ حتى مات ؛ وأرسلَ الله على أرْبَد صاعقةً فأحْرقَتْه

وفد طيء

وقدِم وَفْدُ طَيِّئٍ : فيهم زيْدُ الخيْل بن مُهلهَل بن زيْد بن مُنْهِب الطّائى فأسْلَمَ ، وسمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيْد الخيْر ، وقال : ما وُصِفَ لى أحدٌ فى الجاهليّةِ فرأيْته فى الإسلام إلّا رأيتُــه دون الصِّفة غيْرَك . وأقْطع له أرَضين فى ناحيَته ؛ وأسلَمَ قومُه

كتاب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله

وكتب مُسَيْلِمة الـكَذّابُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من مُسَيْلِمة رسولِ الله إلى مُحمّدٍ رسولِ الله ، أمّا بعد ، فإنى قد أُشْرِكتُ معك فى الأمرِ ، وإنَّ لنا نصفَ الأرضِ ولقُريشٍ نصفُها ، ولـكنَّ قُرَيْشاً قومٌ يعْتَدُون »

كتاب رسول الله

فـكتَب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البسملة : « من محمدٍ رسول الله

---

(١) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها للسياق كما ترى ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٩٣٩

إلى مُسَيْلَمَة الكذَّاب ، أما بعدُ ، فالسَّلام على من اتَّبع الهدى ، أمَّا بعد ، فإنَّ الأرضَ للهِ يورِثُها مَنْ يشاء مِنْ عِبادِه والعاقبةُ للمتَّقين »

وقدِمَ بكتاب مُسيْلمة رجلان ، فسألهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه فصدَّقاه ، فقال : أما والله لولا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَل لقتَلْتُكما . وقيل : إنَّ دعْوَى مُسَيْلمة ، والأسْوَدَ العَنْسِيّ ، وطُلَيحةَ ، النُّبوَّةَ إنما كانت بعد حَجَّة الوداع

مقابلة الوفود

وكان صلى الله عليه وسلم إذا قدِمَ الوُفودُ لَبِسَ أحسنَ ثيابه ، وأمر أصحابه بذلك

البعثة على الصدقات

وفيها بَعَث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أُمَرَاءه إلى الصَّدقات . فبَعث المُهاجر بن أبى أُمَيَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم القرَشيّ إلى صَنْعاء ؛ وبَعث زِياد بن لَبيد بن ثَعْلبة بن سِنَان بن عامر بن عَدِيّ بن أُمَيَّة بن بَياضَة الأنْصاريّ البَياضِيّ إلى حَضْرَمَوْت ؛ وبَعث عَدِيّ بن حاتِم بن عبدِ الله(١) ابن سعْد بن حَشْرج بن امرىء القيْس بن عَدِيّ [بن أخزم بن أبي أخْزَم](٢) ابن ربيعة بن جَرْوَل بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّئ بن أُدَدَ بن زيْد بن كَهْلان الطائيّ على صدَقة طَيِّئ وأَسَد ؛ وبَعث مالك بن نُوَيْرة على صدقات حَنْظَلة ؛ وجَعل الزِّبْرقان بن بَدْر بن أمرئ القيْس بن خلَف بن بَهْدَلة بن عوْف ابن كَعب بن سَعد بن زيْدِ مَناة بن تميمِ التَّميمِيّ ، وقيْسَ بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنْقَر بن عُبَيْد بن الحارث [وهو مُقاعس] بن عمرو بن كَعْب بن سَعد ابن زيْدِ مَناة بن تميمِ المِنْقَريّ التَّميمِيّ على صدَقات سعدِ بن زيْد مَناة ؛ وبعث العَلاء بن الحَضْرميّ إلى البَحْرَين

بعثة عليّ إلى نجران

وبَعَث عليَّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى نَجْران على صدَقاتهم وجِزْيتهم ،

(١) فى الأصل : « بن عبد الله بن عبد الله » مكررة
(٢) زيادة من نسبه فى أسد الغابة

فقَدِم على رسول الله صلى الله عليــه وسلم فى حَجّه ، وأحْرَمَ كإحْرامِه . وذكر بعضُهم : أنَّ عليًّا رضى الله عنه سارَ فى هذه السّنةِ إلى اليمن — بعد تَوجُّهِ خالد ابن الوليد إليها — فقرأ على أهْلِ اليمن كتابَ رسولِ الله صلى الله عليــه وسلم فأسلمت كلُّها فى يومٍ واحدٍ . فـكتَب بذلك إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : السّلام على هَمْــدان ! وكرّر ذلك ثلاثًا ؛ ثم تَتابع[1] أهلُ اليَمَن على الإسلام ، فلما كتَب بذلك علىٌّ سجَد صلى الله عليه وسلم شكْراً لله تعالى . وأنه بَعثه صلى الله عليه وسلم إلى نَجْران ليجْمَع صدَقاتهم وجِزْيَتهم ، فلقِيه عليه السلام بمكة فى حَجَّة الوَداع . ولم يذكر الواقدىُّ فى مَغازيه بعثةَ علىٍّ رضى الله عنه سوى إلى اليَمَن — كما تقدم — فى رمضان

بعثة على إلى اليمن وإسلام أهله

حجة الوداع

ثم كانت حَجّة الوَداع ، ويقال : حَجَّة الإسلام ، وحَجَّة البَلاغ ، وحَجَّة التمام

وقد أجْمَع صلى الله عليه وسلم الخروج فى ذى القَعدة سنة عشر من مُهاجَره[2] ، وقد أسلمتْ جزيرةُ العرَب ومن شاء الله من أهل اليمن — فصلّى الظُّهر بذى الحُلَيْفة ، وأذَّن فى النَّاس بالحجِّ ، فقدِم المدينةَ بشَرٌ كثيرٌ يريدون أن يأتَمُّوا برسول الله صلى الله عليــه وسلم ويعْمَلوا بعمَله[3] . وسار من المدينة — مُتَدَهِّنًا مُتَرَجِّلًا[4] [مُتَجَرِّداً فى ثَوْبَيْن صُحارِيَّيْن : إزارٍ ورِداء ، وذلك][5] يومَ السبتِ لخمسٍ بقين من ذى القَعدة — ، ومعه أزواجُه ، وأهلُ بيْته ، وعامَّةُ المهاجِرين

المسير وصفة إحرامه

(١) فى الأصل : « تابع »

(٢) فى الأصل : « مهاجرة »

(٣) فى الأصل : « ويعملون بعمله » وليس بخطأ

(٤) فى الأصل : « مدهناً مترحلا » والذى أثبتناه من ابن سعد ج ٢ س ١٢٤ ، تدهَّنَ وادَّهَنَ : تطلَّى بالدهن والطيب ومسَّ شعره . والترجل والترجيل : تسريحُ الشعر ومَشْطه وتسويته وتنظيفهُ وتحسينُه ودَهْنه بالدّهن

(٥) هذه الزيادة بين القوسين من نص ابن سعد ج ٢ ص ١٢٤

والأنْصار ، ومنْ شاء الله من قَبائلِ العرَب وأفْناء[١] الناس . وقال ابن حزم : الصَّحيحُ أنَّه خرَج لستٍّ بَقين ، فصلّى الظهر بذى الحُليْفَة ركعتيْن ، وأحْرم عند صلاةِ الظهر من يوْمِه ذلك . ويقال : أنتهى إلى ذى الحُليْفة عنـد الظُّهر فباتَ لأنْ تَجْتمع إليه أصحابُه والهَدْىُ ، حتى أحرم عند الظهر من الغَدِ فى ثوْبين صُحاريّـيْنِ : إزارٍ ورداء ، أبدلَهما بالتَّنْعيم بثَوْبيْنِ من جِنْسِهما . وقيلَ : صلّى الظهر يومَ الخميسِ لستٍّ بَقين من ذى القَعدة ، ثم خرَج فصلّى العصرَ بذى الحُليْفة ؛ وأُجتمع إليه نِساؤُه وحجَّ بهن جميعاً فى الهَوادِجِ . فلمّا أُنتهى إليه اجتماعُ أصحابه والهَدْيِ ، دخل مسجد ذى الحُليْفة بعد أن صلّى الظهر فصلّى ركعتين ، ثم خرَج فدَعا بالهدْى فأشعَره فى الجانب الأيْمن بيَدِه[٢] ، ووجَّهه إلى القِبْلةِ ، وقلَّده نعْلَين نعْلَين[٣] . ثم ركِب ناقتـه ، فلمّا أُستوى بالبَيْداء أحرم . وقيل : أشْعر هَدْيَه وقلَّده قبل أن يُحْرِم . والقولُ الأوّل — : أنه لم يَبِتْ — أثْبَتُ

الهدى

وساق مائةَ بدَنةٍ ، ويقال إنه أمرَ أن يُشْعِر ما فَضَلَ من البُدْنِ ناجيةَ بن جُنْدَب ، وأُستَعْملَه على الهَدْى . وكان مع ناجيـة بن جُنْدب فِتْيانٌ من أسلَمَ ، وكانوا يَسوقونها سَوْقاً ، يَتْبَعون بها الرَّعْى ، وعليها الجِلالُ[٤] ، فقال ناجيةُ بن جُنْدُب : يارسول الله ! أرَأَيْتَ ما عَطِبَ[٥] منها كيف أصنَعُ به ؟ قال : تَنْحره ،

(١) الأفناء : الأخلاط من الناس ، نُزّاعٌ من ههنا وههنا ، لا يُدْرى من أىّ قبيلة هُمْ

(٢) أشعر البَدَنة (وهى ما يهدى إلى مكة من الإبل والبقر ، وجمعها بُدْن) : أعْلمها ، وهو أن يشقّ جلدها ، أو يطعُنها فى سنامها فى أحد الجانبين بِمِبضَعٍ حتى يظهر الدَّمُ ، وذلك ليُعْرَف أنها هَدْى

(٣) قلّد البَدَنة : علّق فى عُنُقِها عُرْوةَ مَزادة أو خَلَقَ نَعْلٍ ، فيعلم أنها هدى ، وما يوضع عليها من ذلك هو : القلائد

(٤) الجلالُ جمع جُلٍّ : وهو ما تلْبَسه البُدْن لتصانَ به ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجَلّل بُدْنه القَباطىّ ، جمع قُبْطِيَّة : وهى ثياب من كتان بيض رِقاق دِقاق كانت تعْمل بمصر

(٥) عَطِبَ البعير : اعترته آفة تمنعه من السَّير

وتُلقى قلائدَه فى دَمِه ، ثم تَضرِب به صَفْحَتَه اليُمنى[1] ، ثم لا تأكلُ منه ولا أحدٌ من أهل رُفقتِك

وأمرَ مَنْ كان معه هدْىٌ أن يُهِلَّ كما أهَلَّ ، وسارَ ، وبيْن يديْه وخلفَه وعن يمينِه وشماله أممٌ لا يُحصَوْنَ كثْرَةً : كلُّهم قد قدِموا ليأتمّوا[2] به صلى الله عليه وسلم . ويقال : كان معه تسعون ألفاً ، ويقال : مائة وأربعة عشر ألفاً ، ويقال أكثر من ذلك

ومرّ صلى الله عليه وسلم برجُلٍ يسوق بدَنَةً ، فقال : اركَبْها ، وَيلَكَ ! قال : إنها بَدَنَةٌ ! قال : اركَبْها ! وكان يأمُر المُشاةَ أن يَركَبوا على بُدْنِه

إحرام عائشة

وطَيَّبَتْهُ عائشة رضى الله عنها لإحْرامِهِ بيَدها ، وأَحرَمَتْ وتَطَيَّبَتْ ؛ فلما كانوا بالقاحَةِ[3] سالَ من الصُّفْرة على وَجْهها[4] ، فقال : ما أحسَنَ لوْنَكِ الآنَ يا شُقَيْراء[5]

الصلاة

وكان يُصَلِّى بين مكة والمدينة ركعتيْن آمنًا لا يخافُ إلا الله . فلما قدِم مكة صلَّى بهم ركعتين ثم سَلَّمَ وقال : أَتِمّوا صلاتَكُمْ يا أهْلَ مكة فإنَّا سَفْرٌ

الاهلال بالعمرة والحجّ

وقد اختُلِفَ فيما أهَلَّ به : فعن أبى طلْحة ، أنه قرَنَ مع حَجَّتِه عُمْرَةً . وعن حَفصة رضى الله عنها ، قالت : قلْتُ : يا رسولَ الله ! تأمُرُ النَّاسَ أنْ يحِلُّوا ولَمْ تَحِلَّ أنتَ من عُمْرتِك ؟ فقال : إنى لبَّدْت رأْسى ، وقَلَّدتُ هَدْيِى ، فلا أَحِلُّ

---

(١) الصَّفحة : الجانب ، يريد جانب الوجه

(٢) فى الأصل : « ليابوا »

(٣) القاحة : موضع على ثلاث مراحل من المدينة بين الجُحْفة وقُدَيد ، ويروى « الفاجَة » بالفاء والجيم

(٤) يريدُ صفرة الطيب لما فيه من الزعفران ، وذلك لما جعلتْ فى رأسها من الطيب

(٥) فى الأصل : « شقير » ، وقد أثبت فى هذا الحرف نص ابن سعد ج ٨ ص ٥٠ وجيعه : « إنَّ لونك الآن يا شُقَيْراءُ لحسَن » . وشُقيراء تصغير شقراء : وهى التى يعلو بياضها حُمْرة صافية ، ومثله أنه كان يسميها صلى الله عليه وسلم : « الحُميراء »

حتّى أنحرَ هَدْيِي . وعن ابْن عُمَر رضى الله عنهما ، قال : أَهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعُمْرةِ وساقَ الهَدْى . وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : أفْرَدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحجَّ . وقَدْ صحَّ أنّه أتاه آتٍ من رَبِّه فى وَادِى العَقِيق ، يَأْمُره عن رَبِّه أن يَقُول فِي حَجّته : هذه حَجَّة فى عُمْرةٍ . ومَعْنَى هذا أنَّ الله أمره بأنْ يَقْرِن الحجَّ مع العُمْرة . فأَصْبَح فأَخْبَر النَّاس بذلك ، وطافَ على نِسَائه بغُسْلٍ واحدٍ ، ثم اُغْتَسل وصلَّى عند المَسْجِد رَكْعتَين ، وأَهَلَّ بحَجَّةٍ وعُمْرَةٍ معاً . روَى ذلك عنه ستَّةَ عشر صحابِيًّا ، وعنهم ستّةَ عشر تابعيًّا

منازل السّير

وأَصْبَح صلى الله عليه وسلم يوم الأحَـدِ بيَلَمْلَم ، ثم راح فتعشى بشَرَف السَّيَالة(١) وصَلَّى المَغرِب والعِشاءَ ، ثم صلى الصُبْح بعِرْقِ الظُّبْيَة : بين الرَوْحاء والسَّيَالة ، وهو دُونَ الرَّوْحاء . ثم نَزل الروحاء ، فإذَا بحِمارٍ عَقِيرٍ فقال : دَعُوه حَتَّى يأتِيَ صاحبُه . فأهْدَاه لَهُ صلى الله عليه وسلم ، فأمر بِه أَبَا بكرٍ رضى الله عنه فقَسَمَه بين الصَّحَابَة ، وقال : صَيْد البَرِّ لكم حَلالٌ إلَّا ماصِدْتُم أو صِيدَ لَـكُم. ثم رَاحَ من الرَّوحَاء فصلَّى العصرَ بالمُنْصَرَف ، وصلَّى المغربَ والعِشاء بالمُتَعَشَّى وَتعشَّى بِهِ ، وصلى الصُّبْحَ بالأَثَايَةِ . وأصْبَح يومَ الثّلَاثاء بالعَرْجِ

خبر غلام أبى بكر الذى أضلّ بعيره

وكان أبُو بَكْرٍ رضى الله عنه قال لرَسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة : إنَّ عندى بَعِيراً نَحْمِلُ عليه زادَنا . فقال : فذَاكَ إذاً ! فكانت زَامِلَةُ(٢) رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأَبِي بكرٍ رضى الله عنـه واحدةً . وأمَرَ صلى الله عليه وسلم بزَادٍ : دقيق وسَوِيقٍ ، فجُعِلَ على بعير أَبِي بكر رضى الله عنه . فكان غُلَامُه

(١) شرف السَّيالة : موضع بين ملل والروحاء ، ويخطئ من يجعله « سَرِف » بالسين ، فهو مكان غيره . والسيالة : بفتح الياء غير مشددة

(٢) الزاملة : البعير الذى يُحمل عليه المتاعُ والطعام

يَرْكبُ عليه عُقْبَةً (١) ، فلما كان بالأُثَايَة عَرَّسَ الغلامُ وأناخَ بَعيره ، فَغَلبَتْه عيناهُ ، فقامَ البعيرُ يجرُّ خِطَامَهُ آخِذاً فى الشِّعْب ، وقامَ الغُلام فَلَزِم الطَّرِيقَ — يَظُن أَنَّهُ سَلكها — وهُو يَنْشُدُه ، فلا يَسْمَع لَهُ بِذِكْرٍ . ونَزَل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى أبياتٍ بالعَرْجِ ، فجاء الغلامُ ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أيْن بَعيرُكَ ؟ قال ضَلَّ مِنِّى ! قال : وَيْحَكَ ! لو لم يَكُنْ إلَّا أَنَا لَهَانَ الأَمْرُ (٢) ، ولكنْ رسولُ الله وأهلُه ! فَلَمْ يَنْشَبْ (٣) أَنْ طَلع به صَفْوانُ بن الْمُعَطَّل — وكان على سَاقَةِ الناس (٤) — فأناخَه ، وقال لأبى بكر رضى الله عنه : انظُر هَلْ تَفْقد شيئاً من مَتَاعِك ؟ فنظر فقال : ما نَفْقِدُ شَيْئاً إِلَّا قَعْباً كُنَّا نَشْرَبُ به ! فقال الغلام : هذا القَعْبُ مَعِى ! فقال أبو بكر رضى الله عنه : أَدَّى اللهُ عنكَ الأَمَانَةَ !

رواية أخرى فى خبر غلام أبى بكر

ورُوِى أَنَّه عليه السلام لما نَزَل العَرْجَ جَلَس ، وأبو بكر إلى جَنْبه ، وعائشةُ إلى جَنبه الآخَر ، وأسماء بجَنْب أبى بكر رضوان الله عليهم ، وأَقبلَ الغلامُ فقال له أبو بكر : أيْنَ بعيرُكَ ؟ قال : أَضَلَّنِى ! فقام إليه فَضَرَبه ويقول : بعيرٌ واحدٌ يَضِلُّ عَنْك ؟! فجعل صلى الله عليه وسلم يَتَبَسَّم ويقول : أَلَا تَرَوْن إلى هٰذا الْمُحْرِمِ ومَا يَصْنَع ؟ ! ولم يَنْهَهُ

طعام آل نضلة لرسول الله

وخَبَّر آلُ نَضْلة الأَسْلَمِيُّون أَنَّ زَامِلة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ضَلَّتْ ، فحَمَلوا جَفْنَةً من حَيْسٍ (٥) فأَقْبلوا بها حَتَّى وَضَعوها بَيْن يَدَيه ، فقال : هَلُمَّ

(١) يقال ركب عُقبة : أى مقدار فرسخين ، أو قدرَ ما يسيرُه ماشياً
(٢) فى الأصل : « لهان عن الأمر »
(٣) لم ينشبْ : لم يلبثْ
(٤) ساقةُ الناس ، وساقةُ الحجّ : هم الذين يسوقون الحجاج فى مؤخرهم ، ويكونون من ورائهم يحفظونهم ، ويجمعون ما يتفرّق عليهم
(٥) الحيس : طعام مخلوط متخذ من التمر والأقط والسمن ، وقد يجعل عوض الأقط الدقيق . وفى الأصل : « وخبر آل نضلة الأسلميّين »

يا أبا بكرٍ ! فقد جَاءك الله بغَدَاء طَيِّبٍ ! وجعل أبو بكرٍ رضى الله عنه يَغْتاظُ على الغلَام ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : هوِّنْ عَلَيكَ ! فإنَّ الأمرَ ليس إليْك ولا إلينَا مَعَك ! قد كان الغُلَامُ حريصاً ألّا يضلَّ بعيرُه ، فمِنْ هذا خَلَفٌ ممّا كان معه . فأَكل رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وأهلُه وأبو بكر ، وكلُّ من كان يأ كلُ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حتَّى شَبِعوا

مجىء البعير، وبعير سعد بن عبادة

ويجىء(١) سعدُ بن عُبادة رضى الله عنه وأبنُه قيسُ بن سعدٍ بزاملةٍ حتى يَجِدَانِ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم واقفاً قد أَتَى اللهُ بزَامِلتِه ، فقال سعدٌ : يا رسولَ الله ! بلغَنَا أن زَامِلَتَك أَضَلَّتِ الغلَام ، وهذه زاملةٌ مكانَها . فقال : قَد جاء الله بزَامِلَتِنا ، فأرْجِعا بزَاملتكما بارَكَ الله عليكما ! أَمَا يَكْفِيكَ يا أبا ثابتٍ ما تَصْنع بنا فى ضِيافتِك مُنْذُ نزلْنا المدينةَ ؟ فقال سعد : يارسولَ الله ! المِنَّة للهِ ولرسولِه ، واللهِ يارسولَ الله ، الّذى تأخذ من أموالنا أحبُّ إلينا من الذى تَدَع ! قال : صدقتُمْ ، يا أَبَا ثابت ! أَبْشِر فقد أفلَحْتَ ! إنَّ الأَخْلافَ(٢) بيد الله ، فمن شاء أنْ يمنَحه منها خَلَفاً صالحاً مَنَحه ، ولقد مَنحك الله خَلَفاً صالحاً . فقال سعد : الحمدُ لله ، هو فَعل ذلك ! قال ثابت بن قيس بن شمَّاس : يا رسولَ الله ! إن أَهْلَ بيت سعدٍ فى الجاهِليَّة سادَتُنَا ، والمُطْعِمُون فى المَحْلِ مِنَّا(٤) . فقال رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : النَّاس مَعَادِن(٥) ، خِيَارُهم فى الجاهِليَّة خِيَارُهم

سيادة بيت سعد ابن عبادة فى الجاهلية

---

(١) فى الأصل : « وجاء » ، والفعل المضارع هنا هو حقّ العبارة ، لقوله بعدُ : « حتى يجدان »

(٢) الأخلاف جمع خلف : وهو ما يكون عِوَضاً وبدلا يخلف

(٣) المحْل : الشدّة وانقطاع الخصبِ وما يلحقُ ذلك من الجوعِ الشديد

(٤) المعادنُ ، جمع معدِن . وهو الموضعُ الذى تستخرج منه جواهر الأرض ، كالذهب والفضة وغيرها ، ويريدُ بالمعادن أصولهم وسجاياهم وما جُبلوا عليه

فى الإسلام إذا فَقِهُوا ، لَهُمْ ما أَسلَمُوا عليه(١)

احتجام رسول الله ومسيره

وأحتجَم صلى الله عليه وسلم بلَحْيِ جَمَلٍ(٢) — وهو مُحْرِمٌ — فى وَسَط رأسه. ونزَل السُّقْيا يومَ الأربعاء ؛ وأصبح بالأبْوَاء ، فأهْدَى له الصَّعْب بن جَثَّامة بن قَيْس اللَّيْثى عَجُزَ حِمَارٍ يَقْطُر دَمًا ، فرَدَّه وقال : أنا مُحرِم . وأكل بالأبْواء لِيَاء مُقَشًّى(٣) أُهْدِىَ له من وَدَّان ، ثم قام فَصَلى ولم يتوضَّأْ(٤) . ثم راحَ من الأبْواء ، ونزَل يوم الجمعة الجُحْفة ، ثم راح منها ، وكان يومَ السبت بقُدَيْدٍ .

خبر المرأة وصغيرها ، وسؤالها عن حجته

ومرَّ يومئذٍ بامرأةٍ فى مِحَفَّتِها(٥) ، ومعها ابنٌ لها صغيرٌ ، فأخذت بعَضُده فقالت : يارسول الله ! ألهذا حَجٌّ ؟ قال : نعم ! ولكِ أجرٌ ! وكان يوم الأحد بعُسْفَان . ثم راح . فلما كان بالغَمِيم اعْتَرَض المشاةَ ، فصَفُّوا صُفُوفًا فشكوا إليْه المشْىَ ، فقال : اسْتَعِينُوا

(١) فى الأصل : « له ما أسلم عليه » ، وكما أحفظه أثبته ، ولم أوفَّق للوقوف على مرجعه الآن

(٢) لحى جَمَل : اسم موضع ، وهو عقبة الجحفة على سبعة أميال من السُّقيا بين مكة والمدينة

(٣) فى الأصل « لبامقشا » ، واللياءُ : من نبات اليمن ، وربما نبت فى الحجاز فى الخصب ، وهو فى مثل خلقة البصلة وقدر الحمَّصة ، وعليه قشور رقاق إلى السوادِ ما هو ، يقلى ثم يدلك بشىء خشن كالمِسْحِ ونحوه ، فيخرُجُ من قِشرهِ ، فيؤكلُ بحتاً ، وربما أُكل بالعسل ، ومنهم من لا يقليه . وهو حبٌّ أبيض كالحمص شديد البياض ، وواحدته لياءةٌ ويقال : هو اللوبياء . والمقشَّى : المقشر ، من قولهم ، « قشَّيْتُ الحبَّة » : نزعتُ عنها لباسها ... هذا ، وقد ورد فى ص ٢٧٧ س ٩ ، أنه قد أهدى له من ودَّان بنيا [وهو حب أبيض كالحمص] ، وقد كنتُ توقفت عندها إذ ذاك ولم أدر وجه صوابها أو تصحيفها ، فليصحح النص هكذا : « وأهدى له من ودّان لياء ... »

(٤) هذا دليل على أن « اللياء » كان مقليا ، فالنص هنا على أنه لم يتوضأ ، إيماء إلى الحديث الصحيح عن عائشة ، الذى اختلف عليه ، واختلف فى نسخه ، وذلك قوله صلى الله عليه وسلم « توضأوا مما مسَّت النار »

(٥) المحفة : مركب من مراكب النساء ، وهو رَحْل يُحَفّ (أى يحاط به) بثوب فيكون كالهودج ، إلا أن الهودج يقبَّب ، والمحفَّة لا تُقبَّب

بالنَّسَلَان[١] . ففعلوا ، فوجَدوا لذلك راحةً . وكان يومَ الاثنين بمَرّ الظَّهْرانِ ، فلم يَبْرَح حتى أَمْسَى ، وغربت لهُ الشَّمْس بسَرِفٍ ، فلم يصلّ المغربَ حتى دَخَل مكة . وكان النَّاسُ لا يَذْكرون إلا الحَجّ ، فلمّا كانوا بسَرِفٍ أمرَ عليه السلام النَّاسَ أن يُحِلُّوا بعُمْرة إلا من ساقَ الهَدْىَ

دخول مكة ، وعمل رسول الله وقوله

ولما أُنتهَى إلى الثَّنِيَّتَيْنِ باتَ بينهما — بين كَدَاء وكُدَى — ثم أَصْبح فاغتَسَل ، ودخَلَها[٢] نَهار الاثنين الرَّابع من ذِى الحجّة . وذكرَ الواقدىّ : أنه دخَل مكة يوم الثلاثاء من كَدَاء على راحلتِه القَصْواء إلى الأَبْطَح ، فدخلَ مكة من أعلاها حتى أُنتهَى إلى بابِ بَنِي شَيْبَةَ . فلما رأى البيتَ رَفعَ يدَيه ، فوقَع زِمامُ راحلتِهِ فأخذَه بشِماله ، ثم قال حين رأى البيتَ : اللّهُمَّ زِدْ هـذا البيتَ تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومَهابَةً ، وزِدْ مَنْ عظَّمه ممَّنْ حجَّهُ واعتمَرَهُ تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً وبِرًّا ! ولما دَخل المسْجد بدأَ بالطَّوَافِ قبلَ الصَّلاة . قال طاوُس : وطاف راكباً على راحلتِه . فلما أُنتهَى إلى الرُّكْنِ أُستلَمَهُ[٣] وهو مُضْطَبِعٌ بِرِدَائه[٤] ، وقال : بِسم الله والله أَكبر . ثم رَمَل ثلاثةً[٥] من

(١) النسلان : مشى سريع دون العدو ، نَسل ينسل : أسرع فى مشيه

(٢) يريد دخل مكة

(٣) استلم الركنَ اليمانى أو الحجر الأسود (من الكعبة) إذا قبَّله أو تناوله بيده ، فسحه فقبَّل ، أو أشار إليه بمحجن (عصا) ثم قبَّل المحْجن . والمراد بالركن هنا : الركن اليمانىّ

(٤) اضطبع الطائف بالبيت الحرام : أدخل الرداءَ من تحت إبطه الأيمن فغطى به الأيسر . وهو من الضبع : وهو عضد الإنسان

(٥) رَمَل يَرْمل : إذا أسرع فى مشيته وهز منكبيه ، وهو فى ذلك لا ينزو ، والرمل والرملانُ هو مما شرع فى الطواف بالبيت ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به أصحابه فى عمرة القضاء ، إذ قال أهل مكة من المشركين إن المسلمين قد وهنتهم حُمّى يثرب (المدينة) ؛ فأمر المسلمون به يومئذ ليعلم أهلُ مكة أن بهم قوة . ثم جرت السنَّة على الرمل فى بعض الأطواف دون بعض

الحجَرِ إلى الحجَر . وكان يأمرُ من أستلم الركنَ أن يَقُول : بِسم الله والله أكبر ، إيمـاناً بالله ، وتصْديقاً بمـا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . وقال فيما بين الرُّكنِ اليمـانيّ والأسْود : « رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار »(١) . ولم يَستلم من الأركان إلا اليَمَانيَّ والأسْوَد . ومَشَى أربعـةً(٢) ، ثم أنتهى خلفَ المقامِ فصلى ركعتَين ، يَقرأُ فيهما : « قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ » ، و « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » ، ثم عادَ إلى الرُّكنِ فاستَلَمه

نهى عمر من مزاحمة الطائف لقوته

وقال لعمر رضى الله عنـه : إنَّكَ رجُلٌ قوىٌّ ، إنْ وَجَدت الرُّكن خالياً فاْستَلِمْه ، وإلّا فلا تزَاحِمْ عليه فتوذِىَ(٣) . وقال لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : كيف صَنَعْتَ بالرُّكن يا أبا محمّد(٤) ؟ فقال : أسْـتَلَمتُ وترَكْتُ ! قال أصَبْتَ

صفة سعيه بين الصفا والمروة

ثم خرَجَ إلى الصَّفا من بابِ بنى مَخزوم ، وقال : أبْدَأُ بمـا بدأ الله به . وسَعَى على راحلتِه ، لأنه قَدِمَ وهو شاكٍ . وقيل : سَعَى على بَغلَتِه ؛ والمعروفُ على راحلتِه . فصَـعِدَ على الصَّفا فـكبَّر سَبْع تـكبيراتٍ وقال : لا إلَهَ إلّا اللهُ وَحْدَه لا شَريكَ لهُ ، لهُ المُلكُ ولهُ الحمـدُ ، وهُوَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، صَدَقَ الله وَعْدَه ، ونصَرَ عَبْدَه ، وهزَمَ الأحزَاب وَحْده . ثم دعا بين ذٰلك . ونزَل إلى المرْوَة ، فلمّا أنصَبَّت قدَماه في الوَادِى رَمَلَ . وقال فى المشْى : أيُّها النّاس ! إن الله كتَبَ عليكم السّعْىَ فاسْعَوْا ! وسَعَى حتى أنـكَشف إزارُه عن فخِذِه . وقال فى الوَادِى : ربِّ أغْفِرْ وأرْحَمْ ، وأنتَ الأعزُّ الأكْرَم ! فلمّا انْتهَى إلى المرْوَة

(١) من آية البقرة : ٢٠١

(٢) يريد أنه صلى الله عليه وسلم رمل ثلاثة أطواف ، ومشى أربعة من أسبوع الطواف

(٣) يريد فتؤذىَ الناس ممن يستلم الركن

(٤) فى الأصل : « يا محمد »

فعلَ عليها مثلَ ما فعلَ على الصَّفا ، فبدأ بالصَّفا وختمَ بالمرْوَةِ

فسخ حج من لم يسق الهدى إلى عمرة

وأمرَ مَن لم يَسُقِ الهدْىَ أن يَفْسَخ حجَّه إلى عُمْرةٍ ، ويتحَلَّلَ حِلًّا تامًّا ، ثم يُهِلَّ بالحج[1] وقتَ خروجه إلى مِنًى ، وقال : لو أستقبلْتُ من أمْرِى ما أستَدْبَرْتُ ما سُقْتُ الهدْىَ ، ولجعلتُها عُمْرة . وقدِم علىٌّ من اليمن ، فقال له : بِمَ أهْلَلْتَ ؟ قال : بإهلالٍ كإهْلال النبىِّ صلى الله عليه وسلم . فقال : إنِّى سُقْتُ الهدىَ وقرَنت[2] . هكذا روى أبو داود بسندٍ صحيح

قدوم على من اليمن

نزول رسول الله بالأبطح

وكان قد أضْطَرَبَ بالأبْطح[3] ، فقالت أمُّ هانئ : يارسولَ الله ! ألَا تَنْزِلُ فى بيوت مكة ؟ فأبَى ، ولم يزَلْ بالأبطحِ حتى خرَجَ يوم التَرْوِيَة[4] ، ثم رجع مِن مِنًى فنزل بالأبطح حتى خرَجَ إلى المدينة ، ولم يدخُلْ بيتاً ولم يُظِلَّه

دخوله الكعبة وصلاته بها

ودخل الكعبةَ بعد ما خَلَعَ نعْلَيه ، فلما انتهَى إلى بابها خلَعَ نعْلَيْه . ودخل معه عثمان بن أبى طَلْحة ، وبلالٌ ، وأسامة بن زيدٍ رضى الله عنهم ، فأغلقُوا عليهم البابَ طويلًا ثم فتَحُوه . وصلَّى فيه ركعتَين بين الأُسطوَانتين المقدَّمتين ، وكان البيتُ على ستّة أعمدةٍ . وقيل : بل كبَّرَ فى نواحيه ولم يُصَلِّ . ورُوىَ أنَّه دخلَ على عائشةَ رضى الله عنها حزيناً ، فقالت : مالك يارسولَ الله ؟

---

(١) أصل الإهلالِ : أن يرفع المعتمر بالبيت الحرامِ صوته بالتلبية ، ثم قالوا : أهلَّ المحرم بحجَّة أو بعمرة : فى معنى أحرم بها ، وذلك لرفع المحرمِ صوته بالتلبية

(٢) قرنَ بين الحجِّ والعمرة : وذلك إذا جمع بينهما بنيّة واحدة ، وتلبية واحدة ، وإحرام واحد ، وطواف واحد ، وسعْى واحد ؛ فيقول : « لبَّيك بحجة وعمرة » . وذلك الفعل هو القِران : أى الجمع بين الحجّ والعمرةِ

(٣) اضطرب بناء أو خيمة : وذلك أن يضربه وينصبه ويقيمه على أوتاد مضروبة فى الأرضِ

(٤) يوم التروية : هو اليوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذى الحجة : سمّى به لأن الحجاج كانوا يتروَّوْن فيه من الماء وينهضون إلى مِنى — ولا ماء بها — ، فيتزوَّدون رِيّهم من الماء ، يسقون ويستقون . (انظر بعد ص ٥٢٩)

قال : فعلتُ اليومَ أمرًا ليْتَنى لم أكُ فعلتُه ! دخلتُ البيتَ ، فعسى الرَّجُلُ من أمّتى لا يقدِرُ أنْ يدْخلَه ، فتكونُ فى نفسهِ حَزَازَةٌ[١] ، وإنما أُمِرْنا بالطَّوَاف ولم نُؤْمَرْ بالدُّخول ! وكَسَا البيتَ الحِبَرَات[٢] : وكانت الكعبةُ يومئذٍ ثمانية عشر ذراعا

مدة إقامته بمكة

وأقام بمكة يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس ؛ وكان يومُ التَّرْوية يومَ الجُمُعة ، فخطَبَ قَبْلَ التَّرْوية بيومٍ بعد الظُّهْر بمكة . وقامَ يومَ التَرْوية بين الرُّكن والمَقام ، فوعَظَ النَّاس وقال : مَنِ أستطَاعَ أن يُصَلِّى الظُّهْرَ بمِنًى فلْيَفْعلْ . فصلّى فى حَجَّته هذه صلاةَ أربعةِ أيامٍ — وهو مقيمٌ بمكة — حتى خرَجَ إلى مِنًى ، وهو فى كل ذلك يَقْصُرُ[٣] . ولم تكن إقامتُه هذه إقامةً ، لأنها ليست له بدارِ إقامةٍ ، [وأنه لم يَنْوِ صلى الله عليه وسلم أن][٤] يتَّخِذَها دارَ إقامةٍ ولا وَطَن ، وإنما كان مُقَامه بمكة إلى يومِ التروية كمُقام المُسافر فى حاجةٍ يَقْضيها فى سَفره مُنصرفًا إلى أهلهِ ، فهو مُقام من لا نِيَّةَ له فى الإقامة . فلم يَنْوِ صلى الله عليه وسلم جَعْلَها مُقَامَه[٥] ، بل نَوَى الخروجَ منها إلى مِنًى يومَ التَرْويةِ عاملاً فى حجِّه حتى ينْقضىَ ، وينصرفُ إلى المدينة

(١) الحزازة : وجع القلب من غيظ أو حزن أو ألم ونحوها

(٢) الحبرات والحِبَر ، جمع حِبَرة : وهى ضرب من برود اليمن منمَّر

(٣) قصر صلاته يقصُرُها فى السَّفَر : وهو أن يصلى الظهر والعصر والعشاء الآخرةَ ركعتين ركعتين ، فأمّا العشاء الأولى — وهى صلاة المغرب — وصلاة الصبْح فلا قصر فيهما للمسافر

(٤) الذى بين هذين القوسين بياض بالأصل ، وآثرنا إتمامه بما تدل عليه سياقة المعنى

(٥) فى الأصل مكان الكلمتين الأخيرتين : « جملة إقامة » غير واضحة أو مفسَّرة الرَّسم أو معجمة ، وأحسبُ الناسخ لم يجد قراءتها فى أصله الذى نقل عنه ، فجعلها هكذا . فلو قرئت « جملة إقامة » بعد تمام إعجامها ، فهى عبارة متهالكة ، وكان الصوابُ ما أثبتناه إن شاء الله

مسيره إلى منى

وركبَ — حين زاغَتِ الشَّمسُ[١] في يوم التَّرْوِية — بعد أن طاف بالبيت أُسْبوعًا . فصَلَّى الظُّهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاء والصُّبْحَ بمِنًى . وكان بلالٌ إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مَسِيرِه إلى مِنًى ، وبيده عُودٌ عليه [ثَوْبًا وَشْيٍ][٢] : يُظِلُّه من الشَّمْسِ . وقالتْ له عائشة : يا رسولَ الله ! ألا نَبْنِي لكَ كَنِيفًا[٣] ؟ فأَبَى ، وقال : مِنًى مَنْزِلُ مَنْ سَبَقَ ! وقيل : بنى بمِنًى ليلة الجُمُعة التاسع من ذى الحجة ، ثم أصْبح فسار إلى عَرَفَة .

مسيره إلى عرفة

ولم يركبْ من منى حتى رَأى الشَّمس قد طلعتْ ، فركِبَ إلى عرَفة ، ونزَل بنَمِرَةَ ، وقد ضُرِبَ له بها قبَّةٌ من شَعَرٍ . ويقال : إنما قالَ إلى فَيْءِ صَخْرةٍ[٤] ، وميمونةُ رضى الله عنها تَتْبَع ظِلَّها حتى راحَ ، وأَزْواجُه فى قِبَاب — أو فى قُبَّة — خَزٍّ له . فلما كان حين زاغَتِ الشمس أَمَرَ براحِلتِه القَصْواء ، فرُحِلتْ برَحْل رَثٍّ وقطيفةٍ لا تَسْوَى أربعةَ دراهم ، فلما تَوَجَّه قال : اللَّهمَّ حَجَّةً لا رِئَاء فيها ولا سُمْعةَ[٥] ! ثم أَتى بطْنَ الوادِى : — بطنَ عُرَنَةَ[٦] — ، وكانت قريشٌ لا تشكُّ أنه لا يتجاوَزُ المُزْدَلِفَةَ يقِفُ بها ،

موقفه بعرفة وموقف قريش فى الجاهلية

فقال نَوْفَلُ بن مُعاوية الدِّيلِيّ — وهو يَسِيرُ إلى جَنْبه — : يا رسول الله ! ظنّ قومُكَ أنك تقِفُ بجَمْعٍ[٧] ! فقال : لقد كُنْتُ أَقفُ بعرفَة

(١) زاغت الشمس تزيغ : مالت إلى المغيب

(٢) فى الأصل : « عليه شىء يظله » ، وهو تحريف وحذف وتصحيف ، والصواب ما أثبتناه بين القوسين ، وانظر ابن سعد ج ٢ قسم ١ ص ١٢٧ . والوشى : ضرب من الثياب يكون فيه من كلّ لون . وأصل الوشى : خلط لون بلون

(٣) الكنيف : كلّ ما سُتر من بناء أو حظيرة من الخشب يستظل بها من حرّ الشمس

(٤) قال يقيلُ قيلولة : نام القيلولة ، وهى نومة الظهيرة نصف النهار . والفىء : ما كان شمسا فزالت عنه ونسخه الظلّ ، وأما ما لم تكن عليه الشمسُ فهو الظلّ

(٥) يقال فعل الشىء رئاء وسمعة : أى ليسمعه الناس ويَرَوْه ، يبتغى بذلك المدْح عندهم

(٦) بطن عرنة : واد بحذاء عرفات ، وبها مسجد عرفات

(٧) جمع : هو مزدلفة

قبلَ النبوةِ خِلافاً لهم ! وكانت قريشٌ كلُّها تقِف بجمعٍ ، إلّا شَيْبَةُ بن رَبيعة مِنْ بينهم فإنه كان يَقِفُ بعرَفَة

صلاته بعرفة وخطبته

وخطبَ صلى الله عليه وسلم — حِين زاغَتِ الشمسُ — ببَطْن عرَفَة على ناقته ، فلمّا كان آخرُ خُطْبَتِه أذَّن بلالٌ ، وسَكَتَ صلى الله عليه وسلم من كلاَمِه . فلما فَرَغ بلالٌ من أذَانه تكلم بكلماتٍ ، وأناخَ راحِلتَه ، وأقام بلالٌ ، فصلَّى عليه السلام الظُّهرَ ، ثم أقام ، فصلى العَصْرَ : جَمَعَ بَيْنَهُما بأذانٍ وَإِقَامَتَيْن . ثم رَكِبَ ، وهو يُشِيرِ بيدِه إلى الناس : أرْتفعوا إلى عَرَفة . وكان منخُطْبته بعرَفة قبل الصَّلاتين :

خطبة عَرَفة

أيُّها النَّاس ! إنِّي والله مَا أدْرِى لعلِّى لا ألْقاكم بمكانى هـذَا ، بعد يَوْمِكم هذا ! رَحِمَ الله امْرَءًا سمِع مَقَالتِي فوَعاهَا ، فرُبَّ حامل فِقْهٍ لا فِقْهَ لهُ ، وربَّ حاملِ فقْهٍ إلى مَنْ هو أفقَهُ منه ! وأعلموا أنَّ أموَالكم ودِمَاءَكم حَرامٌ عليكم كحُرْمة يوْمِكم هذا ، فى شهْرِكم هذا ، فى بَلَدِكم هـذا . وأعلَموا أن الصُّدُورَ لا تُغِلُّ على ثلاثٍ[1] : إخْلاصِ العمَل لله ، ومُنَاصحةِ أهْلِ الأمرِ ، ولزُومِ جَمَاعةِ المُسْلمين ، فإنَّ دَعْوَتَهُمْ تحيطُ مِنْ وَرَائِهم[2] . ألاَ إن كلَّ شىءٍ منْ أمرِ الجاهليّة تحتَ قَدَمىَّ موضوعٌ ، وأوَّلُ دِماءِ الجاهليّة أضَعُ دَمُ إياسِ بن رَبيعةَ بن الحارثِ [بن عبد المطَّلب][3] — [كان مُسْتَرْضَعاً فى بنى سعد [بن بكر][3] فقتلَتْه[4]

(١) أغَلَّ يُغِل (من الإغلال) : خان ، وغلَّ يَغِل (من الغِلّ) : إذا صار ذا غشّ وضغن وحقد . وروى الحديث بهما ، فمن ضم الأول وكسر الثانى ، فمعنى ذلك : أن لايكون فيها غش ودَغَل ونفاق وخيانة ، ولـكن يكون فيها الإخلاصُ فى ذات الله جل جلاله . ومن فتح الأول وكسر الثانى ، فمعناهُ : أن لايدخلها من الغل والشحناء والحقد مايزيلها عن الحق ، ويحملها على الهوَى

(٢) تحيط من ورائهم : أى تحدقُ بهم فتمنعُهم وتحفظهم

(٣) زيادات للبيان ، وفى ابن هشام ج ٢ ص ٩٦٨ أنَّ ابنَ ربيعـة كان مسترضعاً فى بنى ليث ، وانظر ما سيأتى ص ٥٣٠

(٤) فى الأصل : « فقتله »

هُذَيل] — . وربا الجاهلية موضوعٌ[1] كلُّه ، وأوّلُ رِبًا أَضَعُه رِبَا عبَّاس بن عبد المطلب اتَّقُوا الله فِي النساء ، إنما أَخذتموهُنَّ بأمانة الله ، واستَحْلَلتم فُرُوجَهنَّ بكلمةِ الله ، وإنَّ لكم عليهنَّ أَنْ لَا يُوطِئْن فُرُشَكم أحداً تكرهُونه ، [وعليهنَّ أن لا يَأْتِينَ بفَاحشَةٍ مُبَيِّنَةٍ] [2] فإن فعلْنَ ، فاْضرِبوهن ضَرْباً غيرَ مُبَرِّحٍ ، [فإن انتهيْنَ] [2] ، فلَهُنَّ[3] عليكم رِزْقُهُنَّ وَكِسْوتُهُنَّ بالمعروف قد تركتُ فيكم ما لَنْ تَضِلوا بعدَه إن اُعتَصَمتم به : كِتابَ الله . وأنتُم مسؤُولون عنِّي ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهدُ أنَّك قد بلَّغت وأدَّيت ونَصَحْتَ ! ثم قال بإِصْبَعِه[4] السَّبَّابة يشير إلى السماء يَرْفعها ويَكُبُّها[5] ثلاثاً : اللهمَّ أشهدْ !

المبلّغ عنه بعرفة

وكان الذى يبَلِّغ عنه بعرَفة[6] رَبيعةُ بن أُمَيَّة بن خلف لكثرةِ الناسِ ، فانه شهد الخطبة نحوٌ من أربعين ألفا

ذكر المناسك

ووقفَ بالهضاب من عرَنَةَ وقال : كلُّ عرفة مَوقفٌ إلاَّ بطن عُرنة ، وكلُّ مُزْدَلِفَة موقفٌ إلاَّ[7] بطن مُحَسِّر ، وكلُّ مِنًى مَنحرٌ إلَّا خلف العقَبة

و بعث إلى مَنْ هُو بأقصى عرفة فقال : اُلْزَمُوا مَشاعِرَكم ، فإنكم على إرْثٍ من إِرثِ إبراهيم عليه السلام

دعاؤه بعرفة

ومدَّ يدَيه — وهو واقفٌ بعرَنَة — ثم أقبل براحتيه على وجهه وقال : إنَّ أفْضَل دُعائى ودُعاءِ مَنْ كان قَبْلى من الأنبياء : لا إلهَ إلا الله وَحْدَه لا شريكَ

---

(١) فى الأصل : « موضع »
(٢) زيادات من ابن هشام ج ٢ ص ٩٦٩ ، والطبرى ج ٣ ص ١٦٩ وغيرهما
(٣) فى الأصل : « ولهنَّ »
(٤) قال بإصبعه : أشار إشارة مبنية عن معنى يريده
(٥) كبَّ الشىء يكبّه : قلبه ونكّسه
(٦) فى الأصل : « عرنة »
(٧) فى الأصل : « إلى »

له ، له الملكُ وله الحمدُ ، بيدِه الخَيْرُ يُحْيي ويُميتُ وَهُوَ عَلَى كلِّ شيء قَدِيرٌ

الاختلاف في صيامه بعرفة

وأختَلَفُوا في صِيامه يَوْمئذٍ فقالت أمُّ الفَضْل(١) أنا أعْلم لكم عِـلْمَ ذٰلِكَ . فأرْسَلت إليه بعُسٍّ من لبَنٍ(٢) ، فشربَ وهو يَخْطُب

نزول آية « الدين »

ووقَفَ على راحلتِه حتَّى غَرَبت الشمسُ يَدْعُو . ونَزَلَ عليـه وهو واقفٌ بعرَفَةَ : « اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَـكُمْ دِينَـكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَـكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (المائدة : ٣)(٣)

النفر من عرفة

وكان أهلُ الجاهليةِ يَدْفَعُون من عرَفَةَ(٤) إذا كانت الشمس على رؤوسِ الجبالِ كهيئةِ العَمائمِ على رُؤوسِ الرجالِ ، وظَنَّتْ قريشٌ أنه عليه السلام يَدْفَعُ كذلك ، فأخَّر دَفْعَه حتى غَرَبتِ الشمس . ثم سار عَشِيَّةً ، وأَرْدَفَ أُسامة بن زيد(٥) من عرَفَةَ إلى مُزْدَلفة

الإفاضة

وذكر الزُّبَيْر بن بكار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَفاضَ(٦) : عن يَمينه أبو سفيان بن حَرْب ، وعن يَسَاره الحارثُ بن هِشَام ، وبين يديه يزيدُ ومُعاويةُ أبْنا أبي سُفيان على فرسَيْن ، فكانَ يسيرُ العَنَقَ ، فإذا وجَدَ

---

(١) هي أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ، وأوّل امرأة آمنت بعد خديجة رضي الله عنها ، واسمها لُبابة بنت الحارث الهلالية ، وهي لبابة الـكبرَى . وأختها لبابة بنت الحارث الصغرى ، أمُّ خالد بن الوليد

(٢) العُسّ : قدح ضخم يسع ثمـانية أرطال أو تسعة

(٣) في الأصل : « دينكم ، الآية »

(٤) دَفع من المكان دَفْعاً : خرج وانطلق مندفعا

(٥) أردفه : جعله رِدْفاً لهُ ، فأركبه خلفه

(٦) أفاضَ إفاضة : زحفَ واندفع ، والإفاضةُ في الحج : اندفاعُ الناس بكثرة إلى مِنى منتشرين متفرقين بعد اجتماعهم في عرفة

فَجْوَةً نَصَّ[1] وقال : أيها النّاسُ ! عَلَى رِسْلِكُم[2] ، عليكم بالسكينة ، لِيَكُفَّ قَوِيُّكُم عن ضَعِيفكم

التزول إلى مزدلفة

ومالَ إلى الشِّعْب — هو شِعْب الأذاخِر ، عن يَسَار الطَّريق بين المأْزِمَيْن[3] — فبالَ . ولم يُصَلِّ حتى نزَل قريباً من الدَّار التى على قُزَح ، وصلَّى المغربَ والعِشاء بالمُزْدَلِفة [بأذانٍ واحدٍ لهما ، وبإقامتين ، لكلِّ صلاةٍ منهما إقامة][4] ، ولم يُسَبِّحْ بينهما ، ولا إثْرَ واحدةٍ منهما . فلما كان فى السَّحَر أذِنَ — لمن استأذَنه من أهل الضَّعْف من الذُّرِّيَّة والنِّسَاء — فى التقدُّم من جَمْع قبل حَطْمَةِ الناسِ[5] . وحبس نِسَاءه حتى دَفَعْنَ بدَفْعه[6] حين أصْبَح . فرمى[7] الذين تقدَّموا الجمرةَ قبل الفَجْر أو مع الفَجْر

الدفع من مزدلفة

ولما بَرَق[8] الفجرُ ، صلَّى عليه السلام الصُّبْحَ ، ثم ركب راحلتَه ووقَف على قُزَح . وكان أهلُ الجاهلية لا يَدْفعُون من جَمْع حتى تَطْلُع الشمسُ على ثَبِير ، يقولون : « أشْرِقْ ثَبِيرُ ، كيْمَا نُغِير » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ قريشاً خالَفت عهدَ إبراهيم ! فدفع قبل طُلُوع الشَّمس

موقفه بمنى

وأردَفَ الفضلَ بن العبَّاس من مُزْدَلِفة إلى مِنًى . وقال : هذا الموقفُ ،

(١) العنق من سير الدابة : سير منبسط هادئ مع قليل سرعة . والنصّ : سير سريع ماض حثيث ، ونصّ : سار هذا السير وأسرع . والفجوة : الفسحة بين جماعة الناس

(٢) الرِّسل : اليسر ، يقال : « افعل كذا على رِسلك » : أى اتئد فيه ولا تعجل

(٣) المأزمان : بين المشعر الحرام وعرفة ، وهو شعب بين جبلين يفضى إلى بطن عُرنة ، وبه المسجد الذى يجمع فيه إمام الحجيج بين الصلاتين الظهر والعصر

(٤) فى الأصل مكان ما بين القوسين : « بإقامة إقامة » وهذه عبارة غير بينة ، والذى أثبتناه هو عملُ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٥) الحطمة : الزحمة ، يريدُ : قبل أن يزدحموا ويحطم بعضهم بعضاً ويدوسوهم

(٦) فى الأصل : « بدفعة »

(٧) فى الأصل : « فرأى »

(٨) برَق الفجر : لمع وتلألأ وظهر

جمع الجمرات من مزدلفة

وكلُّ المزدلفة مَوْقفٌ . وحَمل حَصى العَقَبةِ من المزدلفة ، وأَوْضع فى وادى مُحَسِّر ولم يقطع التَّلْبِيَة حتى رَمى الجمرة ، ورَمى جَمْرة العَقبة يوم النَّحْر على ناقته[١] ، ولا ضَرْبَ ولا طَرْدَ ، ولا إِلَيْكَ إليك[٢]

نحر الهدى ، وتفريقه ، والأكل منه

ولما انتهى إلى المَنْحَر[٣] قال : هذا المنحرُ ، وكلُّ مِنًى مَنْحَر ، وكلُّ فِجاج مكة طريقٌ ومَنْحَرٌ ، ثم نحرَ بيده ثلاثاً وستين بَدَنَةً بالحرْبة ، ثم أعطى رجُلاً فنحرَ ما بقى ، ثم أمر من كلِّ بدنةٍ نَحَرها ببَضْعَةٍ[٤] فجُعِل فى قِدْرٍ فطبخه ، فأكل من لَحْمها وحَسَا مِنْ مرَقِها[٥] . وأمر عليًّا رضى الله عنه أن يَتصدق بجِلال البُدْنِ وجُلودها ولُحُومِها ، ولا يُعْطِىَ منها فى جَزْرِها شيئاً[٦]

التحليق

ولما فَرَغ من نحْر الهَدْى دَعا الحلاقَ ، وحَضر المسلمون يطلُبون شَعَره ، فناوَل[٧] الحلاَّق شِقَّ رَأْسِه الأيمن ، ثم أعطاه أبا طَلحة الأنصارى [ثم ناوله الشِقَّ الأيسرَ لحلقَه ، فأعطاهُ أبا طلحةَ ، فقال : اُقسِمْ بين النَّاس][٨]

(١) فى الأصل : « باقية »

(٢) إليك إليك : هو تنبيه يرادُ به الزجرُ ، معناه تنحَّ وابعُد ، وكانوا يقولون ذلك بين يدى الأمراء ، كما يقولون : الطريقَ الطريقَ . يقول : إن هديه فى زحمة الحج وسمته هدوء وسكينة ورفق ومسامحة صلى الله عليه وسلم

(٣) فى الأصل : « النحر »

(٤) البَضعة : القطعة من اللحم . وقوله : « فجعل فى قدر » ، يعنى اللحم كله

(٥) حسا الماء والمرق : شربه فى مُهلة متأَنياً

(٦) جزْر الذبيحة : ذبحها وتقطيعها وسلخها

(٧) فى الأصل : « فأعطى الحلاق ... » ، وهو خطأ من الناسخ فيما أحسبُ ، والذى أثبتناه هو حق العبارة وصوابها ؛ فالذى حلقه هو معمر بن عبد الله القرشى العدوىّ ، وهو لم يُصب من شعره صلى الله عليه وسلم إلا ما أصابَ سائرُ المسلمين ؛ وأما أبوطلحة الأنصارى فهو الذى أكرمه رسول الله بِشقِّ شعره كله واختصه به . واختلف فى الشق هو الأيسر أم الأيمن . انظر زاد المعاد ج ١ ص ٢٣١ ، وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٧٨ ، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧١

(٨) ما بين القوسين تتمة هذه الرواية ، من السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧١

ناصية رسول الله لخالد بن الوليد ، وحديث أبى بكر فى أمر خالد

وكلّمه خالدُ بن الوليد فى ناصيتهِ حين حلقَ ، فدَفَعها إليه ، فكان يجعلُها فى مُقَدَّم قَلَنْسُوَته ، فلا يَلْقى جَمْعا إلّا فَضّه(١) . وكان أبو بكر الصديقُ رضى الله عنه يقول : كنتُ أنظرُ إلى خالدِ بن الوليد وما نَلقى منه فى أُحُدٍ ، وفى الخَنْدَق ، وفى الحُدَيبية ، وفى كلّ مَوْطنٍ لاَقَانا ، ثم نظرْتُ إليه يوم النَّحْر يُقدِّمُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بَدَنَةً وهى تَعْتِبُ فى العَقْل(٢) ، ثم نظرتُ إليه ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحلِقُ رأسَه وهو يقول : يا رسولَ الله ! ناصِيَتَكَ ! لا تُؤْثِرْ علىّ بها أحداً(٣) ! فِدَاكَ أبى وأمى !! فأنظرُ إليه أَخَذَ ناصيةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يضعُها على عَيْنيه وفيه(٤) .

تفريق شعره بين الناس

وفرّق صلى الله عليه وسلم شَعَره فى النّاس . ولما حَلَقَ رأسه ، أَخَذَ من شاربه وعارِضَيْه ، وقلّم أظفارَه ، وأمر بشعَره وأظفاره أن يُدْفَنا .

المحلّقون والمقصّرون

وقصّرَ قومٌ وحَلّق آخرُون فقال صلى الله عليه وسلم : رَحِمَ الله المحلِّقين ! ثلاثاً ، كلّ ذلك يُقال : والمقصِّرين يا رسولَ الله ! فقال والمقصِّرين ! فى الرابعة . وأصابَ الطِّيب بعد أن حَلَق ، ولَبِسَ القميصَ . وجلَس للنّاس ، فما سُئِل يومئذ عن شىء قُدِّمَ أو أُخِّرَ(٥) إلا قال : أفعَلْهُ ولا حَرَج !

النهى عن الصيام أيام منى

وبعث عَبْدَ الله بن حُذافة السَّهْمىّ — وقيل : كعبَ بن مالك — يُنادى

---

(١) فض الجمع : فرّقه وشتته

(٢) عتبَ الفحل أو الناقة يعتبُ : ظلع أو عُقِل أو عقر فمشى على ثلاث قوائم كأنه يقفز قفزا ؛ وكذلك الإنسان إذا وثب برجل واحدة ورفع الأخرى ؛ وكذلك الأقطع إذا مشى على خشبة . والعقل : أن تثنى وظيفَ الناقة مع ذراعها وتشدّهما جميعاً بالحبل فى وسط الذراع ، وذلك الحبل هو العقال

(٣) فى الأصل : « أحد »

(٤) انظر مثل هذا الخبر عن أبى بكر فى أمر سهيل بن عمرو ص ٢٩٦

(٥) قدم أو أخر من مناسك الحج على مراتبها

فى الناس بمِنًى : إنّ رسول الله قال : إنّها أيامُ أكلٍ وشُرْبٍ وذِكرٍ لله . فانتهى المسلمون عن صيامهم ، إلا مُحْصَرٌ[1] ، أومتمَتِّعٌ بالعُمْرَة إلى الحجّ[2] ، فإن الرُّخْصَةَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَصُوموا أيامَ مِنًى

الإفاضة يوم النحر إلى مكة

وأفاض صلى الله عليه وسلم يوم النَّحر وأَرْدَفَ معاوية بن أبى سفيان من منًى إلى مكة . واُختلف أين صلّى الظُّهر يومئذٍ ؟ ويقال : أَفاضَ فى نسائه مساءَ يوم النحر ، وأمر أصحابه فأفاضُوا بالنهار

الشرب من زمزم

وأتى زَمْزَم فأمر بدَلْو فنُزِع ، فشربَ منه وصَبَّ على رأسه وقال : لولا أن تَغْلبُوا عليها ياوَلَدعبد المطلب لنزعتُ منها . ويقال : إنه نَزَع دَلْواً لنفسه

رمى الجمرات

وكان يَرْمى الجمارَ حين تزيغُ الشمسُ قبل الصلاة ماشياً — ذاهباً وراجعاً — فى اليومين ، ورمى يوم الصَّدَرِ حين زاغَتِ الشمس قبلَ الصلاة . وكان إذا رمى الجمرتين عَلاَهُما ، ويَرْمِى جمرَةَ العقبة من بَطْن الوادى . وكان يقفُ عند الجمرة الأولى أكثرَ مما يقف عند الثّانية ، ولا يقفُ عند الثالثة ، فإذا رماها انصرف . وكان إذا رمى الجمرتين وقفَ عندهما ورَفَع يديه ، ولا يفعلُ ذلك فى رَمىِ العَقَبة ، فإذا رماها انصرَف

النهى عن المبيت بسوى منى

ونَهى أن يَبَيت أحدٌ ليالِىَ مِنًى بسوَى مِنًى ، ورخَّص للرِّعاء أن يَبيتوا

(١) فى الأصل : « إلا محصر بالحجّ » ، ولم أجد من قال « أحصر بالحج » ، وإنما يقال « أحصر بمرض أو خوف أو عدو » وأحصر الحاجّ (بالبناء للمجهول) : إذا منعه خوف أو مرض من الوصول لإتمام حجه أو عمرته ، من الإحصار : وهو الحبس

(٢) تمتَّع بالعمرة إلى الحج واستمتع : وذلك أن يحرمَ بالعمرة فى أشهر الحج ، فاذا أحرم بالعمرة بعد إهلاله شوّالا ، فقد صار متمتعاً بالعمرة إلى الحجّ . وسمى متمتعا لأنه إذا قدم مكة وطافَ بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة ، حلّ من عمرته ، وحلق رأسه ، وذبح نسكه ، وحلّ له كلّ شىء كان حرُم عليه فى إحرامه من النساء والطيب ، ثم ينشئ المتمتع بعد ذلك إحراماً جديداً للحج وقتَ نهوضه إلى منى أو قبل ذلك ، من غير أن يجب عليه الرجوع إلى الميقات الذى أنشأ منه عمرته

عن مِنًى[١] . ومن جاء منهم فرَمى بالليل ، رَخَّص له فى ذلك . وقال : أرمُوا بمثل حَصَى الخَذْف[٢] . وكان أزواجُه يَرْمين مع الليل

عدة الخطب فى حجة الوداع

وخَطَبَ فى حجته ثلاثَ خُطَبٍ : الأولى قبل التروية بيومٍ بعْد الظُّهْر بمكة ، والثَّانية يوْمَ عرفة بعرفةَ حين زاغَت الشمسُ على راحِلته قبل الصلاة ، والثالثة يوم النَّحرِ بمنًى بَعْد الظُّهر على راحلتِه القَصْواء . وقيل : بل خَطَب الثالثةَ ثانىَ يومِ النّحر . وقال المحبُّ الطَّبَرِىّ : دَلَّت الأحاديثُ على أنَّ الخطب فى الحَجِّ خمسٌ : خطبةٌ يومَ السابع من ذى الحجة ، وخطبةٌ يومَ عَرَفة ، وخطبةٌ يومَ النَّحْر ، وخُطْبَةٌ يومَ القَرِّ[٣] ، وخطبةٌ يوم النَّفْرِ الأوّل[٤] . قال الواقدى : فقال — يعنِى فى خطبة يوم النَّحْر بمنًى — :

خطبة يوم النحر بمنى

أيّها النَّاس ! أسمعوا من قَوْلى وأعْقِلوه ، فإنّى لا أدْرى : لعَلّى لا ألْقاكم بعدَ عامى هذا ! أيُّها الناس ! أىُّ شهرٍ هــذا ؟ فسكتوا ، فقال : هٰذَا شهرٌ حرامٌ . وأى بَلَدٍ هٰذا ؟ فسَكَتوا ، فقال : بَلَدٌ حرام . وأىُّ[٥] يومٍ هذا ؟ فسكتوا ،

---

(١) الرّعاء : جمع راع ويجمع أيضا على رُعاة

(٢) فى الأصل : « الحذف » . والخذفُ : هو الرمى بالحصى الصغار بأطراف الأصابع ، ويريد صلى الله عليه أن تكون حصى صغاراً

(٣) يوم القرّ : الغدُ من يوم النحر ، وهو حادى عشر ذى الحجة ، سمى يوم القرّ لأن أهل الموسم يومَ التروية ، ويومَ عرفةَ ، ويومَ النحر ، فى تعب من الحجّ ، فاذا كان الغد من يوم النحر قرّوا بمنى وسكنوا وأقاموا ، فسمى يوم القرّ لذلك

(٤) أيام الحج : اليوم السادس من ذى الحجة ، هو يوم الزينة ، لأنه يزين فيه البُدنُ بالجلال ، واليوم السابع يوم التروية ، لأنهم يتروّون فيه من المـاء ويحملون منه ما يحتاجون إليه أيام الحج ، واليوم الثامن يوم مِنى ، لأنهم يرحلون فيه من الأبطح إلى مِنى . ويوم عرفة — وهو تاسع ذى الحجة — ثم بعده يوم النحر [وهو يومُ الأضحى ، ويومُ الحج الأكبر] ، ثم يوم القرّ ، ثم يوم النفْـر الأول ، ثم يوم النفر الآخر ، والأيامُ الثلاثة الأخـيرة هى أيام التشريق : تشريق اللحم وتقطيعُـه . والنفر فى اللغـة : التفرق بين الاجتماع ، وسمى اليوم كذلك لافتراق الناس بعد اجتماعهم بمنى

(٥) فى الأصل : « أى » بغير واو قبلها

قال : يومٌ حَرَامٌ . ثم قال : إنّ الله قد حرّم دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم حُرمَةَ شهرِكم هذا ، فى بلدِكم هذا ، فى يومكم هذا إلى أن تَلْقَوْا ربّكم ، ألاَ هَلْ بلّغْتُ ! قالوا : نعم ! قال : اللهمّ اشْهَدْ ! ثم قال : إنّكم سوف تَلْقَوْن ربّكم فيَسْألكم عن أعمالِكم ، ألاهل بَلّغْتُ ؟ قال الناس : نعم ! قال : اللهُمّ اشْهَد ! ألاومن كانت عنده أمانةٌ فَلْيُؤَدِّها إلى من ائْتَمَنَه عليها ، ألا وإنّ كلّ رِباً فى الجاهليّة موضوعٌ ، وإن كلّ دَمٍ فى الجاهليّةِ موضوعٌ ، [ولكنْ لكُمْ رؤوسُ أموالِكُمْ لا تَظلمون ولا تُظلمون ، قَضَى الله أنّه لا رِبَاً ، وإنّ رِبا عبّاس بن عبد المطّلب موضوعٌ كُلّه] (١) . وأوّلُ دِمَائكم أَضَعُ دمُ إياسِ بن ربيعة بن الحارثِ — [كان مُسْتَرْضَعاً فى بنى سَعْد بن لَيْثٍ فقتَلَتْه هُذَيْل] — ، ألا هل بلّغْتُ ؟ قالوا : اللهم نَعَمْ ! قال : اللهُمّ اشهدْ ! فلْيُبَلِّغْ الشاهدُ الغائبَ ؛ ألا إن كلّ مسلمٍ مُحرّم على كلّ مسلمٍ ، ولا يحلُّ مالُ امرئٍ مسلمٍ إلاّ ما أَعْطَى عن طِيبِ نَفْسٍ.

فقال عمرو بن يَثْرِبيّ : يا رسولَ الله ! أرَأَيْتَ إن لقيتُ غَنَمَ ابنِ عمّى ، أجْتَزِرُ (٢) منها شاةً ؟ فقال : إنْ لَقِيتَها [نَعْجَةً] (٣) تحْمِلُ شَفْرَةً وأزْنَاداً (٤) بخَبْتِ الجَمِيش (٥) فَلاَ تَهِجْها !

(١) لم أجد نص رواية الواقدى ، وهذه الزيادة التى بين القوسين نقلتها من رواية ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٦٨ ، وانظر خطبة رسول الله قبل هذا (ص ٥٢٣)

(٢) فى الأصل : « أجزر » ، وهذا نصّ رواية مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١١٣ . وفيه أيضاً : « لو لقيتُ غنمَ ابن عمى فأخذتُ منها شاة فاجتزرتها ، علىّ فى ذلك شىء ؟ » . وانظر المسند أيضا ج ٣ ص ٤٢٣

(٣) هذه الزيادة من جميع روايات مسند أحمد وغيره ، والنعجة الأنثى من الضأن ، والمراد : إن لقيتها نعجة سمينة رابية

(٤) فى الأصل : «وزنادا» ، وهى إحدى روايات المسند ج ٣ ص ٤٢٣ وفى الروايتين الأخريين « وأزناداً » كما أثبتناهُ ، وكلاهما جمع زَنْد ، والزندُ الخشبة العليا ، والزندة الخشبة السفلى اللتان تستقدَحُ بهما النارُ . يريد : إن لقيتها معها أداة ذبحها — وهى الشفرة — ، وأداة شيها — وهى الأزناد التى تستخرج بها النار — ، فلا تمسها

(٥) خبت الجميش : فى المسند ، قال : « يعنى بخبت الجميش أرضاً بين مكة والجار ، ليس=

ثم قال أيُّها الناس ! « إنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلُّ به الذينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا ماحَرَّمَ الله»[1] [ويُحَرِّمُوا ما أحَلَّ الله][2] ، ألاَ وإنَّ الزمانَ قد استدارَ كهَيْئَةِ يوم خَلَقَ الله السمٰواتِ والأرضَ ، وإنَّ عِدَّة الشهور عندَ الله اثنا عشر[3] شهراً فى كتاب الله ، منها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ : ثلاثةٌ متواليةٌ : ذو القَعْدة ، وذو الحِجَّة ، والمُحَرَّم ، ورَجَبُ الذى يُدْعَى شهرَ مُضَر : الذى جاء بين جُمَادَى الآخرة وشَعْبان ؛ والشهرُ تسعة وعشرون وثلاثون ، ألاَ هل بلَّغتُ ؟ فقال : الناس : نعم ! فقال : اللَّهُمَّ أشهد !

ثم قال : أيُّها النَّاس ! إنَّ للنساء عليكم حقًّا ، وإنَّ لكم عليهنَّ حقًّا : فعليهنَّ ألاَّ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أحداً ولا يُدْخِلْنَ بيوتَكم أحداً تَكرَهونه إلاَّ بإذنِكم ، فإن فعَلْنَ فإن الله قد أذِنَ لكم أن تَهْجُروهُنَّ فى المَضَاجع[4] ، وأن تضربوهنَّ ضرباً غيرَ مُبَرِّحٍ ، فإن انْتَهَيْنَ وأطعنكم فلهُنَّ رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بالمعروف . وإنما النِّساء عندكم عوَانٍ[5] لا يَمْلِكْنَ لأنفسِهِنَّ شيئاً ، وإنما أخذتموهنَّ بأمانةِ الله ، واستحللتم فُروجَهُنَّ بكلمةِ الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصُوا بهِنَّ خيراً ، ألاَ هل بلَّغت ؟ قال الناس : نعم ! قال : اللهُمَّ أشْهَدْ !

= بها أنيس » . والجارُ : مدينة على ساحل بحر القلزم — البحر الأحمر الآن — بينها وبين المدينة يوم وليلة . وقال ابن عبد البرّ : « عمرو بن يثربي ، ضمري » كان يسكنُ خبت الجيش من سيف البحر ، أسلم عام الفتح » . وفى الأصل : « تجتب الجيش »

(١) « فيحلوا ما حرّم الله » ، ليست فى الأصل ، وهى من تمام آية التوبة : ٣٧ ، وكذلك جاءت فى ابن هشام ج ٢ ص ٩٦٨

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ابن هشام ج ٢ ص ٩٦٨

(٣) فى الأصل : « اثنى عشر »

(٤) فى الأصل : « بالمضاجع »

(٥) العوانى جمع عانية : وهى الأسيرة . يقول صلى الله عليه وسلم : إنهنّ عندكم عوان ، أسرى أو كالأسرى

أيها النّاس ؟ إن الشيطانَ قَدْ يَئِس أنْ يُعْبَد بأرْضكم هذه ، ولكنّه قد رَضِي أن يُطاع فيما سِوى ذلك ممّا تَحْقِرونَه [من أعمالِكم][1] . إنّ كلّ مُسْلِم أخُو المسلم ، وإنما المسلمون إخْوةٌ ، ولا يَحِلُّ لِأمرِئٍ مسلِمٍ دَمُ أخيه ولا مالُه ، إلاّ بِطِيب نَفْس منه ، وإنما أُمِرْتُ أن أقاتِلَ الناسَ حتى يقولوا لا إلَهَ إلا الله ، فإذا قالوها عَصَموا منّي دماءَهم وأموالهم ، وحِسَابُهم على الله ؛ ولا تَظْلموا أنفُسَكم ؛ ولا تَرْجِعوا بَعْدِي كُفَّاراً يضْرِبُ بعضُكم رِقابَ بَعْضٍ . إني قد تَركتُ فيكمُ مَالاَ تَضِلُّونَ بهِ : كِتَابَ الله . ألَا هل بلَّغْتُ ؟ قال الناس : نعم ! قال : اللهم أشْهَدْ !

يوم الصَّدَر

ثم انصرَف إلى منزلِه ، وصلّى الظهرَ والعصرَ يوم الصَّدَر[2] بالأبْطَح . قالت عائشةُ رضى الله عنها : إنما نَزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمُحَصَّب لأنه كان أسْمَحَ لِخُروجه[3]

خبر صفيّة وعائشة

وذَكرَ صفيَّةَ بنت حُيَيٍّ رضى الله عنها ، فقيل له : قد حاضتْ ! فقال : أحَابِسَتُنَا هى ؟ فقيل : يارسولَ الله ! إنَّها قد أفاضَتْ ! قال : فَلَا إذنْ ! فلمّا جاءت عائشةُ رضى الله عنها من التَّنْعِيم وقَضَتْ عُمْرتَها[4] ، أمرَ بالرَّحيل . ومرَّ بالبَيْت

(١) ما بين القوسين زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ٩٦٨ كان مكانها « فقد رَضِى به » وهذه الجملة من رواية أخرى ابن هشام ج ٢ ص ٩٦٨ « إنّ الشيطانَ قد يَئِس أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يُطعْ فيما سوى ذلك فقد رَضِىَ به ممّا تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم »

(٢) يوم الصَدَر : هو اليوم الرابع من أيام النحر ، لأن الناس يصدرون فيه عن مكة إلى أماكنهم

(٣) أى كان أسهل لخروجه من مكة إلى المدينة

(٤) وذلك أن عائشة قالت له : يارسول الله ؟ أرجع بحجة ليس معها عمرة ؟ فدعا صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن أبى بكر فقال : اخرج بأختك من الحرم ، ثم افرُغا من طوافكما حتى تأتيانى هنا بالمحصب . قالت عائشة : فقضى الله العمرة مكان عمرتى التى فاتتنى ، وفرغنا من طوافها فى جوف الليل ، فأتيناه صلى الله عليه وسلم بالمحصب ، فقال : فرغتما من طوافكما ؟ قلنا : نعم ! فأذن فى الناس بالرحيل

الرجوع إلى المدينة ومدة إقامة المهاجر بمكة

فطاف به قبلَ الصُّبح ، ثم أنصرفَ راجعاً إلى المدينة . وقال إنما هِيَ ثلاثٌ يُقيمُ بها[1] المُهَاجِرُ بعـد الصَّدَر . وسأل سائلٌ أن يقيمَ بمكة ، فلم يرخِّص لهُ أن يقيمَ إلَّا ثلاثةَ أيام ، وقال : إنها ليستْ بدارِ مُـكْثٍ ولا إقامَةٍ

عيادة سعد بن أبي وقاص

وجَاء سعدَ بنَ أبى وقاص بعْـد حَجّه يعودُه من وَجَعٍ أصابَه ، فقال : يارسول الله ! قد بُلِـغَ بى مَاتَرى من الوجَع[2] ، وأنا ذُو مالٍ ، ولا يرِثُنى إلا ابنَةٌ ، فأتَصدَّق بثُلُثَىْ مالى[3] ؟ قال : لا ! قال : فالشَّطْرِ ؟ قال : لا ! [قال : فالثُّلُث؟][4] قال : الثلثُ ، والثلثُ كثيرٌ ، إنَّك أنْ تَتْرُكَ[5] وَرَثَتَك أغنياء خيرٌ[6] من أن تتركهم عالةً يتكَفَّفون [النَّاسَ][7] ، وإنك لَنْ تنفقَ نفقةً تبْتَغى بها وجْهَ الله إلا أُجِرْتَ بها ، حتَّى ما تجعلُ فِى فِى امْرَأَتك ! فقال : يا رسول الله ! أُخَلَّفُ بعْد أصحابى ؟ فقال : إنك إنْ تُخَلَّفْ فتعمَلْ صالحاً تَزْدَدْ خيراً ورفعَةً ، ولعلَّك إنْ تُخَلَّفْ ينْتَفعْ بك أقوامٌ ويُضَرَّ بك آخرون . اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحابى هِجْرَتَهُمْ ، ولا تردَّهُمْ عَلَى أعقابهمْ ! لـكنِ البائسَ سعدُ بن خَوْلة ! يرثى له أنْ ماتَ بمكة .

موت سعد بن خولة بمكة

[وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يكرهُ لمن هاجَرَ أن يرجع إليها ، أو يقيمَ بها أكثرَ من انقضاءِ نُسُـكه][8] . وخلَّف على سعد بن أبى وقاصٍ رجُلاً ،

---

(١) يعنى : يقيم المهاجر بمكة ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه لا يزيد على ذلك ؛ وانظر نص ابن سعد ج ٣ ص ٢٩٧ عن الواقدىّ

(٢) بُلِغ به (بالبناء للمجهول) : جُهد وبلغَ به المرضُ كلَّ مبلغ

(٣) فى الأصل : « بثلث »

(٤) زيادة لابدَّ منها ، انظر ابن سعد ج ٣ ص ١٠٢ — ١٠٣

(٥) فى الأصل : « إنك أنت تترك »

(٦) فى الأصل : « خيرا »

(٧) الزيادة من نص ابن سعد ج ٣ ص ١٠٢ —١٠٣ ، ويتكففون الناس : يسألون الناس ، يبسطون أكفهم : يمدونها إليهم

(٨) ما بين القوسين هو تمـام النص من ابن سعد ج ٣ ص ٢٩٧ زدناه للبيان

وقال : إنْ مات سعدٌ بمكة فلَا تدْفنُهُ بها . يكرَه [صلى الله عليه وسلم] (١) أن يموتَ الرجُل فى الأرض التى هَاجر منْها

وداع البيت الحرام

ولما ودَّع صلى الله عليه وسلم البيتَ وكان فى الشَّوط السّابع ، خلَّف البيتَ [من باب الحزوَرَة] (٢)

قول رسول الله فى القفول من الغزو والحج والعمرة

وكان إذَا قفَل من حَجٍّ أو عُمْرةٍ أو غَزْوةٍ ، فأوفى على ثنيّة أو فَدْفد ، كبَّر ثلاثاً ثم قال : لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك لهُ ، له الملكُ وله الحمدُ ، يُحيي ويميتُ وهو حيٌّ لا يموتُ ، بيَـده الخيْرُ ، وهو على كلّ شيء قديرٌ . آيبون تائبون ساجِدُون عابدون ، لربّنَا حامدُون . صَـدَق الله وعدَه ، ونَصر عَبْدَه ، وهزَم الأحْزَاب وَحْدَه (٣) ! اللّٰهمَّ إنَّا نعوذُ بكَ من وَعْثَاءِ السَّفر ، وكآبة المنْقلَب ، وسُوءِ المنظرِ فى الأهْلِ والمـال ! اللهمَّ بَلِّغْنَا بلاغًا صالحًا يبلغُ إلى خيرٍ ، مَغفِرةً منك ورضوانًا !

النزول بالمعرس والنهى عن طروق النساء ليلا

ولما نزَل المُعَرَّسَ (٤) ، نهى أنْ يطرُقُوا النِّساء ليلاً ، فطرَق رجُلَان أهليْهما ، فكلاهما وجدَ ما يكرهُ

وأناخَ بالبَطْحاء ، وكان إذا خرَج إلى الحَجِّ سلَك على الشَّجَرة (٥) ، و إذا رَجَع من مكة دخَل المدينةَ من مُعرَّس الأبْطح ، فكان فى معرَّسِه فى بَطْن الوادِى

---

(١) زيادة للبيان ، وذلك أن قوله : « يكره . . . » بيان ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم

(٢) فى الأصل : « خلف البيت بمنى الباب » ، وهو كلام مضطرب ، ولعل هـذا هو الصواب كما فى السـيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٥ ، وفى عيون الأثر ص ٢٨٠ : « ثم خرج من كُدى أسفل مكة من الثنية السفلى »

(٣) فى الأصل : « بعده »

(٤) المعرّس : هو مسجد ذى الحليفة

(٥) الشجرة : مكان به سمرة بذى الحليفة ، وهى الشجرة التى ولدت عندها أسماء بنت محمد ابن أبى بكر الصديق

وكَانَ فيه عامّة الليل ، فقيل له : إنك ببَطْحاء مُبَارَكة !

إسلام جرير بن عبد الله البجلىّ

وفى هذه السَّنة — وهى العاشرةُ — قَدِم جريرُ بن عبد الله بن جابر — وهو الشُّلَيل[1] — بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُشَم بن عُوَيْف[2] بن حَزِيمة[3] ابن حرب بن علىّ[4] بن مالك بن سعد بن نذير[5] بن قَسْر[6] — وهو مالك — ابن عَبْقَر بن أنمار بن إراش بن عَمْرو بن الغوْث البَجَلِىّ[7] — مسلماً ، فى شهر رمضان

إسلام فيروز وباذان ووهب بن منبه

وفيها أسلَمَ فيْرُوز من الأبْناء[8] ، وبَاذَان ، ووهْب بن مُنَبِّه ، باليمن

سنة إحدى عشرة
وفد النخع

وللنِّصف من محرّم سَنة إحدى عشرة ، قدِم وَفْدُ النَّخَعِ — وهم مائتا رجل — ، فنزلوا دارَ رمْلة بنت الحارث ، وأسْلمُوا ، فيهم : زُرارة بن عَمْرو — وقيل : زُرارة بن قيْس — بن الحارث بن عدّاء ، وكان نَصْرانيًّا

بعث أسامه بن زيد إلى أبْنَى غزو الروم

ثم كان بعْثُ أُسامة بن زَيد إلى أهل أُبْنَى[9] بالسَّراة[10] ناحية بالبلقاء وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام — بعْدَ حَجَّتِه — بالمدينة بقيّة ذى الحجّة والمحرّم ، وما زالَ يذكر مَقْتَل زَيدِ بن حارِثة وجعْفر بن أبى طالبٍ وأصحابه رضى

---

(١) فى الأصل : « جابر بن السليل »
(٢) فى الإصابة وأسد الغابة : « عوف » ، وفى الاشتقاق لابن دريد ص ٣٠٢ : « عويف »
(٣) فى الأصل : « خزيمة »
(٤) فى الأصل : «عدى»
(٥) فى الأصل : « زيد »
(٦) فى الأصل : « قس »
(٧) البَجلىّ : نسبة إلى « بجيلة » ، وهى أمّ ولد أنمار بن إراش ، وإليها ينسبون
(٨) الأبناء : هم قوم من أبناء فارس باليمن ، وقد كان كسرى أرسل الفرس مع سيف ابن ذى يزن ، لما جاء يستنجدهم على الحبشة ، فنصروه وملكوا اليمن وتديّروها ، وتزوّجوا فى العرب . فقيل لأولادهم : الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم
(٩) فى الأصل : « ابنا »
(١٠) فى الأصل : » بالشراة »

الله عنهم [1]، ووَجَد عليهم وجْداً شـديداً [2]. فلما كان يومُ الاثنين — لأربعٍ بقينَ من صفر سنة إحدى عشرة [من مُهَاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم] [3]، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتَّهيُّؤ لغزْوِ الرُّوم ، وأمرهم بالجِدّ

أمر أسامة بالغزو وتأميره

ثم دَعا منَ الغـدِ — يوم الثُّلاثاء لثلاثٍ بقينَ من صفر — أسامَةَ بن زَيد فقال : يا أُسَامة ! سِرْ على اسْمِ الله وبرَكته حتى تنتهىَ إلى مَقْتل أبيك فأَوْطِئْهُم الخيلَ ، فقد ولَّيْتُك هذا الجيشَ ، فأغِرْ صباحا على أهل أُبْنَى [4] وحرِّق عليهم ، وأسرِعِ السَّيْرَ تَسْبَقِ الخبَرَ ، فإن أظفرك الله فأَقْلِلِ اللُّبْثَ [5] فيهم ، وخُذْ مَعَك الأدِلّا وقدِّم العيونَ أمَامَك والطَّلائعَ

ابتداء مرض رسول الله ، ووصيته لأسامة

فلمَّا كان يومُ الأربعاء — لليلتين بقيتا من صفر — ابتدأَ مرضُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فصُدِّعَ [6] وحُمّ . وعَقَد يوم الخميسِ لأسامةَ لواء بيَده ، وقال : يَا أُسامة ! اغْزُ بِسْمِ الله فى سبيل الله ، فقَاتلُوا من كفَر بالله [7] . اغْزُوا ، ولَا تغْدِروا ، ولا تقتُلوا وَليداً ولاامرأَة ، ولا تمنَّوْا لقاء العَدُوِّ ، فإنكم لاتدرُون لعلَّكم تُبْتَلَوْن بهم ، ولكنْ قُولُوا : اللهمَّ اكْفِنَاهُمْ ، واكْفُفْ بأسَهُم عنَّا ! فإن لقُوكم قد أَجْلبُوا وصَيَّحوا فعليكم بالسَّكِينة والصَّمت ، ولا تنازَعُوا فتَفْشَلُوا فتذْهبَ رِيحكم ، وقولوا : اللهم إنا عِبادُك ، نوَاصِينا ونوَاصِيهم بيدك ، وإنما

---

(١) انظر غزوة مؤتة من ص ٣٤٤ — ٣٥٢

(٢) وجَدَ يجِدُ وجْداً : حزن

(٣) زيادة من ابن سعد ج ٢ ص ١٣٦

(٤) فى الأصل : « ابنا »

(٥) فى الأصل : « الليث »

(٦) صُدِّع الرجل (بالبناء للمجهول والتشديد) تصديعاً فهو مصدوع : أصابه الصداع ، وهو وجع الرأس ، ولا يأتى صُدِع بتخفيف الدال إلا فى الشعر

(٧) فى ابن سعد ج ٢ ص ١٣٦ : « فقاتل من كفر بالله »

تغلبُهم أنت ! وأعلموا أن الجنَّة تحت البارِقة [١]

خروج أسامة وجيشه

نخرج أسامةُ فدفع لواءه إلى بُرَيدة بن الحُصَيْب ، نخرجَ به إلى بيت أُسامةَ وعسكر بالجُرْفِ ، وخرج النَّاسُ ، ولم يَبْقَ أَحَدٌ من المهاجرين الأولين [والأَنصار] [٢] إلا أُنتدَب [٣] فى تلك الغزوة ، كعمر بن الخطاب [٤] ، وأبى عُبَيْدة ، وسعد بن أبى وقَّاص ، وأبى الأعْور سعيدِ بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل رضى الله عنهم ، فى رِجَالٍ آخرين ؛ ومن الأنصار عِدَّةٌ ، مثل : قَتَادة بن النُّعْمان ، وسَلَمَة بن أَسْلم بن حَرِيش . فقال رجالٌ من المهاجرين — وكان أشدَّهُم فى ذلك قولاً عَيَّاشُ بن أبى رَبيعة — : يَسْتَعْمِلُ هذَا الغلامَ على المُهَاجِرينَ الأوَّلين ؟ ! فَكَثُرت القَالة ، وسمع عُمر رضى الله عنه بعضَ ذلك فرَدَّه على من تكلَّم ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فغضِب غَضَباً شديداً ، وخَرَج وقد عَصَب على رأسه عِصَابةً وعليه قَطِيفَةٌ ، ثم صَعِدَ المِنْبَرَ ، فحِمدَ الله وأثنى عليه ثم قال :

طعن رجال من المهاجرين فى تأمير أسامة

خطبة رسول الله فى أمر أسامة

أمَّا بعدُ أيها الناس ! فما مقالةٌ بلغتْنى عن بعضكم فى تأْميرى أُسامة ؟ ! والله لئن طَعَنْتم فى إمارتى أُسَامة لقَدْ طعنتم فى إمارتى أَبَاهُ من قبْله ! وَأَيمُ الله ، إنْ كان للإمارةِ لَخليقاً ، وإنّ أبنه من بعدِه لَخَليقٌ للإمارة ، وإنْ كان لَمِنْ أحبِّ الناس إلىّ ، وإنهما لَمَخِيلانِ [٥] لكلّ خيرٍ ، فأُستوصُوا به خَيْرًا فإنه من خِيَارِكم

توديع الغزاة

ثم نزل فدَخل بيتَه ، وذلك يوم السبت لعشرٍ خَلَوْن من ربيع الأوَّل . وجاء المسلمُون الّذين يخرجون مع أُسامة يوَدِّعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم

---

(١) البارقة : السيوف ، وذلك لما يرى من لمعانها وبريقها

(٢) زيادة من نص ابن سعد ج ٢ ص ١٣٦ ؛ وسيأتى بعد أسطر ما يوجب إثبات هذه الزيادة

(٣) انتدب : أسرع فى النهوض إليها

(٤) ذكر ابن سعد قبل عمر « أبا بكر الصديق »

(٥) فى الأصل : «لمجيلان» . يقال «إن فلانا لمخيل للخير» : إذا كان مَظنة له خليقا به

الأمر بإنفاذ بعث أسامة

عمرَ رضى الله عنه ، فقال : أَنفِذُوا بَعْثَ أُسامة . ودخلت أمّ أَيْمَن رضى الله عنها فقالت : يارسُولَ الله ! لو تركْتَ أسامة يُقِيمُ فِي معسكره حتى تَمَاثَلَ ، فإنَّ أُسامة إنْ خرَج على حالِه هذه لم يَنْتَفِعْ بنفسه ! فقال : أَنفِذُوا بعْثَ أُسامة

دخول أسامة على رسول الله ودعاؤه له

فمضى النّاسُ إلى المعسكرِ فباتوا ليلةَ الأحد ، ونزَل أسامةُ يومَ الأحد — ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثقيلٌ مَغْمورٌ [(١)] ، وهو اليوم الذى لدُّوه فيه [(٢)] ، — فدخل عليه وعَيْناه تَهْمُلَانِ [(٣)] — وعنده العبَّاسُ ، والنساء حوله — ، فطأْطأ عليه أسامةُ فقبّله ، وهو [صلى الله عليه وسلم] [(٤)] لا يتكلم ، إلا أنه يرفعُ يدَه إلى السماء ثمّ يَصُبُّها على أُسامة [(٥)] ، كأنه يدعُو له . فرجع أُسامةُ إلى مُعَسْكره ، وغدا منه يوم الاثنين . فأصْبَح رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفيقاً ، وجاءه أُسامة ، فقال : أغْدُ عَلَى بَرَكةِ الله ! فودَّعه أسامةُ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُفِيقٌ

خروج أبى بكر إلى السنح

ودَخَل أبو بكر رضى الله عنه فقال : يارسولَ الله ! أصْبَحْتَ مُفيقاً بحمدِ الله ، واليومَ يومُ أُبنة خارجة [(٦)] فأْذَنْ [لى] [(٧)] ! فأَذِن له ، فذهَب إلى السُّنْح [(٨)]

خروج الجيش

وركب أُسامةُ إلى مُعَسْكرِه ، وصاحَ فى أَصحابه باللُّحوق بالعَسْكَر ، فانتهى

---

(١) مغمور : مغمى عليه ، يقال ، « غمر عليه (بالبناء للمجهول) » : إذا أغمى عليه

(٢) اللدود : دواء يصبّ فى أحد شق الفم فى الصّدف بين اللسان وبين الشدق . لددتُ الرجل الدّه لدا : فعلت به ذلك

(٣) هملت عينه : سال دمعها وفاض

(٤) زيادة

(٥) يصبها عليه : أى ينحدر بها ويضعها عليه

(٦) فى الأصل : «ابنه خارجه» ، وهى حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجية زوج أبى بكر الصديق ، والدة أم كلثوم بنت أبى بكر ، والتى مات أبو بكر وهى حامل بها

(٧) زيادة للسياق

(٨) السنح : هى إحدى محالّ المدينة فى أطرافها ، وهى منازلُ بنى الحارث بن الخزرج ، وكان بها منزل أبى بكر حين تزوج حبيبة بنت خارجة الخزرجية

إبلاغ خبر وفاة رسول الله لجيش أسامة

إلى مُعَسكره فنزَل ، وأَمرَ النَّاسَ بالرَّحيل وقد مَتَع النَّهار (١) . فبينا هو يُريد أن يركبَ من الجُرْفِ ، أتاهُ رسول أُمِّه — أُمِّ أيمن — تُخْبِره : أن رسول الله يَمُوت . فأقبلَ إلى المدينة معه عُمَر وأبو عبيدة بن الجرّاح رضى الله عنهما ، فأَنتهَوْا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو يَمُوت . فتُوُفِّىَ صلى الله عليه وسلم حين زَاغتِ الشمسُ يوم الاثنين لاثْنَتَىْ عشرة خَلَتْ من ربيع الأول

يوم وفاته

وقال السُّهيلىُّ : لا يصحُّ أن تكون وفاتُه يوم الاثنين إلا فى ثانِى الشهر ، أو ثالث عشره ، أو رابع عشره ، [أو خامس عشره] (٢) . وذكر الكَلْبى وأبو مِخْنَف أنه توفى فى الثانى من ربيع (٣) ، وقد صحّحه أبنُ حَزْم وغيرُه . وقال الخوارزمى : تُوُفى أول ربيع

رجوع الغزاة إلى المدينة

ودَخَل المسلمُون الذين عسكروا بالجُرْفِ إلى المدينة ، ودخل بُرَيْدة بن الحُصَيْب باللِّواء فغرَزَه مَعْقوداً عند بابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلمَّا بويع أبو بكرٍ رضى الله عنه أمرَ بَرَيْدةَ أن يذهَب باللِّواء إلى بَيْتِ أُسامةَ ، وألاَّ يحُلَّه أبداً حتى يُغزُوَهم أسامة ، ففعل . وقال [أبو بكر] لأسامة : أُنفُذْ فى وَجْهك الذى وَجَّهك فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وأخذ الناس بالخروج فعسكروا فى مَوضعِهم الأوّل ، وخرج بُرَيدةُ باللِّواء . ومَشى أبو بكر رضى الله عنه إلى أُسامةَ فى بيتِه ، فكلّمَه فى أنْ يَتْرُكَ عمر رضى الله عنه ، ففعل . وخرَج فنادى

أمر أبى بكر بتوجيه الغزو

(١) متع النهار : ارتفع ، وذلك فى أول النهار

(٢) من نص السهيلى ج ٢ ص ٣٧٢

(٣) فى الأصل : « فى ثامن ربيع » ، والذى أثبتناه من نصّ السهيلى . ثم قال بعده : « وهذا القول وإن كان خلاف أهل الجمهور ، فانه لا يبعد إن كانت الأشهر التى قبله كلها من تسعة وعشرين ، فتدبّره فانه صحيح ، ولم أر أحداً تفطنَ له . وقد رأيت للخوارزمى أنه توفى عليه السلام فى أول يوم من ربيع الأول ؛ وهذا أقربُ فى القياس بما ذكر الطبرى عن ابن الكلبى وأبى مخنف » . وانظر الطبرى ج ٣ ص ١٩٧

مناديه : عَزْمةٌ منّى ألاَّ يتخلّف عن أسامةَ من بَعْثِه أحدٌ ممن أُنتدَب معه فى حياةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فإنى لَنْ أُوتَى بأحدٍ بَطّأَ عن الخروج إلا أَلْحَقْتُه به ماشياً . فلم يتخلّف عن البَعْث أحدٌ

تشييع أبى بكر أسامةَ

ثم خرج أبو بكر رضى الله عنه يُشَيِّع أسامة ، فركِب من الجُرْف لهلالِ ربيع الآخر فى ثلاثة آلاف : فيهم ألفُ فرس ، وسارَ أبو بكر رضى الله عنه إلى جَنْبه ساعةً وقال : أستودِعُ اللهَ دينَك وأمانَتَك وخواتيمَ عَمَلكَ ! إنى سَمِعت رسولَ الله يُوصيك ، فأَنفُذْ لأمرِ رسول الله ، فإنى لستُ آمُرُكَ ولا أنهاكَ عَنْه ، إنما أنا مُنفِذٌ لأمرٍ أمَرَ به رسولُ الله

غزو أسامة

فخرج سريعاً فوَطِئَ بلاداً هادئةً لم يرجِعوا عن الإسلام — جُهَيْنةَ وغيرها من قُضاعة — حتى نَزَل وادِى القُرَى ، فقَدَّم عَيْناً له من بنى عُذْرة يُدْعَى حُرَيْثاً ، فانتهى إلى أُبْنَى (١) ، ثم عاد فلقِىَ أسامةَ على ليلتين من أُبْنَى (١) ، فأخبره أن النّاس غارُّون ولا جُمُوعَ لهم ، وحَثّه على سُرْعة السّير قبل اجتماعِهم . فسار إلى أُبنى (١) وعَبَّأَ أصحابَه ، ثم دفع عليهم الغارَة فقَتَلَ وسَبَى ، وحرّق بالنّار منازلَهم وحَرْثَهم ونَخْلهم . ورحل مَسَاءه حتى قَدِمَ المدينة ، وقد غابَ خمسة وثلاثين يوماً . وقيل : قَدِمَ لشهرين وأيّامٍ

خبر وفاة رسول الله ونعيه إلى نفسه

وكانَ من خَبَرِ وَفاةِ رَسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ الله تعالى أنذرَه بموته حينَ أَنزَل عليه : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ » ، فقال : نُعِيَتْ إِلَيَّ نفسى ! فحجّ حَجَّة الوَدَاع

عرض القرآن فى رمضان

وكان جبريلُ ينزلُ عليه فى كلِّ سنةٍ مَرَّةً ، وفى شهر رمضان ، فيعرِض

(١) فى الأصل : « ابنا »

عليه القرآنَ مَرّةً واحدةً ، وكان يَعْتكِفُ العشْر الأواخرَ [من رمضان] (١) .

عرضه مرتين قبل وفاته

فلما كان فى سنة مَوْته ، عَرض عليه جبريلُ القرآنَ مرّتين ، فقال : ما أظُنُّ أجَلِى إلا قد حضَر ! فأعتكف العَشر الأواسط (٢) والعشر الأواخر ، وكان هذا نذيراً (٣) بموته

الخروج إلى البقيع والاستغفار لأهله

ثم أمر بالخروج إلى البَقِيع ليستغفرَ لأهله والشُّهداء ويُصَلِّى عليهم ، ليكونَ توديعاً للأمواتِ قبل الأحياء . فوثَب من مضجعِه من جَوْف الليل ، فقالت عائشة رضى الله عنها : أيْنَ ؟ بأبى وأُمّى ! أىْ رسولَ الله ! قال : أُمِرْتُ أن أستغفر لأهل البقيع . فخرج ومعه مَولاه أبُو موهوبة — ويقال : أبو مُوَيْهِبَة ، ويقال : أبو رافع — حتى جاء البقيع ، فاستغفر لهُم طويلاً ، ثم قال : لِيَهْنِئْكُمُ (٤) ما أصبحتُمْ فيه بما أصْبح النَّاسُ فيه ، أقبلَتْ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْل المُظلم يتبعُ بعضُها بعضاً ، يتبعُ آخرُها أوّلَها ، الآخرةُ شرٌّ من الأولى ! ثم قال : ياأبامُوَيْهِبة (٥) ! إنى قد أُعْطِيت خَزائن الدّنيا والخُلْدَ ثم الجنة ، فخُيِّرْتُ بين ذلك وبَيْن لِقاءِ ربِّى والجنة ! فقال بأبى وأمى ! فخُذْ خزائن الدنيا والخلْد ثم الجنة ! فقال : ياأبا مُوَيْهِبة ! لقد أخترت لقاء رَبِّى والجنة

التخيير

خبر شكوى رسول الله

ثم أنصرف ، وذلك ليلة الأربعاء . فأصبح يوْم الأربعاء محمومًا — لليلتين بقيتاَ من صَفَر سنة إحدى عشرة — وهو فى بيْت زَينب بنت جحش رضى الله عنها . واشتكى شَكْوى شديدةً حتى قيل : هو مَجْنوبٌ ! يعنى ، ذاتَ الجنْب (٦) .

---

(١) زيادة للبيان

(٢) فى الأصل : « الأوسط »

(٣) فى الأصل : « نذير »

(٤) فى الأصل : « ليهنكم » ، وهذا نص ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١٠

(٥) فى الأصل : « موهبة »

(٦) قالوا : هى قرحة تصيبُ الإنسان داخلَ جنبه ، وهى علة تثقب الجنب

مدة الشكوى

وأُجتمع إليه نساؤُه كلُّهن ، فاشْتَكى ثلاث عشرة ليلةً ، وقيل أربعة عشر يوما ، وقيل : اثنَىْ عشر[١] ، وقيل : بُدِئَ صلى الله عليه وسلم[٢] فى بيْت مَيْمُونَةَ رضى الله عنها

صفة الشكوى

وأَخذَته بُحَّةٌ شديدة[٣] مع حُمَّى مُوَصِّمَةٍ[٤] مع صداعٍ ، وكان يَنْفُثُ فى عِلَّته شيئاً يُشْبه نَفْثَ آكلِ الزَّبيب . ودخلت عليه أمُّ بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرور فقالت : يا رسول الله ! ما وجدتُ مثلَ هذه الحُمَّى التى عليك على أَحَدٍ ! فقال : إنَّا يُضَاعف لنا البلاء ، كما يضاعف لنا الأجر ، ما يقولُ الناسُ ؟ قالت : يقولون يا رسول الله : ذاتُ الجنْبِ ! فقال : ما كان الله لِيُسَلِّطَها عَلَى رسولِه ، إنها هَمْزَةٌ من الشيطان[٥] ،

أكلة خيبر من الشاة المسمومة

ولكنها من الأُكْلَةِ التى أكلْتُ أنا وابنُك بخَيْبَرَ من الشّاة ، وكان يُصيبنى منها عِدَادٌ مرة بعد مرّةٍ ، فكان هذا أوانُ أنْقَطع أَبْهَرِى[٦] ! فمات صلى الله عليه وسلم شهيداً

الخروج إلى الصلاة

وكان إذا خَفَّ عنه ما يجدُ ، خرجَ فصلى بالناس ، وإذا وجَد ثَقْلَةً[٧] قال : مُرُوا الناسَ فَلْيُصَلُّوا

خبر اللَّدُود

واشتدَّ شكوُه حتى غُمِرَ من شدَّةِ الوجَع[٨] ، فاُجْتَمع عنده أزواجُه ، وعَمُّه العبَّاس ، وأم الفَضْلِ بنت الحارثِ ، وأسماء بنت عُمَيْسٍ رضى الله عنهم ، فتَشَاوروا

---

(١) فى الأصل : « اثنا عشر »

(٢) بُدِئ (بالبناء للمجهول) : مرض ويقال : متى بدئ فلان ؟ : أى متى مرض ؟ وذلك يسأل به عن أول المرض

(٣) البُحّة : غلظ فى الصوت

(٤) فى الأصل : « مقطمة » ، ولم أجد لها معنى ، وأقرب حرف إلى هذا الرسم هو ما أثبتناه ، يقال : وصَّمته الحمى : إذا فترته حتى يجد تكسيرا وكسلا وآلاما

(٥) الهمزة : الغمزة

(٦) انظر ص ٣٢٢ ، وانظر ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ٣٢

(٧) الثقلة : ثِقَل الجسد وفتوره من المرض أو النوم الغالب

(٨) غُمِر : أُغمى عليه

فى لَدِّه[1] حين غُمِرَ — وهو مغمورٌ — فلدُّوه ، فوجدوا فى جَوْفه حفلاً[2] . فلما أفاقَ قال : من فعَل هذا ؟ هذا عمل نساء جئن من هاهنا ! وأشار بيده إلى أرض الحبشة . وكانت أمُّ سَلَمة وأسماء [بنت عُمَيس][3] رضى الله عنهما هُما لَدَّتاهُ ، فقالوا : يا رسولَ الله ! خَشِينا أن يكونَ بك ذاتُ الجنْبِ قال : فبِمَ[4] لدَدْتمونى ؟ قالوا : بالعود الهنْدىِّ ، وشىء من وَرْس ، وقطراتٍ من زَيْتٍ . فقال : والله ما كان اللهُ ليُعَذِّبَنى بذلك الداء[5] ! ثم قال : عزمتُ عليكم لا يَبْقى فى البيت أحَدٌ إلا الْتَدَّ ، إلا عمّ النبىّ صلى الله عليه وسلم — . فجعل بَعْضُهنّ يَلُدُّ بعضاً ، والْتَدَّت ميمونةُ وهى صائمةٌ ، لقسمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمره ألا يبقى فى البيت أحد إلا لُدّ

إقامته فى بيت ميمونة

وأقام صلى الله عليه وسلم فى بيت ميمونة سبعة أيام ، يبعثُ إلى نِسائه أسماء بنت عُمَيْس يقول لهن : إن رسول الله يَشُقُّ عليه أن يدورَ عليكن ، فحَلِّلْنَه . فكنّ يحلِّلنه . ويروى أن فاطمةَ عليها السلام بنت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هى التى كانت تدورُ على نسائه وتقول ذلك

طوافه على نسائه فى شكواه

ويُرْوى أنه كان يُحمل فى ثوبٍ يُطَاف به على نسائِه . وذلك أن زَينب بنتَ جحشٍ كلَّمته فى ذلك قال : فأنا أَدُورُ عليكُنّ . فكان يُحمل فى ثوبٍ يُحمل بجوانبه الأربع ، يحمله أبو رافعٍ مَوْلاهُ ، وأبو مُويْهِبة ، وشُقْران ، وثَوْبان ، حتى يَقْسم لهُنّ كما كان يَقْسِم . فجعَل يقول : أين أنا غداً ؟ فيقولون : عند

---

(١) اللدود : دواء يصبّ فى أحد شقى الفم فى الصدف بين اللسان وبين الشدق . لدّ الرجل يلدُّه لدا ، فعل به ذلك

(٢) هكذا فى الأصل ، ولم أدر صوابها ، ولم يتوجه لى فى تصحيفها معنى حرف أرتضيه ، ولست أجد الخبر فيما عندى من الكتب

(٣) زيادة للبيان

(٤) فى الأصل : « فبا »

(٥) فى الأصل : « الداير »

هبة أمهات المؤمنين أيامهن لعائشة، تمريضه ببيتها

فلانة ! فيقول : أين أنا بعد غدٍ ؟ فيقولون : عند فلانة ! فعَرف أزْواجُه أنَّه يريد عائشةَ رضى الله عنها ، فقلن . يا رسول الله ! قد وَهَبْنا أيامَنا لأُخْتِنا عائشة ! وروى أنه لما ثَقُلَ واُشْتدَّ وَجَعُهُ ، اُستأذن أزواجه أن يُمَرَّض فى بيت عائشة ، فأذِنَّ له ، فخرج بين الفَضْل بن العَبّاس وعلىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنهما ، تَخُطُّ رِجْلاهُ فى الأرْضِ[(١)] — وذلك يوم الأربعاء الآخر[(٢)] — حتى دخل بَيْت عائشة رضى الله عنها ، فأقام فى بَيْتِها حتَّى تُوُفِّى

اشتداد الحمى ، وإراقة الماء عليه

ولمّا اشتدَّ وَجَعه بعد أن دَخَل بيتها ، قال : أَهْرِيقُوا علىَّ من سَبْع قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أَوْ كِيَتُهُنَّ[(٣)] ، لعلّى أَعْهَد إلى الناس ! فأجلسُوه فى مِخْضَبٍ[(٤)] لحفصةَ رضى الله عنها من صُفْرٍ ، ثم صَبُّوا عليه تلك القِرَب ، ثمّ خرج إلى الناس فصلَّى بهم وخَطَبهم . وكانت تلك القِرَبُ من بئر أبى أَيُّوب الأنصارىِّ رضى الله عنه

خطبته قبل وفاته

وخرج فى يوم السَّبْت عاشر ربيع الأول — مُشْتَمِلاً قد طَرَح طَرَفَىْ ثَوْبه على عاتِقَيْه ، عاصِباً رأسَه بخِرْقَةٍ — فأَحْدَقَ النَّاسُ به وهُوَ على المِنبر . فقال : والذِى نَفْسى بيَدِه ، إنى لَقائمٌ عَلى الحَوْضِ السَّاعَة . — ثم تشهَّد واُستغفر للشُّهَداءِ الذين قُتِلوا بأُحُدٍ — ، ثم قال : إنَّ عَبْدًا من عبَاد الله خُيِّرَ بين الدُّنْيا وبَيْنَ ما عِنْدَ الله فاخْتارَ ما عِنْدَ الله العَبْدُ ! فبكى أبو بكر رضى الله عنه فقال : بأَبى وأُمّى ! نَفْديك بآبائِنا وأُمَّهاتِنا ، وبأَنْفُسِنا وأَمْوالنا ! فقال : عَلى رِسْلِكَ

ذكر التخيير

---

(١) فى الأصل : «ورجلاه تخط الأرض» ، وهذا نصّ ابن سعد ج ٢ قسم٢ ص٢٩ وهو أجودهما

(٢) قوله : « الأربعاء الآخر » ، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدِئَ يوم الأربعاء الأول الذى قبله ، انظر ص ٥٤١

(٣) أراق الماء يريقه ، وهَرَاقه يُهَرِيقه ، وأهْراقه يُهْرِيقه : صبه صبا . والأوكية جمع وكاء : سير أو خيط يشدّ به فم السقاء أو الوعاء

(٤) فى الأصل : « محصب » والمخضب : إناء واسع تغسل فيه الثياب ، طست كبير

[يا أبا بكر] !(1) سُدُّوا هذه الأبواب الشَّوارِعَ إلى المسجد(2) إلا باب أبي بكر ، فإنَّ أَمَنَّ النَّاسِ علىَّ فى صُحْبته وماله أبو بكر(3) ، فلو كنت مُتَّخِذًا فى الناس خليلًا لاتَّخذتُ أبا بكر خليلًا، ولكن أُخُوَّةُ الإسلام ومودَّته . فقال عمر رضى الله عنه : دَعْنِي يا رسولَ الله أَفْتَحْ كُوَّةً أَنْظُرُ إليك حين تخرُج إلى الصلاة ! فقال : لا ، أيُّها الناس ! [وكان بابُ أبي بكر رضى الله عنه فى غَرْبِيِّ المسجد(4)] . ثم ذكر أسامةَ بن زيد فقال : أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسامة — وكرّر ذلك ثلاثًا — فلَعَمْرى لئن قُلتم فى إمارته ، لقد قُلتم فى إمارة أبيه من قَبله ، وإنّه والله لخليقٌ للإمارة ، وأبوه من قبله ، وإنْ كان لَمِنْ أَحَبِّ النّاسِ إلىّ

ويُرْوى أنه قال أيضاً — بعد [ذكر](5) الشُّهداء — : يامعشَرَ المُهاجرين ! إنكم أصبَحْتم تَزيدون وأصبحت الأنصارُ لا تزيدُ ، هي على هَيْئتها التى هى عليها اليوم ، وإنَّ الأنصارَ عَيْبَتى التى أَوَيْتُ إليها ، ونَعْلى التى أطأُ بها ، وكَرِشى التى آكلُ فيها ، فاحفظونى فيهم ، فأكرِمُوا كريمهم ، وأقبَلُوا من مُحْسِنِهِمْ ، وتَجاوَزُوا عن مُسِيئهم . فقال رجل : يا رسول الله ! ما بالُ أبوابٍ أمَرْتَ بها أن تُفْتَح، وأبوابٍ أمرْتَ بها أن تُغْلَق ؟ قال : ما فتَحْتُها ولا سدَدْتُها عن أمْرِى !

خبر كتاب رسول الله عند موته

واشتدّ به صلى الله عليه وسلم وَجَعُهُ يوم الخميس ، فقال : أئتونى بدَوَاةٍ وصحيفةٍ أَكتُبْ لكم كتاباً لن تَضِلُّوا بَعْده أبداً ! فتنازَعُوا ، فقال بعضهم :

---

(1) زيادة للبيان من حديث ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ٢٦
(2) يقال شرعت الباب إلى المسجد أو الطريق : أى أنفذته إليه والشوارع إلى المسجد : المفتوحة إليه
(3) أمن الناس علىّ : أجودهم بماله وذات يده
(4) هذه الجملة التى بين القوسين كانت بين قوله : « فقال » ، وقوله : « أنفذُوا بعث أسامة » ، ولا محل لها ثمة ، وهذا هو حق مكانها
(5) زيادة يقتضيها السياق

مالَهُ ؟ أَهَجَرَ(١) ؟ اُستَعِيدُوه ! وقالت زينبُ بنت جَحْش وصواحِبُها : أئتُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بحاجَتِهِ ! فقال عمر رضى الله عنه : قد غلبَهَ الوَجَع ! وعندكُمُ القرآنُ ! حسْبُنا كتابُ الله ! مَنْ لِفلانةَ وفُلانة ؟ — يعنى مدائن الرُّوم — إنَّ النبى صلى الله عليه وسلم ليسَ بميِّتٍ حتى يَفْتَحَها ، ولو مات لأَنتظَرْنَاهُ كما أنتظَرَت بنو إسرائيل مُوسى !! فلما لغَطوا عنده قال : دَعُونى ! فما أنَا فيه خيرٌ مما تسألُونّى ! ثم أوصاهم بثلاث(٢) : أَخرِجُوا المشركين من جزِيرة العرَبِ ، وأَجِيزوا الوَفْدَ بنَحْوِ مما كنتُمْ ترَوْنِي أُجيزُهُمْ ، وأَنْفِذُوا جيش أسامة ؛ قُومُوا

خبر الكنيسة التى بالحبشة

وتذاكر(٣) بعضُ نسائه كنيسةً رأينَها(٤) فى أَرْض الحبشة ، فذكرت أُمُّ حَبيبة بنت أَبى سُفيان وزينبُ بنتُ جَحْش(٥) كنيسةً رأَينَها بأَرْض الحبشَةِ يقال لها : مارية ، وما فيها من التَّصاوير ، فرفَع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأْسَه فقال : أولئك [قَوْمٌ](٦) إذا ماتَ الرَّجُل الصالح منهم بَنَوْا على قبره مسجداً ثم صوَّروا تلك الصُّوَر ، أولئك شِرَارُ الخَلْقِ عند الله ! وطَفِقَ يُلقى خَمِيصةً على وجهه(٧) ، فإذا أُغتَمَّ بها ألقاها عَنْ وجهه ، ويقول : لَعنَةُ الله على

اليهود والنصارى

اليهودِ والنَّصارَى ، اُتَّخَذُوا قبورَ أَنبيائهم مَساجد ! [يُحَذِّرهم مثلَ ما صَنَعوا](٦)

(١) هجر المريض والنائم : إذا هذى وتكلم ، وقد هجر العقل الذى يضبط الإرادة ويوجهها إلى المعانى

(٢) فى الأصل : « فأوصاهم » ، و « ثم » هى حقّ العبارة هنا

(٣) فى الأصل : « وتذكر »

(٤) فى الأصل : « رأتها » ، وصواب هذه العبارة ما أثبتناه ، انظر ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ٣٤

(٥) لم أجد من ذهب إلى أن زينب بنت جحش رضى الله عنها كانت من مهاجرة الحبشة ، وإنما هاجر إلى الحبشة أخواها : عبد الله بن جحش وعبيد الله بن جحش ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان . والصواب أن تكون « أم سلمة » ، فهى من مهاجرة الحبشة ، وكذلك جاء فى ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ٣٤

(٦) زيادة من ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ٣٤

(٧) الخميصة : كساء من الصوف أسود مربع له علمان ، فان لم يكن معلماً فليس بخميصة

لا يَبْقَيَنَّ دِينَانِ بأَرْضِ العَرَب !

مقالته فى شكواه

ولم يَشْكُ شكْوَى إلا سأل الله العافيةَ ، حتى كانَ مرضُه الذى مات فيه ، فإنه لم يَكن يَدْعو بالشِّفاء ، وطَفِقَ يقول : يا نَفْسُ ! مالَكِ تلوذِين كلَّ مَلَاذٍ[1] ؟

التخيير بين الشفاء والغفران

وأتاه جبريلُ عليه السلام فقال : إنَّ رَبك يُقرِئُك السلام ويقول : إذا شئتَ شَفَيْتُك وكفَيْتك ، وإن شئتَ تَوَفَّيتُك وغفرتُ لك ! فقال : ذلك إلى ربِّى يَصْنَعُ بى ما يَشاء

مقالته فى كرب الموت

وكان لمّا نَزَل به ، دَعا بقَدَحٍ من ماء ، فجَعَل يمسَحُ وجهه ويقول : اللَّهُمَّ أَعِنِّى على كُرَبِ الموْت ! وأخذَتْه بُحَّةٌ شديدةٌ فجعل يقول : مع الرَّفيق الأعْلَى ! وقد شَخَصَ بَصَرُه[2]

وفاته فى حجر عائشة وخبر الذهب

وتُوُفِّى فى حِجْر عائشة رضى الله عنها . وقد قال لها لما حُضِرَ[3] — وهو مُسْتَنِدٌ إلى صدْرِها — : ما فَعلَتِ الذَّهبُ ؟ فأتَتْه بها وهى تسعةُ دَنانير ، فقال : أنفِقيها ؟ ؟ ما ظَنُّ مُحمَّدٍ بربِّه لوْ لَقِى اللهَ وهىَ عنده ؟ !

مُسارَّة فاطمة

ودَعا صلى الله عليه وسلم ابْنَتَه فاطمةَ عليها السلام ، فسارَّها فبكت ؛ ثم دَعاها ، فَسارَّها فضحكت ؛ فسُئِلَت عن ذلك بعْدُ ، فقالت : دعانى أوَّل مرّةٍ فقال : إن القرآنَ كان يُعْرَضُ علىَّ فى كلِّ عامٍ مرةً ، وعُرِض علىَّ العامَ مرّتَيْن ، ولا أُرانِى إلَّا ميِّتاً فى مرضى هذا ! فبكيتُ ، ثم دعانى فقال : أنتِ أسرعُ أهلى لُحوقاً بى ! فضحكتُ . فماتَتْ بعد وفاتِه بستة أشهر ، وقيل : أقلّ من ذلك

---

(١) لاذ يلوذ : لجأ وانضم واستغاث يريد الملجأ يستتر به مما يخاف

(٢) شخص بصرُ الرجل عند الموت : إذا فتح عينيه ، وسما ببصره وطمح ، وجعل لا يَطْرِف

(٣) حضر المريض واحتضر (بالبناء للمجول) : إذا دنا منه الموت أو نزل به

إمامة أبي بكر برسول الله قبل موته

وقال [صلى الله عليه وسلم] (١) : ما هلَكَ نبيٌّ حتى يؤُمَّه رجلٌ من أُمَّتِه . فلما كان يومُ الاثنين ، صلَّى أبو بكر رضى الله عنه بالناس الصُّبْحَ ، فأقبلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَتَوَكَّأُ على الفَضْل بن عبَّاس وثَوْبان ، ولم يَبْقَ أمرأةٌ ولا رجُلٌ إلَّا أصبح فى المسجد ، لوَجعِه عليه السلام . فخرج حتى جلس إلى جنْب أبى بكرٍ ، فصلَّى بصَلاةِ أبى بكر . فلمَّا قضى صلاتَه جلَس — وعليه خَميصَةٌ له — فقال : إنكم واللهِ لا تُمسِكون علىَّ بشىء ، إنِّى لا أُحِلُّ إلَّا ما أحلَّ الله فى كتابه ، ولا أُحَرِّم إلَّا ما حرَّم الله فى كتابه ! يافاطمةَ بنت محمد ! ويا صفيَّةَ بنت عبد المطَّلِب ! أعْمَلا لِما عنْد الله ، لا أُمْلِكُ لكُما من الله شيئًا ! وصلَّى أبو بكر رضى الله عنه بالنَّاسِ — إلى أن توُفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — سبع عشرة صلاة

وفاته

وتوُفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضحَى يوم الاثنين لاثنتى عشرة مضت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مُهاجَرِه — وقيل : مستَهَلَّه ؛ وقيل : ثانيه — ، فبعث العبَّاس رضى الله عنه فى طلب أبى عُبَيْدة بن الجرَّاح ، وكان يَشُقُّ : يَضْرَحُ (٢) ؛ وبعَث فى طلب أبى طَلْحة ، وكان يَلْحَدُ (٣) ، وقال : اللَّهُمَّ أُخْتَرْ لنَبيِّك ! ! فوُجِد أبو طَلْحة

حيث دفن

وقال أبو بكر رضى الله عنه — وقد أُختلفوا أيْنَ يُدْفن — : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما مات نَبِىٌّ قَطُّ إلَّا دُفِنَ حيث يُقْبَض . فخُطَّ له صلى الله عليه وسلم حَوْل الفِراش ، ثم حُوِّلَ بالفراش فى ناحيةِ البيت ،

(١) زيادة للبيان

(٢) ضرح الضريح للميت : حفر له فشق فى وسط القبر ، وكان الشق والضرحُ عمل أهل مكة لموتاهم

(٣) لحدَ اللحد للميت : حفر وشق فى جانب القبر ، وكان اللحد عمل أهل المدينة لموتاهم

وحفَر أبو طلحة القَبْرَ ، فأُنتهى به إلى أصل الجدار إلى القبلة ، وجُعِل رأسه صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَلِي بابَه الّذِى كان يخرُج منه إلى الصّلاة . ثم غسّلوه من بِئْر غَرْسٍ ، وكان يشْرَبُ منها

جهاز رسول الله

ولما أخذوا فى جَهازِه أمرَ العبّاسُ رضى الله عنه فأُغْلِقَ البابُ ، فنادَت الأنصار : نحن أخوالُه ! ومكانُنَا من الإسلام مكانُنَا ! وهو ابن أُخْتِنا ! ! ونادَت قريش : نحن عَصَبَتُه[1] ! فأُدخل من الأنصار أَوْس بن خَوْلِيّ . وأحضروا الماء من بِئْر غَرْسٍ ، وأحضروا سِدْراً وكافوراً ، فأرسلَ الله عليهم النَوْم فما منهم رجُلٌ إلّا واضعاً لحيتَه على صَدْرِه ، وقائلٌ يقولُ ما يُدْرى من هو ! — : أغسِلوا نَبِيّكم وعليه قَمِيصُه ! فغُسِّلَ فى القميص . وغُسّل الأُولى بالماء القَراح ، والثانية بالماء والسِّدْر ، والثالثة بالماء والكافور

الغسل

وغَسّله علىٌّ والفَضْلُ بن عبّاس — وكان الفَضْل رجلا أيْداً[2] — ، وكان يُقلّبه شُقْران . ووقف العباس بالباب وقال : ما يمنَعُنِى أحْضُرَ غُسْلَه إلّا أنّى كنتُ أراه يَسْتَحْيِي أنْ أراه حاسِراً[3] . وذهب علىٌّ رضى الله عنه يَلْتَمِس من بطْن النّبىّ صلى الله عليه وسلم ما يُلْتَمَس من بطْنِ الميّت ، فلم يجد شيئاً ، فقال : بأبى وأمّى ! ما أطيَبَك حَيًّا وميّتاً ! وقيل غسّله علىٌّ ، والعباسُ وأبنه الفَضْل يُعينانه ، وقُثَم وأُسامة وشُقْران يَصُبُّون الماء

الكفن

واشتُرِىَ له عليه السلام حُلّةُ حِبَرَةٍ بتسعة دنانير ونصف ليُكفَّنَ بها ، ثم بدا لهم فتركوها ، فابتاعها عبدُ الله بن أبى بكر . وكُفِّن صلى الله عليه وسلم فى

(١) عصبة الرجل : أقاربه من جهة الأب ، لأنهم يعصّبونه ويتعصبُ بهم : يحيطون به ويشتد بهم

(٢) الأيد : الشديد القوى

(٣) حسر الرجل ثيابه : كشفها

ثلاثةِ أثوابٍ سَحُوليَّة بيضٍ(١) ، أحدُها بُرْد حِبَرَة . وقيل : أحدها حُلّة حبَرة ليس فيها قميصٌ ولا عِمامةٌ وأُدرِجَ فى أكفانه . وقيل : كُفِّنَ فى حُلّة حبرَة وقميصٍ . وفى رواية : فى حُلةٍ حمرَاء نجرَانيَّةٍ وقميص . وقيل : إن الحلّة اشتريت له فلم يُكَفَّنْ فيها . وقيل : كُفِّن فى سبعةِ أثوابٍ ، وهو شاذٌّ . وقيل : كُفِّن فى ثلاثة أثوابٍ : قميصِه الذى مات فيه ، وحلة نَجْرَانيَّة ، وهو ضعيف . وحُنِّط بكافور ، وقيل : بمِسْكٍ(٢)

الصلاة على رسول الله

ثم وُضع على سَرِيره ، وكان ألواحا ثم أُحْدِثَتْ له بعد ذلك قوائم . ووُضع السرير على شفيرِ القَبر ، ثم كان الناسُ يدخلون زُمراً زُمَراً : يُصَلُّون عليه . وأوَّل من صلى عليه العباس وبنو هاشم : ثم خرجوا ودخَل المهاجرون ، ثم الأنصار : زُمْرة زُمْرَةً ، ثم دَخل الصِّبْيان ، ثم النساء . وقيل صُلِّىَ عليه اثنتان وسبعون صلاةً(٣)

أمهات المؤمنين

وقد قامت أُمهات المُؤمنين يَلْتَدِمْنَ على صدورهن(٤) ، وقد وضَعْن الجلابيب عن رؤوسهن ، ونساء الأنصار يضرِبن الوُجوه ، قد بُحَّتْ حُلُوقهن من الصياح(٥)

مدّة الصلاة عليه

ولم يزل صلى الله عليه وسلم موضوعا على سَرِيره ، من حين زَاغت الشمس

(١) سحولية : نسبة إلى سحُول ، وهى قرية باليمن كان يحمل منها ثيابُ قطن بيض

(٢) حنّط الميتَ : اتخذ له حنوطا ، والحنوط : طيب يخلط للميت ، يتخذ من مسك أو عنبر أو كافور من قصب هندىّ أو صندل مدقوق ، فيجعل الحنوط فى مرافق الميت وبطنه ، وفى مرجع رجليه وفى مآبضه ورُسغيه ، وفى عينيه وأنفه وأذنيه ، ويوضع منه فى الكفن شىء

(٣) فى الأصل : « اثنان وسبعون »

(٤) لدمت المرأة صدرها ووجهها ضربته ، والتدمت : فعلت ذلك

(٥) لم أجد شيئاً يصح ويثبت مما رواه المقريزى من فعل أمهات المؤمنين رضوانُ الله عليهن ، وليس شىء منها إلا وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه أشد النهى ، وكفى بقوله صلى الله عليه وسلم واعظا : ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » ، ونعم المنتهى عما نهى رسولُ الله عنه أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن ، فهن اللواتى أمرن أن يذكرن ما يُتلى فى بيوتهن من آيات الله والحكمة : قولِ رسول الله أمرِه ونهيه

فى يوم الاثنين إلى أن زاغت الشمس يوم الثلاثاء ، فَصُلِّىَ عليه وسريره على شَفِير قبره

يوم دفنه

ودَفنوه ليلة الأربعاء سَحَراً . وقيل : دفن يوم الثلاثاء . وقيل : ليلة الثلاثاء . وقيل : يوم الإثنين عند الزَّوال ، قاله الحاكم وصحَّحه . وقال ابن عبد البر : أكثر الآثار على أنه دفن يوم الثلاثاء ، وهو قولُ أكثر أهْل الأخبار . فلما أرادوا أن يَقْبُرُوه(١) ، نَحَّوْا السَّرِيرَ قِبَل رِجْليْه(٢) ، فأُدخل من هناك

لحده ومن نزل فيه

ودخل حُفرته العبَّاس ، والفَضْل بن عباس ، وقُثَم بن عباس ، وعلىٌّ ، وشُقْران رضى الله عنهم . ويروى أنه نزَل أيضاً أسامةُ بن زيد وأوْس بن خَوْلِىّ . وبُنِى عليه فى لحده بتسع لَبِنَاتٍ ، وطُرِح فى لحده سَمَلُ قطيفةٍ نجرانية كان يلبَسها(٣) . ثم خرجوا . وهَالوا التُّراب ، وجعلوا ارتفاعَ القبْر شِبْرًا وسَطَحوه ، وجَعَلوا عليه حَصْباء ، ورَشَّ بلالٌ رضى الله عنه على القَبْر الماء بقرْبَةٍ : فبدأ من قِبَل رأسه من شِقّه الأيمن حتى انتهى إلى رِجْليه ، ثم ضَرَب بالماء إلى الجدار ، ولم يقدِر أن يَدُور من الجدار

عمره عند وفاته صلى الله عليه وسلم

وكان عُمْره صلى الله عليه وسلم يوم توفاه اللهُ ثلاثاً وستّين سنة على الصحيح . وقيل : كان ستين . وقيل : خمساً وستّين . وهـذه الأقوال الثلاثة فى صحيح البُخَارِىّ عن ابن عباس رضى الله عنه

(١) فى الأصل : « يقبره »

(٢) نحى الشىء : أبعده ناحية

(٣) السَّمل : الخلق البالى من الثياب

تم — بحمد الله — الجزء الأول من كتاب إمتاع الأسماع للمقريزى من تقسيمنا ، ويليه الجزء الثانى وأوله : ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

فهرس الأعلام

العدد المطبوع بالحرف الكبير دلالة على أنّه الموضع الذى ذكرت فيه سياقة النّسب ، والذى بين الأقواس : إمّا بيان وهو قليل ، وإمّا مرجع ترجع إليه فى مكانه من ترتيب الفهرس على حروف المعجم

(ا)

(ت)

(ث)

(ج)

(خ)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

(ى)

فهرس الأماكن

(خ)

(د)

(ش)

(ص)

(ى)

فهرس الأيام والغزوات

الكتب

المستدرك

ص	س	
٢	٨ - ١٠	لعلّ الناسخ أسقط من الكلام ، وصوابُ العبارة : « رأينا كثيراً منهم ، وهم عن هذا النبأ العظيم معرضون »
٦	٦	الصواب : « بنتَ الحارث »
١١	١٢ - ١٣	الصواب : « أبو أمية بن أبى حذيفة » ، وانظر ص ١٥٠
١٤	٤	لعلّ الصواب : « يا محمد ، أنت رسول الله » ، بحذف حرف النداء
١٩	٩	« سمية بنت خبّاط » ، هى سمية أم عمار بن ياسر التى مضى ذكرها فى السطر الأول من ص ١٩ هذه
٢٠	١٢	الصواب : « أحدَ عشر »
٢٤	١١	الصواب : « عَدِىّ »
٢٦	٢	الصواب : « فتدخل عليهم »
٣٢	٢	الصواب : « عبد المطلب بن هاشم »
٣٤	٦	الصواب : « نخرج »
٣٩	١٢	لعل الصواب : « فحبسوه ساعة ثم خَلَّوْا عنه »
٤٠	١٥	الصواب : « عَبْدُ نُهْمْ » بضم النون
٤٩	٢٢	وقد ذكر قبل (٧٨) ، الصواب (٤٦)
٥٢	١٠	الصواب : « عكرمة بن أبى جهل »
٥٥	٤	الصواب : « ولياليَ مما بعده »
٥٧	١٥	الصواب : « فضَلّ بِبُحْران » بضم الباء بعدها حاء
٦١	١٤	« ردّ عين قتادة » ، هو قتادة بن النعمان بن زيد الأنصارىّ .

ص	س	
٦٤	٥	الصواب : « عن على بن أبى طالب » بحذف واو العطف
٦٥	١٦	« ويقال لفرس ابن مرثد » ، الصواب : « لفرسِ مَرْثَد »
٦٨	٢٢	« كان لعقبة وشيبة » الصواب « لعُتْبة » بالتاء
٦٩	٥	« قيس بن قيس » ، لم نعثر على خبره ، ولعلّه يريد الحارث بن قيس ابن عدى السهمىّ ، وكان من أشدّ قريش عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، انظر ص ٢٢
٧١	١٥	شهد بدراً من بنى زهرة عبد الله بن شهاب الزهرى (انظر ص ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥) . والعبارة مختلطة على هذا الوجه ، فإنى لم أجد ترجمة مسلم بن عبد الله بن شهاب الذى ذكره
٧٣	١٠	الصواب : « الأنصاريّان »
٧٧	٣	« وفيهم عُجَير » ، هو عُجَيْر بن عبد يَزِيد
٨٠	١٥	الصواب : « جَبْرَئيل » بفتح الجيم
٨١	١٣	الصواب : « يَرْضَ بِه »
	١٨	« يتبعُه ابنُه » ، هو الحارث بن زمعة بن الأسود
٨٥	١٠	الصواب « الذى بُعِث به نَبِيُّكم »
٨٨	١٠	الصواب : « أصْغَرَ ولا أحقَرَ ولا أَدْحَرَ ولا أغيظَ » بنصب أواخِرِها
٩٣	٢٢	الصواب : « النَّفَل » بالنون
٩٧	٧	الصواب : « أو يُؤْخَذَ مِنهم الفداء ويستشهِدَ منهم » على العطف لا على التخيير بأو
٩٧	١٣	« أبا عزَّةَ عمرَو » بالنَّصْب
٩٨	٩	الصواب : « وأمر عبد الله بن كعب بِقَبْضِ الغنائم وحَمْلِها »
٩٩	١٦	الصواب : « ابنُ سَلُول » .

ص	س	
١٠٢	٣	الصواب :أن تضع هذ القوس] بعد كلمة « الأوس »
١٠٦	١٦	الصواب : « ذوو اليسار »
١٠٧	٣	الصواب : « على رأس اثنين ... » بحذف واو العطف
١٠٨	١	هكذا فى الأصل ، والصواب : « على رأس خمسة وعشرين شهراً » كما فى ابن سعد ج ٢ ص ٢١
١١١	١٨	الصواب : « الفُرْع » بضم الفاء وسكون الراء
١١٢	١١	« سليط بن النعمان » ، هكذا ورد الاسم كما نبهنا عليه ، وأظنُّه يريد « سليط بن سفيان بن خالد الأسلمىّ » ، واختلط على بعض الرواة أو النُّسَّاخ أسمه فى أسم أخيه نُعمان بن سفيان بن خالد الأسلمىّ » ، وانظر ذكرهما معاً فى ص١٦٨ س١٦
١١٧	٢١	الصواب « العوالى : ضَيْعَةٌ ... »
١٢٥	٥	« وحمل لواءهم بعد طلحة ابنُه أبو شيبة عثمان بن طلحة » ، هكذا فى الأصل ، وهو خطأٌ صوابُه : « وحَمَل لِوَاءهم بعد طلحةَ أخوه أبو شيبة عثمان بن أبى طلحة » ، وذلك لاجتماع الرواية على ذكره فى قتلى يومِ بدرٍ ، وكذلك وَرَدَ فى هذا الوجه نفسه س ٢٠ ، وأيضاً فإن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة كان أحد أصحاب الألوية يوم الأحزاب (انظر ص ٢١٨ س ٥) ، وخبره فى فتح مكة مشهور (انظر ص ٣٨٥ س ٣ ، وما بعده)
١٢٦	١	الصواب : « ثم أخذ اللواء مُسَافِع بن طلحة بن أبى طلحة » ، وانظر أبن هشام ج ٢ ص ٦١٠ ، وأيضاً ص ١٢٥ من هذا
	٥	الصواب : « ثم أخذ اللواء الحارث بن طلحة بن أبى طلحة » ، وانظر أبن هشام ج ٢ ص ٦١٠ ، وانظر أيضاً ص ١٢٥ من هذا

ص	س	
١٣١	١٣	الصواب : « خمسةَ عشر »
١٣٥	١٠	« طلحة » ، هو طلحة بن عبيد الله
	١٩	« تَتسجَّحُ » الصواب : « تَتَسَحَّجُ » بتقديم الحاء على الجيم
١٤٣	١٩	هكذا الأصل ، وصوابه « وأبو دُجَانة سِمَـاكُ بن خَرَشَة »
١٦٢	٨	الصواب : « فلم يُرَدَّ أحدٌ »
١٦٤	١٦	الصواب : « الصلاةَ » على النصب
١٦٨	٤	الصواب : « الأنصاريَّانِ »
١٧٥	٢٥	يزاد فى آخر التعليق (٥) ما نصُّه : « وانظر ص ٩٠ »
١٨٣	١٣	الصواب : « أبا سفيان بن حرب »
	١٦	الصواب : « مَجْمَعاً للعربِ » بالـكسر
١٨٥	٥	يوضع بعد قوله « تشربون السَّوِيق » قوسٌ هكذا :]
١٨٦	٦	ذكر المؤلف سريّة عبد الله بن عتيك لقتل أبى رافع سَـلَّام بن أبى الحُقَيْق ، وجعلها فى ذى الحجة على رأس ستة وأربعين شهراً — أى فى السنة الرابعة من الهجرة — . وهذا التاريخ من رواية موسى بن عقبة . ومقتل سلَّام بن أبى الحقيق كان بعـد غزوة الأحزاب (الخندق) ، وغزوة الأحزاب عنـد موسى بن عقبة وابن حزم كانت سـنة أربع ، فهذا تاريخ صحيحٌ عند ابن عقبة يجعل الغَزْوَة والسريّة فى سنة أربعٍ على الترتيب . ولـكن المقريزى أخذ تاريخ السريّة من موسى بن عقبة وصححه واعتمده فجعله فى سنة أربع ، ثم جعل غزوة الأحزاب فى سنة خمس (انظر ص ٢١٦ والتعليق عليها بعدُ) ولا أدرى لم فَصَل هذا الفَصْل بينهما وصحّح واحدة — وهى السرية — من تاريخ موسى ،

ص	س	
		وردَّ الغزاة إلى سنة خمسٍ من رواية غيره ؟
١٨٧	٨	قوله « أبو ذؤيب الحارث » ، هكذا فى الأصل . وقلنا إن الذى فى أبن سعد « أبو زينب الحارث » . ورواية أبن سعد هى الصوابُ ، وكذلك ورد النصُّ فى ص ٣١٣ — س ١٦ — ١٧ ، وفى ص ٣١٤ س ١٠ — ١١ ، وفى هذه الصفحة الأخيرة ذكر أن أبا زينب الحارث هو أخو مَرْحَب اليهوديّ ، والحارث — فيما نرى — كان يكنَّى بأُبنته « زينب أُبنة الحارث » التى سَمَّت الشاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، انظر ص ٣٢١ س ٩ والتعليق عليها بَعْدُ
١٩٧	١٠	الصواب : « ثم عدا على قَاتِلِ أخيه »
٢١٥	١٦	الصواب : « سعد بن عُبَادة »
٢١٦	١٣	(انظر أولا التعليق على ص١٨٦ س٦) . وضعتُ بين القوسين [سلّام ابن أبى الحُقَيْق] فى عداد من خرج إلى مكّة فى غزوة الأحزاب (الخندق) ، وهذا الذى عليـه أكثر الرواة ، كما فى أبن هشام ج ٢ ص ٦٦٩ ، ولـكنّ المؤلِّف قدّم مقتل أبى رافع سلّام بن أبى الحقيق على غزوة الأحزابِ ، فعلى هذا التقديم ليس يصحُّ أن يذكر سلّام بن أبى الحقيق فى عِدَاد أصحاب الأحزاب ، لأن مقتله عنده فى سنة أربع ، وكانت الغزوة سنة خمس ، كما قدّمنا
٢١٦	٢١	ذكرت فى التعليق (٢) أنى لم أجد ذكر أبى عامر الفاسق فى حديث بعد خبره يوم أُحُد ، وهذا خطأ منى تورَّطْتُ فيه نسيانًا عَجَلَةً ، إذ ليس يخفى خبر أبى عامر الفاسق فى أمر مسجد الفرار وانظر ص ٤٨٠ س ١٤ ، التعليق (٢)

ص	س	
٢١٧	١٩	الصواب « وعِمَارَةِ المَسْجِدِ الحَرَامِ »
٢١٨	١٨	فى التعليق (٤) الصواب « هى أم حصن بن حذيفة بن بدر »
٢٢٠	١٥	صواب البيت : هَذَا الحِمَالُ لا حِمَالُ خَيْبَرْ هٰذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وأَطْهَرْ الحِمَال : هو الذى يُحْمَل من خيبر من التمْر ، أى أن هذا الترابَ الذى يحملونه هو فى الآخرة أفضَلُ من ذاك التَّمر وأحمد عاقبة وأَرْبَح ، وأنّ حِمَال خيبر ثَمَر يَنْفَد ، وأنَّ ثَمَر الجنة لا يَنْفَدْ
٢٢٢	١	قوله « وكان جُعَيل بن سُرَاقة رجُلًا صالحًا ، وكان [اسمُه] ذَمِيمًا قبيحًا » ، وهـذه الزيادة التى وضعناها بين القوسين إنْ هى إلا إيضاحٌ للمعنى الذى وجَّهنا إليه القول ، من أن تغيير اسم جُعَيْل كانَ من أجل قُبْحه وشناعَته ، كما غيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً من أسماء الصحابة رضوان الله عليهم من أجل مثل هـذه الشناعة فى التسمية ، ولـكنّى وجدت صاحب أسد الغابة يذكرُ فى ترجمته « جِعَال بن سُراقة » أنّه هو «جُعَيْل بن سُراقة» وأنه كان دميا قبيح الوجْه . ثم رأيتُ صاحب السيرة الحلبية يقول فى غزوة الخندق ج ٢ ص ٤٠٤ : « وكان من جُمْلة من يعملُ فى الخندق جِعَال — أو جُعَيل — بن سُراقة ، وكان رجلًا دمياً قبيح الوجه ، صالحاً ، من أصحاب الصُّفَّة ، وهو الذى تمثّل به الشيطان يَوْمَ أُحُد وقال : إنّ محمداً قد قتل » . فلعلّ حقّ عبارة المؤلف هو : « وكان جُعَيْل بن سُراقة رجُلًا صالحاً ، وكان دَميا قبيحاً » بحذف الزيادة التى زدناها ، ونفى التصحيف عن « ذميا » من الذال المعجمة إلى الدال المهملة

ص	س	
٢٥٤	٣	سريّة عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد بن نبيح الهذلىّ : ولم أجد من جَعَل هـذه السرية على رأس أربعة وخمسين شهراً كما نقل المؤلف ، وأظنُّ الصوابَ هو الذى اجتمعت عليه الرواية كما قلنا فى التعليق (٤)
٢٥٥	٣	« وكان أُنَيس لا يَهابُ الرجال » هكذا فى الأصل ، وقد فاتنا التنبيه على أن الصواب : « وكان عبد الله بن أُنَيْس لا يهابُ الرجال »
٢٥٦	١٤	الصواب : « الجُرْفِ » بإسكان الراء
٢٦١	٩	« مهيباً » والتعليق (٥) قلنا إن الأصل « بهيقا » ، ووجّهنا القول على خطأ التصحيف كما ترى ، ولـكنّ الصوابَ فيما نرى « بِهَيْفَا » وهو موضع على سبعة أميالٍ من المدينـة ، كما ذكر فى ص ٢٦٥ س ٦ ، ولم يذكر هذا الموضعَ أصحاب كتب البلدان
٢٦٥	٢٠	الصواب « فى الحديث : أَيْمَ هُو » بفتح الميم ، فإنّ الأصل « أىُّ ما » خففت الياء من « أىُّ » وسُـكِّنت ، وحذفت الألف من « ما » وبقيت مفتوحةً على حالِها
٢٦٧	١٨	لعلّ الأجود أن تقرأ : « ما نَقَصَ مكيالُ قومٍ ... » بالبناء للفاعِل
٢٧٧	٨ — ٩	« وأهدىَ له من ودّان بنيا » ، قلنا هكذا فى الأصل ولم نهتد لصوابها أو تصحيفها . وصوابها « وأَهْدِى له من ودّان لِيَاء » وأنظر التعليق (٣) ص ٥١٦
٢٨٤	٦	« وأَوْسُ [بن خَوْلىّ] » ، ظاهر العبارة يوهم أن أَوْس بن خَوْلىّ من المنافقين ، وليس هو مِنْهم ، وقد فاتنا التنبيه على ذلك فى موضعه
٢٨٦	١٣	ثقيف [واسمُه قيس] ، هكذا فى الأصل ، وهو خطأ ، وصوابه « قَسِىٌّ » وانظر ص ٣٠٣ س ١ — ٢

ص	س	
٢٨٧	١—٢	الصواب : أن تكون العبارة « إنى تركتُ قومك على أعْداد مِيَاهِ الحديبية »
٢٩٨	١٤	« يا دأْنا أخوالُكَ بالعداوة » هكذا فى الأصل ، والصواب : « با دَانَا أخوالُك بالعداوة غير مهموزٍ ، من قولهم بَادَاه بكذا : أظهرهُ له ، ومن الحديث : أن الله أمَرَه أن يُبَادِىَ الناس بأمرِه ، أى أن يُظْهرَه لهم
٣٠٦	١٤	الصواب : « أُمَيْمة بنت بشر الأنصاريَّة »
٣٠٨	١٠	الصواب : « العَلاء بن الحَضْرَمِيِّ »
٣٠٩	٦	الصواب : « مع زوجها عُبَيْد الله بن جَحْشٍ » ، فإن عبد الله بن جحش من كبار الصحابة ، وقُتِلَ يَوْمَ أُحد ، ودُفِن وحمزةُ عم رسول الله فى قبر واحد ، انظر ص ١٥٥ ، وأما أخوه عُبَيْد الله فهو المتنصِّر . انظر ابن هشام ج ٢ ص٧٨٣
٣٢١	٩	قوله : « ثُمَّ إنَّ زينب أبنةَ الحارث اليهوديَّة أُختَ مَرْحب ... » ، أنظر أولا التعليق على ص ١٨٧ س ٨ . وهكذا جاء النصُّ ، ولكنِّى أرَى أن زينب بنت الحارث هى أبنة أخى مَرْحب اليهودى ، وهو الحارث أبو زينب الذى تكرَّر ذكره فى ص ١٨٧ ، ٣١٣ وقتل يوم خيبر (ص ٣١٤ س ١٠—١٢) ، ومَرْحب قتل يومئذ أيضاً (انظر ص ٣١٥ — ٣١٦) . وذلك أن عادتهم جرت فى الكُنْية أن يكنُّوا بالوالد أو الولد ، ولم يُكنُّوا بالأُختِ بتَّةً ، فكنيةُ الحارث « أبا زينب » تدلُّ على أنَّه أبوها ، هذا ، وهى تقولُ لرسول الله صلى الله عليه وسلَّم حين سألها عن أمر الشاةِ المسمومة قال : وما حَمَلَكِ على ذلك ؟ قالت : قتَلْتَ أبى

ص	س	
		وعمِّي وزَوْجي ! فأبوها الحارثُ ، وعَمُّها مَرْحب ، وزوجُها سَلَّام ابن مِشْكَم ، وقد قُتِلوا يومئذ جميعاً ، فهى أن تكون أبنةَ الحارث ، وأُبنة أخيه مرحب اليهودىّ أرْجَحُ عندنا ، ورأيتُ الرُّواةَ قد خلّطوا فى أخبار يَهُود زمن النبوّة ، إذ لم يكونوا يبالون بشىء ليسَ له فى الدِّين كبير أمرٍ ، ولذلك رجّحتُ ما رجَّحْتُ
٣٢٨	٤	« ونضمن لكم ما خَرَصْتُ » ، هكذا فى الأصل ولعلّ الصواب « ونضمنُ لكُمْ [نِصْفَ] ما خَرَصتُ »
٣٢٩	١١	الصواب : « خمسةَ عشر » بالفتح
٣٣٠	٢١	الصواب : « ثم تُرْمَى »
	٢٥	التعليق (٧) ، انظر التعليق (١) فى ص ٤٧٠
٣٣٢	٧	الصواب : « أحدَ عشر » بالفتح
٣٣٥	١٤	الصواب : « فأشارَا » على التثنية
٣٣٦	٤—٥	الصواب : « ابن أبى نَجِيح » بفتح النون وكسر الجيم
٣٤٠	١٠	« سهيل بن عمرون » ، والصواب « سهيل بن عمرو »
٣٤٢	١٤	« قيس بن عوف » كذا فى الأصل ، والصواب « قيس بن عَوْذ » ، وانظر قبله س ١٢ ، والتعليق (٦)
٣٤٧	٥	« مُعَان » والصواب : « مَعَان » بفتح الميم
٣٦٣	١٨	الصواب : « فلمّا أبان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم الغزْوَ »
٣٦٥	١٣	« وَوَكْزِهم فى لَبّاتِ الإبل » ، سقط منى شرح هذا الحديث . فاللَّبّة : المَنْحَرُ ، والوَكْزُ : الطعنُ ، يصفهم صلى الله عليه وسلم بصِلَة الرَّحِم وحُسْن الكَرَمِ لمن تَضَيَّفهم ونزل بهم ، فهم من أجل

ص	س	
		هاتين الفضيلتين قد استحقُّوا العفوَ ، فحرّمَ الله على رسوله الإيقاعَ بهم
٣٧٢	٧	« فلمّا توجّهوا قال العبّاس » والصواب : « قال للعبّاس »
٣٧٤	١	« أبو زُرْعة » الصواب : أنّه « أبو رُوعَة » انظر ص ٤٢١ س ٦ ، ويكون التعليق (١) فى الأصل : « أبو زرعة »
٣٧٦	٥	الصواب : « كَدَاء » بفتح الكاف
٣٧٧	١٣و١٦	الصواب : « كَدَاء »
٣٨٠	٧	« إلى الخَنْدَمةِ » بالكسر
٣٨١	١٠	« عمرِو بن المغيرة » بالكسر
٣٨٦	١٠—١١	الصوابُ : لم تَحِلّ لأحدٍ كان قبلى » بالبناء للفاعل ، و « لَمْ تَحِلّ لى إلاّ ساعةً من النهار » بالبناء للفاعل أيضاً . وهكذا صحّت الرواية فى جميع أبواب البخارى ج٣ص١٤ «باب لاينفّر صيد الحَرَم» ، وج ٣ ص ٦٠ كتاب البيوع « باب ما قيل فى الصّوّاغ » ، وج ٣ ص ١٢٥ — ١٢٦ كتاب اللقطة « بابُ كيف تعرّفُ لقطة أهل مكة » ، وج ٤ ص ١٠٤ — ١٠٥ كتاب السير والجهاد « باب إثم الغادر للبرّ والفاجر » وج ٥ ص١٥٣ فى فتح مكة ، وج ٩ ص ٥ كتاب الدِّيات « باب من قُتِلَ له قتيل فهو بخير النَّظرَيْن » وقد ورد فى إحدى روايات البخارى لحديث فتح مكة ج ٥ ص١٥٣ « ولَمْ تَحْلِلْ لى إلا ساعةً من نهار » بلامين بالبناء للفاعل ، وأخرى «لم تُحْلَلْ» بالبناء للمفعول بلامين أيضاً ، وانظر أيضاً ص ٣٨٩ من هذا
٣٨٦	١٥	الصواب : « وإنّ الوَلَدَ ... »

ص	س	
٣٨٦	٢	الصواب : « جُنْدُبُ »
٣٨٩	١٠ — ١١	الصواب : « لم تَحِلَّ لأحدٍ كان قبلى » ، « ولم تحِلّ لى إلاّ ساعةً من نَهارٍ » ، (انظر التعليق السابق على ص ٣٨٦ س ١٠ — ١١)
٣٩٤	٧	« وقُتِلت أَرْنَب » ، جاء اسمها فى ص ٣٧٨ س ٧ « أرنبة »
٣٩٩	١١	الصواب : « أبُو أُسَيْدٍ » على التصغير
٤١٣	١٧	« أبو عامر عبيد الأشعرى — أخو أبى موسى الأشعرى — » ذكر ابن حجر فى الإصابة فى باب الكُنَى أن أبا عامر الأشعرىّ عمُّ أبى موسى الأشعرىّ ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من حُنَيْن بعث أبا عامر على جيش إلى أَوْطاس فلقى دريد بن الصمة فقتل دريداً ، وروى أيضاً عن أبى عُمَر بن عبد البرّ أن أبا عامر الأشعرىّ أخو أبى مُوسى ، ولم يُظْهِر أنّ لَبْساً يقع بين الأول والثانى . وذكر ابن هشام ج ٢ ص ٨٥٣ أن أبا عامر الأشعرىّ الذى توجّه إلى أوطاس هو ابن عم أبى موسى الأشعرىّ ، والاضطرابُ فى هذه الأخبار كثيرٌ لم نجدْ ما يُرَجّح بعضَه على بعض
٤٢٤	٢	الصواب : « النُّضَيْر بن الحارث [بن عَلْقمة] »
٤٢٩	٤	الصواب : « وَهَنْتُمونى » ، أى أضعفتم أمرى وصغّرتموه
٤٣٢	١	الصواب : « حتّى تَلْقَوُا الله »
٤٣٤	٨	الصواب : « فانْتدبَ عُيَيْنَةُ بنُ حصن الفزارىُّ » وانتدب : أسرعَ وبادرَ
٤٤٣	١٥	« إلى ساحل بناحية مكة » ، هكذا فى الأصل ، والصواب : « إلى ساحلِ البحرِ بناحية مكة »

ص	س	
٤٤٨	٨	الصواب : « الزُّرَقِيُّ » بفتح الراء
	٩	الصواب : « ثَعْلَبةُ بن عَنَمة » بالعين المهملة ، انظر ص ٢٤١ س ١ ، والتعليق (١)
	١٠—١١	الصوابُ : « وإنَّ فيهم عبدَ الله بن المغَفَّل ومَعْقِلَ بن يسار » بالنصب
٤٦٥	١	اقرأ « فَسَلِّمَ لَهُ » ، فهى أجود عربيّة
٤٦٦	١	« الفواطم » سقط شرح هذه الكلمة ، الفواطم : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجُ علىّ بن أبى طالب ، وفاطمة بنت أسد ابن هاشم أم على بن أبى طالب ، وكانت أسلمت ، وهى أوّلُ هاشمية وَلَدت لهاشمىّ ، وفاطمة بنت حمزة سيِّد الشهداء عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : الثالثة ، فاطمة بنت عتبة ابن ربيعة وكانت أسلمت وهاجرت وبايعت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة بنت حمزة أثبتُ
٤٦٦	١٠	الصواب : « أكثر شرْحٍ » بالكسر
٤٧٠	١٢	الروايةُ فى مسند أحمد ج ٤ ص ٣٤٥ « ولا تقلِّدُوها الأوتارَ » بغير باء التعدية . الأوتارُ جمع وتر القوس ، ونهاهم عن تقليدها بالأوتار لأن الخيل رُبَّما رعت الأشجار فنَشِبت الأوتارُ بِبَعْضِ شعبها فخنقتْها . وقيل : إنما نهاهم عن تقليدها بالأوتار لأنهم كانوا يعتقدون أن تقليدَها بها يدفَعُ عنها العَيْنَ والأذى ، فيكون كالعُوذَة والتميمة ، فنهاهم صلى الله عليه وسلم يُعْلِمهم أنّها لاتدفَع ضرراً عنها
٤٨٢	٥—٦	« وبِجَاد بن عثمان » وس ٧ « وخذام بن خالد » وس ٩—١٠ « زمامٌ

ص	س	
		خيرٌ من خذام ، وسوطٌ خيرٌ من بِجَاد » . ورد الاسمان فى ابن هشام ج ٢ ص ٩٠٧ وفى غيره كما أثبتناهما ، ورأيت أبا ذَرّ الخشنىّ يقول فى موضعين من كتابه أنّ « بجادا » روى بالباء والنون ، وأن الدار قطنىّ قيّده بالباء . ولكنّ الحديث الذى رواه المؤلّف فى س ٩ — ١٠ يوجبُ أن يكون اسم الأول « نِجَاد » والنجادُ : سيرٌ من جلدٍ يقع على العاتقِ ، وهو حمائل السيفِ ، ولذلك جاء فى الحديث المذكور « سوطٌ خير من نجادٍ » ، وكذلك تتمُّ المقابلة بين السوطِ والنجادِ . وأما الآخر : « خذام » فلعلّ الصّواب فيه « خِزام » بالزاىِ المعجمة ، وهو حلقةٌ من شَعْر تجعل فى وَتَرةِ أنف البعير يشدُّ بها زِمامُه ، وعلى هذا المعنى تتم المقابلة فى قوله : « زِمَامٌ خيرٌ من خِزَامٍ » . ويكون تصحيح السطر ٩ — ١٠ : « زمامٌ خيرٌ من خِزَامٍ ، وسوطٌ خيرٌ من نِجَادٍ » . هذا ما نتعقَّبُ به هذا النصّ ، فإن كان صوابًا فبتوفيق الله
٤٨٢	٨	الصواب : « وبَخْزَجُ » بضمّ الجيم
٤٨٩	٩	الصواب : « عُرْوة بن مَسْعودِ بن مُعَتِّب » وسَقَط فى الطّبع
	١٤	الصواب : « بين مكّةَ والمدينةِ » بالكسر
	٢٠	الصواب : « سورة التوبة »
٤٩١	١—٢	الصواب : « و] رَجُلَيْن [معه] من الأَحْلاف »
٤٩٣	٣	الصواب : « عثمان بن أبى العاص » ، وفى الأصل « عثمان بن العاص »
٥٠٦	٣	الصواب : « بِعَمَان » بفتح الميم
٥٠٧	٦	الصواب : « بن مُنَبِّه » بغير ألف ، وبكسر الباءِ المشددة

ص	س	
٥٠٧	١١	صَوَاب العبارة « فأوصى لَهُم بِجَادٍّ مائة وَسْقٍ » ، وقد سقط منا شرحُها ، الجادُّ : المجدُود ، هو من جَدَّ النخل يجُدُّه إذا صَرَمه أي قَطَع ثمَره . ويعنى بذلك نَخْلا يُجَدُّ منها (أي يقطع من ثمرها) ما يبلُغُ مائة وَسْق
٥٣٢	٦	الصواب : « يَضرِبْ » بالجزم
	٧	الصواب : « مالاَ تَضِلُّون به » بفتح التاء
٥٣٥	٣	الصواب : « بن مالك »

فهرس الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تفضلت صاحبة العصمة السيدة قوت القلوب هانم الدمرداشية فتبرعت « للجنة التأليف والترجمة والنشر » بمبلغ قيم من المال ، وعهدت إليها نشر كتاب تاريخي ديني إحياء لذكرى والدها المرحوم « السيد عبد الرحيم باشا الدمرداش » ؛ فوقع اختيار اللجنة على كتاب من خير الكتب في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وما يتصل به ، وهو كتاب « إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع » للإمام المقريزي .

فنقدم اليوم « الجزء الأول » منه ونرجو أن نتبعه بالأجزاء الباقية .

فباسم اللجنة وباسم كل من ينتفعون بهذا الكتاب من هذا الجيل والأجيال القادمة نقدم الشكر للسيدة الجليلة ونرجو لها دوام التوفيق .

رئيس اللجنة

أحمد أمين

خاتمـــــة

تمت فهارس الجزء الأوّل — فى تقسيمنا — لـكتاب « إمتاع الأسماع للمقريزى » ، وأنا أشكر لـكُلّ من أعاننى عَلَى إخراج هذا الجزء ما قدّمَ إلىّ من مَعُونةٍ . وأرجو أن يوفقنا الله لإتمام طبع الـكتابِ ، والله المستعان ؟

محمود محمد شاكر


Bibliotheca Alexandrina
0242335